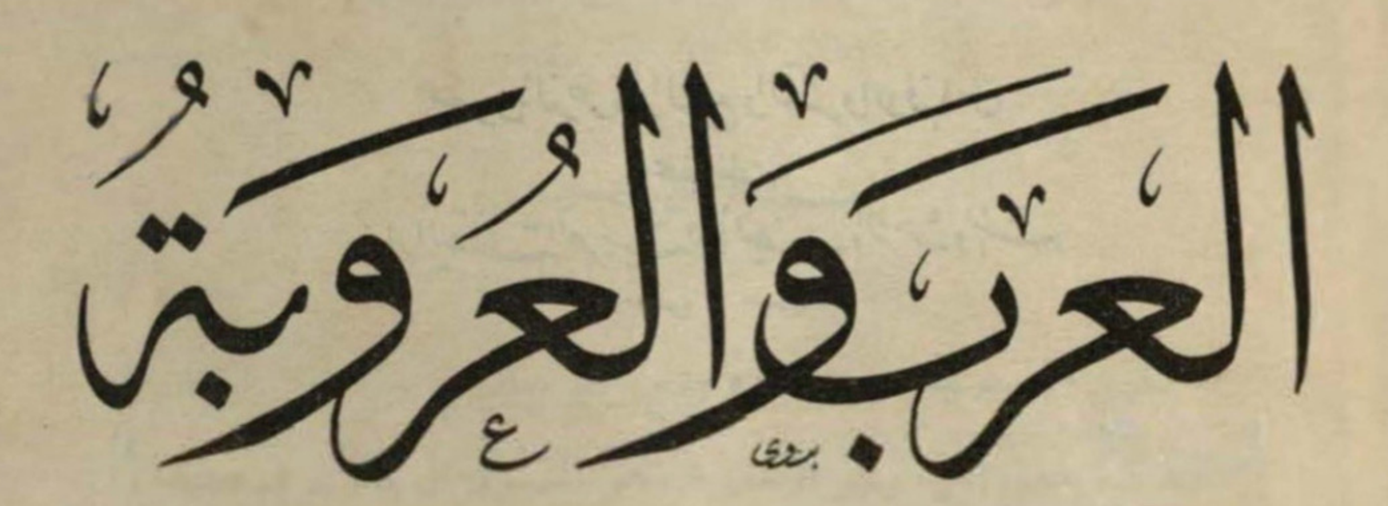
دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر



العرب والعروبة

تأليف

محمد عزة دروزه

الجزء الأول

يحتوي المقدمة وسيرة الاسر العربية التي برزت بهذه الحقبة في مجال الحكم والسلطان في جزيرة الفرات وشمال سورية ولبنان

١٩٥٩م



دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر



العرب والعروبة

تأليف

محمد عزة دروزه

الجزء الأول

يحتوي المقدمة وسيرة الاسر العربية التي برزت بهذه الحقبة في مجال الحكم والسلطان في جزيرة الفرات وشمال سورية ولبنان

١٩٥٩

تعهد
المؤسسة الثقافية
للنشر والتوزيع
بدمشق

الناشرون في البلاد العربية

دار اليقظة العربية	: دمشق ، شارع المتنبي	هاتف	١٢٢٦٤
مؤسسة الخانجي	: القاهرة ، شارع عبدالعزيز	هاتف	٤٣١٤٨
مكتبة المثنى	: بغداد ، شارع المتنبي	هاتف	٨٣٥٨٨
المكتبة الشرقية	: بيروت ، شارع المعرض	هاتف	٣٣٢٣٤



المقدمة

- ١ -

أدى انهيار الدولة الاموية الشامية في اول الثلث الاول من القرن الهجري الثاني تتيجة لتحالف الهاشميين ضدها مع الفرس الى انتقال عاصمة الدولة العربية الاسلامية التي حل العباسيون فيها محل الامويين من دمشق الى الهاشمية فبغداد في العراق الذي كان اقرب الى البيئة الفارسية من الشام ، وانفسح بهذا وذاك المجال لرجال الفرس فاخذوا يتغلغلون في بنيان الدولة العباسية ويدحرون العرب شيئا فشيئا . واخذت تبدو منهم مطامح ومطامع متنوعة تهدد كيان الدولة والعروبة تهديدا قويا . وقد بدا ذلك منهم منذ أوائل نشوء الدولة مما سجل التاريخ منه بوادر ووقائع عديدة وأدى هذا الى نقمة العرب كانت بوادرها هي الاخرى تظهر منذ عهد مبكر من نشوء الدولة العباسية متمثلة في ما كان يقوم خاصة في بلاد الشام من ثورات وتمردات .

ولقد استمسكت الدولة العباسية خلال مئة السنة الاولى من عهدها بفضل ما كان عليه معظم ملوكها في هذه الحقبة من حيوية وشخصية وما كان مستمرا من مظاهر قوة الحيوية والشخصية العربية

بوجه عام • غير ان نقمة العرب من ناحية ومطامع الفرس من نـاحية جعل ملوك العباسيين يشعرون بالحاجة الى سد الفراغ والثغرة •

وفي هذه الاثناء بدأ سيل العناصر التركية المسلمة يتدفق من المشرق وتمتلأ بها القصور والدور زوجات وحظايا وخدما وحشما • وكـان معظمهم سبيا مسترقا • فجنح الخلفاء الى استخدامهم في الجيش ومهام الدولة المختلفة لما توسموه فيهم من الاخلاص والطاعة • واتسع نطاق ذلك في عهد المعتصم بن الرشيد ٢١٨ ـ ٢٢٧ وولديه الواثق ٢٢٧ـ٢٣٢ والمتوكل ٢٣٢ ـ ٢٤٧ فكـاد أن يصبح معظم أفراد الجيش وقواده وحرس القصور والمعتمدون في مهام الدولة منهم ، فلم يلبثوا ان أخذوا يتدخلون في شؤون الخلفاء ويجنحون الى التغلب عليهم • وقد بـدا ذلك منهم في عهد الواثق وأخيه المعتصم • ولقد تآمر معهم المنتصر بن المتوكل ضد ابيه وأدت المؤامرة الى اغتياله على ايديهم فكان ذلك من أقوى الاسباب التي جعلتهم يفرضون سلطانهم على المنتصر ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ثم على المستعين ٢٤٨ ـ ٢٥٢ والمعتز ٢٥٢ ـ ٢٥٥ والمهتدي ٢٥٥ـ٢٥٦ ويتصرفون فيهم وفي شؤون الدولة تصرف الغالب الذي لا راد له •

ومع ان يدهم انكفت في عهد الخلفاء المعتمد ٢٥٦ـ٢٧٩ والمعتضد ٢٧٩ ـ ٢٨٩ والمكتفي ٢٨٩ ـ ٢٩٥ فانهم عادوا الى تغلبهم وتـدخلهم في عهود الخلفاء الخمسة الذين خلفوهم أي المقتدر ٢٩٥ ـ ٣٢٠ والقاهر ٣٢٠ ـ ٣٢٢ والراضي ٣٢٢ ـ ٣٢٩ والمتقي ٣٢٩ ـ ٣٣٣ والمستكفي ٣٣٣ ـ ٣٣٤ •

ومع ان بني بويه من الديلم العجم انتزعوا السلطان من ايديهم سنة ٣٣٤ وصاروا هم اصحاب الغلبة على الخلافة العباسية في عهد المطيع ٣٣٤ ـ ٣٦٣ والطائع ٣٦٣ ـ ٣٨١ والقادر ٣٨١ ـ ٤٢٢ والقائم ٤٢٢ ـ ٤٦٧ فان ذلك لم يؤثر فيما صار للعناصر التركية في دنيا الخلافة من

كيان وشغلته من حيز • ولا سيما ان سيلها من المشرق ظل متدفقا •

ثم استعادوا سلطانهم وغلبتهم بقيادة بني سلجوق الذين كان عهدهم عهد ملك وسلطان بمقياس اوسع مما كان قبل • ولا سيما ان الموجة التي جاءت تحت قيادتهم كانت موجة غزاة ولم يكونوا سببا مسترقا كما كان الذين تولوا السلطان قبلهم • وقد ازداد كيان العناصر التركية وحيزهم في عهدهم قوة وسعة وانتشارا وصاروا اصحاب الحكم والسلطان في جميع انحاء الشام والعراق ومدوا سلطانهم الى الاناضول فاقاموا فيه لهم دولة مركزها قونيه عمرت الى أوائل القرن التاسع •

ومع انه اخذ يظهر في هذه الاثناء على مسرح الدولة جماعات كردية وشركسية غير ان ذلك لم يكن ليؤثر في كيان وحيز العناصر التركية لان هذه الجماعات كانت تعيش في ظلها وما لبثت ان اصطبغت بصبغتها وغدت من امتداداتها •

ومع انيد بني سلجوق انكفت عن الخلافة العباسية في أواخر القرن السادس وعاد الى الخلفاء شيء من استقلالهم غير ان ذلك لم يكن كذلك ليؤثر في كيان وحيز العناصر التركية ومن امتزج فيها من عناصر شركسية وكردية حيث ظلت صاحبة الحكم والسلطان في بلاد العراق والشام ومصر •

وفي اوائل القرن السابع بدت من المشرق حركتان تركيتان جديدتان• اولاهما حركة الخوارزميين المسلمين وقدنازع ملوكها السلاجقة وانتزعوا منهم السلطان • وثانيتهما حركة التتر غير المسلمين بقيادة جنكيز خان واحفاده • وقد قضت هذه الحركة اولا على كيان الدولة الخوارزمية ثم امتدت نحو الغرب بقيادة هولاكو واخذت تكتسح ما في طريقها حتى وصلت الى العراق فاستولت عليه ثم على بغداد وقوضت

الخلافة العباسية في سيرة بالغة القسوة في الفتك والتدمير • ثم زحفت نحو الشام فاتكة مدمرة فتصدى لها حكام مصر والشام الذين كان معظمهم ومعظم جيوشهم من العناصر التركية الكردية الشركسية المزيجة المسلمة وتمكنوا من ردها فارتدت الى العراق وثبتت فيه وفي ما حوله قدمها ولم تلبث ان اعتنقت هي الاخرى الاسلام ••

وبينما فرضت هذه الحركة سلطانها على العراق وبعض انحاء بلاد الفرس والاناضول الموالية لشمال العراق الشرقي والغربي ظلت بلاد الشام ووادي النيل تحت غلبة وسلطان العناصر المسلمة المزيجة من الترك والكرد والشركس الى الربع الاول من القرن العاشر ، ومدت سلطانها الى جزيرة العرب شرقا والى ليبية غربا •

وفي هذه الاثناء وبتعيين ادق في اواخر القرن السابع الهجري نشأت في الاناضول ــ آسيا الصغرى ــ دولة تركية جديدة ــ وهي التي عرفت بالدولة العثمانية نسبة الى مؤسسها عثمان ــ في ظل دولة قونية السلجوقية واخذت تنمو وتقوى بسرعة حتى تم لها الاستيلاء على معظم الاناضول ، ثم على رقعة كبيرة من البلقان ، ثم تمكنت من نسف دولة الروم البيزانسية في اواسط القرن التاسع والاستيلاء على عاصمتها القسطنطينية واتخاذها عاصمة لها • وفي اواخر الربع الاول من القرن العاشر قهرت جيوش الدولة الشركسية التي كانت صاحبة السلطان في بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن وليبية ثم قضت عليها واحلت سلطانها في هذه البلاد محلها • وفي اواسط القرن نفسه مدت نظرها الى العراق وتمكنت في النهاية من ادخاله تحت سلطانها فغدت هي صاحبة السلطات على جميع البلاد العربية وظل سلطانها فعلا او اسما مستمرا الى الثلث الاول من القرن الرابع عشر الهجري •

وهكذا يبدو من الاستعراض الوجيز ان بلاد لعرب خضعت

لسلطان لعناصر التركية وكانت منحدر سيل تركي قوي طيلة الف ومئة عام باستثناء فترات قصيرة . وقد تمثل هذا السلطان اولا بالقواد لمتغلبين واصحاب منصب امير الامراء ثم بالامراء والملوك والولاة والحكام والقواد الطولونيين والاخشيديين في بلاد الشام ومصر ثم السلجوقيين والبوريين والارتقيين والزنكيين والايوبيين ومماليك الترك ومماليك الشركس [1] في بلاد العراق والشام ومصر وجزيرة العرب ثم الايلخانيين والجلايريين والبارانيين والبايندريين التتر والتركمان في العراق ثم بالعثمانيين اخيرا في جميع هذه البلاد ، مما جعل المتنبي يقول في اواسط القرن الهجري الرابع عن البلاد العربية :

ترى الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان!

— ٢ —

ومع ذلك كله فان العنصر التركي لم يستطع ان يصبغ العرب وبلادهم بصبغته بل ولم يستطع ان يتفلت من الصبغة العربية والسلطان العربي الادبي ، حيث ظلت اللغة العربية لغة رسمية للدول الطولونية والاخشيدية والسلجوقية والزنكية والايوبية والتركية والشركسية وما قام في ظلها من امارات تركية وايوبية كردية ثانوية في الاقاليم العربية في مراسلاتها ودواوينها ومنشوراتها ومراسمها وقوانينها وفي العواصم والملحقات ومن قبل الملوك والحكام على السواء مما

---

(١) سلكنا الاكراد والايوبيين ومماليك الشركس في سلك الترك لانهم كانوا يدورون في فلكهم وكانت الصفة التركية هي الغالبة عليهم بل ونشأوا في خدمتهم .

وقد سلكهم ابن آياس في كتابه بدائع الزهور ملوك مماليك الترك والشركس في سلك واحد ايضا ، انظر ج ١ ص : ٢٥٩ مثلا .

كان يفسح المجال للآلاف المؤلفة من العرب للعمل في مختلف مصالح الدولة ومناصبها ودواوينها وكان كثير منهم يحتل مراكز سامية ويكون لهم توجيه مؤثر في سير الدولة وسياستها •

وقد ظلت اللغة العربية كذلك لغة العلم والتأليف الذين ظلا مزدهرين يانعين في القرون الثالث الى السادس بنوع خاص بل والذين فاق ازدهمارهما وايناعهما في الحقبة السابقة لقيام هذه الدول حتى يمكن أن يقال ان معظم ما وصل الينا من مؤلفات عربية في شتى العلوم والفنون من حديث وفقه ولغة وادب وشعر وطب ورياضيات وكيمياء وجغرافيا وفلك وتاريخ وتفسير مما كتب في هذه القرون كما ان معظم ما وصل الينا من اسماء النابغين والمؤلفين في هذه العلوم والفنون من اهلها • وفيهم كثيرون يمتون الى العروبة الاصيلة حفلت مختلف كتب التراجم والتاريخ والادب باسمائهم وانسابهم ونوهت بما كان لهم من نشاط وبروز ونبوغ •

ولقد كان سيل الترك وامتداداتهم ـ التتر والتركمان والشركس والكرد ـ لا يلبث حتى يندمج في العروبة وينسى كثير منهم لغته وتنصل صبغته العنصرية قليلا أو كثيرا • وكان كثير منهم يندمج في الثقافة العربية ويغدو نابغا فيها كشاعر واديب ومؤلف رائع الديباجة قوي الاسلوب مما حفلت كتب الادب والتراجم بكثير من اسمائهم ونتائج قرائحهم ومنهم من كان يمت الى الارومات المالكة المتغلبة نفسها ، فضلا عن العدد الكبير من المفسرين والمحدثين والاطباء والرياضيين والفلكيين والفلاسفة واللغويين الذين ثقفوا العربية والفوا فيها كثيرا من الكتب التي تعد من مفاخر الحضارة العربية الاسلامية ولاسس التي قامت عليها الحضارة الانسانية [1] •

---

(۱) ممن ذكرهم المؤرخون من هذا الباب عزالدين فرخشاه ابن اخي صلاح الدين

ولقد ظل الترك ـ وامتداداتهم ـ برغم ما وصلوا اليه من النفوذ وقوة السلطان وتجدد المادة ، وبرغم ما وصلت اليه الخلافة العباسية من الوهن يحترمون شخصية هذه الخلافة ويستمدون من قوتها الروحية ، وكان كل متغلب على سلطان الخلافة او على بلد من البلاد وكل شخص يتولى منصب الملك في أي بقعة من بقاع البلاد الاسلامية منهم يحرص على الحصول على تصديق الخليفة على منصبه واخذ التوقيع والخلع والطرز منه ـ حتى ولو كان هو نفسه الذي خلع الخليفة السابق أو قتله ـ باعتبار ان الخلافة هي الرئاسة الاسلامية العليا التي لا يعد الحكم والسلطان لاحد شرعيا الا بموافقة وتصديق منها ، وباعتبار ان هذه الرئاسة يجب ان تبقى عربية قرشية ، حيث ينطوي في هذا الاعتراف من الترك بالرئاسة العربية على سائر الامم الاسلامية التي كان يندمج فيها شتى الاجناس والشعوب ولو رمزيا ، ولم تكد تسقط في بغداد سنة ٦٥٦ هـ حينما استولى التتر عليها وقتلوا المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين حتى اقاموها في مصر ليتيسر للمتغلبين على السلطان منهم في بلاد الشام ومصر ان يحصلوا على موافقتها على مناصبهم برغم ما كانت عليه من الضعف والهوان .

الايوبي وكان له شعر جيد من بين اشعار الملوك وكان فاضلا عالما في الادب (ابن الاثير ج ١١ ص ١٨٥) ومجاهد بن قايماز الحاكم في دولة نور الدين وكان عاقلا اديبا خبيرا فاضلا يعرف الفقه على مذهب ابي حنيفة ويحفظ من التاريخ والشعر والحكايات شيئا كثيرا (ابن الاثير ج ١٢ ص ٦٠) ومنهم الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل وقد وصف بانه كان فاضلا ناظما ناثرا قرأ العلوم العقلية على الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخسروت هو تلميذ الامام فخرالدين الرازي (ابو الفداء ج ٣ ص ١٩٥ ـ ١٩٦) ومنهم الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب ملك بعلبك ثم الزبداني حيث وصف بانه اشعر بني ايوب وشعره مشهور (ابو الفداء ج ٣ ص ١٤٦) ومنهم أبو الفداء نفسه ملك حماه وهو اسماعيل بن السلطان الافضل نورالدين ابن الملك المظفر تقي الدين ابن الملك المنصور ناصر الدين بن الملك المظفر تقي الدين بن السلطان نورالدين شاهان شاه ابن الملك الافضل نجم الدين ايوب صاحب التاريخ المشهور والمصنفات الاخرى .

وهــذا متــأت اولا : من كون بــلاد الشام والعراق ومصــر مأهولــة منــذ اقــدم الازمنة بالجنس العربي الــذي كانت تتسرب موجاته المتتابعة الكبرى والصغرى بدون انقطاع اليها من جزيرة العرب والذي سماه الباحثون الاجانب المستشرقون وتابعهم فيه كتاب العرب خطأً بالجنس السامي او الاقوام السامية (١) ، وكون قسم كبير منهـا أي معظم الهلال الخصيب ــ بلاد الشام والعراق ــ مصبوغا بالصبغة العربية الصريحة قبل الاسلام بقرون عــديدة بتأثير الموجات العربيــة الصريحة التي انساحت اليها في القرون الخمســة عشرة قبل البعثــة المحمدية وملأت جنباتها واقــامت فيهــا ممــالك ودول وحكومــات متعددة (٢) . وثانيا : من كون صبغة العروبة الصريحة قد توطدت فيها ورسخت وتقدست بالموجة الاسلامية العربية الكبرى . وثالثا : من كون عهد الدولة الاموية عهدا عربيا قوي الحيوية والشعور بــالعزة القومية . ورابعا : من كون عهد العباسيين الذهبي الذي امتــد نحو مئة سنة هو ايضا عهد عربي قوي برغم ما ألمَّ به من ملمات وجرى فيه من تيارات ، وخامسا : من كون عهد الدولة الفاطمية التي نشأت في القيروان ــ منطقة تونس ــ ثم نقلت مركزها الى مصر وشملت بسلطانها لفترة غير قصيرة شمال افريقية ووادي النيل والحجاز واليمن وبــلاد الشام الى جزيرة الفرات هو الآخر كان عهدا عربيا قويا في الاجمــال وخاصة في دور الــدولة القوي الــذي امتد نحو مئة وخمسين سنة . وسادسا : من كون معظم حكام هذه البلاد المحليين كانوا عربا وكــانوا الواسطة بين أهل البلاد وبين اصحاب السيادة من المتغلبين وبالتــالي

---

(١) انظر مقدمة الجزء الاول من تاريخ الجنس العربي في مختلف الادوار والاقطــار والاطوار للمؤلف .

(٢) انظر الاجزاء ٣ و ٤ من تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي وتاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ..

شعارا يحول دون اختلاط العناصر التركية بمقياس واسع بالعناصر العربية .

يضاف الى ذلك عامل مهم جدا وهو ان جزيرة العرب لم تنقطع في حقبة التغلب التركي الطويلة عن عادتها أو خصيصتها الطبيعية والاجتماعية التي جرت عليها باستمرار منذ أقدم الازمنة وهي مد هذه البلاد بموجاتها المتتابعة الصغرى والكبرى التي كانت تنتشر في براري الشام وجزيرة الفرات والعراق وشرق الاردن وغربه وسيناء ووادي النيل جنوبه وشماله ثم تندمج في صميم البلاد فتأتي موجات أخرى فتحل محلها دون انقطاع ، حيث كان هذا يجدد الدم العربي القومي من حين الى حين ويقوي الصبغة العربية في هذه المواطن ويظل جمهور السكان في البلاد عربي الوجه واللسان .

وهنالك عوامل أخرى جديرة بالتسجيل ايضا . منها انه لم يكن لدى الترك فكرة سحق العرب وصبغهم بصبغة تركية والاستعلاء عليهم والكيد لقوميتهم سواء منهم الذين جاؤوا كطلاب رزق من باب الخدمة وأصبحوا أصحاب الامر في الدور الاول والحقبة التي اعقبته من عهد الخلافة العباسية أم الذين جاؤوا ككتلة عسكرية فاتحين ونعني بهم السلاجقة [1] . ومنها التأثير الديني الذي نفذ الى قلوب الترك وجعلهم يحملون في نفوسهم عاطفة احترام واعتبار بل وتقديس للعرب من حيث الاجمال ، ويقبلون على تعلم لغتهم والاخذ بأدابهم وعاداتهم . حتى التتر الذين طرقوا البلاد بسيل عظيم وكانوا في سيرتهم فاتكين مدمرين

---

(1) من الحق والواجب ان نذكر في هذا المقام ايضا بان اندحار العرب عن مركز السلطان الاعلى لم يكن في أصله عملا او قصدا تركيا وانه كان سابقا للتغلب التركي وان هذا التغلب في ظروف اندحار العرب عن السلطان الاعلى لم يكن شرا كله . فقد تسنى تحت لوائه دفع غارات التتر الخطيرةعن بلادالشام ومصاولةالروم ثم الغزاة الافرنجالصليبيين وتطهير البلاد منهم في النهاية .

ودكوا معالم المدينة الاسلامية التي كانت تحمل الطابع العربي فـانهم لم يكونوا يقصدون بذلك الى هدم الكيان العربي ، والذين بقوا منهم في الاقطار العربية وسواء منهم الذين كانوا اصحاب السلطان في العراق أم اقاموا فيه كسكان لم يستطيعوا على قرب عهدهم ببلادهم وعراقتهم بالتركية وقسوتها ان يتفلتوا من الاثر الذي ذكرناه فاسلموا بعـد برهة وجيزة وامتزجوا بالعرب حتى غدوا أو غدا معظمهم عربيا في اللسان والعـادات •

ويجدر بنا ان نضع بين العوامل كون العنصر التركي عنصرا حربيا فقط • لم يكن له في بلاده تلك الادبيات الراقية والمدنية البراقة التي كانت للفرس فسهل ذلك على النفوذ العربي الادبي ان يعمل فيهم عمله •

— ٣ —

واذا كانت دولـة الترك السلجوقيـين في قونية ثم دولـة الترك العثمانيين بدتا تركيتي الصبغة واللغة والمظهر وحافظتا على ذلـك ولم تجريا على ما جرت عليه دولتـا المماليك الترك والشركس من الاستمداد من قوة الخلافة العربية العباسية التي أقامها الاولون في مصر فـان مرد ذلـك الى كونهما لم تقوما في بلاد العرب وفي دنيا الخلافة العبـاسية العربية • واذا كان العثمانيون لم يستبقوا الخلافة العباسية المصريـة فانهم لم يلبثوا أن اتسموا بسمة الخلافة الاسلامية فكان ذلك منهم اعترافا بقوة الخلافة العربية الاصل • ولقد روي ان الخليفة العبـاسي الاخير الذي أخذه السلطان سليم معه الى الاستانة قد تنازل لهم عـن الخلافة وبايعه بها فتكون تلك السمة اذا صحت الرواية بصفة النيابة عن الخلافة العربية • ومن الجدير بالذكر ان هذه الدولة مع جعلها التركية لغة لها واحتفاظها بالصبغة التركية لم تحاول ان تفرض لغتها وصبغتهـا

على البلاد العربية التي رضخت لسلطانها منذ سنة ٩٢٣ هـ حيث ظلت اللغة العربية وصبغة العروبة فيها هما السائدان ، بل ولم تستطع أن تتفلت من نفوذ العروبة وسلطانها في بلاد الاناضول والبلقان التي اصطبغت بالصبغة التركية حيث ظل الترك في هذه البلاد يدينون بالدين الاسلامي العربي ، وحيث غدا أكثر من نصف لغتها عربيا وغدت اسماء رجالهم ونسائهم وأسرهم وتشكيلاتهم ودواينهم ومنشآتهم عربية، وغدت التقاليد العربية المتنوعة في حياة البيت والمجتمع تقاليد لهم ، وظلت الحروف العربية حروف كتابتهم . وتعلم كثير منهم في مختلف الاجيال اللغة العربية ومهروا فيها وألفوا فيها كثيرا من الكتب الدينية وغير الدينية وترجموا الى التركية مختلف الكتب العربية الدينية وغير الدينية وظلت الصيغ الدينية التي يؤدي بها الجمهور التركي عباداته عربية وظل القرآن العربي والحديث العربي يتلى ويروى بادائه وحروفه العربية . وكل ما كان من أثرهم في البلاد العربية مصطلحات والفاظ تسربت الى اللغة العربية العامية .

وما كان في اواخر العهد العثماني من تعليم التركية لابناء المدن العربية لم يكن يهدف الى تتريكهم وانما الى تخريج شبان يدرسون في مدارس الاستانة العالية ويتولون وظائف الدولة في بلاد العرب والترك على السواء . اما ما كان من جنوح جمعية الاتحاد التركي الى تسويد العنصر التركي في الدولة العثمانية فانه كان في الحقيقة بدعا جديدا ليس له أصل في صميم الترك وانما هو اثر من آثار انبعاث الفكرة القومية الحديثة ، وما كان من جنوح مصطفى كمال الى الغاء الحروف العربية وتتريك الدين الاسلامي وحصر نطاقه فانه كان لاسباب تركية خاصة مردها كذلك الفكرة القومية الحديثة .

ونريد ان نشير الى ظاهرة مهمة في صدد ما نحن فيه ، فقد كان

انسياح الترك السلجوقيين الى الاناضول في القرن الخامس واقامتهم دولة قونية فيها وانبساط سلطانهم على رقعة كبيرة فيها ثم انسياح الترك العثمانيين في القرن السابع وانشائهم دولتهم فيها وانبساط سلطانهم عليها مؤديا الى صبغ الاناضول وقسم من البلقان الذي عرف باسم الرومللي بالصبغة التركية واندماج معظم من كان فيها من عناصر غير تركية في التركية والاسلام حتى غدت هذه البلاد تركية بحتة تقريبا في حين ان انسياح الترك المتواصل وقيام دولهم المتوالية في بلاد الشام والعراق ووادي النيل واستمرار سلطانهم على هذه البلاد الفا ومئة عام لم يؤد الى تتريك هذه البلاد بل أدى بالعكس وفي النهاية الى تعريب المقيمين منهم فيها مما يرجع الى الاسباب التي ذكرناها قبل ثم الى قوة الحيوية العربية ومدها المتصل .

ولقد كانت هذه الظاهرة قبل الاسلام حيث استمر سلطان الفرس على العراق وسلطان اليونان ثم الرومان على بلاد الشام ومصر نحو الف عام فلم يستطع هؤلاء واولئك ان يصبغوا البلاد وأهلها بصبغتهم بل وصبغت الصبغة العربية من ظل فيها منهم وخاصة بعد ان غدت الصبغة العربية واللغة العربية خالدتين بموجة الفتح الاسلامي الكبرى .

— ٤ —

ولقد احتوت كتب التاريخ والتراجم اسماء عدد كبير من الاسر والشخصيات الاصيلة العروبة التي شغلت في حقبة التغلب التركي الطويلة حيزا في مجال الحكم والسلطان والفنون والعلوم والتأليف كما احتوت كتب التاريخ بيانات كثيرة في صدد حركة التموج العربي بين جزيرة العرب والاقطار المجاورة لها مما يسمى مهاجر العرب او مواطنهم الثانية التي كانت مسرح هذا التغلب والتي كانت تساعد الى حد كبير على

بقاء الصبغة والحيوية العربية مستمرتين برغم السيل الذي تدفق عليها من العناصر التركية وامتداداتها .

ولقد تكفلت كتب التراجم خاصة في جمع شمل عدد ضخم من الشخصيات الاصيلة العروبة التي برزت في مختلف مجالات العلوم والفنون والسياسة وفي مختلف الاقطار العربية والتي كانت من مظاهر تلك الحيوية والصبغة ، غير انه لم يكتب فيما اطلعنا عليه جمع شمل سيرة الاسر العربية والشخصيات العربية التي برزت في مجال الحكم والسلطان خاصة ولا جمع سيرة حركة التموج العربي العربي خلال هذه الحقبة مع ان دلالة ذلك على قوة مظاهر الحيوية العربية اشد مما يجعل فائدة جمعه في كتاب واحد ظاهرة قوية .

ولقد كان الموضوعان مما اعتنينا بابرازهما في احد اجزاء كتابنا الكبير « تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار » الذي لم يتيسر طبع جميع أجزائه بعد ، فخطر لنا أن نجرد ما كتبناه فيهما ونزيد عليه ما اطلعنا عليه من جديد وننشره في كتاب منفرد تحقيقا لتلك الفائدة [1] .

وننبه على ان هناك افرادا كثيرين من العرب برزوا في مجال الحكم والسلطان ولمع نجمهم فيه لمعانا ساطعا فاتسع سلطانهم وقويت شوكتهم ، وكانوا يبرزون في صور متنوعة كثوار او عصاة وخوارج حينا وكرجال دولة وجيش في بدء امرهم حينا . ولكن بروزهم لم يكن يطول ويمتد الى ذرياتهم وأسرهم من بعدهم ، وان هناك كثيرين قد برزوا في مجال الحكم والسلطان وامتد بروزهم الى ذرياتهم ولكنهم لم يكونوا عربا اصلا وان كانوا مندمجين في العروبة لغة وديارا أشد

---

(1) هذا الكتاب هو بمقام الاجزاء التاسع والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر في سلسلة كتابنا المذكور . وسيكون في ثلاثة اجزاء ان شاء الله .

اندماج • وقد رأينا أن نخرج هؤلاء واولئك من نطاق كتابنا وان نكتفي بتسجيل الذين برزوا وامتد بروزهم الى ذرياتهم أو أسرهم من بعدهم من العرب الاصلاء •

ولقد حاول الترك وامتداداتهم في أثناء تغلبهم على الخلافة العباسية وبعدها ان يمدوا سلطانهم الى الجزيرة العربية وكانوا ينجحون احيانا في مدة الى الحجاز واليمن بنوع خاص بحيث يصح ان يقال انها كانت في نطاق ذلك التغلب قليلا او كثيرا • وهذا ما جعلنا ندخل جزيرة العرب في الكتاب ونفرد لها فصلا خاصا •

ولقد كان تشادّ وتجاذب بين العروبة والبربر الذين كانوا يؤلفون اكثرية سكان شمال افريقية منذ الفتح الاسلامي امتدا امدا طويلا حتى انتهيا بانتصار العرب والعروبة وغلبة طابعهما فيه • والتشابه يجمع بين هذا وبين ما قصدنا اليه من ابراز مظاهر العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي التي امتدت احد عشر قرنا كما هو المتبادر ، ولذلك افردنا فصلا خاصا في الكتاب للعرب والعروبة في شمال افريقية رغم انه لم يدخل بعضه في نطاق التغلب التركي الا متأخرا •

ونعترف ان موضوع الكتاب واسع متشعب ، وان استقصاء ماكتب فيه ليس امرا سهلا ، وان من المحتمل كثيرا ان يكون فاتنا مصادر كثيرة مطبوعة ومخطوطة فيها كثير من الاسماء والاحداث • ولكن ذلك لم يمنعنا من تنفيذ ما تراآى لنا مفيدا • ونرجو أن يكون في ما استطعنا أن نعثر عليه ونسجله غناء في التدليل على ما قصدنا اليه من ابراز صورة الحيوية العربية ومظاهرها ، وخدمة نافعة للفكرة القومية التي اعتنقناها وبذلنا جهدنا في سبيلها في الشطر الاكبر من عمرنا • والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق •

المؤلف

تمهيد ثان :

رغم مـا كان من خضوع بلاد الشام والجزيرة الفراتية منذ القرن الثالث الهجري للتغلب التركي نتيجـة للتغلب التركي على الخـلافة العباسية ، والذي استمر بعد زوال هذه الخلافة متمثلا بسلطان دولتي المماليك ثم الدولة التركية العثمانية الى سنة ١٣٣٦ ـــ ١٩١٨ ثم برغم ما كانت هذه البلاد عرضة له من زحف موجات تركية كانت عدة جيوش هذه الدول وادوات سلطانها وخدمها وحشمها وتغلغل جماعـات كثيرة منها بين اهل البلاد فان الحركات العربية المتنوعة في هذه الحقبة الطويلة لم تقف وبعبارة أخرى ان مظاهر الحيوية العربية ظلت قائمة مستمرة • ولقد كانت هذه البلاد مأهولة بالارومات العربية قبل التغلب التركـي منها ما كان يعيش عيشة البداوة ومنها مـا كان يعمر المدن والريف ويعيش عيشة الحضارة ، ومنها ما كان يمتد وجوده الى ما قبل الاسلام ثم الى دور الفتح الاسلامي وبعده • وفضلا عن ذلك فقد كانت مباءة تموج عربي مستمر أثناء حقبة التغلب من ناحية الجزيرة العربية ومـن ناحية بلاد العراق • ولقد كان من تلك الحركات ما كان يجري في نطاق الحياة القبلية ومنها ما كان يتجاوز هـذا النطاق الى نطاق الامارات العربية التي كانت تمارس الحكم والسلطان في مدن ومناطق عديـدة بمقياس ضيق حينا وواسع حينا آخر •

وموضوع هذا الجزء هو سيرة الدول والامارات والاسر العربية التي برزت في مجال الحكم والسلطان في جزيرة الفرات وشمال الشام ولبنان • وقد ادخلنا جزيرة الفرات لان الامارات التي قامت فيها كانت تمتد في احيان كثيرة الى شمال الشام على ما سوف نشرحه بعد •

الفصل الأول

في الجزيرة الفراتية

وشمال سورية

في هذا الفصل :

١ ــ سيرة بني حمدان .

٢ ــ سيرة بني مرداس .

٣ ــ سيرة بني المسيب .

٤ ــ سيرة بني نمير .

٥ ــ سيرة بني منقذ .

٦ ــ الامارة الطائية (آل فضل وآل مهنا وآل عيسى)

٧ ــ بنو الحنش .

٨ ــ بنو الاعوج .

(١) بنو حمدان :

– ١ –

لعل هذه الاسرة من أقدم الاسر التي برزت ونشطت في مجال الحكم والسلطان في حقبة التغلب التركي نشاطا وبرزوا قويين ، وكان لها دولتان في الجزيرة الفراتية وسورية الشمالية شغلتا حيزا كبيرا في تاريخ هذه الحقبة . ولقد قامت هاتان الدولتان في أوائل الحقبة الاولى من التغلب التركي واستمر نشاطهما نحو مئة وخمسين سنة وتقلب على ادوار ، وكان ملوكها يندمجون في الحركات والمنافسات التي كانت تقع بين العناصر المتغلبة . وقد كان لاحداهما موقف نضالي قوي ضد الروم حينما ضعفت قوة الخلافة العباسية بسبب ما كان من تغلب العناصر التركية والديلمية وتناحرها . وحاول الروم ان ينتهزوا الفرصة ويكروا على البلاد الاسلامية والشامية ، فاستطاعت أن ترد غاراتهم بل وان تتجاوز الدفاع الى الهجوم احيانا كثيرة خلال عشرين سنة وزيادة .

ومع ان حافز هذه الاسرة الى البروز والنشاط في مجال الحكم والسلطان كان شخصيا أسرويا يهدف الى اشباع الرغبة النفسية دون اهتمام للاعتبارات القومية العربية ودون صدور عنها ، وان هذا الحافز ظل هو المسيطر الضابط لاحداثها وحركاتها وهو ما يشترك فيه معظم الأسر التي نشطت وبرزت في ذلك المجال خلال حقبة التغلب التركي فان دارس سيرتها يلمح فيها شعورا بالذات أو الوجود العربي أيضا وهو ما يشترك فيه كذلك معظم الأسر العربية التي نشطت وبرزت في مجال الحكم والسلطان على مسرح الجزيرة الفراتية خاصة وما يمكن

ان يكون في أبيات ابي الطيب المتنبي شيء من التعبير عنه حينما قال :

وانما النـاس بالملوك وما يلفـح عرب ملوكها عجم
لا ادب عندهم ولا حسب ولا عهـود لهم ولا ذمـم
بكل ارض وطئتهـا أمم ترعى بعبـد كـأنهم غنـم
يستخشن الخزّ حين يلبسه وكـان يُبرى بظفره القلم

ولقد قامت الدولة الحمدانية في أول أمرها في الموصل ومنطقتها . وقد يبدو من هذا ان موضع بحثها هو فصل الامارات العربية في العراق. غير انها امتدت حتى شملت معظم انحاء البلاد الشامية بالاضافة الـى الموصل ومنطقتها وساحة غير ضيقة من الجزيرة الفراتية . وهذا ما جعلنا نورد سيرتها في هذا الفصل .

— ٢ —

والحمدانيون او بنو حمدان ينتسبون الى قبيلة تغلب التي كانت تنزل في الجزيرة الفراتية منذ زمن طويل ممتد الى ما قبل الاسلام . وكانوا على ما تفيده الصورة التي سجلت لهم اصحاب زعامة في القبيلة . واسمهم آت من أب قريب لهم . كان أول بارزيهم في مجـال الحكم والسلطان وهو حمدان بن حمدون العدوي التغلبي الذي ذكره ابن الاثير أكثر من مرة في أحداث القرن الثالث الهجري فوصفه حينما ذكره لاول مرة بوصف صاحب قلعة ماردين وقال عنه انه كان له قلاع [١] . ثم ذكره في حوادث سنة ٢٥٤ بانه كان من جملة رجال جيش أو عسكر الحسن بن ايوب بن احمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي امـير الموصل [٢] وانه قاتل معه خارجيا اسمه مساور بن عبد الحميد البجلي

(١) ج ٧ ص ١٥٤ و ١٥٥

(٢) نفس المصدر ص ١٥٥

الموصلي الذي خرج سنة ٢٥٢ وقوي امره حتى استولى على قسم كبير من منطقة الجزيرة والموصل [١] • ثم ذكره في حوادث سنة ٢٦٢ كرجل من جماعة هرون الخارجي الذي قام على رأس حركة الخوارج بعد مساور [٢] ثم ذكره في حوادث سنة ٢٨١ في سياق مطاردة الخليفة العباسي المعتضد (٢٧٩ ــ ٢٨٠) للخوارج باسلوب قد يدل على خطورة حيث قال ابن الاثير [٣] ان المعتضد خرج الخرجة الثانية الى الموصل قاصدا لحمدان بن حمدون لانه بلغه انه مال الى هرون الشاري [٤] (الخارجي) ودعا له وان الخليفة نازل قلعة ماردين فهرب حمدان منها فاستولى عليها ثم وجه خلفه وطلبه أشد طلب فلم يظفر به وعاد الى الموصل ، وان ابنا له استأمن للخليفة وفتح له باب القلعة ، وان الخليفة عاد الى الموصل وكتب اليه بالمسير اليه فامتنع وتحصن بقلاعه وأودع أمواله وحرمه فسير المعتضد نحوه الجيوش سنة ٢٨٣ تطارده الى ان ضاقت عليه الارض فطلب الامان فمنحه • وقد انخرط ابنه واسمه الحسين في خدمة وجيش المعتضد وطارد تحت لواء هذا الجيش هرون حتى وقع اسيرا في يده واحضره الى المعتضد فسر هذا بذلك كثيرا حتى انه خلع عليه وأمر بالتوسعة على أبيه والاحسان اليه [٥] •

ثم سكت ابن الاثير عن ذكر حمدان وابنه الى سنة ٢٩٢ حيث ذكر في حوادثها خبرا مهما عن بني حمدان فقال ان المكتفي (٢٨٩ ــ ٢٩٥ هـ) ولي في هذه السنة أي ٢٩٢ الموصل واعمالها لابي الهيجاء عبدالله بن حمدان بن حمدون العدوي التغلبي فكان ذلك بدء امارة بني حمدان بالموصل [٦] • والظاهر ان حمدان قد مات في هذه الفترة فبرز مكانه

---

(١) ابن الاثير ج ٧ ص ٥٩ ــ ٦١ •

(٢) نفس المصدر ص ١٤٠ •

(٣) نفس المصدر •

(٤) كلمة الشاري هي وصف للخوارج •

(٥) نفس المصدر ص ١٥٤ ــ ١٥٥ •

ابنه عبدالله الذي يبدو انه كان أكبر من الحسين فكان هو المولّى والمقدم.

ومنذئذ أخذ بنو حمدان يشغلون الحيز الواسع في مجال الحكم والسلطان في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام الشمالية خاصة ويتوالى ذكرهم باسلوب يدل على ما صار لهم من مكانة ونشاط في هذه الحقبة .

- ٣ -

ومما ذكره ابن الاثير [١] من الاحداث التي جرت في عهد ابي الهيجاء ان الاكراد الهدبانية أغاروا على نينوي في سنة ٢٩٣ وكانوا في خمسة آلاف بيت فطاردهم وضيق عليهم واستولى على بيوتهم وسوادهم وأهلهم فطلبوا منه الامان فأمنهم ورد عليهم أموالهم وتابعهم الاكراد الحميدية بطلب الامان فمنحه لهم فأمنت البلاد واستقامت .

ومن ذلك ان أبا الهيجاء عزل سنة ٣٠١ عن الموصل فخالف على المقتدر نتيجة لذلك ــ دون ذكر السبب ــ فسار اليه مؤنس القائد المتغلب فاستأمن له وورد معه الى بغداد حيث خلع عليه الخليفة وقلده الموصل ثانية [٢] . ثم خلع عليه الخليفة سنة ٣٠٨ وقلده طريق خراسان والدينور [٣] .

ومن ذلك أن الاكراد أفسدوا في أرض الموصل سنة ٣١٤ وكان ابو الهيجاء يقيم في بغداد بسبب توليه طريق خراسان والدينور وابنه

---

(١) ج ٧ ص ١٧٧ .

(٢) ابن الاثير ج ٨ ص ٢٥ و ٢٩ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٩ والمتبادر ان تقليد الطريق يعني الخفارة وكانت على مايظهر منصبا من مناصب الدولة .

ناصر الدولة يقوم بالحكم في الموصل وأعمالها بالنيابة عنه فكتب الى ابنه بحشد الحشود والانحدار الى تكريت ففعل وجاء اليه ابوه وتعاون على مطاردة المفسدين والتنكيل بهم واسترداد كثير مما نهبوه ورده الى أصحابه ثم رحل الى شهرزور فوطأ الاكراد الجلالية وقاتلهم حتى انقادوا اليه لما رأوا من قوته وكفوا عن الفساد والشر [1] .

ومن ذلك أن أبا الهيجاء ضمن سنة ٣١٤ أعمال الخرائب والضياع بالموصل وفروى وبازبدي وما يجري معهما حيث يدل على اتساع نطاق حكمه [2] وان أبا الهيجاء واخوته وجماعتهم اشتركوا سنة ٣١٥ في محاربة القرامطة الذين اغاروا على البلاد بقيادة ابي طاهر وكان لهم أثر كبير في كسرتهم [3] .

ومن ذلك ان القاهر حينما تولى الخلافة لاول مرة بعد المقتدر سنة ٣١٧ اقطع ابا الهيجاء مضافا الى ما بيده من اعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وهمذان وكنكور وكرمان وشاهان والراذنات ودقوقي وخانيخار ونهاوند والصميرة والسيروان وماسبذاي وغيرها [4] .

ولقد كان الموفق صاحب السلطان الفعلي في خلافة اخيه المعتمد (٢٥٦ ــ ٢٧٩ هـ) قد استطاع ان يكف يد الترك عن التدخل والتغلب ، وظل الامر كذلك في خلافة ابنه المعتضد ثم المكتفي بن المعتضد . فلما مات هذا وصار المقتدر خليفة (٢٩٥ ــ ٣١٩) وكان حدثا عادوا لتدخلهم وتغلبهم ، حتى انهم خلعوا المقتدر مرتين ثم قتلوه واستمروا في التدخل من بعده فكان لابي الهيجاء في هذا المجال بعض المواقف حيث روي

---

(١) نفس المصدر ص ٣٩ و ٥١ .

(٢) نفس المصدر ص ٥١ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر ص ٦٣ .

ابن الاثير [1] انه حينما خلع المقتدر قال له انه يعز علي أن أراك علــى هذه الحال وقد كنت اخافها عليك وانصح لك وأحذرك من عــاقبة قبول كلام الخدم والنساء فتؤثر أقوالهم على قولي ، وانه حينما أريــد خلع القاهر لاول مرة سنة ٣١٧ تعلق القاهر به خشية على حيــاته وقال له أنا في ذمامك فقال له والله لا أسلمك أبدا وأخذ بيده وقال له قم بنا نخرج جميعا وأدعو أصحابي وعشيرتي فيقاتلون معك ودونك . وحاول الفريق الثائر على القاهر والمناصر للمقتدر أن يحول دون ذلــك فحمل عليهم بسيفه حتى انجفلوا عنه ثم تطور الموقف حتى كتبت الغلبــة لانصار المقتدر وتمكنوا من قتل ابي الهيجاء برغم الامان الــذي بذلــه لــه المقتدر .

— ٤ —

ولم يكن ابو الهيجاء وحده الممثل لنشاط الاسرة الحمدانية فــي حياته . فقد كان له سبعة أخوة هم أبو العلاء وابو السراي والحسين وسعيد ونصر وداود وابراهيم وكان كل منهم ذا بروز ونشاط . وقــد روي ابن الاثير [2] ان المقتدر حينما خلع على ابي الهيجاء وقلده طريق خراسان خلع على أخويه ابي السرايا وابي العلاء حيث يــدل على انهما كانا اذ ذاك بارزين مرموقين [3] ، وان الحسين ابلى سنة ٢٩٤ في حرب زكرويه القرمطي وجماعته [4] وانه كان بينه وبين اعراب بني كلب وطيء واليمن وأسد وغيرهم وقعة حربية في نفس السنة [5] . وان الحسين

---

(1) ج ٨ ص ٦٢ .

(2) نفس المصدر ص ٦٤ .

(3) ابن الاثير ج ٨ ص ٣٩ .

(4) ج ٧ ص ١٨١ .

(1) ج ٧ ص ١٨١ .

تمرد على المقتدر والمتغلبين عليه سنة ٢٩٧ فكلفوا آخاه ابا الهيجاء بطلبه فساره وواحد القواد المتغلبين يطاردانه حتى هزماه عند تكريت ثم ارسل ابو الهيجاء أخاه ابراهيم يطلب الامان للحسين فاجيب الى طلبه فجاء الحسين بعد ذلك الى بغداد فخلع عليه المقتدر وعقد له على ولاية قم وقاشان [1] وانه كان يتولى سنة ٣٠٣ ديار ربيعة فطالبه وزير المقتدر بمال عليه فامتنع ثم تمرد فجهز عليه حملة بقيادة رائق الكبير فجمع الحسين عشرين الف فارس وسار نحوهم فحصرهم ومنع عنهم الميرة فساوموه على فك الحصار مقابل عفو الخليفة واقراره على ما في يده من ولاية فلم يقبل واستمر على حصرهم وقتالهم ، وكان مؤنس القائد المتغلب على رأس حملة لقتال الفاطميين الذين كانوا يهمون بغزو بلاد الشام فكتب اليه الوزير فجاء وكبس الحسين ليلا فانهزم من امامه وطارده حتى اسره وأخذه الى بغداد ، وهناك حبس واهين ، ثم قبضت سلطات بغداد على ابي الهيجاء وجميع اخوته لانهم كانوا ضالعين مع حركة الحسين سنة ٣٠٤ ، ولكنها لم تلبث ان اطلقت سراحهم سنة ٣٠٥ واعادتهم الى ما كانوا عليه من ولاية ورعاية بل وازداد التوجه عليهم فقلد الخليفة المقتدر في سنة ٣٠٨ طريق خراسان والدينور وخلع على اخويه ابي العلاء وابي السرايا وولى اخاه داود ولاية ديار ربيعة [2] ، مما قد ينطوي فيه استشعار السلطات التركية المتغلبة بالحرج والخطر من انتقاض واسع ضدها في الجزيرة الفراتية واضطرار الى تلافي ما كان منها نحو الاسرة الحمدانية صاحبة الزعامة والقوة فيها .

— ٥ —

ومع ان قتل ابي الهيجاء من قبل الثائرين على القاهر عكر صفو

---

(١) ج ٨ ص ١٨ .

(٢) ابن الاثير ج ٨ ص ٣٠ و ٣٩ .

العلاقات بين الاسرة وسلطات بغداد الا انه لم يوقف نشاطها وبروزهـا ولم يلبث الخليفة المقتدر والسلطات المتغلبة ان اقروا الحسن ابن ابـي الهيجاء المعروف بناصر الدولة في ولاية ما كان يليه ابوه من اعمـال الجزيرة سنة ٣١٨ (١) .

ولقد نفس سعيد ونصر عما ناصر الدولة على ابن اخيهما الولاية فسعيا في بغداد حتى تمكنا من عزله عن الموصل واناطة ولايتها بهمـا ولكن بغداد لم تهمل ناصر الدولة حيث ولته ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس العين وديار بكر وارزن (٢) .

وهكذا شمل سلطان بني حمدان جميع جزيرة الفرات وامتد الى ديار بكر وارزن شمالا .

وفي سنة ٣٢٠ سار مؤنس القائد المتغلب الى الموصل مغاضبا للخليفة فاتصل برؤساء العرب وبذل لهم الاموال والخلع وقال لهم ان الخليفة ولاه الموصل وديار ربيعة ، فكتب وزير الخليفة الى بني حمدان ناصر الدولة واخوته سعيد ونصر وداود بمحاربته فسارعوا الى تنفيـذ الطلب ، وانشبوا الحرب مع مؤنس . ومع ان هذا قد غلبهم وتمكن من الاستيلاء على الموصل وديار بني حمدان واموالهم فانه جنح الى مسايرتهم فاصطلح مع ناصر الدولة وسلمه الموصل حينما انحدر الى بغداد لارغام خصومه فيها . وقد تمكن من التغلب عليهم وقتل المقتدر وتنصيب القاهر (٣٢١ ـ ٣٢١) مكانه للمرة الثانية فظل ناصر الدولـة متوليا للموصل . وبعد قليل دارت الدائرة على مؤنس فقتل سنة ٣٢١ فسعى ابو العلاء عم ناصر الدولة مع المتغلبين الجدد وضمن الموصل وديار ربيعة وتوجه اليها . ولكن ناصر الدولة تصدى له وتمكن من

---

(١) نفس المصدر ٦٧ .

(٢) نفس المصدر ص ٦٧ .

قتله • وغضبت بغداد عليه فسيرت حملة بقيادة الوزير ابن مقله • واحتال بعض اصحاب ناصر الدولة في بغداد على ابن الوزير الذي كان يقوم مقام والده في الوزارة وبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب لابيه باختلال الامور ويدعوه الى القدوم ففعل فانزعج الوزير فاقام نائبا في الموصل وسارع الى بغداد فبادر ناصر الدولة الى الزحف على الموصل وتمكن من الاستيلاء عليها ، ثم كتب للخليفة الراضي الذي تولى الخلافة بعد خلع القاهر (٣٢٢ ــ ٣٢٩) يسأله الصفح ويضمن له البلاد فاجيب الى طلبه واستقرت البلاد عليه [1] •

ولقد أحدث تسلط القواد الترك على الخلفاء وتغلبهم على سلطان الدولة رد فعل سيىء في البلاد كان من أثره أن قطع والي الاهواز عبدالله البريدي ووالي البصره وواسط محمد بن رائق ــ وكلاهما من العناصر التركية ــ الاموال عن بغداد فسبب ذلك ضيقا ماليا شديدا فيها ، فاستدعى الخليفة ابن رائق وعينه اميرا للامراء واشركه معه في الخطبة وفوض اليه تدبير المملكة وتفريج الازمة فلم يلبث ان صار صاحب السلطان المطلق •

وقد انفتح باب جديد للتنافس بين القواد على منصب إمرة الامراء الذي منح صاحبه هذه الامتيازات • وكان ناصر الدولة من جملة الذين اندمجوا في المنافسة ونجحوا في الوصول الى المنصب ، حيث خرج الخليفة المتقي (٣٢٩ ــ ٣٣٣) مع امير الامراء ابن رائق سنة ٣٣١ الى الموصل [2] فارين من بغداد للاستمداد من ناصر الدولة ضد ابن البريدي

---

(١) ابن الاثير ج ٨ ص ٩٩ •

(٢) ان ابن رائق تولى منصب امرة الامراء مرتين ، مرة في عهد الخليفة الراضي المذكورة سابقا ومرة في عهد المتقي • فقد سير ابن رائق حينما تولى المنصب لاول مرة حملة لقتال ابن البريدي بقيادة قائد اسمه بجكم • وقد هزم البريدي وحينئذ حدثته نفسه بازاحة ابن رائق فزحف على بغداد وغلب عليها ففر ابن رائق وعين الخليفة بجكم

الذي استولى على العاصمة . فرحب ناصر الدولة بهما ثم اغتيل ابن رائق بامر منه فلم يسع المتقي الا أن يوجه المنصب اليه ويخلع عليه وعلى اخيه الحسن ويلقب هذا بلقب سيف الدولة [1] .

وقد سار ناصر الدولة واخوه مع المتقي الى بغداد لطرد ابن البريدي منها وتمكنوا من ذلك فغدا ناصر الدولة صاحب الغلبة والسلطان . وحاول ابن البريدي أن يكر على بغداد ولكن الحمدانيين حشدوا حشودهم وتصدوا له وتمكنوا من هزيمته بالتضامن مع بعض قواد الترك . وقد اصلح ناصر الدولة اثناء امارته عيار الدينار وضرب دنانير جديدة سماها الابريزية . وقام نسب بينه وبين الخليفة حيث تزوج ابن الخليفة بنته . على ان المنافسة لم تدع ناصر الدولة يستمتع طويلا بالمنصب . فقد اغتنم قائد تركي اسمه توزون فرصةتغيب ناصر الدولة عن بغداد سنة ٣٣١ فقاد حركة تمرد وشغب ضده في بغداد وطرد منها سيف الدولة الذي كان ينوب عن اخيه فيها وفرض نفسه على الخليفة الذي لم يسعه الا تعيينه في المنصب على كره منه حيث كان هواه في بني حمدان . وقد استسنح غفلة من توزون فخرج من بغداد الى الموصل لاجئا اليهم . وقد انحدر ناصر الدولة واخوه الى تكريت لاستقباله واصعدوه الى الموصل مكرما معززا ثم ارسلوه الى الرقة ليكون أكثر أمانا [2] .

واقام الخليفة مدة في الرقة ثم سئم وكاتب توزون وعرض عليه

مكانه وظل في المنصب الى ان مات الخليفة فامر بجكم بمبايعة المتقي مكانه . وفي سنة ٣٣٠ اغتيل بجكم فجاء ابن رائق الذي كان يتولى آنئذ ولاية بلاد الشام الوسطى الى بغداد وفرض نفسه اميرا للامراء . وفي هذه الاثناء زحف ابن البريدي على بغداد وتمكن من الاستيلاء عليها ففر الخليفة مع ابن رائق منها الى الموصل .

(١) ابن الاثير ج ٨ ص ١٢٤ .

(٢) ابن الاثير ج ٧ ص ١٣٠ — ١٣٣ .

الصلح على شرط مصالحة ناصر الدولة واخيه ايضا . واجاب توزون الى ذلك وحلف له على الامان ووافق على بقاء الموصل وأعمالها في حكم ناصر الدولة مقابل ثلاثة آلاف الف وستمائة الف درهم يوردهـا سنويا لخزينة بغداد . وحينئذ انحدر الخليفة الى بغداد فلم يعتم توزون ان نكث يمينه فسمّل الخليفة وخلعه وعين المستكفي (٣٣٣ ـ ٣٣٤) مكانه [١] .

ومما ذكره ابن الاثير في سياق ذلك ان المتقي كتب الى الاخشيد والي مصر من الرقة يشكو اليه حاله ويستقدمه فأتاه في الرقة واظهر له عظيم الاخلاص والاكرام وحمل اليه هدايا عظيمة واجتهد معه ليسير معه الى مصر والشام وخوفه من غدر توزون فلم يقبل وفضل العودة الى بغداد حيث لقي الغدر والهلاك .

وقد ظل ناصر الدولة متوليا للموصل وفق اتفاقه مع توزون . وعين ابن عمه ابا عبدالله الحسين بن سعيد على الفرات وديار مضـر وجند قنسرين والعواصم واناط به حكم ما يفتحه من بلاد الشام [٢] .

ولقد طلب سيف الدولة من اخيه ولاية فقال له أمامك الشام وليس ما يمنعك عنها . فحشد حشدا في سنة ٣٣٣ وزحف بـه علـى حلب فاستولى عليها من نائب الاخشيد الذي كان يجمع في يده حكم الشام ومصر والذي مد يده في هذه الاثناء الى حلب ، ثم زحف على حمـاه فحمص فاستولى عليهما [٣] . وهكذا اتسع نطاق ملك بني حمدان وامتد الى سورية الشمالية والوسطى بالاضافة الى الجزيرة الفراتية .

ومما ذكره ابن الاثير ان توزون لما مات سنة ٣٣٤ خطر لبـال

---

(١) ابن الاثير ج ٨ ص ١٣٤ ـ ١٣٧ .

(٢) نفس المصدر ص ١٣٦ ـ ١٣٨ .

(٣) ابن الاثير ج ٨ ص ١٤٨ ـ ١٤٧ .

كاتبه ان يوجه منصب امرة الامراء الى ناصر الدولة للمرة الثانية فـابى عليه الاجناد وفضلوه هو نفسه فصار له التغلب والامارة • وقد أقر ناصر الدولة على ما في يده واستمده بالمال الذي كان في حاجة اليـه فانفذ اليه خمسمائة الف درهم مع كثير من الطعام [1] •

وفي هذه الاثناء كان بنو بويه الديالمه الفرس يبرزون ويقوون ويفرضون سلطانهم على بلاد الفرس ويطمحون الى التغلب على بغـداد وسلطان الخلافة • وكان الامر في بغداد مضطربا في أثناء إمارة ابن شيرزاد فاغتنم احمد بن بويه الملقب بعز الدولة والذي كـان نصيبه في قسمة سلطان بلاد الفرس مع اخوته حكم الاهواز المتاخمة للعراق من الجنوب فزحف سنة (٣٣٤) على بغداد واستولى عليها فـاضطر الخليفة المستكفي الى توجيه منصب امرة الامراء عليه وتلقيبه بمعز الدولة وتلقيب اخيه الكبير علي بعماد الدولة واخيه الثالث الحسن بركن الدولة والامر بضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدراهم • ولكن هذا لم يقه غدر معز الدولة باليمين التي حلفها له فخلعه وسمله وعين المطيع لله مكانه (٣٣٤ ـــ ٣٦٣) • وغدا صاحب السلطان المطلق ولـم يبق للخليفة الجديد من النفوذ شيء بل لم يبق له الا ما يقوم بكفاف حاجاته ، حتى لقد أشار عليه قومه وكانوا يتشيعون بخلع العبـاسيين من الخلافة ومبايعة المعز لدين الله الفاطمي أو غيره من العلويين ، فـابى ذلك بتحذير بعض اخصائه الذين قالوا له انك مع خليفة تعتقد انـك واصحابك انه ليس من أهل الخلافة ولو امرتم بقتله لفعلوا وانـك اذا اجلست علويا تعتقد انت واصحابك بصحة خلافته فأمر بقتلـك لقتلوك [2] •

---

(١) نفس الجزء ص ١٤٧ •

(٢) ابن الاثير ج ٨ ص ١٤٩ •

ولقد خطر لبال ناصر الدولة ان ينحدر الى بغداد لدفع معز الدولة عنها بل وسار بحشوده اليها فاستولى عليها وامر بعدم الخطبة للمطيع ومنع الدنانير المضروبة باسمه من التعامل وامر بالتعامل بدنانير المتقي وانسحب معز الدولة مع المطيع الى الجانب الغربي من بغداد ونزل ناصر الدولة بالجانب الشرقي وانتشر اعراب ناصر الدولة ومنعوا اصحاب معز الدولة من الميرة والعلف حتى غلت الاسعار عليهم ٠ وقام معز الدولة بحركة مضادة فاغار على تكريت من اعمال ناصر الدولة فنهبها ثم عاد وأخذ يتناوش مع ناصر الدولة وتغلب في النهاية عليه وهزمه واعمل الديلم يد النهب والسيف في بغداد حتى روي انهم نهبوا ما مقداره عشرة آلاف الف درهم ٠ واقام ناصر الدولة في عكبرا يستعد للكرة وكان معه جماعة توزون التركي ٠ ثم استقر الصلح سنة ٣٣٥ بينه وبين معز الدولة واعترف هذا بولاية ناصر الدولة وسيف الدولة على ما في ايديهما حيث ينطوي في هذا تقدير معز الدولة لقوة وخطورة مركز الحمدانيين وجنوحه الى المسالمة معهم (١) ٠

وقد حنق جماعة توزون وثاروا على ناصر الدولة بقيادة قائد اسمه تكين وقاتلوه قتالا شديدا واستصرخ معز الدولة فسير اليه مددا فتغلب عليهم واوقع فيهم مقتلة عظيمة (٢) ٠

ويظهر ان ناصر الدولة أراد أن يستقل في بلاده استقلالا تاما وان لا يدفع شيئا من المال لبغداد فأدى هذا الى زحف معز الدولة سنة ٣٣٧ على الموصل وتملكها وانسحاب ناصر الدولة الى نصيبين ٠ وكان معز الدولة يعتزم تملك جميع بلاد ناصر الدولة غير ان ثورة نشبت في خراسان ضد أخيه ركن الدولة حالت دون تحقيق عزيمته وجعلته

---

(١) ابن الاثير ج ٨ ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ٠

(٢) نفس المصدر ص ١٥٤ ٠

يجنح الى مصالحة ناصر الدولة على ان يحمل هذا عن الموصل وديار الجزيرة والشام كل سنة ثمانية آلاف الف درهم وان يخطب له ولاخويه في بلاده [1] .

وفي هذه الاثناء أخذ سيف الدولة يستقل في حكم البلاد التي كانت تحت يده ويغدو صاحب السيادة المطلقة عليها . وسكت ناصر الدولة ازاء ذلك فاخذ يتصرف تصرف الملك المستقل مما جعلنا نفرد له ولمملكته في حياته وبعده بحثا خاصا وتتمم في هذا السياق سيرة ناصر الدولة وخلفائه من بعده .

— ٦ —

ومما رواه ابن الاثير في صدد هذه السيرة ان ناصر الدولة عاد سنة ٣٤٧ فامتنع عن توريد المال لبغداد فزحف معز الدولة ثانية على الموصل فانسحب ناصر الدولة الى نصيبين وام راعرابه بازعاج عسكر معز الدولة بالغارات والنهاب ، واخذت تقع مناوشات ومصاولات بين الطرفين . وانهزم اولاد ناصر الدولة وجماعته في احدى المرات فسار هو الى اخيه سيف الدولة في حلب واقام عنده مدة . وراسل هذا معز الدولة في الصلح وامتنع هذا من قبول ضمان ناصر الدولة لخلفه معه فضمن سيف الدولة البلاد منه بالفي الف درهم وتسمائة الف درهم وتم الصلح سنة ٣٤٩ وعاد ناصر الدولة الى الموصل [2] . غير ان الصلح انتقض لان ناصر الدولة أراد ان يشرك ابنه ابا تغلب بالضمان فابى معز الدولة وسار الى الموصل سنة ٣٥٣ وملكها وانسحب ناصر الدولة الى نصيبين فتبعه اليها فسار الى جزيرة بن عمر فتبعه اليها واغتنم

---

(١) ابن الاثير ج ٨ ص ١٥٨

(٢) نفس المصدر ص ١٧٣ .

ابو تغلب الفرصة فزحف على الموصل . ويظهر ان معز الدولة تعب من المطاردة واستشعر بالحرج من غضب الحمدانيين وانتقاض الجزيرة وبلاد الشام فاجاب ناصر الدولة الى طلبه وعقد ضمان الموصل وديار ربيعة والرحبة باسم الاب والابن معا [1] .

وكان ناصر الدولة قد طعن في السن وساءت اخلاقه واخذ يضيق على اولاده واصحابه فوثب عليه ابو تغلب سنة ٣٥٦ واحتجزه في قلعة الموصل ووكل به من يخدمه واستبد هو بالسلطان . ثم اتصل ببختيار عز الدولة ابن معز الدولة الذي خلف اباه بعد وفاته وجدد عقد الضمان باسمه وجاءه توقيع المطيع بأعمال أبيه واعمال سيف الدولة عمه الذي توفي في السنة نفسها ملقبا اياه بلقب عدة الدولة فصار له السلطان الاعلى والاشمل على الجزيرة وبلاد الشام مع بقاء ما كان في ولاية سيف الدولة في حكم ابنه ابى المعالي الذي خلف اباه . وقد تزوج بنت بختيار فازداد التواثق بينهما [2] .

وقد اغتاظ حمدان احد اولاد ناصر الدولة من اعتقال والده فأعلن عصيانه على اخيه وسار الى الرقة فملكها ثم ملك نصيبين ، فسار ابو تغلب لارغامه واضطره الى التراجع والخضوع [3] .

غير ان النزاع بين الاخين عاد ثانية بعد وفاة ناصر الدولة التي كانت في نفس السنة وجرت بينهما مصاولات واشتباكات عديدة ، وانحاز ولدان لناصر الدولة هما ابراهيم والحسين لحمدان وانحاز ولد آخر هو ابو البركات لابي تغلب وكان شقيقه ، واستمر التصاول بين الاخوة . واستجار حمدان واخوته ببختيار وصغروا عنده امر اخيهم

---

(١) ابن الاثير ج ٨ ص ١٧٤ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٦ .

(٣) ابن الاثير ج ٨ ص ١٩٥ .

وضمنوا له زيادة عن ما كان يورده فقبل وسار الى الموصل سنة ٣٦٣ رغم ما بينهما من صهر فانسحب ابو تغلب منها ثم اتجه في حركة مضادة نحو بغداد لكبسها . وتعصب اهل الموصل لابي تغلب وطلبوا من بختيار ان يصلح معه فاجاب الى ذلك فعاد ابو تغلب واستقر في ولايته [1] فسكت حمدان واخوته على مضض مترقبين الفرص . وفي هذه الاثناء كان الاتراك في بغداد اخذوا يشغبون على بني بويه ويحاولون ازاحتهم عن السلطان فاستجار بختيار بابن عمه عضد الدولة فجاء ونصره ثم طمح الى ان يكون هو صاحب السلطان فنشب من جراء ذلك بينهما نزاع ، فرأى حمدان بن ناصر الدولة الفرصة سانحة فانضم الى بختيار ، واخذ يحرضه على ابي تغلب ويغريه بما في الموصل من اموال وخيرات ، وعلم ابو تغلب بذلك فارسل الى بختيار يطلب منه تسليم اخيه اليه مقابل مساعدته على حرب عضد الله وفضل بختيار عرض ابي تغلب لان السلطان في يده فعلا فسلمه اخاه فقتله ثم انضم الى بختيار في مصاولته مع عضد الدولة على رأس عشرين الف فارس . غير ان عضد الدولة تمكن من هزيمة قوات ابي تغلب وبختيار وأسر بختيار وقتله . ثم توجه نحو الموصل مطاردا لابي تغلب وملك في أثناء المطاردة الموصل ومعظم ما كان في حكم ابي تغلب ، وطلب هذا الامان منه بعد ان ضاق عليه الامر من شدة المطاردة من مكان الى مكان فأبى عضد الدولة أن يمنحه الامان الا على شرط التخلي عن كل ما كان له والاكتفاء باقطاع يقوم باوده فلم يقبل ، وظل يتنقل في بلاد الشام ومعه جمع من انصاره ، وحاول أن يستولي على دمشق فأخفق فسار الى طبريا ثم الى الرملة وكان يليها دغفل بن مفرج الجراح الطائي تحت سلطان الفاطميين وكان نزاع بين الطائي وبني عقيل فاستنصر العقيليون بابي تغلب فانتصر لهم وحارب معهم فكتب الغلبة لدغفل ووقع ابو تغلب

---

(١) نفس المصدر ص ١٩٦ .

اسيرا في يده فقتله . وكان ذلك سنة ٣٦٩ هـ [١] .

- ٧ -

ولقد فقد بنو حمدان حكمهم على الموصل والجزيرة نحو عشر سنين بعد قتل ابي تغلب ثم عادوا اليه ثانية لمدة قصيرة . ولقد جرى صيال على حكمها خلال هذه الفترة بين الديالمة والاكراد . فقد ظل حكمها للديالمة بعد فتح عضد الدولة لها واحتشدوا فيها حتى صار عددهم الوفا مؤلفة . وفي هذه الاثناء برز من الاكراد زعيم اسمه باز من الاكراد الحميدية وكان يغزو ثغور ديار بكر واستفحل أمره وملك ميافارقين وكثيرا من أعمال ديار بكر بعد وفاة عضد الدولة سنة ٣٧٢ ووصل بعض اصحابه الى نصيبين واستولوا عليها . وسير الملك البويهي صمصام الدولة الذي صار له السلطان بعد عضد الدولة حملة هزمها باذ وقتل واسر عددا كبيرا منها . وسار على أثر ذلك الى الموصل سنة ٣٧٣ فملكها وقويت شوكته حتى حدثته نفسه بالتغلب على بغداد وازاحة الديلم عنها . وجد صمصام الدولة وجرد حملة قوية عليه فتمكنت من هزيمته واجلائه عن الموصل سنة ٣٧٤ ثم استقر الامر بينه وبين صمصام على ان يكون له ديار بكر وعاد حكم الموصل الى الديالمة [٢] .

وفي سنة ٣٧٩ عاد حكمها الى الحمدانيين . فقد كان ولدان لناصر الدولة وهما ابو طاهر ابراهيم وابو عبد الله الحسين في هذه الاثناء في بغداد في خدمة شرف الدولة البويهي الذي ملك بعد صمصام

---

(١) ابن الاثير ج ٨ ص ٢٢٩ - ٢٣٣ .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ١٢ .

الدولة . فلما توفي شرف الدولة في السنة المذكورة استأذنا بهاء الدولة الذي صار له الملك بعده بالصعود الى الموصل فاذن لهما . ثم نـدم فأمرهما بالعودة فأبيا . ولما وصلا قرب الموصل ثار أهلها بالديلم والترك ونهبوهم وخرجوا الى ابني ناصر الدولة واشتبك العرب والديلم فـي حرب انتصر فيها العرب وملك الاميران الحمدانيان الموصل نتيجة لذلك[1] .

وعاود باذ الكردي طمعه في ملك الموصل وكاتب أهلها واستمـال بعضهم ثم سار اليها سنة ٣٨٠ . وارسل الاميران الحمدانيان الى ابي الزواد محمد بن المسيب امير بني عقيل يستنصرانه فطلب منهمـا جزيرة ابن عمر ونصيبين وبعض بلاد أخرى مقابل ذلك فأجاباه الى ما طلب وحينئذ تم التحالف بينهما وبينه وسار اليه ابو عبدالله على خطة أن يأتيا باذا من ورائه وأقام ابو طاهر في الموصل لصده . ولما اجتمـع ابو عبدالله وابو الزواد عبرا دجلة وصارا مع باذ على ارض واحـدة وهو لا يعلم فأتاه الخبر بعبورهما وقد قارباه فاراد الانتقـال الى جبل لئلا يكون من خلفه ابو عبد الله وابو الزواد ومن امـامه ابو طاهر فاختلط أصحابه وأدركهم الحمدانيون وجماعتهم فناوشوهم وأراد باذ ان يتحول من فرس لآخر فسقط واندقت ترقوته ووقع بين القتلى فحز رأسه بعض العرب وحمله الى بني حمدان .

على ان حكم الاميرين الحمدانيين لم يطل بعد هذا . فـانهمـا طمعا في ملك حصن كيفا على الدجلة وكان من أمنع الحصون وكان لابي علي بن مروان ابن اخت باذ فسارا بحشودهما اليه فتصدى لهمـا ابن مروان وهزمهما ووقع ابو عبدالله في الاسر فاطلقه وسيَّره الـى أخيه . واشار هذا على أخيه بمصالحة ابن مروان فابى وزحفـا عليه ثانية فهزمهما وأسر أبا عبدالله للمرة الثانية وانسحب ابو طاهر الـى

---

(١) ج ٩ ص ٢٣ .

نصيبين التي صارت لابي الزواد فخرج اليه وقاتله وقتله ثم سار الى الموصل سنة (٣٨١) فملكها فكان ذلك نهاية دولة بني حمدان فيها [١] •

على ان حفيدا لناصر الدولة اسمه ناصر الدولة ابو محمد الحسن ابن حمدان بن ناصر الدولة لحق بمصر وتقدم في البلاط الفاطمي ولعب فيه دورا مهما • وقد عينه الفاطميون واليا على دمشق ردحا من الزمن ، وسيروه مرتين على رأس حملتين الى حلب في سنتي ٤٣٧ و ٤٥٢ لاستردادها من بني مرداس الذين ملكوها بعد انهيار حكم خلفاء سيف الدولة عنها فاخفق وعاد الى مصر • ونشب بينه وبين ابي محمد اليازوري وزير المستنصر الفاطمي تنافس وتناظر واندمج في الفتنة التي قامت بين العبيد استولى الفاطميون على بلاد الشام في أخريات حكمه ، ومع ان النحلة أمر ناصر الدولة نتيجة لذلك وقويت شوكته فلم يعد يبال بالاتراك فانفسد ما بينه وبينهم وطلبوا من الخليفة اخراجه ونهبوا داره وتطور الامر الى مناوشات دموية بينه وبينهم ثم ظفروا به وقتلوه سنة ٤٦٥ [٢] •

— ٨ —

ونأتي الآن الى سيرة سيف الدولة على بن عبدالله بن حمدان الذي ذكرنا خبر استيلائه على حلب وحمص وغدوه صاحب مملكة خاصة منذ سنة ٣٣٣ فنقول [٣] ان سيف الدولة مع انه كان احيانا يؤدي بعض

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٤ — ٢٦ •

(٢) ابن الاثير ج ١٠ ص ٢٨ — ٣٠ •

(٣) سيرة سيف الدولة مقتبسة من الجزء الاول من زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم المولود سنة ٥٨٨ والمتوفي سنة ٦٦٠ ص ١٠٩ — ١٥١ ومن الجزء الاول من اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الطباخ الحلبي من رجال القرن الحاضر ص ٢٣٣ — ٢٩٤ ومن الجزء الثاني من تاريخ ابي الفداء ص ٩٣ — ١٠٥ ومن الجزء الثامن لابن الاثير ص ١٤٠ وما بعدها • واكثر التعويل على المصدرين الاولين لان اخبار سيف الدولة فيهما ملمومة متسلسلة •

المال لخزينة بغداد ويأمر بذكر اسم الخليفة العباسي مع اسم المتغلب على بغداد في الخطبة بالاضافة الى اسمه ، ومع انه كان يؤدي أحيانا بعض المال لخزينة القاهرة ويأمر بذكر اسم الخليفة الفاطمي مع اسمه حينما استولى الفاطميون على بلاد الشام في أخريات حلمه ، ومع ان النحلة الشيعية الفاطمية أخذت تنتشر في مملكته اسوة ببلاد الشام الاخرى حتى قبل الاستيلاء الفاطمي وكان هو نفسه يعتنقها شيئا ما [1] ، فانه

---

(1) هذا استطراد وجيز وجامع للحركة الشيعية الى القرن الرابع الهجري . لان الكلام سيتكرر عنها وعن متبعيها في فصول عديدة من الكتاب :

لقد اعتقد الهاشميون — العباسيون والامويون — انهم اصحاب الحق الشرعي في رئاسة الدولة الاسلامية التي كان يرأسها النبي عليه السلام لقرابتهم منه بقطع النظر عن صحة المبررات الدينية التي يوردونها والاحاديث التي يروونها والتفسيرات التي يفسرون بها بعض آيات القرآن والتي لم يوافقهم عليها جمهور المسلمين (انظر تاريخ العلويين لامين غالب الطويل ص ٥٩ — ٨٦ و ١٧١ — ١٧٦ و ١٨٦ — ١٩٠) ولم يعترفوا بتنازل الحسن لمعاوية وصاروا يعتبرون ملك الخلفاء الامويين مغتصبا وغير شرعي . ومن ثم اخذوا منذ زمن الدولة الاموية يسعون الى هذه الرئاسة . وكانت أولى حركاتهم في هذا السبيل وآلمها واعمقها أثرا في تاريخ العرب والاسلام حركة الحسين بن علي سنة ٦٣ هـ بسبب ما أحيطت به مع الزمن من دعاية عجيبة أخرجتها عن طبيعتها .. ولقد تعددت هذه الحركات بعد هذه الحركة في عهد الدولة الاموية . غير ان الدعوة لم تكن صادرة عن تنظيم أو مركزة في شخص . وكان الحافز الشخصي هو المحرك لها . فقد دعي بعد الحسين الى اخيه محمد بن الحنيفة الذي سمي بذلك نسبة الى امه من بني حنيفة خلافا لاخويه الحسن والحسين ابني فاطمة بنت النبي (ص) . ثم كانت حركة زيد بن علي بن الحسين التي كانت في ظروفها ومصيرها مشابهة لحركة جده مشابهة عجيبة) انظر الطبري مطبعة الاستقامة ج ٤ ص ٢٥٧ — ٣٠١ و ج ٥ ص ٤٨١ — ٥٠٦) ثم حركة يحيى بن زيد ، في خراسان سنة ١٢٥ في ثم حركة عبد الله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب في الكوفة سنة ١٢٧ هـ (انظر الطبري ج ٥ ص ٥٣٦ — ٥٢٧ و ٥٩٩ — ٦٠٤) ، وبينما هذه الحركات تقوم وتخفق عمد العباسيون الى تنظيم دعوة سرية في بلاد الفرس الذين كان أهلها حاقدين على العرب والدولة الاموية . وقد بدات في أوائل القرن الهجري الثاني وجعل الدعاة دعوتهم الى الرضا من آل محمد (ص) حتى

كان يتصرف في عمله وحروبه وخصوصياتــه كملك مستقل • وقــد اصطنع جميع مراسم الملك والقابه • وكان له وزراء ذكر المؤرخون منهم ابا اسحق القراريطي وابا عبدالله بن سليمان بن فهد وابا الحسين المغربي• وكان كريما بل مفرطا بالكرم كما كان اديبا وشاعرا فغدت حلب التــي اتخذها عاصمة له وجمّلها بالقصور والمعاهد كعبة القصاد من الشعراء والادباء والعلماء • وكان المتنبي ابو الطيب شاعر العرب الاكبر في القرن الرابع شاعره الخاص خلال مــدة طويلة من حكمه فاختصه بقصائــد بلغت الذروة في البلاغة والقوة مما أضفى على دولته ما صار لها من دوي وشأن في كتب التاريخ والادب •

يرضى العلويون وشيعتهم عنها ويندمجوا فيها ايضا (انظر الطبري ج ٥ ص ٣٩٤ ومابعدها و ص ٤٣٩ وما بعدها و ص ٤٦٧ و ٥١٢ه وما بعدها و ج ٦ ص ٤ وما بعدها وابا الفداء ج ٢ ص ٢٠٨) وكتب لهذه الحركة النجاح في بلاد الفرس أولا ثم امتدت الى العراق فالشام ونجحت في تقويض أعظم وأقوى وأوسع دولة عربية . ولكن العلويين والعباسيين ما لبثوا أن تنازعوا لان العباسيين هم الذين استولوا على الحكم لانهم أصحاب الدعوة والتنظيم واعتبر العلويون ذلك غصبا لحقهم الشرعي الذي يرجح على حق العباسيين لانهم أبناء بنت النبي . ومن ثم أخذوا يبثون الدعاية ضد العباسيين ويدعون الى أنفسهم وكانوا يحرصون في دعوتهم على التأثير على عاطفة المدعووين لكسب ولائهم عقيدة ودينا حتى يظلوا يبذلون جهودهم في تحقيق الامل مهما أصابهم وحتى يظلوا موالين لهم في اي حال وقد نجحوا في ذلك نجاحا كبيرا . ولقد كانت أولى حركاتهم في الدولة العباسية حركة محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين الذي يعرف بالنفس الزكية في المدينة سنة ١٤٥ هـ (الطبري ج ٧ ص ١٨٣ – ٢٢٠) وتسمى بالمهدي لان من مرويات العلويين وشيعتهم عن النبي (ص) ان الله سيبعث مهديا من أبناء النبي اسمه كاسمه واسم ابيه كاسم ابيه يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا . واستطاع ان يحصل لنفسه على البيعة في بلاد الحجاز وأرسل أخاه ابراهيم الى العراق وأزعج ابا جعفر المنصور بل كاد يقوض دولته . والطبري يروي نصوص مراسلات جرت بين ابي جعفر ومحمد فيها العجيب الغريب من التهاتر والدلالة على الحافز الشخصي حتى لقد وصل الامر الى ان عيّر الاول الثاني بجده ابي طالب وعيّر الثاني الاول بجده العباس (الصحف المذكورة آنفا) ، وكانت

ولقد كان كرم سيف الدولة وخاصة مغازيه مع الروم مما ألهم الشاعر العبقري قصائده الخالدة . فان الروم حينما أخذت حالة الخلافة العباسية ترتبك نتيجة لتغلب القواد على الخلفاء وتنازعهم وتنافسهم على السلطان اغتنموا الفرصة فاخذوا يغيرون على البلاد الاسلامية ويحاولون الانتقاص من اطرافها بدأب وجرأة . فتصدى لهم سيف الدولة وأخذ يتصاول معهم . وكان اول اشتباك له معهم في السنة التالية لملكه حلب أي سنة ٣٣٤ حيث ساروا حتى قاربوا حلب فخرج اليهم وظفر بهم وهزمهم ثم أخذت الوقائع تتكرر بينه وبينهم طيلة مدة ملكه حتى

حركتهم الثانية حركة الحسين بن علي بن الحسن في المدينة سنة ١٦٩ (الطبري ج ٧ ص ٤١٠ وما بعدها وحركتهم الثالثة حركة يحيى بن عبدالله بن حسن بن الحسن سنة ١٧٦ ه في الديلم واصابت بعض النجاح بمساعدة الفرس والديلم (الطبري ج ٧ ص ٤٤٩ وما بعدها) وكانت حركتهم الرابعة حركة ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن ايضا سنة ١٧٢ ه في المغرب الاقصى وأصابت نجاحا بمساعدة البربر لها (انظر كتاب الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى) وكانت حركتهم الخامسة في اليمن وهي التي قام بها يحيى بن الحسين من أحفاد زيد بن علي سنة ٢٨٨ ه وكان قيامها توطيدا للامامة الزيدية التي تقلبت على اطوار وما زالت مستمرة الى الآن (انظر تاريخ اليمن لعماره) وكانت حركتهم السادسة حركة جعفر بن الحسين من احفاد الحسن أيضا سنة ٢٥٨ ه في الحجاز وقد خلفتها سنة ٤٥٧ ه دولة علوية أخرى تنتسب الى الحسين وعرفت بدولة الهواشم وظلت كسابقتها منحصرة في الحجاز ومستمرة الى سنة ١٩٢٥ م بعد تقلبها في اطوار عديدة وهي الاسرة التي ينتسب اليها الشريف حسين ملك الحجاز وصاحب الثورة العربيةوذريته (انظر كتاب امراءالبيتالكرام لابن دحلان) هذا الى حركات علوية متفرقة هنا وهناك في القرنين الثاني والثالث أضيق من هذه الحركات نطاقا واضعف منها قوة كان يقوم بها بعض أحفاد الحسين تارة واحفاد الحسن تارة اخرى . ولقد جنح العلويون في القرن الثاني بعد ان رأوا حركاتهم لا تنجح الى بث الدعوة سرا وتنظيمها فنشأ عن ذلك النحلة الشيعية بعد ان كانت غير رسمية ان صح التعبير . وقد عرفت هذه الحركة بالامامية لان اتباعها صاروا يعتقدون بقوة الدعاية بوجوب قيام امام من أبناء علي يعتبر امام الزمان سواء أكان صاحب سلطان أم لم يكن يؤدون اليه زكاتهم ويخصونه بالولاء ويعتقدون فيه العصمة وتلقي الالهام من الله ويتلقون عنه الفقه والحديث وتفسير القرآن . ويعتقدون أي صاحب

بلغ عددها الاربعين بين شديدة أو ملحمة كبرى وبين غـارة خاطفة ازعاجية حتى قال المتنبي في ذلك فيما قاله في احدى قصائده :

انت طول الحياة للروم غاز　　فمتى الوعد ان يكون القفول

وكان الروم احيانا هم الذين يغيرون وكان سيف الدولة احيـانا هو الذي يغير وكان النصر يتساجل بينه وبينهم . وكانت المرات التـي يكون سيف الدولة هو المغير فيها والمنتصر الظافر اكثر بحيث يصح أن يقال ان وقفته لهم هي التي وقت البلاد العربية من سقوطها مرة اخرى في أيدي الروم في تلك الحقبة لانه لم يكن فيها من يقف في وجههم موقفا جديا ناجعا .

سلطان غيره غير شرعي . ويتفق هؤلاء على أئمة ستة هم علي والحسن والحسين وزين العابدين علي بن الحسين ومحمد الباقر بن علي وجعفر الصادق بن محمد ثم ينقسمون . ففرقة منهم تعتبر الامام السابع موسى الكاظم بن جعفر ثم ابنه علي الرضا ثامنا ثم ابن هـذا محمد التقي تاسعا ثم ابن هذا علي الهادي عاشرا ثم ابن هذا الحسن العسكري حـادي عشر ثم ابن هذا محمد المهدي ثاني عشر وتقف عنده لانها اعتقدت انه دخل سردابا وانـه حي يرزق وسوف يظهر ويحكم وهو عندها المهدي المنتظر صاحب الزمان وخاتم الائمـة والاوصياء ، ولذلك سميت بالامامية الاثنا عشرية . وفرقة أخرى تعتبر الامـام السابع اسماعيل بن جعفر . وقد كان اكبر من موسى ولكنه مات في حيـاة ابيه فصار موسى الامام عند الفرقة الاولى وبقي اسماعيل هو الامام المعتبر عند الثانية . ولذلك سميت بالاسماعيلية . وقد اختلف الاسماعيليون بدورهم . فقد كان لاسماعيل ولدان محمـد واحمـد فاعتقد فريق منهم بامامة محمد وبانه دخل سردابا وهو فيه حي يرزق وسوف يظهر ويحكم وسموه المكتوم ووقفوا عنده . واعتقد فريق آخر بامامة احمد ثم أبنـائه من بعده عموديا بدون توقف وقد ظهر من هذا الفريق نشاط عظيم في الدعوة وتنظيمهـا وتحقيق أهدافها . وجعل للدعوة مراتب ودرجات محكمة عجيبة . وكان من اثر ذلـك اندساس كثير من الشعوبيين والملاحدة والناقمين والدجالين فيها وانبثاث كثير من الافكار والتأويلات بين افرادها جعلت النحلة الشيعية تخرج عن نطاق الاسلام الصحيح بعكس معظم الفرق الامامية التي ظلت في الاصول بل وكثير من الفروع في نطاق الاسلام وقد انبثق عن ذلك كثير من الفرق المنحرفة في عقائدها وافكارها منها اندثر ذكره البغدادي فـي

وقد تمكن سيف الدولة نتيجة لذلك من الاستيلاء على حصون ومدن عديدة منهم واسترداد حصون ومدن عديدة كانت وقعت ثانية في ايديهم من البلاد الاسلامية حتى شمل سلطانه في حين ما جميع مقاطعة كليكيا بما فيها من مدن هامة مثل اذنه وطرسوس والمصيصة وغيرها فضلا عن انطاكية والاسكندرونة بالاضافة الى مملكته الاصلية وهي سورية الشمالية والوسطى الى حمص واحيانا الى دمشق .

كتابه الفرق بين الفرق والشهرستاني في كتابه الملل والنحل وفيه العجيب والغريب ومنها ما يزال موجودا مما سوف نذكره في مناسبات آتية ان شا الله . والحركة القرمطية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وتطورت حتى صارت قوة عسكرية رهيبة خوارجية (نسبة الى الخوارج) هي مظهر من مظاهر هذه الفرقة لانه كان وراءها علويان عرف أحدهما بلقب الشيخ وثانيهما بلقب صاحب الشامة وينتسبان الى اسماعيل ابن جعفر (انظر الطبري ج ٨ ص ٢١٤ - ٢٢٥) . والدولة الفاطمية هي الاخرى مظهر من مظاهرها لان عبدالله المهدي أول خلفائها كان ينتسب كذلك الى اسماعيل بن جعفر (انظر ابا الفداء ج ٢ ص ٦٣) وقد انزوى في اواخر القرن الثالث في بلدة السليمية من أعمال حماه نتيجة لضربة شديدة أنزلتها القوات العباسية في حركة القرامطة قتل فيها الشيخ ثم صاحب الشامة ، وكان هو الامام القائم في نظر شيعته بعد ابيه وجده . ومن السليمية أخذ يبث دعوته ودعايته في بلاد الشام ويرسل دعاته الى خارجها . وقد وجد داعيته الاكبر ابو عبد الله الشيعي انصارا أقوياء من البربر في منطقة تونس فالتحق به ونادى بدولته في آخر القرن الثالث (انظر ابا الفداء ج ٢ ص ٦٣ وما بعدها) ومن ثم اخذ هو وخلفاؤه من بعده يطمحون الى الاستيلاء على بلاد العباسيين استمرارا للتنافس الذي بدأ عقب قيام الخلافة العباسية ونشطوا بسبيل ذلك نشاطا كبيرا . وصاروا يرسلون دعاتهم الى بلاد الشام وغيرها حتى قبل ان يستولوا على مصر وبلاد الشام . ولقد كانت جزيرة الفرات وبلاد الشام تربة خصبة للدعوة العلوية قبل قيام الدولة الفاطمية نتيجة لنشاط الدعاية العلوية فيها لان بلاد الشام كانت غير مندمجة قلبا وقالبا في الدولة العباسية منذ الاصل وظلت تتمرد ضدها ، فكان هذا وذاك من أسباب ما لقيته الدعوة الفاطمية من صدى وتقبل تمثل في تشيع بني حمدان وسيف الدولة وكثير من امراء العرب واهل بلاد الشام والجزيرة . ولقد كان للدعوة الشيعية والاسماعيلية آثار أخرى في أهل بلاد الشام سنرجيء الكلام عنها الى مناسباتها .

وقصائد المتنبي في مغازي سيف الدولة سجل رائع لما وقع بينه وبين الروم من وقائع وما كان يتحلى به من شجاعة واريحية • وتبرز فيها هذه الوقائع والشجاعة والاريحية باقوى ما تبرز في سياق تاريخ المؤرخين مما يجعلنا نرى من المناسب والواجب التنويه بها في صدد التنويه بتلك المغازي •

ففي سنة ٣٣٧ غزا حصني برزونه وفنيحة غزوة موفقة ثم نزل الى انطاكية فوصف المتنبي ذلك في قصيدته مطلعها :

وفاء وكما كالربع اشجاه طاسمه	بان تسعدا والدمع اشفاه ساجمه

جاء فيها :

تحول رماح الخط دون سبائه	وتسبي له من كل حي كرائمه
ويضحي غبار الخيل ادنى ستوره	وآخرها نشر الكباء الملازمه
وفي صورة الرومي ذي التاج ذلة	لا بلج لا تيجان الا عمائمه
تقبل أفواه الملوك بساطه	ويكبر عنها كمه وبراجمه
له عسكرا خيل وطير اذا رمى	بها عسكرا لم تبق الا جماجمه
أحلتها من كل طاغ ثيابه	وموطنها من كل باغ سلاغمه
فقد مل ضوء الصبح مما تغيره	ومل سواد الليل مما تزاحمه
سحاب من العقبان يزحف تحتها	سحاب اذا استشفت شفتها صوارمه
لقد سل سيف الدولة المجد معلما	فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه
على عاتق الملك الاغر نجاده	وفي يد جبار السماوات قائمه
تحاربه الاعداء وهي عباده	وتدخر الاموال وهي غنائمه
ويستكبرون الدهر والدهر دونه	ويستعظمون الموت والموت خادمه[1]

---

(١) تجاوزنا عن ابيات عديدة فهي طويلة .

وفي سنة ٣٣٩ غزا سيف الدولة بلاد الروم ونزل في منزل اسمه النبسوس واصبح فصف الجيش يريد سمندوبه فانشد المتنبي في وصف ذلك قصيدة مطلعها :

لهذا اليوم بعد غد اريج ونار في العدو لها أجيج

جاء فيها :

عرفتك والصفوف معبّآت وانت بغير سيفك لا تعيج
ووجه البحر يعرف من بعيد اذا يسجو فكيف اذا يموج
بارض تهلك الاشواط فيها اذا ملئت من الركض الفروج
تحاول نفس ملك الروم فيها فتفديه رعيته العلوج
ابا الغمران توعدنا النصارى ونحن نجومها وهي البروج
وفينا السيف حملته صدوق اذا لاقى وغارته لجوج [٢]

ولما عاد سيف الدولة من هذه الغزوة وقد احرق ربض صارخه وخرشه واكثر القتل في الروم لقي الدمستق ـ وهذا لقب قائد الروم ـ في الوف من الخيل ، فجفلت منه مقدمة المسلمين غير انه لم يلبث ان انهزم حينما اشرف سيف الدولة وقد تمكن من قتل جمع من فرسانه واسر ثمانين من بطارقته ووجوه رجاله وافلت الدمستق وقفل سيف الدولة غانما . وفي طريقه صافّه العدو على رأس عقبة اسمها مقطعة الاثغار واخذ ساقة الناس وضبط العقبة وتخاذل المسلمون . وامر سيف الدولة بقتل البطارقة والوجوه وكل من كان في السلاسل فأنشد المتنبي قصيدة يصف فيها وقائع الرحلة مطلعها :

غيري باكثر هذا الناس ينخدع ان قاتلوا جبنوا او حدثوا شجعوا

(٢) تجاوزنا عن كذلك عن ابيات عديدة منها .

جاء فيها :

بـالجيش يمتنـع السادات كلهم والجيش بابن ابي الهيجاء يمتنـع
قـاد المقـانب اقصى شربها نهل على الشكيم وادنى سيرها سـرع
لا يعتقي بلـد مسراه عن بلـد كالموت ليس لـه ري ولا شبـع
حتى اقـام على اربـاض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبيـع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
يطمـع الطـير فيهم طـول أكلهم حتى تكـاد على احيـائهم تقـع
ولـو رآه حـواريوهم لبنـوا على محبته الشرع الـذي شرعوا
ذم الـدمستق عينيـه وقد طلعت سـود الغمـام فظنوا انهـا فزع
فيها الكمـاة التي مفطومها رجـل على الجياد التي حوليُّهـا جـذع
تـذري اللقان غبارا في منـاخرها وفي حناجرها من آلس جرع [1]
كـأنهـا تتلقـاهم لتسـلكهم فالطعن يفتح في الاجواف ما اتسع
ومـا نجا من شفار البيض منفلت نجـا ومنهن في احشائـه فـزع
كم مـن حشاشة بطريق تضمنهـا للبـاترات امـين مـا له ورع
قـل للـدمستق ان المسلمين لكم خانوا الامير فجازاهم بما صنعوا
وجـدتموهم نيـاما في دمـائكم كـأن قتـلاكم ايـاهم فجعـوا
لا تحسبو من أسرتم كان ذا رمق فليس يـأكل الا الميت الضبـع

ثم خلص الى مدح شجاعة سيف الدولة هذا المدح العظيم :

ومـا حمدتك في هول ثبت لـه حتى بلوتك والابطـال تمتصـع
فقد يظن شجـاعـا من بـه خرق وقـد يظن جبانـا من به زمـع
ان السـلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات المخلب السبع [1]

---

(١) اللقان موضع ببلاد الروم وآلس نهر .

(١) تجاوزنا عن ابيات كثيرة فالقصيدة طويلة تقرب من خمسين بيتا .

واتصل بسيف الدولة سنة ٣٤٠ وهو في بقعة عربسوس ان العدو جامع له معد في اربعين الفا فتهيب جيشه الاقدام واحب المسير فاعترضه ابو الطيب وانشده قصيدة مطلعها :

نزور ديارا مـا نحب لهـا مغنى ونسأل فيها غير سكانها الاذنـا

جاء فيها :

وقـد علم الروم الشقيون انـا اذا مـا تركنا ارضهم خلفنـا عدنا
وانا اذا مـا الموت صرح في الوغى لبسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنا
تعد القرى والمس بنا الجيش لمسة نبار الـى ما تشتهي يدك اليمنى
فقد بردت فوق اللقـاء دمـاؤهم ونحن اناس نتبع البـارد السخنـا
وان كنت سيف الدولة العضب فيهم فدعنا نكن قبل الضراب القنا اللدنا
فنحـن الالى لا نأتلي لـك نصرة وانت الذي لو أنـه وحده اغنـى
يقيك الردى من يبتغي عندك العلا ومن قال لا ارضى من العيش بالادنى
ومـا الخوف الا ما تخوفه الفتى وما الامن الا ما رآه الفتى أمنـاً

وله في هذه الغزوة التي منع الثلج اتمامها قصيدة اخرى مطلعها :

عواذل ذات الخـال فيَّ حواسد وان ضجيـج الخود مني لمـاجد

جاء فيها :

فـلا تعجبـا ان السيوف كثـيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحـد
له من كريم الطبع في الحرب منتض ومن عادة الاحسان والصفح غامد
احقهم بالسيف مـن ضرب الطلى وبالامن من هانت عليـه الشدائد
واشقى بلاد الروم ما الروم اهلهـا بهـذا ومـا فيهـا لمجدك جاحد
شننت بهـا الغارات حتى تركتهـا وجفن الذي خلف الفرنجة ساهد
مخضبة والقوم صـرعى كـأنهـا وان لم يكونوا ساجـدين مساجد
تنكسهم والسـابقـات جبـالهم وتطعن فيهم والرمـاح المكايـد

وتضربهم هبرا وقد سكنوا الكدى كما سكنت بطن التراب الاساود
وتضحي الحصون المشمخرات في الذرى وخيلك في اعناقهن قلائد
عصفن بهم يوم اللقان [1] وسقنهم بهنريط [2] حتى ابيض بالسبي آمد [3]
والحقن بالصفصاف [4] سابور [5] فانهوى وذاق الردى اهلاهما والجلامد
فتى يشتهي طول البلاد ووقته تضيق به أوقاته والمقاصد
اخو غزوات ما تغب سيوفه رقابهم الا وسيحان جامد
فلم يبق الا من حماها من الظبى لمي شفتيها والثدي النواهد [6]
تبكي عليهن البطاريق في الدجى وهن لدينا ملقيات كواسد
نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بانك خالد
فانت حسام الملك والله ضارب وانت لواء الدين والله عاقد
وانت ابو الهيجا ابن حمدان يا ابنه تشابه مولود كريم ووالد
وحمدان حمدون وحمدون حارث وحارث لقمان ولقمان راشد [7]
أولئك انياب الخلافة كلها وسائر املاك البلاد الزوائد [8]

وفي سنة ٣٤١ جدد بناء مرعش فأنشد في المناسبة قصيدة ذكر فيها ذلك وذكر ما كان من حروب سيف الدولة وارهابه الدمستق مطلعها :

فديناك من ربع وان زدتنا كربا فانك كنت الشرق للشمس والغربا

جاء فيها :

---

(١) و (٢) من بلاد الروم .

(٣) ثغر مما يلي الروم في منطقة ديار بكر .

(٤) و (٥) حصنان منيعان للروم .

(٦) يعني انه لم يبق فيها الا النساء اللاتي حماهن انوثتهن .

(٧) هذه سلسلة آباء سيف الدولة فهي بن ابي الهيجاء بن حمدان بن حمدون بن حارث بن لقمان بن راشد ...

(٨) القصيدة تزيد عن اربعين بيتا وقد تجاوزنا أبياتا كثيرة .

هنيئــا لاهــل الثغر رأيــك فيهم وانك حزب الله صرت لهم حزبــا
وانك رعت الــدهر فيها وريبــه فــان شك فليحدث بساحتها خطبا
فيومــا بخيــل تطرد الروم عنهم ويوما بجود يطرد الفقر والجدبــا
سر اياك تترى والدمستق هــارب واصحابه قتلــى واموالــه نهبــى
اتى مرعشا يستقرب البعــد مقبلا وادبر اذ أقبلت يستبعــد القربــا
كذا يترك الاعــداء من يكره القنا ويقفل من كانت غنيمته رعبــا [1]

وفي سنة ٣٤١ جاء وفــد الروم يلتمس الفــداء وركب الغلمان بالتجانيف واحضروا لبؤة مقتولة ومعها ثلاثة اشبال أحياء والقوها بين يديه فقال :

لقيت العفــــاة بــآمــالهــا وزرت العـــداة بــآجــالهـــا
واقبلت الـــروم تمشـــي اليـــك بـــين الليــوث واشبــالهـــا
اذا رأت الاســـد مسبيـــة فـــاين تفـــر بـــاطفــالهـــا

ثم أنشد يذكر فيها الفداء الذي التمسه الروم مطلعها

لعينيك ما يلقي الفؤاد ومــا لقي وللحب مــا لم يبق مني ومــا بقي

جاء فيها :

لقــد جدت حتى جدت في كل ملة وحتى اتــاك الحمد من كل منطق
رأى ملك الروم ارتياحك للفدى فقــام مقــام المجتــدي المتملــق
وخلى الرمــاح السمهريــة صاغرا لا درب منــه بالطعــان واحذق
وكاتب من ارض بعيــد مرامهــا قريب على خيــل حواليك سبّق
وقد سار في مسراك منها رسولــه فمــا سار الا فوق هــام معلــق
فلمــا دنــا اخفى عليــه مكانــه شعــاع الحديــد البــارق المتألق

---

(١) القصيدة اكثر من اربعين بيتا وقد تجاوزنا أكثرها .

واقبل يمشي في البساط فما دري | الى البحر يمشي أم الى البدر يرتقي
ولم يثنك الاعداء عن مهجاتهم | بمثل خضوع في كلام منمق
وكنت اذا كاتبته قبل هذه | كتبت اليه في قذال الدمستق
فان تعطه منك الامان فسائل | وان تعطه حد الحسام فاخلق
وهل ترك البيض الصوارم منهم | اسيراً لفاد او رقيقا لمعتق [1]

ورحل سيف الدولة سنة ٣٤٢ من حلب الى ديار مضر لاضطراب فيها فنزل حران واخذ رهائن من بني عقيل وقشير والعجلان ثم خطر له أن يغزو الروم فعبر الفرات الى دلوك ثم الى قنطرة صنجة ثم الى درب القلة فشن الغارة على ارض عرقه وملطية وعاد فوجد العدو قد ضبط

عليه الطريق فتبعه فعطف عليه وقتل كثيرا من الارمن ورجع الى ملطيه وعبر هنريط وسمين ونزل بحصن الران ثم رحل الى سميساط فورد عليه فيها من أخبره ان العدو أغار على بلاد المسلمين فاسرع الى دلوك وعبرها فادركه راجعا على جيحان فهزمه واسر قسطنطين بن الدمستق وجرح الدمستق في وجهه فانشد المتنبي يصف ذلك قصيدة لامية جاء فيها:

ليالي بعد الظاعنين شكول | طوال وليل العاشقين طويل
رمى الدرب بالجرد الجياد الى العدى | وما علموا ان السهام خيول
شوائل تشوال العقارب بالقنا | لها مرح من تحته وصهيل
وما هي الا خطرة عرضت له | بحران لبتها قنا وفصول
همام اذا ما هم امضى همومه | بارعن وطء الموت فيه ثقيل
وخيل براها الركض في كل بلدة | اذا غرست فيها فليس تقيل
فلما تجلى من دلوك وصنجة | علت كل طود راية ورعيل
فما شعروا حتى رأوها مغيرة | قباحا واما خلقها فجميل

---

(١) القصيدة في اكثر من اربعين بيتا وقد تجاوزنا اكثرها .

سحائب يمطرن الحديد عليهم فكل مكان بالسيوف غسيل
وامسى السبايا ينتحبن بعرقة كأن جيوب الثاكلات ذيول
وعادت فظنوها بموزار قفّلا فليس لها الا الدخول قفول
فخاضت نجيع الجمع خوضا كأنه بكل نجيع لم تخضه كفيل
تسايرها النيران في كل مسلك به القومي صرعى والديار طلول
وكرت فمرت في دماء ملطية ملطية أم للبنين ثكول
تمل الحصون الشم طول نزالنا فتلقى الينا اهلها وتزول
وبتن بحصن الران رزحى من الوجي وكل عزيز للامير ذليل
وفي كل نفس ما خلاه ملالة وفي كل سيف ما خلاه فلول
ودون سميساط المعامير والملا وأودية مجهولة وهجول
لبسن الدجى فيها الى ارض مرعش وللروم خطب في البلاد جليل
فلما رأواه وجده قبل جيشه دروا ان كل العالمين فضول
وان رماح الخط عنه قصيرة وان حديد الهند عنه كليل
فاوردهم صدر الحصان وسيفه فتى بأسه مثل العطاء جزيل
جواد على العلات بالمال كله ولكنه بالدارعين بخيل
فودع قتلاهم وشيع فلّهم بضرب حزون البيض فيه سهول
على قلب قسطنطين منه تعجب وان كان في ساقيه منه كبول
لعلك يوما يا دمستق عائد فكم هارب مما اليه يؤول
نجوت باحدى مهجتيك جريحة وخلّفت احدى مهجتيك تسيل
أتسلم للخطية ابنك هاربا ويسكن في الدنيا اليك خليل
بوجهك ما أنساكه من مرشة نصيرك منها رنة وعويل
أغر كم طول الجيوش وعرضها علي شروب للجيوش آكول
اذا لم تكن لليث إلا فريسة غذاه ولم ينفعك أنك فيل
فان تكن الايام ابصرن حوله فقد علم الايام كيف تصول
فدتك ملوك لم تسم مواضيا فانك ماضي الشفرتين صقيل

اذا كان بعض النـاس سيفا لدولة فني النـاس بوقـات لـه وطبول
فتيهـا وفخرا تغلب ابنـة وائـل فـانت لخـير الفـاخرين قبيـل
شريـك المنـايا والنفوس غنيمـة فكل ممات لم يمتـه غلـول [1]

وسار سيف الدولة سنة ٣٤٣ نحو الحدث لبنائها وكـان أهلها قد أسلموها للدمستق سنة ٣٣٧ فاستردها وبدأ بالتخطيط وحفر أول الاسس بيده فما عتم أن جاء الدمستق في خمسين الفا وفيهم الروس والبلغر والارمن والصقلب والخزر مع ملوك لهم ونشبت المعركة فاظفر الله سيف الدولة وقتل كثيرا وأسر كثيرا ثم قتل اكثرهم واستبقى بعضهم وكان في الاسرى بطريق سمندونه ولقندويه وهو صهر الدمستق ، وكان فيهم ابن بنت الدمستق وظل يقيم على الحدث الى ان أتم بناءها ووضع بيده آخر شرافة منها فانشد المتنبي يصف ذلك كله قصيدة قال اولها :

على قدر اهل العزائم تأتي العزائم وتـأتي علـى قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغـارهـا وتصغر في عـين العظيم العظـائم
يكلف سيف الدولـة الناس همه وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
هل الحـدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أي الساقيـين الغمـائـم

وجاء فيها فيما جاء :

سقتهـا الغمام الغر قبل نزولـه فلمـا دنـا منهـا سقتها الجمائم
بناها فاعلي والقنـا يقرع القنـا وموج المنـايا حولهـا متـلاطم
وكان بها مثـل الجنون فاصبحت ومن جثث القتلـى عليهـا تمـائم
وكيف ترجي الروم والروس هدمها وذا الطعن أساس لهـا ودعـائم
اتوك يجرون الحـديـد كـأنهم سروا بجيـاد مـا لهن قـوائـم

---

(١) القصيدة طويلة جدا وهي من غرر قصائده وقد تجاوزنا كثيرا من ابياتها .

اذا ابرقوا لم تعرف البيض منهم ثيـابهم مـن مثلهـا والعمـائم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه وفـي أذن الجوزاء منه زمـازم
تجمـع فيـه كـل لسن وامـة فمـا تفهم الحـداث الا التراجـم
فللـه وقـت ذوب الغش نـاره فلم يبق الا صـارم أو ضبـارم
وقفت ومـا في الموت شك لواقف وفـر من الفرسـان من لا يصارم
نقطع ما لا يقطع البيض والقنـا كـأنك في جفن الردى وهو نـائم
تمر بـك الابطـال كلمى هزيمـة ووجهـك وضـاح وثغـرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعـة والنهى الى قـول قوم انت بالغيب عـالم
ضممت جنـاحيهم على القلب ضمة تموت الخوافي تحتهـا والقوادم
بضرب اتى الهامات والنصر غائب وصـار الى اللبـات والنصر قادم

وقال فيها فيما قال :

أفـي كل يوم ذا الدمستق مقـدم قفـاه على الاقـدام للوجـه لائم
اينكر ريـح الليث حتى يذوقـه وقد عرفت ريـح الليوث البهائم

وورد على سيف الدولة في سنة ٣٤٤ فرسان طرسون والمصيصة
وورد على سيف الدولة في سنة ٣٤٤ فرسان طرسوس والمصيصة قصيدة قال في اولها :

أراع لـذا كـل الانـام همـام وسح لـه رسل الملـوك غمـام
ودانت لـه الدنيا فـاصبح جالسا وايـامهـا في مـا يريـد قيـام
اذا زار سيف الدولة الروم غازيـا كفـاهـا لمـام يوكف ولمـام
فتى تتبع الازمان في الناس خطوه لكل زمـان في يـديـه زمـام

وغزا سيف الدولة في سنة ٣٤٥ بلاد الروم من حلب فـاجتاز حصن الران وهو في يده ثم اجتاز بحيرة سمنين ثم هنريط وعبرت

الروم والارمن القاسي وهو نهر عظيم لا يكاد يعبره أحد سباحة إلا جره وذهب به لشدته وشدة برده فسبَّح الخيل حتى عبرته خلفهم الى تل بطريق وهي مدينة لهم فغرق جماعة واحرق تل بطريق وقتل من وجد بها وأقام أياما على ارسناس وعقد بها سماريات يعبر السبايا بها ثم قفل فاعترضه البطريق في الدرب ونزل المطر ووقع القتال تحته ومع البطريق نحو ثلاثة آلاف قوس فابتلت أوتارها فلم تنفع وانهزم هو وجماعته بعد أن قاتل وأبلى فقال المتنبي في ذلك قصيدة مطلعها :

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو اول وهي المحل الثاني

منها :

قاد الجياد الى الطعان ولم تعد ... الا الى العادات والاوطان
في جحفل ستر العيون غباره ... فكأنما يبصرن بالآذان
يرمي بها البلد البعيد مظفر ... كل البعيد له قريب دان
فكأن أرجلها بتربة منبج ... يطرحن ايديها بحصن الران
حتى عبرن بارسناس سوائما ... ينشرن فيه عمائم الفرسان
يغمضن في مثل المدى من بارد ... يذر الفحول وهن كالخصيان
والماء بين عجاجتين مخلص ... تتفرقان به وتلتقيان
ركض الامير وكاللجين حبابه ... وثني الاعنة وهو كالعقيان
خضعت لمنصلك المناصل عنوة ... وأذل دينك سائر الاديان
وعلى الدروب وفي الرجوع غضاضة ... والسير ممتنع من الامكان
والطرق ضيقة المسالك بالقنا ... والكفر مجتمع على الايمان
نظروا الى زبر الحديد كأنما ... يصعدن بين مناكب العقبان
وفوارس تحيي الحمام نفوسها ... فكأنها ليست من الحيوان
ما زلت تضربهم دراكا في الذرى ... ضربا كأن السيف فيه اثنان

خص الجمـاجم والوجوه كأنمـا   جاءت اليك جسومهم بـأمان [1]

وذكر في حضرة سيف الدولة في سنة ٣٤٥ ان البطريق اقسم لملك الروم على معارضة سيف الدولة في الدرب ولقائه وسأله انجـاده ففعل فخيب الله ظنه واتعس حظه فقال ابو الطيب في ذلك قصيدة جاء فيها :

عقبى اليمين على عقبـى الوغى ندم   مـاذا يزيـدك في اقدامك القسم
وفي اليمين على مـا انت فـاعله   مـا دل انـك في الميعـاد متهم
آلى الفتى ابن شمشيق فـاحنثه   فتى من الضرب ينسى عنده الكلم
وفاعل ما اشتهى يغنيـه عن حلف   على الفعال حضور الفعل والكرم
كل السيوف اذا طال الغراب بهـا   يمسهـا غـير سيف الدولة السأم
لو كلت الخيـل حتى لا تحملـه   تحملتـه الـى اعـدائـه الهمم
اين البطاريق والحلف الذي حلفوا   بمفرق الملـك والزعم الذي زعموا
والى صوارمـه إكـذاب قولهم   فهن ألسنـة افواههـا القمـم
نـواطق مخبـرات في جماجمهم   عنـه بمـا جهلوا منـه وما علموا

ومنها :

فلم تنم سـروج فتـح نـاظرهـا   الا وجيشك فـي جفنيـه مزدحم
والنقـع يأخذ حرانـا ونبعتهـا   والشمس تسفـر أحيانـا وتلتثم
سحب تمر بحصن الران ممسكـة   ومـا بهـا البخل لولا انهـا نقم
جيش كـأنك في ارض تطـاوله   فالارض لا أمم والجيش لا أمـم
اذا مضى علم منهـا بـدا علـم   وان مضى علم منـه بـدا علـم
حتـى وردن بسمنين بحيرتهـا   تنش بالمـاء في أشـداقهـا اللجم
واصبحت بقرى هنريط جـائلـة   ترعى الظبى في خصيب نبتـه اللمم

(١) تجاوزنا ابياتا كثيرة منها .

فمـا تركن بها خلـدا لـه بصـر تحت التراب ولا بازاً لـه قـدم
ولا هزيرا لـه من درعـه لبـد ولا مهـاة لهـا من شبههـا حشم
ترمي على شفرات البـاترات بهم مكامن الارض والغيطـان والاكم
وجاوزوا ارسناسا معصمين بـه وكيف يعصمهم مـا ليس ينعصم
ومـا يصدك عن بحـر لهم سعـة ومـا يردك عن طود لهم شمـم
ضربتـه بصدور الخيـل حـاملة قومـاً اذا دلفوا قـدما فقد سلمو
تلقى بهم زبـد البتـار مقربـة على جحـافلها من نضجـه رثـم
وهم فوارسهـا سكـاب ابطنهـا مكـدودة وبقوم لابهـا الالـم
وقد تمنوا غـداة الدرب في لجب ان يبصروك فلما ابصروك عمـوا
صدمتهم بخميس انت غـرتـه وسمهريتـه فـي وجهـه عمـم

وفي قصيدة أخرى يقول المتنبي في كثرة غزوات سيف الدولـة واثرها في حماية البلاد :

كلمـا صبحت ديـار عـدو قـال تلك الغيوث هـذه السيول
دهمتـه تطـاير الـزرء المحكـم عنـه كمـا يطـير النسيـل
تقنـص الخيـل خيلـه قنـص الوحش ويستأسر الخميس الرعيل
واذا الحرب اعـرضت زعـم الهـول لعينيـه انـه تهـويـل
واذا صـح فـالزمـان صحيـح واذا اعتـل فـالزمـان عليـل
ليـس إلاك يـا علـى همـام سيفـه دون عـرضـه مسلول
كيف لا تـأمن العـراق ومصـر وسـر ايـاك دونهـا والخيـول
انت طول الحيـاة للروم غـاز فمتى الوعـد ان يكون القفـول
قعـد النـاس كلهم عن مساعيك وقـامت بهـا القنـا والنصول
ما الذي عنـده تدور المنـايـا كالـذي عنـده تـدور الشمول

وورد على سيف الدولـة في سنة ٣٥٣ المستنفرون مـن الثغور

يذكرون احاطة الدمستق وجيوش النصرانية بطرسوس واستسلام أهلها ان لم يغاثوا وكان في بقية علة عرضت له فبرز للوقت وسار وكان الدمستق قد شحن الدرب فلما اتصل بالدمستق خبره افرج عن منازلة طرسوس وولى قافلا على عقبه وكان المتنبي في الكوفة فكتب سيف الدولة اليه يستدعيه ويخبره بالحادث فقال قصيدته البائية التي مطلعها

فهمت الكتاب ابر الكتب فسمعا لأمر أمير العرب

منها في سيف الدولة وشجاعته وكرمه وحروبه :

وما قست كل ملوك البلاد فدع ذكر بعض بمن في حلب
ولو كنت سميتهم باسمه لكان الحديد وكانوا الخشب
أفي الرأي يشبه أم في السخاء أم في الشجاعة أم في الادب
مبارك الاسم أغر اللقب كريم الجرشى شريف النسب
أخو الحرب يخدم مما سبى قناه ويخلع مما سلب
اذا حاز مالا فقد حازه فتى لا يسر بما لا يهب

ومنها :

بذا اللفظ ناداك اهل الثغور فلبيت والهام تحت القضب
وقد يئسوا من لذيذ الحياة فعين تغور وقلب يجب
وغر الدمستق قول العداة ان عليا ثقيل وصب
وقد علمت خيله انه اذا هم وهو عليل ركب
أتاهم باوسع من ارضهم طوال السبيب قصار العسب
فغرق مدنهم بالجيوش واخفت اصواتهم باللجب
فأخبث بهم طالبا قهرهم وأحبب به تاركا ما طلب
نأيت فقاتلهم باللقاء وجئت فقاتلهم بالهرب

وكانوا له الفخر لما أتى وكنت له العذر لما ذهب
سبقت اليهم منايا هم ومنفعة الغوث قبل العطب

وليست قصائد المتنبي في سيف الدولة هي القصائد التي اقتبسنا منه ما اقتبسناه • فله فيه قصائد كثيرة اخرى في مناسبات متنوعة • يمدح فيها كرمه وصفاته ولكنا اكتفينا بما تقدم لانه يدور حول وقائع سيف الدولة مع الروم [1] •

هذا • ومما جرى أثناء مصاولات سيف الدولة مع الروم ان الروم كاتبوا في سنة ٣٤٦ جماعة من غلمانه وبذلوا لهم اموالا طائلة وطلبوا منهم القبض على سيدهم حينما يخرج غازيا واتفقوا معهم على ذلك وهموا بتنفيذ المؤامرة حينما خرج مولاهم للغزو • غير ان بعض غلمانه المخلصين علم بالامر فاخبره به فقبض عليهم وكانوا ٣٨٠ فقتل ١٨٠ منهم وقطع ايدي وارجل الباقين ، وهؤلاء الغلمان أرقاء من الترك والارمن اشتراهم سيف الدولة واستخدمهم في جيشه وفي خدمته على عادة ملوك ذلك الزمن •

ومن هذا الباب تآمر غلام لسيف الدولة اسمه رشيق النسيمي كان يتولى طرسوس من قبله حيث اتفق مع الروم على ان يكون في حيزهم اذا ساعدوه على تملك انطاكية وان يدفع لهم عنها ٦٠٠٠٠٠ درهم سنويا وكان ذلك سنة ٣٥٤ ثم دس دسائسه بين أهلها حتى جعلهم يثورون على واليها ويخرجونه ثم يسلمونها له • وساقه طمعه الى التوسع فزحف على حلب ونازلها وكان سيف الدولة غائبا عنها في ميارفارقين وتمكن من دخولها وقرأ على أهلها كتابا مزورا من

---

(١) القصائد ومناسباتها منقولة من ديوان المتنبي تحقيق ونشر الدكتور عبدالوهاب عزام.

الخليفة بتقليده اعمال سيف الدولة • وكان ينوب عن سيف الدولة في حلب غلام له اسمه قرعويه فتحصن في القلعة فحاصرها رشيق وكان تراشق بالنبال بين المحاصرين والمحصورين فاصاب سهم رشيقا فقتله ، فانهزم عسكره الى انطاكية فترأسهم شخص ديلمي اسمه الدزبري متأمرا مع شخص آخر عرف بابن الاهوازي • وقد لحق قرعويه بالعسكر المهزوم فخرج اليه الدزبري وهزمه ثم تبعه الى حلب فملكها وجبي خراجها وخراج حمص معاً •

ولما علم سيف الدولة بالاحداث سارع الى العودة وكان بنو كلاب قد انضموا الى الدزبري ففارقوه وانضموا الى سيف الدولة مستأمنين • وقد تمكن سيف الدولة من قتل خلق كثير من جماعة الدزبري ثم ظفر به وبزميله ابن الاهوازي فقتلهما •

والحادثان يدلان على ان الروم كانوا يتوسلون بالدسائس بسبيل اثارة الفتنة وايجاد الثغرات وكانوا يجدون بعض التجاوب من العناصر الغريبة التي كانت في خدمة سيف الدولة •

وبالاضافة الى ما كان بين الروم وسيف الدولة من مصاولة فقد كان بينه وبين الاخشيد حاكم مصر وبلاد الشام الوسطى وخلفائه من بعده مصاولة ايضا • وقد نشبت بسبب استيلاء سيف الدولة سنة ٣٣٣ على حلب وحمص لانهما كانتا في نطاق حكمهم • وقد سير الاخشيد في السنة التالية حملة بقيادة غلامه كافور الاسود فالتقى مع سيف الدولة على الرستن في طريق عودته من غزوة له في بلاد الروم فهزمه ثم تبعه الى دمشق فاستولى عليها • ولكن اهلها اغتنموا فرصة خرج منها فاغلقوا الابواب في وجهه وارسلوا يستدعون الاخشيد فسارع بجيش قوي والتقى الرجلان بجيشهما في ارض قنسرين وكان

النصر في البدء لسيف الدولة ثم انقلب عليه حتى لقد تمكن الاخشيد من دخول حلب وأفسد أصحابه في الضواحي وقطعوا الاشجار من حول حلب وكانت عظيمة جدا وبالغوا في أذى الناس حتى ضاق أهلها بالاخشيد وجماعته مما اضطر هذا الى الخروج من حلب فعاد اليها سيف الدولة ، ثم ترددت الرسل بينهما واستقر الامر على تخلي الاخشيد عن حلب وحمص وانطاكية لسيف الدولة وحمل مال له عن دمشق . وتزوج سيف الدولة بنت اخي الاخشيد ولم يلبث الاخشيد ان توفي فانسحب جيشه بقيادة كافور من دمشق الى مصر فسار اليها سيف الدولة وملكها واقام فيها وجبي خراجها (سنة ٣٣٤ ايضا) واخذ يطالب أهلها بودائع الاخشيد فابرمهم وجعلهم يكاتبون انوجور ابن الاخشيد وقائده كافورا فخرجا على رأس جيشهما نحو الشام وسار سيف الدولة الى لقائهما ونشبت بينهما المعركة في ارض قرية اكسال قرب طبريا فكتبت الهزيمة عليه وتبعه الاخشيديون فالتقوا به ثانية في مرج عذرا قرب دمشق وكان النصر له في بدء المعركة ثم دارت الدائرة عليه ثانية فانهزم فتبعوه الى حلب فعبر الى الرقة فملكوا حلب . ثم اتفقوا مع احد رجال سيف الدولة او غلمانه واسمه يانس على ان يولوه حلب بشرط منع سيف الدولة عنها . وانسحبوا منها . وحينئذ اسري سيف الدولة الى حلب فخرج اليه يانس واشتبك معه ولكنه انهزم من امامه فملك سيف الدولة حلب . ثم ترادت الرسل بين سيف الدولة وانوجور وكافور وتجدد الصلح بينهما على القاعدة السابقة دون المال عن دمشق .

وقد سجل التاريخ احداثا داخلية عديدة في مدة حكم سيف الدولة منها عصيان اهل حران على هبة الله بن ناصر الدولة الذي كان يتولى حكم المدينة من قبل عمه . وكان ذلك في سنة ٣٥٢ فتدخل سيف الدولة واجاب اهل المدينة الى مطالبهم فعادوا عن عصيانهم . ومنها عصيان

نجا احد غلمان سيف الدولة على مولاه سنة ٣٥٣ وسيره الى بلاد ارمينية على رأس ثلة من الجيش • وقد استطاع ان يستولي على خلاط وملازكرد وموش وغيرها من شرق الاناضول • وكان معز الدولة البويهي في هذا الظروف قد تغلب على بغداد واختلف مع ناصر الدولة وسار منها الى الموصل ونصيبين وملكها وشرد ناصر الدولة عنهما • فكاتبه نجا ليتفق معه ضد بني حمدان • ولكن معز الدولة اصطلح مع ناصر الدولة فحبط كيد نجا • ثم خرج سيف الدولة الى مطاردته واستولى على ما في يده • ومع انه استأمن لمولاه وأمنه واعاده الى مرتبته فان بعض غلمان سيف الدولة وثبوا عليه وقتلوه • والخبر يدل على ان حكم سيف الدولة كان ممتدا الى مسافة طويلة من شرق الاناضول كما هو المتبادر •

وكانت وفاة سيف الدولة سنة ٣٥٦ بعلة الفالج وعسر البول • وحمل تابوته الى ميافارقين ودفن فيها •

ولقد قلنا ان سيف الدولة كان اديبا شاعرا فازدهرت دولة الادب في عهده وصار مقصد الشعراء والعلماء والادباء • وقد كانت له خزانة كتب فيها عشرة آلاف مجلد وقفها على جامع حلب • ومما روي عنه انه رسم خريطة للارض اصلها موجود في خزانة كتب طوبقبو في الاستانة ونسختها الشمسية موجودة في المكتبة السلطانية بالقاهرة وهي دار الكتب اليوم • ومما روي كذلك انه ضرب دنانير عليها اسمه وصورته فى كل دينار عشرة مثاقيل • وقد روي شعر لابي الفرج الببغا بمناسبة اهداء سيف الدولة له عشرة منها فيه تأييد لذلك حيث قال •

نحن في جود الامير في حرم نرتع بين السعود والنعم
ابدع من هذه الدنانير لم يجر قديما في خاطر الكرم
قد غدت باسمه وصورته في دهرنا عوذة من العدم

وقد بلغ من كرمه انه كان يهب احيانا لشاعر عشرة آلاف دينار دفعة واحدة . وقد روي عن ابن نباته في مدحه شعر فيه تبرم من كثرة ما ناله من عطائه حيث قال :

قد جدت لي باللها حتى ضجرت بها   وكدت من ضجري اثني على البخل
ان كنت ترغب في بذل النوال لنا   فاخلق لنا رغبة او لا فلا تقل
لم يبق جودك لي شيئا أؤمله   تركتني اصحب الدنيا بلا امل

وقد روي انه انفق في عرس اقامه لزفاف بنته على ابن اخيه وابنة اخيه على ابنه ٧٠٠٠٠٠ دينار ! .

ومن الشعراء الذين اختصوا بمدحه عدا المتنبي السلامي والوأواء والدمشقي والببغاء والنامي وابن نباته والصنوبري واجتمع ببابه من العلماء والشعراء ما لم يجتمع بباب احد من الملوك بعد الخلفاء .

ومما روي له من المقطعات الشعرية في وصف نار الكانون :

كأنما النار والرماد معا   وضوءها في ظلامه تحجب
وجنة عذراء مسها رجل   فاستترت تحت عنبر اشهب

ومنها :

قد جرى في دمعه دمه   فالى كم انت تظلمه
رد عنه الطرف منك فقد   جرحته منه اسهمه
كيف يستطيع التجلد من   خطرات الوهم تؤلمه

ومنها لاخيه ناصر الدولة :

رضيت لك العليا وقد كنت اهلها   وقلت لهم بيني وبين اخي فرق

ولم يكن بي عنها نكول وانمـــا تجافيت عن حقــي فتم لــك الحق
ولا بد لي مـــن ان اكون مصليــا اذا كنت ارضى انيكون لك السبق

— ٩ —

ولقد ظلت مملكة سيف الدولة بعده قائمة نحو ثلاثين سنة، ولكنها فقدت بعده رونقها وساءت حالتها داخليا وخارجيا .

ولقد خلف سيف الدولة ابنه شريف سعد الدولة ابو المعالي [١] . وكان الحاجب قرعويه المدبر النافذ الكلمة . وكان وزيره كاتب ابيه ابو اسحـــاق .

ولقد كان ابو فراس بن سعيد بن حمدان واليا على حمص فقـــام بينه وبين ابي المعالي وحشة فطلبه فخرج الى البادية فسير قرعويه فـــي طلبه حتى ظفر به وقتله . وكان خال ابي المعالي . وقد اشترك في غزوات سيف الدولة ووقع في اسر الروم مرة اخرى وظل اسيرا حتى افتداه سيف الدولة . وله شعر جيد وله قصيدة مشهورة بالفخر .

ولقد اغتنم الروم فرصة موت سيف الدولة وارتباك مملكتـــه بعده فغزو البلاد الاسلامية في سنة ٣٥٨ ثلاث غزوات . احداها بقيادة ملكهم نقفور الذي توغل في بلاد الشام داخلا وساحلا واقـــام فيهـــا شهرين يدمر ويحرق وينهب ويسبي . وقد فعل ذلك في ثماني عشرة مدينة منها معرة النعمان ومعرة مصرين وكفرطاب وشيزر وحماه وحمص وطرابلس وعرقه والزقية فضلا عما لا يحصى من القرى وبلغ ما سباه

---

(١) سيرة سعد الدولة مقتبســة من تاريخ حلب للطباخ ج ١ ص ٢٩٤ — ٣٠٩ وتاريخ حلب لابن العديم ج ١ ص ١٥٣ — ١٨٠ وتاريخ ابي الفداء ج ٢ ص ١٠٨ — ١٢٣ .

مئة الف معظمهم من الصبيان والصبايا بالاضافة الى المقادير العظيمة من الدواب والموشي والاثاث والاموال • وشاع ان الروم يقصدون حلب فاقترح فرعويه على ابي المعالي الخروج منها الى ميافارقين ولم يكد يفعل حتى اعلن قرعويه سلطانه على حلب ودعى على المنابر وضرب السكة باسمه مشركا معه غلاما له اسمه بكجور يبدو انه كان عضده الاقوى في خطته •

وقد كانت غزوة الروم الثانية لحلب حيث جاؤوا وملكوها وتحصن قرعويه في القلعة فاعياهم فتحها وترادت الرسل بينهم وبينه حتى تم الاتفاق على مال يؤديه اليهم كجزية سنوية دينارا عن كل رأس صغير او كبير في حلب و ٧٠٠٠٠٠ درهم عن بقية البلاد وهي حمص وجوسية وسلمية وحماه وشيزر وكفر طاب وافامية ومرة وجبل الساق وقنسرين والاثارب ومعرة مصرين • وشرطوا على قرعويه أن يكون الحكم بعده لبكجور ومن بعدها لمن ينصبه ملك الروم ، وان لا يخرب حصنا وان لا يحدث حصنا وان يغرم كل ما تفقده قوافل التجار الروم في هذه البلاد وان يمنع غزو المسلمين لبلاد الروم وان يعلمهم بتحركات الغزاة منهم وان يساعد الروم اذا غزوا بلاد الاسلام بالتموين والارشاد وان يسير معهم اذا غزوا غير بلاد الاسلام • وقد حلفوا قرعويه وبكجور وشيوخ حلب على هذه الشروط واخذوا منهم بعض كبارهم رهائن •

وكانت الغزوة الثالثة لملازكرد من بلاد ارمينية فحصروها وفتحوها عنوة • وهكذا صارت البلاد كلها مسبية لا يمنع الروم عنها مانع [1] •

وقد ثبت الروم في غزواتهم هذه قدمهم في انطاكية وما وراءها من

---

(١) العبارة الاخيرة لابي الفداء ج ٢ ص ١١١ .

بلاد كيليكيا التي كانت في سلطان سيف الدولة فلم يخرجوا منها حينما انسحبوا من بلاد الشام •

ولما خرج ابو المعالي من حلب واعلن قرعويه سلطانه عليها ذهب الى الموصل مستنصرا بابن عمه ابي تغلب فلم يقدر على نصرته وعرض عليه المقام في نصيبين • وظل ردحا من الزمن كالشريد ثم ذهب الى حمص فاقام فيها على مضض •

وطمع بكجور بدوره في الانفراد في حكم حلب وتآمر مع غلمانه على قرعويه واعتقله سنة ٣٦٣ واعلن سلطانه • وجمع غلام لسيف الدولة اسمه زهير وكان يتولى معرة النعمان حشدا واستدعى ابا المعالي من حمص وزحف هو واياه على حلب وملكوها • وتحصن بكجور في القلعة حتى ضاق عليه الامر واضطر الى الاستسلام بعد أخذ الامان لنفسه واولاده ووعدا بولاية حمص • فعاد سلطان ابي المعالي ثانية على مملكته وعاصمته • وكان ذلك سنة ٣٦٦ وظل سلطانه مستتبا الى سنة ٣٨١ حيث توفي بالفالج او القولنج حسب اختلاف الروايات •

ولقد كان استيلاء الفاطميين على دمشق وسورية الجنوبية والوسطى في هذه الظروف فزاد ابو المعالي على الآذان جملة حي على العمل وكان ذلك شعار الفاطميين • ومع ذلك فانه ظل على صلات ودية مع عضد الدولة البويهي الذي انتصر على عز الدولة بختيار وصار لـه السلطان على بغداد حتى انه ارسل يهنئه بانتصاره وقابله هذا بالمودة وجعل الخليفة العباس الطائع يرسل اليه خلعة وتوقيعا بالاعتراف بمملكته وحكمه وارسل اليه هو نفسه خلعا وخاطبه بقوله « سيدي ومولاي وعدتي » وكان هذا نتيجة للاستيلاء الفاطمي وحسبانا لعواقبه كما هو المتبادر • ولقد كانت ديار مضر في حكم ابي تغلب بن ناصر الدولة فطمح ابو المعالي

في مد سلطانه اليها فساعده عضد الدولة على تحقيق مطمحه في سنة ٣٦٨ تتيجة واستبقاء لما قام بينهما من مودة .

ولم يسكت الروم عن عودة ابي المعالي الى حلب فزحفوا عليها سنة ٣٧١ وطالبوه بالمال المرتب على البلاد حسب اتفاق تقفوز مع قرعويه واستقر الامر بينه وبينهم على حمل ٤٠٠٠٠٠ درهم فضة اليهم في السنة .

وهكذا كانت مملكة بني حمدان موزعة الولاء في هذا الظرف للروم من ناحية والفاطميين من ناحية والعباسيين والبويهيين من ناحية .. وهذا من طرائف وعجائب هذا الظرف !

على ان الروم ظلوا يرون الفرصة سانحة لهم فعادوا سنة ٣٧٣ الى حلب بجيش روي ان عدته ٥٠٠٠٠٠ واخذوا يغيرون على ضواحيها مدمرين مخربين فامر ابو المعالي غلمانه فخرجوا وحملوا حملة شديدة كشفوهم بها عن حلب وهزموهم هزيمة شديدة . ومع مافي هذا الخبر من مفارقة تتمثل في عدد الروم الهائل وهزيمتهم من قبل ثلة من غلمان ابي المعالي فان المؤرخ الذي رواه روي أيضا ان الدمستق زحف في السنة نفسها على حمص ودخلها واحرق الجامع ومنشآت كثيرة أخرى فيها وقفل عائدا [١] .

ومن العجيب ان راوي الخبر روى ان ابا المعالي ظل يحتفظ بولائه وصلاته مع ملك الروم حتى انه استنجد به في ظروف حركة بكجور ضده بالتعاون مع الفاطميين .

فان بكجور الذي تولى ولاية حمص تتيجة لما تم بينه وبين ابي

---

(١) ابن العديم ج ١ ص ١٥٣ وما بعدها .

المعالي من اتفاق ثم مد سلطانه الى دمشق سنة ٣٧٢ بموافقة العزيز بالله الخليفة الفاطمي وتوليته له عليها ثم مد سلطانه الى الرقة ايضا طمح في مد سلطانه الى حلب فاخذ يتصل بغلمان ابي المعالي من جهة وبالعزيز بالله الفاطمي من جهة ويطمعه في حلب ويقول له انها دهليز العراق وانها اذا ما دخلت في حوزته هان عليه ما بعدها ، وقد استجاب اليه غلمان ابي المعالي كما استجاب اليه العزيز وامر ولاته في البلاد الشامية بنجدته. ومن ثم زحف على حلب فاستنجد ابو المعالي بملك الروم فاوعز هذا لوالي انطاكية بانجاده ووقع الاشتباك بين حملة بكجور وبين ابي المعالي فدارت الدائرة على بكجور وظفر به ابو المعالي وقتله وكان ذلك في سنة ٣٨١ وقبيل وفاة ابي المعالي نفسه .

ولقد استنجد اولاد بكجور الذين كانوا في الرقة بالعزيز الفاطمي وطلبوا حمايته لهم فكتب هذا لابي المعالي يطلب الابقاء عليهم وينذره ويتوعده فرد عليه ردا سيئا فاحنقه وجعله يعزم اكثر من ذي قبل على الاستيلاء على حلب .

ولقد توفي ابو المعالي بعد هذا بقليل فملّك غلمانه ابنه سعيدا ابا الفضائل [1] مكانه تحت هيمنة كبيرهم لؤلؤ فامر العزيز امير جيوشه بنجوتكين الذي ولاه دمشق بعد بكجور بالمسير نحو حلب فسار في السنة التالية لوفاة ابي المعالي اي في سنة ٣٨٢ واستولى في طريقه على حمص ثم على حماه ثم وصل الى حلب فضرب عليها الحصار . وحاول ابو الفضائل الذي تلقب بلقب سعيد الدولة ومدبره دفع بنجوتكين بالتي هي أحسن فبذلوا له الاموال الكثيرة وتعهدوا بالدخول في طاعة الفاطميين واقامة دعوتهم وضرب السكة باسم الخليفة فابى وظل يحاصر

---

(١) سيرة ابي الفضائل سعيد الدولة مقتبسة من تاريخ حلب للطباخ ج ١ ص ٣٠٩ ـ ٣١٤ وتاريخ حلب لابن العديم ج ١ ص ١٨٣ ـ ١٩٢ وابي الفداء ج ٢ ص ١٤٠ .

حلب ويقاتلها ٣٣ يوما • واستنجد ابو الفضائل ببسيل ملك الروم فامر هذا واليه في انطاكية بالمسير ودفع الفاطميين • وضجر اهل حلب من الحصار فقالوا لابي الفضائل اما أن تدبر الامر أو تسلم البلد فطمأنهم بان والي انطاكية قادم لنصرته • وعلم امير الجيوش بذلك فاخذ قسما من جيشه وسار للقاء هذا الوالي وهزمه وقتله واسر خلقا عظيما من جيشه ، ووضع يده على مقادير عظيمة من الاموال والغنائم ثم سار نحو انطاكية فاستاق منها عشرة آلاف رأس من الجاموس والبقر وعددا لا يحصى من الغنم ثم انصرف عنها الى بلاد الروم حتى بلغ مرعش يقتل ويحرق وينهب ويسبي وفتح فيما فتح حصنا اسمه عم فوجد فيه عشرة آلاف اسير مسلم ضمهم اليه ثم عاد الى حلب فاقام الى آخر سنة ٣٨٢ فاعياه فتحها فانصرف عنها بسبب موسم الشتاء الى دمشق ثم خرج سنة ٣٨٣ فنزل على شيزر وفتحها ثم فتح افامية ثم سار الى انطاكية فسبى وغنم وعاد منها الى حلب فجدد عليها الحصار فاستنجد ابو الفضائل بالروم ثانية فانجده بوالي انطاكية وعلم امير الجيوش بذلك فسار للقاء الوالي في الطريق وهزمه للمرة الثانية وقتل واسر خلقا كثيرا من جيشه ثم عاد الى حصار حلب وبنى ازاءها مدينة وظل يحاصرها الى سنة ٣٨٤ وعاد ابو الفضائل للاستنجاد بملك الروم للمرة الثالثة فخرج بنفسه في عدة عظيمة وعلم أمير الجيوش بخروجه ووصوله الى العمق فانصرف عن حلب الى قنسرين شبه منهزم • وخرج ابو الفضائل الى ملك الروم فشكره واهداه هدايا عظيمة فقبلها ثم وهبها له كما وهب له القطيعة المرتبة على بلاده من تلك السنة ••••

وفي سنة ٣٨٦ عصى والى المعرة رباح السيفي وهو من غلمان سيف الدولة على ابي الفضائل فخرج هذا اليه مع لؤلؤ وحاصر المعرة • وجاء بنجوتكين الى نجدته ـ والخبر يدل على ان عصيان رباح بالتواطؤ مع القائد الفاطمي ـ فانهزما وعادا الى حلب •

وفي سنة ٣٨٩ خرج ملك الروم غازيا فاستولى على افامية بعد معركة جرت بينه وبين القوات الفاطمية ثم سار الى وادي حبران فسبي خلقا عظيما . وخرج اليه ابو الفضائل مسلما وكان في شيزر فاكرمه وقال له قد وهبت لك حلب ...

ومات ابو الفضائل سنة ٣٩٢ مسموما . وملّك لؤلؤ مكانه ولديه ابا الحسن عليا وابا المعالي شريفا وصار السلطان كله بيده [١] . ثم جنح مع ذلك الى الانفراد فسيَّر الولدين الى مصر سنة ٣٩٤ وصار هو الحاكم وظل يحكم الى ان مات سنة ٣٩٩ فخلفه ابنه منصور . وسير هذا ولديه ابا الغنائم وابا البركات الى مصر حيث قدما ولاء ابيهما فاقره الخليفة الفاطمي ولقبه بمرتضى الدولة . واعطى ولديه اموالا جسيمة واقطعهما سبع ضياع في فلسطين .

ولقد كان مرتضى الدولة ظلوما عسوفا فابغضه الحلبيون وكاتبوا ولدا لسعد الدولة اسمه ابو الهيجاء كان التجأ الى ملك الروم فرارا من اضطهاد لؤلؤ فأذن الملك له بالتوجه وأمده ببعض المال والفرسان ؛ واستنجد مرتضى الدولة بالحاكم الفاطمي فانفذ اليه جندا كثيفا فتمكن من هزيمة ابي الهيجاء فعاد الى القسطنطينية حيث اقام فيها ثانية ومات فيها . وعلم الحاكم الفاطمي بكراهية آهل حلب لمرتضى الدولة فسير ابا المعالي بن سعيد الودلة اليها سنة ٤٠٢ على رأس جيش . وكان يأمل ان ينضم اليه بنو كلاب . ولكن مرتضى الدولة خذلهم عنه بوعود مغرية فاخفق وعاد الى مصر ، ومات فيها بعد قليل فكان ذلك نهاية الدولة الحمدانية الثانية .

---

(١) سيرتهما وسيرة لؤلؤ وابنه الى النهاية مقتبسة من تاريخ حلب للطباخ ج ١ ص ٣١٤ وابن العديم ج ١ ص ١٩٣ ــ ١٩٨ وابي الفداء ج ٢ ص ١٤٠ .

(٢) بنو مرداس [1]

— ١ —

لم يكد حكم بني حمدان ينتهي في حلب حتى قامت فيها وفي مايليها دولة عربية جديدة هي الدولة المرداسية ، التي امتد حكمها ونشاطها نحو خمسين سنة وان لم تتألق وتشغل من الفراغ والحيز ما شغلته الدولة الحمدانية .

واسمها آت من أب أول ملوكها وهو صالح بن مرداس من امراء قبيلة كلاب التي كانت تنزل في الجزيرة الفراتية من قبل الاسلام .

وكان بدء بروز صالح في مجال الحكم والسلطان سنة ٣٩٨ حيث استولى على الرحبة وصار صاحبها وكانت دعوته للفاطميين على ما ذكره ابن الاثير [٢] .

ولقد ذكرنا في نهاية سيرة بني حمدان ان مرتضى الدولة منصورا ابن لؤلؤ حاكم حلب وعد بني كلاب بوعود مغرية حتى خذلوا ابا المعالي ابن سعيد الدولة الذي سيره الحاكم الفاطمي الى حلب على رأس حملة للاستيلاء عليها واقصاء مرتضى الدولة عنها . فلما اخفق وعاد الى مصر طالب بنو كلاب مرتضى الدولة بالوفاء فدافعهم فاخذوا يعيشون في

(١) هذا البحث مقتبس من ابن الاثير ج ٩ ص ٧٨ — ٨١ وابن العديم ج ١ ص ٢٠١ — ٢٩٦ وتاريخ حلب الشهباء للطباخ ج ١ ص ٣١٥ — ٣٤٤ وابي الفداء ج ٢ ص ١٤٠ — ١٤٢ .

(٢) ج ٩ ص ٧٢ .

ضواحي حلب ويزعجون مرتضى الدولة فدعا كبارهم سنة ٤٠٢ الى وليمة للتفاوض معهم ثم غدر بهم وقيدهم وسجنهم وقتل من قبيلتهم أكثر من الف رجل • وكان في جملة المسجونين صالح فاستطاع ان يفر من السجن ثم حشد قومه وزحف بهم على حلب واشتبك مع مرتضى الدولة فدارت الدائرة على هذا وملك صالح حلب ثم ملك قلعتها واسر مرتضى الدولة وتدخل شيوخ حلب فصالحوا الرجلين على ان يقاسم مرتضى الدولة صالحا باطن حلب وظاهرها ويحمل اليه ٥٠٠٠٠ دينار و ١٢٠ رطلا حليا من الفضة و ٥٠٠ قطعة ثياب ويزوجه بابنته •

غير ان مرتضى الدولة نكث بالعهد وعاد الى سيرته السيئة مع أهل حلب فجمع صالح حشوده ثانية واخذ يزعجه ويضيق عليه • وكانت القلعة في يد غلام له اسمه فتح فخامر على سيده مع صالح فخاف حينئذ وفر من حلب ملتجأ الى بسيل ملك الروم الذي كان في انطاكية حينئذ فآواه واقطعه بعض القطائع وغدا البآ معه على البلاد الاسلامية وظل كذلك الى ان مات في بلاد الروم سنة ٤٢١ •

ومد الحاكم الفاطمي اصبعه الى حلب وعين واليا من قبله غير انه لم يحسن السيرة وارتبكت الامور عليه فاغتنم صالح الفرصة وزحف سنة ٤١٥ على حلب فملكها ثم ملك قلعتها واخرج الوالي الفاطمي منها فكان ذلك بدء السلطان الفعلي للدولة المرداسية •

وقد اتصل صالح بحسان بن مفرج امير بني طي الذي كان ينزل مع قومه في فلسطين وبسنان بن عليان امير بني كلب في حوران وتحالفوا ضد الحكم الفاطمي في بلاد الشام وقسموا حكم هذه البلاد بينهم بحيث يكون لصالح من حلب الى عانه ولحسان من الرملة الى مصر ولسنان دمشق وحوران ، وقد تمكنوا من هزيمة الحاميات الفاطمية وطردوا

العمال الفاطميين وباشروا السلطان حسب التقسيم المتفق عليه •

وقد شمل سلطان صالح حمص وبعلبك وصيدا وحصن ابن عكار والرحبة ومنبج وبالس ورفينه بالاضافة الى حلب •

وسير الظاهر الخليفة الفاطمي حملة قوية بقيادة قائد تركي اسمه انو شنكين الدزبري فاجتمعت قوات الحلفاء الثلاثة لقتاله ودارت المعركة بينهم بالاقحوانية عند طبريا فدارت الدائرة عليهم وقتل صالح وولداه في المعركة وكان ذلك سنة ٤٢٠ •

— ٢ —

وملك بعده ولداه ثمال الذي كان يتلقب بمعز الدولة ونصر الذي كان يتلقب بشبل الدولة وتقاسما حلب فكان للاول القلعة وللثاني المدينة •

واغتنم الروم فرصة الارتباك فزحف والي انطاكية على حلب فحاول نصر واخوه ان يدفعاه بالحسنى فابى فكبساه وهزماه • ثم تصافيا معه •

وجنح نصر الى الانفراد في السلطان فاغتنم فرصة خروج اخيه من القلعة فاستولى عليها • وحشد ثمال حشوده لمنازلة أخيه فارسل نصر الى ملك الروم يستنجد به فجاءه بجيش عظيم ووصل به الى قرب حلب • وتوسط شيوخ العرب بين الاخين وقسموا الحكم بينهما بحيث تكون حلب لنصر وبالس والرحبة لثمال • وارسل نصر الى ملك الروم يطلب منه العودة على ان يؤدي اليه القطيعة التي كان يحملها اولاد سيف الدولة الى اسلافه فابى وزحف نحو حلب وكان يقود حملة روي ان عددها ٦٠٠٠٠٠ وانه كان معه ملوك البلغار والروس والابخاز

والخزر والارمن والبنختاك والافرنج حيث يدل ــ مع ما في الرقم مــن مبالغة ــ على ان الروم رأوا الفرصة سانحة لضربة قاصمة والاستيلاء على بلاد الاسلام • وسارت الحملة حتى نزلت على تبل واستظهرت على اعراب حلب ثم سار منها سرية الى اعزاز فلقيها بنو كلاب وظفروا بهــا وقتلوا بطارقتها واسروا جماعة من اولاد الملوك • وكان الموسم صيفــا والحرارة شديدة والمياه شحيحة فضاق الامر على الحملة وازمعت على التقفول • وهجم نصر والعرب على سوق الملك فنهبوه وظن الروم انهــا كبسة فاضطربوا وانهزموا وقتل المسلمون منهم ما لا يحصى ومن جملتهم عدد كبير من البطارقة وملأوا أيديهم بالاسلاب حتى لقد روي ان فرقة من بني قطن اخذت من اثقال الملك ٣٠٠ بغلة محملة وتقاسموا الدنانير بالحفن فكان نصيب الواحد منهم ١٨ حفنة •

ولم يكد الروم يعودون الى بلادهم حتى خرج والي انطــاكية في خلق عظيم فعاث وافسد وفتح حصن المنيفة وهجم على رفينة وسبي ١٠٠٠٠ من اهلها • وعاد في سنة ٤٢٢ الى غزو بلاد المسلمين ففتح حصن بني الاحمر وحصن بني قناع وغيرهما وخربهما فراسله شبل الدولــة ولاطفه حتى تم الصلح بينهما وجعله سفيرا بينه وبين ملك الروم وتم الامر على ان يحمل شبل الــدولة الى ملــك الروم كل سنة ٥٠٠٠٠٠ درهم [(١)] •

وقد سير شبل الدولة بعد ذلك رسولا الى الخليفة الفــاطمي

---

(١) ان خبر زحف ملك الروم الاول مع الملوك الآخرين ومــا كــان من امر حملتهم وهزيمتهم ، وكذلك خبر زحف والي انطاكية وعيثه وما كان من الاتفاق بين ملك الروم وشبل الدولة من روايات ابن العديم ، أما ابن الاثير فكل ما ذكره من احتكاك بين شبل الدولة والروم ان روم انطاكية حينما علموا بموت صالح وولاية شبل الدولة زحفوا في عالم كبير على حلب فخرج اهلها وحاربوهم وهزموهم ونهبوا اموالهم (ج ٩ ص ٧٩) •

. الظاهر مع هدية من غنائم الروم منها ١٥٠ رأسا من الدواب • وفي هذه الاثناء مات الظاهر وتولى المستنصر فخلع الخليفة الجديد على رسول شبل الدولة وارسل معه خلعا لشبل الدولة ولقبه بالقاب « مختص الامراء خاصة الامامة شمس الدولة ومجدها ذو العزيمتين » •

واستمر حكم شبل الدولة الى سنة ٤٢٩ حيث قتل في معركة دارت بينه وبين امير الجيوش الدزبري والي الفاطميين في دمشق • فقد سعى بعضهم فافسد ما بين الرجلين حتى قامت الوحشة فكتب الدزبري الى ملك الروم يستأذنه في محاربة نصر (شبل الدولة) واستنقاذ حلب منه ويتعهد له باداء المقرر ــ وهذا غريب عجيب يدل على ما كانت عليه الحالة في ذلك الظرف ــ فأذن له فزحف بحشد كبير من العرب والمغاربة وخرج نصر الى لقائه والتقوا قرب السلمية فدارت الدائرة عليه وقتل في المعركة بعد ان قاتل قتال الابطال •

وكان ثمال اخوه معه فانهزم وجاء الى حلب فملكها ، وكان امير الجيوش قد سير جندا في اثر المنهزمين فخاف ثمال من المقام في حلب فخرج منها الى الجزيرة يستنجد باخواله بني خفاجة واخذ معه اولاد اخيه وما قدر على حمله من ثياب ومال وآنية وولى القلعة مقلدا ابن كامل بن مرداس والمدينة خليفة بن جابر الكعبي • وقد ثارت في حلب بعد خروجه فتنة ونهب الغوغاء دار السلطان واموال التجار •

ووصلت حملة امير الجيوش الى حلب وترادت الرسل بينه وبين مسلميها ثم انتهى الامر بتسليم المدينة والقلعة بعدها وكان ذلك سنة ٤٣٠ • وقد ولى امير الجيوش القلعة لغلام اسمه سبكتين والمدينة لغلام اسمه منجوتكين وقصد بالس ومنبج فاخذهما واراد اخذ الرحبة فاعيته ثم عاد الى دمشق وقد شمل حكمه معظم سورية شمالا وجنوبا وعظم شأنه وكثر ماله •

وكان ثمال يقيم في الرقة متربصا فجاءه توقيع من المستنصر الفاطمي بحلب على ان يحمل اليه جميع ما في قلعتها • وكان هذا بتدبير وزير الخليفة الذي كان يكره امير الجيوش • وقد كتب هذا الوزير الى اجناد دمشق وحرضهم علـى امير الجيوش في الوقت نفسه فثـاروا عليه واحدقوا بقصر له في ظاهر دمشق فهرب منها الى المعرة ثم الى حلب وذلك سنة ٤٣٣ ولم يكن ثمال قد جاء اليها بعد • وجمع ثمال عشيرته لمنازلته ولكن المنية كفته المؤونة لان الدزبري لم يلبث ان مات قهرا فتسلم ثمال المدينة ثم القلعة في سنة ٤٣٤ بعد صمود سبعة اشهر •

وهكذا استقر ملك حلب وما والاها لثمال • ووصل اليـه سنة ٤٣٦ تشريف من المستنصر ودرت الارزاق في ايامه وكان حسن السيرة • وكان لما استعصت عليه القلعة ارسل الى ملكة الروم يجـدد عهده معها فأقرته على حلب برتبة ماخسطرس ! ووجهت على ابن عمه مقلد رتبة بسطرخس • وعلى اولادهما رتبة البطريق وكان لهما اخت اسمها علوية فوجهت عليها رتبة البطريقة ايضا واطلقت لهم مرتبات هذه المراتب وسيرت اليهم هدايا كثيرة وشرطت على ثمال ان يحمل لها سنويا ما كان يحمله اخوه نصر • وهكذا صارت دولة مرداس موزعة الولاء والتبعية بين الروم والفاطميين كما صارت دولة بني حمدان بعد سيف الدولة •

ولقد أراد ثمال ان يعمر القلعة فاحتجز قسما من المال المرتب عليـه للفاطميين فاحنق ذلك الخليفة فما كان منه الا أن أعلن عصيانه عليـه اطمئنانا بنصرة الروم له على الارجح • وسير الخليفة الفاطمي حملـة عليـه بقيـادة نـاصر الـدولة ابي محمـد الحسن بن الحسن بن حمدان ومعه عبد العزيز بن حمدان وشجاع الدولة بن كليد وكان الاول متوليا على دمشق بعد الدزبري والثالث على حمص • وقد فتحت الحملة

حماه ثم معرة النعمان ثم جاءت الى حلب عام ٤٣٩ فخرج ثمال مع اهل المدينة لدفعها ولكنهم عادوا منهزمين الى المدينة متدافعين حتى لقد اختنق منهم في الابواب ١٧٠٠٠ نسمة • ولكن نهر قويق فاض في هذه الآونة فاغرق اكثر مضارب الحملة وجعلتها تنسحب عن حلب • وعاد المستنصر فسير حملة جديدة سنة ٤٤١ بقيادة شجاع الدولة فخرج اليه مقلد بن كامل المرداسي وهزمه وقتله ثم سار الى حماه وحمص ففتحهما • وعا دالمستنصر فسير حملة ثالثة بقيادة ابي الفضل رفق الخادم فقاتله الحلبيون وكسروه واسروه وحبسوه في القلعة حتى توفي فيها واستولوا على مقادير عظيمة من الدواب والاثقال والاموال كانت معه •

ورأى ثمال رغم ذلك ان يصلح امره مع المستنصر فحمل اليه المرتب على حلب مع هدايا وتحف وارسل ابنه وثاب وزوجته المعروفة بالسيدة الى مصر فأكرمهما الخليفة الفاطمي واعجب خاصة بفصاحة السيدة وعقلها وفوضها باملاء ما تريد حتى يوقع عليه • ووقع توقيعا جديدا بحلب واعمالها لثمال معز الدولة وارسل معها خلعا اليه والى جميع بني عمه ، فسكنت نفس ثمال واطمأن وطابت قلوب رعيته •

وفي سنة ٤٤٣ ارسل رسولا الى القسطنطينية يحمل المال السنوي وهدية فاكرم ملك الروم وفادته وجدد لثمال عهد التعيين وارسل اليه هدية مقابلة •

واستوزر ثمال فخر الدولة ابا محمد بن جهير وفوض جميع الامور اليه وكان حكيما عاقلا فاستقامت الاحوال وتضاعف ارتفاع البلد وعمرت الخزينة بالمال الوفير •

وفي سنة ٤٤٧ ارسل المستنصر خلعا جديدة الى ثمال وارسل ثمال

في السنة نفسها هدية الى ملكة الروم والتمس منها رفع مرتبته فاجابته الى ملتمسه !

وكان شجاعا قوي الحيلة كريما حليما • وقد استغنى اهل حلب في أيامه ومدحه الشعراء وأثنوا على فضائله •

وقد كدر بنو كلاب صفوه في سنة ٤٤٩ حيث امتدت اعينهم الى ما في يده وأكثروا من المن عليه بما كان من نصرتهم له حتى ثار اشمئزازه منهم فطلب من المستنصر قبول تنازله عن حلب وتعيينه على ولاية بعيدة عن موطن الكلابيين • فاجابه المستنصر الى ملتمسه وعينه واليا على بيروت وعكا وجبيل وعين لحلب شخصا من رجاله اسمه ابو الحسن بن علي بن ملهم الملقب بمكين الدولة • وذهب ثمال الى مصر لزيارة الخليفة فلقى منه من الحباء والتكريم ما لم يلقه احد من آبائه • وقد رتب له في الايام التي قضاها في مصر ٣٠٠ دينار يوميا واعطاه ما لم يعط احـدا من المال والجواهر • وكان اذا ركب صحبه •

وقد كان لثمال اخ اسمه عطية ففارق حلب بعد أخيه الى الرحبة حيث أقام فيها •

وطمع بنو كلاب في حلب بعد ذهاب ثمال واخيه وقوي جأشهم وقدموا عليهم محمود بن نصر ـ ابن اخي ثمال ـ فسار اليها سنة ٤٥٢ وحاصرها سبعة أيام ثم ارتد عنها •

واختلف الحلبيون مع مكين الدولة فانفذوا الى محمود بن نصر وردوه وسلموه المدينة • واعتصم مكـين الدولة في القلعة وارسل يستنجد فسير الخليفة الفاطمي اليه عسكرا ضخما بقيادة ناصر الدولة الحمداني الذي ارسله قبل فجاء ونزل حمص فسارت اليه بنو كلاب وبنو خفاجة في خلق كثير • غير انه تمكن من تخذيل كثير منهم ثم سار

نحو حلب فهرب منها محمود وحينئذ نزل مكين الدولـة الى المدينـة ونهبها • على ان الذين انضموا الى ناصر الدولة من الكلابيين وغيرهم لم يلبثوا أن تفرقوا عن ناصر الدولة واحتال عليه زعيم من بني كلاب فأسره • واغتنم عطية الذي كان ذهب الى الرحبة ــ وهو اخو ثمـال وابن صالح بن مرداس ــ الفرصة فجـاء وملك حلب وكان ذلـك سنة ٤٥٣ • وجاء على اثره محمود بن نصر فقوي عليه واستتب لـه الحكم دون عمه • ولم يستطع نائب الفاطميين الاستمساك فاخذ من محمود العهود وترك له القلعة والمدينة •

وكان ثمال في هذه الاثناء في مصر فطلب الخليفة منه ان يعود الى حلب واعانه بالمال ولقبه من جديد بالقاب « الاجل الاعز تاج الامراء عماد الملك سيف الخلافة عضد الامامة بهاء الدولة العلوية وزعيم الجيوش المستنصرية علم الدين ذو الفخرين مصطفى امير المؤمنين » • وحينما وصل الى حمص كاتب فريقا من قومه فلبوه فزحف على حلب وحاصرها • وارسل محمود الى ملك الروم يستنجد به على عمه • ثم ترادت الرسل بين العم وابن اخيه وتوسط شيوخ القبيلة فتم الاتفاق على ان يملـك ثمال حلب وما والاها عودا على بدء ويرتب لابن اخيه سنويا خمسين الف دينار وثلاثين الف مكوك من الغلة • وهكذا عاد السلطان الـى ثمال ثانية غير ان حكمـه لم يطل حيث مـات في السنة التالية أي في سنة ٤٥٤ •

ولكن هذه السنة من حكمه كانت حافلة باحداث هـامة فقـد عصي عليه في الرحبة منيع بن وثاب النميري فارسل أخاه صالحا فنكـل به واستلم منه الرحبة ثم عصى فيها على اخيه بدوره !

وفي هذه السنة سار ثمال الى غزو بلاد الروم • وتمكن من فتح

حصن ارتاح فخاطبه أهلها في الصلح فشرط عليهم هدم حصنين آخرين كانوا جددوهما ودفع ضريبة من المال عن بلدهم فقبلوا بشرطه •

وفي هذه السنة خرج الروم غازين بلاد الاسلام فكبسوا مريمين احدى قرى حلب واحرقوها ونهبوها فأرسل ثمال اليهم سرية هزمتهم بعد ان قتلت منهم عددا كبيرا • ثم سار ثانية الى بلاد الروم غازيا ففتح قيبار ونهبها وقتل الرجال وسبى النساء والصبيان • ولم يكد يعود حتى مرض ومات •

وهكذا غسل بعض العار الذي ارتكس فيه بنو مرداس ومن قبلهم بنو حمدان في ما كان من استخذائهم وولائهم للروم •

— ٣ —

وقد وصى بالحكم بعده لاخيه عطية الذي تلقب بلقب أسد الدولة• ولكن محمودا ابن اخيه نصر أرسل اليه يقول ان ثمالا شرط له ان يكون الحكم له من بعده لانه تسلمه منه وانه اخذه بسيفه وهو في الوقت نفسه ارثه عن ابيه • فلم يعبأ عطية به فاخذ يعيث في ضواحي حلب ويأخذ ما تصل اليه يده • وكان بعض شيوخ بني كلاب يساعدونه على ذلك • وخرج له عطية في سنة ٤٥٠ فهزمه ونهب حلته • ثم صالحه على ٢٥٠٠٠ دينار في السنة • ولكن محمودا لم يلبث ان عاوده الطمع وتمكن من تملك معرة النعمان وكفر طاب وحماه سنة ٤٥٦ ثم زحف بحشد من قومه على حلب وحاصرها حتى اشرفت على امر عظيم من الجوع مما جعل عطية يجنح الى مسايرته واقتسام حكم البلاد معه حيث اختص نفسه بحلب والرحبة وبالس ومنبج واعزاز وقنسرين وتخلى له عن ما عدا ذلك • وكان هذا في سنة ٤٥٧ •

ومع ذلك فان محمودا لم ينفض يده من حلب • وكان جاء في هذه الاثناء ابن خان ملك التركمان الى هذه الانحاء ومعه جماعة كبيرة من قومه مغاضبا لابيه فقابلهم عطية مقابلة سيئة وقتل جماعة منهم • واغتنم محمود الفرصة فاتصل بهم وتحالف معهم • وخرج اليهم عطية فالتقوا في مرج دابق فدارت الدائرة عليه وانهزم فتبعه محمود الى حلب وضرب عليها الحصار حتى اشتد فيها الجوع مما اضطر عطية الى التخلي له عنها مقابل أن يكون له الرحبة واعزاز ومنبج وبالس وجميع الضياع التي تقع شرق حلب وشمالها • وهكذا تم صلح خالص بينهما ذلت به لهما العرب حسب عبارة ابن العديم • اما ابن الاثير فيقول • ان محمودا والتركمان حينما تحالفا على عطية استطاعوا ان يستولوا سنة ٤٥٤ على حلب عنوة فخرج منها عطية الى الرقة فملكها ولم يزل بها حتى أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ٤٦٣ فسار الى القسطنطينية حنقا لاجئا ومات فيها سنة ٤٦٥ •

وقد سير محمود التركمان الى غزو ارتاح وكانت في يد الروم فاخذوها منهم •

وفي هذه الاثناء كان السلجوقيون قد غلبوا البويهيين على سلطان بغداد وصار الملك لالب ارسلان بعد ابيه طغرل بك وتبدلت حالة الدولة من الضعف الى القوة • فتشاور محمود مع زعماء حلب واتفقوا على قطع خطبة الفاطميين والخطبة للخليفة العباس القائم بامر الله (٤٢٦ـ ٤٦٦) والسلطان الب ارسلان • ولبس المؤذنون السواد الذي كان شعار العباسيين • وارسل اليه الخليفة الخلع والتوقيع نتيجة لذلك • ومما رواه الطباخ ان محمودا قال لاهل حلب هذه دولة جديدة • ونحن تحت الخوف منهم • وهم يستحلون دمكم لاجل مذهبكم ورأيي أن نقيم لهم الخطبة قبل أن يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل حيث يدل

هذا على ان المذهب الشيعي كان المذهب الغالب على حلب نتيجة لامتداد سلطان الفاطميين الى بلاد الشام منذ اواسط القرن لرابع .
ومما رواه الطباخ أيضا ان محمودا زحف سنة ٤٦٣ على طرابلس وحاصرها واخذ مالا من اهلها فارسله الى الب ارسلان هدية وزلفى .

ومما رواه الطباخ ان ملك الروم اقبل سنة ٤٦٢ في عسكر كثيف نحو بلاد الشام ونزل على منبج فنهبها وقتل أهلها فتصدى له محمود ولكنه مني امامه بالهزيمة . وكانت غزوة الروم خاطفة حيث لم يلبثوا ان قفلوا عائدين . وهذه الغزوة لم يذكرها ابن الاثير [١] . كذلك مما رواه ان الب ارسلان قصد الغرب ــ وهذا التعبير كان يطلق على ما يقع غرب بغداد او غرب العراق ــ فجاء الى ديار بكر ثم الى أمد ثم الى الرها ثم الى حلب . وكان الولاة يخرجون اليه ويقدمون له الهدايا والولاء . ولما عسكر خارج حلب ارسل الى محمود ليحضر اليه فاستعفاه وقال أنا أقيم الخطبة للقائم فقال وكم تسوي الخطبة وهم يؤذنون حي على العمل ــ شعار الشيعة او الفاطميين ــ ولا بد ان تأتي فامتنع واغلق الابواب فشدد الب ارسلان الحصار على المدينة حتى غلت الاسعار واشتد الضيق مما اضطر محمودا الى الخروج الى السلطان ومعه أمه منيعة بنت وثاب النميري فدخلا عليه وقالت أمه هذا محمود فاصنع ما تراه . فتلقاهما الب ارسلان بالجميل وخلع عليه وانفذ محمود اليه مالا كثيرا .

وهذا مما لم يروه ابن الاثير أيضا [٢] .

وقد مات محمود عام ٤٦٨ وكان شجاعا كريما يقصده الشعراء

---

(١) و (٢) ان الجزء الاول الذي نشر من كتاب زبدة في تاريخ حلب لابن العديم ينتهي قبل هذه الوقائع التي يرويها الطباخ ولا يذكر الطباخ مصدرها .

ثم غلب عليه الشح حتى صار يضرب به المثل • وهذا لم يذكره المؤرخان القديمان المذكوران كذلك •

وقد وصى بخلافته لابن له صغير اسمه شبيب فلم ينفذ اصحابه وصيته وملكوا ابنه الاكبر نصر • وامه بنت الملك العزيز جلال الدين ابن بويه • ولعل صرف محمود الولاية عنه بسبب زوال ملك بني بويه وقيام ملك السلاجقة على انقاضهم • وكان نصر مدمنا للخمر • وقد مات في السنة التي تولى فيها • فانه سكر وخرج على التركمان يريد قتالهم فرشقه احدهم بسهم كان فيه منيته •

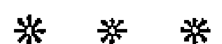
ومما رواه الطباخ دون ابن الاثير انه غزا منبج واستردها من الروم الذين كانوا استولوا عليها في غزوة من غزواتهم •

وتولى الحكم من بعده أخوه سابق • وكان ملكشاه بن الب ارسلان الذي تولى بعد ابيه سنة ٤٦٥ أقطع أخاه تتش دمشق وما يفتحه من البلاد فجاء الى حلب وحاصرها في عهد سابق هذا ثم انصرف عنها لدفع الفاطميين الذين غزوا في هذا الظرف بلاد الشام بقيادة امير الجيوش بدر الجمالي •

وفي سنة ٤٧٢ كتب شرف الدولة بن مسلم امير الموصل الى ملكشاه يطلب منه حكم حلب مقابل ٣٠٠٠٠٠ دينار يحملها اليه سنويا فقبل منه وكتب له توقيعا بحلب فجاء اليها سنة ٤٧٣ • ويظهر ان سابقا رأى نفسه عاجزا عن رده فاتفق معه على اقطاع بعشرين الف دينار مقابل تخليه له عنها • غير ان أخا لسابق اسمه وثاب لم يرض بما تم فدخل القلعة وتحصن فيها حتى ارضاه هو الآخر باقطاع مثل أخيه فكان ذلك نهاية الدولة المرداسية •

ومن الجدير بالذكر ان مركز قبيلة بني كلاب بقي قويا بعد هذه

الدولة على ما يستفاد مما رواه القلقشندي في الجزء الرابع من صبح الاعشى (ص ٢٣١ ـــ ٢٣٢) نقلا عن مسالك الابصار حيث قال انهم كانوا عرب اطراف حلب والروم وكان لهم غزوات وغارات عظيمة على الروم ، وكانوا يكثرون من سبي بناتهم وابنائهم ويبيعونهم وانهم من أشد العرب بأسا • ولأفراط نكايتهم في الروم صنفت السيرة ـــ القصة ـــ المعروفة (بدلهمة والبطال) والمنسوبة اليهم • وقد ظهروا في زمن الملك الكامل الايوبي (٦١٦ ـــ ٦٣٥) على آل ربيعة امراء طي • لان هذا الملك طلب من ماتع بن حديثة جمالا يحمل عليها غلالا فاحتج بغيبة جماله وكان بعض بني كلاب حاضرين فتكفلوا له بحاجته ووفوها فحقد على ماتع وعظم قدر بني كلاب لديه • وظل امرهم قويا وجانبهم محترما بعد الدولة الايوبية أي بعد سنة ٦٥١ حيث كانوا موضع رعاية الناصر بن محمد القلاووني ملك دولة مماليك الترك (٦٩٤ ـــ ٧٤١) هـ •



(٣) بنو المسيب

— ١ —

وشرف الدولة الذي استولى على حلب من بني مرداس هو « ابو المكارم مسلم بن ابي المعالي قريش بن ابي كامل بركة بن ابي المنيع قرواش بن ابي الزواد محمد بن المسيب امير بني عقيل [١] » • وقد قال القلقشندي في صبح الاعشى عن هذه القبيلة انها جاءت من البحرين الى العراق ثم الى جزيرة الفرات وانها كانت من أعظم قبائلها •

وينعت بعض المؤرخين هذه الاسرة ببني المقلد ايضا نسبة الى جد المسيب فهو بن رافع بن المقلد [٢] •

ولقد قامت دولة بني المسيب في أواخر القرن الرابع الهجري في بعض انحاء جزيرة الفرات وفي أواخر عهد دولة بني حمدان في الموصل وقد ورثت هذه الدولة ثم ورثت دولتهم في حلب • واستمر نشاطها نحو مئة عام ونيفا وكانت تندمج في حركات المتغلبين التي كانت تقع على مسرح الخلافة العباسية وفي حركة النزاع والصيال بين هذه الخلافة والخلافة الفاطمية ايضا •

وقد شهدت حقبة تغلب البويهيين وبعض حقبة تغلب السلجوقيين •

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٦ •

(٢) ابو الفداء ج ٢ ص ١٢٧ •

وتألق نجمها في بعض ادوارها وان لم يكن لها من المواقف النضالية الخارجية ما كان للدولة الحمدانية •

ونقول هنا ما قلناه في صدد الدولة الحمدانية • فان مكان بروز بني المسيب الاول كان منطقة الموصل • غير اننا سلكنا سيرة امارتهم في هذا الفصل دون فصل الامارات العربية في العراق لان سلطانهم امتد الى حلب وانحاء الشام الشمالية بدورهم •

– ٢ –

وأول من ذكر التاريخ بروزه منهم في مجال الحكم والسلطان ابو الزواد • فقد استنصره ابو عبد الله وابو طاهر الحمدانيان ملكا الموصل سنة ٣٨٠ على باذ الكردي فلباهما على شرط ان يكون له حكم نصيبين وجزيرة بني عمر ويلدا وغيرهما مما يقع في حيزها فقبلوا شرطه وملك تتيجة لذلك البلاد المذكورة حسب شرطه [١] ، فكان ذلك بداية دولة بني المسيب التي لم تلبث ان اتسعت في عهد ابي الزواد نفسه تتيجة لاستيلائه في سنة ٣٨١ على الموصل واعمالها على ما شرحناه في سيرة بني حمدان • ثم ازدادت رقعتها اتساعا باستيلاء شرف الدولة على حلب وما والاها فورثت دولتي بني حمدا وبني مرداس وشمل سلطانها جميع ما كان يشمله سلطان الدولتين ولمعت لمعانا قويا امتد نحو قرن ونيفا (٣٨٠ ــ ٤٨٩) وكان لملوكها الوزراء والحجاب والابهة والالقاب الملوكية كما كان بلاطهم مقصد الشعراء والادباء ••

ولقد كتب ابو الزواد بعد ملكه الموصل الى الملك البويهي بهاء

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٤ ــ ٢٦ •

الدولة المتغلب على بغداد فأقره وارسل اليه بناء على طلبه قائدا من قواده ليكون الى جانبه •

على ان بهاء الدولة سير حملة في أواخر سنة ٣٨١ بقيادة قائد اسمه الحجاج على الموصل وملكها عنوة حيث يبدو من هذا انه ندم على اقراره لملك ابي الزواد للموصل • ولكن هذا جمع قبيلته وأخذ يشتبك مع الحملة مما اضطر قائدها الى الاستنجاد من ملكه الذي امده بمدد على رأسه وزير له وكتب للحجاج بالقبض على الوزير • وشعر هـذا بالخطر فبادر الى مفاوضة ابي الزواد وعقد معه صلحا وعاد الى بغداد[1] فرجع ابو الزواد الى حكم الموصل كما كان •

ومات ابو الزواد سنة ٣٨٦ فاتفق شيوخ القبيلة على ان يخلفه أخ له اسمه علي • غير ان أخا آخر له اسمه المقلد نازعه الحكم واتصل ببهاء الدولة وضمن له الموصل بالفي الفي درهم سنويا فقبل منه وفوضها اليه • وحينئذ دخل الموصل وفرض نفسه عليها ثم استقر الامر بينه وبين أخيه على أن يكون الحكم والخطبة لهما بالشراكة مع تقديم اسم علي لانه الاكبر [2] •

وكان المقلد يتولى بتفويض من بهاء الدولة حماية غربي الفرات من ارض العراق أيضا • وكان له نائب في بغداد • فجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة فكتب الى المقلد فانحدر هذا في عساكره الى بغداد وقاتل أصحاب بهاء الدولة وهزمهم ثم كتب الى بهاء الدولة يعتذر له وكان هذا مشغولا بحرب مع أخيه الذي كان ينازعه الحكم فقبل اعتذاره • واستقر الامر بين المقلد وبهاء الدولة على ان يحمل المقلد

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٣٢ •

(٢) المصدر نفسه ص ٤٣ •

الى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار ولا يأخذ من البلاد الا رسم الحماية ويكون له الموصل والكوفة والقصر والجامعين ويلقب بلقب حسام الدولة وقد استقبله القادر بالله الخليفة العباسي وأيد ما استقر عليه الامر بينه وبين بهاء الدولة فعظم قدره [1] .

ثم حدثته نفسه بالاستئثار بالحكم دون اخيه . فقبض عليه بحيلة وارسل الى زوجته بأخذ ولديه قرواش وبدران واللحاق بتكريت ففعلت. واخذ يستدعي رؤساء العرب ويخلع عليهم ويتألفهم . وكان له أخ ثالث اسمه الحسن حنق على المقلد واخذ يستنفر الناس ضده حتى اجتمع عليه نحو عشرة آلاف فارسل الى المقلد يؤذنه بالحرب فسار اليه . ثم تدخل شيوخ القبيلة واخت للامراء اسمها رهيلة وتمكنوا من منع القتال وحمل المقلد على اطلاق أخيه ورد ماله اليه والتحالف معه عودا على بدء . وعاد علي الى حلته . وتجهز المقلد للمسير الى ابي الحسن علي بن مزيد الاسدي لانه تظاهر مع أخيه ضده . واغتنم بعض خصوم المقلد غيابه فحرضوا عليا عليه وساروا معه الى الموصل فاستولى عليها . وعاد المقلد حنقا مغيظا ، وحاول علي واخوه الحسن افساد قواد المقلد فاخفقت محاولتهما ، فلما وصل الى الموصل خرجا اليه وصالحاه ثم خافا منه وهربا وترادت الرسل بينهم وانتهى الى الصلح ثانية على دخل . وظل الاخوة حذرين من بعضهم الى سنة ٣٩٠ حيث مات علي فاستتب الامر للمقلد . وهرب الحسن الى العراق ثم الى البطيحة فتوسط اميرها واصلح بين الاخين [2] .

وفي سنة ٣٩١ اغتال المقلد بعض غلمانه من الترك فتولى الحكم ابنه الاكبر قرواش الذي عرف بلقب معتمد الدولة ابي المنيع وحاول

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٤٤ .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ٤٣ ـ ٤٧ .

عمه الحسن منازعته ولكن شيوخ القبيلة تدخلوا واصلحوا بين العم وابن اخيه واستتب الحكم للثاني .

وقد طمع قرواش في مد حكمه الى الكوفة وما يليها التي كانت لبني خفاجة . فنشب بينه وبينهم صيال تكررت وقائعه . ولقد غزا الكوفة في سنة ٣٩١ فاوقع في بني خفاجة وقعة شديدة [١] . وكانت هذه الغزوة بدء المصاولة بينهما . وقد نجح مرة بعد أخرى في مد سلطانه الى الكوفة ومنازل بني خفاجة . وكان الخفاجيون احيانا يتضامنون مع غيرهم ضده فينتصرون عليه وينتقصون من اطراف مملكته .

وقد طمع كذلك في مد سلطانه الى المدائن فسير حملة حاصرتها فسير ابو الحجاج وزير بها الدولة البويهي المتغلب جيشا فتمكن من فك الحصار عن المدينة . واجتمع بنو عقيل وبنو اسد بقيادة ابي الحسن بن مزيد الاسدي فقويت شوكتهم فخرج اليهم الحجاج واستنجد بخفاجة ولكن الدائرة دارت على الحجاج وبني خفاجة فاستبيح عسكرهم وأسر منهم خلق كثير ، وهيأ الحجاج جيشا جديدا والتقى ببني عقيل وبن يأسد في نواحي الكوفة ودارت رحى معركة شديدة بينهم كتبت الهزيمة فيها على هؤلاء وقتل منهم وأسر خلق كثير . ثم سار الحجاج الى حلل ابن مزيد فاوقع فيها ونهبها [٢] .

وسياق ابن الاثير الذي يروي هذ هالاحداث يدل على أن المدائن خلصت من حصار حملة قرواش غير انه ذكر اسمها في حوادث سنة ٤٠١

---

(١) ص : ٥٧ .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ٥٩ .

في جملة ما كان تحت حكمه ، مما يفيد انه استولى عليها في وقعة أخرى له يسجلها المؤرخ [1] .

ولقد كان بين قواد الديلم والاسرة البويهية نزاع تنافس كان يؤدي الى حروب ودسائس بينهم . فالظاهر ان ذلك مما اطمع قرواشا وجعله ينشط لتوسيع رقعة سلطانه .

ولقد استطاع امراء بني خفاجة ان يتفلتوا من سلطان قرواش فعاد اليهم ثانية سنة ٣٩٥ في جمع كبير ودخل الكوفة وكان اميرها الخفاجي ابو علي بن ثمال غائبا فلما عاد اشتبك معه في معركة شديدة دارت الدائرة فيها على قرواش فعاد مهزوما [2] . غير أنه تمكن بعد ذلك من بسط سلطانه على الكوفة حيث ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٠١ اسمها في جملة ما كان تحت حكمه [3] .

ومما رواه ابن الاثير ان قرواشا خطب في سنة ٤٠١ للخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله في جميع أعماله التي كانت تشمل الموصل والانبار والمدائن والكوفة وغيرها ، وان القاضي العباسي وانصار العباسيين غادروا حينئذ الكوفة الى بغداد ، وان بهاء الدولة البويهي أمر قائد جيوشه بالمسير الى حرب قرواش وسار هذا فعلا . وحينئذ أرسل قرواش يعتذر عن عمله وقطع الخطبة الفاطمية واعاد الخطبة العباسية [4] . ومما لا ريب فيه ان هذا كان أثرا من آثار التنافس الذي كان مشتدا بين العباسيين والفاطميين والذي كان يندمج فيه أمراء العرب في بلاد الشام والجزيرة . وفي سيرة الاسرتين السابقتين صور عديدة من ذلك .

---

(١) ص ٧٦ .

(٢) ص ٦٨ .

(٣) ص ٧٦ .

(٤) ابن الاثير ج ٩ ص ٧٦ .

ومما رواه ابن الاثير كذلك انه اجتمع في سنة ٤٠١ غريب بن معن أمير بني شيبان ودبيس بن علي بن مزيد أمير بني أسد على حـرب قرواش ووافاهم عسكر من بغداد ، وان معركة حامية نشبت بينهم وبـين قرواش عند كرخ سر من رأى وتمكن الحلفاء من هزيمة جيش قرواش واسره بالذات ونهب خزائنه واثقاله والاستيلاء على تكريت التي كانت من أعماله [١] . وقد يفيد هذا الخبر ان مطامح قرواش ونشاطـه قد أثارا أمراء العرب كما أثارا بغداد فتحالفوا ضده لايقافه عند حده . وقد ذكر ابن الاثير في سياق ذلك ان قرواشا خلص من الاسر وقصد سلطان ابن الحسن بن ثمال أمير خفاجة وتحالف معه فسار اليهم جماعة من الترك واشتبكوا معهم غربي الفرات فانهزم قرواش وسلطان . وتتيجة لذلك أخذ نواب بهاء الدولة يمدون أيديهم الى اعمال قرواش مما جعلـه يسأل الملك البويهي الصفح ويبذل له الطاعة والولاء .

وفي سياق حوادث سنة ٤١٧ روى ابن الاثير ان دبيس بن مزيـد الاسدي وابا الفتيان منيع الخفاجي جمعا عشائرهما وغيرها وانضاف اليهم عسكر من بغداد وساروا لقتال قرواش ، وكان سبب ذلك ان بني خفاجة تعرضوا للسواد الذي تحت يد قرواش فانحدر اليهم فاستعانوا بدبيس وبغداد والتقوا معه في ظاهر الكوفة واشتبكوا اشتباكا خفيفـا ثم شعر قرواش أن لا طاقة له فانسحب منهزما الى الانبار فتبعوه فغادرها الى حلله فاكتفوا بالاستيلاء على الانبار ثم تفرقوا [٢] .

وهكذا عاد العداء ثانية بين قرواش وبني خفاجة الى جانب العداء الذي كان بينه وبين أمراء بني أسد ، وقد رأى الملك البويهي الفرصة

---

(١) ص ١١١ .

(٢) ابن الاثير ج ١ ص ١٢١ — ١٢٢ .

سانحة فعاضدهم للحد من اطماع قرواش ونشاطه ، ولا دامة الشقاق بين أمراء العرب حتى لا يجتمعوا عليه !

ومما رواه ابن الاثير ان قلوب الجند تحولت عن عنبر الذي كان صاحب الكلمة النافذة في الدولة البويهية فصعد الى الموصل ملتجأ الى قرواش حيث يدل هذا على ان قرواش كان يعتبر جبهة مضادة للملك البويهي الذي كان يبذل جهده لتكوين جبهة ضده ينضوي فيها امراء العرب • وقد ذكر ابن الاثير في السياق نفسه ان نجدة الدولة بن قراد ورافعا بن الحسين وبدرانا أخا قرواش جمعوا جمعا كبيرا وساروا يريدون حرب قرواش • وجمع قرواش لما علم بذلك جموعه واستمد من ابن مروان الكردي صاحب ديار بكر حتى بلغ ما حشده ثلاثة عشر الفا والتقى بهم واقتتلوا وثبت بعضهم لبعضهم ، وكان مع قرواش غريب بن معن أمير بني شيبان فقصده بن قراد واعتنقه وصالحه وفعل بدران باخيه كذلك فتم الصلح بين الجميع [1] •

ولا يبعد ان تكون هذه الحركة أثرا من آثار ذلك التناظر القائم بين الملك البويهي وأمراء العرب وبين قرواش ، وان الجبهة المضادة له أرادت أن توقع الفتنة بين أمراء الاسرة لمقلدية نفسها زيادة في الكيد والتوهين •

ومما رواه ابن الاثير بعد ذلك ان منيعا أمير بني خفاجة سار الى الجامعين وهي لدبيس أمير بني أسد فنهبها ــ مع ان الاميرين كانا حليفين ضد قرواش ــ فسار دبيس في طلبه الى الكوفة ففارقها الى الانبار وغلب أهلها عليها ونهبها واحرق أسواقها ، وانحدر اليه قرواش فغادر منيع الانبار فدخلها قرواش ثم رحل عنها لمرض ألم به دون ان

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ١٤٠ •

يطارد منيعا ، فأثار هذا طمع بني خفاجة فعادوا الى الانبار ثانية . وتحالف قرواش مع دبيس وزحفوا على خفاجة في عشرة آلاف مقاتل وكان بنو خفاجة في الف مقاتل غير انهم صمدوا للعدد العظيم الذي جاءهم ، مما اضطر قرواش الى الانسحاب الى الانبار . وسار منيع الى كاليجار البويهي الذي صار له الملك فبذل له الولاء والطاعة فخلع عليه وعاد الى الكوفة فخطب له فيها وأزال حكم قرواش ويده عن شقي الفرات ...

وفي السياق الذي سرده ابن الاثير في حوادث سنة ٤١٧ صورة لما كان عليه امراء الجزيرة من تناظر وتنافس كان العدو ينقلب فيهما الى حليف والحليف الى عدو ، وكانت اصبع البويهيين تلعب فيهم ليظل التناظر والتنافس والتضاد مستمرا كما هو المتبادر .

ومن هذا الباب ما رواه ابن الاثير في حوادث سنة ٤٢١ من خبر خلاف وقتال بين غريب بن معن وقرواش مع انهما كانا حليفين ، وكان سبب ذلك ان غريبا جمع جمعا من العرب والكرد وأمده جلال الدولة البويهي الذي صار اليه الملك فسار الى تكريت وحصرها وهي من أعمال قرواش وكان يليها ابو المسيب رافع بن الحسين من آل المقلد فانحدر قرواش والتقى بالزاحفين ونشب بينه وبينهم القتال ، وغدر بغريب بعض الذين معه ونهبوا سواده وسواد الجند البويهي فأدى ذلك الى اخفاق الزحف وهزيمة الزاحفين وتبعهم قرواش ورافع ثم كفوا عنهم ولم يلبثوا أن تراسلوا واصطلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه من وفاق .

وسكت ابن الاثير عن ذكر قرواش الى سنة ٤٣١ باستثناء مرة ذكره فيها ذكرا عابرا في حوادث سنة ٤٢٦ حيث ذكر استمداد ابن مروان منه ضد ابن وثاب النميري لدفع عدوان هذا عليه . ثم ذكره في حوادث

سنة ٤٣٢ حيث روي ان قرواشا كان أنفذ عسكرا سنة ٤٣١ على خميس ابن ثعلب في تكريت وجرت بين الطرفين وقعة شديدة فارسل خميس الى جلال الدولة وبذل له بذلا كثيرا ليكف عنه قرواش فطلب جلال من هذا الكف فلم يفعل وسار بنفسه ونزل على خميس وحاصره بل ومضى في تحدي جلال الدولة أكثر من حيث أرسل كتبا الى الترك في بغداد يحرضهم عليه ، فأدى ذلك الى استحكام العداء بينهما . وجمع جلال الدولة العساكر وسار الى الانبار وكانت في حكم قرواش فاغلقت الابواب دونه وقاتله أصحاب قرواش . وفي هذه الاثناء اختلفت عقيل على قرواش فراسل جلال الدولة وطلب رضاءه وبذل له بذلا أصلحه به وعاد الى طاعته وتحالف معه (١) .

واصبح البويهيين ظاهرة في هذه الحادثة والتي قبلها ...

وفي سنة ٤٣٣ طرأ جماعات من الترك الغز من أذربيجان على منطقة ديار بكر نتيجة لحركات ونشاط الامراء السلاجقة الذين تغلبوا فيما بعد على سلطان بغداد فاخذ ينشب بينهم وبين أمراء العرب في الجزيرة نزاع تدخل فيه قرواش الذي سير جيشا كثيفا اليهم واشتبك معهم في قتال شديد دون ما نتيجة حاسمة . وظل الغز يعيثون في ارض الجزيرة فبذل قرواش لهم ثلاثة آلاف دينار لينصرفوا عن الموصل فأبوا الا خمسة عشر الفا . ومع انه قبل طلبهم وأخذ يهيىء المال فانهم زحفوا على الموصل فخرج اليهم وقاتلهم أول يوم وثاني يوم وفي اليوم الثالث تغلب الغز عليه فانهزم من الموصل فدخلها الغز ونهبوا منها نهبا كثيرا واخذوا مالقرواش من مال وجوهر وحلي وثياب واثاث وصنعوا باهل البلد الافعال الشنيعة من قتل وهتك عرض ونهب وظلوا اثني

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ١٦٩ .

عشر يوما يعيثون في الموصل وما يليها • وراسل قرواش اصحاب الاطراف مستنجدا فلباه دبيس بن مزيد وكافة عقيل فسار بهم الى الموصل واشتبك مع الغز في معركة كان النصر في أولها للغز ثم أنزل الله نصره على العرب فانهزم الغز (والعبارة لابن الاثير) واخذهم السيف وكثر القتل فيهم وملك العرب حللهم واموالهم وكفى الله أهل الموصل شرهم وتبعهم قرواش الى نصيبين ثم عاد وكتب الى الاطراف يبشر بالظفر [١] •

ثم سكت ابن الاثير عن قرواش الى سنة ٤٣٩ حيث ذكره في سياق منازعات محلية بين الاكراد الحميدية والاكراد الهدبانية الذين كانوا ينزلون في المنطقة والذين كانت لهم فيها حصون وقلاع خاصة ، حيث أدت تلك المنازعات الى وحشة وقطيعة بين قرواش وبينهم [٢] •

ثم ذكره في حوادث سنتي ٤٤٠ و ٤٤١ في سياق خبر الوحشة التي قامت بينه وبين اخيه زعيم الدولة ابي كامل • وقد انضم قريش بن بدران في هذا الموقف الى قرواش وجمع جمعا قاتل به عمه ابا كامل وهزمه ثم أخذ يحرض عمه قرواشا حتى تفاقم الشر بين الاخوين وجمع كل منهما جموعه وسار الى قتال اخيه وانضم الى قرواش ابن مروان صاحب ديار بكر وبعض زعماء الاكراد الحميدية وساروا الى معلثاريا الخاصة بابي كامل فنهبوها ثم افترق ابن مروان والاكراد عن قرواش فضعف فقصده ابو كامل واعتقله وانفذه الى الموصل محجورا عليه واصبح السلطان لابي كامل •

وما لبث أن أخذ أمراء العرب يكلفونه بما يعجز عنه فبادر الى أخيه يعتذر اليه ويصطلح معه ويطلب منه العودة الى الحكم • وقبل

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ١٣٤ — ١٣٦ •

(٢) ص ١٨٩ •

قرواش الطلب على ان يكون ابو كامل شريكا له ومشيرا [1] .

ومما ذكره ابن الاثير في حوادث السنة نفسها ان جمعا من عقيل ساروا بقيادة ابي كامل الى بادوريا من بلاد العجم من اعمال العراق فنهبوها وكانت من اقطاع البساسيري ـ الذي وصفه ابو الفداء بانه كبير الترك في بغداد والذي صارت له الوزارة ثم تحول الى الدعوة الفاطمية ـ ، وكان هذا غائبا في بلاد فارس فلما رجع سار اليهم وقاتلهم ولكن القتال لم يسفر عن نتيجة حاسمة لاحد الطرفين . على ان البساسيري لم يلبث ان زحف على الانبار التي كانت في حكم قرواش فملكها وكان ضلع أهلها معه لانهم كانوا مستائين من سيرة قرواش فيهم [2] .

وفي سنة ٤٤٢ إستولى زعيم الدولة ابو كامل بركة بن المقلد على أخيه قرواش وحجر عليه ومنعه من التصرف . وكان سبب ذلك ان قرواشا أنف من تحكم أخيه في البلاد حتى غدا ولا حكم له فعزم على الانحدار الى بغداد . ومفارقة أخيه وخرج فعلا من الموصل فشق ذلك على ابي كامل وارسل اليه نفرا من أصحابه يقنعونه بالعودة وجمع الكلمة ويحذرونه من الخلاف فامتنع اولا ثم أجابهم على شرط ان يسكن دار الامارة في الموصل فلما قارب حلة أخيه أنزله عنده وجعل عليه من يمنعه من التصرف على اختياره ، فغدا ابو كامل صاحب السلطان رسميا [3] . غير ان الامر لم يطل له حيث توفي سنة ٤٤٣ واجتمعت كلمة العرب على تأمير علم الدين ابي المعالي قريش بن بدران بن المقلد . وارسل هذا الى عمه قرواش يعلمه بالامر ويقول له انه يقوم بالحكم

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٢) ص ١٩١ .

(٣) ابن الاثير ج ٩ ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

نيابة عنه . وحاول قرواش ان يرفض ما تم ولكن العرب أيدوا قريشا فاستقرت الامارة له . وحينئذ نقل عمه الى قلعة الجراحية من أعمال الموصل واعتقله فيها ولم يلبث أن توفي سنة ٤٤٤[١] بعد حكم وعمر طويلين حفلا بالنشاط والاحداث الهامة .

وكان قرواش شاعرا ومن شعره المروي الابيات المشهورة :

لله در النائبات فانها صدأ النفوس وصيقل الاحرار
ما كنت الا بذرة فطبعنني سيفا واطلق شفرتي وغراري

ومن ذلك :

من كان يحمد او يذم مورثا للمال من آبائه وجدوده
اني امرء لله اشكر وحده شكرا كثيرا جالبا لمزيده
لي اشقر سمح العنان مغاور يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومهند عضب اذا جردته خلت البروق تموج في تجريده
ومثقف لون السنان كأنما أم المنايا ركبت في عوده
وبذا حويت المال الا انني سلطت جود يدي على تبديده

ومن طرائف ما يروى عنه انه جمع بن اختين في نكاحه فقيل له ان الشريعة لا تجيز هذا فقال وأي شيء عندنا تجيزه الشريعة ، وانه قال مرة ما في رقبتي غير خمسة او ستة من البادية وأما الحاضرة فلا يعبأ الله بهم[٢] .

وفي السنة التالية لامارة قريش نشب خلاف بينه وبين أخ له اسمه

---

(١) ص ٢٠٣ .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٠٣ .

المقلد فسار هذا الى نور الدولة دبيس بن مزيد لاجئا واحنق عملـه أخاه فنهب حلته •

ولقد اختلف العرب على قريش وامتدت ايدي نواب الملك البويهي عبد الرحيم الى سواده في العراق غير انه استطاع ان يتلافى اموره عقب وفاة عمه حيث استمال العرب فاذعنوا له وحيث راسل الملك البويهي وبذل له الطاعة فاصطلح امره معه (١) •

وفي سنة ٤٤٦ استولى قريش على الانبار التي كان البساسيري قد استردها ونهب ما كان له فيها من اموال كما نهب حلل أصحابه • فسار البساسيري من بغداد وحاصر الانبار ونصب عليها المجانيق ورشقها بالنفط وتمكن في النهاية من دخولها عنوة وأسر خمسائة من أهلهـا • ثم زحف سنة ٤٤٧ ومعه دبيس بن مزيد وقطلمش بن عم الملك السلجوقي طغرل بك الذي غلب البويهيين وفرض سلطانه على بغداد فزحف علـى الموصل وجرت معركة شديدة بينه وبين قريش ، فكتبت الهزيمة فيها على هذا وجرح • ثم سار البساسيري الى الموصل فدخلها وخطب فيهـا للخليفة الفاطمي المستنصر بالله نتيجة لوحشة وخلاف قام بينه وبـين الخليفة العباسي القائم بامر الله جعلته يكاتب الخليفة الفاطمي ويبذل له الولاء باسمه وباسم دبيس • وقد سارع الخليفة الفاطمي بارسال الخلع لهما ولزعماء العرب الآخرين الذين كانوا متضامنين معهمـا • وقد دخل قريش معهما في الولاء والطاعة للفاطميين (٢) •

ولقد كان البويهيون يتشيعون وكانت الشيعية قد توطدت فـي الشام والجزيرة نتيجة لامتداد سلطان الفاطميين اليهما على مـا ذكرناه

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٠٣ •

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ •

قبل ، وكان السلاجقة سنيين فمن المحتمل أن يكون أمراء العرب اندجموا مع البساسيري مع حركة الطاعة للخليفة الفاطمي تأثرا بذلك .

وخرج طغرل بك سنة ٤٤٨ بعسكره للتنكيل بالبساسيري ومن تضامن معه من أمراء العرب في الولاء للفاطميين فحصر أولا تكريت وكان صاحبها نصر بن علي بن خميس فسارع الى رفع العلم الاسود وبذل المال للملك فقبل منه ثم سير جندا مع قائد له اسمه هزارسب الى الموصل . وظفر في طريقه بجماعة من العرب فقتل بعضهم وأسر بعضهم فأرسل اليه دبيس وقريش يعتذران ويسألانه العفو والتوسط مع السلطان فلباهما وقبل السلطان عذرهما دون البساسيري ، وطلب حضورهما اليه فخافا وارسلا رسولين فانزلهما طغرل بك منزلا كريما وأكرمهما وكتب توقيعا باقرار كل من دبيس وقريش على ما في أيديهما . وكان في يد قريش نهر الملك وبادوريا والانبار وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا واونا وتكريت والموصل ونصيبين [1] .

وبعد ان فرغ طغرل بك من أمراء العرب في الجزيرة سار الى ديار بكر . وفي هذه الاثناء جاء أخوه ابراهيم ينال الى المعسكر في الجزيرة وقال لنائب أخيه من هؤلاء العرب حتى يكونوا نظراء للسلطان ونصلح بينهم فاجابه مع حضورك يكون ما تريد فانت نائب السلطان . وحينئذ أرسل القائد الذي توسط في الصلح بين السلطان وأمراء العرب خبرا الى قريش ودبيس يحذرهما . فسار قريش من جبل سنجار الى الرحبة ومعه ابنه مسلم وأقاما عند البساسيري الذي كان معتصما فيها وسلم السلطان الموصل وبقية البلاد الى أخيه ابراهيم . وكان ذلك في سنة ٤٤٩ [2] .

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٢١٩ .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

وفي سنة ٤٥٠ فارق ابراهيم الموصل ورحل الى بلاد الجبل في فارس فقصد البساسيري وقريش الموصل وحاصراها وملكاها . وخرج السلطان اليهما في جريدة فتركا الموصل فتبعهما الى نصيبين . وفي هذه الاثناء أعلن ابراهيم ينال تمرده على اخيه في همذان فانصرف السلطان الى معالجة حركته . واغتنم البساسيري الفرصة فزحف هو وقريش على بغداد واستولوا على بعض اقسامها وخطب في جامع المنصور للمستنصر الفاطمي وأمر باضافة « حي على العمل » الى الآذان . وتصدى لهما وكلاء السلطان ولكنهما تغلبا عليهم فاضطربت الحالة في بغداد ووقع فيها النهب ووصل النهب الى الى قصر الخليفة . فركب هذا ومعه رئيس الرؤساء الى الجهة التي كان يعسكر فيها قريش . ونادى رئيس الرؤساء قريشا قائلا له « ان أمير المؤمنين يستذم منك على نفسه وأهله وأصحابه بذمام الله ورسوله وذمام العربية » فاجابه : « أذمه الله » وخلع قلنسوته وأعطاها الخليفة وأعطى مخصرته لرئيس الرؤساء ذماما فاطمئنا ونزلا اليه . وأرسل اليه البساسيري يعاتبه على ما فعل لانهما اتفقا على المشاركة في ما يقع لهما ثم اتفقا على أن يبقى الخليفة عند قريش ويسلم رئيس الرؤساء للبساسيري . وقد سلم قريش الخليفة ومعه زوجته الى ابن عمه مهارش فسار بهما الى بلدة حديثة عانه . وشنق البساسيري رئيس الرؤساء . وتم استيلاؤه على بغداد ثم سار منها الى واسط ثم الى البصرة فملكهما وخطب للخليفة الفاطمي فيهما [1] .

وظل الامر على هذا الى أن تمكن طغرل بك من قمع حركة أخيه وأسره وخنقه . وكان همه اعادة الخليفة فارسل الى البساسيري وقريش يطلب اعادة الخليفة الى داره على أن يدخل هو العراق ويقنع

---

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٢٣ — ٢٢٦ .

بالخطبة والسكة فلم يجبه البساسيري الى ذلك وحينئذ زحف على العراق فاضطربت الامور على البساسيري ووقعت الفوضى والنهب في بغداد فخرج البساسيري منها بعد أن أقام بها نحو سنة كاملة (من ذي القعدة سنة ٤٥٠ الى ذي القعدة ٤٥١) ودخلها طغرل بك وارسل الى قريش رسولا يشكره على ما فعله بالخليفة وانحدر مهارش بالخليفة الى بغداد حيث استقبل بحفاوة عظيمة حتى ان السلطان وقف مكان الحاجب وأخذ بلجام بغلة الخليفة حينما وصل (١) .

ثم ارسل حملة لتعقب البساسيري الذي اتجه نحو الكوفة قاصدا النجاة للشام والتقت به في الطريق وكانت جولة بينها وبينه قتل فيها . وسيق جميع ما كان معه من اموال واثقال ونساء الى بغداد (٢) .

وكان صنيع قريش مع الخليفة سببا لتمكينه في ولايته وارتفاع اعتباره عند الخليفة والسلطان .

وفي سنة ٤٥٣ توفي قريش فحل محله ابنه مسلم باتفاق شيوخ عقيل . وفي سنة ٤٥٦ توفي طغرل بك وحل مكانه ابنه الب ارسلان . وقد ذكر ابن الاثير في سياق هذا الخبر انه كتب الى مسلم من ديوان الخليفة ليحضر الى بغداد فيمن كتب اليهم من أمراء الاطراف ، وان وزير السلطان استقبله حينما قدم وأنزل بالحريم الطاهري وخلع الخليفة عليه ولقبه بشرف الدولة ، وانه لما عاد انحدر اليه نور الدولة دبيس بن مزيد فاقام له سماطا كبير وخلع عليه وعلى ابنه (٣) .

ومما ذكره ابن الاثير في سياق حوادث سنة ٤٦٠ خبر حرب وقعت بين مسلم وبني كلاب في الرحبة وكانوا في حكم الفاطميين فكسرهم واخذ

---

(١) ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

(٣) ابن الاثير ج ١٠ ص ٩ — ١٩ .

أثقالهم وأرسل ما وجده عندهم من اعلام فاطمية الى بغداد فارسل الخليفة اليه خلعا جديدة وعلت مكانته في الدولة حتى انه تزوج سنة ٤٦٢ باخت السلطان [١] .

وسكت ابن الاثير عنه الى سنة ٤٧٢ حيث ذكر خبر استيلائه على حلب التي كانت حينئذ تحت حكم سابق بن محمود بن نصر المرداسي ، ومما ذكره في سياق ذلك ان تاج الدولة تتش اخو السلطان ملكشاه الذي كان انتقل الملك اليه من ابيه الب ارسلان كان حاصر حلب مرة بعد مرة فاعياه فتحها ورأى أهلها الذين أزعجهم ذلك أن يستدعوا شرف الدولة ليسلموها اليه فجاء وتمكن من أخذها من سابق ووثاب ابني محمود بن نصر ثم انفذ الى السلطان يخبره بذلك وانفذ اليه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمانها وسأله أن يقرر عليه الضمان فاجابه الى ما طلب . وفي سنة ٤٧٤ استولى على مدينة حران من بني وثاب النميريين ودخل صاحب امرها في طاعته ونقش السكة باسمه . وهكذا اتسع نطاق المملكة في عهد شرف الدولة اتساعا عظيما [٢] .

وقد طمع في حكم دمشق ايضا حيث ذكر ابن الاثير في سياق حوادث سنة ٤٧٥ ان تتش سار من بغداد قاصدا الى بلاد الروم في حشد عظيم فخاف شرف الدولة منه على حلب . فجمع هو أيضا جموعا كبيرة من العرب والاكراد وراسل الخليفة الفاطمي وطلب منه نجدة لحصار دمشق . وسمع تتش الخبر فعاد الى دمشق للدفاع عنها . ومع ذلك فان شرف الدولة نفذ عزيمته فسار وضرب الحصار على دمشق وجرت بينه وبين أهلها والقوات التركية معركة شديدة . وقد انهزم العرب الذين مع شرف الدولة وثبت هو حتى اشرف على الاسر ثم تراجع اليه

(١) ابن الاثير ج ١٠ ص ٢١ .
(٢) ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٩ و ٤١ .

أصحابه فنجا ، وانصرف عن دمشق مشرقا في البرية • وقد ناله في طريقه ارهاق وعنت شديدان وهلك كثير من عسكره ودوابه [١] •

وفي سنة ٤٧٦ عصى اهل حران عليه وسلموا بلدهم الى جبق امير التركمان • وكان ذلك أثناء غزوته لدمشق • فلما عاد سار الى حران وحصرها ورماها بالمنجنيق وخرب سورها ثم دخلها عنوة وقبض على قاضيها الذي كان داعية العصيان وصلبه مع ولدين له [٢] •

وقد ذكر ابن الاثير في سياق هذا الخبر ان شرف الدولة صالح ابن ملاعب صاحب حمص واعطاه سلمية ورفينة حيث يدل هذا على ان ما كان يقع شمال دمشق غدا في نطاق حكمه •

وفي سنة ٤٧٧ سير السلطان ملكشاه على ديار بكر جيشا وكانت في حكم بني مروان فمضى اميرها الى شرف الدولة وسأله النصرة على أن يسلم اليه آمد وحلف كل منهما لصاحبه وسارا الى آمد حيث كان ينزل عليها وزير السلطان فخر الدولة والتحم القتال بينهم فانهزم العرب وغنم التركمان حللهم ودوابهم وانهزم شرف الدولة حتى وصل الى قرب آمد ورأى نفسه محصورا فبذل مالا لامير من أمراء الترك كان على حفظ الطرق فسمح له بالخروج والنجاة • ولما بلغ السلطان ان شرف الدولة انهزم امر وزيره بالسير الى الموصل وكاتب امراء التركمان بمساعدته فسار فخر الدولة حتى وصل الى الموصل فارسل الى أهلها يحذرهم من العصيان والخلاف ففتحوا له المدينة فملكها ثم سار السلطان بنفسه الى بلاد شرف الدولة الاخرى فأتاه خبر تمرد أخيه تكش بخراسان فكان ذلك الفرج لشرف الدولة حيث جنح السلطان الى مسايرته حتى يتفرغ لقمع فتنة أخيه فاستدعاه وخلع عليه وأقره

---

(١) ص ٤٤ •

(٢) ص ٤٤ •

على ما في يده . وأهداه شرف الدولة خيلا رائعة من جملته فرس مشهورة له اسمها بشار كانت لا تبارى وأرسل الخليفة نقيب النقباء الى شرف الدولة مؤيدا مطمئنا [1] .

وفي سنة ٤٧٧ سار سليمان بن قطلمش السلجوقي صاحب قونية واقصرا وأعمالها من بلاد الروم ـ الاناضول ـ الى بلاد الشام فملك انطاكية وكانت في يد الروم منذ سنة ٣٥٨ واخذ من اموالها مالايحصى كثرة وارسل الى السلطان يبشره بالفتح . وهنأه الناس . وكان واليها الرومي يحمل سنويا الى شرف الدولة مالا عنها فارسل هذا الى سليمان يطلب هذا المال فاجابه ان المال الذي كان يحمل اليك من كافر جزية رأسه ورؤوس اصحابه وانا بحمد الله مؤمن ولا احمل شيئا . فقامت نتيجة لذلك وحشة بين الملكين حتى سار شرف الدولة الى انطاكية فنهبها وخالفه سليمان الى حلب فنهبها بدوره . ثم جمع كل منهما جموعه والتقيا خارج انطاكية فاقتتلا قتالا شديدا . وكان في جموع شرف الدولة جماعات من التركمان فمالوا الى صف سليمان فانهزم العرب وقتل شرف الدولة في المعركة ، ثم سار سليمان الى حلب فحصرها واقام عليها نحو شهر فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها . وكان ذلك سنة ٤٧٨ [2] .

ولقد شمل سلطان شرف الدولة من السندية التي على نهر عيسى الى منبج من بلاد الشام وما والاها بالاضافة الى ديار ربيعة ومضر من ارض الجزيرة والموصل وحلب الى حدود حمص . وكان عادلا حسن السيرة وكان الامن في بلاده مستتبا بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيئا ، وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة .

---

(١) ابن الاثير ج ١٠ ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢) ص ٤٧ ـ ٤٨ .

وكان له في كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر •

ولما توفي قصد شيوخ عقيل أخاه ابراهيم وكان محبوسا منذ سنين عديدة فاخرجوه من الحبس وملكوه امرهم [1] •

ومما ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٤٧٩ ان سليمان قطلمش ارسل الى ابن الحتيتي العباسي مقدم اهل حلب يطلب منه تسليم المدينة فاستمهله حتى يستأمر السلطان ملكشاه ثم ارسل الى تتش يطلب منه المجيء لاستلام المدينة ودفع سليمان عنها والتقى الطرفان واقتتلا وكتبت الغلبة لتتش والهزيمة على سليمان • ثم سار نحو حلب وطلب تسليمها فاستمهله المقدم حتى يستأمر السلطان فضرب عليها الحصار وتمكن بمخامرة بعض الرؤساء المدافعين من دخولها وملكها • وتحصن سالم ابن مالك ابن عم شرف الدولة في قلعتها فضرب تتش عليها الحصار ثم بلغه قدوم ملكشاه الى حلب فرحل عنها • وكان قدوم السلطان نتيجة لدعوة المقدم ابن الحتيتي • وقد تسلم حلب ونزل سالم بن مالك له عن القلعة مقابل اقطاعه قلعة جعبر حيث بقيت في يد ذريته الى ان اخذها منهم نور الدين زنكي بعد نحو سبعين سنة [2] •

وقد جعل السلطان طريقه على الموصل ثم سار منها الى حران فاقطعها لمجد الدولة ابن شرف الدولة • وقد سلم السلطان حلب الى أق سنقر قسيم الدولة احد قواده •

وهذا السياق يفيد ان سلطان بني المسيب انكمش بعد موت شرف الدولة من بلاد الشام كما هو المتبادر •

ولقد كان هذا الانكماش مقدمة لانهيار دولتهم الذي تم خلال

---

(١) ابن الاثير ج ١٠ ص ٤٧ — ٤٨ •

(٢) ص ٤٩ — ٥١ •

عشر سنين . ولقد ذكر ابن الاثير ان ملكشاه استدعى ابراهيم بن قريش امير بني عقيل ــ وهكذا صارت صفته بعد انكماش ما انكمش من البلاد من سلطان دولة أسرته ــ سنة ٤٨٢ ليحاسبه فلما حضر استبقاه عنده وانفذ وزيره فخر الدولة الى بلاده فملك الموصل وغيرها . وطرأ لملكشاه طارىء جعله يرتحل الى سمرقند فاخذ معه ابراهيم وظل معه الى ان عاد الى بغداد وهو شبه معتقل [1] .

وفي سنة ٤٨٥ مات ملكشاه فاغتنم علي بن شرف الدولة الذي كانت أمه بنت طغرل بك ــ وعمة ملكشاه ــ فسار الى الموصل ومعه أمه . وسار اليها في الوقت نفسه أخ له من أم أخرى اسمه محمد فافترق العرب فريقين مع كل من الاخين فريق واقتتل الفريقان وانتصر علي وملك الموصل . وفي هذه الاثناء اطلقت لابراهيم الحرية فسار الى الموصل فتخلى علي له عنها لانه كان الامير اولا وكان زوج أمه بعد ابيه .

وفي هذه الاثناء كان تتش اخو ملكشاه يتطلع الى الحلول في السلطان محله اخيه المتوفي ، وكان آنذاك في نصيبين فطلب من ابراهيم أن يخطب له بالسلطنة وأن يفتح له طريقا الى بغداد فامتنع فزحف عليه وخرج ابراهيم للقائه والتقوا في مكان اسمه المضيع قرب الموصل فكتبت الهزيمة على ابراهيم ووقع هو وجماعة من رجاله في الاسر فقتلهم الترك ونهبوا أموال العرب وخيلهم وابلهم . وقتل كثير من نساء العرب انفسهن خوفا من السبي وللك تتش الموصل وغيرها وأقام عليا بن شرف الدولة وأمه صفية التي هي عمته على الموصل نائبين عنه [2] .

وفي هذه الظروف أي سنة ٤٨٥ وبعدها كان النزاع مستمرا على

---

(١) ابن الاثير ج ١٠ ص ٧٦ .

(٢) ابن الاثير ج ١٠ ص ٧٦ ــ ٧٧ .

السلطان بين ابناء مكشاه واخوته ، وصارت الجزيرة وبلاد الشام مسرحا لحركات المتنازعين العسكرية • ولقد تمكن تتش أولا من توطيد سلطانه على الجزيرة وحلب وبلاد الشام الاخرى ثم انتصر سنة ٤٨٧ بركياروق ابن ملكشاه على أخيه محمود وعمه تتش معا فاستتب له السلطان في هذه المناطق •

وسار سنة ٤٨٩ احد رجاله المسمى قرهبوغا الى الجزيرة فملك حران ثم نصيبين التي كان فيها محمد بن شرف الدولة ثم الموصل التي كان فيها علي بن شرف الدولة ، فكان ذلك نهاية حكم هذه الدولة [١] •

ومع ذلك فقد استمر بروز بعض امراء بني المقلد وعقيل الى ما بعد سنة ٤٨٩ حيث ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٢٨ خبر وفاة الامير سليمان بن مهارش امير بني عقيل وتولية الامارة لاولاده مع صغر سنهم واقامة حفلة تنصيب وتكريم لهم في بغداد رعاية لحق جدهم الذي أخذ الخليفة القائم الى بلده وحماه من البساسيري [٢] • ويدل الخبر على ان ابناء مهارش صاروا هم الابرز في الامارة العقيلية • وبلد مهارش هي حديثة عانة على ما ذكرناه في سياق سيرة قريش بن مسلم • وفي خبر ذكره بن الاثير في حوادث سنة ٥٣٦ ما يفيد استمرار حكم هذه البلدة في أيدي بني مهارش الى هذه السنة حيث جاء في الخبر ان عماد الدين زنكي أخذها منهم في هذه السنة ونقلهم الى الموصل •

ومن هذا الباب ما ذكره ابن الاثير أيضا في حوادث سنة ٥٤١ حيث ذكر ان عماد الدين زنكي سار في هذه السنة الى حصن جعبر المطل على الفرات والذي كان بيد سالم بن مالك العقيلي ارثا اقطاعيا عن ابيه اقطعه اياه ملكشاه مقابل حلب ، وقد ذكرنا ذلك قبل • وقد اغتيل

---

(١) نفس الصحف •

(٢) ابن الاثير ج ١١ ص ٦ •

عماد الدين وهو على حصار الحصن ففك عسكره الحصار وانسحب[1]، فظل الحصن في يد اصحابه الى سنة ٥٦٤ حيث ذكر ابن الاثير ان نور الدين زنكي بن عماد الدين اخذ الحصن هذه السنة من شهاب الدين ابن مالك بن علي بن مالك العقيلي وكان من أمنع القلاع واقطع صاحبه مقابله سروج واعمالها والملاحة التي بين بلد حلب وباب بزاغة وعشرين الف دينار معجلة .

وقد قال ابن الاثير تعليقا على الخبر وهو اقطاع عظيم جدا الا انه لا حصن فيه [2] .

ولم يعد ابن الاثير يذكر اصحاب الاقطاع . ولا يعرف هل استمروا مالكين له الى غزوة التتر التي اكتسحت البلا سنة ٦٥٦ أم أخذه منهم الزنكيون أو الايوبيون الذين صاروا الامراء والحكام في كل بلاد الشام في هذه الحقبة التي امتدت من الثلث الاخير من القرن السادس الى ما بعد منتصف القرن السابع . وقد كان الامراء الزنكيون ثم الايوبيون شديدي الحرص على الاستيلاء على كل بلد في الشام والجزيرة وحكمها ، وتم لهم ما ارادوه على ما يستفاد من سيرتهم التي قصها ابن الاثير ثم ابو الفداء بعده ..

(١) ج ١١ ص ٤١ .

(٢) ص ١٢٥ .

(٤) بنو نمير

— ١ —

يستفاد من الاحداث التي رواها ابن الاثير ان قبيلة بني نمير كانت تنزل في منطقة ديار بكر ، وانه كان لبعض زعمائها في القرن الخامس الهجري نشاط وبروز في مجال الحكم والسلطان يصح ان يسلكوا بناء عليه في سلك الارومات والدول العربية ، وان لم يسجل لهم ادوار هامة ولم يتسع نطاق سلطانهم ونشاطهم كما كان شأن الذين ذكرناهم قبلهم •

واول من ذكره ابن الاثير منهم وثاب بن سابق النميري في سياق خبر وفاته في سنة ٤١١ بوصفه صاحب حران [١] • وكلمة « صاحب » كانت تعني آنذاك انه صاحب اليد والحكم الاقطاعي عليها • وطبيعي أن يكون هذا الوصف ممتدا الى مدة ما قبل هذا العام • وليس لدينا مصدر آخر يجلو أولية بني نمير هذه •

ثم ذكر ابن الاثير في سياق حوادث سنة ٤١٧ زعيما نميريا اسمه عطير بوصفه صاحب الرها • ومما ذكره عنه انه كان يقيم عنه في حكم المدينة نائبا ، ويظل يقيم هو في حلته ، وان النائب احسن السيرة مع الاهالي حتى مالوا اليه فاستشعر عطير خطرا من ذلك فقتله فغضب اهل الرها وكاتبوا نصر الدولة بن مروان الكردي صاحب بلاد ديار بكر وطلبوا منه ارسال نائب من قبله ليسلموه المدينة فارسل هذا النائب

---

(١) ج ٩ ص ١٠٨ •

وتسلم المدينة فعلا فذهب عطير الى صالح بن مرداس ملك حلب وسأله الشفاعة فلباه واتصل بنصر الدولة فقبل هذا شفاعة صالح واعطى عطيرا نصف المدينة • وحرض نائب نصر الدولة أهل النائب الذي قتله عطير على عطير فكمنوا له وقتلوه • فاجتمع بنو نمير وبيتوا العزم على أخذ الثأر لان في سكوتهم عنه خطرا على كيانهم فكمنوا لنائب نصرالله ورشقوه بحجر مقلاع كان فيه هلاكه • وعاد صالح بن مرداس فاتصل بنصر الدولة وطلب منه رد الرها الى ابن عطير بالاشتراك مع زعيم نميري آخر اسمه شبل فقبل نصر الدولة الطلب وردها اليهما ، فظلت في ايديهما الى ان استولى عليها الروم [1] •

ومما ذكره ابن الاثير [2] من اخبار نشاط بني نمير ان ابن وثاب ـ واسمه شبيب على ما ذكره الطباخ في كتابه تاريخ حلب الشهباء [3] ـ صاحب حران جمع جمعا كبيرا من العرب وغيرهم واستنجد بمن في الرها من الروم في سنة ٤٢٦ وسار بجيش كثيف لغزو بلاد ديار بكر التي كانت في حكم نصر الدولة بن مروان فعاث فيها نهبا وتخريبا • وجمع نصر الدولة جموعه واستنجد بقرواش ملك الموصل وغيره وتصدى لدفع ابن وثاب • ورأى هذا كثرة الحشود فاكتفى بما فعل وعاد الى بلاده • ولم يذكر ابن الاثير سبب غزو ابن وثاب لبلاد نصر الدولة •

ومن ذلك ان ابن وثاب وابن عطير تصاهرا في سنة ٤٢٧ ثم جمعا جموعهما وأمدهما نصر الدولة بجيش كثيف ـ وهذا من غرائب صور الحالة في هذه الحقبة ـ وساروا بها الى السويدا وكان الروم قد جددوا عمارتها فحصروها وفتحوها عنوة وقتلوا ٣٥٠٠ من حاميتها وغنموا مافيها

---

(١) ج ٩ ص ١٢٠ •

(٢) ص ١٩٣

(٣) ج ٢ ص ٢٣٨ ـ ٢٤٨ •

وسبوا منها خلقا كثيرا ثم قصدوا الرها وكان الروم قد استولوا عليهـا هذه السنة فقطعوا الميرة عنها حتى ضاق على أهلها الخناق فخرج بطريقها سرا الى ملك الروم يستنجده فانجده بخمسة آلاف فارس وعلم ابن وثاب ومقدم جيش بن مروان فكمنوا للمدد وخرجوا عليه فقتلوا عـددا كبيرا منه حينما وصل وكان من جملتهم البطريق كما أسروا عددا كبيرا آخر ، وهددوا اهل الرها بقتل البطريق والاسرى الآخرين اذا لم يفتحوا لهم المدينة ففتحوها فدخلوها وملأوا ايديهم بالسبي والغنـائم منها ، وتحصنت حامية الروم بالقلعة ، فاقام ابن وثاب على حصارها وارسل الروم مددا جديدا فلما قرب سار اليه ابن وثاب واغتنم الروم في الرها الفرصة فخرجوا من المدينة وقصدوا حران مدينة ابن وثـاب فقاتلهم أهلها ، وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعا فالتقى بالروم وكسرهم وقتل عددا كثيرا منهم وعاد الى الرها [1] . ويظهر انه يئس من فتح قلعتهـا حيث ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٢٩ ما يفيد انه جنح الى الملاينة فسلم الروم ما استولى عليه من ربض المدينة مقابل تسليمهم القلعة . ثم ذكر مع ذلك ان الروم كثروا في الرها وعمروها وحصنوها حتى خاف أهل حران منهم على مدينتهم [2] .

ومما ذكره ابن الاثير عنهم ان شبيب بن وثاب صاحب حـران والرقة خطب في سنة ٤٣٠ للخليفة العباسي وقطع خطبة الخليفة الفاطمي استجابة لتحذير وطلب نصر الدولة بن مروان . ولكن الدزبري قـائد الفاطميين ارسل يتهدده فاعاد الخطبة الفاطمية ثانية [3] .

وقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٣١ خبر وفاة شبيب المذكور

---

(١) ج ٩ ص ١٥٥ .

(٢) ص ١٥٨ .

(٣) ص ١٦٠ .

ووصفه هذه المرة بصاحب الرقة وسروج وحران حيث يدل ذلك على سعة نطاق سلطان شبيب في هذه الحقبة •

ولم يذكر ابن الاثير اسم الذي تولى السلطان بعد شبيب • ولكن الطباخ ذكر في كتابه تاريخ حلب الشهباء ان منيعا بن شبيب خلف اباه ، وان محمود بن نصر بن صالح بن مرداس استنجد به حينما زحف ناصر الدولة الحسين بن حمدان على رأس حملة فاطمية على حلب سنة ٤٥٢ ثم التجأ اليه حيث يدل ذلك على ان حكم منيع امتد الى سنة ٤٥٢ وما بعدها [١] • ولقد ذكر ابن الاثير [٢] ان نصر ابن صالح بن مرداس كان متزوجا بمنيعة بنت وثاب النميري في سياق ذكره خبر حصار الب ارسلان لحلب على ما ذكرناه في سيرة بني مرداس حيث يفيد هذا ان أواصر الصهارة كانت تربط بين بني مرداس وبني وثاب •

— ٢ —

وقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٧٧ [٣] ما يفيد ان حران كانت تحت حكم شرف الدولة مسلم بن قريش حيث يدل الخبر على ان هذا المدينة خرجت من حكم بني وثاب قبل هذه السنة • وربما كان مسلم هو الذي أخذها منهم ، ولم يعد ابن الاثير يذكر بني نمير كاصحاب اقطاع • وانما ذكرهم في حوادث سنة ٤٩٥ في سياق خبر قتلهم المؤيد ابن شرف الدولة مسلم بن قريش عند هيت قصاصا ولم يزد [٤] • والخبر يدل على كل حال على ان بني نمير كانوا أقوياءحتى جرأوا على

---

(١) ج ٢ ص ٣٣٨ — ٣٤٨ •

(٢) ج ١٠ ص ٢٢ •

(٣) ج ١٠ ص ٤٤

(٤) ج ١٠ ص ١٢٣ •

قتل ابن شرف الـدولة الذي كان صاحب ملك عريض وبأس شديد • ولعلهم فعلوا هذا انتقاما لاستيلائه على اقطاعهم •

وقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٣٥ ان الرها وسروج والبيرة والرقة ورأس العين دخلت في ملك الصليبيين في حملتهم الاولى سنة ٤٩٢ وظلت في ايديهم الى ان استردها منهم في السنة المذكورة عماد الدين زنكي • وليس هناك ما يفيد ان الصليبيين اخذوا الرقة وسروج من بني نمير أو كانتا خرجتا من ايديهم قبل سنة ٤٩٢ كما خرجت حران •

ولم يعد ابن الاثير يذكر بني نمير بعد سنة ٤٩٥ ، ولم نطلع على احداث لهم في المصادر الاخرى • ومؤلف معجم القبائل لم يذكر من تاريخهم في الجاهلية والاسلام شيئا ذا بال وكلما قاله ان منازلهم كانت في نجد وانهم كانت لهم كثرة وعزة في الجاهلية والاسلام وانهم دخلوا الى الجزيرة الفراتية ، وان بني العباس في ايام المعتز استلحموهم فهلكوا ودثروا وكانوا كالرعايا لبني حمدان يؤدون اليهم الاتاوات وينفرون معهم في الحروب • ولم يذكر شيئا عما كان لزعمائهم من اقطاعات وحكم اقطاعي [1] •

ومع ذلك كله فان الحادث الذي ذكره ابن الاثير عنهم في سنة ٤٩٥ يدل على انهم كانوا في هذه السنة وما بعدها الى امد ما اهل قـوة ونشاط كما هو المتبادر •

---

(١) ج ٣ ص ١١٩٤ – ١١٩٦ •

(٥) بنو منقـــذ

— ١ —

وهذه أسرة عربية سجل لها التاريخ بروزا في مجال الحكم والسلطان في القرنين الخامس والسادس • وهي كنانية القبيلة • وقد ذكر ابن الاثير [١] ان حصن شيزر كان لهم يتوارثونه من ايام صالح بن مرداس أي في أوائل القرن الخامس • ولقد ذكر وصفي زكريا في كتابه جولـــة اثرية [٢] ان صالحا ابن مرداس اقطع سنة ٤١٥ البلاد المجاورة لشيزر لبني منقذ وان شيزر ظلت في يد الروم نحو ٨٢ سنة حتى سنة ٤٧٤ ولم يذكر المؤلف مصدره • وسياقه يناقض تحديد ابن الاثير في كون حصن شيزر كان لبني منقذ يتوارثونه من ايام صالح بن مرداس وكان حكم ابن مرداس في اوائل القرن الخامس • ومن الجدير بالذكر ان ابا الفداء ذكر ان الروم استولوا على الحصن في سنة ٤٦٤ حيث يتفق هذا مع ماذكره ابن الاثير اكثر كما هو المتبادر •

وأول من ذكره ابو الفداء منهم سديد الملك علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ الكناني [٢] غير ان وصفي ذكريا وطاهر النعسان ذكرا اباه قبله وهو مخلص الدولة ابو المتوج مقلد بن نصـــر [٣] وقد وصفه الاول بصاحب كفر طاب ، وقال : ان حدود بلاده كانت تصل جنوبا الى وادي

---

(١) ج ١١ ص ٨٢ ــ ٨٣ •

(٢) ج ٢ ص ٣١ ــ ٣٢

(٣) جولة اثرية لوصفي ص ١٥٨ واسامة بن منقذ أو آل منقذ للنعسان ص ١٣ •

العاصي وانه هو الذي بنى رأس الجسر المعروف بجسر بني منقذ غربي شيزر ، وانه مات سنة ٤٥٠ فخلفه ابنه ابو الحسن علي الملقب سديد الملك وكان ينزل في جوار شيزر بقرب الجسر المذكور وكانت القلعة في يد الروم فحدثته نفسه باخذها فشرع سنة ٤٦٨ بعمارة حصن الجسر الذي لم يدركه ابو الفداء وتمكن من الاستيلاء عليها سنة ٤٧٤ ، وان شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل وحلب حسده عليها وطمع في أخذها منه فسير عليه جيشا بقيادة اخيه مؤيد الدولة سنة ٤٧٥ ولكن ابن منقذ تطارح عليه وارسل اليه مالا جزيلا حتى رحل عساكره عنها . اما ابو الفداء فقد قال ان الروم استولوا على الحصن في سنة ٤٦٤ وان سديد الملك حصن الجسر المجاور له والذي صار يعرف بجسر ابن منقذ وحاصر منه حصن شيزر حصارا شديدا امتد عشر سنين حتى ضاق الخناق على الروم فاضطروا الى التخلي عنه حيث يظهر من هذه الرواية ان الروم اخذوا الحصن من سديد الملك الذي خلف أباه في حكمه ثم استرده وملكه ثانية .

ومات سديد الملك سنة ٤٧٩ فتولى الحكم بعده ابنه ابو المرهف نصر . وكان كريما شجاعا ، ومما ذكره ابو الفداء في حوادث سنة ٤٧٩ ان السلطان ملكشاه السلجوقي مر بشيزر في هذه السنة فخرج اليه نصر مسلما وسلم اليه اللاذقية وكفر طاب وافامية فاقره على شيزر ، حيث يدل هذا على ان حكم بني منقذ الاقطاعي كان يشمل هذه الاعمال ايضا [1] . وقد كانت شيزر هي الاهم في نظرهم على ما يبدو حتى انهم تخلوا عن هذه الاعمال في سبيل الاحتفاظ بها ، وقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٣٥ خبر ملك الاسماعيلية لحصن مصيات في الشام وكان واليه مملوكا لبني منقذ اصحاب شيزر فاحتالوا عليه ومكروا به وقتلوه

---

(١) ج ٢ ص ١٩٧ .

وملكوا الحصن • ويدل الخبر على ان هذا الحصن كذلك كان من جملة ما يشمله حكم بني منقذ ايضا •

— ٢ —

وفي سنة ٤٩٠ حضرت الوفاة نصرا فاراد ان يستخلف أخاه ابا سلامة مرشدا • وكان هذا عالما بالقرآن زاهدا فابى أن يتولى قائلا لاخرجن من الدنيا كما دخلتها وتخلى عن الولاية لاخيه الاصغر سلطان [١] ، واصطحبا اجمل صحبة مدة الزمن • وقد ولد لمرشد عدة اولاد ذكور وكبروا في زمنه منهم عز الدولة ابو الحسن علي ومؤيد الدولة أسامة ، ولم يولد لسلطان اولاد ذكور الا حينما تقدم في السن • فحسد أخاه وخاف من اولاد اخيه على اولاده وسعى بينهم المفسدون فغيروا الاخوين على بعضهما ولكن الامر لم يصل الى قطيعة [٢] •

ولقد طمع شمس الملوك بن بوري بن طغتكين صاحب الشام في شيزر بعد ان استولى على حماه فجاء اليها سنة ٥٢٧ وحاصرها فصانعه سلطان بمال حتى انصرف عنها • وتعرضت لهجمات وغارات الاسماعيلية واعراب بني كلاب في عهده ايضا ولكنه استطاع ان يردهم عنها [٣] •

وفي سنة ٥٣٢ غزا ملك الروم بلاد المسلمين وقصد الى شيزر فيما قصد اليه منها فنازلها وحصرها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا • فارسل أميرها سلطان الى عماد الدين زنكي مستنجدا فسار اليه ونزل بالقرب من شيزر وصار يرسل السرايا لازعاج الروم ثم أرسل الى ملكهم يقول له انكم تمنعتم مني بالجبال فانزلوا الى الصحراء حتى

(١) ذكر وصفي زكريا لقبا لسلطان هو ابو العساكر ص ١٦٠ جولة •

(٢) ابن الاثير ج ١١ ص ٨ •

(٣) جولة اثرية لوصفي زكريا ص ١٦٠ — ١٦١ •

نلتقي فان ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وان ظفرتم استرحتم واخذتم شيزر وغيرها فلم يستجب الى التحدي ثم داخله الخوف فرحل عنها بعد حصار امتد اربعين يوما وترك آلات الحصار على حالها [1] •

وتوفي مرشد أثناء الحصار • فلما رحل الروم وصفا الامر لسلطان قلب هو واولاده ظهر المجن لاولاد اخيه وبادأهم بما يسوؤهم واخرجهم من شيزر ، وقصد بعضهم نور الدين زنكي الذي كان تولى الملك بعد أبيه عماد الدين سنة ٥٤١ وشكوا اليه ما لقوا من عمهم فغاظه ذلك ولكن لم يمكنه المبادرة الى نصرتهم لانشغاله بالافرنج • وفي هذه الاثناء توفي سلطان وتولى بعده اولاده وبلغ نور الدين انهم يتوادون مع الافرنج فاشتد حنقه عليهم واخذ يترقب الفرصة لضربهم •

وفي سنة ٥٥٢ كانت الزلزلة المشهورة التي كانت شيزر ضحيتها الكبرى حيث دمرتها تدميرا شاملا [2] لم ينجح منها الاالشريدمنسكانها• وسارع الصليبيون اليها على أمل الاستيلاء على موقعها الحصين فهبط الاسماعيليون من مصياف وطردوهم واستولوا على انقاضها • غير ان نور الدين زنكي سار عاليها وطرد الاسماعيليين منها ورممها ولم يول احدا من ابناء مرشد الذين جاؤوا اليه شاكين متظلمين بل اقطعها لاخيه في الرضاعة مجد الدين ابي بكر بن الداية [3] فكان ذلك نهاية حكم بني منقذ لهذا الحصن المنيع الذي امتد نحو قرن وربع •

— ٣ —

ومع ما رواه ابو الفداء من هلاك بني منقذ فان هناك ما يدل على

---

(١) ابن الاثير ج ١١ ص وابو الفداء ج ٣ ص ١٣ •

(٢) ابو الفداء ج ٣ ص ٣١ •

(٣) جولة اثرية لوصفي زكريا ص ١٦٣ •

ان بعضهم لم يهلك مع الهالكين • والمتبادر ان هؤلاء هم أولاد مرشد الذين خرجوا منها نتيجة لما قام بينهم وبين عمهم واولاده من نزاع وبغضاء وما لقوه من سوء معاملة • وقد اندمجوا في خدمة نور الدين زنكي ثم اندمجوا في خدمة صلاح الدين الايوبي بعده • وصار لهم تقدم وبروز في دولته •

وقد ذكر ابن الاثير هؤلاء سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ الكناني • وقال في حوادث سنة ٥٧٧ انه كان ينوب عن شمس الدولة أخي صلاح الدين في اليمن وكان هواه في الشام فاستأذن شمس الدولة الذي كان ذهب الى مصر في القدوم اليه فاذن له ، فاستناب اخاه حطان في زبيد اليمن • وبعد قليل مات شمس الدولة فطمع كبار رجاله في سلطان اليمن وكان منهم حطان الذي وصف في السياق بوالي زبيد ، ونشب النزاع ثم القتال بينه وبين والي عدن عز الدين عثمان بن الزنجبيلي بسبيل ذلك • فسير صلاح الدين جماعة من رجاله لقمع الخلاف منهم صارم الدين قتلغ فاستولى على زبيد وازال حطان عنها ولم يلبث قتلغ ان مات فعاد حطان الى امارة زبيد واطاعه الناس لجوده وشجاعته • ثم سير صلاح الدين أخاه طغتكين سيف الاسلام الى بلاد اليمن لقطع الفتن منها فتحصن حطان في بعض القلاع • ولكن سيف الاسلام تلطف معه حتى جعله ينزل له ولكنه ظل خائفا فاستأذن بالسفر الى مصر فاذن له فاخرج أثقاله وأمواله وأهله ليأخذها معه وحينئذ قبض سيف الاسلام عليه وصادر جميع ما كان له وسجنه في بعض القلاع وكان هذا آخر العهد به • وكان جملة ما أخذ منه من الذهب العين سبعين غلافا زردية مملوءة ذهبا [1] •

ومنهم عزالدين أسامة ، وقد ذكره ابو الفداء في حوادث سنة ٥٨٩

---

(١) ج ١١ ص ١٧٧ — ١٨٠ •

بوصفه واليا على كوكب وعجلون حين وفاة صلاح الدين الايوبي في جملة اسماء الذين كانوا ولاة البلاد [1] • وقد ذكره صالح بن يحيى في تاريخ بيروت [2] • وقال انه كان واليا على بيروت في أواخر القرن السادس وان الافرنج لما استولوا عليها سنة ٥٩٣ بقيت له ولاية الجبل •

وهذا غير مؤيد الدولة أسامة بن مرشد على ما يبدو من اختلاف اللقبـــين •

على ان مؤيد الدولة كان كذلك من البارزين المشهورين من امراء آل منقذ حيث كان اديبا شاعرا مؤلفا وفارسا مناضلا في الوقت نفسه • وهو مؤلف كتاب الاعتبار الذي يقص فيه حروبه ويكشف فيه عن ادبه وفروسيته • ومما ذكره عن نفسه انه باشر الحرب وهو ابن خمسة عشرة سنة وظل يباشرها الى ان بلغ التسعين من عمره • وقـد قـال فـي ذلـك :

كم قد شهدت من الحروب فليتني   في بعضها من قبـل نكسي أقتـل
فالقتل أحسن بالفتى من قبل ان   يفنـى ويبليـه الزمـان وأجمـل
وأبيك ماأحجمت عن خوض الردى   في الحرب يشهد لي بذاك المنصل
لكن قضـاء الله أخـرنـي الى   أجلـي الموقت لـي فمـاذا أفعل

وقد ذكر الوقائع الحربية التي شهدها • ومعظمها مما كـان يقع بين أمراء المسلمين بسبيل التنافس والتنازع على الحكم فيكون فـي جانب ضد آخر • ومنها مما كان بين المسلمين والافرنج في أثناء حكم

---

(١) ج ٣ ص ٨٧ •

(٢) ص ٢٣ و ٢٥ ـ ٢٦ وننبه على ان ابا الفداء اكتفى بذكر عز الدين اسامـة دون ان يصفه بانه من آل منقذ غير ان صالحا بن يحيى ذكره بهذا الوصف مع لقب عز الدين • وابو الفداء ذكره انه كان واليا على عجلون وصالح بن يحيى قال انه هو الذي بنى قلعة عجلون ثم عين واليا على بيروت •

أسرته لشيزر ، ثم تحت لواء عماد الدين زنكي وابنه نور الدين من بعده واولى وقائعه مع الافرنج كانت سنة ٥١٣ حيث سيره والده الى اقامية لقتال الافرنج المخيمين بها ، فحالفه فيها النصر . وقد سيره نو رالدين مرة الى عسقلان في ثمانمائة وستين فارسا فاقام في المدينة اربعة اشهر ينازل الافرنج المحدقين به ويصاولهم ، ثم اضطر الى الخروج منها الى وادي موسى وقد شهد مع نور الدين حصار قلعة حارم وشهد عـدة وقائع مع الافرنج مع عماد الدين من قبل . وقد عاش اسامة الى ما بعـد الزلزلة التي دمرت شيزر ورثا أهله واهلها بقصائد عديدة ضمنها كتابه ، منها نونية بليغة وحزينة يندب فيها أهله ويصف هو الكارثة آثرنا نقلها حيث يقول فيها :

ما استدرج الموت قومي في هلاكهم ... ولا تخرمهم مثنـى ووحـدانـا
فكنت اصبر عنهـم صبر محتسب ... واحمد الخطب فيهم عز أو هـانا
واقتدى بالورى قبلي فكم فقدوا ... أخـا وكم فارقوا اهلا وجيرانـا
لكن سقيت المنـايا وسط جمعهم ... رغما فخروا على الاذقان اذعـانا
وفـاجأتهم مـن الايـام قـارعة ... سقتهم بكؤوس الموت ذنهـانـا
ماتوا جميعا كرجع الطرف وانقرضوا ... وما ترك تـارك للحـين انسانـا
اعزز علي بهم من معشـر صبروا ... على الحفيظـة ان ذو لوثـة لانا
لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم ... قلبـا أجشمه صبرا وسلوانـا
فلو رأوني لقالوا مـات اسعدنـا ... وعاش للهم والاحزان أشقـانـا
لم يترك الموت منهم من يخبرنـي ... عنهم فيوضـح مـا قالوه تبيـانا
بادوا جميعا ومـا شادوا فواعجبا ... للخطب اهلـك عمـارا وعمرانـا
هـذي قصورهم أمست قبورهم ... كذاك كانوا بها من قبل سكانـا
ويـح الزلازل أفنت معشري فاذا ... ذكرتهم خلتني في القوم سكرانـا
لا التقى الدهر من بعد الزلازل ما ... حييت الا كسير القلب حـيرانـا
أخنت علي معشري الادنين فاصطلمت ... منهم كهولا وشبـانا وولـدانـا

لم يحمهم حصنهم منهـا ولا رهبت   بأسا تبـادره الاقران أزمانـا
ان اقفرت شيزر منهم فهم جعلوا   منيـع اسوارهـا بيضا وخرصانا
هم حموهـا فلو شاهـدتهم وهم   بها لشاهـدات آسادا وخفـانـا
تراهم في الوغى أسدا ويوم ندى   غيثـا مغيثـا وفي الظلماء رهبـانا

وله قطعة شعرية يصف فيها شيخوخته ووهنه ويذكر ما كان من قوته في شبابه وهي :

مع الثمانين عاث الضعف في جلدي   وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي
اذا كتبت فخطي جـد مضطرب   كخط مرتعش الكفين مرتعـد
وان مشيت وفي كفي العصا ثقلت   رجلي كأني أخوض الوحل في جلد
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلما   من بعد حطم القنافي لبّة الاسد [1]
فقل لمن يتمنـى طول مـدتـه   هذه عواقب طول العمر والمدد [2]

وكانت ولادته سنة ٤٨٨ ووفاته سنة ٥٨٤ هـ .

ولقد ذكر المؤرخون بالاضافة الى من ذكروا سابقا اسماء أخرى من آل بني منقذ كان لهم مكانة مرموقة وان لم يكن لهم نشاط في مجال الحكم والسلطان . منهم اسماعيل بن سلطان الملقب بشرف الدولة. ومرهف بن أسامة الملقب بعضد الدولة ابي الفوارس مقدم الامـراء وجمال الرؤساء . وقد عاش في مصر وكان جليس السلطان صلاح الدين ونـديمه [1] .

ويبدو مما ذكره النعسان وغيره ان الادب والشعر كانا سجيـة في

---

(١) في هذا الشطر اشارة الى حادث قتل أسامة أسدا في أيام شبابه وقوته وقـد ذكره في كتابه حيث يروى انه بلغه ان أسدا على شاطىء الفرات يمنع الناس من المرور وقد خافوه فذهب اليه خفية عن أهله ونازله وحطم القنا ــ الرمح ــ في لبته فخر صريعا لليدين وللفم ثم جاء بآثاره الى شيزر فكان يوما مشهودا .

(٢) جميع ما أوردناه من اخبار أسامة مقتبس من رسالة النعسان التي مرت الاشارة اليها . وهي محاضرة القاها في ردهة المجمع العلمي ، ويخطر بالبال ان تكون كلمة الفرات غلطا من العاصي . لان نهر العاصي هو الذي كان في جهة شيزر والفرات بعيد جدا عنها .

(١) رسالة النعسان ص ١٣ و ١٨ .

آل منقذ ولم تكن منحصرة في أسامة حيث وصف عدد منهم بالاديب والعالم وحيث روي لغير واحد منهم مقطعات شعرية بليغة .

وشيزر قديمة جدا ومشهورة منذ القديم ، وتقع في شمال حماة ، وقد ذكرت في رسائل تل العمارنة باسم سنزار وذكرت في شعر مروي عن امرء القيس حيث يقول :

تقطـع اسبـاب اللبـانة والهوى   عشية جـاوزنـا حمـاة وشيزرا
بسير يضـج العود منـه يمنـة   اخو الجهد لا يلوي علي تعـذرا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه   وأيقن انـا لاحقـان بقيصـرا
فقلت له لا تبـك عينـاك انمـا   نحـاول ملكـا أو نموت فنعذرا

وذكرت في شعر مروي عن عبيد بن قيس الرقيات حيث يقول :

قفوا وانظروا بي نحو قومي نظرة   فلـم يقف الحـادي بنا وتغشمرا
فواحزنـا اذ فـارقونا وجاوروا   سوى قومهم أعلى حمـاة وشيزرا

ولقد كانت منيعة الموقع فكانت تلفت اليها أنظار الغزاة والملوك الذين تعاقبوا على بلاد الشام حيث كان لمثل موقعها أهمية حربية ، وكان الروم يهتمون للاستيلاء عليها كلما أغاروا على بلاد الشام في ظروف ضعف الخلافة الاسلامية . وقد استولوا عليها ابان مصاولاتهم مـع سيف الدولة الحمداني وخلفائه من بعده وأقاموا فيها حامية الى ان اضطروا الى التخلي عنها في أوائل القرن الخامس فاقطعها ملوك حلب بنو مرداس لبني منقذ .

ولقد ظلت تلفت اليها الانظار بعد عهد نور الدين ويهتم لهـا الملوك والغزاة بسبب موقعها المنيع الى أن تطورت اساليب الحـرب فزالت أهميتها من هذه الناحية واخذت يـد الدهر تعمل فيها تخريبـا

وتهديما ولم يبق من قلعتها سالما الا طرفاها الشمالي والجنوبي • وهي مبنية على أكمة صخرية تمتد من الجنوب الى الشمال منتصبة على يسار العاصي منفصلة عما يجاورها في الشرق والشمال والغرب بمنحـدرات صخرية عميقة محيطة بها يبلغ عمقها ٤٠ و ٥٠ مترا أما جنوبهـا فقد فصل عن الجبل المجاور فصلا صناعيا بخندق عريض عميق بني فوقـه برج لا يزال قائما في جملته • ويروي ان المدافعين عن القلعة كـانوا عند مهاجمة الاعداء يمرون مياه العاصي من هذا الخندق بعد سد مجراه وحينئذ تطغى مياهه على السهل الغربي وتصبح شيزر شبه جزيرة لا يستطيع العدو آن يقترب منها [١] •

---

(١) هذه النبذة مقتبسة من كتاب جولة أثرية لوصفي زكريا ص ١٥٦ ـ ١٦٦ •

(٦) الامارة الطائية

— ١ —

برز في القرن الخامس الهجري اورمة طائية شغلت حيزا عظيما في مجال الحكم والسلطان وحافظت على عظمة شأنها قرونا عديدة ، وكانت في وقت ما صاحبة سلطان شامل يخطب ودها الحكومات العراقية والشامية والمصرية على السواء وتشترك في مختلف احداث بلاد الشام والعراق وتدخل في نضال متنوع الجبهات مع حكامها ولا تزال آثارها الى الآن تنم عنها • ومع ان حكمها وسلطانها وبروزها كان في نطاق قبيلي على الاغلب الا انه كان يدخل تحت يدها وحكمها مدن عديدة بصفة اقطاع حتى لقد كانت مدينة السليمية من اعمال حماة تعد عاصمة لها [1] •

ولقد كان نشاطها يشمل بلاد الشام والعراق معا • غير ان مجال بروزها ونشاطها الاوسع والادوم كان بلاد الشام وخاصة الشمالية ممتدا الى الجزيرة الفراتية وهذا ما جعلنا نسلكها في هذا الفصل •

وفي أجزاء تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي وفي أجزاء كتاب عشائر العراق له وفي أجزاء كتاب عشائر الشام لوصفي زكريا شيء غير يسير من سيرة هذه الامراة التي كانت تعرف وتذكر باسم آل فضل تارة وآل مهنا تارة وآل عيسى تارة والحياريين تارة وتفرعاتها ونشاطها •

---

(١) عشائر الشام لوصفي زكريا ج ١ ص ٩٢ — ١١٦ •

وفي تاريخ ابن أياس المسمى ببدائع الزهور وفي تاريخ الامير حيدر الشهابي وكذلك في خطط الشام لكرد علي نبذ كثيرة عنها أيضا .

وسننسق سيرة هذه الامارة بقدر الامكان اقتباسا من هذه الكتب التي تستمد بدورها من مراجع كثيرة اقدم منها .

– ٢ –

ولقد قلنا ان أرومة هذه الامارة تنتمي الى قبيلة طي حيث ذكر المؤرخون [١] ان امارة عرب الشام كانت في القرن السادس لامير طائي اسمه ربيعة وذلك على عهد نائب الشام طغتكين ، ثم خلفه فيها ابنه مراء الذي ذكر ابو الفداء واقعة له مع الصليبيين سنة ٥١٠ هـ انتصر فيها عليهم ، حيث يدل هذا على ان هذه الامارة مع عشائرها اندمجت في الحروب الصليبية منذ عهد مبكر .

ولقد انقسم بيت الامارة بعد مراء الى ثلاثة فروع وهي آل مراء وآل علي وآل فضل . ومما قاله القلقشندي عنهم في نهاية الارب على ما يرويه الاستاذ زكريا في السياق المذكور آنفا [٢] : هؤلاء سادات العرب ووجوهها ولهم عند السلاطين حرمة كبيرة وصيت عظيم الى رونق في بيوتهم ومنازلهم تقاسموا بلاد الشام فكانت منازل آل مراء من بلاد الجيدور والجولان فجنوب ومنازل آل علي بن حديثة من دمشق وغوطتها الى الجوف . امـا آل فضل فكانوا رأس الكل وأعلاهم درجة [٣] . ومنازلهم من حمص الى ضفتي الفرات واطراف العراق وقد

---

(١) انظر عشائر الشام وصفي زكريا ج ١ ص ٩٢ ـ ١٢٤ .

(٢) ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٣) ذكر العزاوي في الجزء الاول من تاريخ العراق (ص ٤٣٦) ان الامرة العامة كانت لا تزال لآل مراء فانتزعها منهم آل فضل .

تشعبوا بعد شعبا كثيرة أجلّها قدرا آل عيسى • وتشعب آل عيسى
الى عدة بيوت أجلها قدرا بيت مهنا بن عيسى وبيت فضل بن عيسى
وبيت محمد بن عيسى ، وقد قال فضل الله العري في مسالك الابصار
(والكلام من القلقشندي وسياق الاستاذ زكريا) وهؤلاء آل عيسى في
وقتنا الى القرن السابع والثامن هم ملوك البر فيما بعد وقرب بمشارف
الشام والعراق وبرية نجد وسادات الناس ولا تصلح الا عليهم العرب
وقد جرت العادة أن يكون لهم أمير كبير يولى عن الابواب السلطانية
ويكتب له تقليد شريف بذلك ويلبس تشريفا (كساءً) اطلس أسوة
بالنواب (الولاة العامون) ان كان حاضرا أو يجهز اليه ان كان غائبا
ويكون لكل طائفة منهم كبير قائم مقام أمير عليهم وتصدر اليه المكاتبات
من الابواب الشريفة الا انه لا يكتب له أي للقائممقام تقليد ولا رسوم •

العراق ان الامرات الثانوية في البيت الواحد كانت تتعدد لان كل بيت
العراق ان الامرات لثانوية في البيت الواحد كانت تتعدد لان كل بيت
من بيوت الامارة الثلاثة قد نما وتكاثر وصار ينضوي اليه عشائر
من أرومات أخرى فتتكون بذلك جماعات عديدة في نطاق كل بيت يتزعم
كلاً منها أمير من هذه البيوت ، وكثيرا ما كان يقوم منازعات على الامرة
العامة والامرات الخاصة بين أمراء هذه البيوت كانت تؤدي الى
سفك دماء •

ومن التطويل ذكر الامرات الخاصة والثانوية وما كان يجري في
صددها من منازعات • وسنكتفي بذكر الامرة العامة واحداثها وما يكون
في ذكره من فوائد تاريخية هامة من احداث الامرات الاخرى •

- ٣ -

وقد ذكر الاستاذ زكريا في سياقه المذكور انه لم يصرح لاحد

منهم بامرة العرب العامة بتقليد سلطاني الا من أيام الملك العادل أخي السلطان صلاح الدين (٥٩٢ ــ ٦١٥ هـ) حيث أمَّر منهم مانعا بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة فيكون هذا بدء الامرة العامة الرسمية كما هو المتبادر ويستمر الاستاذ زكريا في سياقه فيقول ان مانعا توفي سنة ٦٣٠ هـ فتولى الامرة العامة ابنه مهنا وهو مهنا الاول الذي حضر مع الملك المظفر قطز قتال التتر سنة ٦٥٨ هـ في عين جالوت فاجازه بسلمية اقطاعا • فيكون هذا أول اقطاع أقطع للامرة العامة • وخلف مهنا الاول ابنه عيسى بتقليد من الملك الظاهر بيبرص (٦٥٩ ــ ٦٧٦ هـ) ووفر له الاقطاعات وعهد اليه بحفظ السابلة • وعيسى هذا هو الذي جاء بالامام احمد العباسي بعد حادثة هولاكو الى مصر فبويع بالخلافة فيها حيث جاء فارا من بغداد الى منازل القبيلة فحمله عيسى واتى به الى مصر على ما ذكره ابن أياس [١] •

ومما ذكره العزاوي [٢] ان الظاهر بيبرص نزل في بيت ابي بكر من آل مراء الذي كانت له الامرة الكبيرة فطلب منه فرسا فلم يعطه فرآه عيسى فتوسم فيه فضمه اليه واعطاه فرسا وبالغ في اكرامه فلما تسلطن انتزع الامرة من ابي بكر واعطاها لعيسى •

ولقد ذكر عيسى في سياق احداث تاريخية مهمة تدل على ما كان له من نشاط شديد وما شغله من حيز عظيم • وقد كان يلقب بلقب شرف الدولة على ما رواه ابن تغري بردي في المنهل الصافي ــ على ما ذكره الاستاذ زكريا [٣] ــ الذي روى عنه قوله انه كان له منزلة عظيمة عند الظاهر بيبرص ثم تضاعفت عند الملك المنصور قلاوون (٦٧٨ ــ

---

(١) عشائر الشام ج ١ ص ١٠٠ وخبر مجيء عيسى بالامام احمد الى مصر وارد في الجزء الاول من تاريخ ابن اياس ص ١٠٢ •

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٥١٤ ــ ٥١٦ •

(٣) عشائر الشام ج ١ ص ١٠٠ ــ ١٠١ •

٦٨٩ هـ) الذي ضاعف حرمته واقطاعه وملّكه مدينة تدمر بعقد ببيع وشراء واورد عنه ثمنها لبيت المال ، وانه كان كريم الاخلاق حسن الجوار مكفوف الشر لم يكن في العرب وامرائهم من يضاهيه مع الديانة وصدق اللهجة والعزوف عن مسالك العرب في النهب وعمل ما ينفع المسلمين ، وقد كان يكف العدو (الصليبيين الافرنج) عن حلب واعمالها واشترك مع الملك المنصور في وقعته مع التتر بحمص سنة ٦٨٠ ، وكادت الدائرة تدور على المسلمين لو لا ثبات الملك بنفسه ومجيء الامير عيسى بعربه من سلمية واعتراضه جيش التتر من خلفه حتى تمت هزيمته .

وقد علق الاستاذ زكريا على هذا فقال واكبر ظني ان عيسى هذا هو الذي قال عنه كاتب شلبي في كتاب جغرافيته (جهان نما) انه كان في هذه المعركة حاملا ريشته على رأسه فلقب بابي ريشة وبقي هذا اللقب في أعقابه الى يومنا وانه هو الذي نال من الملك المنصور عطاء عظيما فاشترى به عبيدا ومماليك اعتقوا بعد حين ودعوا بالموالي وبقيت اعقابهم الى يومنا هذا ملتفة حول الامراء آل ابي ريشة [١] .

ومات عيسى سنة ٦٨٠ هـ ودفن في جبانة الشيخ فرج شماني سلمية واعقب عدة اولادهم مهنا وفضل وسليمان وحارثه وموسى ومحمد . وقد ولى الملك المنصور لامرة الكبيرة خلفا لعيسى مهنا ولقب بحسام الدين وصار كبير آل عيسى النازلين في براري سلمية وحماه وتدمر بل أمير بادية الشام كلها [٢] .

وشغل مهنا (الثاني) بدوره حيزا عظيما في التاريخ واحداث الحقبة التي عاش فيها وردد ابو الفداء وابن الوردي وابن حجر والامير

---

(١) المصدر السابق ١٠١ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠١ .

حيدر الشهابي في تواريخهم والمقريزي في خططه وابن بطوطة في رحلته على ما يذكره الاستاذ زكريا [1] ما كان له من المكانة لدى سلاطين مصر ونوابهم كما ذكروا تدخله في بعض شؤون الدولة • واندماجه في التناحر الذي كان بين سلاطين العراق التتر وسلاطين مصر الترك مما كان يعرضه للنكال والمطاردة تارة وينيله الحظوة تارة اخرى •

ومما رواه العزاوي [2] ان الملك الاشرف بن منصور (٦٨٩ ـ ٦٩٣ هـ) طارد قرا سنقر نائب حلب بسبب مخامرته عليه وتآمره مع ملك التتر في بغداد فقصد هذا منزل مهنا والقى عمامته في عنقه ونادى : الجوار يا امير العرب • وكان مهنا متغيبا فاجابته زوجته أم الفضل قد أجرناك ومن معك • وجاء مهنا بعد قليل فاحسن نزله وحكمه في ماله فقال له انا احب مالي وأهلي الذين تركتهم في حلب فدعا مهنا اخوته وبني عمه وشاورهم فتحرج بعضهم من مقاتلة السلطان • ولكن مهنا قال اني سافعل للرجل ما يريد • وفي هذه الاثناء ورد الخبر بان أهل قراسنقر واولاده ارسلوا الى مصر فقال له لا حيلة لنا فيهم ولكننا نجتهد لتخليص مالك ثم ركب فيمن اطاعه وكانوا خمسة وعشرين الفا وقصد حلب ودخلها عنوة واستخلص مال سنقر ومن بقي من اهله •

ولقد ذكر ابن اياس [3] ان السلطان الاشرف كان في بلاد الشام سنة ٦٩٢ هـ فتوجه نحو حمص فاضافه الامير مهنا ثم بدا للسلطان فقبض عليه وعلى اخوته وعين للامرة العامة الامير علي بن حديثة من آل علي • فمن المتبادر ان يكون الاشرف قد فعل هذا بمهنا عقوبة له •

---

(١) نفس المصدر والصحيفة .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٢٧ ـ ٤٣٠ .

(٣) ج ١ ص ١٢٨ وذكر هذا الاستاذ زكريا في سياقه الآنف الذكر .

ومما ذكره الاستاذ زكريا في سياقه [1] ان منزلة مهنا علت كثيرا عند الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي تولى بعد الاشرف حتى انـه استطاع ان يشفع سنة ٧٠٧ بالعالم المصلح ابن تيمية الذي كان مسجونا في مصر نتيجة لتألب بعض العلماء عليه فيخرجه من السجن وان يلتمس نصب ابي الفداء ملكا على حماه فيجاب الى طلبه . وكان ولع محمد الناصر بالخيول العربية وعناية مهنا وذويه بها من اسباب ما ناله من حظوة لدى الملك ومما حصل عليه من ثروة عظيمة . ويفيد هذا ان الملك محمد الناصر اطلق سراح مهنا واخوته واعاده الى الامرة العامة كالسابق .

ومما رواه العزاوي [2] في السياق الذي قص فيه خبر التجـاء قره سنقر لمهنا ان هذا لما اجتمع بسلطان التتر خدا بنده في بغداد قص عليه قصته مع مهنا فسر كثيرا منه واقطعه الحلة وغيرها . وهـــذا أول اقطاع له في العراق مضافا الى اقطاعاته في الشام مثل سلمية وسرمين وتدمر . وقد جعل مهنا ابنه سليمان منقطعا لخدمة سلطان بغداد وابنـه موسى منقطعا لخدمة سلطان مصر وكانت الخلع والانعامات تصل اليـه من الطرفين وهو مقيم في البادية . وهذا من العجائب التي لم يعهد مثلها لان السلطانين كانا على عداء وتناظر وتناحر وقد وافقت مهنـا بذلك سعادة خارقة .

ومما رواه العزاوي ايضا [3] انه حصل جفاء بين مهنا وسلطان مصر فجهز اولاده وارسلهم الى سلطان بغداد الذي استقبلهم بالتكريم وارسل الى ابيهم معهم اموالا وخلعا ثمينة واقطعه اقطاعات جديدة فـي الفرات . وبلغ ذلك الملك محمد الناصر فغضب ونزع الامرة من مهنـا

---

(١) ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٢٧ ـ ٤٣٠ .

(٣) ج ١ ص ٥١٤ ـ ٥١٦ .

واعطاها لاخيه فضل فاتسع الجفاء وتوجه مهنا هذه المرة بنفسه الى بغداد فحظي بتكريم السلطان التتري • وكان مما يشغل بال هـــذا تأمين ركب الحج العراقي فضمن مهنا له ذلك • ولقد أقلق ذهــاب مهنا بال الملك الناصر فظل يبذل الجهود والوعود ويرسل الرسل سـرا اليه بسبيل اقناعه بالعودة الى ان نجحت المساعي في النهاية حيث توجه الى مصر سنة ٧٣٣ هـ فنال اكرام الملك الزائد وعـاد الـى امرتـه كالمعتــاد •

ومما رواه [١] هذا المؤرخ ان فضلا أخا عيسى الذي وجه سلطان مصر والشام اليه الامرة اغتنم فرصة صفاء خيم على العلاقات بين سلطاني بغداد ومصر فسار سنة ٧١٨ هـ الى بغداد وقدم خيولا لسلطانها ابي سعيد الذي خلف خدابنده فاقطعه البصره مكافأة على ذلك فكان له بدوره هذا الاقطاع في العراق مضافا الى ما كان له من اقطاع في الشام • وقد اقام نوابا لجباية اقطاعه العراقي وعاد الى بيوته في الشام بعد اقـامة قصيرة • واثار هذا التزواج في الصلات سلطان مصر فقطع اخباز بني عيسى جملة (مرتباتهم واقطاعاتهم) سنة ٧٢٠ هـ على ما رواه العزاوي وارسل حملة للتنكيل بهم فرحلوا من نواحي سلمية الى عانة والحديثة في حدود العراق فتبعتهم الحملة فتواروا منها ثم اقام السلطان علـى الامرة العامة مكان فضل محمدا بن ابي بكر من آل علي • وفي هـذه الاثناء انعقد الصلح بين سلطان مصر وسلطان العراق ، وكان مما اتفق عليه السلطانان مضايقة آل عيسى حتى تخمد نأمنهم ويصبح التسلط على سائر العرب ممكنا • ولم يلبث سلطان العراق أن حذا اثر ذلك حذو سلطان مصر فقطع اخباز مهنا واولاده بدوره في العراق • غير ان مهنـا واخوتـه واولادهم ظلوا علـى نشاطهم وحيوتهم واخذوا يقومون

---

(١) ج ١ ص ٤٥١ •

بحركات عدوانية القت الذعر في البرية وقطعت السبل فلم ير السلطاناذ مناصا في النهاية من الاهتمام لهم واسترضائهم . وكان من مظاهر ذلكان أعاد سلطان مصر الامرة العامة الى فضل ولما يمض على نزعهـا منـه بضعة اشهر وا ناسترار سلطان بغداد مهنا فزاره سنة ٧٢١ هـ وقدم اليه خيولا وفهودا وهجنا فرحب به وأعاد اليه اقطاعاته ، وان ظل سلطان مصر يسعى لكسب مهنا الى جانبه الى ان نجحت المساعي وعاد الى السلمية سنة ٧٢٤ واقام فيها دون ممانعة من السلطانوكانالامر والنهي اليه وخبز الامرة لاخيه ثم زار السلطان في مصر سنة ٧٣٣ نتيجة لهـذه المساعي فنال تكريمه الزائد وأعاد اليه الامرة العامة على ما اوردنـاه قبل حيث يدل هذا على ما كان لهم من حيز وحيوية ونفوذ قوي في العربان الذي كانوا يملأون براري الشام والعراق [1] .

ومما رواه العزاوي من الاحداث الدالة على ما كان لمهنـا خاصة من خطورة شأن ومكانة ان سلطان بغداد أبا سعيد أراد أن يجهز موكب حج في الظرف الذي قام فيه الصفاء بينه وبين سلطان مصر وفي فتـرة امرة فضل العامة وقيام الجفاء بين سلطان مصر ومهنا فوعد سلطان مصر سلطان بغداد بتأمين سير هذا الموكب ثم خشي ان يتصدى مهنا واولاده له وكان فسادهم وعدوانهم على السابلة قد كثر فاستدعى سيفا بن فضل وطلب منه أن يبلغ أباه انه لم يعينه للامرة العامة الا ليمنع مهنا واولاده من التعرض للسابلة وانه لو علم ان أباه سيتفق مع مهنـا ما كان أقصى مهنا عن الامرة . وعاد سيف فابلغ أباه كلام السلطان فكلفه بالذهـاب الى عمه والدخالة عليه في هذا الامر فلما ذهب اليه قال له أن أباه يأكل خبز السلطان وخبزي معا وأنا مضطر الى أكل الخبز من سيفي وركب الحج مكسب عظيم يكفيني سنة كاملة وأنا لست تحت طاعة سلطان مصر

---

(١) انظر تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٦٣ - ٤٦٤ و ٤٧٣ - ٤٧٤ و٤٧٦و٤٨٣ .

ولا سلطان العراق ، ولكن سيفا ظل يتذلل لعمه حتى وافق على ترك الركب وبلغ ذلك سلطان مصر فسر سرورا عظيما وجاء سيف الى مصر ليبلغ الكلام فقال السلطان لسيف اذا كان ابوك عاجزا عن ارغام مهنا فأنا اضيف اليه عرب بني كلاب وبني مهدي فقال سيف وحياة رأسك ورأس مهنا لو جمع لمهنا مئة الف بدوي لما قدروا عليه ولا يمكن ان يسل أخوه سيفا عليه ، مما جعل السلطان يستشعر قدر امراء العرب ويخلع عليهم ويطلب منهم بذل الجهد في كسب مهنا الى جانبه .

وقد توفي مهنا سنة ٧٣٥ هـ فخلفه في الامرة ابنه موسى ثم تولاها سليمان بدلا من موسى . وعزل عنها هذا في سنة ٧٤٣ هـ وعين لها عيسى بن فضل ثم اعيد اليها سليمان بعد فترة قصيرة . ومات هذا سنة ٧٤٤ هـ فتولاها ابنه مهنا . وقد نشب نزاع بين هذا وبين سيف ابن فضل أدى الى قتال وانتهى بقتل سيف [1] ويستمر العزاوي الذي ذكر هذه الاحداث بدون تعليل وبيان في ذكر ولاية أمراء الاسرة ومنازعاتهم ووفياتهم دون تسلسل متسق ودون بيان واحداث هامة مما ليس في ايراده طائل .

ولقد ذكر الامير حيدر الشهابي في تاريخه [2] ان نواب (الولاة) حلب وطرابلس الشام وحماه وصفد اتفقوا على العصيان على الملك الصالح صلاح الدين (٧٥٢ ــ ٧٥٥ هـ) سنة ٧٦٣ هـ وان أمير العرب حيار بن مهنا اندمج معهم في ذلك وان نائب دمشق حاول الوقوف في وجوههم فاخفق وزحفوا على دمشق ونهبوا ضواحيها وكان الامير حيار معهم حيث يدل هذا على استمرار حيوية الامارة ونشاطها ومشاركتها في احداث البلاد وحركاتها .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٦٧ ــ ٤٦٨ .

(٢) ج ١ ص ٤٩٥ ــ ٤٩٧ نسخة مغبغب .

ومن هذا الباب ما ذكره ابن اياس [1] في حوادث سنة ٧٧١ هـ من خبر نزاع بين نائب حلب وامير العرب حيار وخروج النائب لقتـاله وتغلب العربان عليه وقتله في جملة من قتل من عسكره ، وتعيين السلطان نائبا جديدا عزل حيارا عن الامرة واقـام ابن عم لـه اسمه زامـل مكانـه .

ومن ذلك ما رواه الكرد علي في خطط الشام [2] من خبر نشوب نزاع في سنة ٧٨٥ هـ بين نعير بن مهنا الذي كان يتولى الامرة العـامة وبين ابن عم له اسمه عثمان استغله نائب حلب لكسر هيبة امارة العرب فساعد عثمان على مهنا حتى كسره ونهب امواله وقد بلغ عدد الابل المنهوبة ثلاثين الفا مما يدل على ما كان لمهنا من ثروة طائلة .

ولقد كان لعيسى بن مهنا وابنه نعير في الاحداث التي جرت في ظروف انتقال السلطان من مماليك الترك الى مماليك الشركس (فـي أواخر القرن الثامن الهجري) مشاركة تدل على ما كان لهما مـن حيوية ونشاط يجدر تسجيلها .

ويستفاد مما ذكره ابن اياس [3] ان امير العرب عيسى بن مهنـا اندمج في الحركة التي قادها يلبغا نائب حلب ومنطاش نائب دمشق ضد الظاهر برقوق الشركسي الذي انتزع السلطان من الملك الصالح امير حاج بن الاشرف (٧٨٣ ـ ٧٨٥ هـ) آخر ملوك الترك .

وقد تمرد النائبان واستوليا على الحكم في بلاد الشام ثم زحفـا نحو مصر واستوليا عليها وتمكنا من القبض على برقوق فارسلاه الى الكرك ليحبس في قلعتها زيادة في الاحتياط فتسلمه الامير عيسى مـن

---

(١) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٢٦ .

(٢) ج ٢ ص ١٥٨ .

(٣) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٧ .

الدرك الذين اتوا به الى بلاد الشام واخذه مقيدا الى الكرك حيث سجن في قلعتها .

ولما افلت برقوق من سجنه وملك الشام وقاد منطاش حركة مناوأة ضده اندمج نعير بن عيسى الذي آلت اليه امرة العرب بعد أبيه الذي توفي هذه الاثناء في هذه الحركة حتى انه أغار على دمشق ونهبها وعاد الى البادية ويداه مملوئتان بالغنائم [1] . وكان ذلك سنة ٧٩٣ هـ .

ولقد انتصر برقوق على منطاش فانسحب هذا الى اطراف الاناضول فلما عاد برقوق الى مصر عاد منطاش الى بلاد الشام واستأنف حركته المناوئة لبرقوق فاندمج نعير فيها ايضا وهاجم معه حماه وكسروا حاميتها ونهبوها . وقد خرج نائب حلب فكبس منازل نعير في البادية ونهب امواله وأخذ نساءه واولاده وقتل كثيرا من رجاله . وجزع نعير على نسائه واولاده وسعى في استعادتهم فطلب منه نائب حلب اعتقال منطاش وتسليمه ثمنا لذلك ففعل فوفى النائب له بوعده باذن من برقوق وأعاد اليه اولاده ونساءه وأمواله وامرته . وكان ذلك سنة ٧٩٦ هـ [2] .

ومما ذكره ابن اياس [3] ان السلطان فرج ابن برقوق لما زحف نحو الشام سنة ٨٠٣ لصد تيمورلنك كان نعير من جملة الذين انضموا اليه مع جميع عربه .

ومما رواه الكرد علي [4] ان نائب حلب كان ناقما في هذه الاثناء على نعير فعمد الى القاء الفتنة بين العربان والتركمان بل واغار

---

(١) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٥ – ٢٩٦ وخطط الشام ج ٢ ص ١٦٩ .

(٢) بدائع الزهور ص ٢٩٢ – ٢٩٩ ج ٢ وخطط الشام ج ٢ ص ١٦٩ .

(٣) ص ٣٢٩ ج ٢ .

(٤) خطط الشام ج ٢ ص ١٧٥ .

هو بالذات على اموال نعير فنهبها فأثار غيظ نعير وجعله ينفض يـده من تأييد الدولة في صد تيمورلنك الذي تغلب هذه المرة على حلب وفتك في أهلها .

ولقد ذكر العزاوي [1] سيرة نعير ولكن باقتضاب وذكر وفـاته سنة ٨٠٨ وقال بمناسبة ذلك انه كان كثير الغزو والفساد وان شوكة آل مهنا قد انكسرت بموته .

وقـد تولى الامرة بعد نعـير ابنه العجل على ما رواه العزاوي الذي ذكر خبر قتله سنة ٨١٦ هـ نتيجة لنزاع نشب بينه وبين امـراء الاسرة ــ دون تفصيل ــ وقال انه كان شديد السطوة والجرأة وانه استعاد لآل مهنا شوكتهم ولكنها خضدت بمقتله [2] .

وقد صارت الامرة بعده الى حسين بن نعير على ما رواه الغزاوي الذي روى ايضا خبر عزله عنها سنة ٨١٨ هـ ونصب حديثة بن سيف بن فضل مكانه فيها مما جعل حسينا يثور على حديثة غير ان هذا تغلب على خصمه وقتله وثبت حكمه وامرته [3] .

واخذ العزاوي بعد هذا يذكر الوفيات والمنازعات بين الامراء دون احداث هامة الى سنة ٨٨٣ هـ حيث ذكر ان سيفا امير آل فضل خرج في هذه السنة عن الطاعة فسار اليه نائب الشام يشبك وانشب القتـال معه فكانت الغلبة للامير وقتل يشبك في جملة من قتل من عسكره مع جماعة من امراء حماه مما أزعج سلطان مصر كثيرا [4] . وقد ذكر هذا

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٤١ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤ .

الحادث ابن اياس [1] الذي روى ان سيفا دخل حماه ونهبها بعد كسره يشبك وكثيرا من رجاله ثم توغل في الصحراء ، وان السلطان جرد عليه حملة فلم تستطع ان تنال منه منالا .

ولقد ظل أمراء هذه الامارة على نشاطهم بقية عهد الدولةالشركسية برغم ما كان يقع بينهم من تنافس وقتال .

وقد ذكر ابن اياس [2] ان السلطان سليم العثماني حينما استولى على بلاد الشام عام ٩٢٢ هـ بعد تغلبه على قانصوه الغوري في مرج دابق أقر الامير مدلج بن ظاهر الحياري من فخذ ابي ريشة على امرة العرب في جملة من أقرهم من حكام العرب الاقطاعيين في هذه البلاد .

وحيار هذا الذي ينتسب اليه مدلج هو احد اولاد مهنا بن عيسى الذي تولى الامرة العامة على مامر ذكره [3] .

وبالتبعية فان فخذ ابي ريشة هو من آل فضل كما هو واضح . وقد أوردنا قول الاستاذ زكريا وصفي الذي استنتجه من كلام الكاتب التركي الشلبي في اسم ابي ريشة ، وانه كان لقبا او صفة لعيسى بن مهنا الاول [4] .

— ٤ —

ولقد استمرت هذه الامارة التي يظهر انها صارت تتسمى باسم ابي ريشة وآل حيار قوية نشيطة حقبة طويلة بعد الفتح العثماني ايضا .

---

(١) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٨٣ .

(٢) ج ٣ ص ٤٨ — ٥١ .

(٣) انظر ايضا تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٥١٤ — ٥١٦ .

(٤) عشائر الشام ج ١ ص ١٠١ .

وقد ذكر العزاوي من امرائها ابا مدلج ظاهرا بن عساف الذي يبدو انه حفيد مدلج وقال انه توفي سنة ٩٤٥ وانه كان مشهورا بالبطش والقسوة وقوة يديه الخارقة حتى انه كان يمسك بالدرهم فيفركه فيذهب نقشه وانه كان امير عرب الشام والعراق الشمالي معا [١] ثم ذكر العزاوي بعده الامير احمد دون ان يذكر اسم ابيه مكتفيا بالقول انه من آل حيار وان مقامه في بلاد سلمية وعانة والحديثة • وقد روي في سياق خبره انه كان لامارة العرب خيمة كبيرة جدا من الشعر فيها صناديق مقفلة بالاقفال الحديدية المحكمة ومملوءة بالذهب والفضة والجوهر والسلاح يتناوب على حراستها حراس أقوياء ، وانه كان من العادة ان من يستطيع الاستيلاء عليها يكون صاحب الامرة العامة وان احمد هذا وثب على ظاهر فقتله واستولى على الخيمة فصارت الامرة اليه [٢] •

ومما رواه العزاوي من اخبار احمد [٣] ان شخصا اسمه محمد الطويل زور مرسوما فاستولى به على ولاية بغداد في سنة ١٠١٥ هـ فعينت الاستانة واليا اسمه نصوح باشا فدعا هذا أمراء العرب وحكام البلاد الى مساعدته ومن الجملة هذا الامير ووعد بالانضمام واتجه نصوح نحو بغداد بناء على هذا الوعد • ولكن احمد اخلف مع نصوح وانحاز الى الطويل فادى ذلك الى انخذال نصوح واخفاقه والخبر يفيد

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٤٢ ــ ٢٤٥ •

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٤٢ ــ ٢٤٥ •

(٣) نفس المصدر ص ١٥٧ ــ ١٥٨ السياق يقتضي ان يكون احمدتولى الامرة سنة ٩٤٥ وظل فيها الى ما بعد سنة ١٠١٥ اي اكثر من سبعين سنة • وهي مدة طويلة جدا يثير طولها العجب والتساؤل بل والارتياب • ولعل هناك امراء آخرون قبل احمد أو بعده اسماؤهم متماثلة فحصل التباس في التسجيل •

ان منطقة نشاط ونفوذ الامارة كانت تشمل براري الشام والعراق معا كما هو المتبادر •

ولما مات احمد في تاريخ لم يذكره الراوي ــ تولى الامرة مكانه ابنه شديد الذي روي العزاوي راوي الخبر انه كان ظالما متكبرا • وقد وثب عليه سنة ١٠١٨ مدلج بن ظاهر فقتلـه وهو في الخيمـة يلعب الشطرنج ثأرا لابيه الذي قتله احمد ابو شديد • ولم تصر الامرة الى مدلج مع ذلك حيث تولاها حسين بن فياض الحياري لانه كان الاولى في سلسلة الامراء • ولكن مدلجا لم يرض بذلك فتآمر على حسين مع فريق من بني عمه وحاولوا قتله فهرب فتولى مدلج الامرة ثم جعـل لحسين نصيبا في الحكم • غير ان نفس هذا لم ترض وقام بمحاولات في سبيل الاستيلاء على الامرة فاخفق [1] •

وقد ذكر المحبي في خلاصة الاثر [2] هذا في ترجمة حسين وزاد عليه ان حسينا استنجد بالوالي ليعيده الى الامرة وعلم مدلج بسعيه فبذل خمسة وعشرين الف قرش لقتله فوافق واحتال عليه واعتقله ثم امـر بخنقـه •

ولقد مال مدلج الى جانب العجم أثناء الحرب التي نشبت بينهم وبين الدولة العثمانية في منتصف القرن الحادي عشر فسير قائد الحملة العثمانية قوة ضربت عسكره ضربة قوية وسقط هو في أثناء ذلك عن فرسه فهلك • وكان ذلك في سنة ١٠٤٠ هـ [3] • والخبر يفيد استمرار

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٤٢ ــ ٢٤٥ • لقد ذكر شديدا هـذا المحبي في الجزء الثاني من كتابه خلاصة الاثر ص ٢٢٢ وقال انه حاكم العرب اب عن جد وان مقامهم في سلمية وعانة والحديثة وانه كان ظالما جبارا وعنيدا متكبرا ولم يذكر من سيرته شيئا ثم ذكر وثوب مدلج عليه وطعنه وقتله اياه •

(٢) ج ٢ ص ١٠١ ــ ١٠٢ •

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٤٢ ــ ٢٤٥ •

شمول نشاط هذه الامارة ونفوذها لبراري الشام والعراق معا كما هو المتبادر .

وفي تاريخ الامير حيدر الشهابي ذكر لمدلج وحسين في سياق سيرة واحداث الامير فخرالدين المعنى الثاني . ومما جاء في هذا التاريخ من ذلك [1] خبر التجاء الامير حمد بن قانصوه امير عجلون الى مدلج حينما نازعه عمه الحكم واخذه منه ، حيث يفيد هذا ما كان لمدلج وبالتالي لهذه الامارة من شأن وصيت .

ومن ذلك خبر التجاء حسين بن فياض الى الامير فخرالدين المعنى الثاني حينما طرده مدلج من الامارة ووعد مدلج للامير بعشرة آلاف قرش وعشرة رؤوس خيل وزواج ابنته لابنه مقابل قتل حسين واباء الامير المعنى قائلا انه لا يريد ان ينسبه آل ابي ريشة الى ضد عوائده [2] . ومن ذلك استنجاد مدلج سنة ١٠٣٢ هـ الامير فخرالدين على التركمان وتلبية الامير لطلبه وارساله اليه اربعمائة مقاتل وغزوه بهم بلاد التركمان في جهات حلب وحصوله على غنائم كثيرة منهم [3] ومن ذلك خبر طلب يوسف سيفا من الامير مدلج التوسط بينه وبين ابن اخيه سليمان في السنة نفسها وكان الامير نازلا في السلمية واجابة الامير الى ذلك وقدومه الى صافيتا واصلاحه بين العم وابن اخيه [4] . ومن ذلك خبر انحياز حسين بن فياض الحياري مع من كان معه من العربان الى جهة والي الشام مصطفى باشا في قتال الامير فخر الدين المعني الثاني الى جانب الامير يونس الحرفوش وعمر سيفا وشهوده المعركة التي وقعت في عين

---

(١) ج ١ ص ٦٧٦ نسخة مغبغب .

(٢) نفس الصحيفة .

(٣) ج ١ ص ٦٨١ نسخة مغبغب .

(٤) نفس الصحيفة .

جر بين الامير المعني الثاني ومن معه [1] • وهي المعركة التي انتصـــر فيها الامير المعني واسر فيها الوالي مما شرحناه في سيرة بنـــي معن •

ومما ذكـــره الشهـــابي في هـــذا السيـــاق ان حسينـــا ارتحل الى الدريكيش ولجأ الى حاكمها مصطفى اليزيدي فرحب بـــه هذا وآواه وزوجه باخته فانتعش وأخذ يغير على جماعة مدلج فاستنجد هذا بالامير فخر الدين فركب بقوته الى الامير مدلج وخشي حسين العاقبة ففر الى ناحية حلب وحينئذ سعى مدلج مع والي حلب حتى جعله يعتقله ويخنقه [2] • وقد ثار غيظ مدلج على اليزيـــدي بسبب تشجيعـــه لحسين فـــاندمج مـــع والي حلب مراد بـــاشا الذي تصدى لقتـــال اليزيدي في سنة ١٠٣٣ بسبب حركاته العدوانية فيمنطقة اللاذقية واشترك معه في قتاله ومطاردته حتى القي القبض عليه [3] •

ولما قتل مدلج بسبب انحيازه الى العجم على ما مر ذكره تولى الامرة سعيد بن فياض الحياري ثم صارت بعده الى خالد العجـــاج على ما رواه العزاوي الذي روي انه كان من فخذ ابي ريشة ونسل حيار بن مهنا وانه كان موصوفا بالشجاعة وانه اعتاد نهب القوافل وقطع الطرق وانه حظي باحترام والي بغداد العجمي وانه قتل سنة ١٠٥٤ بسهم رماه به مملوك شركسي لاحد تجار قافلة تعرض الامير لها [4] •

وتولى الامرة بعده الامير عساف الذي لم يذكر العزاوي الذي ذكر الخبر اسم ابيه • والذي قال في صدده انه كان من عادته ان لا يمر بالمدينة ولا يتقرب للامراء وللوزراء (بالتقدمات والهدايا على ما هو المتبادر) وان يأخذ العوائد والخاوات من القرى مع تناوله مرتبا مـــن

---

(١) ص ٦٨٩ ــ ٦٩٣ •

(٢) ص ٦٦٦ ــ ٦٩٨ •

(٣) تاريخ الامير حيدر ايضا ج ١ ض ٧٠١ نسخة مغبغب •

(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ٢٤٢ ــ ٢٤٥ و ج ٥ ص ٢٨ ــ ٢٩ •

حكومة حلب • وقد حاول والي حلب اغتياله فأخفق وخشيت الدولة العاقبة فكتبت له كتابا استرضته به [1] • ولقد روي هذا الحادث وصفي زكريا في كتابه عشائر الشام [2] عزوا الى تاريخ حلب لكامل الغزواي • وقد جاء في سياقه ان الوالي عمد الى اغتياله بسبب عيثه فسادا في البلاد فدعاه الى وليمة في حلب فاعتذر قائلا ان البدوي لا يأوي المدينة فاقام له وليمة في البادية فلباها بعدما أخذ منه عهدا بعدم الغدر به • وقد جاء مع ذلك متدرعا بثلاثة دروع ومعه جمع غفير من عربه وحاول الوالي تنفيذ عزيمته فاخفق وعاد العساف الى منازله مغيظا محنقا وارسل السلطان اليه رسولا يتلطف معه ويعاتبه على تمرده ويحمل اليه الهدايا فأجابه ان الذنب على الوالي وأرى الرسول ثقوب الرصاص في دروعه فعزل السلطان الوالي فرضيت نفس عساف وتعهد حينئذ بالهدوء والسكون • وروى الاستاذ زكريا حادثا آخر مشابها لهذا الحادث في سنة ١٠٩٣ عزوا الى الغزي ايضا الذي ذكر ان فساد العرب كثر في هذه السنة فامرت الدولة ولاة حلب ودمشق وبغداد وطرابلس الشام بالتعاون على القبض على اميرهم ملحم وبذل والي حلب جهده في الاحتيال على ملحم بالقدوم الى حلب فاخفق فارسل سرية لمطاردته فتمكنت منه وقبضت عليه وعلى كثير ممن كان معه • وقد اعدم الوالي عددا كبيرا من رجاله وارسل ملحما الى السلطان الذي كان آنئذ في ادرنه والذي نظر اليه مليا ثم امر بقتله [3] •

وقد أورد الاستاذ زكريا وصفا لامراء الامارة عزوا الى سائح ايطالي زار بلاد الشام في سنة ١٠٧١ هـ ١٦٦١ م جاء فيه ان أمير بلدة

---

(١) ج ٥ ص ٣٠ •

(٢) ج ١ ص ١١٢ ـ ١١٣ •

(٣) عشائر الشام ج ١ ص ١١٣ ـ ١١٤ •

عانة وكل البادية يدعى الامير فياض من آل ابي ريشة الذين كانت لهم السيادة في الضفة اليمنى من الفرات [1] •

ولقد ذكر كاتب انكليزي في كتاب ألفه بعنوان أربعة قرون من تاريخ العراق وترجم الى العربية عزوا الى كتب رحلات سياح أجانب ان سطوة ابي ريشة كانت سائدة في القرن السادس عشر من هيت الى بيرهجك في بادية الشام وان هذا الاسم وراثي يطلق على أعظم شيخ لجمهرة من العرب • وكانت عانة قاعدة حكمه ، وان ابا ريشة بسلطانه وقوته اسم مخيف لولاة ديار بكر وبغداد وحلب وكان العدو الذي لا يغلب في نظر الدولة العثمانية التي كانت تجهل سياسة البادية • وفي سنة ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م تعرض ملك العرب مرارا لعمال هذه‌الدولة‌ودورياتها وجباتها فاهتمت للتنكيل به ولما لم يكن في امكانها الانتقام منه شخصيا فانها قبضت على ابن له كان يتولى أحد الحصون النهرية فاعدمته • ولكن هذا لم يخضد شوكة الاب التي ظلت قوية مهيبة • وكان السياح المسافرون يعدونه ملكا ويدفعون له الخاوات • وكان يغزو القبائل الاخرى فاتكا ناهبا ولم تر الدولة العثمانية في النهاية مناصا من مسايرته فاعترفت به كمتصرف لسنجق عانة • ولم تنل منه الا نصيبا ضئيلا من الرسوم التي كانت تجبى بواسطة وكلائه ولم تكن قوةتستطيع ان ترهب المسافرين أو تحميهم غير قوته •

ومما ذكره هذا المؤلف ان الامير ناصر بن مهنا كان في سنة ١٠١٣هـ ١٦٠٤ م هو ملك القسم الجنوبي الممتد من النجف الى الفلوجة وكانت مدينة كربلاء ومنطقتها مركز امارته او ديرته • وكان وكلاؤه يلاقون المسافرين من بغداد الى الفلوجة على بضعة اميال من بغداد ويتقاضون منهم الاتاوة • ومع انه كان يرسل بعض الهدايا لوالي بغداد من آن

---

(١) عشائر الشام ج ١ ص ١٠٦ ــ ١٠٧ •

لآخر فان سلطانه كان موطدا وجانبه عزيزا حتى ان الحاميات العثمانية التي كانت تقيم في العتبات المقدسة ـ الاماكن المقدسة الشيعية في النجف وكربلاء ـ لم تكن لتتمكن فيها الا باذنه وسماحه •

ومقتضى السياق الذي أوردناه عن العزاوي قبل ان الامرة العامة في سنة ٩٨٢ هـ كانت للامير احمد وانها ظلت في عهدته الى ما بعد سنة ١٠١٥ هـ فيكون هو المعنى في القسم الاول من كلام المؤلف • اما ناصر المذكور في القسم الثاني فلم يذكره العزواي • وكلام المؤلف لا يفيد انه كان يتولى الامرة العامة بل قد يفيد انه كان اميرا ثانويا وربما نائبا عن الامير احمد •

وعلى كل حال فيبدو مما تقدم ان نفوذ وسلطان هذه الامارة أو الارومة كان شاملا لباديتي الشام والعراق معا وكان منها امراء يمارسونه في بادية الشام وآخرون يمارسونه في بادية العراق في وقت واحد •

— ٥ —

ولقد ظل شأن هذه الامارة التي تركزت في النهاية تحت اسم أمراء ابي ريشة وامراء الموالي حيث تألفت عشيرة بهذا الاسم من عشيرتهم الاصلية ومن انضم اليهم من عشائر اخرى الى القرن الثاني عشر بل الثالث عشر عظيما وبأسهم شديدا على ما تدل عليه الاحداث المروية عنهم •

ولقد وفد في اواسط القرن الثاني عشر عشيرة بني خالد نازحة من الاحساء نحو براري حمص فتصدى لها عرب الموالي الذين ابوا ان يشاركهم غيرهم فيما كانوا يرتعون فيه من براري بلاد الشام وجزيرة الفرات حيث كان نفوذهم يمتد من ابواب حمص وحماه الى ضواحي

حلب والرقة ودير الزور والجزيرة فتمكنوا من دفعهم بعد ان فتكوا فيهم فتكا ذريعا على ما رواه الاستاذ زكريا [1] • ولم يكادوا يستريحون من بني خالد حتى فوجئوا بعشائر الاحسنة ثم الاسبعة والفدعان العنزية فقام بينهم مصاولات مديدة • وبرغم استطاعة هذه العشائر من تثبيت قدمها في مناطق حمص وحماه وتمكن بني خالد بعد ذلك من العودة الى هذه المناطق وتثبيت قدمها فيها بدورها على ما رواه الاستاذ زكريا [2] فان الموالي بزعامة امرائهم آل ابي ريشة ظلوا يحتفظون بشدة بأسهم وقوة حيويتهم • وقد روى الاستاذ زكريا [3] عزوا الى كامل الغزي مؤلف تاريخ حلب ان الموالي بزعامة امرائهم عاثوا في برية حلب وكثر أذاهم للسابلة في سنة ١١٣٣ وتعسر ردعهم على ولاة حلب مما جعل الدولة تسير قوادا وجيوشا من بغداد والموصل وديار بكر وغيرهـا حتى امكن وقف ضررهم • ولم يفت هذا من قوتهم وعضدهم حيث روى الاستاذ زكريا [4] خبر عيثهم فسادا في منطقة حمص وحماه سنة ١١٨٩هـ وزحف عبدالرحمن العظم حاكم حماه عليهم للتنكيل بهم ولكنهم استطاعوا ان يصدوه ويكسروه وفي سنة ١٢٠٧ ثاروا ثورة كبيرة في ضواحي حماه وحمص ايضا ونهبوا القرى وفتكوا ببعض الاعيـان واشتد فسادهم نتيجة لعصيان قائد قلعة دمشق وفراره اليهم وتحريضه لهم • وقـد سيقت عليهم قوة كبيرة من حلب وحماه ودمشق حتى امكن ضربهم ضربة قوية [5] •

ولقد زار بلاد الشام سنة ١١٩٩ سائح افرنسي فذكر في رحلتـه

---

(١) عشائر الشام ج ١ ص ١٠٧ •

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٧ ـ ١٠٨ •

(٣) المصدر نفسه ص ١١٥ •

(٤) المصدر نفسه ص ١٠٦ •

(١) المصدر السابق ص ١٠٨ •

احد زعمائهم محمد الخرفان وقال : ان سطوته كانت مستفحلة وانـه كان يفرض الاتاوات على البلاد وان مجموع قوته كانت ثلاثين الف خيال ، وقد قتله احد شيوخ الحديديين انتقاما من عسفه وتعديـه على قبيلته • فلما ترعرع ابنه الذي كان جنينا حينما قتل ابوه قامت بينه وبين الحديديين مصاولات مديدة انتقاما لابيه منهم ، حيث يدل هذا على ان قتل الخرفان والتنكيل الذي وقع عليهم سنة ١٢٠٧ لم يفت فـي أعضادهم وقوتهم [١] •

ومما فيه تأييد لذلك ما رواه الاستاذ زكريا [٢] عزوا الى الغزي أيضا من كثرة فساد الاعراب في جوار حلب وجهات اريحا وانطاكية عام ١٢٣٢ بزعامة الامير مهنا البدوي الذي كان الزعيم الاكبر للاعراب والذي وصل أمره الى فرض ضريبة على كل داخل الى ارضه وفرض خوة على القرى المجاورة لمنازله • وقد تفاقم الفساد حتى تعطلت السبل وانفقد الامن مما جعل الدولة تهتم للامر وترسل القوات الكبيرة لقتالهم حتى تمكنت من ضربهم وقطع رؤوس اربعة وثلاثين من شيوخهم •

واستمر الحال على هذا الى ان جاءت حملة ابراهيم باشا التـي استطاعت ان توطد الامن في الحواضر والبوادي ون تكره البدو على احترام سلطة الحكومة • غير ان الموالي عادوا الى نشاطهم بعد جلاء الحملة ، وقد اشتبكوا مع الحديديين سنة ١٢٧٥ هـ ١٨٥٨ م بمعركة من من معارك الثأر التي ذكرناها قبل والتي وقعت في شمالي حماه كسبوا جولتها الاولى وكسب الحديديون جولتها الثانية [٣] •

---

(١) المصدر نفسه ١٠٨ ـ ١٠٩ ان تاريخ زيارة السائح في الصحيفة ١٠٨ هو سنة ١٠٩٩ غير انه ذكر في الصحيفة ١١٢ (١١٩٩) وهذا هو الاصح على ما يفيده السياق في الصحيفة ١٠٩ •

(٢) المصدر نفسه ص ١١٥ •

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٩ •

وكانت الدولة العثمانية في هذه الظروف قد أخذت تهتم لتوطيد سلطانها في نطاق التنظيمات الادارية الجديدة وتقضي على الحكم الاقطاعي فاهتمت لانشاء المخافر وتسيير الدوريات بسبيل ذلك مما خفف من وطأة نشاط البدو وعدوانهم ومن الجملة الموالي وامرائهم واستمرت هذه الوسائل تقوى بالتدريج ويتوطد بها نفوذ الدولة في البادية وسارت الحكومة السورية على غرارها في زمن الانتداب الافرنسي ثم استمرت بعد ذلك [1] فكان في كل هذا نهاية لهذه الامرة بعد نشاط عظيم واسع المدى امتد نحو ثمانية قرون .

(1) المصدر نفسه ص ١١٧ - ١٢٤ .

(٧) بنو الحنش

لم نعثر من سيرة هذه الاسرة الا على نتف لا تشفي غليلا ٠ ولكن ما ذكر فيها يدل على انه كان لها بروز في مجال الحكم والسلطان في بعض انحاء لبنان ــ الحاضر ــ امتد أمدا غير قصير وان بعض رجالها لمع لمعانا عظيما ٠ فصار من المفيد والحق ان نعقد لها هذه النبذة في هذا الفصل ٠

ولقد احتوى كتاب تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني لاسكندر المعلوف ذكرا لهذه الاسرة [١] معزوا لمؤرخ لبناني قديم اسمه ابن زنبل في كتاب له اسمه نصيحة الملوك ، جاء فيه ان السلطان سليم العثماني بعد ان استولى على بلاد الشام عام ٩٢٢ هـ واعتزم التوجه الى مصر سأل نائبه الغزالي الذي كان يريد أخذه معه عن من يحفظ الشام في غيبته فقال له « الامير ناصر الدين بن الحنش » فاستدعاه السلطان وخلع عليه وكان من شيوخ العرب في بلاد الشام وكان لاجداده سلطان اقطاعي في منطقة حمص وقال له « البلاد بلادك فتسلم حفظها حتى ننظر الامر كيف يكون ٠ فتولى ابن الحنش الحكم على البقاعين وصيدا ٠ ولم يكد السلطان يغادر بلاد الشام الى مصر حتى اعلن استقلاله متمردا على السلطان العثماني ٠ فلما عاد الغزالي جرد حملة عليه فلم يقو أمامها وطارده حتى ظفر به وقضى عليه ٠

والنبذة تفيد ان أسرة بني الحنش أصيلة العروبة أولا وانه كان

---

(١) ص ٦٦ ــ ٦٧ ٠

لها بروز وحيز عظيمان في مجال الحكم والسلطان في بعض انحاء الشام الشمالية ثانيا قبل الفتح العثماني بامد ما • وعبارة السلطان المروية لناصر الدين ذات مغزى عظيم في هذا الباب كما هو المتبادر •

وقد قال المعلوف في هذا السياق ان ابن سباط المؤرخ العاليهي ـ نسبة الى عاليه ـ ذكر كثيرا من المقدمين من بني الحنش حيث يـدل هذا على ان هذه الاسرة استمرت على بروزها الاقطاعي بعد نـاصر الـدين •

وفي كتاب بدائع الزهور لابن اياس بيان واف في صدد تمرد ناصر الدين حيث جاء في الجزء الثالث منه [١] في سياق حوادث سنة ٩٢٣ هـ ان الاخبار وردت بان الامير ناصر الدين ابن الحنش بلغه ان ابن عثمان ـ السلطان سليم ـ ارسل شاليش عسكره ـ طليعة عسكره او قسما منه ـ وصحبته ابن سوار [٢] الذي كان تعصب له فلما وصلوا الـى قابون قرب دمشق خف ناصر الدين الى لقائهم واشتبك معهم في معركة مهولة وقتل منهم جماعة ثم اطلق الماء عليهم من انهار دمشق حتى صار كل من دخل في تلك المياه بفرسه يوحل فلا يقدر على الخلاص فهلـك من عسكر ابن عثمان جماعة كبيرة ، حيث يفيد هذا ان ناصر الدين كان صاحب الحكم واليد على بلاد الشام الوسطى وليس فقط في صيدا والبقاعين كما ذكر ابن زنبل • على ان خطاب السلطان ناصر الدين الذي روي ابن زنبل عبارته يؤيد ذلك أيضا • وليس في الخبر ما يتنافى مع احتمال ان يكون السلطان سليم هو الذي عهد اليه بحفظ بلاد الشام على ما جاء في رواية ابن زنبل •

---

(١) ص ٧١ •

(٢) ابن سوار كان حاكما اقطاعيا في حدود الاناضول مما يلي الشام وازعج دولـة مماليك الشركس بحركاته العدوانية واشتبك مع قواتها مرارا ويظهر انه كان يفعل ذلـك بتحريض من الدولة العثمانية •

ويظهر ان ابن الحنش اغتر بقوته وشمول سلطانه وسابق مركز أسرته واغتنم فرصة انشغال السلطان العثماني في مصر ــ لان طومانباي الذي تولى الحكم بعد قانصو حاول صده ــ فرأى ان يكون هــو صاحب الحكم والسلطان في بــلاد الشام بــدلا من بني عثمــان فكان منه ما كان •

وممــا ذكره ابن اياس في سياقه ان طومانباي لما بلغه مــا فعل ابن الحنش رسم له بنيابة حمص وابرز اليه المراسيم الشريفــة بانه اذا كسر عسكر ابن عثمان قرره على اتابكية دمشق ــ ولايتها العامة ــ وان ابن الحنش اجابه قائلا : مدني بالعسكر وأنا أجمع العربان وعلي ضمــان كسر ابن عثمان • واستطرد ابن اياس فقال : ان بعض اجداد ابن الحنش كان متوليا لنيابة حمص •

ثم ذكر المؤرخ المذكور في حوادث سنة ٩٢٤ هـ [1] ان نائب الشام جان بردى الغزالي تحايل على ناصر الدين الحنش شيخ اعراب البقــاع وغيرها من جهات الشام وقتله وقتل شخصا من مشايخ العربان يقــال له ابن الحرفوش •

والمقصود بابن الحرفوش هو الذي كان يتولى الحكم في بعلبك على الارجح • وقد تفيد العبارة ان هذا الامير تضامن مع الامــير ناصر الــدين في موقف التمرد ضد الفتح العثمــاني • وقد استطرد ابن اياس ثانية فقال ان ناصر الدين كان كثير العصيان على نواب الشــام وحلب بل وعلى سلاطين مصر ايضا وان نائب الشام ما كان ليقــدر عليه لولا التحايل حيث يدل هذا على ما كان يشغله هذا الامير من حيــز فــي الاذهــان •

---

(١) ج ٣ ص ١٦٣ •

(٨) بنو الاعوج

وهذه اسرة كان لها بروز في مجال الحكم والسلطان في بعض انحاء الشام الشمالية • ومع ان النتف المقتضبة التي عثرنا عليها منها لا تشفي غلة فانها تسوغ التنويه بها في هذا الفصل اسوة ببني الحنش

والنتف التي عثرنا عليها هي في الجزء الثاني من خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر للجبي والجزء الاول من تاريخ الامير حيدر الشهابي •

فأما الاول فقد ذكرها في سياق ترجمة أحد افرادها الامير حسن فقال عنه انه الامير الجليل ابو الفوارس المعروف بابن الاعوج أمير حماه واحد امراء الدهر وعين باصرة الادب وشمس فلك المجد جمع الله له بين ادوات المحاسن ورقاء الى أعلى ذروة المفاخر • وهو من بيت أصيل الرياسة عريق النسب امير بن امير • وامه بنت شيخ الاسلام الشيخ علوان الحموي • وقرأ على علماء بلده علوم العربية وعاشر الادباء وجالس الشعراء وشاع خبر ادبه فشد اليه الادباء الرحال واجتمع عنده ما لم يجتمع عند احد من امراء عصره • وسافر الى الروم [٢] في أيام السلطان مراد بن سليم ومدحه فولاه ولاية حماه

---

(١) ص ٤٥ — ٥١ •

(٢) هذه الكلمة كانت تعني بلاد الاناضول والاستانة والدولة العثمانية وكانت قبل قيام هذه الدولة يوصف بها دولة السلاجقة التي قامت في قونية على اعتبار ان الدولتين قامتا في بلاد الروم •

فأقام بها ثلاث سنين ثم عزل عنها ثم ولي امارة معرة النعمان فتوجه اليها بعشائره ووطد الحكم فيها وتكرر له العزل عنها وعن حماه والتولية لهما وعانده الدهر في بعض الاحيان وكان صبورا على النوب كما كان ينظم الشعر فيأتي منه بكل معنى رائق •

وقد اورد المحبي مقطوعات عديدة له تدل فعلا على ما كان له من قوة عارضة وبلاغة • وقد توفي في شعبان سنة ١٠١٩ هـ وجاءه امر سلطاني بامارة حماه لآخر مرة وهو على فراش الموت ••

ومجمل الكلام يدل على ان امارة الامير حسن هذا ليست الاولى والاخيرة للاسرة وان غيره من الاسرة قد سبق له الامارة قبله •

وعبارة المحبي بان الامير حسن توجه الى المعرة بعشائره ووطد الحكم فيها يدل على ان أسرته من الاسر العربية التي كان لها بروز وعصبية وعشائر في منطقة حماه •

ومما قاله المحبي ان من العجب ان لا يكون لهذا الامير وقبيلته وآبائه حظ من الذكر في التاريخ على علو كعبهم في الامارة وعراقتهم في السيادة •

والمحبي ــ مؤلف خلاصة الاثر ــ هو من رجال القرن الحادي عشر وبالتالي فانه ثقة في ما يقول لانه معاصر •

وأما الامير حيدر الشهابي فقد ذكر الامير حسين بلقب حسين بك ابن الاعوج حاكم حماه في حوادث سنة ١٠٢٣ هـ ــ ١٦١٤ م في سياق ذكر اعتزام والي الشام الحافظ احمد باشا نحو الشوف ثانية لضرب الامير يونس المعني الذي قام مقام اخيه الامير فخر الدين الثاني حينما غادر البلاد الى اوروبا والذي بدا منه شيء من النشاط بسبيل توطيد حكمه على ما سوف نذكره في سيرة بني معن في الفصل الثاني حيث ذكره في جملة من اجتمع اليه من حكام البلاد وعشائرهم [١] •

---

(١) ج ١ ص ٦٣٨ نسخة مغبغب •

الفصل الثاني

الامارات العربية في لبنان [1]

١ ــ التنوخيون في لبنان •

٢ ــ بنو معن •

٣ ــ استطراد الى التعريف ببني عساف التركمان وبني سيفا الاكراد•

٤ ــ بنو شهــاب •

٥ ــ بنو الحرفوش •

٦ ــ زعامات جبل عــامل •

٧ ــ بنو الجندل •

٩ ــ بنو فريخ •

١٠ ــ الموارنة وامراؤهم ومقدموهم •

١١ ــ الاسر الاقطاعية الاخرى في لبنان :

بنو اللمع ــ بنو الخازن ــ بنو حبيش ــ بنو الدحداح ــ بنو الظاهر ــ بنو الصالح أو الخوري ــ أسماء أسر اقطاعية مارونية أخرى ــ بنو علم الدين ــ بنو عماد ــ بنو تلحوق ــ بنو نكد ــ بنو عبد الملك ــ بنو جنبلاط ــ بنو رعد ــ بنو حماده ــ اسماء أسر اقطاعية درزية وسنية وشيعية أخرى •••

---

(١) نقصد بلبنان اراضي الجمهورية اللبنانية الحاضرة .

(١) التنوخيون في لبنان

— ١ —

من اقدم الحركات التي سجلها التاريخ للارومات العربية في مجال الحكم والسلطان في حقبة التغلب التركي في سواحل الشام وادومها حركة التنوخيين .

فقد بدأت قبل هذه الحقبة أي في القرن الثاني للهجرة وشهدت جميع ادوارها أي انها عمرت اثني عشر قرنا وعاصرت جميع الحركات والاحداث والتقلبات التي جرت على مسرح البلاد في عهد الخلافة العباسية والمتغلبين عليها ثم في عهد سلطان الخلافة الفاطمية على بلاد الشام ثم في عهد الدول التي قامت في هذه البلاد من يوبية كردية الى تركية الى شركسية الى تركية عثمانية ، ومع ان حكمها الاقطاعي قد انتهى في أواخر القرن الهجري الثالث عشر فان آثارها ما تزال موجودة بالاسر التي تنتسب اليها وبما لهذه الاسر من تسميات وقصور وكيانات تحمل السمة الاقطاعية ، مع التنبيه على ان ساحة نشاطها وبروزها وبالتالي مشاركتها في تلك الحركات والاحداث والتقلبات كانت وظلت ضيقة النطاق .

وسيرة التنوخيين مبثوثة في مصادر عديدة كانت تحت يدنا منها تاريخ بيروت لصالح بن يحيى من الامراء التنوخيين في القرن التاسع الهجري نشره لويس شيخو وهو الاقدم ، والغرر الحسان للامير حيدر الشهابي الذي يستند الى مصادر عديدة قديمة لبنانية وغير

لبنانية • واخبار الاعيان للشدياق الذي يستند كذلك الى مصادر عديدة قديمة لبنانية وغير لبنانية من جملتها الغرر الحسان • وكتاب روض الشقيق للامير شكيب ارسلان الذي ألفه لاحيـاء ذكرى أخيه الامير نسيب والذي احتوى سلسلة النسب العمودي لنسيب الى ان يصل الى الامير ارسلان بن مالك التنوخي المنذري ، والذي احتوى بسبيـل اثبات هذه السلسلة اثباتات ومحاضر قضائية يسميها في جملتهـا باسم السجل الارسلاني فيها اسماء الامراء وتولداتهم ووفياتهم وكثيرا من احداثهم وصفاتهم • ويبـدو من مضامين ما جاء في كتابي الشهابـي والشدياق ان مؤلفيهما قد اطلعا على السجل • وكان من مصادرهما وفيهما كثير مما جاء فيه بل اكثره • ومنه ما هو بعباراته •

وستكون هذه المصادر مقتبسا لنا في ما سوف ندونه من سيرة التنوخيين في هذا الفصل •

— ٢ —

وللمؤرخين والباحثين روايات واقوال متعددة في أصول التنوخيين وظروف وكيفية طروئهم على لبنان • فلويس شيخو اليسوعي يقول في بعض حواشيه على كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ان معاويـة ابن ابي سفيان نقل الى طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا قوما من الفرس ليسكنوها ويعزو هذا الى كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته ثم قـال ان بني امية سلموهم السواحل لحراستها مـن غزات المردة الـذين استقدمهم ملوك القسطنطينية للدفاع عن لبنان وكليكية مـن غزوات العرب ، وان بـيروت بقيت تحت حكـم الامراء الفرس الـذين منهم الارسلانيون والتنوخيون • وجرت بينهم وبين المردة عدة وقائع ، ولمـا صار الامر لبني العباس قرروا الامراء المـذكورين في حكمهم علـى

الساحل ولما قدم الخليفة ابو جعفر الى دمشق سنة ١٤٠ هـ ٧٥٧ م اقطع المنذر بن مالك واخاه ارسلان قطاعات في الغرب ، (وكلمة الغرب هنا وفي المناسبات التي وردت فيها في سيرة التنوخيين تعني غرب بيروت) وامرها بالسكنى في جبال بيروت فاستوطن المنذر سرحمور ونزل اخوه ارسلان في سن الفيل وبها توفي سنة ١٧١ هـ [١] .

ونسبة الارسلانيين والتنوخيين للفرس الذين يروي ابن رسته ان معاوية جلبهم واسكنهم في بيروت وصيدا وطرابلس وجبيل هي تفسير لويس وليست لابن رسته على ما تفيده العبارة ، هذا برغم ان رواية ابن رسته تبدو غريبة وغير مستقيمة . لانه ليس من الممكن ان يجلب معاوية عقب فتح بيروت الذي تم في عهد خلافة عمر بن الخطاب جماعة من الفرس . لان الفرس لم يكونوا قد خضعوا للسلطان العربي وأسلموا بعد وصاروا موضع اعتماد لقتال المردة والروم والدفاع عن السلطان العربي . ولا تستقيم الرواية كذلك حتى على فرض القول ان معاوية جلبهم في عهد ملكه لان الامويين كانوا يتبعون سياسة عربية فلم يكن من المعقول أن يأتوا بجماعة من الفرس ويسكنوهم في سواحل الشام ليتقووا بهم والعرب في أوج قوتهم وقدرتهم ونشاطهم .

والشدياق في كتابه اخبار الاعيان الذي عقده على اخبار الارومات الحاكمة والمشايخ الاقطاعيين في لبنان والذي استند فيه الى مؤلفات عديدة منها المطبوع ومنها المخطوط والذي احتوى ستة فصول في انساب واخبار التنوخيين والارسلانيين واللمعيين وعلم الدين يورد سياقين في ظروف وتاريخ قدوم التنوخيين فيهما بعض التناقض والتضارب .

ففي السياق الذي جاء في مطلع فصل اخبار الامراء التنوخيين

---

(١) تاريخ بيروت لصالح بن يحيى نشر لويس شيخو ص ١٤ و ١٧ - ١٨ .

القيسيين [1] بعد ان يسلسل نسب الامراء الى المنذر بن ماء السماء يقول انه لما ظهر الاسلام جاءت قبيلة من قبائل تنوخ مع قحطان بن عوف المسلسل الى لملك النعمان وسكنت البرية التي بين حلب ومعرة النعمان وارتفع قحطان في تلك القبيلة وولد له ولد هنا سماه تنوخا فقام اميرا عليهم بعده . ثم قاموا الى الجبل لاعلى (في منطقة حلب) وعمروا فيه قرى ومزارع . وفي ذات يوم تعرض المشد (الحاكم) الذي ولاه عليهم والي حلب لبعض حريمهم فوثب عليه رجل منهم اسمه نبا فقتله وفر بعياله الى كسروان وعمر قرية هناك عرفت ببرج نبا وتوطنها . ولما طلبه نائب حلب من عشيرته خافوا ورحلوا قاصدين موضع نبا . وسنة ٨٢٠ م (الثلث الاول من القرن الهجري الثالث) أتى الامير تنوخ الملقب بالمنذر بعشيرة نبا ومعه تلك القبيلة وأتى معهم بعض امراء القبيلة وكانوا عشر طوائف فوجههم نبا الى الديار الخالية من السكان فتوطن الامير تنوخ حصن سرحمور والباقون في البلاد . وكان تنوخ يحكم فيما بينهم وصار بنوه بعده حكاما عليهم .

اما في السياق الثاني الذي جاء في فصل أخبار الامراء الارسلانيين [2] فانه يقول ان الخليفة ابا جعفر المنصور لما قدم سنة ٧٥٨ م الى دمشق سار اليه من بلاد المعرة الامير منذر بن مالك واخوه ارسلان بجماعة من عشيرتهما فأنس بهما وكرمهما وطابت نفسه بهما وبرجالهما وخيولهما . وكان بلغه قوة مردة لبنان ومنعهم ابناء السبيل عن المرور في الطرقات وان غزواتهم اتصلت الى بلاد حمص وحماه وغيرها ولم يتمكن الاسلام من بلادهم لسطوتهم وتحصنهم في الجبال العاصية فاستصوب أن يقيم بعض العشائر في البلاد الخالية المجاورة لبلادهم لقهرهم وتملك بلادهم فلما رأى ما عند الجماعة من الحماسة والقوة

---

(١) ص ٢٢٣ — ٢٤٧ .

(٢) ص ٦٤٦ — ٦٩٩ .

اطلعهم على فكرته فلبوه مخلصين فأمرهم بالسكنى في جبال بيروت الخالية وأنعم عليهم باقطاعات معلومة في لبنان وأعطاهم مناشير بها واستنهضهم للذهاب فأتوا الى منازلهم ونادوا بالرحيل ورحلوا في عشائرهم جميعا • وقد نهض الامير ارسلان بسوابق العشيرة ونزل أولا في الحصن المعروف بحصن ابي الجيش في وادي التيم منتظرا قدوم أخيه بباقي العرب •

وسنة ٧٥٩ م ١٤٢ هـ قدم الامير منذر بباقي العرب ونهض الاميران برجالهما ونصبا مضاربهما جنوبي جبل المغيثة فكانا يجوبان البلاد بعشائرهما ثم تفرقوا وعمروا جبال بيروت وتحضروا واستوطن الامير منذر في حصن سلحمور والامير ارسلان في سن الفيل وابناء اخوتهما حسان بن خالد في طرولا وعبد الله بن النعمان في كفرا وفوارس بن عبد الملك في أعبيه وتفرق باقي المقدمين وعشائرهم في البلاد وكانوا اثني عشر مقدما وأخذوا يغزون المرده ويحافظون على أبناء السبيل • وفي هذا السياق يذكر قصة نبا وقتله المشد وفراره سنة ٨٢٠ الى لبنان وبناءه قرية نبا وخوف عشيرته من الوالي ونهوضها الى لبنان وتفرقها في جنوبه واعمارها له حسب المناشير الصادرة [1] ، كأنما هي حادثة منفصلة ومتأخرة عن حركة قدوم الاميرين الاخوين المنذر وارسلان ولدي مالك واولاد اخوتهم وعشائرهم التي كانت سنة ٧٥٩ م ١٤٢هـ •

وفي أول الاثباتات التي أوردها الامير شكيب ارسلان في كتابه روض الشقيق المروي تحريره سنة ١٤١ هـ من قبل متولي فصل الدعاوي في معرة النعمان ذكر ان الامير منذر واخاه الامير ارسلان ولدي الامير مالك بن الامير بركات المنذري جاءا اليه وطلبا منه ان يكتب لهما

---

(١) روض الشقيق ص ٢٤٠ •

وفيات آبائهم وأنسابهم في رق ليحفظاه عندهما خوفا من حوادث الايام لانهما عزما على الرحيل الى جبال بيروت بامر امير المؤمنين المنصور • وهذا متطابق مع سياق الشدياق الثاني الذي نرجح انه استقاه من السجل الذي يشير اليه في فصل اخبار الامراء الارسلانيين اشارة تدل على انه اطلع عليه بكامله (١) •

وليس في الغرر الحسان شيء واضح ووثيق عن أولية قدوم التنوخيين بل ولا عن تاريخهم في لبنان الى القرن السادس للهجرة • وقد جاء ذكر قدومهم الى لبنان مقتضب فيه بعض الخلط وبعض التطابق الاجمالي لما جاء في اخبار الاعيان والروض الشقيق حيث قال فيما قاله : ان التنوخيين ينتسبون على ما يروى الى الملك النعمان بن المنذر وانه لما قتل كسرى النعمان الاكبر قام ولده النعمان الاصغر بجملة من قبائل العرب ونزلوا في سفح جبل لبنان الغربي المحاذي لمدينة بيروت وكان اذ ذاك قفرا حيث قد يفيد هذا ان قدومهم سابق للاسلام (٢) •

ومن العجيب انه ليس في كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي احتوى كثيرا من اخبار التنوخيين من القرن السادس الى اواسط القرن التاسع مع نسبهم المسلسل الى النعمان بن المنذر بن ماء السماء والمتباين مع سلسلة النسب التي وردت في روض الشقيق شيء عن كيفية طروء التنوخيين على لبنان عدا الحاشية التي ذكرناها قبل والتي ليست لمؤلف الكتاب •

— ٣ —

ومهما يكن من أمر فالنفس ترتاح الى رواية قدوم التنوخيين من

---

(١) ص ٦٩٨ •

(٢) الغرر الحسان نشر مغبغب ص ٣٥٠ •

المعرة في زمن الخليفة ابي جعفر المنصور العباس بقطع النظر عن ما فيها مــن تضارب يغلب ان يكون نتيجة لاختــلاط الروايات والــذكريات بالخيال •

ونسبة الاميرين المنذر وارسلان الى النعمان بن المنذر بن مــاء السماء تفيد انهما من ارومة غير ارومة العشائر والمقدمين الذين أتوا معهما • وهذا يعني انهما وآباؤهما من قبلهما كانوا امراء لقبيلة لا يمتون اليها بالنسب القريب • وفي سياق الشدياق الاول تفسير لذلك حيث يذكر ان قحطان المسلسل الى الملك النعمان جاء على رأس قبيلة وسكن البرية التي بين حلب ومعرة النعمان وارتفع مقامه ثم تولى الامارة على القبيلة بعده ابن له اسمه تنوخ وحيث يفيد هذا ان اسم التنوخيين جــاء من اسم اهذا الجد • وقد جاء في سلسلة النسب التي يوردها روض الشقيق ان الاميرين منذر وارسلان هما ولدا الامير مالك بن بركــات ابن الامير المنذر الملقب بالتنوخي [1] • حيث يفيد هذا كذلك ان اسم التنوخيين جاء من اسم هذا الجد وحيث يفيد بالتالي ان لذين جاؤوا مع ارسلان والمنذر واولاد اخوتهما من العشائر والمقدمــين لم يكونوا من ارومتهما • وقد ورد في الاثبات المروي تحريره سنة ١٤١ هـ في المعرة الذي اشرنا اليه قبل تكملة لسلسلة النسب تفيد ان المنذر الملقب بالتنوخي هو ابن مسعود بن عون بن المنذر المعروف بالمغرور بن النعمان ابن المنذر بن ماء السماء [2] وان الامير عون قدم مع خالد بن الوليد من العراق وحضر مع المسلمين فتح بصرى وظهرت فيه شجاعة وانــه قتل في وقعة اجنادين وخلف ولدين هما مسعود المشهور بقحطان وعمرو وان الامارة على لخم بعده صارت لمسعود •

---

(١) روض الشقيق ص ٢٤٠ •

(٢) نفس المصدر ص ٢٤٠ ــ ٢٤٤ •

ولقد اورد صالح بن يحيى في كتابه تاريخ بيروت الذي اشرنا اليه قبل نسبا لبحتر بن علي بن الحسين احد اصحاب السلطان البارزين من التنوخيين في القرن السادس وهو « بحتر بن علي بن الحسين بن ابراهيم بن محمد بن علي بن احمد بن عيسى بن جميهر بن تنوخ بن قحطان بن عوف بن كنده بن جندب بن مذحج بن سعد بن لحى بن تميم بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء [1] » ، وقال ان هذا ما وجده متداولا بين الخلف عن السلف بخط ناصر الدين الحسين بن سعد الدين خضر مسندا فيه على الصحة • وقد اورد [2] بيتين من الشعر من قصيدة انشدت بمدح كرامة بن بحتر احد الامراء التنوخيين في القرن السابع وهما :

ابقى حجاة كرامة في بحتر   وجميهر شرفت به قحطان
فلكندة ولخندج ولمذحج   سعدت به في طيه نعمان

حيث يدل هذا على ان نسبة الامراء التنوخيين الى الاصل المنذري كانت شائعة منذ قرون عديدة سابقة لصالح بن يحيى ، وحيث يتوافق صالح بن يحيى في هذه النسبة مع روايتي اخبار الاعيان والروض الشقيق •

ويلحظ تباين في السلسلة التي وردت في الروض مع السلسلة التي أوردها صالح بن يحيى كما هو ظاهر من المقابلة ، وهناك تباين آخر بينهما • فبحتر في سلسلة الروض هو ابن علي بن عمر بن عيسى بن موسى بن مطوع بن تميم بن المنذر بن النعمان بن عامر بن هاني بن مسعود بن ارسلان بن مالك الخ ••• بينما هو في سلسلة صالح « بحتر بن علي بن الحسين بن ابراهيم بن محمد بن علي بن احمد بن

---

(١) ص ٤٣ — ٤٤ •

(٢) ص ٥٤ •

عيسى بن جميهر بن تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندة الخ.. »
والتباين خطير لان الشخصيات التي كان لها أدوار تاريخية هامة في القرن الثاني الى القرن الخامس حسب ما جاء في الروض ليس لها وجود في سلسلة صالح بن يحيى ...

وبينما يقول صالح بن يحيى انه رأى سلسلة بخط ناصر الدين الحسين مسندا فيه على الصحة وحسب ما كان متداولا بين السلف والخلف يؤيد الامير شكيب سلسلة الروض بمحاضر ومجالس قضاء وشهود عليها كانت تحرر جيلابعد جيل ، من سنة ١٤١هـ الى سنة ١٣١٤هـ، مما يكاد يكون مفردا لا مثيل له . ومع ان مقصود الامير شكيب في ايراد ذلك هو ترجمة الآباء العموديين لنسيب في الدرجة الاولى فان المحاضر لا تقتصر على ذكر هؤلاء الآباء ونسبهم وولادتهم ووفاتهم بل تحتوي موجزا لتاريخهم وتاريخ اخوتهم وتفرعاتهم مع التوكيد المستمر في كل منها على التسمية الارسلانية المنذرية اللخمية . ومن شأن هذه الاثباتات ان تجعل سلسلة الروض أثبت بطبيعة الحال وان تجعل بالاضافة الى ذلك نسبة الامراء التنوخيين للمنذر بن ماء السماء أو دعوى ذلك من قبل الاميرين الاولين ارسلان والمنذر الذين كانا على رأس القادمين الى لبنان حقيقة وان تؤيد فكرة كون الامراء منفصلين عن العشائر التي أتت تحت لوائها من حيث النسب القريب .

وبسبيل توكيد حقيقة هذه الاثباتات يورد الامير شكيب في الروض نص محضر محرر في سنة ٥٠٤ [١] محرر من نصير الدين محمد بن احمد اللخمي الدمشقي جاء فيه ان الامير ابا المحاسن عضد الدولة على سلمه سجلات النسب الكريمة مع دفاتر وسجلات لكي يحفظها عنده خوفا من قدوم الافرنج دمرهم الله وامره ان يسلمها

---

(١) ص ١٨٥ – ١٨٦ .

اذا لم ينجح في قتالهم لا سمح الله أو استشهد لمن يكون من ذريتـه • ومن جملة شهود المحضر قاضي بيروت • ثم اعيدت هذه السجلات الى بحتر بن علي المنذري الارسلاني ، وكتب ذلـك في ذيل المحضر المذكور في نهار الثلاثاء رابع جمادي الاولى من شهور سنة اربعين بعد الخمسمائة ووقع المستلم على الذيل الذي وصف فيه نصير الـدين اللخمي بوصف الشيخ الصدر العلامة مولانا نصير الدين والذي ذكر فيه ان والد المستلم استشهد في حصار بيروت • وقد اورد الامـير شكيب نص تسجيل آخر حرر سنة ٥٩٥ لدى قاضي دمشق (١) جـاء فيه ان الامير قوام الدين عرف الدولة ابا المعز علي بن المرحوم ابي العشائر بحتر الارسلاني المنذري الغربي ـ نسبة لامارة غرب لبنان ـ حضر مجلسه واخرج امامه السجـلات المحتوية على نسب عـائلته المثبوتة لدى القضاة والحكام وطلب ان تنقل من الخط الكوفي القديم الى سجل واحد بالخط المتعارف فاجيب الى طلبه • ثم قال الامـير شكيب بعد ذلك ان السجل كان عبارة عن اثباتات متفرقة فصارت تحتاج الى تجـديد النسخ والجمع بالخط المتعارف فجمعت وحررت في سجل واحد وان السجلات القديمة الاولى لم تصل الينا حيث فقدت بكرور الاعوام وان هذا السجل الذي تحرر سنة ٥٩٥ جرى نسخه أيضا سنة ١٠٩٥ لدى قاضي دمشق واعطي نسخة منه للامير سليمـان ابن الامير فخرالدين وأخرى للامير عساف بن الامير قايتباي وبقيت نسخة ثالثة عند الامير سليم بن الامير يوسف بن الامير مذحج بن الامير جمال الدين ، وهذا مما يزيد في طرافة هذا العمل العجيب النادر •

والامير شكيب يعقب في أحيان كثيرة على كل اثبات بتحقيق في هويات واسماء القضاة الذين تحررت الاثباتات لديهم والشهود الذين

---

(١) الروض ص ١٨٨ ـ ١٨٩ •

وقعوا عليها بشهاداتهم لتثبيت صحة الاثباتات [1] .

- ٣ -

وبرغم اتفاق صالح بن يحيى واثباتات روض الشقيق على نسبة الامراء الى المنذر بن ماء السماء مع ما بينهما من خلاف شديد في التسلسل

---

(١) يتساءل المرء عن الحافز لهذه الطريقة العجيبة النادرة . ولقد روي حادث تزوير ووشاية نكب بعض الامراء التنوخيين بسببه نكبة فادحة أثارت الحنق والعداء بين الارومة التنوخية أدى الى التنابذ والقطيعة وانكار الانساب والاحساب مما يمكن ان يثير في الصدر شكا في صحة الاثباتات السابقة على الاقل للقرن التاسع وا نيسوغ القول انها صنعت صنعا. فالامير شكيب يقول في الروض (ص ١٨٠) ان تسمية بني ابي الجيش كانت غالبة على بني ارسلان في ظرف من الظروف . وفعلا ان ذلك قد ورد في اثباتات عديدة منها ولعل أقدمها اثبات مروي تحريره في اواسط القرن السابع الهجري (الروض ص ١٦٧ – ١٦٨) . وابو الجيش أب عمودي في سلسلة النسب الارسلاني واسمه صالح زين الدين ابن عرف الدولة علي بن ناهض الدين بحتر (١٨٠ – ١٨٥ الروض) . ولقد اورد صالح بن يحيى في كتابه تاريخ بيروت سياقا طويلا (ص ٤٧ – ٧٤) يستفاد منه ان تقي الدين نجا بن ابي الجيش زور في اواسط القرن السابع الهجري وفي ظروف الحروب الصليبية كتابا على لسان الامير جمال الدين حجا امير الغرب للابرنش (البرنس) ملك طرابلس وكتابا على هذا للامير جمال الدين فيه ما يفيد مخامرة هذا مع الملك الافرنجي وارسل كتاب الافرنجي الى الملك الظاهر بيبرص فاثاره وأمر باعتقال جمال الدين واخيه سعد الدين وابن عمهما زين الدولة صالح وتسيير حملة تنكيلية على مقاطعاتهم اعملت فيها يد التخريب والتدمير والتحريق ، وقد سعى انصارهم للافراج عنهم وشهدوا باخلاصهم فابى الملك الافراج عنهم حتى يفتح طرابلس وصيدا وبيروت فظلوا مسجونين الى ان توفي الملك الظاهر في سنة ٦٧٧ هـ وخلفه ابنه الملك السعيد فجدد الانصار سعيهم حتى افرج عنهم واعادهم الى مراكزهم واقطاعاتهم . وقد عرفوا أن نكبتهم جاءت من وشاية بني ابي الجيش . ويقول صالح (ص ٧١) انه وقف على كتاب من زين الدين بن علي الى جمال الدين وسعد الدين وسائر كبار الغرب يقول فيه ان كل ما جرى عليه هومن تزوير بني ابي الجيش فاذا وقع عليه امر فليأخذوا بثاره . ولما رجعوا الى اقطاعاتهم اجتهدوا في تبرئة انفسهم واثبات كون التهمة تزويرا من خصومهم بني ابي الجيش واستكتبوا العرائض في ذلك وارسلوها الى نائب دمشق والى الملك السعيد . وجاء في محضر منها يقول صالح بن يحيى انه اطلع على نسخته « ان شهوده يعلمون

مما يجعلهم منفصلين في النسب القريب عن العشائر التي جاءت معهم فاننا نرجح ان الامراء هم من نفس ارومة العشائر وانهم تنوخيو القبيلة وان النسب الذي يصل الامراء بالمنذر بن ماء السماء ويفصل بينهم وبين العشائر مصنوع جريا على عادة الامراء والعظماء حين بروزهم ..

ان تقي الدين بن ابي الجيش بن مفرج يعرف بالتزوير والافتراء والكذب فنسب زورا الى الامراء زين الدين وجمال الدين وسعد الدين مكاتبات مع الافرنج لانه معاند لهم ومسارع الى أذيتهم بما يضرهم بكل طريق » ، وجاء في محضر آخر يقول المؤلف انه اطلع على نسخته كذلك « ان الامراء قائمون بقمع الفتن وليس منهم أحد يحب الافرنج أو يميل اليهم أو يناصحهم وان جميع ما نسب اليهم من الاجتماع بالافرنج عند نزول العساكر المنصورة بساحل صيدا كان تشنيعا من أعدائهم ومبغضيهم » . ولقد قال صالح بن يحيى (ص ٤٧) انه وجد في بعض الانساب ان الامراء بعرامون من الحمراء من البقاع فان كانت النسبة صحيحة فهم الامراء من بني ابي الجيش المعروفين ببني سعدان بعرامون . وهم غير الامراء الموجودين بعرامون من ولد زين الدين صالح بن علي بن بحتر . وقد جعل بعض الحمقى هذه النسبة منشطا في الكلام الى ان السلف ليس منهم أحد من ولد جميهر . فهذا غلط مفرط وحسد أضله عن الصواب لان دلالة النسبة واضحة يتوارثها في البيت أصاغر عن أكابر ويتداولها خلف عن سلف . ولو لم يكن دليل الا مناشيرهم (المراسيم التي كانت تصدر باسمائهم من الملوك والنواب في تقرير اقطاعاتهم) لكفاهم لان المناشير باقية عن ماضي سلسلة متصلة اسم بعد اسم الى منشوربحتر المذكور لمتنقطع وهيواضحةالبيان خالية من الاشكال لم يدخل فيها ريب ولا وهم . ومنشور بحتر هو في سنة ٥٤٢ وليس بينه وبين ابي اسحق ابراهيم بن ابي عبد الله الذي ذكر في منشور بحتر الا مدة مئة واربع وعشرين سنة وهي مدة لا تزيد عن اربع دول (يريد اربعة اجيال) أعني بحتر وايام والده علي وأيام جده الحسين وأيام جد أبيه ابي اسحق ابراهيم . فهذا رد على الاحمق الذي ذكرناه . وقد قيل ما ضر نهر الفرات يوما ان ولغ بعض الكلاب فيه ففي هذه النبذة انكار صريح لنسب بني ابي الجيش في الارومة التنوخية واشارة الى انه كان يدور كلام وأخذ ورد متبادل في اثبات النسب ونبذه والدخول فيه والخروج منه في ظروف صالح ابن يحيى أي في القرن التاسع الذي عاش المؤلف فيه بين الفروع التنوخية التي كان المؤلف منها كذلك ممتدا على الارجح الى ما قبل . فمما يخطر بالبال ان يكون الحنق والحقد من عملية تزوير رسالة ملك طرابلس الافرنجي وارسالها الى الملك الظاهر وما ادى ذلك اليه من سجن الامراء ونكبتهم قد وصل الى درجة جعلت فرع كرامه بن بحتر الذي صارت له امارة الغرب ــ على ما سوف نذكره بعد ــ ينكر نسبة بني ابي الجيش اليهم وينبذهم

وقد ذهب الى هذا المؤرخ فيليب حتى على ما ذكره الامير شكيب الذي حاول ان يرد عليه ويؤكد نسبة الامراء الى المناذرة وكون صفة التنوخية انما جاءتهم من اسم احد اجدادهم وينفي تنوخيتهم القبيلية (روض الشقيق ص ٢٤٨) • وقد رأيناه يستند في رده بالاضافة الـــى

من الارومة التنوخية وان يحفز هذا بني ابي الجيش الى المقابلة بالمثل فيطعنوا في نسب بني كرامة من جهة ويقدموا على سلوك طريق الاثبات الشرعي لتولداتهم ووفياتهم وتاريخهم لتثبيت نسبهم في الارومة . فاذا صح هذا وهو معقول فيما هو المتبادر فتكون المحاضر والاثباتات التي سبقت القرن التاسع على الاقل قد صنعت صنعا كما قلنا لجعل الحلقات متسلسلة لتثبيت صلـة بني ابي الجيش بالآباء الاولين . واسلوب المحاضر التي سبقت هذا القرن متشابهة يحتوي التوكيد المستمر على حقيقة النسبة مما قد يدعمهذا الخاطر .وواضح انه ليس من شأن هذا ان ينفى صحة نسبة بني ابي الجيش الى الارومة التنوخية . والامير شكيب يورد اسم زين الدين صالح ابي الجيش كما قلنا كأب من الآباء العموديين في النسب الارسلاني وهو في سلسلة النسب ابن عرف الدولة علي بن ناهض الدين بحتر . ويورد نص اثبات حرر في مجلس شرع دمشق سنة ٦٧٠ ﻫ بطلب وحضور ابي الجيش نفسه بسبيل تثبيت ذلك (ص ١٨٠ ــ ١٨١) • وصالح بن يحيى يسمي زين الدين صالح كأحد الامراء المنكوبين الثلاثة ويقول انه بن عرف الدولة علي بن بحتر ايضا . وصالح الروض لم ينكب والذي نكب هو الآخر . فهما والحالة هذه شخصان مختلفان . ومع ذلك فـان الاوصاف والسيرة التي يذكرها الامير شكيب لصالح ابي الجيش (ص ١٨٠ ــ ١٨٣ الروض) هي نفس الاوصاف والسيرة التي يذكرها صالح بن يحيى للآخر (تاريخ بيروت ٦٢ ــ ٦٣) بكل جزئياتها بما في ذلك تاريخ وفاة الاثنين وهو سنة ٦٩٥ ﻫ مما لا يحتمل ان يكونـــا شخصين مختلفين ! وهنا مكمن سر من أسرار هذه القضية الطريفة التي جعلنا شذوذها وطرافتها معا نسهب فيها . وفي احد المحضرين الذين كتبا لتبرئة الامراء الثلاثة ذكر ان ابـا الجيش هو بن مفرج أي ليس ابن عرف الدولة علي كما جاء في سلسلة النسب والاثباتات الارسلانية . فهو والحالة هذه شخص آخر غير صالح زين الدين بن عرف الدولة علي كما نسبه صالح بن يحيى . والمحضر الذي كتبه اناس معاصرون والذي يقول صالح بن يحيى انه اطلع على نسخته وثيقة لا ترد في نظرنا . ولقد ورد اسم مفرج في الاثبات المروي تحريره بطلب أبي الجيش والذي اشرنا اليه قبل قليل كولد من أولاده . واذا كان شكنا بناء على كل هذه القرائن في محله وهو في رأينا كذلك فمن المحتمل ان يكون صنع الاثباتات السابقة للقرن التاسع قد جرى من قبل ابن لمفرج كان يعرف بابي الجيش او من أحد اولاد ابــي الجيش . ولا يبعد ان يكون اسم ابي الجيش صالح زين الدين ايضا لان تسمية الابنـاء

السجل الى صالح بن يحيى والشدياق والامير حيدر الشهابي وغيرهم من مؤرخي لبنان ثم يقول انه ليس لديه دليل آخر اذا لم ير فيليب حتي ذلك كافيا .

وليس في هذا الرد ما يقنع ويثبت . وقد شرحنا في الذيل رأينـا

باسماء الآباء أمر مألوف . فاستغل صانعو الانباتات القديمة التشابه بين اسمي صالح ابي الجيش وصالح زين الدين الآخر فنسبوا صالحهم لعرف الدولة علي بن بحتر : ولعل مرور الاجيال العديدة على موت الصالحين أفاد الصانعين لان تقادم الزمن يسهل الالتباس ، وقد كان كل من بني ابي الجيش واولاد صالح زين الدين صالح الآخر متوطنين في عرامون على ما يفيده كلام صالح بن يحيى ويؤيده الامير شكيب وهذا مما كان له أثر في هذا التمهيل على ما هو المتبادر . ولقد قلنا ان النبذ من النسب كان متبادلا . وقد يكون من الدلائل على ذلك ما اورده الروض (ص ١٨٦ — ١٨٧) من نص اثبات روي تحريره في سنة ٥٩٥ من قبل قاضي دمشق بطلب من قوام الدين عرف الدولة علي ذكر فيه ان عليا هذا هو الابن الوحيد لبحتر المعروف بناهض الدين ابي العشائر وان نور الدين زنكي لما مات بحتر اقطع امارة الغرب للامير كرامة المعروف بامير الغرب التنوخي أو زهر الدولة ، هذا في حين ان صالحا ابن يحيى يذكر ان بحترا ناهض الدين قد خلف ولدين هما كرامة وعلي ويؤيد ذلك بنص منشور نور الدين زنكي لكرامة حيث يذكره فيه هكذا « زهر الدولة شجاع الملك جمال الامراء ابو العز كرامة بن بحتر التنوخي » (ص ٤٩ تاريخ بيروت) فكأنما أراد بنو الجيش ان يقابلوا بني كرامة فنفوا كرامة من بنوة بحتر وحصروها في عرف الدولة علي الذي يأتي بعد بحتر في سلسلة الآباء العموديين للنسب الارسلاني ثم جعلوا صالحا زين الدين ابا الجيش هو ابن عرف الدولة علي وليس صالح زين الدين الآخر المنكوب . ونحن نميل الى تصديق كلام يحيى المستند الى منشور نورالدين زنكي بل ونرى في هذا المنشور دليلا على دعوى الصنع التي ندعيها . ومن ما يلفت النظر ان السجل الارسلاني والانباتات لم تذكر صفة التنوخية كصفة ملازمة للآباء العموديين ولا لفروعهم في حين ظلت تذكر صفة المنذرية الارسلانية فقط . هذا في حين ان صالحا بن يحيى لم يذكر صفة الارسلانية الآمرة واحدة باسلوب مقتضب عابر (ص ١٩٧ تاريخ بيروت) وانه في الوقت نفسه جعل التنوخية هي الطابع المميز للارومة . وقد أدى كل هذا الى شيء من التميز وبروز ارومتين كل منهما منفصلة عن الاخرى هما الارسلانية والتنوخية برغم اتحادهما في الاصل المنذري اللخمي حسب دعوى كل من الكتابين من جهة ووجود اسماء عدد من الآباء العموديين الاولين واحدة في سلسلتي الكتابين . وهذا ما جعل الشدياق مثلا يعقد فصلين واحدا بعنوان الامراء التنوخيين وآخر بعنوان الامراء الارسلانيين مع احتواء الفصلين كثيرا من الاسماء والاحداث

في اثباتات السجل (والسجل هو مصدر رئيسي من مصادر الشدياق) من تضارب ومفارقات كما يبدو من ما اوردناه من كلامه في هـــذا الباب وليس في عبارة الامير حيدر الشهابي في الغرر الحسا نالتي اوردنـــا نصها ما يصح ان يورد دليلا • واستشهاد الامير بصالح بن يحيى عجيب

المتطـابقة !! وننبه على نقطة هامة . فاننا اذا كنا نشك في صحة حقيقة الاثباتات الـسـابقـة للقرن التاسع فان شكنا يتناول الصيغة والاسلوب . اما ما احتوته من اسماء واحداث فليس ما يمنع ان يكون صحيحا برغم عدم وجود عدد من الآباء العموديين الاولين في سلسلة صالح التي كتبت في ظروف التنابذ في الانـساب بين الاسرة التنوخية والتي يمكن ان تكون قد اغفلت تلك الاسماء عمدا ـ باستثناء صلة الامراء بنسب المنذر بن ماء السماء وكونهم من ارومة غير ارومة العشائر التي أتت معهم ثم باستثناء تسمية ارسلان الاول وهو ما سوف نبين رأينا فيه ـ وأن يكون هناك مدونات كان يسجل فيها الاحداث والاسماء والوفيات والتولدات جيلا بعد جيل ، وهو أمر جرى عليه كثير من الامراء والملوك في كل زمن ومكان . وفي هذه الحالة تكون السجلات هي المصدر الذي استند اليه صانعو الاثباتات القديمة . وفي المحضر المروي تحريره سنة ٥٠٤ من قبل نصير الدين اللخمي والذي ذكر فيه تسلم هذه السجلات من عضد الدولة علي والذي ذيل باعادتها من قبل نصير الدين بحتر بن عضد الدولة علي سنة ٥٤٠ لم يذكر اثباتات شرعية وانما ذكر « سجلات النسب الكريم مع دفـــاتر وسجلات » على ما مر بيانه في المتن . وقد يعترض هذا ما ذكر في المحضر المروي تحريره سنة ٥٩٥ والذي أوردناه من ان قوام الدولة بن بحتر حضر مجلس شرع دمشق واخرج امـامه السجلات المحتوية على نسب عائلته المثبوتة لدى القضاة والحكام وطلب نقلها من الخط الكوفي القديم الى سجل واحد بالخط المتعارف وللخروج من هذا نفرض ان يكون هناك بعض محاضر شرعية أو أن يكون هذا المحضر من جملة المصنوعات أيضا . ومن العجيب اللافت للنظر ان صالحـا بن يحيى الذي يبدأ كلامه عن امارة التنوخيين ببحتر ثم بابنه كرامـــة ويبدي اهتمامه واعتباره العظيمين لهما لا يذكر شيئا عن هذه السجلات والاثباتـات الشرعية التي يذكر المحضر ان بحترا استلمها من اللخمي كما لا يذكر شيئا عن الاثباتات بعد بحتـــر أيضا . ومن المستبعد جدا أن لا يكون قد عرف بامرها لو كانت حقيقية . وعلى فرض انه تقصد اهمال ما كان متصلا بالنسب الارسلاني منها لعدائه للارسلانيين بني ابي الجيش كما يقول الامير شكيب (الروض ١٦٨) فان هذا الفرض غير وارد بالنسـبة لبحتر الذي ينتمي هو أيضا اليه ويبدء كلامه عن الامرة التنوخية به ويدافع عن نسبه ونسب آبائه على مـا مر ذكره قبل ! وهذا السكوت يسوغ القول كما خمنا ان صنع الاثباتات القديمة قد بدا فـي

لما ذكرناه من سوء رأيه فيه • ومع ذلك فليس في كتابه دليل يصح ايراده الا الدعوى والرواية المغفلة المجردة على ما تفيده عبارته في هذا الصدد (ص ٤٤) وكل ما في الامر انها قد تدل على قدم النسبة والدعوى وامتدادهما الى القرن السادس او الخامس او الرابع • ومن العجيب ان

القرن التاسع وبعد صالح بن يحيى ثم استمر الامراء الارسلانيون على اتمام العمل لوصل المتأخر بالمتقدم حتى غدا الامر تقليدا للاجيال التالية . وما دامت الاثباتات الاولى مفقودة والسجل الجديد الذي حرر بالخط المتعارف سنة ٥٩٥ مفقود ايضا والاثباتات التالية له الى أواخر القرن الحادي عشر مفقودة كذلك وليس في اليد الا صورة لها حررت سنة ١٠٩٥ فليس هناك أي امكان للتثبيت من الامر تثبتا يقينا . وقد يقال ان الصورة المحررة سنة١٠٩٥ قد شوهدت اصولها في المجلس الشرعي الذي حررت فيه . ويرد على هذا ان ذلك لا يمنع أن تكون هذه الاصول أو علىالاقل ما كان منها قبل القرن التاسع مصنوعا وان الذين نقلوها الى السجل الجديد لم يتبينوا صنعها أو نقلوها على علاتها ..

ولقد حاول الامير شكيب في آخر كتابه ان يعلل بعض نصوص صالح بن يحيى وبعض التشابه في الاسماء ليؤيد حقيقة اثباتات السجل القديمة (الروض ٢٥٣ ــ ٢٦٢) ولكن كلامه لم يزل الشكوك التي ساورتنا . ونقطة اخرى نحب ان نتطرق اليها في هذا السياق وهي التسمية الارسلانية . فاثباتات روض الشقيق تجعل اسم ارسلان لاحد الاميرين الذين جاءا على رأس جماعاتهم من المعرة الى لبنان . وتذكر من حين لآخر اسمه كأب من الآباء الاولين . غير ان شكا يحيك في صدرنا من ناحية هذه التسمية منذ ذلك العهد السحيق . فالكلمة تركية ولم يعرف اقتباس العرب الاسماء التركية قبل القرن الثالثوولادة الامير ارسلان كانت سنة ١١٠ هـ على ما ذكره اثبات محرر سنة ١٩٠ (الروض ص ٢٣٤) ولم يكن في هذا الظرف للترك أي أثر وحيز هام في بلاد الشام وكانت النعرة القومية العربية قوية طاغية ، وقد قال روض الشقيق حينما ذكر قوام الدين عرف الدولة عليا انه كان يلقب بارسلان (ص ١٨٥) ويصادف زمنه وهو القرن السادس لزمن اعتياد العرب اقتباس اسماء الترك البارزين . وكان الملك الب ارسلان ثاني الملوك السلاجقة الذين تغلبوا على سلطان الخلافة العباسية في اواسط القرن الخامس وامتد تغلبهم الى اواخر القرن السادس من عظماء ملوكهم صيتا وهيبة وحروبا ضد الروم . فالذي نرجحه ان يكون اسم ارسلان قد اقتبس لاول مرة في هذا الظرف ، وليس ما يمنع ان يكون عرف الدولة علي قد تلقب به . وعرف الدولة هو في سلسلة الروض من الآباء العموديين للنسب الارسلاني ، ومن المحتمل أن يكون اسم الامير الاول « رسلان » والكلمة عربية الوزن والمعنى . فلما تلقب عرف الدولة بلقب ارسلان اقتباسا من اسم السلطان الب ارسلان وصنعت الاثباتات فيما بعد أراد صانعوها وصل المتأخر بالمتقدم من هذه الناحية أيضا . ولقد قلنا ان صالحا بن يحيى لم

الامير شكيب يذكر احيانا الارسلانيين والتنوخيين كارومتين مختلفتين دون بيان ما مع انه يجمع الآباء الاولين في سلسلة واحدة ! (انظر مثلا الصحيفة ٢٢٧ من روض الشقيق) •

وفي ثنايا التاريخ ما قد يكون فيه تصويب لتنوخية الامراءوالعشائر معا • فقد ذكر اليعقوبي في الجزء الثالث من تاريخه (ص ٢٢٣) ــ وهو من رجال القرن الثالث خبر وثوب يوسف بن ابراهيم التنوخي بالمعرة في زمن الخليفة العباسي المستعين بالله في اواسط القرن الهجري الثالث وجمعه جموع بني تنوخ وزحفه على قنسرين • وهذا يعني ان قبيلة تنوخ ــ او فرعا منها على الاقل ــ كانت مستقرة يقينا في المعرة وحولها

يذكر الارسلانيين الا مرة واحدة باسلوب عابر حيث ذكر خبر قتل عماد الدين موسى بن حسان بن « رسلان » في جملة من قتلهم تركمان كسروان حينما دهموا بلاد الغرب في اواخر القرن الثامن (ص ١٩٧) وقد مدح صالح بن يحيى القتيل وقال انه كان خيرا من سلفه واجود منهم في حق البيت (يقصد به بيت كرامة التنوخي على الارجح) والكلمة تدل على ان التسمية والارومة الارسلانية او الرسلانية كانت موجودة معروفة قبل هذا الزمن بطبيعة الحال . ومع ان الامير حيدر الشهابي لم يبدأ بذكرها الا في اوائل القرن الحادي عشر (سنة ١٠٢٠ هـ) في سياق خبر حملة احمد باشا بن الوزير حيث قال ان المعينين تعهدوا له بمئة الف قرش وسلموه رهنا على ذلك الامير عليا بن ارسلان من الشويفات فان العبارة تفيد ان الاسرة الارسلانية مع وصف امارتها كانت اقدم من هذا كما هو ظاهر . ولما استولى السلطان سليم العثماني على بلاد الشام بعد كسره قانصو الغورس في مرج دابق ذكر اسم الامير جمال الدين التنوخي اليمني النعرة حاكم الغرب في جملة من مالوا الى السلطان العثماني وجاؤوا الى دمشق لعرض ولائهم عليه من الامراء الاقطاعيين على ما جاء في الغرر الحسان للامير حيدر وتاريخ الامير فخرالدين المعني الثاني لاسكندر المعلوف (الغرر الحسان ص ٥٦١) وقد وصف الكرد علي في كتابه خطط الشام (ج ٢ ص ٢٢٤) الامير جمال الدين هذا بوصف الارسلاني دون ان يعزو ذلك الى مصدر . والسلطان سليم استولى على بلاد الشام في سنة ٩٢٣ أي قبل حملة احمد باشا ابن الوزير باكثر من مئة سنة . وهذا يعني كذلك ان الاسرة الارسلانية والامارة الارسلانية كانت قائمة قبل هذا التاريخ بطبيعة الحال . ولكن هذا ليس من شأنه ان يدل على قدم التسمية حتى تصل الى اوائل القرن الثاني الهجري . ولا عبرة بما ورد في الشدياق من سياق يفيد ذلك لان الشدياق ينقل اخبار الارسلانيين وانسابهم عن السجل الارسلاني على ما يستفاد من كلامه (اخبارالاعيان ص٦٩٨) .

في القرن الهجري الثالث • وصيغة الخبر تفيد ان هذا الاستقرار ممتـد الى ما قبل وثوب يوسف بامد غير قصير • ولقد كان قبل الاسلام فخذ من قبيلة تنوخ في حوران وقام منه امارة منسجمة مع الرومان قبل قيام الدولة الغسانية (تاريخ العرب قبل الاسلام للمؤلف) فالمتبادر ان يكون انسالهم قد ظلوا في بلاد الشام واندمجوا في حركة الفتح الاسلامي ثم انتشروا في انحاء الشام الشمالية ثم وجهوا او وجه جماعة منهم الى السواحل ليكونوا قوة عربية تجاه دسائس الروم التي كانوا يدسونها بين فريق من نصارى هذه الانحاء وتجاه اعتداءاتهم الفعلية عليها ، وبقيت منهم بقية في المعرة ومنطقتها ومنهم يوسف المذكور وجماعاته ومنهم ابو العلاء المعري التنوخي الذي عاش مع أهله وقومه في المعرة ودفن فيها •

ومن الجدير بالذكر ان التاريخ سجل قيام امارة تنوخية في اللاذقية في القرن الهجري الرابع على رأسها امراء تنوخيون على ما سوف نشرحه بعد • مما يسوغ القول ان التنوخيين لم يوجهوا او يرسلوا الى جبال بيروت فقط على ما يقرره سجل روض الشقيق والذين اقتبسوا منه ، وانما وجهوا وارسلوا كما قلنا الى سواحل الشام • ولعل من الصواب ان يقال انهم تحركوا من المعرة ومنطقتها الى السواحل بطريق اللاذقية التي هي اقرب اليها فاستقر منهم من استقر في سواحلها وجبالها وجاء فريق منهم فاستقر في جبال بيروت وسواحلها • والامير شكيب الذي يعرف بطبيعة الحال انه كان في اللاذقية امارة تنوخية وكان في المعرة تنوخيون ظلوا يقيمون فيها الى ما بعد القرن الرابع الهجري حاول في رده الآنف الذكر ان ينفي كون الامراء منهم ، ولكنه لم يسند نفيه الى دليل مقنع على ما ذكرناه قبل •

والسجل الارسلاني هو تقريبا المصدر الرئيسي لتاريخ الامـرة التنوخية في لبنان الى اواسط القرن السادس الهجري •

وهناك كتاب اخبار الاعيان للشدياق الذي يحتوي كما قلنا فصولا عديدة في تاريخهم منذ قدومهم الى لبنان منها ما يتطابق مع السجل ، ومنها ما فيه زيادة عليه بدليل نقل الامير شكيب عنه نبذا عديدة لم ترد في الاثباتات التي يورد نصوصها ، ولو كانت الزوائد من السجل لمـا نقلها عنه لان السجل هو مصدر الامير • وفي الزوائد اسماء واحـداث جزئية يتبادر لنا انها ليست اختراعا • ولعل الشديـاق اقتبسهـا من مخطوطات مدونة لم تصل اليها يد الامير شكيب على ما ذكره الامير نفسه (ص ٢٣٦ روض الشقيق) ، وننبه على انه ليس في الغرر الحسان شيء مـا في تاريخ التنوخيين قبل القرن السادس عدا الاشارة المقتضبة التي ذكرناها قبل •

أما بعد هذه الحقبة فهناك الى السجل واخبار الاعيـان الغرر الحسان وهناك مصادر قديمة ومتأخرة تستمد من مخطوطات اقـدم منها واهمها كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي نشره وعلق عليه لويس شيخو والذي ذكرناه قبل والذي احتوى لمعا من هذا التـاريخ من اواسط القرن السادس الى اواسط القرن التاسع حيث كان يعيش • وقد استمدها من مخطوطات ومسموعات ومشاهدات على ما يـذكره في سياق كلامه •

وقد جعلنا معولنا في تاريخ الحقبة السابقة لاواسط القرن السادس على السجل ثم على زوائد الشدياق • ومهما كان رأينا في السجل مـن ناحية الصيغة والاسلوب القضائي الشرعي فاننا نرجـح كما قلنا قبل

ان ما احتواه من اسماء واحداث مستند الى مدونات قديمة وبالتالي انه مصدر يصح التعويل عليه •

— ٥ —

ولقد كان اول اثبات روي كتابته بعد قدم الامراء الى لبنان اثبات منسوب الى اسحق النميري خادم تراب الاوزاعي • وقد كتبه بطلب من الامير مسعود بن الامير ارسلان سنة ١٩١ هـ • وجاء فيه ــ وننقله بشيء من التصرف كنموذج للاثباتات العجيبة النادرة[١] ــ « ان مما شاهدناه وادركناه انه في سنة ١٤٢ هـ قدم الى جبالنا الامير منذر بن مالك واخوه الامير ارسلان واولادهم واخوتهم خالد بن حسان وعبد الله ابن النعمان وفوارس بن عبد الملك ، وكان قدومهم بامر امير المؤمنين المنصور العباسي • وكان اول نزولهم بحصن وادي تيم الله بن ثعلبة (وادي التيم) ثم بالمغيثة (مكان في سطح الجبل قبل الوصول الى عين صوفر للسائر من دمشق الى بيروت [٢]) ثم اعتزلوا المضارب وتفرقوا في البلاد • واول من توفي منهم الامير خالد بن حسان سنة ١٦٤ هـ وقام بعده ولده الامير عمر وكان عمره اثنين واربعين سنة كما ذكر الثقاة • وكان من الشجعان العقلاء • ثم توفي الامير ارسلان بن الامير مالك وكانت وفاته سنة ١٧١ هـ وعمره ستون سنة • واخبرني ان مولده سنة ١١١ هـ وكان طويل القامة واسع الصدر اسود الشعر ومن اشجع من ادركناه من فرسان العرب الضراغم • وكان جريئا في الكلام صاحب عقل وفراسة • وقد تتلمذ على شيخنا واستاذنا ابي عمرو الاوزاعي • واولاده الامراء مسعود ومالك وعمر ومحمود وهمام واسحق • ولما توفي ذهبت

---

(١) رض الشقيق ص ٢٣٤ ــ ٢٣٦ •

(٢) المصدر المذكور قبل •

الى محل وطنه سن الفيل وجئنا به الى بلدتنا هذه وصليت عليه وتوليت دفنه • ثم توفي الامير منذر بن مالك امير الجبل ولم يكن له اولاد سوى بنت تزوجها الامير مسعود • وهي ام ولديه هاني وعيسى • ولما توفي جدهما سلمهما والدهما تركته وانتقلاالى حصن سلحمور • وتوفي الامير منذر في حصن سلحمور الذي بناه في سنة ١٤٧ هـ وكانت وفاته سنة ١٨٤ هـ وكانت ثابت النفس شجاعا عاقلا كريما الا انه كان كثير الغـل لا يرضى على مـ نغضب منه وكان مقرون الحواجب ضخم الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير • واجتمع الامراء والشيوخ بعد وفاته وولوا عليهم ابن اخيه الامير مسعود » •

وبناء على ما قلناه قبل نقول ان ما احتواه هذا الاثبات من خطوط عامة بل ومن أسماء احداث باستثناء اسم ارسلان ونسبه مع أخيه المنذر الى المنذر بن ماء السماء سائغ • وقد يكون كله او بعضه صحيحا • وان من الممكن تبعا لذلك ان نقرر ان التنوخيين جاؤوا بزعامة امرائهم الى جبال بيروت ــ جبل لبنان ــ في القرن الهجري الثاني وانتشروا في مناطقه الغربية التي صارت تعرف بالغرب ، وتقاسموها فيما بينهم ، واستقروا فيها وانشأوا القرى والمدن والحصون ومارس كل منهم الحكم الاقطاعي المحلي في قسمه مع الاعتراف بواحد منهم كأمير أو رئيس عليهـم •

كما ان من الممكن ان يقال استنادا الى ما احتوته الاثباتات الاخرى ثم المصادر التاريخية الاخرى من حقائق تاريخية على ما سوف نشرحه بعد انهم ظلوا على ذلك جيلا بعد جيل مع ضيق في نطاق الحكم وساحة النشاط في معظم الادوار وسعة نوعية في ذلك احيانا ومع تنافس وتنازع فيما بينهم حينا ومع اندماج ــ في نطاق ضيق كذلك ــ في الاحـداث التي كانت تجري في المناطق المجاورة أو في بلاد الشام ، ومع اشتباكات ومنازعات ــ في نطاق ضيق كذلك ــ مع غيرهم من الامراء الاقطاعيين

في انحاء لبنان الاخرى وما جاوره حينا الى أواخر القرن الثالث عشر الهجري من حيث الحكم المحلي ثم الى الآن من حيث الآثار والتسمية الاقطاعية الاسروية .

- ٦ -

واول الامراء الرئيسيين على ما ذكره الاثبات الآنف الذكر هو الامير ارسلان . وبقطع النظر عن التسمية فليس من المستبعد ان يكون الاخ الاكبر من الاخين تقلد الامارة ثم خلفه فيها اخوه منذر . وقد نعت الاثبات الامير منذر بنعت امير الجبل ، والنعت قد يدل على الامرة الرئيسية . ثم خلف هذا فيها الامير مسعود بن ارسلان الذي ذكر الاثبات انه حرر بطلبه .

ومن الزوائد التي احتواها فصل اخبار الامراء الارسلانيين في كتاب اخبار الاعيان ونقله عنه الامير شكيب من سيرة الاميرين ارسلان والمنذر بعد قدومهما مع جماعتهما الى لبنان خبر قدوم الخليفة العباسي المهدي الى دمشق وسير الاميرين اليه ونيلهما منه الاكرام والمديح لما بلغه من شدة بأسهما على الاعداء واقرارهما على ولايتهما ، وزيادة الاقامات (المخصصات على الارجح) لهما ووقوع مواقع عديدة بينهما وبين المردة اشهرها واقعة نهر الموت الذي سمي ذاك النهر باسمه المذكور لكثرة القتلى فيه وواقعة انطلياس وانتصارهما على المردة في هذه المواقع وانكفاف يد هؤلاء عن ساحل بيروت واطمئنان ابناء السبيل واشتهار ذكر الامراء في كل ناد [1] .

ومن زوائده في سيرة الامير مسعود خبر وقعة بينه وبين المردة

---

(١) الروض ٢٢٧ ــ ٢٣٨ واخبار الاعيان ص ٦٤٧ ــ ٦٤٨ .

في سن الفيل وازاحتهم عنها وقتل مقتلة كبيرة منهم واحراق بعض قراهم السفلى ، وانتقال الامير بعشيرته الى الشويفات واتخاذهـا مسكنا له ، وسكني اخوته مالك وعون بجواره واخيه عمر في رأس التينة واخيه محمود في خلدة واخويه همام واسحق في الفيجينية ، وقدوم مراكب رومية الى قرب الاوزاعي ومصادفتهم للامير عمـر وثلاثة انفار معه واسرهم اياهم وسيره سنة ٨٠٤ م مع أخيه مـالك لمقابلة القاسم بن هارون الرشيد في مرج دابق حيث كان قادما فـي مهمة مبادلة الاسرى وافتكاك عمر واصحابه في جملة الامراء وقهرهم للمردة وارسال الخليفة منشورا الى امير الثغور الشامية ومنـاشير أخرى الى باقي عمال الشام باطلاق التنبيه في ابـلاد بالرحيل الـى لبنان وسكناه لتشتد قوة امرائه على اهل الجبال العاصية . ثم خبر سفر الامير مسعود مع المأمون الى مصـر وانابته ابنه هاني مكانه واشتراكه في قمع الثورة القبطية وظهور شجاعته وكتابة الخليفة لـه توقيعا بولاية صفد ومقاطعاتها المتصلة ببلاده واصداره الاوامر الى عماله في الشام بمساعدة الامير على الاعداء [١] .

وتوفي الامير مسعود سنة ٢٢٣ فتولـى الامـارة اخوه مالـك باتفاق الامراء والاهالي . غير ان هانئا ابن اخيه مسعود نازعه وأدى النزاع الى القتال ودارت الدائرة على مالك فرحل باولاده الى اللجون ثم الى مصر واستتبت الامارة لهانيء . ومات هذا سنة ٢٣٨ فخلفه في الامارة ابراهيم بن الحسن [٢] . وكان الخليفة العباسي المتوكـل حينئذ في دمشق فسار اليه فاقره على الامارة وعقد له توقيعا بخطه .

---

(١) اخبار الاعيان ص ٦٤٩ — ٦٥١ .

(٢) ان الشدياق يذكر ابراهيم بانه ابن اسحق . ويورد اخبارا زائدة من اخباره واسحق احد لولاد الامير ارسلان على ما مر ببيانه وليس بين الاسماء اسم الحسن . فترجح ان يكون الاسم في الروض جاء غلطا مطبعيا ، انظر اخبار الاعيان للشدياق ص ٦٥٢ — ٦٥٣ .

وقد جاء كل ذلك في اثبات روي تحريره سنة ٢٥٢ بطلب من الأمير ابراهيم [١] •

وتولى الامارة بعد ابراهيم النعمان بن عامر بن هاني ، وقد ورد ذكره في ثلاثة اثباتات من اثباتات الروض • أحدها محرر بطلب وحضور وكيله سنة ٢٦٩ [٢] ذكر فيه ان النعمان دخل جبل بيروت واعماله في سنة ٢٥٧ وان ابراهيم تابع ابن شيخ والامير النعمان قدم مع ماجور وانه كان بين النعمان والمردة بعد خمس سنين حروب عظيمة اهلكهم فيها • وبلغ خبرها امير المؤمنين المعتمد على الله فكتب له كتابا بخطه يقره على امارته هو وذريته • وثانيها محرر سنة ٣٠٣ بحضور وطلب الامير نعمان نفسه [٣] وقد لقب فيه بلقب الامير الكبير العالم المحدث امير الدولة ابو حسام امير جبل الغرب وبيروت • وقد ذكر هذا الاثبات في صدد سيرة النعمان ولدين للامير ابراهيم اختلفا عليه وسارا الى دمشق للشكوى فلما وافيا وادي عين الجر (عنجر) من اعمال البقاع سلط الله عليهما من قتلهما ثم قتل اولادهما • وثالثهما محرر في سنة ٣٦٣ بطلب وحضور الامير عز الدولة ابو مطوع تميم امير صيدا وبيروت والغرب [٤] • ومما ورد فيه عن النعمان انه مر في سنة ٣١٢ بالسواحل احمد بن محمد بن ابي يعقوب بن هارون الرشيد ومعه زوجته وبنوه فلما وافى بيروت استقبله ودعاه لمنزله واقام عنده زمنا ثم خطب ابنته كلثوم لابنه المنذر فزوجه اياها وانه توفي سنة ٣٢٥ وعمره ٩٨ سنة وانه كان ينظم الشعر العجيب ويكتب الكتابة الجيدة مع تمكن في النحو والحديث والفقه

---

(١) روض الشقيق ٢٢٤ — ٢٢٦ •

(٢) ص ٢٢٢ — ٢٢٣ الروض •

(٣) الروض ٢٢٠ — ٢٢٢ •

(٤) الروض ص ٢١٨

وكان اعلم زمانه بفقه الاوزاعي ومالك • وله تآليف فقهية وديوان شعر وبلغت شهرته الآفاق ومدحه الشعراء • وجرت له وقائع كثيرة مع الاعداء المردة ومع الافرنج ومنع هؤلاء من الاعتداء بالسواحل • وكانوا نزلوا في سنة ٣٠٣ في رأس بيروت فحاربهم وأسر منهم ثمانية انفار ثم فادى بهم بمن اسروه من المسلمين ، وان الامير تكين (نائب دمشق على ما هو المتبادر) طلبه بسبب ذلك فتوجه الى دمشق فخلع عليه وكتب بامره الى الحضرة (دار الخلافة) فصدر التوقيع بالشكر منه واضيف له عمل صفد •

ومن زوائد اخبار الاعيان في سيرة النعمان انه توجه سنة ٦٨٣ م الى دمشق ومنهـــا الى بغداد لطلب العلم ولازم فيها الجاحظ والمبرد وغيرهما • وان بن شيخ الشيباني الخارج في فلسطين والاردن كتب للامير ابراهيم بن اسحق يستدعيه للانضمام اليه فتأهب وسار اليـــه سنة ٨٧٠ والتقى به في حوران ثم قدم ماجور التركي (قائدالعباسين) لقتاله ومعه الامير النعمان وكتبت الهزيمة على ابن شيخ ومن معه • وتولى ماجور بعد ذلك اعمـــال الشام فولى الامير النعمان بيروت وصيدا وجبلها ولقبه بامير الدولة وكتب بشأنه الى بغداد فصدرت التواقيع باقراره على الولايات المذكورة وامر بالاقامـــة في بيروت لحفظها من الروم ، وان الامير ابراهيم اختفى بعد الهزيمة ثم طلب الامان فمنحه واقام في بيته حتى مات ، وان النعمان ارسل اناسا كمنوا لولدي ابراهيم حينما ذهبا للشكاية ضده الى دمشق فخرجوا عليهما في وادي عين الجر وقطعوهما بالسيوف وارسل اناسا بعد ذلك الـــى اولادهم فقتلوهم جميعا ، وانه بني سنة ٨٧٥ دارا عظيمة في بيروت وحصن سورها وقلعتها ووقع بينه وبين المردة في السنة نفسها قتـــال عظيم على نهر بيروت دام اياما وانهزم المردة في النهاية بعد قتل واسر فريق كبير منهم ، وكتب بذلك الى موسى بن بغا في بغداد وعرض

هذا الامر على المتوكل على الله فسر وكتب له كتابا يمدح شجاعته ويحرضه على القتال وأقر ولايته وارسل له سيفا ومنطقة وشاشا اسود وكتب له اخوه الموفق [1] وغيره كتبا يمدحونه فيها واعيدت رسله مكرمين وتقلد الامير السيف وشد المنطقة ولف الشاش ودعا لامير المؤمنين وزينت البلاد وهاداه الشعراء بالتهاني واشتد امره وعظم شأنه [2] .

وخلف النعمان ابنه سيف الدولة ابو تميم المنذر على ما جاء في الاثبات المروي تحريره سنة ٣٦٣ بطلب من ابنه عز الدوة تميم والذي ذكرناه قبل قليل . وهذا الاثبات طويل اكثر من غيره . وقد وصف فيه عز الدولة الذي خلف اباه المتوفي سنة ٣٦٠ بوصف امير صيدا وبيروت والغرب . ومما فيه في صدد سيف الدولة ان القائد الفاطمي الكتامي استولى سنة ٣٥٨ على الرملة وطبريا وكتب اليه يدعوه لمبايعة المعز افاطمي فاجابه جوابا لطيفا ولما جاء المعز الى دمشق بعد قليل سار اليه وقدم ولاءه فخلع عليه وولاه بلاده .

وسيرة عز الدولة الذي خلف اباه وردت في اثبات آخر محرر سنة ٤٥٣ [3] وصف فيه بانه كان من اعقل الناس واكرمهم والعبهم بالكرة واشدهم رميا بالسهام واحذقهم بعمل اليد وانه توفي سنة ٣٨٧ بعد صرفه عن طرابلس بسنة . وهذا يعني ان سلطانه امتد الى طرابلس فترة من الزمن . ومما جاء في الاثبات ان هفتكين (قائد حملة عباسية

---

(١) المتبادر ان الشدياق يخلط بين المتوكل والمعتمد . فتاريخه يصادف للمعتمد وهو المقصود بدليل ذكر الموفق الذي هو اخو المعتمد والذي كان صاحب السلطان الفعلي في الدولة ، وكانت خلافة المعتمد في سنة ٢٥٢ وامتدت الى سنة ٢٧٩ وكان موسى بن بغا هو المتغلب في بدئها (ابو الفدا ج ٢ ص ٤٧ ــ ٥٦).

(٢) اخبار الاعيان ٦٥٢ ــ ٦٥٤ .

(٣) الروض ص ٢٠٨ .

جاء لمصاولة الفاطميين على ما اوضحه الشدياق [1]) ولى امــارة الجبل الى الامير درويش بن الامير عمرو وان الامير تميم سار مع الامير ظالم بن موهوب وابن شيخ مــن بيروت الى القاهرة ثم عاد مــع الخليفة العزيز بالله حينما تمت الهزيمة والكسرة على هفتكين ورد تميما الى عمله وان منجوتكين (قائد الفاطميين على ما اوضحه الشديــاق ايضا [2]) ، ولى في سنة ٣٨٣ الامير ناصر الــدولة منصور بيروت وجبل لبنان واخاه الامير مذحج صيدا وسير اخا ثالثا لهما اسمه زهــير بكتب الى القاهرة بسبب تأخر تميم عن موافاته والقتال معه ، وان تميما فر نتيجة لذلك الى بني حمدان واقام عندهم حتى قدم ابن فلاح (قائــد فاطمي آخر حل محــل الكتامي عل ىما اوضحه الشديــاق أيضا [3]) ، فولاه طرابلس وولى ابنه مطوعا الغرب وبيروت واختفى ناصر الدولة عند ابن الجراح في الرملة .

ومن زوائد الشدياق في سيرة تميم وفيها توضيح لما كان من اندماجه في حروب الفاطميين والقرامطة ان احمد بن مستور امــير دمشق من قبل القرامطة كتب اليه سنة ٩٧٢ م يدعوه الى اتباعه فابى فلما استولى هفتكين التركي امير العباسين سنة ٩٧٤ م على دمشق ثم قصد الى محاربة ظالم بن موهوب امير بعلبك من قبل الفاطميين كتب الى تميم بموافاته بالرجال وعدم قبول ابن موهوب اذا لجــأ اليه فاجابه جوابا غير شاف فوقع ذلك في قلبه ثم قدم الى بعلبك فانهزم ابن موهوب واختبأ عند تميم وكتب الى المعز يخبره فامره بالاقامة في صيدا . واضطر هفتكين الى الرجوع عن بعلبك بسبب زحف الروم الى الشام . وسنة ٩٧٥ م قدم القرامطة فقوي بهم وسار الى فلسطين

---

(١) اخبار الاعيان ٦٥٦ .

(٢) اخبار الاعيان ص ٦٥٨ .

(٣) ص ٦٦٠ ويسميه الشدياق ابن مفلح .

وناوش القوات الفاطمية ثم عاد • واستنجد ابن موهوب وابن شيخ تميما للقتال معهما فسار اليهما وخالفه ابن عمه الامير درويش فسار الى هفتكين • وقد ددارت الدائرة على جبهة انصار الفاطميين فانهزم الامراء الى لبنان مع تميم وتبعهم هفتكين وحاصر شقيف نيرون الحصن الذي تحصنوا فيه • وولى هفتكين درويشا بيروت وجبل الغرب ولقبه بفخر الدولة • ثم جاءت حملة فاطمية بقيادة جوهر وكتب القائد الى الامراء فوافوه ومن جملتهم تميم • ثم ورد الامر بقدوم القرامطـة فازدادت الحالة ارتباكا • واجتمع الامراء البارزون من التنوخيين في طرولا واتفقوا على قسمة الغرب فيما بينهم واقامة كل منهم في شطره دون ان يتعرض احد للآخر ، وكتبوا صكوكا بذلك وكان من جملتهم الزعيمان المتناظران تميم عز الدولة ودرويش فخر الدولة •

ولما رجع جوهر الى مصر سنة ٩٧٦ م سار الامير تميم وابن شيخ وابن موهوب الى القاهرة بحرا وسار درويش الى دمشق فخلع هفتكين عليه واقره اميرا على بيروت وجبلهـا • وفي سنة ٩٧٧ نهض العزيز من مصر لحرب هفتكين وكان معه تميم وحضر وقعة الرملة التي اسر فيها هفتكين وابدى شجاعة اعجب بها الخليفة فاعطاه توقيعا بامارة الغرب وبيروت واختفى درويش ثم أمنه تميم • وفي سنة ٩٩٣ قلد العزيز بنجوتكن بلاد الشام وامره بحرب بني حمدان فكتب الى تميم يدعوه فتأخر عنه وسار اليه ناصر الدولة منصور بن درويش واخوته • فكافأهم بنجوتكين وعين منصورا على ولاية الغرب وبيروت واخاه مذحجا على صيدا وابن عمه هرون على صور • وتوجه منصور مع بنجوتكين الى حرب بني حمدان واقام وكيلا عنه اخاه مذحجا ولكنه لم يتمكن من الولاية لشدة مقاومة تميم • ولما رجع بنجوتكين من حلب جهز الامير منصورا بجيش زحف به لارغام تميم ففر هذا الى ابن حمدان • وفي سنة ٩٩٦ م ولى الحاكم بامر الله سليمان الكتامي

على الشام فتصدى بنجوتكين لمنعه فتغلب عليه وحينئذ قدم عليه تميم من حلب فاكرمه وولاه طرابلس وولي ابنه مطوعا الغرب واختبأ ناصر الدولة وبعض اخوته عند ابن الجراح في الرملة • على ان هذا لم يطل حيث صرف الكتامي في السنة التالية تميما عن طرابلس ولم يلبث ان توفي [1] •

ومن الجدير بالذكر ان اسماء الامراء لم تذكر قط في سيرة الاحداث والحروب التي جرت في بلاد الشام بين الفاطميين والعباسيين والقرامطة والحمدانيين لا في ابن الاثير ولا في ابي الفداء ولا في ابن العديم مع ان هذه المصادر ذكرت حركات هفتكين وابن موهوب وبنجوتكين والكتامي وبني حمدان وغيرهم ممن وردت اسماؤهم في اخبار الاعيان والاثباتات • ومن الطريف ان الامير شكيب اورد [2] ما اورده ابن الاثير من ذلك لاظهار المطابقة بينه وبين السجل الارسلاني من جهة تواريخ السنين ليزيد الثقة في صحة السجل كما قال •

وتعليل ذلك على أحسن تقدير ان الامرة التنوخية في مقاطعة الغرب كانت محلية ثانوية وضيقة مجال النشاط والبروز بما فيها ما كان يسمى الامرة الكبيرة على ما ذكرناه في مطلع الفصل ، وكان القائمون عليها في مثل هذه المنزلة فلم يكن من شانها وشأنهم ان يذكروا في سياق الاحداث العامة التي كانت تجري على مسرح البلاد الشامية وفي نطاق الدولة التي تكون صاحبة السيادة • وما تضفيه الاثباتات والمدونات اللبنانية على الامراء من القاب طنانة رنانة هو من قبيل ما اعتيد عليه من التهويل في الاطناب •

ونعود الى اتمام السياق فنقول ان الذي خلف تميما معز الدولة

---

(١) اخبار الاعيان ص ٦٥٦ — ٦٥٩ •

(٢) الروض ص ٢١٣ •

ابنه مطوع ابو الفضل . وقد ذكر في اثباتات سنة ٤٥٣ [١] ووصف بالشجاعة والبطش وكثرة المعرفة بالفقه والنحو والمنطق واجادة الخط . ومما ذكر في الاثبات المذكور من سيرته ان ناصر الدولة منصور (من الامراء التنوخيين وقد مر اسمه) راسل سنة ٣٩١ ابن بكار (امير الشام على ما اوضحه الشدياق [٢]) فوعده بالامارة فحزب الناس وآل الامر الى اشتباك حربي بينه وبين مطوع قتل فيه هو واخوته . وقد أمن مطوع اولاده وارسلهم الى موطنهم . وبعد قليل عين مفلح اللحياني واليا على الشام فسار مطوع اليه وعرض ولاءه فكتب بشأنه الى الحضرة فخرج التوقيع بالعفو عنه .

ومن زوائد اخبار الاعيان في سيرة مطوع ان الامير فحل بن تميم الكتامي تولى دمشق سنة ٩٩٩ م فالتقاه الامير منصور بازورد في نواحي الرملة (يازور على الارجح او هكذا صار اسمها اليوم) ، فارسل معه كتابا الى مطوع يؤمنه فيه فاقام في وطنه وان الاميرمنصور راسل امير الشام سنة ١٠٠٢ م فوعده بالامارة فحزب الناس وأدى الامر الى القتال بينه وبين مطوع فقتل هو واخواه زهير وعمرو وجرح عباس بن زهير وصفت كأس الامارة لمطوع نتيجة لذلك ، وانه خالف ابن بكار امير دمشق فكتب به الى الخليفة ولكن ابن بكار لم يلبث ان توفي فتولى دمشق مفلح اللحياني فسارع مطوع الى لقائه فنال تكريمه واستصدر عفو الخليفة منه .

وتوفي مطوع سنة ٤١٠ هـ فانقسم اهل الغرب الى قسمين قسم يطالب بالامارة لابنه عماد الدين موسى وآخر لابي الفوارس معضاد ابن الامير همام الفوارسي على ما جاء في اثبات سنة ٤٥٣ ايضا [٣] .

---

(١) ص ٢٠٤ .

(٢) اخبار الاعيان ص ٦٦٠ .

(٣) الروض ص ٢٠٤ .

وفي سنة ٤٣٢ توفي معضاد الذي ينعته الاثبات نفسه بامير الغرب دون بيان عما انتهى اليه امر انقسام الناس في أمر الاميرين مما يدل على ان الامرة صارت اليه [١] فتولى الامرة بعده الامير معروف بن علي ابن عبد الله ، واستمرت امارة هذا سبع سنين حيث توفي سنة ٤٣٩ هـ فتولاها بعده الامير ابو الغارات شجاع الدولة عمر بن ابي المحامد عيسى بن عماد الدين موسى . وهذا من الآباء العموديين في النسب الارسلاني وكذلك ابوه وجده .

ومما ورد في اثبات سنة ٤٥٣ هـ [٢] من سيرة عمر المذكور ان مظفر الصقلبي قبض عليه سنة ٤٤٠ هـ لانه كان مع ابن حمدان في حرب ابن مرداس وولى على جبل الغرب وبيروت مكانه الامير قابوس ابن الامير عمارة بن فاتك بن منصور الذي تلقب بلقب شرف الدولة وقد اندمج في قتال ابن حمدان مع الصقلبي وقتل في السنة الثانية لامارته . ورضي الخليفة بعد قليل عن ابن حمدان فارجع الامير عمر الى امارته .

وفي اخبار الاعيان [٣] بعض الايضاح في صدد سيرة عمر حيث ذكر مؤلفه ان ناصر الدولة بن حمدان تولى دمشق من قبل المستنصر الفاطمي فتهيأ لقتال ثمال بن مرداس في حلب فكتب الى الامير عمر يستدعيه فسار اليه وحارب ابن مرداس معه ولم يصيبا نجاحا فرجعا خائبين فقلد المستنصر مظفرا الصقلبي امارة دمشق وأمره بالقبض على ابن حمدان وعمر فقبض عليهما وصادرهما واعتقلهما في صور ثم في

(١) ذكر الشدياق ان الامرة صارت لموسى ولكنه لم يمارسها الا سنة ثم تنازل عنها لمعضاد . اخبار الاعيان ص ٦٦١ .

(٢) الروض ص ٢٠٤ .

(٣) ص ٦٦٣ — ٦٦٤ .

الرملة [1] ٠ ومما ورد في سياق اخبار الاعيان ايضا ان تاج الدين تتش السلجوقي كتب الى شجاع الدولة يستدعيه الى طاعته ويحثه على غزو المردة والمحافظة من الافرنج ٠ ويبدو ان السلطان الفاطمي قد ضعف او انهار عن بلاد الشام في هذه الآونة ٠

ومات شجاع الدولة سنة ٤٨٠ فخلفه ابنه عضد الدولة علي وهو من الآباء العموديين في النسب الارسلاني ٠ وقد ورد ذكره في اثبات محرر بامره سنة ٥٠٣ [2] وقد وصف في الاثبات بوصف امير الامراء امير صيدا وبيروت وجبلهما ، وذكر فيه خبر وقعة بينه وبين الافرنج في سنة ٤٩٥ على نهر الكلب وكان معه عمال صيدا وصور ورجال الغرب ٠ وقد ولاه شمس الملوك ملك الشام بسبب هذه الوقعة على صيدا وامره بتحصين المدينتين وارسل الى صيدا نائبا عنه من اقاربه الامير مجد الدولة ٠

وقد مات عضد الدولة سنة ٥٠٤ شهيدا في حصار بيروت من قبل الصليبيين ٠ وقد ذكر ذلك في محضر تسليم وتسلم السجل الذي اشرنا اليه قبل والذي ورد فيه [3] ان بحتر بن علي المنذري الارسلاني تسلم في سنة ٥٤٠ من الصدر العلامة نصير الدين محمد بن احمد اللخمي سجلات النسب مع الكتب والدفاتر التي أودعها عنده والده المرحوم المستشهد في حصار بيروت ٠ وقد كتب تحت هذه العبار نبذة تاريخية عن الامراء فيها اسماء الذين استشهدوا وأسروا في حصار بيروت وواقعة الغرب مع الافرنج ومنهم الامير الكبير عضد الدولة علي امير صيدا وبيروت وجبلهما والامير حليم بن الامير يوسف الفوارسي

---

(١) ذكرنا هذه الحوادث في سيرة بني حمدان نقلا عن ابن العميد وابن الاثير ولم يرد في الكتابين ذكر ما للامير عمر شجاع الدولة ابي الغارات !

(٢) الروض ١٩٧ — ٢٠٠ ٠

(٣) الروض ص ١٨٥ — ١٨٩ ٠

واولاده واخوته وبنو عمه وغيرهم وقد انقطعت باستشهاد الامير حليم واولاده واخوته وبنو عمه سلالة بني فوارس • ولم يتخلف عن هــذه الوقعة من امراء الغرب احد سوى بحتر بن الشهيد عضد الدولة حيث كان صغيرا فاخفته والدته حتى انجلى الافرنج والامير مجد الدولــة الذي كان نائبا في صيدا حيث صالح الافرنج وخرج منها بأمان • وقــد تولى امارة الغرب بعد الوقعة وظل فيها الى ان استشهد سنة ٥٣٢ هـ في البرج ، فتولى الامارة بعده بحتر المذكور الذي عرف بلقب ناهض الدين ابي العشائر وكان صادق المقال حميد الخضال وجرى له وقــائع عظيمة مع الافرنج من اعظمها واقعة رأس التينة سنة ٥٤٦ • وقد مات سنة ٥٦١ عن ولد في العاشرة من عمره اسمه علي فاقطع نور الدين زنكي الغرب للامير كرامة المعروف بامير الغرب التنوخي او زهر الدولة • وهذه النبذة مذيلة بتوقيع قاضي قضاة المسلمين في دمشق ومؤرخــة سنة ٥٩٥ وعليها عدد من الشهود الدمشقيين [١] •

ومما ورد في النبذة ان الامير قوام الدين عرف الدولة ابا العز حضر لمجلس القاضي واخرج امامه السجلات المحتوية على نسب عائلته وطلب نقلها من الخط الكوفي القديم واثباتها بسجل واحدبخط المتعارف فاجيب الى طلبه على ما شرحناه سابقا •

وقد عقب الامير شكيب على هذه النبذة بتراجم القــاضي الذي أمر بنقل السجل والشهود ثم بشرح حوادث حصار بيروت من قبل الافرنج نقلا عن ابن الاثير وياقوت الحموي والشدياق • والشدياق هو وحده الذي يذكر الامراء التنوخيين الذين كانوا في الساحة دون غيره من المؤرخين والسجل من مصادره الرئيسية كما قلنا قبل ولقــد

---

(١) الصحف المذكورة آنفا .

احتوى كتابه [1] نبذة عن الحروب والوقائع التي جرت بين بلدوين ملك الافرنج والامراء الارسلانيين فيها مطابقة حرفية لما ورد في النبذة المذكورة !.

— ٧ —

وصالح بن يحيى يبدأ كلامه عن تاريخ امراء الغرب ببحتر المذكور آنفا [2] على اعتبار انه جدهم ويقفي عليه بابنه كرامة ، ويهمل ما قبلهما من احداث الا نسبهما الذي يصله بالنعمان بن المنذر بن ماء السماء في سلسلة فيها مباينة لسلسلة الروض مع توافق معها أحيانا ، ثم يستمر في ذكر تاريخ امراء الغرب من ذرية كرامة بن بحتر مقسما اياهم الى ثلاث طبقات الى سنة ٨٤٠ ومستطردا الى ذكر تولداتهم ووفياتهم وجهات اقطاعاتهم وما كان يجري حولها . ويختلف مع روض الشقيق في نسب بحتر . فنسبه في الروض : « بحتر بن علي بن ابي الغارات عمر بن ابي المحامد عيسى بن عماد الدين موسى بن ابي الفضل مطوع بن عز الدولة تميم بن سيف الدولة المنذر بن النعمان بن عامر بن هاني بن مسعود ابن ارسلان بن مالك بن عون بن المنذر المغرور بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء » في حين ان نسبه في تاريخ بيروت « بحتر بن علي بن ابراهيم ابن ابي عبدالله محمد بن علي بن احمد بن عيسى بن جميهر بن تنوخ بن قحطان بن عوف بن كنده بن جندب بن مذحج بن سعد بن طي بن تميم ابن النعمان بن المنذر بن ماء السماء » ثم يقول ان هـذا ما وجـده متداولا بين الخلفاء عن السلف بخط ناصر الدين الحسين بن سعد الدين خضر ، وهو من كبار امرائهم ومن رجال القرن الثامن الهجري .

---

(١) اخبار الاعيان ص ٦٦٥ — ٦٦٨ .

(٢) تاريخ بيروت ص ٤٣ .

وقد اشار صالح الى منشور من نائب دمشق الى بحتر جاء فيه اسمه هكذا : « الامير الاجل ناهض الدولة ابي العشائر بحتر بن علي ابن ابراهيم بن عبد الله » وفيه اقرار له على رسومه المستمرة من الضياع المنسوبة الى رسمه المعروفة باسم والده وباسمه ، وتفويض بان يتناول ما يخص الخاص السعيد منها [1] ويصرفه على مصالحه ويتقوى به على الخدمة ويجري على معهود الامارة بالغرب من جبل لبنان » . والصيغة تؤكد صحة المنشور وبالتالي تلقي شيئا من الشك على النسب الوارد في الروض لبحتر . وقد اورد صالح كذلك نص منشور من نور الدين زنكي الى زهر الدولة كرامة جاء فيه : ولما جاهر الامير زهر الدولة شجاع الملك جمال الامراء ابو العز كرامة بن بحتر التنوخي أدام عزه الى بابنا زيد علاه ولاذ بالخدمة وتقرب اليه وقصد الدولة العادلية والتمس الخدمة بين يديها تقبل سعيه واجيب ملتمسه ورسم له انشاء هذا المنشور مودعا ذكر ما تأثل له من الارعاء والاحترام والاعزاز والاكرام الخ..» وفي حين لاتذكر نبذة الروض التاريخية كرامة ابنا لبحتر بل لا تذكر اباه وانما تذكره بجملة « الامير كرامة المعروف بامير الغرب التنوخي او زهر الدولة » ولا تعترف لبحتر الا بابن واحد هو علي يؤيد صالح بنوة كرامة لبحتر بمنشور نور الدين زنكي ويذكر بالاضافة الى ذلك ان لبحترا ولدا آخر اسمه علي ولقبه شرف الدولة [2] وفي سياق خبر بحتر يورد صالح بن يحيى النبذة التي اوردناها في الذيل والتي ينسب فيها بني ابي الجيش الى ارومة السعدان من حميراء البقاع، ويسفه من يطعن بصلة بحتر وابنه كرامة باسلافه حيث يكمن في هذا وذاك سر من اسرار قضية النسب الارسلاني وما جرى حوله في ذلك الظرف من نفي واثبات وجذب ودفع ..

---

(1) يقصد من هذا التعبير ما يخص الملك كأنما يتنازل له عنه .

(2) تاريخ بيروت ٤٩ ــ ٥٠ .

وقد رأينا أن تتابع سياق صالح بن يحيى لان الفكرة التاريخية فيه أبرز وله مؤيدات تاريخية وثيقة ثم نعود الى متابعة السجل الارسلاني في روض الشقيق والتعليق عليه فنقول :

ان المستفاد من سياق صالح [1] ان امارة الغرب بعد كرامة انتقلت الى اولاده . وكان الصليبيون قد استولوا على بيروت فدعا واليها الصليبي الثلاثة الكبار منهم الى وليمة وغدر بهم وقتلهم مع جملة من اصحابهم ثم ارسل من هدم حصونهم واحرق قراهم . وكان ذلك في الربع الاخير من القرن السادس . وفي سنة ٥٨٣ استرد صلاح الدين الايوبي بيروت فاصدر منشورا ثبت فيه الامير جمال الدين حجا بن كرامة الذي كان نجا من القتل ـ لانه كان صبيا لم يشهد الوليمة ـ حاكما على ما كان في يد اخوته وابيه .

ومما ذكره المؤلف ان صلاح الدين لمس بيده رأس حجا وقال له « ها قد أخذنا ثأرك من الافرنج فطيب قلبك وانت مستمر مكان ابيك واخوتك » . وانه كتب منشورا علامته « الحمد لله وبه توفيقي » تحت سطر البسملة وان مضمونه « اجراء الامير جمال الدولة حجا ابن كرامة على ما في يده من جبل بيروت من اعمال الدامور لما وصل الى الخدمة السلطانية وتحققنا ما جرى عليه من جانب الكفار خذلهم الله وهو ملكه وارثه عن ابيه وجده وهما سرحمور وعين كور ورمطون والدوير وطرولا وعند رافيل وفراعم . وذلك حبسا منا عليه واحتسابا اليه بمناصحته وخدمته ونهضته في العدو المثاغر له . « وكتب بارض بيروت في العشر الآخر من جمادي الاولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة » .

وفحوى المرسوم يدل على ان الامراء التنوخيين كانوا يعول عليهم

---

(١) ص ٥٠ وما بعدها .

في مصاولة الافرنج وترصد حركاتهم وصد هجماتهم على البلاد .

وكذلك مما ذكره المؤلف انه وقف على كتاب آخر من السلطان لحجا بالعلامة المذكورة يقول له فيه انه جهز الى الفرنج بان يجروه واصحابه على عادتهم ومرسومهم واطلاقاتهم وان لا يعسروا عليه عادة وان خالفوا لا يلوموا الا انفسهم وان حجا يطيب قلبه ويشرح صدره فان الفرنج لا يعسرون عليه عادة ، وقد علق المؤلف على مضمون الكتاب انه يدل على مهادنة الفرنج في ذلك الوقت وان حجا ارسل يتشكى منهم، ثم قال انه جرى لحجا حوادث كثيرة من الافرنج لان في ايامه كانت قوة شوكتهم وكانوا قد قتلوا اخوته واخربوا حصنهم وكان خاطره مكدرا عليهم [1] .

ولما مات السلطان صلاح الدين جاءه مرسوم من ابنه الملك الافضل الذي كان صاحب الشام بتاريخ ٥٩٣ هـ يقطعه فيه جميع الغرب ويحثه على الجهاد ويطلب تحليف اقاربه على الطاعة . وقد ذكر المؤلف انه وقف عليه ، ثم ذكر انه وقف على منشور جاء الى حجا بتاريخ ٦١٩ من الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك العادل وعلامته « الحمد لله وبه توفيقي » ومن مضمونه اجراؤه على ما بيده من جبل بيروت من اعمال الدامور وعلى عادته المستقرة في ايام الملك الناصر بن ايوب [2] .

ولما مات خلفه ابنه نجم الدين محمد . وكان ذلك في زمن الملك الصالح ايوب فارسل اليه منشورا جاء فيه [3] : ليعلم الامير الاجل الاخص المقدم نجم الدين زين القبائل عمدة الملوك والسلاطين اطال الله بقاءه وادام توفيقه وحراسته وتسديده ورعايته شكرنا لخدمته ومضاء

---

(١) و (٢) ص ٥٢ — ٥٣ .

(٣) ص ٥٤ .

عزيمته ومحض ولائه • فليطب قلبه ويشرح صدره ويثق منا باجرائه على مشكور طاعته ومستقر قاعدته » •

ولما مات نجم الدين خلفه ابنه جمال الدين حجا • وجاءه منشور من الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز سلطان دمشق يعين فيه جهات اقطاعه وتاريخه سنة ٦٥٠ [١] • ولما زالت الدولة الايوبية وصار الملك لمماليك الترك جاء منشور [٢] من الملك الظاهر بيبرص بتاريخ ٦٥٩ فيه تثبيت لامارته وجهات اقطاعه •

ولما زحف المغول على الشام بعد تدميرهم بغـــداد ذهب الامير جمال الدين مع ابن عمه زين الدين صالح بن علي الى دمشق ، ثم اتفقا على ان يذهب الاول الى المعسكر المغولي والثاني الى المعسكر المصري وقالا أي ملك أعطاه الله النصر كان الذي عنده سادا لخلة البـــلاد • وقد نال جمال الدين الذي ذهب الى المعسكر المغولي حظوة لـــدى قائد الحملة كت بغا وأصدر له مرسوما بالنيابة « عن مالك بسيطة الارض هو لاكوخان زيدت عظمته » جاء فيه بعد البسملة وبعد جملة توكلت على الله « رسم بالامر العالي المولوي السلطاني الملكي السعيدي المجيد يان يجري على اقطاعه الامير الاجل الوحيـــد الاغر المختـــار جمال لدين حجا عمدة الملوك والسلاطين ادام الله قيادته وتمهيده [٣] » •

أما زين الدين فانه حضر المصاف بين عساكر مصر والشام والتتر

---

(١) ص ٥٥ .

(٢) ص ٥٦ .

(٣) تاريخ بيروت ص ٥٧ و ٦٥ . والنص عجيب لان هولاكو وجيشه لم يكن مسلمـا ولكن الصيغة تدل على صحته والراجح ان كاتبه مسلم . وقد روى ان هولاكو استخدم بعض كتاب وخدم الدولة العباسية في ديوانه . والمتبادر ان الكاتب كتب المنشور بالاسلوب الاسلامي المتداول .

في عين جالوت في ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ الذي كتبت الهزيمة فيه على التتر . وقد تحصن منهم شرذمة في ذروة الجبل فكان مع مماليك السلطان في حصارهم وكان يرمي عن قوس قوي أثار عجب المماليك وجعلهم يشهدون له امام السلطان الذي هم بقتله لانه عرف انه جاء الى التتر اولا فكانت شهادتهم منجية له [١] .

وقد أورد صالح بعد ذلك خبر الرسالة المزورة على لسان ملك طرابلس الى جمال الدين والمرسلة الى الملك الظاهر والتي أدت الى اعتقال هذا الامير واخيه سعد الدين وابن عمه زين الدين مما اوردناه في الذيل ولا نرى حاجة الى اعادته هنا [٢] .

وقد اورد صالح بن يحيى قبل خبر المكيدة نص كتابين من نائب دمشق ونص كتاب من الملك الظاهر الى الاميرين جمال الدين وزين الدين يدل على ان الجو كان رائقا بين الاميرين التنوخيين والملك الظاهر ونائبه في دمشق بعد ارتداد التتر عن بلاد الشام ثم على استمرار تعويل الدولة التركية على الامراء التنوخيين في مصاولة الافرنج وترصد حركاتهم وصدهم كما كان شأنهم في عهد الدولة الايوبية . وقد جاء في احدى رسالتي النائب « وصلت مكاتبة الاميرين الاعزين الاخصين جمال الدين وزين الدين عمادي الملوك والسلاطين ادام الله تأييدهما وعلمنا ما ذكراه وشكرنا همتهما . واما مثاغرتهما وقيامهما بما ينبغي من الخدمة فنحن نعلم ذلك عنهما ونحرضهما على القيام بما هما في صدده والمطالعة باخبار العدو المخذول في كل وقت بحسبه واما الامير حسام الدين نوار فقد كتبنا له بانه متى وقع صوت يسرع مع جماعته الى جهتكم وتتفق كلمته مع كلمتكم . وجاء في رسالة النائب الثانية

---

(١) ص ٥٤ — ٦٧ .

(٢) ص ٤٧ — ٧٤ .

« وردت مكاتبة الاميرين المحترمين المجاهدين والغازيين جمال الدين وزين الدين بهاء الاسلام مجدي الامراء عدتي الملوك والسلاطين انجح الله قصدهما واسعدهما وكبت ضدهما ووقف عليه وعلم مضمونه وعرف ما هما عليه من الاجتهاد والمناصحة وهو المعهود منهما والمشهور عنهما . فالاميران أيدهما الله يطيبان قلبيهما ويشرحان صدريهما . فهما على ما يشتهيان ويؤثران . وما بلغنا عنهما الا الخير ولا قيل عنهما الا الجميل . وما ثم ما يضيق به صدرهما وما نسمع في حقهما كلاما يقال فليستمرا على ما هما عليه من المناصحة والاجتهاد والمطالعة بالاخبار ومساعدة العسكر المنصور والغزاة بتلك الجهة وليجريا على ما عهد منهما من المناصحة ومن سلفهما في الايام السالفة والدول المتقدمة فانهما يجنيان ثمرة ذلك والله يؤيدهما بالتوفيق » . وقد جاء في رسالة الملك الظاهر « الى الاميرين المختارين المحترمين الاخصين المجاهدين جمال الدين وزين الدين فخري القبائل والعشائر مجدي الامراء اختياري الدولة عميدي الملوك والسلاطين ادام الله رفعتهما وجدد مسرتهما سلامنا عليهما واهداء تحيتنا اليهما ونعلمهما بانا وقفنا على مكاتبتهما الواصلة الى نوابنا بدمشق يذكرون فيها استمرارهما على الخدمة والنصح لدولتنا القاهرة ووصل الينا كتاب نوابنا بدمشق المحروسة يذكرون ما الاميران عليه من الخدمة والاجتهاد في المناصحة وفرحنا بذلك ووقع عندنا اهتمام الاميرين في الخدمة احسن موقع فليستمرا على ذلك وليهتما به وليطيبا قلبهما وليشرحا صدرهما فسوف يجنيان واخاهما ثمرة خدمتهما ومحبتهما وليطالعانا بالاخبار والمتجددات والله يوفقهما [1] » .

وفحوى رسالة النائب الثانية قد يدل على ان المنافسات والمكايدات

---

(1) ص ٦٧ — ٦٩ والمتبادر ان حسام الدين الذي ورد اسمه في رسالة النائب الاولى احد عمال الدولة او قوادها في المناطق المجاورة .

قد أخذت تشتد بين الاميرين وخصومهما وانهما كانا يتوقعان ان يفترى عليهما ويوشي بهما ، وهو ما تحقق في ما كان بعد قليل من الرسائل من حادث التزوير .

ويستفاد من سياق كلام المؤلف [1] عما جرى في عهد الامراء الثلاثة بعد اطلاق سراحهم وعودتهم الى بلادهم ان الامير زين الدين كان هو الامير الرئيسي وان جمال الدين واخاه سعد الدين كانا اميرين اقطاعيين في نطاق رئاسته ومن جملة الامراء الآخرين ، وان زين الدين توفي سنة ٦٩٥ وخلف ثلاثة اولاد ، وهم بحتر وعلي ويوسف دون ان يذكر أيهم الذي تولى الامرة الرئيسية ، والسياق قد يفيد انه لم يكن لاحد امرة رئيسية في الغرب في هذا الظرف وان كلاً من الامراء كان مستقلا في اقطاعه منه .

ثم صارت الامرة الرئيسية الى ناصر الدين الحسين الذي يطنب فيه المؤلف اطنابا كبيرا قد يدل على انه كان نجما لامعا في سماء الامرة التنوخية . وقد قا لعنه انه شيد البيت وولي رئاسته وسياسته وكانت أيامه موافقة لايام الملك الناصر محمد بن قلاوون وتنكز نائبه بالشام وكان حسن السيرة بليغا فصيحا شاعرا كاتبا ويقتني كتبا كثيرة غالبها دواوين شعر وتاريخ . وان الشعراء قصدوه ومدحوه ، وأورد جملة من شعره ليس فيها شيء غير عادي [2] يجعلنا نطيل الاقتباس منها . وهذه بعض نماذجها :

١ — هذا الحمى بقدومكم قد اشرقا ‏ ‏ وتعطر النادي بطيب الملتقى
وديارنا قد انشدت فرحا بكم ‏ ‏ يا مرحبا بقدوم جيران النقا

---

(١) ص ٨١ — ٨٢ .
(٢) ص ١١٤ — ١٢٠ .

٢ـ واذا الولاية غيرت اخوانــــا ولووا وجوههم بهـا وتبدلوا
فلأصبرن علـى التغـير منهم أسني العتاب لهم الى أن يعزلوا

٣ـ مالي أراك مليكي اليوم تظلمني والعدل منك الرجا والفضل والامل
لو آمر رام اذ لا لي سواك نبت عما يحاول مني البيض ولاسل
وانما انت مالي عنك من عوض تغضب فارضى وتقهرني فاحتمل
فاحفظ مودة عبد حـافظ ابدا عهد الاخلاء ان جاروا وان عدلوا

٤ـ وحمـام يروق العـين حسنـا تحيط بـه المسـرة والنعيم
يريـك المـاء يسرح فوق در تزول بـه لمنظـره الهموم
كأن حبـابه والجـام فيـه سمـاء طالعـات بهـا نجوم

وقد ذكر المؤلف من سيرته ان اول منشور كتب له كان في سنة ٦٩١ بالامرة الصغيرة التي كانت لوالده سعد الدين خضر ثم كتب لـه منشور بالامرة الكبيرة سنة ٧٠٧ في أيام الملك المنصور قلاوون بعد وفاة شمس الدين كرامة بن بحتر [١] .

وقد أورد المؤلف في سياق كلامه مناشير عديدة بما كان لهـذا الامير ولمن قبله من جهات اقطاعية خاصة وما جرى في صدد تثبيتهـا من مراسلات ومراجعات لا نرى طائلا في ايرادها . ويشير في هـذا السياق الى ما كان من منافسة ومكايدة بيت ابي الجيش لهذا البيت وما كانوا يضمرونه لاهله من حسد وبغض [٢] .

ومما ذكره المؤلف من احداث ناصر الدين انه توجه في سنة ٧٠٥

---

(١) ص ١٣٠ والمقصود من الامرة الكبيرة رئاسة الامراء في مقـاطعات الغرب أمـا الامرة الصغيرة فهي الامرة المحلية في احدى هذه المقاطعات كما هو المتبادر .

(٢) ص ٨٨ ـ ٩٩ .

الى كسروان ومعه اقاربه وجموعه مع نواب الشام وطرابلس وصفد لقتال اهل المنطقة بسبب ما كان من مخامرتهم مع الافرنج الذين كانوا يحاولون الكرة على بلاد الشام من قبرص بعد ان اجلوا عنها ، فاوقعوا فيهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وتفرق باقيهم في بلاد جزين والبقاع وبعلبك [١] .

ومما ذكره ان رجال الدولة انكروا على الملك الناصر احمد امورا لا تليق بالسلطنة فخلعوه وسلطنوا اخاه الصالح اسماعيل سنة ٧٤٣ وكان احمد في الكرك فجردت حملة للقبض عليه وطلب من ناصر الدين تجريدة (حملة) تنضم الى الحملة فارسل اخاه عز الدين على رأس كتيبة وكان فيها بعض رجال من بني ابي الجيش . وقد قتل اخوه وبعض جماعته واسر بعضهم في الواقعة التي دارت بظاهر الكرك بين انصار الاخوين فطلب من ناصر الدين تجريدة جديدة فجهز خمسمائة رجل وذهب على رأسها [٢] .

واستمر ناصر الدين يمارس الامرة الكبيرة الى سنة ٧٤٩ ثم تنازل لاكبر ابنائه زين الدين صالح عندما شاخ وضعفت حركته . ولم تطل أيامه بعد ذلك اذ توفي سنة ٧٥١ [٣] . وقد تطرق المؤلف بعد ذكر ذلك الى ذكر اولاده واقطاعاتهم باسلوب يدل على ان كلاً منهم كان له امرة اقطاعية خاصة مما لم نر طائلا في ايراده [٤] .

ومما ذكره المؤلف من احداث عهد زين الدين صالح بن ناصر الدين الذي خلف اباه في الامرة ان نائب طرابلس ذهب بمرسوم مزور

---

(١) ص ١٠٠ .

(٢) ص ١٠٥ — ١٠٦ .

(٣) ص ١٣٠ .

(٤) ص ١٣١ — ١٥٨ .

الى دمشق وقبض على نائبها وقتله ثم عاد واعلن عصيانه فورد اليه من الشام منشور بضرب الحصار على طرابلس ومنع نائبها من عبور نهر الكلب ففعل الى ان جاءت عساكر الشام واعتقلت النائب العاصي [1] .

وفي زمنه اعتدى صاحب قبرص على الاسكندرية فاضطرب بال اهل السواحل وامراء الغرب خاصة لانهم اضطروا الى السكنى في بيروت والركوب ليلا ونهارا . وندب تركمان كسروان أنفسهم لغزو قبرص مقابل اقطاعاتهم اقطاعات امراء الغرب فارسل زين الدين ابنه الى مصر لاحباط المكيدة ونجح في سعيه [2] .

و قدذكر المؤلف انه وقف على مرسوم من ملك الامراء منجك نائب دمشق الى غرس الدين متولي بيروت بوجوب تأنيب جمال الدين حسان ومحمد بن قرياش وخليل بن سعدان ــ وسعدان هو اسم اسرة بني ابي الجيش عند المؤلف ــ على اساءتهم ادبهم على الجناب الزيني امير الغرب واخذ اشهاد عليهم وعلى جماعتهم بان يركبوا لركوبه وينزلوا لنزوله وان لا يتوجه احد منهم من بيروت الا باذنه وان لا يفارقوا خدمتهم ليلا او نهارا ، وانه كان لزين الدين عند منجك مقام كبير . وكان اذا حضر الى دمشق قرب مقعده ورتب له سماطا وخلع عليه احب الخلع السلطانية ، وان منجك لما اختفى اختفى عنده ، وانه كان مقصد الوارد والصادر وقد مدحه الشعراء بقصائد كثيرة . وانه كان ذا معرفة في صناعة الطب واستحضار الادوية برسم الثواب وكان كثير البر والصدقات والعمارات [3] .

وتوفي سنة ٧٧٩ فخلفه في الامرة اصغر اولاده سيف الدين يحيى

---

(١) ص ١٦٧ .

(٢) ص ١٦٨ .

(٣) ص ١٦٩ — ١٧٢ .

لان جميع اولاده الآخرين توفوا في حياته ، وهو والد المؤلف • وقـد قال عنه انه ساد البيت فاجمل في الرئاسة وانقاد له اقاربه وقومه [1] • ومما ذكره عن عهده [2] ان حملة افرنجية جنوية غزت بيروت في زمنه سنة ٧٨٤ ونزلت ثلة من عسكرها الى البر وحاولت رفع العلم على جوانب القلعة وتقهقر العسكر الشامي ولكن الامير يحيى هجم بمن معه من اصحا بالنخوات على عسكر الافرنج فطعنوه برماحهم حتى برك به الفرس ثم نهض واقتحم حتى وصل الى حامل العلم فرماه فما كـان من رفاقه الا الهزيمة وركب المسلمون اقفيتهم • وحكى المؤلف قصة خلاف نشب بين يحيى ونائب الشام بيدر بوشاية من احد رجال صيدا وتحريضه وما كان من اغتنامه فرصة الفتنة التي نشبت بين السنة والشيعة في بيروت واشتداد الشيعة على السنة وانتصار بيدمر لهؤلاء وطلبـه للامير يحيى واهانته وسحب الامرة منه وسعى يحيى لدى السلطـان في مصر حتى تمكن من استعادة اقطاعه وامرته ثانية وكان ذلك سنة ٨٧٤ هـ [3] •

وتطرق المؤلف بعد ذلك الى ذكر الامراء المتفرعين عن ناصر الدين من الطبقة الثانية والثالثة واسمائهم وصفاتهم وجهات اقطاعهم • وكلامه لا يفيد ان الامرة الكبيرة كانت لاحد منهم حتى ولا لابيه بعد خلافـه مع بيدمر • غير ان السياق الـذي يسوقـه في صدد ما كان من تشاد وحروب بين الظاهر برقوق الشركسي وانصاره والملك الصالح القلاووني وانصاره يفيد ان الامرة التنوخية الكبيرة كانت في ظروف هذه الحركة التي بدأت في سنة ٧٨٩ لسيف الدين ابي بكر بن شهاب الدين احمـد

---

(١) ص ١٧٤ — ١٨٠ •

(٢) ص ١٨١ •

(٣) ص ١٨٢ •

زين الدين [1] • ولقد وثب برقوق الشركسي على آخر ملوك الترك المماليك الصالح القلاووني وخلعه ونادى بنفسه ملكا واستتب له الملك في مصر ، ودخلت بلاد الشام في بادي الامر في حكمه وتواثق معـه الامراء التنوخيون ، ثم تمرد عليه نواب بلاد الشام وهم من العنـصر التركي وزحفوا باجنادهم على مصر بزعامـة احدهم يلبغا نائب حلب وسيطروا عليها واعتقلوا برقوقا في قلعة دمشق واعادوا الصالح الـى عرشه ، غير ان برقوقا تمكن من الافلات وجمع الجموع والسيطرة على بلاد الشام وخرج الصالح من مصر لقمع حركته وكان مدبره ووزيره منطاش نائب دمشق الذي كان من جملة المتمردين على برقوق وجرت اشتباكات في بلاد الشام بين الطرفين وانكسرت حملة مصر في النهاية وفر منطاش واستتب السلطان لبرقوق في الشام ومصر • ولم ينفض منطاش يده حيث عـادالى الحركة بعد عودة برقوق الى مصر واستطاع أن يجمع حوله انصار الدولة التركية وان يستولي على طرابلس ثم على حماه وحمص وبعلبك • وخرج برقوق اليه ففر الى بلاد التركمـان فلما عاد برقوق الى مصر عاد منطاش للمرة الثالثة وهاجم حماه ونهبهـا وجد نائب حلب في امره حتى ظفر به بعد ان امتدت حركته خمس سنين • وقد اندمج التنوخيون وانصارهم بزعامة سيف الدين يحيى اولا وابنه عز الدين بعده على ما يفيده سياق صالح بن يحيى في الحركة الى جانب برقوق وانصاره وشهدوا وقائع عديدة في بلاد الشام ، وجرح فخرالدين وغيره من الامراء كما قتل بعض امراء ايضا وكان من الوقائع التـي نالهم منها أذى كبير واقعة جرت في مرج عذراء قرب دمشق بـين نائب دمشق ومعه فخرالدين وجماعته وبين نعير امير عرب الفضل الذي كـان منحازا لمنطاش والملك الصالح حيث جرح فخرالدين وقتل غيره ونهبت اموالهم ، فكان كل ذلك مما زاد في محبة برقوق للامراء وزاد في التواثق

---

(١) ص ١٩٢ ـ ١٩٨

بينهم وبين خلفائه من بعده [١] • والسياق يفيد انه كان عدد من الامراء التنوخيين يتولون الحكم والامرة في اقطاعاتهم جريا على العادة أثناء ما كانت الامرة الكبيرة لفخرالدين •

ومما جرى ان تركمان كسروان بزعامة زعيمهم علي بن الاعمى اغاروا على بلاد الغرب ـ مقاطعة التنوخيين ـ خلال حركة التصاول بين رجال الدولتين الشركسية والتركية وفي ظرف كان الامير فخر الدين وجماعته متغيبين عنها فنهبوها وقتلوا واسروا كثيرا من أهلها واخذوا ما وجدوه لفخر الدين واقاربه في بيروت من أموال • فلما استتب سلطان الظاهر برقوق جردوا حملة على التركمان بمساعدته فقتلوا زعيمهم ونهبوا اموالهم [٢] •

ومات فخرالدين سنة ٧٩٦ واعقب موته طاعون فني فيه كثيرون من الاسرة التنوخية • وكان من جملة من بقي منهم امير اسمه بهاء الدين داود بن علم الدين سليمان • فلما حضر تميورلنك الى بلاد الشام سنة ٨٠٣ وحضر الملك الناصر فرج بن برقوق للقائه استدعى نواب بعلبك وصيدا وبيروت ومن عندهم من العشران [٣] للانضمام اليه وكان بين الذين استدعاهم وانضموا اليه بهاء الدين حيث يمكن ان يفيد ذلك انه كان هو المتقدم من التنوخيين • ولما توجه هؤلاء الى الشام ووصلوا وادي دمر وجدوا عسكر السلطان مهزومة من امام تيمورلنك فتقهقروا بدورهم وفقد بهاء الدين ولم يوقف له على خبر • وقد اصيب من عسكر السلطان واهل الجبال والعشران خلق كثير ونهب التتر اموالهم

---

(١) ص ١٩٢ ــ ١٩٧ •

(٢) ص ١٩٧ ــ ١٩٨ •

(٣) الغالب انه تعبير يقصد به الاجناد المحليون الذين كانوا تحت قيادة مقدمين محليين •

وخيولهم [1] •

وذكر المؤلف بعد ذلك الامير فتح الدين محمد واخاه صلاح الدين يوسف ذكرا عابرا لا يفيد انهما كانا يتوليان إمرة كبيرة • وعندهما وقف كتابه فيما يتصل بتاريخ الامرة التنوخية حيث وصل به الى سنة ٨٤٠ هـ •

ومما ذكره من احداث هذه الحقبة الاخيرة فتح قبرص حيث كانت نقطة انطلاق القرصان والحرامية فامر السلطان برسباي (٨٢٤ـ٨٤١) باعداد حملة بحرية لغزوها وفتحها وبتوجه امراء الغرب في جملة من يتوجه فيها فتوجهوا سنة ٨٢٨ وكان صالح بن يحيى في الجملة • وقد نجحت الحملة واستولت على الجزيرة [2] • والسياق يفيد ان المؤلف نفسه كان صاحب اقطاع وامرة محلية في جملة من كان لهم مثل ذلك من الامراء التنوخيين •

وقد ذكر في هذا السياق اسم الامير عزالدين صدقة بن « امير الغرب » ووصفه بانه متولي بيروت • ولا يفهم من ذلك صراحة ان هذا أو أباه كانا يتوليان الامرة الكبيرة • ولكن صفة « امير الغرب » قد تعني ذلك •

ولقد قلنا قبل قليل ، ان صالح بن يحيى تطرق الى ذكر رجال طبقات التنوخيين واقطاعاتهم ونقول الآن في خاتمة كلام المؤلف ان المستفاد من شروحه [3] ان اقطاع الامراء التنوخيين كان عبارة عن قرى ومزارع كان ملوك الدولة صاحبة السيادة أو نوابهم في دمشق يفوضون استغلالها للامراء سواء منهم الرئيسيون أم الثانويون ، ويثبتونها في عهدتهم دورا

---

(١) ص ٢٠١ •

(٢) ص ٢١٩ — ٢٢٤ •

(٣) انظر ص ٤٩ و ٥٥ — ٥٦ و ٥٩ و ٦١ — ٦٢ و ٨٦ — ٩٧و١٢٩و١٩٥٢ — ٢٠٧ •

بعد دور باسمائها ويزيدون عليها احيانا وينقصون منها ، وانهم كانوا يخصصون لكل امير عددا من الانفار الذين يجب ان يكونوا تحت امرتهم القيام بمهمة الدرك والخفارة والمراقبة والدفاع . وكان عدد الانفار يقل ويكثر حسب الامراء وكان العدد احيانا لبعض الامراء لا يزيد عن خمسة أو إمرة خمسة وهذا هو الحد الادنى حيث كان لبعض الامراء إمرة عشرة ولبعضهم عشرين ولبعضهم اربعين الخ .. وليس في شرح صالح ما يفيد ما اذا كان يجب على الامراء أن يؤدوا مالا اميريا عن ما كان يوجه اليهم من جهات ـ وهذا هو التعبير الرسمي للاقطاع ـ أو ما اذا كان ذلك مقابل ما ينفقونه على الانفار الذين يجب عليهم أن يجعلوهم تحت امرتهم كما انه ليس فيه ما يساعد على ايضاح بدء ذلك وان كان من الممكن ان يقال انه أشبه بما كان عليه الامر في عهود المتغلبين على الخلافة العباسية ثم في عهود الدول التي قامت بعدها ...

والمستفاد من كتاب صالح بن يحيى كذلك وهو متصل بمدى ما ذكرناه آنفا أو نتيجة وتبعا له ان الامراء التنوخيين كانوا خاضعين خضوعا تاما لملوك الدول التي تعاقبت سيادتها على بلاد الشام ونوابهم وولاتهم في هذه البلاد كأنما هم موظفون في خدمتهم يعزلون ويولون ويعتقلون بأمرهم . ولم يسجل لهم تمرد أو طموح استقلالي . وكانوا في مراسلاتهم الرسمية يستعملون كل اساليب التزلف والتقرب والاعتراف بالخضوع . ومع ان الملوك والنواب كانوا يخاطبونهم باساليب فيها مجاملة وتنويه وتفخيم الا انها كانت تنم عن ما كان لهم عليهم من حق الخضوع والخدمة . وهذا واضح في نص المنشور الذي اصدره نور الدين زنكي لكرامة بن بحتر وفي نصوص ونبذ عديدة وردت في كتاب صالح بن يحيى [1] . ولقد كان ناصر الدين الحسين من اعظم من تولوا

---

(١) تاريخ بيروت ص ٤٥ و ٤٩ و ٥٣ و ٥٤ و٥٧ و٥٨ و٦٨ ـ ٦٩ و ٧٥ .

الامرة الكبيرة من التنوخيين وقد مدح تنكز نائب دمشق بقصيدة جاء فيها فيما جاء [1] :

ادعو لمن عمنا عدلا بدولته ... فاصبح الذئب مرعاه مع الغنم
العالم العادل البر التقى ومن ... في طاعة الله طول الليل لم ينم
حامي الثغور وفخر المسلمين ومن ... حوى المفاخر من حزم ومن حرم
أضحى بتنكز ملك الشام مفتخرا ... به يتيه على الافاق كالعلم

ويقول صالح [2] انه وقف على نسخة بخط ناصر الدين لملك الامراء (نائب دمشق) جاء فيه بعد البسملة « المملوك الحسين بن امير الغرب يقبل الارض وينهي ان المملوك واقاربه ملتزمون بحفظ ثغر بيروت المحروسة مجتهدون في خدمة مولانا السلطان خلد الله ملكه . وسؤالهم من صدقات مولانا ملك الامراء التصدق عليهم بمطالعة على يد المملوك الى الابواب الشريفة لتثبيت يدهم على اقطاعاتهم وعدم ادخالها في الروك [3] لانها اذا دخلت هلكوا لانها مساكنهم وبها رجالهم وعشيرتهم » حيث يبدو من العبارة ان الامراء التنوخيين حتى في دور أعظمهم شأنا كانوا يعرفون حدودهم ومركزهم المتواضع ليس ازاء السلطان بل ازاء نائبه في بلاد الشام [3] .

هذا ، ولقد الحق لويس شيخو بما كتب صالح بن يحيى ملحقا [4] استخلصه كما قال من تاريخ ابن سباط الذي وصفه بالغربي ـ أي من أهل غرب لبنان والذي ذكر ان وفاته كانت سنة ٩٢٦ هـ فيه تكملة

---

(١) ص ١١٦ .

(٢) ص ٩١ .

(٣) هذه الكلمة عامية لا تزال تستعمل في بلاد الشام بمعنى شيء عام .

(٤) تاريخ بيروت ص ٢٣٠ ـ ٢٣٧ .

مقتضبة لاخبار الامراء التنوخيين جاء فيه فيما جاء خبر وفاة الامير عزالدين صدقة ابن الامير شرف الدين عيسى سنة ٨٤٨ هـ ووصف بانه كان اميرا كبيرا له الغيرة على جميع الامراء والمقدمين في بلاد الشام وله اليد الباسطة مسموع الكلمة عضد الملوك والنواب وكان يحكم من حدود طرابلس الى حدود صفد وبيده درك بيروت • وقد حماها من الافرنج • وكان يقصده الاكابر والاعيان من ابعد مكان وهو الذي ابطل يد بني الحمراء حكام البقاع ومنعهم من سكنى بيروت •

ومما جاء في الملحق :

١ ــ خبر وفاة الامير زين الدين عمر اخي عزالدين صدقة سنة ٨٤٨ وقال : انه كان له اعتناء بالبنيان وهو الذي بنى القصر المشهور في بيروت • وله اليد الطولى في قلم النسخ ولم يذكر صفة امارة فعلية له •

٢ ــ خبر وفاة الامير بدر الدين حسين بن عزالدين صدقة سنة ٨٦٣ وقال ، انه كان ذا همة ونجابة وشجاعة وانه عاشر الترك حتى صار كأنه منهم • وكان له عند امير الامراء نائب الشام الرتبة السامية • وقد تدل العبارة على انه كان خليفة ابيه في الامرة •

٣ ــ خبر وفاة الامير سيف الدين زنكي بن عزالدين صدقة سنة ٨٥٦ وقال : انه كان شبيها باخيه بدر الدين في السياسة وحسن المعروف ولم يذكر له صفة اخرى •

٤ ــ خبر وفاة الامير سيف الدين بن يحيى بن فخرالدين في السنة نفسها وقال : انه بلغ في حياته أجلّ المراتب العالية في العلم والعمل وله اليد الطولى بالخط العجمي •

٥ ـ خبر وفاة الامير علم الدين سليمان بن الامير احمد سنة ٨٧٤ وقال انه بلغ في صناعة الطب رفعة وكان يطبب الناس بدون اجرة .

٦ ـ خبر وفاة الامير سيف الدين عبد الخالق ابن امير الامراء والاعيان شيخ العلماء وركن البنيان فريد العصر والاوان ذو الحسب السامي والفرع النامي الامير جمال الدين عبد الله السيد بن الامير صلاح الدين يوسف في السنة نفسها .

وبعد هذا احتوى الملحق بيانات اضافية عن ذرية ناصر الدين من نسل زين الدين صالح الذين كانوا يسكنون عرامون وعن اولاد سعدالدين خضر وعن ذرية شرف الدين عيسى وصفاتهم مما لم نر طائلا تاريخيا في ايراده . وقد قال في آخر نبذة ذرية ناصر الدين ، واما آخر ذرية بني زين الدين صالح فكان ناصر الدين المتوفي سنة ٩٢٠ هـ ١٥١٤ م .

ثم جاء بعد الملحق المذكور نبذة عنوانها انقراض آل تنوخ غير معزوة لاحد [١] جاء فيها انه لما فتح السلطان سليم الاول مصر والشام سنة ٩٢١ خضع له بنو تنوخ . وكان كبيرهم الامير شرف الدين يحيى ابن سيف الدين ابي بكر فقدم عليه واهداه الخيل المسومة واخذ منه المناشير التي تقرر له املاكه . الا ان جان بردى الغزالي عامل صيدا من قبل السلطان أتهمه بعد مدة بمحاربة ناصر الدين حنش النائب القديم على صيدا فألقي القبض عليه وعلى أخيه زين الدين وعلى بعض الامراء من بيت معن وحبسهم في قلعة دمشق الى ان اطلق السلطان سراحهم وعاد شرف الدين الى مرتبته القديمة بل زاد تقدما ورفعة . وبقي الامراء التنوخيون في الامن والدعة الى سنة ١٦١٢ (حوالي سنة ١٠٣٥ هـ) حيث نشبت الحرب بينهم وبين حسين باشا ابن سيفا حاكم طرابلس

(١) ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

وعكار ودخلت جيوش الدولة اعبية فاحرقتها فطلب ناصر الدين التنوخي الامان فمنحه واعيد الى ولاية الشوف ٠

وكان الامير منذر بن سليمان بن علم الدين هو البارز في هـذا الظرف وكان أنشأ قصرا عظيما في أعبية ٠ ولكن الايام لم تطل له ٠ فقد غضبت الدولة على بني معن وكان التنوخيون مائلين معهم فانتهز علي بن علم الدين اليمني النعرة الذي عينته الدولة واليا على بلاد الشوف محل اميرها المعني الفرصة فقبض على من ظفر بهم من بني معن وقتلهم واستصفى اموالهم ثم سار الى قرية اعبية وجمع الامراء التنوخيين وغدر بهم وقتلهم كلهم كبارا وصغارا فانقرضت بموتهم سلالتهم ٠

وفي تاريخ الامير حيدر واخبار الاعيان وتاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني للمعلوف ما يطابق ما جاء في هذه النبذة ٠ ولما كانت الاسرة الارسلانية ما زالت موجودة وتنتسب في اصلها الى الارومة التنوخية فالمتبادر ان السلالة التي انقرضت هي سلالة كرامة زهر الدولة الـذي نعتته اثباتات روض الشقيق بالتنوخي ، والتي كـانت قيسية النعرة كالمعنيين ٠ حيث اورد الشدياق اخبارها في فصل اخبار الامراء التنوخيين القيسيين ٠

ونستطرد الى القول ان الشدياق في الفصل الآنف الذكر يتطابق مع صالح بن يحيى في كثير مما اورده عن بحتر وكرامة واولادهم مع ما في ذلك من مباينة لما جاء في الفصل الذي عقده على اخبار الامراء الارسلانيين ولما ذكرته اثباتات روض الشقيق ايضا ٠ ومع انه اشار في فصل اخبار الامراء الارسلانيين الى السجل الارسلاني واثبـاتـات النسب الارسلاني بما يفيد انه اطلع عليها واستقى منها فانه لم يـذكر كتاب تاريخ بيروت غير ان التطابق الـذي بينـه وبين فصل الامراء

التنوخيين القيسيين يدل على انه مطلع عليه او على مصادر منقولة عنه لانه احيانا يتطابق معه حرفيا .

ولقد ذكر الشدياق في هذا الفصل [1] باقتضاب قصة نزوح نبا وعشيرته والمقدمين الى لبنان على النحو الذي اوردناه في مطلع الفصل ثم اخذ يذكر سيرة بحتر الذي سلسله الى المنذر بن ماء السماء في سلسلة مطابقة لسلسة صالح بن يحيى مباينا في ذلك سلسلة روض الشقيق . وفي حين يتطابق في فصل الامراء الارسلانيين مع الروض فيقول ان بحتر مات عن ولد واحد وهو علي ويذكر امه بدون ذكر ابيه وينعته بالتنوخي فقط يذكر في هذا الفصل انه مات عن ولدين هما كرامة وعلي كما ذكر صالح بن يحيى ! .

ومن الزيادات التي اوردها في فصل اخبار الامراء التنوخيين القيسيين ان نور الدين زنكي ولى كرامة في حياة ابيه اقطاعات جديدة منها الدامور وشارون ومجدل بعنا والظهر الاحمر من وادي التيم وجلبايا في البقاع وجعل له علايف اربعين فارسا لمحاربة الافرنج .

ومنها ان الملك الصالح ايوب كتب بخطه سنة ١٢٤٩ م توقيعا باسم الامير زين الدين بن علي مضمونه ان تجري له من الاقطاع في الناحية الغربية والجنوبية من جبل بيروت القاطبة وبكين وشملال وتباتر وكفر حمية وما يلحق بها من مزارع جزاء خدمته واتعابه وترغيبا له في الاستمرار على حفظ الثغور بالاضافة على ما في يده من الاملاك المستمرة على والده من قبله .

وقد ذكر الشدياق خبر وشاية احد بني ابي الجيش ضد الاميرين جمال الدين وزين الدين وما كان من نكبتهما واعتقالهما واطلاقهما

---

(١) اخبار الاعيان ص ٢٢٣ ـ ٢٤٧ .

بعد الملك الظاهر على النحو الذي نقلناه عن تاريخ بيروت • وقد علل الوشاية بالحسد • وذكر خبر كتاب مزور آخر كتبه بنو ابي الجيش ايضا سنة ١٢٨٣ عن لسان الامراء الثلاثة المنكوبين بعد اطلاق سراحهم الى افرنج صيدا وعكا بأنهم لا يزالون ثابتين على العهد معهم قصــدا الى اعادة الامراء الى السجن وهلاكهم • وهذا الخبر لم يرد في كتـــاب صالح • واورود نص المحاضر التي كتبها بعض الناس ضد تقي الدين نجا بن ابي الجيش كما جاء في الكتاب المذكور ، وهذا دليل على اطلاعه عليه لانه يتطابق معه حرفيا في نص المحضرين •

ولقد استمر الشدياق على سرد اخبار الامراء التنوخيين وذكــر اقطاعاتهم وتولداتهم ووفياتهم بما يطابق اجمالا مــا ذكره صالح الى ان ذكر ما كان من اغتيال الامير علي علم الدين لهم سنة ١٦٣٣ وانقراض سلالتهم نتيجة لذلك على النحو الذي جاء في النبذة الملحقة في كتاب صالح ايضا •

وسياق الشدياق يؤيد ما تبادر لنا من ان السلالة المنقرضة هـــي سلالة كرامة التي ظلت تتميز باسم التنوخيين والتي ادار الشديــاق فصله عليها •

ولقد احتوى الغرر الحسان فصلا في تاريــخ آل تنوخ ونسبهم واشهر اعمالهم مستقى من ابن سباط [1] ويبدأ بكرامة بن بحتر كما فعل صالح بن يحيى ويمضي في الكلام متطابقا الى حد كبير مع ما اورده صالح بما فيذلك نصوص المراسيم ونكبة الامراء الثلاثة حتى لكأن ابن سباط مصدرا لصالح ان كان قبله او ان صالحا مصدر لابن سبــاط ان كان بعده • فنكتفي بهذا التنويه لانه ليس في الفصل شيء ذو بال يصح ان يزاد عما نقلناه من كتاب صالح • ولقد قلنا قبل قليل ان كثيرا

---

(1) ج ١ ص ٥٤٤ ـ ٦٠٤ نشر مغبغب •

مما ذكره الشدياق متطابق مع ما اورده صالح بن يحيى • والغرر وتاريخ ابن سباط من مصادر الشدياق • فلا بد من انــه اقتبس كثيرا ممــا أوردوه منهما •

— ٨ —

ونعود الآن الى روض الشقيق او السجل الارسلاني • وننبه أولا على ان من محتويات هذا السجل التي تعود الى القرن السادس وما بعده وهو ما وقفنا عنده في اقتباساتنا الاولى من روض الشقيق ما يعود تاريخه الى الحقبة التي أرخها صالح بن يحيى أي من القــرن السادس الى اواسط القرن التاسع • ومنها ما يعود الى ما بعد ذلــك وكلا النوعين يجري في مجرى تاريخ وصفات الآبــاء العموديين للنسب الارسلاني دون اهتمام كبير لتاريخ وصفات الذين ليسوا من هؤلاء الآباء • وبين هذا النوع الاول وبين ما جاء في كتاب صالح منه بعض التضارب كما ان هناك ما لا تلاقي فيه لاختلاف المجري الذي يسير فيه كل من الكتابين • ولهذا لم نر بأسا في ايراده في هذه النبذة مع لفت النظر الى ما قد يكون من تضارب بينه وبين ما جاء في كتاب صالح •

أما النوع الثاني أي ما يعود الى ما بعد الحقبة التي أرخهــا صالح فهو فريد ويصح التعويل عليــه لان الاثباتات المتأخرة خــاصة حقيقة تاريخية فيما نرجح • ونرجح ان الشدياق ومن قبله الشهابي نقلا عنــه أو عن المصادر التي نقلت عنه •

ولقد وقفنا كما قلنا عند ذكر تولية نور الدين زنكي اقليم الغرب لكرامة أو زهر الدولة التنوخي بعد ناهض ابي العشائر بحتر الــذي تفيد عبارة الروض انه ليس ابن بحتر •

وقد ورد في الروض بعد بحتر في سلسلة الآباء العموديين اسم عرف الـدولة قوام الدين علي الملقب بارســلان المتوفي سنة ٦٢٧ ثم زين الدين صالح الملقب بابي الجيش بن عرف الدولة علي • وقـد ورد ذكرهما في اثبـات محرر في سنة ٦٧٠ بطلب وحضور « الامـير الاجل والحسيب الاكمل ابو الجيش صالح بن الامير عرف الدولة علي بـن الامير بحتر الارسلاني » • ومع ان الروض الشقيق يقول ان عليا كان يلقب بارسلان فان الاثبات لا يذكر ذلك •

ولما كان العرب قد اخذوا في هـذه الحقبة يقتبسون مـن اسماء البارزين من الترك اسماء لهم فنحن نرجح ان التسمية صحيحة وان لم ترد في الاثبات • ولعلها وردت في سجل التولدات والوفيات والاحداث الذي يستند اليه الاثبات ، كما نرجح كذلك على ما قلناه قبل ان عليا هذا هو اول من تلقب بهذا اللقب الذي صار عنوانا للاسرة المعروفة به •

وقـد نقل الامير عن اخبار الاعيان زيادة عن الاثبات [1] ان الملك الصالح ايوب كتب لعرف الدولة علي الملقب بارسلان توقيعا بخطـه يقطعه فيه قرى معلومة مكافأة على خدمته واتعابه بمحافظة الثغور • وان الامير زين الدولة صالح والامير جمال الدين بن حجا بن محمـد التنوخي سارا سنة ١٢٥٩ الى كتبغا قائد جيوش التتر لما ملك دمشق

---

(١) في اخبار الاعيان هذا الخبر متكرر في حق عرف الدولة ثم في حق ابنه صالح زين الـدين • فقد ذكر اولا (ص ٦٦٧ — ٦٦٨) ان الملك الصالح بن نور الدين كتب لعرف الدولة كتابا يمدحه على بسالته ويوليه الغرب كما كانت اباؤه واجداده حينما صمد لزحف ملك بيروت الافرنجي على الجبل بعد قتله اولا دكرامة الثلاثة وهزيمته له وكان ذلك سنـة ١١٦٣ م ثم ذكر ان الملك الصالح ايوب كتب لزين الدين صالح سنة ١٢٤٩ م توقيعا بخطه يقطعه قرى معلومة مكافأة له على خدمته واتعابه بمحافظة الثغور • ولا ندري لماذا لم ينقل الامير شكيب الحادثتين ويورد حادثة اقطاع عرف الدولة بشيء من المغايرة لما ذكره الشدياق مع انه ينقل عنه ويعزو اليه ••

وسلما له • ولما قدم الملك قطز المظفر بالعساكر المصرية لحرب التتر توجه الامير زين الدين اليه • ولما صارت الواقعة في عين جالوت كان يضرب التتر بالسهام امام مماليك الملك فاعجبهم رميه ثم بلغ الملك حضوره الى كتبغا فامر بضرب عنقه فخلصه المماليك بشهادتهم بجهاده في حرب التتر •

ولما استولى كتبغا على دمشق كتب منشورا للامير جمال الدين حجا بتقرير ما كان بيده من الاقطاعات فلما استولت الدولة التركية اشركوه والامير جمال الدين حجا بامارة الغرب فلما قبض على حجا واخيه وابن عمه افرزت له • وفي سنة ١٢٩٣ كتب الملك الناصر محمد ابن قلاوون من مصر كتابا الى الامير زين الدين صالح ابي الجيش والامير جمال الدين بن حجا التنوخي يقول لهما فيه ان عليهما ان يذهبا مع سنقر المنصوري حينما يتوجه لقتال الجرديين وان من اسر اسيرا فهو له ومن احضر رأسا فله دينار فسارا فاندفقت عليهم المردة وهزموهم• وفي سنة ١٢٩٥ توفي الامير ابو الجيش زين الدين صالح ودفن في عرمون وعمره تسعون سنة [١] •

وزين الدين صالح في تاريخ بيروت هو ابن علي بن بحتر وزين الدين صالح ابو الجيش في الروض هو ابن قوام الدين عرف الدولة علي بن بحتر • وسيرة ابي الجيش التي ينقلها الروض عن اخبار الاعيان هي نفس سيرة زين الدين صالح التي ذكرهما مؤلف تاريخ بيروت • ووفاة ابي الجيش في الروض هي سنة وفاة زين الدين صالح في تاريخ بيروت • والصفات التي ذكرها الروض له وميزته في رمي السهام وشفاعة المماليك له قد ذكرها تاريخ بيروت لزين الدين صالح ولا يعقل مع هذا التطابق ان يكونا شخصين مختلفين كما هو المتبادر هذا في

---

(١) الروض ص ١٨٣ — ٨٤ •

حين ان زين الدين تاريخ بيروت قد نكب واعتقل مع جمال الدين وسعد الدين بوشاية احد بني الجيش وزين الدين الروض لم ينكب ولم يعتقل. ومن العجيب ان الامير شكيب ارسلان الذي عرف هذه المطابقة من قراءته لتاريخ بيروت لم يعلق عليها بشيء مع ان مؤلف هذا التاريخ ينكر نسبة بني ابي الجيش الى التنوخيين ! والأعجب ان الامير شكيب الـذي عن القبض على حجا واخيه وابن عمه في حين ان في اخبار الاعيان بيانا يهتم كثيرا لتدعيم السجل بنصوص اخبار الاعيان اكتفى بجملة عابرة مفصلا آخر عن قصة الوشاية ونكبة الامراء مطابقا مع ما ورد في تاريخ بيروت على ما ذكرناه قبل ! فكيف يمكن تفسير كل هذا الا بما فسرناه من ان الاثباتات الاولى مصنوعة لاثبات نسبة ابي الجيش وذريته من بعده للتنوخيين بعد ان انكرها بنو كرامة بسبب وشاية احد بني الجيش التي نكب بها الامراء نكبة فادحة ، بقطع النظر عن صحـة الانكار وعدمها ؟ وكل ما يمكن ان يصح على احسن تقدير ان يكون واحـد من احفاد عرف الدولة علي بن بحتر الملقب بارسلان عرف بابي الجيش وكان منه الارومة الارسلانية . وفي المحضر الذي استكتب ضد بني الجيش بعد اطلاق سراح الامراء اسم المزور هكذا « تقي الدين نجا بن ابـي الجيش بن مفرج » ويقول صالح يحيى انه رأى نسخة المحضر [1] . وهذا يعني ان ابا الجيش ليس بن عرف الـدولة علي وانما هو بن شخص آخر اسمه مفرج . ولعل في هذا ثم في سكوت الامير شكيب او مروره مرا خفيفا بهذه الوشاية ما يسوغ ما نقول . ومن الجـدير بالذكر ان ابناء وذرية زين الدين صالح صاحب مؤلف تاريخ بيروت كانوا يتخذون عرمون مركزا لامارتهم الاقطاعية . وكان بنو ابي الجيش ايضا ساكنين فيها على ما ذكره تاريخ بيروت [2] . ولعل هذا سبب من

---

(1) تاريخ بيروت ص ٧٢ .

(2) ص ٤٧ .

ويجيء في السجل الارسلاني كأب عمودي بعد ابي الجيش ابنه بدر الدين يوسف المتوفي سنة ٦٩٠ أي قبل ابيه ثم ابن هذا سيف الدين مفرج المتوفي سنة ٧٤٧ . وقد ذكر الاميران في اثبات محرر سنة ٧١٤ بحضور وطلب مفرج نفسه [١] . وقد وصف مفرج فيه بصفة الامير الكبير والصدر الجليل . وجاء فيه ان جده الامير الكبير زين الدين صالح ابا الجيش توفي سنة ٦٩٥ ولا يذكر الاثبات بصراحة امارة فعلية للامير . ومن الجدير بالذكر ان صالح بن يحيى [٢] يذكر اسم الامير بدر الدين يوسف كابن لزين الدين صالح ايضا ، ولكنه الآخر المنكوب، وانه يذكر الامير سيف الدين مفرج ابن بدر الدين كذلك على هذا الاساس . وهنا يتفق الكتابان في الاسماء ويختلفان في هوية الجد تبعا للاختلاف السابق . اما بعد بدر الدين وسيف الدين فالسلسلة مختلفة . ولقد ذكر الروض بعد سيف الدين ابنه نور الدين ابي السعادات صالح كأب من الآباء العموديين للنسب الارسلاني وليس بين ابناء سيف الدولة الذين اوردهم صالح بن يحيى ولد بهذا الاسم .

وقد اورد الامير شكيب نص اثبات لدى قاضي دمشق دون ذكر تاريخ له [٣] كتب بطلب وحضور نور الدين الذي وصف فيه بالامير الكبير ذي المجد الخطير الاديب البارع العالم المحقق . ولم يذكر الاثبات امارة فعلية له . ثم ذكر بعد هذا اسم سيف الدين ابي المكارم يحيى وهو من الآباء العموديين . وأورد نص اثبات [٤] محرر لدى قاضي دمشق ايضا

---

(١) ص ١٧٧ — ١٧٨ .

(٢) ص ٨٥ .

(٣) الروض ص ١٦٧ — ١٦٨ .

(٤) نفس الصحف السابقة .

ودون ذكر تاريخه وبطلب وحضور ابنه الامير جمال الدين عبدالله • وقد وصف جمال الدين بالامير الجليل دون اشارة صريحة الى امـارته الفعلية • وجمال الدين ليس أبا عموديا والاب العمودي بعد ابيـه هو صلاح الدين مفرج المتوفي سنة ٨٨٨ هـ •

وفي هذا الاثبات خبر وقعة ابن ارغون ـ نائب منطاش في بيروت إبان تمرد هذا على الظاهر برقوق على ما اوضحه الشدياق [١] ـ ومعه تركمان كسروان وبين امراء الغرب سنة ٧٩٠ هـ قتل فيها معظم امراء بني ابي الجيش مع نور الدين صالح بل لم ينج منهم الا الامير سيف الدين يحيى ابنه والد جمال الدين صاحب الاثبات ، وقد ذكر ان هذا استطاع ان يثأر من التركمان ويقتل امراءهم أولاد الاعمى ويخرب ازواقهم • والسياق قد يدل على ان امارة الغرب الرئيسية صارت الى بني ابي الجيش في ظرف ما قبل سنة ٧٩٠ [٢] • وقد قال الشدياق [٣] ان سيف الدين يحيى طلب من الظاهر برقوق مساعدة لقتال اعدائـه فارسل اليه ما طلب فنهض جادا ودهم كسروان ونشبت بينـه وبـين التركمان الحرب وكتب له فيها النصر وقتل من التركمان مقتلة كبـيرة من جملتهم الامير علي بن الاعمى ونهبوا ازواقهم وتحصن عمر بن الاعمى في غزير فحاصرها ودخلها عنوة وقبض على عمر وقتله ، ورجع ظافرا فكتب بذلك للملك الظاهر فاقره اميرا على بيروت والغرب ولقبته عشيرته بمفرج الكروب وهنأه الشعراء ، وان الظاهر لما انتصر على اعدائه نهائيا اقطعه اقطاعات عديدة فعلا أمره وعظم شأنه • ومما ذكره

---

(١) ص ٦٧١ اخبار الاعيان •

(٢) في الملحق الذي نقله لويس شيخو عن ابن سباط واوردناه قبل ذكر لعزالدين صدقة بصفة الامير الكبير عادت فخرجت من بني ابي الجيش في الثلث الاول من القرن التـاسـع ورجعت الى بني كرامة •

(٣) ص ٦٧٢ ــ ٦٧٣ اخبار الاعيان •

الشدياق في هذا السياق خبر قدوم سفن افرنجية في سنة ١٤١٣ وخروج الافرنج منها الى الدامور واسرهم وقتلهم من وجدوه وامتدادهم الى الساحل ، وجمع سيف الدين رجاله وصدامه معهم ونهوض الملك الشركسي شيخ المؤيد من دمشق بجيش وافر وتمكنه من هزيمة الافرنج وردهم ، ونزوله ضيفا على الامير في الشويفات .

ونتبه على ان صالحا بن يحيى الذي ذكر واقعة التركمان لم يذكر سيف الدين وانما ذكر الامير فخر الدين كزعيم لحرب الثأر ضد التركمان على ما مر شرحه . ولا ندري من اين استقى الشدياق ما اورده لان هذا الذي اورده لم يرد في السجل على ما ذكره الامير شكيب [١] . وتبقى المباينة قائمة بين الروض وتاريخ بيروت بالنسبة للامير الذي قاد حركة الثأر والذي كان صاحب الامارة الكبيرة ..

ثم ذكر الروض بعد صلاح الدين مفرج اسم ابنه بهاء الدين خليل، المتوفي سنة ٩١٦ كأب عمودي في النسب . واورد نص اثبات محرر في سنة ٩٢٦ بطلب وحضور جمال الدين احمد ابن بهاء الدين[٢] .

وقد ذكر في الاثبات ان الامير جمال الدين عبدالله توفي سنة ٨٠٥ وان الامير صلاح الدين مفرج بقي في امارة الجبل الى سنة ٨٨٨ وان الامير بهاء الدين توفي سنة ٩١٦ .

ثم ذكر الروض اسم الامير جمال الدين احمد كأب عمودي بعد ابيه بهاء الدين . واورد نص اثبات محرر في سنة ١٠١٢ بطلب وحضور الامير محمد بن جمال الدين [٣] ذكر فيه اسم جمال الدين ووصف بوصف الامير الكبير حاكم الغرب وتوابعه في جبل لبنان وانه توفي سنة

---

(١) الروض ص ١٧١ .

(٢) الروض ١٦٤ — ١٦٥ .

(٣) ص ١٦٢ — ١٦٣ .

٩٩٤ وعمره مئة سنة • وقد نقل الروض من اخبار الاعيان في هذا السياق خبر وقعة مرج دابق بين قانصو الغوري والسلطان سليم العثماني وماكان في ظروفها من احداث ومن جملة ذلك ان الامير جمال الدين وجماعة من امراء لبنان ـ باستثناء بني كرامة التنوخيين ـ مالوا مع نائب دمشق الغزالي الى جانب السلطان سليم فلما تم النصر لهذا ولى الغزالي الامير جمال الدين بلاد الغرب والمتن والجرد • ولما نبذ ابن الحنش والي صيدا طاعة السلطان وقدم الغزالي لقتاله انضم الامير جمال الدين اليه ولما استوليا على صيدا وفر ابن الحنش عنها نهضا الى الشوف وقبضا على بني معن والامير شرف الدين يحيى التنوخي لميلهم الى ابن الحنش واضيف عمل الشوف للامير فصار اميرا على جبل لبنان الجنوبي •

والسياق يدل على ان التنوخيين القيسيين بني كرامة الذين كانوا متواثقين مع ملوك الشركس ظلوا منكمشين أو على الحياد • وان نشاط الامير جمال الدين ومسارعته الى الانضمام الى جانب السلطان العثماني أدت الى نيله الامارة الكبيرة والرعاية العثمانية • وقد ذكر الامير حيدر الشهابي في الغرر الحسان والمعلوف في تاريخ فخر الدين المعنى الثاني تواثق الامير جمال الدين مع الامير فخر الدين المعني الاول وانحيازهما الى جانب السلطان العثماني بسبب اتحادهما في النعرة اليمنية وذهابهما معا الى دمشق وتقرير السلطان العثماني امارة الغرب على الامير جمال الدين نتيجة لذلك [1] •

على ان التنوخيين القيسيين لم يبقوا في معزل عن السلطان العثماني

---

(١) الغرر الحسان ص ٥٦١ ـ ٥٦٢ نشر مغبغب وتاريخ الامير فخر الدين للمعلوف ص ٥٦ ، ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة انه نشب خلاف ونفرة بين الامير جمال الدين والامير فخر الدين فتحول الاخير من اليمنية الى القيسية !

على ما يستفاد من الملحق الذي الحقه لويس شيخو بكتاب صالح بـــن يحيى ونقلنا بعض محتوياته قبل حيث ذكر ان كبيرهم شرف الدين يحيى ابن سيف الدين ابي بكر قدم على السلطان سليم واهداه الخيل المسومة واخذ منه المناشير التي تقرر له املاكه • والعبارة لا تنقض خبر كون التقدم والامرة الكبيرة قد صارت الى جمال الدين كمـــا هو ظاهر •

والسياق يدل كذلك على ان التنوخيين كانوا منقسمين في النعرة الحزبية القبلية فكان منهم فريق يمني النعرة وآخر قيسي النعرة • والاول هو الارومة الارسلانية والثاني هو الارومة التنوخية او بنو كرامة التي انقرضت سلالتها على ما اوردناه قبل ايضا • ولعل هذا الانقسام كان متصلا بما كان بين الفريقين من عداء وبغضاء ودفع ونبذ منذ حادث وشاية احد بني ابي الجيش ضد الامراء الثلاثة ونكبتهم بها •

ونقول استطرادا ان النعرة الحزبية القيسية واليمنية كانت من نواظم حركات عهد الاقطاع وصلات اهله ببعضهم في بلاد الشام وخاصة في لبنان وفلسطين • ومع ان من المحتمل ان تكون هذه النعرة ممتـــدة الى القرن الهجري الاول الذي ظهرت فيه وكان لها في مجرى تـــاريخ العرب الاسلامي وكيانهم آثار سيئة فانها في لبنـــان وفلسطين خاصة اشتدت حتى غدت صبغة حزبية محلية في القرن السابع الهجري ومابعده بحيث لم تكن تتقيد بأصل الارومة والمنشأ القبيلي ، وبحيث كان كثير من الذين منشأوهم يماني قيسيين وبالعكس وبحيث كان كثير من الناس يندمجون في هذه الصبغة وهم غرباء عن الارومات القبلية العربية ممن كانوا يقطنون في لبنان وفلسطين قديما او نزحوا اليهما ثم وهم مختلفو المذاهب والنحل الدينية فيجتمع المسلم السني والمسلم الشيعي والمسلم الدرزي والنصراني الماروني والنصراني الارثوذكسي تحت لواء القيسية أو اليمنية ويخاصمون ويقاتلون خصومهم من بني طوائفهم الـــذين

يكونون تحت لواء النعرة المضادة ، وبحيث كان من الامراء وغيرهم من ينحول من القيسية الى اليمنية او من هذه الى تلك وفق مآربهم وظروفهم •

هذا ، وتتابع سياق الروض فنقول انه ذكر بعد الامير جمال‌الدين ابنه الامير محمد المتوفي سنة ١٠١٤ وهو أب عمودي في النسب • واورد نص اثبات محرر سنة ١٠٩٥ بطلب وحضور الامير سليم بن يوسف بن مذحج بن محمد بوصفه امير غرب لبنان [١] • وقد ذكر في هذا الاثبات الامير محمد وسنة وفاته • ونقل الروض عن اخبار الاعيان في سياق ذلك ان الامير محمدا هذا كان جميلا اصهب شجاعا خطاطـا له المام ببعض العلوم الادبية وانه بني قصرا عظيما في الشويفات ، وانه سار في سنة ١٥٧٠ م بجماعة من رجاله من بيروت الى قبرص حيث كان مصطفى لالا باشا يقود حملة لفتحها فلما تم الفتح خلع عليه الوزير واعطاه مناشير الى والي دمشق فعاد مسرورا ، وان ابراهيم باشا والي مصر قدم سنة ١٥٨٤ الى عين صوفر بسبب نهب خزينة السلطان في جون عكار فسار اليه محمد من عرمون والامير منذر من اعبيه فـاخذهما الوزير معه الى الاستانة فبرأوا أنفسهم فانعم عليهما السلطان بولاية الغرب والشوف [٢] • وهكـذا تكون امارة الغرب الرئيسية قـد استقرت واستمرت في الارومة التنوخية الارسلانية •

ثم ذكر الروض بعد الامير محمد ابنه الامير مذحج الذي ورد اسمه في اثبات سنة ١٠٩٥ هـ ايضا • ونقل الرو ض عن اخبار الاعيان من سيرته انه في سنة ١٦١٥ م كانت واقعة الناعمة بين الامير يونس والامير علي المعنيين زعيمي القيسية والامير مذحج والامير مظفر علم الدين

---

(١) ص ١٥٣ — ١٥٦ •

(٢) ص ١٥٥ — ١٥٧ واخبار الاعيان ص ٦٧٧ •

زعيمي اليمنية فانكسر اليمنيون واختفى مذحج واستولى المعنيون على بيروت ثم ارسلوا رجالهم فنهبوا الغرب والجرد والمتن [1] •

ولقد كان الامير فخرالدين المعني الثاني قد برز في هذا الظرف ٩٩٥ ــ ١٠٤٥ هـ وتألق نجمه وشمل حكمه مناطق كثيرة من لبنان وخارجه بالاضافة الى الشوف على ما سوف نذكره في سيرته • فالمتبادر ان امارة مذحج قد انحصرت في الغرب على ما كانت عليه الامرة التنوخية في معظم ظروفها • والحادثة التي يذكرها الشدياق جرت في ظرف محنة ألمت بالامير فخرالدين واضطرته الى مغادرة البلاد الى اوروبا فاضطربت حالة الحكم المعني وقتا ما وان كان خلف مكانه أخاه يونسا وابنه عليا • وقد تمكن الاميران من استرداد شيء من هيبتهم ثم انفرجت أزمتهم وعاد فخرالدين وتألق نجمه واتسع حكمه اكثر من ذي قبل الى سنة ١٠٤٥ ثم قام مقامه ابن اخيه ملحم ثم ابن هذا احمد ثم الامير حيدر الشهابي ابن بنته ثم اتسق سلطان الشهابيين وصار يشمل جميع لبنان ومناطق اخرى خارجة عنه احيانا فكان هذا مما جعل الامرة التنوخية تظل منحصرة في اقطاعاتهم في منطقة الغرب كأمرة ثانوية تابعة للمعنيين اولا ثم للشهابيين من بعدهم •

ولقد ذكر الشدياق[2] ان الامير احمد والامير قرقماز ولدي الامير ملحم المعني رهنا الامير قاسم بن يوسف الارسلاني لدى الوزير العثماني احمد الكوبرولي على مال مطلوب منهما فامر الوزير بوضعه في قلعة دمشق الى ان يورد المال المطلوب مما فيه الدلالة على ذلك • ولقد صار الشدياق يكتفي بذكر تولداتهم ووفياتهم وبعض صفاتهم ولا يذكر لهم احداثا هامة بعد الامير محمد مما مرده الى ما قررناه

---

(١) الروض ص ١٥٥ واخبار الاعيان ص ٦٧٨ .

(٢) اخبار الاعيان ٦٨٠

كما هو المتبادر [1] والحادثة الوحيدة المهمة التي ذكرها كانت سنة ١٨٠٠ م حيث جاءت عساكر الجزار الى الشويفات لتنصيب اولاد الامير يوسف الشهابي فالتقاهم الامير عباس واخوه يونس الارسلانيين مع الامير حسن الشهابي لصدهم عن قصدهم ونشبت القتال بينهم وتمكن الامراء من كسر العساكر الجزارية وهزيمتها •

وقد قال الشدياق في ما قاله في هذا السياق ان الامير عليا استقبل الامير بشير عمر الشهابي القادم واليا على البلاد سنة ١٧٩٧ واتحد معه اتحادا وثيقا • والحادثة مع ذلك لا تعني انه كان للعباس واخيه شأن هام في الحكم وكل ما تعنيه انهما كانا اميرين اقطاعيين لهمارجالهما ونفوذهما في مقاطعاتهما •

ولقد قال الامير حيدر ان الامير حيدر الجد الاول من بيت شهاب الذي قام على حكم جبل لبنان ـ كوريث للامير احمد المعني آخر امراء بني معن في سنة ١١٠٩ هـ ـ قد نصب وكلاء من تحت يده على مقاطعات الجبل لاجل الميرى المرتب للدولة فكان بيت ابي اللمع علي مقاطعات المتن والمشايخ بيت عبد الملك على مقاطعة الجرد والمشايخ بيت تلحوق على مقاطعة الغرب الفوقاني والامراء بيت رسلان على الغرب التحتاني والمشايخ بيت الخازن على جبل كسروان وبقي على هذا الحال الى الآن (سنة ١٨١٨ م ١٢٣٤ هـ) وكان الحكم والامر والنهي بيد الامراء الشهابيين مما فيه توكيد لما نحن بسبيل تقريره [2] •

وقد ذكر الروض بعد مذحج ابنه الامير يحيى المتوفي سنة ١٠٤٢ وابن هذا الامير فخر الدين المتوفي سنة ١٠٦٣ ثم الامير سليمان بن

---

(١) انظر اخبار الاعيان ص ٦٧٩ ـ ٦٨٤ •

(٢) الغرر الحسان نشر اسد رستم والبستاني الجزء الثاني والثالث المجلد الثاني ص ٦٤١ ـ ٦٤٢ •

الامير فخر الدين المتوفي سنة ١١٠٧ هـ • والامراء الثلاثة مذكورون في اثبات مؤرخ في سنة ١٠٩٥ بطلب وحضور الامير سليم بن يوسف ابن مذحج [1] • وقد جاء فيه انه « حضر فخر الامراء وعمدة الكبراء الجناب العالي الامير سليم بن الامير يوسف بن الامير مذحج محمد بن الامير جمال الدين احمد الارسلاني امير غرب لبنان وابرز من يـده بالمجلس الشرعي ـ في دمشق ـ امام مولانا نسب عائلته بني ارسلان المثبوت لدى قضاة معرة النعمان وبيروت وصيدا ودمشق والتمس اثباته لديه مع اثبات وتحرير وفيات من توفي من آبائه واهله بذيله مـن تاريخ الاثبات الاخير للآن • فاجابه لطلبه وامر تحرير ذلك بعد ان ثبت جميع ما يأتي بيانه بين يديه ثبوتا شرعيا » ثم يقول وغب الانتهـاء من تحرير ذلك طلب كل من الجناب السامي والصدر العالي الامير سليمان بن الامير فخر الدين والامير عساف بن الامير قايتباي من امراء بني ارسلان نسخا من هذا النسب ليكون بيد كل منهما نسخة مثل ابن عمهما الامير سليم فاجيب طلبهما • وقد عقب الامير شكيب قائلا ان السجل الذي نأخذ عنه هو الذي سلم ليد الامير سليمان الـذي ينتسب الارسلانيون الموجودون كلهم اليه لان ذريتي سليم وعساف قد انقرضتا ولم يبق منهما احد •

وقد ذكر الروض بعد الامير سليمان ابنه الامير حيدر المتوفي سنة ١١٣٥ وهو ابن عمودي في النسب ومذكور في اثبات محرر سنـة ١١٤٧ لدى قاضي طرابلس بحضور وطلب ابنه الامير منصور [1] • وقد ذكر فيه وفيات وتولدات عديدة كالعادة • وفيه اسم الامير يوسف ابن الامير سليم من امراء الغرب وابنيه قاسم وسليم • وممـا جاء فيه انه كان تقرر سنة ١١٢١ تولية يوسف امارة جبل لبنان ولكن الشيخ

---

(١) الروض ص ١٥١ ـ ١٥٢ •

(٢) ص ١٤٩ ـ ١٥٠ •

محمودا ابا هرموش [1] تدخل وادي تدخله الى صرف والي صيدا عن تعيينه وتعيين الامير يوسف علم الدين وابن عمه منصور فعـاد الامـير يوسف الى بيته • ولمـا تمكن الامير حيدر الشهابي [2] من الولاية وقهر اليمنية (بزعامة ابي حرموش بني علم الدين [3]) انتزع مقاطعة الشحار وثلث مقاطعة الغرب من الامير يوسف ارسلان وعهـد بها الى من اعانه على القتال لان هذا التزم بيته ولم يتدخل فـي وقعة عين دارة بين اليمنية والقيسية سنة ١١٢٢ هـ • ولم تزل الامور على غير استواء بين الامير يوسف والامير حيدر الشهابي الى أن مات يوسف فقام مقامه على مقاطعة الغرب ابنه الامير اسماعيل •

وذكر الروض بعد الامير حيدر ابنه الامير فخر الدين المتوفي سنة ١١٩٥ وهو من الآباء العموديين • وقد اورد نص اثبات محرر سنة ١٢١١ ذكر فيه انه والد الامير بن عباس ويونس وامهما الست سعـود الشهـابية [4] •

وجاء بعد فخر الدين اسم ابنه الامير يونس المتوفي سنة ١٢٦٩ ثم الامير حسن ابن يونس المتوفي سنة ١٢٣٧ ثم الامير حمود ابن الامير حسن المتوفي سنة ١٣٠٥ والثلاثة من الآباء العمويين للنسب الارسلاني والاخير هو والد نسيب الذي كتب روض الشقيق لاحياء ذكراه بقلم اخيـه شكيب والامراء الثلاثة مـذكورون في اثبـات محرر سنة ١٣١٣ [5] •

---

(١) الشيخ محمود هذا كان من زعماء جبل الشوف وبرز في زمن الامير حيدر الشهابي الذي خلف بني معن ونازعه وسعى لتولي جبل الشوف مكانه وحصل على رتبة الباشويـة بواسطة والي صيدا الذي كان على صلات ودية معه •

(٢)و(٣) الجملتان اللتان في القوسين تفسير مقتبس من الغرر الحسـان واخبار الاعيان •

(٤) ص ١٤٧ •

(١) ص ١٤٥ ــ ١٤٦ •

وفي حيا ةالاخير اصبح لبنان في ظل نظامه الخاص الذي زال به الحكم الاقطاعي وبالتالي زالت به الامرة الفعلية للارومة التنوخية في مقاطعة الغرب مع بقاء رسومها وآثارها • وبه ينتهي السجل الارسلاني وما فيه من اسماء واحداث وطرائف •

— ٩ —

هذا ويبدو من الروايات والواقـع ان التنوخيين كانوا وظلوا يعتنقون النحلة الدرزية • ويشغل الحاكم بامر الله الخليفة الفـاطمي حيز اكبيرا فيها كما يشغل فيها علي بن ابي طالب والمقداد بن الاسود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي الذين يروي انهم من أشد المتشيعين لعلي بن ابي طالب حيزا كبيرا فيها • ومن عقائدها حلول الله وتجليه في بعض خلقه مما هو مأثور عن غلاة الشيعة ، وهذا وذاك يسوغان القول ان هذه النحلة في اصلها دعوة علوية شيعية انتشـرت نتيجـة لامتداد دعاية وحكم الدولة الفاطمية في القرن الهجري الرابع وبعـده حيث كان الفاطميون يحرصون على نشر دعوتهم في البلاد الاسلامية وخاصة في البلاد التي تخضع لسلطانهم لتوثيق ولاء المسلمين دينا وعقيدة حتى يظل مستمرا مهما تقلبت عليه ظروفهم ويوجهون دعاتهم الى مختلف الانحاء بسبيل ذلك • وقد ذكرنا في سياق سيرة بني حمدان وبني مزيد وبني المقلد انتشار النحلة الشيعية في الجزيرة الفراتية نتيجة لدعايتهم ونشاطهم حتى قبل انبساط سلطانهم على بلاد الشام • ولقد شرحنـا في احد ذيول فصل بني حمدان أصل وتطور النحلة الشيعية وفرقهـا فلا نرى ضرورة لشرح آخر هنا • والمتبادر انها في اصلها اسماعيلية فاطمية شيبت بافكار وعقائد وتأويلات فيها كثير من الخلط والمفارقـة والانحراف واحيطت في الوقت نفسه باسرار وجعل للمنتمين اليها درجات

فغدت بذلك كله ذات طابع خاص •

ولكريم ثابت كتاب عنوانه الدروز والثورة الدرزية احتوى لمعا تاريخية عن الدروز واصولهم وحالتهم الحاضرة وخاصة دروز جبل حوران ، ولمعا عن العقيدة الدرزية واسرارها ودرجاتها يعزوها الى باحثين مختلفين بعضهم دروز ، ويورد خلاصات لرسائل درزية دينية غير مطبوعة اطلع عليها أو استقاها من المطلعين عليها ، مع التنبيه على ان ما اورده عن النحلة الدرزية لا يؤلف مجموعة متناسقة وانما يبدو كخليط مضطرب •

والمستفاد منها [1] ان اسمها آت من اسم الداعية الذي يروي انه كان محمد بن اسماعيل الدرزي والذي كان ألف في القاهرة كتابا بالوهية الحاكم بامر الله او بتجلي الله فيه ، وقد حل عند قدومه الى بلاد الشام في أوائل القرن الخامس الهجري في وادي التيم فبذل فيه نشاطه • ثم مد هذا النشاط الى البيئة التنوخية في لبنان فانتشرت الدعوة الشيعية متسمة باسمه ومتشربة بافكاره •

ولا شك في ان انبساط السلطان الفاطمي في بلاد الشام منذ اواسط القرن الرابع الى اواخر القرن الخامس مما ساعد على نجاح الداعية وعلى انتشار دعوته وافكاره •

والدرزية تقول بوحدة الاله وابديته وازليته واتصافه بجميع صفات الكمال وبتجليه في بعض خلقه لارشادهم وتلقن باسلوب ما ان الله قد تجلى في الحاكم بامر الله في جملة ادوار تجليه فصار من الواجب طاعته والرضاء بكل ما يقضي ويأمر واسلام الروح والجسد والمال

---

(1) ص ١٣ ـ ٥٦ وننبه على اننا تجاوزنا عن كثير من الشروح العقائدية وغير العقائدية لاننا رأينا الاسهاب في ذلك غير ذي طائل من جهة ولا يدخل في منهج الكتاب من جهة اخرى .

والولد له والبراءة من كل مخالفة او رجوع عن دينه وطاعته ، وانه حينما تواري ارتفع الى السماء . ومن عقائد الدروز ان العالم خلق دفعة واحدة وان الناس لا يزيدون ولا ينقصون وكل ما مات انسان انتقلت روحه لمولود جديد ــ ويسمون ذلك التقمص ــ ، وان حمزة بن علي نبي الله انتقلت اليه روح الانبياء ويلقب بهادي المستجيبين وحجة القائم وان سلمان الفارسي وابا ذر الغفاري والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر حدود الكون الاربعة ، وان للعالم سبعين دورا ولكل دور منها سبعة نطقاء وسبعة أوصياء وسبعة أئمة . وآخر نطقاء الدور القائم هو محمد وآخر أوصيائه علي وآخر أئمته محمد بن عبيد الله (منشىء الدولة الفاطمية) المعروف بالقداح او ابن القداح .

والدروز يعترفون بالقرآن ولكن لهم تأويلات فيه تخالف ما عليه المسلمون من سنيين وشيعيين مخالفة شديدة . ولا يلزمون انفسهم بالعبادات الاسلامية ويؤلونها فالصلاة عندهم مثلا هي الصلة بالله والصيام هو الانقطاع عن كل ما يصرف الفكر الى غير الخالق .

وهم قسمان عقال وجهال . وهذا التقسيم ليس تقسيما ثقافيا وانما هو تقسيم نحلي او ديني . فقد يكون من الجهال من هو مثقف بثقافة مدنية عالية وقد يكون من العقال من ليس له ثقافة مدنية . والمعول عليهم في المذهب والواجبات الدينية والايمانية والاخلاقية هم العقال . ولا يكاد يكون للآخرين من النحلة الا الاسم والنسبة .

وباب زمرة العقال مفتوح للرجل والمرأة على السواء فاذا أراد احد الجهال أن يأخذ الديانة ويدخل في سلك العقال الذين يسمون ايضا بالموحدين ينبغي عليه أن يحصل على رضائهم بمختلف الوسائل التقربية مدة سنتين . ولهم مجلس خاص من كبارهم للنظر في الطلبات التي يتقدم بها الجهال للسلوك في سلك العقال . فاذا قرر المجلس قبول احد منهم يؤخذ عليه عهد معروف عندهم بميثاق ولي الامان هذا نصه :

« توكلت على مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الازواج والعدد والولد : أقر فلان بن فلان اقرارا أوجبه على نفسه وأشهد بـه على روحه في صحة عقله وبدنه طائعا غير مكره انه قد تبرأ من جميـع المذاهب والمقالات والاديان والاعتقادات كلها على اختلافها وانه لا يعرف غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره والطاعة هي العبادة ، وانه لا يشرك في عبادته احدا مضى أو حضر أو ينتظر ، وانه سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع احكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله أساءه ذلك أم سره ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه على نفسه واشهد به على روحه أو أشار به على غيره ، أو خالف شيئا من أوامره كـان بريئا من الباري العلي المعبود وحرم الافادة من جميع الحدود واستحق العقوبة من الباريء العلي جل ذكره . ومن اقر انه ليس في السماء اله معبود ولا في الارض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كـان من الموحدين الفائزين وكتب في شهر ••••• من سني •••• عبد مولانا جل ذكره ومملوكه حمزه بن علي بن احمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين سيف مولانا جل ذكره وعظم سلطانه وحده » .

واسلوب الميثاق يدل على مقدار ما كان من حرص الدعاة على توثيق ارتباط الناس بالدعوة والنحلة كما يتضمن معنى الحلول في الحاكم وايجاب تقديسه وطاعته بسبب ذلك .

ويوجب العقال على انفسهم التحلي بالعفاف والطهـارة والفعل الجميل والكرم وخوف الله والرصانة وصيانة العرض وصدق اللسـان وصونه من الافك والاثم والزور والتقشف في المأكل والملبس وعـدم تعاطي الخمر والدخان . ومن العقال طبقة تعرف بالاجاويد وهم أعلى مرتبة من سائرهم وأشد تمسكا بهذه الاخلاق فـلا يأكلون في بيوت الحكام ولا المرابين ولا التجار ولا يشترون طعاما ولا كساء بمـال

مأخوذ من هؤلاء ولو كان اجرة عمل او ثمن غلة . ويتخذ بعضهم صوامع يقضون فيها فترات اعتكاف روحية صائمين ذاكرين .

وزمرة العقال التي تمارس العبادة تجتمع بسبيل ذلك في خلوات (جمع خلوة) وهي غرفة كبيرة أو صغيرة ولا تشبه المسجد . وفي هذه الخلوات تتلى رسائل دينية تحتوي وصايا وشروحا عقائدية واخلاقية وسلوكية . وهذه الرسائل عديدة وتحاط بالكتمان وليست مطبوعة . ومما عرف منها رسالة السيرة المستقيمة التي تحتوي عشر مقامات ربانية في التعريف بعشرة كانوا مظهرا للتجلي الرباني وهم العلي والبار وابو زكريا وعلي والعل والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم. ومنها رسالة مجرى الزمان التي تحتوي اربع مظاهر بارئية هي الهيئة والاسم والنطق والفعل مع شروح لها . ومنها رسالات ميثاق النساء والبلاغ والنهاية التي تحتوي شرح عشر فرائض توحيدية كمعرفة الباري وتنزيهه عن جميع المخلوقات ومعرفة امام الزمان القائم وتمييزه عن سائر الحدود ومعرفة الحدود الروحانيين باسمائهم ومراتبهم والقابهم ، ثم فرائض صون اللسان وحفظ الاخوان وترك عبادة العدم والتبرء من الابالسة والتوحيد للمولى في كل عصر والرضاء بفعله والتسليم لامره . ومنها رسالة التحذير والتنبيه التي تحتوي عشرة مواجب أو وصايا دينية وسلوكية كواجب المساعدة للدرزي في النفاس والاعراس والجنائز واجابة دعوته وقضائه حاجاته وقبول معذرته ومعاداة ظالمه وعيادة مريضه والبر بالضعيف ونصر المستنصر وعدم خذلانه . ومنها رسالة كشف الحق التي تحتوي عشرين تعليما تعرف بالتعاليم الامامية وتصنف في اربعة صنوف في كل صنف خمسة تعاليم . فالاول الاسامي ويندرج فيه التعريف بعلة العلل والسابق الحقيقي والآمر وذي السعة وذي الارادة . والثاني الطبائع الجوهرية ويندرج فيه التعريف بحرارة العقل وقوة النور وسكون التواضع وبرودة الحكم وليونة الهيولي . ومنها

رسالة الخصائص النورانية وهي تقريرات من كلام حمزة بالحمد لمن ابدعه وايده بروح قدسه وخصه بعلمه وفوض اليه امره واطلعه على مكنون سره ...

ومهما يكن من امر فالمتبادر ان النحلة كما قلنا قبل اسلامية شيعية أريد بها في الاصل ترسيخ الولاء للدولة الفاطمية العلوية عامة والحاكم بامر الله خاصة بقوة العقيدة التي تصل الى عقيدة تجلي الله وحلوله في الحاكم بامر الله وقد احيطت بافكار واقوال ومراسم وشكليات للتأثير والايهام . ونرجح ان كثيرا من ذلك قد تسرب اليها بعد الداعية الاول محمد اساعيل الدرزي وان كان هو الذي غرس نواتها ، وان جهل الدعاة والمدعوين معا والظروف السياسية والاجتماعية التي عاش فيها الدروز خلال قرون عديدة ونظرة الاستعلاء بل والعداء التي كان ينظر اليهم بها السنيون المسلمون الذين كانت وما تزال تتألف منهم اكثرية أهل البلاد الشامية والذين كان حكامها وولاتها وقوادها منهم قد ساعدت على تسربها كما ساعدت على ابقاء الدروز منطوين على انفسهم محتفظين بسرية نحلتهم ومتمسكين بها .

ومن الجدير بالذكر ان النحلة الدرزية مغلقة أي انها لا يمكن ان ينتسب اليها شخص غريب من جديد . وقد غدت منحصرة في الذين انتموا اليها قديما وذرياتهم من بعدهم . وهذا مما يتصل بما ذكرناه آنفا ..

على ان شدة تلك الظروف قد خفت من جهة واخذ العلم الحديث طريقه الى الدروز من جهة اخرى فأثر هذا وذاك تأثيرا غير يسير في افكارهم وحالتهم الاجتماعية . حتى غدت الدرزية في القرن الحاضر بالنسبة لكثير من افراد الطبقة المستنيرة والمثقفة صفة حزبية أو طائفية ان صح التعبير اكثر منها نحلة مذهبية وعقيدية ، وحتى كثر التمازج

بينهم وبين غيرهم ومن مستنيزيهم ومثقفيهم من عرف بتدينه وتعبـده على الطرائق والعقائد الاسلامية السنية . والمأمول ان يتسع نطاق هذا في سورية حتى لا يمر جيل او جيلان حتى يتم التمازج والانسجام .

أما في لبنان الذي يبلغ عدد دروزه ضعف عدد دروز سوريـة فان هذا الامل يبدو أبعد تحقيقا . فمع اطراد ما قلناه من أثر خفة الظروف وانتشار التعليم وغدو الدرزية صفة حزبية او طائفية اكثر منهـا نحلة مذهبية وعقيدية ، وجنوح كثير من الدروز الى التعبد على الطريقـة السنية على دروز لبنان فان الاعتبار الشديد للطائفية في لبنان وقيـام نظامه السياسي والاجتماعي عليها وارتباط المنافع والمناصب والوظائف بذلك يجعل دروز لبنان يتمسكون بعنوانهم الطائفي الذي ينطوي فيه على كل حال معنى النحلة المتميزة ..

(٢) بنو معن

– ١ –

قام الى جانب التنوخيين في لبنان امارة اخرى هي امارة بني معن التي أشرنا اليها في سياق سيرة التنوخيين • وكان طروء الاسرة المعنية متأخرا أمدا غير قليل عن طروء التنوخيين حيث طرأت على لبنان في أوائل القرن الهجري السادس • غير انها شغلت حيزا أعظم بكثير من الحيز الذي شغله التنوخيون في مجال الحكم والسلطان حتى غطت عليهم • وكثيرا ما كان سلطانها ونشاطها يشمل جميع لبنان ويتجاوزه الى مناطق عديدة أخرى بل شمل وقتا ما جميع بلاد الشام فشغلت بذلك أوسع وأعظم حيز شغله حكم محلي عربي في البلاد الشامية في ظل السيادة التركية • واستمرت تمارس الحكم والسلطان الى أوائل القرن الثاني عشر • وقد تقلبت خلال ذلك على ادوار • واندمجت في معظم الحركات التي كانت تقع على مسرح لبنان وبلاد الشام • وعاصرت دول الزنكيين والايوبيين ومماليك الترك والشراكس ثم العثمانيين وكانت خاضعة لسيادتها •

ولقد ظهر من بعض امرائها طموح وحيوية ونشاط عظيم حتى لاح أنهم بسبيل اقامة دولة مستقلة في بلاد الشام واصطدموا بسبب ذلك بالدولة العثمانية حتى وصل الامر الى الاشتباكات الحربية بينهم وبين قواتها وسجلوا الغلبة والنصر في بعضها على جيوش الدولة اكثر من مرة • وقد اتهموا بالنزوع الى الاستقلال والتحالف مع الافرنج بسبيل

ذلك • ومع ان الدولة كانت تستطيع ضرب المتمردين منهم ضربات شديدة فقد كانوا يستطيعون مع ذلك ان يستعيدوا سلطانهم ويستأنفوا حكمهم ونشاطهم وظلوا بارزين اقوياء الى أن مات آخرهم بـدون عقب ذكر في سنة ١١٠٩ هـ فكان في ذلك نهاية حكمهم الذي بدأ في أوائل القرن السادس وامتد ستة قرون • وقد خلفهم مع ذلك ابن بنت الامير الاخير منهم فاتسق حكمه وحكم خلفائه من بعده وامتـد الى آخر عهد الاقطاع في لبنان أي الى أواسط القرن الثالث عشر حيث يعتبر ذلـك امتدادا لحكمهم • هذا مع التنبيه على ان هذه الاسرة تكاد تنفرد عـن سائر الاسر التي برزت في مجال الحكم والسلطان في هذه الحقبة وطال عمرها في عدم التناحر والتنازع بين افرادها على الحكم •

وسيرة هذه الاسرة مفصلة في كتب عديدة أهم ما اطلعنا عليه منها الغرر الحسان للشهابي واخبار الاعيان للشدياق وتاريخ الامير فخرالدين الثاني لاسكندر معلوف • وكتاب المعلوف هو الاحدث • والكتابان الاولان هما من مصادره فضلا عن مصادر عديدة أخرى منها اللبناني ومنها الاجنبي ومنها المطبوع ومنها المخطوط • ومع ذلك ففي الكتابين الاولين اشياء كثيرة لم يذكرها المعلوف كما ان فيهما ما يخالف ما اورده ولذلك سوف تكون الكتب الثلاثة معولنا وان كان المعول الاول سيكون كتاب المعلوف لانه الاحدث •

وفي الكتب الثلاثة تفصيلات جزئية لاحداث محلية تافهة مملـة وغير هامة • وقد استغرقت القسم الاكبر مما جاء في هذه الكتب من سيرة بني معن • ومعظمها يعود بنوع خاص الى عهد الامير فخر الدين الثاني ألمع نجوم الاسرة [1] •

---

(١) استغرقت سيرة الامير فخر الدين من الغرر الحسان ج ١ اكثر من مئة صحيفة من القطع الكبير والحرف الدقيق ومثل ذلك من اخبار الاعيان ، اما كتاب المعلوف فهو فـي نحو ٤٠٠ صحيفة من القطع الوسط .

وقد رأينا من التطويل الممل مجاراة الكتب الثلاثة في تفصيلاتها الجزئية . ولذلك سوف نكتفي بتلخيص السيرة تلخيصا وذكر الصور والاحداث الهامة .

— ٢ —

ولقد تعددت الاقوال في أصل الارومة المعنية كما تعددت في أصل الارومة التنوخية . فهناك من يقرر عروبتهم وينسبهم الى قبيلة ربيعة الفرس أو الى قبيلة طي . وهناك من يقول انهم اكراد ايوبيون . وهناك من قال انهم تتر مغول بل هناك من قال انهم صليبيون افرنج[1] .

والقولان الاخيران افرنجيان . وقد صدرا من قائليهما جزافا بدون سند .. والذين قالوا انهم صليبيون قالوا ان الامير فخر الدين الثاني — وهو اسطع نجوم الاسرة — هو من سلالة غو دفروا ملك القدس اللاتيني الافرنسي حيث لجأ احد احفاد غودفروا مع فريق من الصليبيين الى لبنان بعد سقوط المملكة اللاتينية في حين ان الاسرة المعنية حلت في لبنان في أوائل القرن السادس الهجري وقبل سقوط القدس على يد صلاح الدين الايوبي .. وزحف التتر المغول كان في اواسط القرن السابع الهجري كما هو معلوم وكان المعنيون كما قلنا في لبنان قبل هذا الزحف بمئة عام واكثر .. وهكذا يطير القولان . والذين قالوا انهم اكراد نعتوهم بالايوبيين ، هذا في حين ان بني معن حينما حلوا في لبنان لم يكن قد تكون جماعة باسم الاكراد الايوبيين لان هذه التسمية اطلقت على المنتسبين الى صلاح الدين الايوبي وأسرته في

---

(١) تاريخ ابن فخرالدين للمعلوف ص ٢٢ — ٢٧ و ٢٧٩ والغرر الحسان للشهابي نشر مغبغب ص ٣١٦ وننبه على ان كل ما نقتبسه في هذه السيرة من الغرر الحسان هو من الكتاب الذي نشره مغبغب .

اواخر القرن السادس أو اوائل القرن السابع • وبذلك يطير القول بكردية ايوبية بني معن • ولا يبقى الا القول بعروبتهم وهو ما لم يعترض عليه أو ينكره أحد اعتراضا وانكارا مستندين الى سند علمي او واقعي • ويظهر انهم كانوا ينعتون بالايوبيين في بعض الادوار على ما يستفـــاد من رواية الامير حيدر الشهابي في الغرر الحسان فجاء ذلك من ذلك • والامير حيدر يقول في هذا الصدد ان الايوبية نسبة الى جد لبني معن اسمه ايوب نبغ في قبيلة بني ربيعة وكان فارسا شجاعا ملازما للغارة والنهب والسلب فنهض اليه سادات ربيعة واخرجوه من بينهم فرحـــل مع أسرته الى الجزيرة الفراتية وتكاثر بنوه وقام فيهم احد احفاده ربيعة اميرا ورحلوا تحت لوائه من الجزيرة الى الديار الحلبية ولما مات خلفه في الزعامة ابنه معن ولم يلبث الافرنج أن أغاروا على البلاد وتملكوا انطاكية فاخذ الامير معن يندمج في المصاولة معهم حتى لفت اليـــه الانظار [1] •

وسواء أكان اصل بني معن من قبيلة ربيعة الفرس أم من طي فان عشيرتهم كانت على ما يستفاد من ثنايا الكتب التاريخية في اوائل القرن الخامس في جزيرة الفرات •

— ٣ —

ومما ذكره المعلوف [2] ان ايل غازي نائب حلب ارسل الامير معن مع جماعته الى محاربة الصليبين في منطقة انطاكية في سياق محاولة صد الزحف الصليبي الاول ، وانه اتجه من هناك مع جماعة الى الجنوب فارسله نائب دمشق طغتكين الى البقاع وامره بالتوغل في مضايق لبنان

---

(١) الغرر الحسان ص ٣١٦ •

(٢) ص ٢٩ — ٣٠ •

ومشارفه لشن الغارات على الصليبيين في الثغور التي كانت في ايديهم • فامتثل ونزل في صحراء بعقلين حيث كانت اقطاع التنوخيين ومسرح حكمهم • وكان الامير بحتر التنوخي هو صاحب الامارة حينئذ فرحب به وامر باعداد منازل حجرية له وللقادمين معه فكانت هذه المنازل نواة مدينة الشوف وغدا الامير معن صاحب الحكم الاقطاعي في منطقتها حتى صار اسم جبل الشوف يسمى باسمه •

ونيابة طغتكين لدمشق وايلغازي لحلب هي في الربع الاول من القرن السادس • وكان طغتكين يتصاول مع الافرنج على ما يستفاد من الروايات التاريخية [١] ، وهذا يساعد على توقيت قدوم الامير معن الى لبنان •

وتوفي الامير معن سنة ٥٤٤ هـ بعد ان حكم عشيرته وبلاد الشوف ثلاثين سنة فخلفه ابنه الامير يونس [٢] • وقد اندمج في مصاولة الصليبين حيث غزا السواحل المجاورة للشوف التي كانت في ايديهم وتمكن من اجلائهم عنها •

ومات يونس سنة ٥٧١ فخلفه ابنه يوسف واستمر الابناء يخلفون الآباء ويزداد مركزهم توطدا • وهذه سلسلة الامراء الذين تولوا واحدا بعد آخر الى نهاية عهد الاسرة المعنية منقولة عن كتاب المعلوف (ص ٣٣ ـ ٣٦) :

معن ثم ابنه يونس ثم يوسف بن يونس ثم ابن هذا عبد الله ثم ابن عبد الله علي ثم ابن علي محمد ثم ابن محمد سعدالدين ثم عثمان ابن سعد الدين ثم احمد ابن عثمان ثم ملحم بن احمد ثم عثمان بن

---

(١) انظر ابا الفداء ج ٢ ص ٢٣٥ ـ ٢٢٨ •

(٢) المعلوف ص ٣٠ والشهابي ٣٢٤ ـ ٣٢٥ وللشهابي روايتان في سنة وفاة معن واحدة تقول انه مات سنة ٥١٤ واخرى سنة ٥٤٣ والثانية هي الاوجه على ما هو المتبادر •

ملحم ثم فخر الدين الاول ابن عثمان ثم قرقماس [1] ابن فخرالدين ثم فخر الدين الثاني ابن قرقماس ثم قرقماس واحمد ولدا ملحم بن يونس اخي فخر الدين الثاني ومات قرقماس فانفرد احمد في الحكم • ومات احمد بدون عقب ذكر سنة ١١٠٩هـ فخلفه ابن بنته الامير حيدر الشهابي [2] •

— ٤ —

ومما ذكره المؤرخون من احداث بني معن الهامة قبل عهد فخرالدين الاول ما ذكره مؤلف الغرر [3] من طروء الامراء الشهابيين مع عشيرتهم على وادي التيم وانتصارهم على الصليبيين فيه واستيلائهم على حاصبيا ونهوض الامير يونس الى وادي التيم مرحبا بالشهابيين ومباركا لانتصارهم ودعوته الامير منقذ اميرهم الى الشوف وتلبيته الدعوة وخطبة منقذ بنت الامير يونس لابنه وقيام المصاهرة بين الاسرتين التي أخذت تكرر وتتبادل ووثقت بينهما الى النهاية •

ومن ذلك غزوة قام بها الامير يونس سنة ٥٧١ للصليبيين وانتصاره عليهم [4] • ومن ذلك غزوة الصليبيين لوادي التيم سنة ٦٤٣ واستنجاد اميره عامر الشهابي بالامير عبد الله المعني واشتباك عامر بالاعداء قبل وصول النجدة المعنية وانكساره أمامهم ثم وصول النجدة ودوران الدائرة عليهم [5] • ومن ذلك غارة تترية وقعت على وادي التيم سنة

---

(١) قرقماس محرفة عن قورقماز وهي كلمة تركية معناها لا يخاف.

(٢) تاريخ الامير فخر الدين المعلوف ص ٣١ — ٣٦ وننبه على ان الشدياق ذكر اسما زائدا وهو بشير بعد علي وقبل محمد (انظر اخبار الاعيان ص ١٩٠) ويتطابق مؤلف الغرر في سلسلة الاسماء مع المعلوف انظر الجزء الاول ص ٤١٥ وما بعدها نسخة مغبغب .

(٣) الغرر ج ١ ص ٣٧٢ نسخة مغبغب .

(٤) نفس المصدر ص ٣٥١ — ٣٧٣ .

(٥) نفس المصدر ٤٠٥ — ٤٠٦ .

٦٨٣ دمرت مدن الوادي وقراه واهلكت الحرث والنسل ولم ينج الا طويل العمر من الشهابيين وجماعتهم • وقد ارسل الشهابيون أولا نساءهم واولادهم الى جبل الشوف ثم رحل الناجون بعد ذلك فلقوا من بني معن الرعاية والنجدة [١] ، وظلوا في كنفهم الى ان انسحب التتر فعادوا الى بلادهم •

ولما تم اجلاء الصليبيين عن بلاد الشام عهدت دولة مماليك الترك الى امراء الشوف ـ بني معن ـ امر الدفاع عن السواحل المجاورة لاقطاعهم فعظم شأنهم ونفوذهم وكثرت منشآتهم الاستحكامية وغير الاستحكامية في بيروت وانحاء الجبل الموالية لها • وظل امرهم في تمكين طيلة دولة مماليك الترك وبدوا منافسين خطرين للتنوخيين • وقد اندمجوا في البدء في النعرة اليمنية بينما كان معظم الامراء التنوخيين مندمجين في النعرة القيسية فكانوا خصوما حزبيين في الوقت ذاته ؛و صاروا كذلك نتيجة للتنافس الذي بدا يعمل عمله بينهم •

ولقد تواثق التنوخيون القيسيون مع دولة مماليك الشركس بقوة أكثر من غيرهم فكان ذلك مما حفظ لهم مركزا قويا امام خصومهم المعنيين وغيرهم من ذوي النعرة اليمنية • فلما نشب الخلاف بين السلطان سليم العثماني والملك قانصو الغوري الشركسي في الربع الاول من القرن الهجري العاشر تحمس بنو معن ومحازبوهم اليمنيون للسلطان العثماني حتى لقد روي انهم تضامنوا معه في القتال ضد الغوري كحركة من الحركات التنافسية بين المعنيين اليمنيين والتنوخيين القيسيين الذين كانوا متواثقين مع الغوري [٢] • ولقد سارع الامير فخر الدين المعني الاول مع الامراء الذين هم من النعرة اليمنية مثل الامير جمال الدين

---

(١) نفس المصدر ص ٤٦٢ ــ ٤٦٣ •

(٢) تاريخ الامير فخرالدين للمعلوف ص ٧ •

التنوخي اليمني من امراء الغرب والامير ابن الحرفوش حاكم بعلبك والامير منصور الشهابي حاكم وادي التيم والامير عساف التركماني حاكم كسروان كجبهة واحدة الى لقاء السلطان في دمشق والقى بين يديه خطبة بليغة روي نصها كما يلي [١] :

« اللهم أدم دوام من اخترته لملكك . وجعلته خليفة عهدك . وسلطته على عبادك وارضك . وقلدته زمام سنتك وفرضك . ناصر الشريعة النيّرة الغراء وقائد الامة الطاهرة الظاهرة . سيدنا وولي نعمتنا قصده . من مَلك المُلك بالعقل والتدقيق . ومده الله بالاقبال والتوفيق . أمير المؤمنين . الامام العادل والذكي الفاضل . الذي بيده أزمة الامور باد شاه أدام الله بقاه . وفي العز الدائم ابقاه . وبلغه مأموله . وغاية أعاننا الله على الدعاء بدوام دولته بالسعد والتخليد . بالنعم العز والتمهيد آمين » .

ثم تقدم وقبل قفطان السلطان فسأل هذا خير بك نائب الشام الذي خامر مع العثمانيين ضد الشراكسة فاخبره انه أمير من سكان البر يحكم قرى واماكن في جبال ضيقة في بلاد الشام فأحبه وأنعم عليه وقال انه جدير بان يدعى سلطان البر فصار لقب ابن معن كذلك منذ ذلك الوقت على ما ذكره الشهابي [٢] . وقد ذكر الشهابي في نفس السياق ان الامراء الآخرين الذين جاؤوا مع الامير فخر الدين طلبوا الدخول على السلطان فقيل لهم ان دخول الامير يكفي . ثم صدر امر السلطان باقرار الامير على بلاد الشوف وجمال الدين التنوخي اليمني على بلاد الغرب وبترتيب مال قليل عليهم .

---

(١) الغرر الحسان قشر مغبغب ص ٥٦١ ـ ٥٦٢ وتاريخ الامير فخر الدين الثاني للمعلوف ص ٨ ـ ٩ .

(٢) ج ١ ، ص ٥٦١ ـ ٥٦٢ .

وقد ذكر المعلوف [1] ان خلافا نشب بين الامير فخر الدين والامير جمال الدين المذكور على حكم البلاد لان الاول حاول بسط سلطانه على أمارة الثاني ومال في الوقت نفسه الى خصمه ابن الحنش والي صيدا فما كان من الامير فخر الدين الا أن تحول من النعرة اليمنية الى القيسية ليكون حرا في خصومة الامير جمال الدين وارغامه وتبعه انصاره والمتواثقون معه فغدا بنو معن وانصارهم منذئذ قيسيين .

ولم يذكر الشهابي ولا المعلوف شيئا مهما آخر من سيرة فخرالدين هذا إبان حياته ولكن الشهابي حينما ذكر وفاته في سنة ٩٥١ قال [2] انه حكم بلاد عربستان من حدود يافا الى طرابلس وأنشأ بنايات عظيمة وكانت جميع البلاد تحت امره واستراح العرب في حكمه واطاعوه حيث يفيد هذا انه بدا منه حيوية ونشاط ساعداه على بسط سلطانه على هذه المنطقة الواسعة بالاضافة الى ولايته الاصلية . ولعل الخلاف الذي نشب بينه وبين جمال الدين التنوخي اليمني نشب نتيجة لذلك .

وخلفه في الامارة ابنه قرقماس الذي يذكر المعلوف [3] ان عهده كان عهد فتن واضطراب وتناحر بين القيسيين واليمنيين وخاصة بين بني سيفا الاكراد وبني عساف التركمان الذين كانوا يتنازعون حكم طرابلس وبيروت وكان الاولون يمنيين والآخرون قيسيين أي من حزب المعنيين ، وقد نهبت في أثناء ذلك خزينة الدولة في جون عكار فسيرت الدولة حملة قوية بقيادة والي مصر وجاء خصوم قرقماس الحزبيون اليمنيون التنوخيون وبنو سيفا الى الوزير وحرضوه على قرقماس والدروزفطلب من قرقماس نفقة الجيش ولما لم يسارع الى دفعها حاصر جبل الشوف

(1) ص ٥٦ .
(2) ص ٦١٢ الغرر .
(3) ص ٤٠ — ٤٤ .

فداخل الخوف قلب قرقماس وفر الى جزين حيث اعتصم في مغارة تيرون التي كانت منحوتة في الصخر ومعلقة في الجبال وتحتها هاوية عميقة وطولها ١٥ مترا وليس لها الا مدخل ضيق يصعد اليه بسلم • وانحدر الوزير الى جبل الشوف فجاء اليه عقال الدروز ووجهاؤهم فغدر بهم وقتل نحو ٦٠٠ منهم وصادرهم • وألم بقرقماس الهم من ما حل باهل امارته وانصاره فمات كمدا في مخبأه سنة ٩٩٢ هـ • وقد روي ان والي مصر اهتدى الى المخبأ وأمر باحراق شجر أخضر حول منافذه فاختنق قرقماس ومن معه بالدخان [١] •

وخلف قرقماس ولدين صغيرين هما فخر الدين ويونس فخبأتهما أمهما في مخبأ في منطقة جبيل تحت رعاية بني الخازن ومدبر ابيهما الحاج كيوان من أهل حاقل جبيل • وفي سنة ٩٩٩ بلغ اكبرهما فخر الدين رشده وكان الجو قد راق فاستلم حكم جبل الشوف خليفة لابيه برعاية وارشاد خاله سيف الدين التنوخي القيسي النعرة • وصفة الخال تدل على ان فخر الدين الاول حينما تحول الى القيسية وثق صلاته مع التنوخيين القيسيين نكاية بجمال الدين التنوخي اليمني بالمصاهرة لان الارومتين كانتا على عداء وقطيعة على ما شرحناه في فصل التنوخيين [٢] • وقد روى المعلوف أن سيف الدين شعر بتضعضع التنوخيين القيسيين فمال الى توثيق صلة ابن اخته باليمنيين منهم فزوجه بنت الامير فخر الدين الارسلاني اليمني [٣] •

— ٥ —

ولقد نشأ الامير فخر الدين ــ الذي عرف بالكبير وبالثاني والذي

---

(١) انظر الغرر الحسان نشر مغبغب ص ٦١٨ ــ ٦١٩ والمعلوف ص ٤٥ ايضا •

(٢) انظر المعلوف ص ٣٩ •

(٣) ص ٦٠ •

صار اسطع نجوم بني معن بل اسطع نجوم حكام العرب في هذا الظرف ـ على كره بني سيفا لانه علم ان أباه ذهب ضحية لوشاية زعيمهم يوسف باشا . وزاد نقمته عليه ان هذا الزعيم اقدم في السنة التي تولى فيها فخر الدين الحكم على قتل الامير محمد عساف التركماني القيسي النعرة وحليف المعنيين فترسم القضاء على بني سيفا . وعقد بسبيل ذلك صلات ود وحلف مع الامراء الشهابيين حكام وادي التيم والامراء الحرافشة حكام بعلبك والاكراد الجنبلاطيين حكام كلس وضواحي حلب وامراء العرب في حوران وفلسطين ومقدمي المسيحيين ومشايخهم في لبنان والتنوخيين القيسيين واليمنيين معا . وأبدى من النشاط ما جعله يبرز ويشتهر وما جعل جميع الامراء الاقطاعيين في مختلف انحاء لبنان وسواحله يعترفون له بالتقدم والوجاهة عليهم ثم يخضعون لنفوذه وسلطانه . وقد وطد المودة مع نائب دمشق فأدى ذلك الى امتداد ولايته الى سنجقية صيدا في سنة ١٠٠١ هـ . ولقد كان للامير منصور بن الفريخ امير البقاع ضلع في موت ابيه فسعى مع نائب دمشق حتى جعله يقبض عليه ويقتله في سنة ١٠٠٢ هـ . وكان لمنصور ولد اسمه قرقماز وصفه المعلوف بالظالم كان يقيم في بلدة بوارش من بلاد البقاع فحصل الامير المعني على اذن من الوزير فزحف عليه ففر الى بلاد عكار لاجئا الى ابن سيفا فنهب الامير بيوته وظل يتعقبه هو والوزير وعاونهما الامير موسى الحرفوش الى ان ظفروا به وقتلوه سنة ١٠٠٣ هـ . وحينئذ تولى الامير حكم البقاع عوضه [1] .

ثم حول همه الى ضرب ابن سيفا فسعى فيه لدى نائب دمشق وحصل على اذن بالزحف عليه . وزحف سنة ١٠٠٨ هـ ومعه الامير موسى الحرفوش حاكم بعلبك ونشب القتال بين الطرفين عند نهر الكلب

---

(١) هذا السياق من تاريخ الامير فخرالدين للمعلوف ص ٦٠ ــ ٦٩ .

فدارت الدائرة على ابن سيفا الذي كان معه معظم الجماعة اليمنية وتمزقت قواته واستولى فخر الدين نتيجة لذلك على كسروان ومدينة بيروت وضبط ارزاق واملاك العسافيين التي كان استولى عليها ابن سيفا . ولقد تدخل الامير محمد الارسلاني وتمكن من اقناع فخر الدين باعادة بيروت وكسروان الى يوسف سيفا . غير ان هذا ارسل بعد قليل من الصلح زعيمين من بني حمادة فقتلا مقدمي قرية جاج الاربعة وكانوا حلفاء فخر الدين وتوليا مشيخة جبيل كمكافأة فعادت العداوة ثانية بين يوسف سيفا وفخر الدين [1] . وقد لعبت هذه العداوة التي اشتدت بعد ذلك دورا كبيرا فيما جرى من احداث بلاد الشام المحلية في هذه الحقبة .

ولقد انصرف الامير فخر الدين الى تقوية جيشه حتى لقد روي المعلوف ان عدد ما تجمع لديه من السكبان [2] واللبنانيين بلغ نحو مئة الف . وحصن قلاعا عديدة وجهزها بآلات الحرب والحصار مما جعل الحكام المجاورين يحسبون حسابه ويتواثقون معه . وانتهز فرصةانشغال الدولة بحرب العجم والمجر فوسع نطاق حكمه ومده الى صفد وعجلون وأنشأ صلات ود وحلف مع عدد من امراء ومشايخ القبائل العربية في حوران وعجلون والسلمية كان منهم الامير مدلج الحياري امير العرب من آل فضل والشيخ حمدان الغزاوي الساعدي امير بلاد عجلون والشيخ رشيد المفرج شيخ قبائل حوران الخ ... وعقد معاهدة تجارية مع دوق توسكانا ــ في ايطاليا ــ ووثق صلاته وتحالفه مع

---

(١) ص ٧٢ ــ ٨٠ .

(٢) ص ٨١ والسكبان ويقال السكمان صنف من الجنود المرتزقة الدائمة الخدمة والكلمة فارسية معناها حامي الكلب وكانت تطلق على الجنود الانكشاريين الذين كانوا يتقدمون الامراء في رحلات الصيد وكانوا يتميزون بحمل البندقية على ظهورهم ويقودون الكلاب باطواقهم على ما يذكره المعلوف في كتابه ص ٧٠ .

حسين باشا جنبلاط الكردي والي كلس الذي كان يكره خصمه يوسف سيفا الكردي • وفي سنة ١٠١٤ هـ اشتبك مع هذا في معركة ثانية طاحنة عند جونية كتب له فيها النصر واعاد حكمه نتيجة لذلك على كسروان وغزير [١] •

وفي سنة ١٠١٤ تمرد سردار حلب الذي كان يعرف بخداويردي على الدولة واستبد في حكم ولاية حلب فسيرت الدولة احد وزرائها نصوح باشا على رأس حملة قوية لقمع حركته • واستنجد هذا بالامير فخر الدين فلم يسارع الى التلبية واستغل خصوم الامير الفرصة فاوغروا صدر الوزير عليه وقالوا له انه منحاز للمتمرد • وصدف ان اراد والي الشام حافظ احمد باشا ان يبطش باميري بعلبك ووادي التيم يونس الحرفوشي واحمد الشهابي وكانا حليفين للامير فوقف الامير الى جانبهما وحال دون تنكيل الوالي بهما فاثار حفيظة هذا الوالي أيضا • واغتنم يوسف سيفا الفرصة فتقرب الى نصوح وحافظ احمد وتعهد بقمع التمرد والعصيان اذا عين سردارا للجيش واجيب الى طلبه • وكان حسين جنبلاط باشا ضالعا بحركة التمرد فاتصل بالامير وأنشأ معه جبهة واحدة وهكذا قامت جبهتان جبهة الدولة وفيها يوسف سيفا وخصوم الامير اليمنيين وجبهة الامير فخر الدين وجنبلاط وحلفاؤهم من القيسيين وأخذتا تتصاولان في وقائع ومواقع عديدة متنوعة المدى يطول شرحها وكان النصر يتساجل فيما بينهما • ولقد ضايق الامير المعني مرة ابن سيفا حتى جعله يفر الى فلسطين بحرا سنة ١٠١٥ هـ ويلجأ الى احمد بن طربية الحارثي امير اللجون الذي اجاره وارسله الى دمشق سالما • ومن حوادث هذا الصيال الهامة وقعة جرت بين المعني والجنبلاطي من ناحية وجند الشام الذي عين السيفي سردارا ـ قائدا عاما ـ له من ناحية اخرى

---

(١) المعلوف أيضا ٨٢ و ٨٤ و ١١٢ ـ ١١٥ والشهابي ٦٢٤ ج ١ نسخة مفيفب .

في جهة حماه سنة ١٠١٥ هـ وكان مع الامير المعني حلفاؤه الامير احمد الشهابي والي وادي التيم والامير يونس الحرفوش المناوىء لابن عمه الامير موسى حاكم بعلبك والطامع في محله . وقد استمال الجنبلاطي كبراء جند الشام واتفق معهم على ان ينهزموا عند القتال . ولما نشبت المعركة نفذ الكبراء الاتفاق فكتب النصر فيها للجبهة الجنبلاطية المعنية وانهزم عامة الجند وزحفت هذه الجبهة نحو الشام وحاصرتها واعملت في ضواحيها يد النهب والتدمير حتى افتداها أهلها بمئة وخمسة وعشرين الف قرش قبضها جنبلاط . أما الامير المعني فلم يطلب مالا وانما طلب تثبيت حليفه الامير يونس الحرفوش في ولاية بعلبك والبقاع مكان ابن عمه موسى فاجيب الى طلبه . وكان موسى حليفا للامير المعني وعرض وساطته لابرام الصلح بين الجبهة المعنية والجنبلاطية وجند الشام ولكنه لم ينجح في مهمته فلما اعتزم المعني والجنبلاطي الزحف نحو الشام تركهما وذهب الى الشام منحازا لها فاحنق بعمله الامير المعني واغتنم الامير يونس الفرصة فانضم الى الامير المعني فكان ذلك مما جعل المعني يطلب تعيينه مكان ابن عمه .

ولقد اسندت الى حسين جنبلاط كفالة حلب . وكانت الحرب آنذاك (١٠١٥ هـ ١٦٠٨ م) ناشبة بين الدولة العثمانية والعجم فطلب قائد الدولة سنان باشا منه مددا فتلكأ فحقد عليه واغتاله . فجعل هذا ابن عمه علي باشا يتمرد على الدولة ويتصل بالامير المعني ويتواثق معه استمرارا لما كان بينه وبين ابن عمه من تواثق فاتصل الصيال بين الجبهتين واستمرت الحوادث تقع بينهما . وكان والي الشام الحافظ احمد يعمل جاهدا في مضايقة الامير المعني وتعطيل مصالحه ونزع ما تحت يده ويد حلفائه من امراء العرب وغيرهم من بلاد وتعيين مناوئيه لها . وفي هذه الاثناء قتل علي باشا جنبلاط ايضا فازداد موقف الامير المعني حرجا .

ولقد انفرج الموقف برهة يسيرة حيث سحب الوالي من الشام من جهة وتولى الصدارة وزير اسمه مراد باشا استطاع المعني أن يكسب وده بالهدايا والتقدمات من جهة اخرى حتى انه انعم على ابنه الامير علي الذي حمل اليه الهدايا والتقدمات الى حلب حيث كان على رأس حملة لقمع الفتن ـ بسنجقية صيدا وبيروت وغزير فكان هذا وذاك مما قوى مركزه • واغتنم الفرصة فوثق في هذه الاثناء صلاته مع توسكانا وجدد المعاهدة التجارية معها سنة ١٠١٧ هـ ١٦٠٨ م ثم عززها بعد سنة بمعاهدة عسكرية • وارسل مندوبا اسمه الشيخ محمد تلحوق الى الاستانـة يحمل تقدمات اخرى للصدر ويلتمس اعادة ولاية عجلون التي كـان الوالي سلخها عنه فاجيب الى التماسه ووجهت الولاية لابنـه الثـاني حسين [1] •

غير ان الحالة عادت فتأزمت بعودة الوالي حافظ احمد ثانية لولاية الشام سنة ١٠١٨ هـ فأخذ يقف للامير بالمرصاد ويبذل جهده في ازعاجه والانتقاص من حكمه وعزل حلفائه وتقوية خصومه • وفي هـذه الاثناء (أي في سنة ١٠٢٠ هـ) مات مراد باشا وتولى مكانه نصوح باشا الذي كان ناقما على الامير على ما ذكرناه قبل فاشتدت الجبهة المعادية قوة • وعادت الاشتباكات والمصاولات والمضايقات للامير تتجدد وتتكرر • وقد سلخ الوالي حكم بلاد عجلون عن الامير وامارة الكرك والشوبك عن الامير حمدان ابن قانصوه [1] الساعدي الغزاوي ومشيخة حوران عن

---

(١) يستفاد من السـياق الذي ننقل عنه ان عمر الامير علي حينما وجهت اليه سجقية صيدا وبيروت وغزير كان احد عشـرة سنة وعمر الامير حسين خمس سنين . وهـذا من عجائب ادارة الدولة العثمانية . ولقد كانت ولاية الحكام المحليين الاقطاعية التزاما بتوريـد مال معين . وكان حكمهم نتيجة من نتائج ذلك فكان الامير يقيم مقام اولاده الصغار نوابا يحكمون ويجبون الضرائب ويقدمون الما لالمفروض ...

(١) هـذا الاسم كان اسم آخر ملوك دولـة الشراكسة فاقتبسه الامير العربي علـى مـا كان جاريا .

الشيخ عمر شيخ عرب المفارجة وكان هذان حليفين للامير وعين لولاية الكرك وعجلون فروخ باشا الذي اشتهر بكراهية الامير ومناوئتـه ولمشيخة حوران الشيخ رشيد شيخ عرب السردية وخصم الامير الشيخ عمر ثم اخذ يزيد في نقمة نصوح باشا على الامير ويخوفه من مطامحـه واندمج في كل ذلك خصوم الامير الحزبيون مما جعل نصوح باشا يصدر امرا بتسيير حملة عظيمة للتنكيل به روي انها كانت مؤلفة من خمسين لواء أو خمسين الفا وعليها اربعة عشر باشا أو قائد برتبة امير امراء • وشعر الامير بالخطر فاخذ يستعد من جهة للدفاع وحاول من جهة اخرى ان يصلح امره مع الوالي فـارسل اليه وفدا من علماء صفد وبيروت وصيدا فابى هذا الا اذا جاء الامير ووطأ بساطه مما جعل الامير يعتقد بسوء نيته وتبييت الغدر له •

واستمر الوالي في ازعاجه والانتقاص من اطراف حكمه وتقوية خصومه • ومن ذلك نزع يد ابنه علي عـن بيروت وكسروان وغزير واعادتها ليوسف سيفا خصمه الالد ونزع حكم صيدا وصفد والغـرب والجرد والمتن من عهدته وتعيين ولاة من مناوئيه لها •

وحاول الامير ان يسترضي نصوح باشا وارسل اليه الهدايا والرسل فلم يغنه ذلك • وحاول ان يتظاهر بالقوة وينصر حلفاءه الذين طاردهم الوالي وخصومهم وارسل حملة بقيادة ابنه احرزت بعض الانتصـارات غير ان ذلك لم يجده لان الحملة العظيمة التي سيرها نصوح بـاشا اخذت تتوارد على بلاد الشام • وعجم عود انصاره وحلفائه فوجدهم مذعورين متخاذلين • وحاول الفرار الى البادية فلم ينجح لان الوالـي سد عليه المنافذ فالتجأ الى قلعة شقيف ارنون في جبل عامل فسير الوالي حملة ضربت عليه الحصار • وفي هذه الاثناء جاءت سفينتان افرنسيتان واخرى هولاندية فرأى الامير الفرصة سانحة للنجاة عليها فاستأجرها وتمكن من الخروج خلسة من القلعة والابحار عليها في شعبان عـام

١٠٢٢ هـ ١٦١٢ م قاصدا اوروبا ومعه زوجته وخمسون من خاصته بعد ان عهد بمقاليد الحكم الى اخيه يونس •

وعلم الوالي بنجاة الامير فاتجه نحو جبل الشوف وضرب الحصار عليه فاشار الشوفيون على الامير يونس بارسال أمه الى الوالي لتتوسط في فك الحصار فسارت اليه مع ثلاثين من شيوخ العقل واخذت معها اربعة من جياد الخيل ومئة الف قرش تقدمة • واستقبلها الوالي ببشاشة فقالت له نحن ما ضبطنا بلدا بغير اذن السلطان ولا انكسر عندنا مال • فطيب خاطرها وكتب عليها صكا بثلاثمائة الف قرش فدية عن الشوف وجعلها رهينة عنده في دمشق حيث بقيت ثلاث سنين •

ولم يكد يفك الحصار عن الشوف ويرحل حتى جاء يوسف سيفا الى دير القمر مركز الشوف واعمل يد التخريب فيها ثم رحل عنها [1] • واستقر الامير يونس في الدير مقتصرا في حكمه على جبل الشوف فقط وعين الوالي ولاة على سائر ولايات الامير في جبل لبنان من خصومه الحزبيين الذين لقي منهم انصاره الامرين خلال المحنة التي امتدت خمس سنين •

وقد صادر الوالي في طريق عودته للشام الشهابيين والحرافشة حلفاء الامير وطلب من الاخيرين عمارة قب الياس وحصن اللبوة وقلعة بعلبك واضطروا الى بذل مال كثير حتى جعلوه ينصرف عنهم •

ولقد كان علي بن الامير قد أفلت الى البرية مع أحد مشايخ العرب واخذ يتنقل بين القبائل واراد الالتجاء الى الامير فياض الحياري زعيم

---

(١) هذه الحادثة جعلت الامير فخر الدين يقسم يمينه المأثور « وحق زمزم والمقام والنبي المختار لاعمرك يادير بحجارة عكار ... » وقد بر بيمينه فهدم بعد عودته عكار ونقل حجارتها الى الدير وعمرها بها على ما سوف نذكره بعد .

الموالي فرفض وارسل اميرا اسمه سلطان بن عبد الله طوقان [1] لمطاردتهم • وقد عاد في النهاية الى الشوف واقام الى جانب عمه مترقبا معه الاحداث [2] •

ورحلة الامير فخر الدين الى اوروبا مشروحة في تاريخ للشيخ احمد الخالدي بلهجة عامية وباسلوب وسياق يدلان على انه كان معاصرا أو مشاهدا او مرافقا للامير او من حاشيته وأخصائه • وقد نقل المعلوف ما اورده عن الرحلة واستغرق ذلك سبعين صفحة من كتابه (١٣٤ ـ ٢٠٤) وملخص ما ذكره الخالدي واورده المعلوف ان الامير وصل اولا في رحلته من المياه الشامية الى ليكورنا الايطالية في دوقية توسكانا فاستقبله حاكمها ثم ذهب الى بيزا لزيارة الدوق فاستقبله واكرمه وعين له منزلا ورتب له مرتبا وطباخا واتاح له زيارة معالم المدينة ومصانعها وتحصيناتها وآثارها وتحفها • ويذكر الخالدي في سياق ذلك كثيرا من مشاهد البلاد وعماراتها وطرقها وزراعتها وصناعتها وحيواناتها وغرائبها وعاداتها • وقد ارسل الامير بعد ان استقر به المقام الى أخيه وابنه وأخصائه كتبا يطمئنهم بوصوله وسلامته وراحته وجاءته اجوبة منهم والتحق بالامير مع السفن التي نقلت الكتب نحو خمسين شخصا آخر من خدمه وأخصائه منهم الشيخ يزبك بن عبد العفيف والشيخ خاطر بن الخازن • وجاء كتاب من حاكم مسينا التي كانت تحت حكم اسبانيا يدعو الامير لزيارة مسينا واسبانيا وترك الدوق الامر للامير

---

(١) يقول المعلوف في هامش هذا السياق نقلا عن المؤرخ الخالدي ان طوقان اسرة من الموالي القاطنين في لواء حماه وان الموالي فرقتان طوقان وابو ريشة . وقد قام نزاع بين فرقة طوقان وزعيم فرقة ابي ريشة فنزح الزعيم الاول مع عشيرته الى نواحي البلقاء ثم الى نابلس . وان آل طوقان هم منهم ص ١٣١ ـ ١٣٢ •

(٢) هذا السياق الطويل الذي يبتدأ من تمرد سردار حلب الى نهايته مقتبس من المعلوف ص ٨٤ ـ ١٣٢ والغرر الحسان ج ١ ص ٦٢٢ ـ ٦٣٣ نسخة مغبغب واخبار الاعيان ص ٢٥٤ ـ ٢٦٣ •

ووافق هذا وسافر بحرا الى مسينا حيث اقام مدة فيها . وخطر له هناك أن يقوم برحلة خاطفة الى مياه البلاد الشامية فهيأ له الحاكم اسباب السفر فارتحل وكان ذلك سنة ١٠٢٤ هـ ، ولما وصلت السفن الى مياه لبنان رابطت بين صور والناقورة وارسل الامير مع بعض حاشيته خبرا الى اخيه وابنه وأخصائه فكانت فرحة عظيمة وجاء أخوه وابنه وأخصاؤه الى الدامور .

ولم ينزل الامير الى البر فنزل اليه اخوه وقص عليه ما جرى في غيابه وطلب منه النزول للبلاد فامتنع قائلا ان الاتفاق بينه وبين امير مسينا على ان يبقى في البحر . والظاهر انه لم يجد الاحوال مشجعة ففضل العودة الى دار هجرته وعادت السفن قافلة وعرجت في طريقها على مالطة ثم ارتحل الى بالرمو في جزيرة صقلية حيث كان حاكم مسينا فاستقبل بالاكرام ورتبت له اسباب الاقامة والحياة فاقام نحو سنة زار خلالها نابولي . ومما ذكره الخالدي ان بعض الاكابر زاروا الامير وجسوا نبضه في مساعدتهم على الاستيلاء على بلاد الشام فكانت اجاباته سلبية مؤيسة . وفي خلال زيارته لنابولي جاءته دعوة من ملك فرنسة ووعد منه بالشفاعة به لدى الدولة ولكن الزيارة لفرنسة لم تتم . ومما ذكره كذلك ان ملك اسبانيا ارسل يعرض على الامير التنصر على ان يملكه ملكا أوسع من ملكه فاجاب انه لم يأت للحكم والحكومة وانما جاء للاحتماء مما ألم به فان لم يقبلوه على هذا الاساس عاد الى بلاده . ومما ذكره أيضا ان الامير أنشأ مسجدا بمأذنة في البيت الذي نزل فيه وكان مؤذن يؤذن وامام يقيم الصلاة فيه . ثم جاءت للامير رسائل من والدته فيها بشائر ودعوة فاستأذن الامير بالعودة وبعد تردد وأخذ ورد وتخوف تمت اسباب الرحلة فعاد سنة ١٠٢٨ هـ ـ ١٦١٨ ووصلت سفنه الى عكا بعد مشاق فهرع اليه وفود اللبنانيين يرحبون

بعودته بعد هجرة امتدت خمس سنين ١٠٢٢ ــ ١٠٢٨ هـ [1] .

- ٦ -

ومما ذكره الشهابي [2] من الاحداث التي جرت في لبنان بعد رحلة الامير فخر الدين تعيين وال اسمه حسن باشا على صفد وبيروت وصيدا وغزير وجميع الولايات التي كانت بيد الامير وكان ذلك سنة ١٠٢٢ هـ ــ ١٦١٣ م . وقد ارسل اليه الامير يونس تقدمة الف قرش فاقطعه مقاطعة الشوف وارسل اليه خلعة الالتزام . غير ان والي الشام حافظ احمد ، لم يسكت عن بني معن فارسل حملة قوية على الشوف بقيادة أحد زعماء النعرة اليمنية الشيخ مظفر وجرى قتال بينها وبين اهل الشوف وكانت الغلبة لها عليهم أولا فسارع الامير يونس الى نجدتهم وتمكن من كسر الشيخ وعسكر الدولة كسرة عظيمة . وكان ذلك سنة ١٠٢٣ هـ ولما علم الوالي احمد الحافظ بذلك زحف بنفسه على رأس قوة كبيرة اشترك فيها حكام وولاة البلاد التابعة له واخذ يعمل يد التدمير والتنكيل ووصل في زحفه الى دير القمر ففر منها الامير يونس فدخلها واحرق قصر بن معن فيها ثم عين الامير ناصر الدين التنوخي اليمني حاكما على الشوف . ولقد جمع انصار بني معن شملهم ودهموا عسكر الوالي وتمكنوا من كسرهم في الجولة الاولى ولكن الوالي كر عليهم واستطاع ان يصدهم ويوقع فيهم .

كذلك مما جرى اثناء غياب الامير ان مشايخ جبل عامل الذين كانت بلادهم تحت حكم الامير نشطوا الى الصيال مع الامير يونس لاجل الاستقلال في حكم

---

(١) اورد الشهابي في تاريخه الغرر الحسان ملخصا لما ذكره الخالدي من رحلة الامير وعودته ايضا ص ٦٣٢ ــ ٦٤٦ نسخة مفيغب ج ١ .

(٢) ج ١ نشر مفيغب ص ٦٣٧ ــ ٦٤٠ .

بلادهم وزعموا الحاج علي منكر واخاه الحاج ناصرالدين ، وامدهم الوالي احمد الحافظ بقوة فاخذوا يعتدون على اطراف بلاد الامير المعني وحزم هذا امره وقابلهم بالقوة فاثخن فيهم وشرد زعمائهم وفرض حكمه على بلادهم وعين لها حكاما من قبله حيث عهد بحكم بلاد مرجعيون والحولة الى امير وادي التيم علي الشهابي وبحكم بلاد بشارة والشقيف الى الشيخ حسين اليازجي وبحكم صيدا الى الشيخ حسين الطويل بل وجعل اهل هذه البلاد يتعاونون معه فيما قام بينه وبين اليمنيين ووالي الشام من نضال ووقائع حربية [1] .

وفي هذه الاثناء جاء خبر مقتل الصدر نصوح باشا وحلول وزير اسمه محمد باشا محله كان بينه وبين الامير فخر الدين مودة ومعرفة فكان ذلك بدء انفراج أزمة بني معن . ثم انفرجت انفراجا تاما بنقل الوالي الى الاناضول سنة ١٦١٥ ـ ١٠٢٥ وتعيين وال اسمه محمد شركس باشا الذي كان بدوره بينه وبين الامير فخرالدين معرفة ومودة . وسارع الامير يونس الى التقرب اليه والى الصدر الجديد بالهدايا فحاز رضاهما . وكتب الوالي كتابا للامير فخر الدين يحثه على العودة الى بلاده لاستئناف ولايته كما كان . وحمل الرسل الكتاب الى الامير مع كتب اخيه ووالدته التي اطلق الوالي سراحها حال وصوله . ولم يجده الرسل في ليكورنا لانه كان كما قلنا عرج على مالطة ثم على بالرمو ثم ذهب الى نابولي فعادوا ادراجهم ثم عرف ان الامير في نابولي فارسل الرسل ثانية فاستلم هذه المرة الامير الكتب وعاد حيث استقبل باعظم مظاهر الفرح والحفاوة . واستغرق ذلك مدة غير قصيرة جرت خلالها في البلاد احداث هامة .

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٨ ـ ٣٠ وتاريخ الامير حيدر ج ١ ص ٦٤٦ ـ ٦٥٣ نسخة مغيغب .

فقد تشجع الامير يونس وابن اخيه بما رأوه من عطف الوالي الجديد فاخذا يبذلان نشاطهما في سبيل استئناف ما كان للامير من حكم وسلطان . وحاول خصوم الامير تحريض الوالي وتخويفه من حصانة قلعتي بانياس والشقيف فاحبط الاميران هذا التحريض بمسايرة الوالي في اجابته الى طلبه بتسليمهما وهدمهما . ثم وجه الوالي سنجقية صيدا وتوابعها على الامير علي وسنجقية صفد وتوابعها على الامير يونس وسنجقية حمص على الامير يونس الحرفوش حليف المعنيين ، وامر بارتفاع يد يوسف بن سيفا عن كسروان وبيروت . وأثار كل ذلك حنق ابن سيفا واليمنيين وجعلهم يجمعون جموعهم ويحاولون ازعاج الاميرين وانصارهم القيسيين . وجمع المعنيون وانصارهم بالمقابلة ولم يلبث الفريقان ان اخذ يشتبكان في مواقع عديدة كان النصر في معظمها للقيسيين ثم اجتمعت حشودهما عند عين الناعمة ودارت فيها معركة طاحنة انكسر فيها اليمنيون كسرة شديدة وقتل منهم عدد كبير واحرق القيسيون كثيرا من دور زعمائهم في الشوف والشويفات وغزير واستولوا على كسروان وبيروت . وكان ذلك في سنة ١٦١٦ م ١٠٢٨ ، وقد ازداد الاميران المعنيان وانصارهما بهذا النصر قوة وحيوية [١] .

ويستفاد من سياق الغرر ان الامير يونس الحرفوش ظل على تواثقه مع الاميرين علي ويونس المعنيين كما كان مع الامير فخر الدين أثناء غياب هذا واندمج معهما في الصيال ضد اليمنيين في مختلف المواقف حتى وقعة عين الناعمة وبذل مساعيه لدى الصدر الاعظم الجديد الذي كان جاء الى حلب حتى حصل على رضائه عن بني معن وكان توجه ولايات صفد وصيدا الى الاميرين اثرا من مساعيه .

---

(١) المعلوف ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ والشهابي ٦٣٨ ـ ٦٥٥ والشهابي يؤرخ وقعة عين الناعمة في سنة ١٠٢٥ هـ .

ومنذ ان عاد الامير اخذ يوطد امره ويقوي جبهته وانصاره • ولقد قدم اليه جميع اعيان البلاد وامراؤها وحملوا اليه الهدايا تزلفا اليه • وكان من جملتهم الامير حسن بن يوسف سيفا الذي كان تزوج من بنت الامير فخر الدين في ظرف اصطلح ابوه مع الامير فرفض هديته وقال له قل لوالدك نحن لا نريد هدايا ولكنا في حاجة الى اخشاب نعمر بها دارنا التي احرقها ونريد مواشينا ومواشي تابعينا التي اخذها في زمن حافظ باشا حيث كان هذا الموقف ايذانا بقرب نشوب الصيال بين الامير وابن سيفا ، عودا على بدء [1] • وصدف ان عين لطرابلس وال اسمه عمر باشا فاخذ يوسف سيفا يعاكسه فاستنجد بالامير فكانت الفرصة التي يترقبها حيث حشد حشودا عظيمة من جميع المقاطعات التي استأنف فيها حكمه في جبل لبنان وما جاوره مما يدخل فيه بلاد

---

(١) مما اورده المعلوف ص ٣١١ من مأثورات مظاهر العداء بين الامير فخرالدين والسيفيين مواويل قديمة يعير هؤلاء فيها الامير بالدمامة والقصر ويرد الامير عليهم كما ترى فيما يلي وقد رأينا ايراده لطرافته :

من اقوال السيفيين :

جونا الطوال يا نصلة السكين　　يا سلسلة مذهبة يا سيف علي الدين
جونا القصار لا شور ولا تدبير　　مثل الضفادع يقعوا في قراني البير

ومما روى عن لسان بنت الامير ترد به على السيفيين :

عيروني بقصرك قلت عود التبر　　والخصر خصر الغزال والعنق شامخ شبر
قولوا لاهل الذكا قولوا لاهل الخبر　　القلم يجمع الدنيا ولو كان طوله فتر

ومما روى عن لسان الامير :

نحنا صغار وفي عين العدو كبار　　انتو خشب حور نحنا للخشب منشار
وحق طيبة وزمزم والنبي المختار　　ما يعمر الدير الا من حجر عكار

بشارة وصفد التي كان يتولى حكمها ابنه الامير علي واستنجد بالامير علي الشهابي حاكم وادي التيم حليفه ، ثم زحف من طريق بيروت الى جبيل الى ان وصل الى عكار حصن ابن سيفا . واستشعر هذا بالخطر ففر من عكار الى حصن الاكراد الذي كان امنع ودخل الامير عكار واستولى على ما فيها من نفائس واموال واستقدم البنائين وامرهم بهدم قصور السيفيين وأخصائهم ونقل حجارتها الى دير القمر حيث عمر بها كثيرا من ابنيتها برا بيمينه . وزحف بقواته على حصن الاكراد وضيق عليه الحصار حتى ضاق الخناق على ابن سيفا ونفدت ميرته فطلب الامان من خصمه فمنحه اياه مقابل (٣٠٠٠٠٠٠) قرشا يدفعها فورا وظل الحصار مضروبا الى ان تدخل والي حلب وحمل السيفي على دفع مئة الف قرش نقدا وكتابة صكين بالباقي وارضى بذلك الامير وجعله يفك الحصار عن السيفي . وقد ضمن الامير من والي طرابلس بلاد البترون وجبيل وولي على الاولى يوسف بن الشاعر وعلى الثانية الشيخ ابا نادر الخازن ورجع ابن سيفا الى عكار حيث اقام فيها منكمشا [١] . ولقد جنح ابن سيفا الى التزلف للامير حتى جعله يساعده على استعادة حكم طرابلس ، ويرسل اليه ابنته زوجة ابنه . غير ان هذا الصفاء لم يستمر ، حيث نشب خلاف بينهما بعد قليل بسبب منصب البطركية الذي كان كل من الاميرين يرشح له مرشحا واستمر الخلاف والنزاع بعد ذلك الى النهاية [٢] .

ومما ذكره المؤرخون من الاحداث التي جرت في عهد الامير المعني الكبير بعد عودته مطالبة الباب العالي بالاموال المكسورة على ولاياته

---

(١) المعلوف ٥ ٢ ـ ٢٢٣ .

(٢) ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ والفرد ج ١ ص ٦٦١ ـ ٦٦٣ نسخة مغبغب .

لمدة ثلاث سنين فتوجه الى عكا لجمع اموال بلاد صفد وبلاد بشارة فرحل مشايخها بنو منكر وبنو الصغير خائفين او متمردين عن الدفع الى بعلبك فاحرق الامير بعض محلاتهم وضبط اموالهم ورحل جماعة واخذ حريمهم وظل ينشط حتى تمكن من جمع المال المطلوب وارساله [1]
واخذ حريمهم وظل ينشط حتى تمكن من جمع المال المطلوب وارساله[1]
وفي سنة ١٦٢٠ م ــ ١٠٣٠ هـ نشب نزاع بين الاميرين الاخوين الشهابيين احمد وعلي فتدخل الامير واصلح بينهما وقسم البلاد بينهما فاعطى عليا حاصبيا وما والاها وعرف هذا القسم بوادي التيم الاسفل واعطى راشيا وما والاها وعرف هذا القسم بوادي التيم الاعلى . ومنذئذ ظل القسمان منفصلين يقوم على حكمهما اولادهما واحفادهما [2] . وظل الامير يعمل لتقوية سلطانه ومده . وقد استطاع ان يمد حكمه ثانية الى بلاد عجلون واربد وان يقصي مشايخ العرب المناوئين له ويعيد المشيخة والامرة الى المشايخ الموالين له كالسابق حتى لقد صار مرجع معظم امراء ومشايخ العرب في بلاد الشام يأتون اليه طالبين عونه وتأييده فيما يقوم بينهم من خلافات . وقد قام بسبيل ذلك برحلات وحركات عسكرية عديدة الى جهات عجلون واربد وصفد كان يقابل فيها بالحفاوة وينال فيها النصر ويزداد مهابة ونجحا . وحصل في هذه الاثناء من حاكم طرابلس على التزام عكار والضنية وجبة بشري والبترون وجبيل فغدا ابن سيفا تحت امرته مباشرة [3] .

ومما رواه الشهابي ان الامير محمد بن اخي الامير يوسف سيفا جاء الى الامير فخر الدين وطلب الصفح عن عمه ورفع اليد عن جبيل والبترون وغزير التي كانت في حكم عمه وعفا الله عما سلف . ولكن

---

(١) الفرد ص ٦٦٠ ــ ٦٦١ مغيغب .

(٢) الفرد ٦٦٤ ــ ٦٦٥ والمعلوف ٢٢٧ .

(٣) المعلوف ٢٣٣ والشدياق ٢٩٥ ــ ٢٩٧ .

الامير رفض وقال له ان عمك لا يزال يسعى ضده ويقدم الشكايات للباب العالي • فاما أن انزع نعمته أو ينزع نعمتي وانه ارسل وكيله (كتخدا) الى الاستانة وطلب ضمان طرابلس بزيادة مئة الف عما يدفعه ابن سيفا فاجيب الى طلبه ووجهوا على كتخداه سنجقية جبلة واللاذقية زيادة في التكريم واعطوه تفويضا بهدم قلاع بن سيفا وضبط ارزاقه وارزاق اتباعه مما اضطر يوسف سيفا الى التطارح على الامير والتماس عفوه ورضائه حتى عفا ورضي وخطب ابن سيفا بنت الامير لابنه فزوجه اياها • ولم تصف القلوب مع ذلك حتى ان العروس لم تزف على عريسها الا بعد مدة وبعد توسط وزير الشام [1] • وجدد ابن سيفا بيوته المهدومة في عكار فبادر الامير الى هدمها ثانية • وظلت الاحقاد مشتدة تعمل عملها بين الاميرين لاختلافهما في النعرة الحزبية من جهة ولما كان من موقف ابن سيفا في أثناء محنة الامير من جهة • وكان يقع بن الاميرين مكايدات واحيانا مناوشات وكان التفوق للامير المعني الذي كان يشتد في نكاية خصمه واذلاله باساليب متنوعة •

ولقد جاء في سنة ١٠٣٠ هـ ـــ ١٦٢٠ م مندوب من الاستانة ـــ قبوجي باشي وهي رتبة من الرتب ومعناها رئيس البوابين ـــ مطالبا ابن سيفا بالمال المتأخر عليه فماطله في الدفع وكان معه رسائل من الوزير ـــ الصدر الاعظم ـــ الى الامير يطلب فيه منه مساعدة المندوب على تحصيل الاموال فارسلها اليه فبادر الى العمل وزحف الى البترون فهرب يوسف سيفا الى جبلة ، فشدد الامير الخناق على ابنه الذي بقي نائبا عنه في طرابلس وطلب منه بيع الاملاك التي أخذها من مخلفات الامير محمد عساف الذي قتله قبل وشاور الابن اباه فلم ير بدا من الموافقة فاشتراها الامير ودفع ثمنها للمندوب من اصل المطلوب • وبقي عليه ذمة على

---

(١) الشهابي ج ١ ص ٦٧٥ مغبغب •

حساب البترون وجبيل فاستمر بطالب فيها فماطل فزحف على طرابلس فاعتصم الامير حسن بن يوسف سيفا في القلعة فضرب عليها الحصار ، من جهة واخذ يتصاول مع أبيه من جهة اخرى الى ان اضطر هذا الى دفع المال [1] .

وفي سنة ١٠٣١ عاد الى ولاية طرابلس واليها الاول عمر باشا وكان سحب منها بمساعي بن سيفا فلم يمكنه هذا من استلامها فاستنجد بالامير فارسل الشيخ ابا نادر الخازن فطرد جماعة ابن سيفا من جبة بشرى فاضطر ابن سيفا الى الرضوخ . ولما استلم عمر باشا زمام الولاية سنة ١٠٣٢ عزل يوسف سيفا عن عكار لعدم دفعه الاموال المكسورة عليه وفوض حكم بلاد جبيل والبترون وجبة بشرى وعكار للامير فخر الدين فتطارح يوسف سيفا على الامير مرة اخرى حتى رضي عنه وتنازل له عن عكار وما والاها كسابق عادته [2] .

ونشب نزاع بين يوسف سيفا وابن اخيه سليمان فاستجار هـذا بالامير فسارع الى نجدته بقوة مما اضطر يوسف الى مسايرة ابن اخيه ومصالحتـه [3] .

ومن الاحداث الهامة التي وقعت الجفاء الذي قام بن الامير المعني وحليفه وصهره الامير يونس الحرفوشي والذي تطور الى عداء وقتال وكانت له مضاعفات خطيرة من صفحاتها صدام حربي بين الامير ووالي الشام مصطفى باشا .

وقد اختلفت الروايات في اسباب ذلك وتفصيلاته مع الاتفاق على الخلاف وتطوره . ومما روي من اسباب ذلك ان الحرفوشي صـادر

---

(١) الغرر ج ١ ص ٦٦٦ ـ ٦٧٣ نسخة مفيغب .

(٢) ايضا ص ٦٨١ .

(٣) الغرر للشهابي نشر مفيغب ج ١ ص ٦٧٨ ـ ٦٨١ .

غلالا ومواشي لابن سيفا في الهرمل بايعاز من المعني أو في سياق التعاون في النضال ضد ابن سيفا فاحتجزها لنفسه . وكان الشوفيون ــ اهل الشوف ــ يزرعون في البقاع فمنعهم الامير الحرفوشي . وكان للامير المعني اقطاع اسمه تل النمورة قرب قب الياس في البقاع فوضع الحرفوشي يده عليه . فكان هذا مما أثار حنق المعني . ومع ان الحرفوشي شعر بذلك واستشعر بالخوف ووسط زلمة الامير المعني وأدت الوساطة صفح المعني بل وسعيه في توجيه سنجقية حمص الى الحرفوشي فان هذا كتب كتابا لصديق له من كبار اغوات الانكشارية اسمه كرد حمزة فيه شماتة بالامير لان حكم عجلون وصفد نزع من يده من قبل وال جديد جاء للشام اسمه مصطفى باشا ، وقد وقع الكتاب في يد الامير المعني غلطا فأثار غيظه كثيرا لانه علم منه خبيئة الامير الحرفوشي التي رأى فيها كفرا بنعمته مع كل حسناته له واغضائه عن ما كان منه نحوه فنهض من بيروت الى قب الياس فدعاه الامير حسين الذي كان فيها بالنيابة عن ابيه ــ وهو صهره ــ فاجاب الدعوة وهناك اظهر صكا وحكما سلطانيا بمشترى حارة قب الياس من تركة الامير منصور العساف وقال لحسين ان هذه الحارة ملكنا وقد سكنتها مدة طويلة فنحن في حاجة اليها فاذهب الى والدك فلم يسع الامير حسين الا الرحيل مغيظا محنقا . ثم امر الامير بضبط غلال آل الحرفوش ومواشيهم في البقاع كما امر بهدم حارة قب الياس . ولما بلغ الامير الحرفوشي ذلك ذهب الى الشام والتمس بمساعدة صديقه كرد حمزة سنجقية صفد وعجلون بزيادة عما كان يدفعه الامير المعني ــ والروايات تختلف في مقدار الزيادة فقبل الوالي منه فكتب الامير المعني للوالي يعرض عليه مئة الف ذهب زيادة على التزام بعلبك فلم يؤد عرضه الى نتيجة فكتب لمدبره في الاستانة بالامر فسعى ونجح في تثبيت سجقيةصفد وعجلون على الامير . ورفض الوالي تصديق الاوامر الواردة في هذا

الصدد وكتب للامير الحرفوشي بالحضور مع عساكره وتركمان بعلبك استعدادا للزحف على الامير المعني فسارع الحرفوشي مع رجاله وانضم اليهم عمر بن سيفا . وبادر الامير فخر الدين الى مقابلة الزحف بمثله . وكان ارسل ابنه الى بعلبك فعاث فيها تدميرا ونهبا ثم جاء الى عنجر فبل ابيه واشتبك مع قوات الوالي ومن انضم اليه من الخصوم . وكادت الهزيمة تكتب عليه لولا وصول بقية القوات مع ابيه ودخوله في المعركة بقوة غيرت مجراها وجعلت الدائرة تدور على الجبهة الثانية فتمنى بكسرة عظيمة لم يحدث مثلها ـ والعبارة للشهابي ـ حتى ان الوالي وقع اسيرا ، في جملة من أسر من قواده ورجاله ، ولكن الامير وابنه عاملاه بالتكريم واعتذر هو لهما قائلا ان زحفه كان بتحريض الاميريونس الحرفوشي وحمزة الكرد ، وحينئذ حصل الامير المعني على اذنه بالتنكيل بهما ، ولكنهما استطاعا ان يفلتا ويفرا الى حلب ، فضبط الامير املاكا لحمزة الكردي في البقاع وذهب الامير والوالي الى بعلبك لتنظيم شؤونهما . وقد ضبط الامير عشرة آلاف رأس من المعزي للامير الحرفوشي . وتحصن بعض قوات الامير الحرفوشي في قلعة بعلبك وحصن اللبوة فضرب الامير المعني عليهما الحصار . وذهب الامير الحرفوشي مع كرد حمزة الى حلب ليرفعا الشكوى للاستانة . غير ان واليها امر باعتقال الامير الحرفوشي في معرة النعمان واحضره الى حلب وسجنه في قلعتها . وفي هذه الاثناء جاء مندوب من الاستانة يحمل خلعة ولايات الجبل وبعلبك والبقاع للامير المعني فغدا سيد المنطقة . وكان المحاصرون في قلعة بعلبك يرفضون التسليم فلما بلغهم ذلك وبلغهم خبر سجن اميرهم فت في عضدهم واستسلموا بعد ان اعطاهم الامير امانا . وقد ضمهم الى قواته لما رآه فيهم من قوة وحيوية . وضبط ما للامير الحرفوشي في القلعة وحاول هدمها لئلا تكون معصما لمناوأته فلم يوفق . وظل محاصرو اللبوة يرفضون التسليم وكان على رأسهم

الامير حسين بن الامير يونس فشدد الامير المعني الخناق عليهم حتى ضاق بهم الامر فجاء الامير علي اخو حسين الى الامير المعني وتعهد له بدفع ٤٠٠٠٠ قرشا واعطاه منها ١٦٠٠٠ والتمس منه الصلح فقبل ورفع الحصار عن القلعة وغادر بعلبك بعد ان أقام الامير شهلوبا الحرفوشي حاكما عليها من قبله • وكان بين هذا وبين الامير يونس واولاده منافسة ومنازعة فجاء الى الامير المعني واظهر له الولاء •

وبعد قليل اطلق سراح الامير يونس الحرفوشي بمساعي كرد حمزة وسكوت الامير فخر الدين ـ وهذه عبارة مؤلف تاريخ بعلبك ـ الذي قال ان الامير الحرفوشي جاء بعد اطلاق سراحه الى قرية عسال • ومنها اتصل بوالي الشام وارسل اليه هدية ثمينة ووعده بثلاثين الف قرش اذا قتل الامير شلهوب فقبل الوالي وارسل من قتل شلهوبا وضبط جميع مقتنياته وعاد الامير يونس الى امارة بعلبك نتيجة لذلك • ومع ان الامير حسن بن الامير يونس استشفع بالامير علي الشهابي لدى الامير فخر الدين وطلب زوجته فاعطاه اياها ـ وكان اخذها منه حينما طرده من قب الياس ـ فانه لم يسكت عن ابيه لتحديه اياه بقتل الحاكم الذي نصبه والعودة الى الحكم عن غير طريقه واغتنم فرصة قدوم الصدر الاعظم الى حلب في اواخر سنة ١٦٢٣ م فسعى لديه وجعله يقبض على الامير الحرفوشي ويعتقله • وبعد قليل جاء الحسين ابنه مستعطفا فطمأنه وارجعه مسرور الخاطر ـ والتعبير لمؤلف الغرر ـ مما يفيد انه عينه حاكما على بعلبك كما كان ابوه قبل •

ومما ذكره الشدياق ان الوالي اعادالامير الى حكم سجقيتي عجلون وصفد واضاف اليه حكم سنجقيات غزة واللجون ونابلس فغدا سلطانه شاملا لجميع لبنان وجبل عامل ومعظم بلاد البلقاء وفلسطين • وقد اقام على ولاية البقاع ابنه الامير عليا وسنجقية عجلون ابنه الامير حسينا

وسنجقية اللجون ابنـه الاميـر منصورا وسنجقيـة نابلس مـدبره مصطفى [1] ...

ومما ذكره الشهابي [2] من الحوادث الهامة خبر عصيان الشيـخ عاصي من مشايخ بلاد نابلس في سنة ١٠٣٢ هـ ـ ١٦٢٢ م على مصطفى مدبر الامير فخر الدين الذي عينه متسلما لنابلس نتيجة لنزاع وخلاف قام بينه وبينه . وقد شجعه على العصيان الامير احمد بن طربية الحارثي امير اللجون لانه صهره ولان المتسلم اعتدى على قرية قباطية وغيرها مما كان تحت حكمه . وقد استنجد المتسلم بالامير فكتب الى محمـد آغا ابي شاهين [3] بان يأخذ عشيرته من بلاد عجلون ويذهب الى نابلس وكتب بمثل ذلك الى الشيخ احمد الكناني وارسل ثلة من جند السكمان وقد جرت مناوشات بين الشيخ عاصي وجماعته وبين القوات والمشايخ المذكورين ولم يستطيعوا ان يكسروا العصاة حتى تدخل الامير احمـد واجرى المصالحة بين الشيخ عاصي والمتسلم .

كذلك مما ذكره الشهابي والشدياق معا خبر رحلة للامير فخرالدين الى بلاد عجلون وصفد وفلسطين لترتيب امورها . وقد وقع في يد الامير كتاب ارسله الامير احمد الحارثي بن طربية للشيخ احمـد الكناني يحرضه فيه على التزام جانب الامير بشير قانصوه احد مشايخ العرب

---

(١) هذا السياق الطويل الذي يبتدء من خبر الجفاء والخلاف بين الاميرين المعني والحرفوش مقتبس من الغرر ص ٦٦٢ ـ ٧١٠ نسخة مفبغب واخبار الاعيان ص ٣٠١ـ٣١٨ وتاريخ الامير فخر الدين للمعلوف ص ٢٢٩ ـ ٢٣٦ وتاريخ بعلبك لمخائيل الوف ص ٦٨ ـ ٧٢ وبعض الاحداث المذكورة في السـياق وارد في بعض هذه المصادر دون بعض وهناك بعض التباين في الاحداث التي يذكرها المؤلفون الثلاثة غير انه ليس جوهريا من شأنه ان يخل بنسق السـياق .

(٢) ص ٦٨٣ ـ ٦٨٤ .

(٣) لعل هذا جد بيت شاهين في نابلس .

المناوئين للامير فتغير قلب الامير عليه وسير قوة للتنكيل به • وجرت اصطدامات بين هذه القوة وبين الامير احمد وجماعته وتساجل النصر بين الفوتين • وفي هذه الاثناء جاءته اخبار من لبنان عن حركات مناوئة فجعلته يعجل بالعودة • وقويت نفس الامير احمد فاخذ عربه يعيثون فسادا في حدود فلسطين الشمالية ويشنون الغارة على سواحل عكا ناهبين مخربين • وشغل الامير بمصاولات واشتباكات مع ابن سيفا من جهة والحرافشة من جهة اخرى فازدادت غارات عرب ابن طربية شدة وتفاقما • وحينئذ عاد الامير الى فلسطين لقمع هذه الحركة • ولكن ذلك لم يكن سهلا • حيث رأى ان محمد فروخ متسلم نابلس القديم الذي حنق من ذهاب المتسلمية من يده قد حشد حشودا وتواثق مع الامير احمد بن طربية في موقف المناوأة والازعاج • ومن ثم اخذت تقع بين الامير وبينهم وخاصة بينه وبين ابن طربية اشتباكات دموية امتدت مدة غير قصيرة وكلفت الامير جهودا ومتاعب وخسائر كبيرة • ومما وقع في سياق ذلك ان الامير نهض الى نهر العوجة فصادفه الامير محمد بن طربية بثلة من رجاله فنشب القتال بينهما وتمكن ابن طربية في جولة من الجولات من تشريد معظم قوة الامير حتى لم يبق معه الا عشرة من الفرسان • ثم جمع شمل رجاله وكر على جماعة ابن طربية فكسرها • وتكرر ذلك في جولات اخرى • وقامت في هذه الاثناء حركات تمرد ومناوأة في جهات صفد وعجلون فتشجع الامير الحارثي ابن طرباي في موقفه واخذ يزعج الامير وقواته ازعاجا شديدا • وأدرك الامير وابنه علي انهم قد تورطوا وان ذلك كان بسبب متسليمة نابلس وسوء سيرة المتسلم الذي نصبه عليها فسحبه ثم قتله ثم جنح الى المسايرة فجرت مراسلات بينه وبين ابن طرباي وتم الاتفاق في النهاية على رفع الامير سكمانه من برج حيفا وهدمه ومنع عرب الامير الحارثي من المخرقة في بلاد صفد مع تعهده بتأمين السبيل من بلاد صفد الى بلاد حارثة •

وبذلك ضمنت راحة البلاد . ومعنى هذا ان الامير تخلى بشكل ما عن جبل نابلس للامير الحارثي واعترف بامتداد حدود سلطته الى حيفا [1].

وفي سنة ١٠٣٤ ـ ١٦٢٤ ما ت يوسف سيفا خصم الامير فخرالدين الالد وكان في هذه الاثناء واليا لطرابلس وحكمه شاملا لعكار وجبله وحصن الاكراد والمرقب وما والاها يقوم عليها ابناؤه بالنيابة عنه . فتولى ابنه قاسم مكانه في طرابلس . غير ان الامير لم يدعه يهنأ فيها فجاء اليها بعد سبعة اشهر من موت ابيه واعمل فيها يد النهب ولم يكف عن ذلك الا بقدوم والي حلب . وقد فر قاسم منها فارسلت الدولة لها متسلما جديدا . وحاول بنو سيفا التعكير عليه فاستنجد بالامير فسارع الى نجدته فلم يسع بني سيفا الا الكف والمبادرة الى استرضاء الامير . وقد تخلوا له عن قلعتي الحصن والمرقب حتى رضي وجعل متسلم طرابلس يكف عن ملاحقتهم ويقرهم على ما بايديهم من اقطاعات خاصة [2] .

ولم يكد يعود من رحلته حتى جاءه اخبار باستيلاء احد مشايخ العرب الامير بشير بن قانصوه على عجلون وكان هذا من مناوئي الامير على ما مرت الاشارة اليه فسارع الى السفر ثانية الى بلاد البلقاء لئلا يتفاقم الامر . ولكن الامير احمد بن طربية تدخل في الامر وطلب من الامير التسامح والتساهل فاستجاب للطلب وتم الصلح على ان يكون الشيخ بشير حاكما على عجلون بالنيابة عن الامير حسين ابن الامير فخر الدين الذي كانت ولاية عجلون في عهدته اسميا [3] .

وفي سنة ١٠٣٥ جاء من الاستانة سلحدار السلطان يحمل للامير

---

(١) الشدياق ص ٢١٧ ــ ٢٢٣ . والشهابي ٦٨٨ ــ ٧١٠ .

(٢) المعلوف ٢٣٧ ــ ٢٤١ والشهابي ص ٧١٤ ــ ٧١٥ .

(٣) الشهابي ص ٧١٣ ــ ٧١٤ .

مرسوما سلطانيا بولاية عربستان من حدود حلب الى حدود العريش مع لقب سلطان البر [1] • وواضح من التحديد ان المقصود من تعبير عربستان في ذلك الوقت هو بلاد الشام أو ما نسميه اليوم سورية الكبرى • ولم يذكر الشهابي والمعلوف الذين ننقل عنهما الاسباب والظروف لهذا التوجيه السلطاني • وقد ابتهج الامير اعظم ابتهاج واعطى السلحدار (٣٠٠٠) ذهبة وارسل لخزينة السلطان (٢٠٠٠٠٠) ذهبة • ثم قام بعد قليل برحلة طاف فيها جميع البلاد التي وضعت تحت حكمه من الشمال الى الجنوب ، واهتم بنوع خاص لترميم القلاع والحصون التي ذكر منها المعلوف قلاع الشماميس ــ شمال حلب ــ وبعلبك وقب الياس وبانياس والمرقب وصرخد ، ثم لانشاء القصور والحدائق والفنادق • وكان عمال الدولة واعيان البلاد يقابلونه اين ما حل بالحفاوة العظمى ويقدمون له ما يلزم ركبه من المؤن •

ويستفاد من سياق الحوادث التي يسردها المؤرخان ثم من الفصل الخاص الذي عقده المعلوف على اعمال الامير والذي استند فيه الى كتب وتقارير افرنجية [2] ، أن الامير غدا في هذه الفترة التي امتدت نحو عشر سنين ١٠٣٥ ــ ١٠٤٤ هـ كملك مستقل يسير الحملات على العصاة والمتمردين والخصوم ويغير ويبدل في امراء الاقطاع عزلا ونصبا ويجبي الخراج والرسوم وكل ما كان عليه أن يقدمه للدولة مبلغ مقطوع يتراوح بين (٢٠٠٠٠٠) و (٣٠٠٠٠٠) ذهبة مع هدايا مالية لرجال الاستانة الكبار • وكان يتقاضى من امراء الاقطاع خرجا خاصا علاوة على المال المقطوع عليهم كما كان يتقاضى من المسيحيين واليهود ريالين عن كل فرد وريالا عن كل رأس من الماشية • وكان الرسوم التي يجبيها

---

(١) المعلوف ٢٢٨ والشهابي ٧١٦ •

(٢) المعلوف ٢٩٦ ــ ٢٤٨ •

من السلع الواردة نحو خمس قيمتها . وكان يبلغ ما يدخل لخزانته من كل ذلك نحو مليوني ذهب . وقد اهتم لتحسين احوال البلاد الاقتصادية والزراعية وتنمية مواردها وأنشأ كثيرا من المنشآت العمرانية والحربية وقوى جيشه عددا وجهازا . وكان عنده بعثات فنية اوروبية ساعدته على ما حققه من اعمال متنوعة عظيمة . ومن الاعمال التي ذكرت له اقامة الجسور على نهر الكلب وغرس حرش بيروت الصنوبري وتجفيف المستنقعات وتشجيع زراعة القطن والقنب والارز والزيتون وتربية المواشي وانشاء معامل للصابون والنسيج والصباغة والبارود وترميم وتجديد قصور عديدة في صيدا وبيروت واقامة سلسلة حصون وقلاع حول اقطاعاته الخاصة . وكان يعامل التجار الاجانب بكل رعاية ويسنحهم حرية التطواف في البلاد ويسبغ عليهم حمايته . وقد منح الطوائف غير المسلمة حرية واسعة حتى قال الدويهي في ذلك على ما نقله المعلوف [1] ، بالنسبة للنصارى انهم رفعوا رؤوسهم في عهده فاقاموا شعائرهم جهارا وبحرية وقرعوا الاجراس والنواقيس وحملوا الصليب امام الجنائز وعمروا الكنائس والاديار والصوامع وركبوا الخيل ولفوا الشاشات البيضاء ولبسو الطوامين والزنانير المسقطة (المطعمة بالذهب والفضة) وحملوا القسي والبنادق والسيوف المجوهرة ، وقدم المرسلون الافرنج فسكنوا الجبل . وكان اكثر عسكره من النصارى واكثر خدمه ومدبريه موارنة . واطلق الحرية لحاخامي اليهود الذين في فلسطين ولبنان وسورية في التصرف بما يحفظ لهم شعائر مذهبهم وعاداتهم حسب توراتهم وتلمودهم وتقاليدهم [2] . ووثق صلاته بتوسكانا وجدد معها العهود التجارية والعسكرية كما وثق صلاته بالقناصل الافرنج في الثغور البحرية واقتنى مراكب تجارية كانت تمخر

---

(١) ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .

(٢) نقل المعلوف هذا عن كاتب افرنسي اسمه روجه ص ٢٩٦ .

بين مياه لبنان وموانيء اوروبا استخدم فيها ملاحين بندقيين • وكان يقرض التجار الاموال ويشجعهم على الاعمال التجارية ، وأمن الطرق ومنع القرصنة الخ •••• ، مما فيه دلالة على ما كان من مطامحه وحيويته •

ومما ذكره المعلوف [١] من الاحداث التي جرت في هذه الفترة ان الغلاء اشتد في دمشق في السنة التي صار فيها سلطانا على جميع البلاد فارسل سكانها يشكون اليه امرهم فبادر حالا الى ارسال الفي حمل حنطة في اليوم الاول ومثلها في اليوم التالي وجمع جمال حوران ودوابها وامر اصحابها بنقل الحنطة الى دمشق ففعلوا وامر المنادين بالمناداة عن امر الامير ان يكون رطل الخبز بقطعتين فكان كذلك وانفرج كرب الناس •

ومما اورده المعلوف [٢] نقلا عن مخطوطة ان الخلاف استفحل في سنة ١٠٣٧ بين جماعات النصارى بسبب تحزب كل منها لمرشح البطركية فعقد الامير ـ الذي وصفته المخطوطة بحاكم العرب من كرك الشوبك الى جبل انطاكية الشام ـ مجمعا في دير سيدة رأس بعلبك أنهى فيه الخلاف وسكّن الاضطرابات التي اقلقت راحة الطائفة عدة سنوات وسبب لها خسائر فادحة وذلك بتثبيت أحد المرشحين وقطع الثاني الذي لم يلب الدعوة الى المجمع • ثم ارسل من احضره بالقوة من دمشق مكبلا بالحديد وارسله منفيا الى مغارة الراهب قرب الهرمل حيث بقي فيها الى ان مات •

وقد ذكر المعلوف [٣] ان الامير اتخذ سنة ١٠٤٢ هـ بيروت حاضرة

---

(١) ص ٢٤٥ وذكر هذا الشهابي ايضا ص ٧١٦ •

(٢) ص ٢٤٧ ـ ٢٥١ •

(٣) ص ٢٥٥ •

لولايته الواسعة وبذل جهوده في ترقيتها وتوسيع نطاق عمرانها وشيد فيها قصرا وبرجا وحديقة .

ومع كل ما تقدم فقد ذكر المعلوف [1] بعض اخبار عجيبة . حيث قال . انه كان في طرابلس وال اسمه مصطفى باشا عزل سنة ١٠٣٦ وعين مكانه آخر اسمه ابراهيم باشا ، وان الصدارة العظمى ولت سنة ١٠٣٧ الامير محافظة ايالة طرابلس مع ان المفروض ان طرابلس كانت ضمن نطاق حكم الامير الشامل منذ سنة ١٠٣٥ ! ومن هذا القبيل ما ذكره من وجود وال في الشام في سنة ١٠٣٩ اسمه كوجوك احمد باشا (الكوجوك بمعنى الصغير) وانه عزل ثم اعيد الى الولاية سنة ١٠٤٢ هـ وقد نقل عن تاريخ الناصرة ان الامير طربية بن علي الحارثي حاكم اللجون كان مناظرا للامير فخر الدين (والسياق يفيد انه كان مناوئا له) وانه استولى على قسم كبير من الجليل والسامرة وساحل البحر من حيفا الى يافا وكان دخله ١٧٠ الف ذهب يدفع منها للخزينة ٢٤٠٠٠ وانه ضايق رهبان الناصرة نكاية بالامير فخر الدين وسجن احدهم سنة ١٦٣٢ م ــ ١٠٤٢ هـ ولم يكف عنهم حتى دفعوا له الجزية [2] . حيث يفيد هذا ان الامير الحارثي كان خارجا عن نطاق الامير المعني أو مشاققا له وغير عابىء بسلطانه الرسمي عليه .

والتعليل المعقول لهذه الاخبار التي تبدو مناقضة لشمول سلطان الامير لجميع بلاد الشام وقوة هيبته وسلطانه ان يكون توجيه هذه البلاد عليه كان من قبيل جعله ملتزما مسئولا عن الاموال الاميرية وان ما مارسه الامير من سلطان ونشاط كان مستمدا من هذه الصفة

---

(١) ص ٢٤٠ ــ ٢٧٦ .

(٢) ص ٢٦٣ .

بالاضافة الى ا كان لــه من شخصية قويــة ومــا كــان عنــده مــن طموح .

ومهما يكن من امر هذه النقطة فنتجاوزها لنقول ان خصوم الامير المعني ازدادوا حقدا وظلوا يوالون شكاياتهم للاستانة ضده ويخوفونها من نواياه ويستغلون ما كان من تسامحه مع الاجانب والنصارى واليهود وصلاته بالقناصل وفتحه باب البلاد للمرسلين المبشرين وتحصينه القلاع والحصون حتى اثاروها في النهاية فامر السلطان بتجريد حملــة قويــة لايقاف نشاط الامير واعتقاله وسوقه للاستانة وخرجت الحملة وعلــى رأسها الصدر الاعظم خليل باشا . وكان والي الشام كوجوك احمــد متزعما لحركة الشكاوى والتحريض ضد الامير ـ وقد كان على ما يقوله المعلوف من رجال الامير ويستخدمه في جباية الاموال ثم غضب عليــه ففارقه محنقا الى الاستانة وبذل جهوده وبراعته في اثارة مخاوف رجالها حتى جعلهم يعينونه واليا للشام [1] . فلما جاء أخذ يمعن في عرقلةمصالح الامير ولما جاءت الحملة زحف على رأسها لان الصدر الاعظم رأى ان يقيم في حلب مترقبا . ولما نمي الخبر الى الامير فكر في احاطة نفسه

---

(١) ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ ولقد قرأنا ترجمة احمد الكوشوك في الجزء الاول من خــلاصة الاثر للمحبي المتوفي سنة ١١١١ هـ (ص ٢٨٥ ــ ٢٨٨) فلم نره يذكر انه كان من رجــال الامير فخر الدين ولكنه قال انه كان خاملا في بدء أمره (أي مغمورا) ثم نهض به الحظ حتى نال رتبة بيلربي (ومعنى الكلمة امير الامراء وصاحبها يتلقب بلقب باشـا) وولي حكومة سيواس ثم صار حاكما لدمشق سنة ١٠٣٩ وعزل عنها وولي حكومة كوتاهيه ثم أعيد ثــانية لولاية الشــام سنة ١٠٤٢ هـ وخلع عليه السلطان خلعة الوزارة وعينه لقتال الامير فخرالدين ابن معن وكان خرج عن طاعة الســلطنة وجاوز الحد في الطغيان وأنشأ كثيرا من القلاع وجمع من طائفة السكمان جمعا عظيما وبالجملة بلغ مبلغا لم يبق وراءه الا دعوى السلطنة . وكانت وفاة الكوشوك في سنة ١٠٤٦ هـ في أحدى معارك الحرب العثمانية العجمية التي ارســل للاشتراك فيها وارسل رأسه الى دمشق فدفن في تكية كان انشأها بالقرب من قرية القــدم ووقف عليها قرى من ضواحي صيدا وبعلبك كانت لفخر الدين المعني .

بالحصانة ففرق عساكره على القلاع التي أنشأها حول اقطاعاته الخاصة (جبل الشوف) •

وكان هذا التدبير مضعفا له لانه لم يبق حوله من الجند ما يكفي للدفاع اذا ما وصلت الحملة اليه ونشبت المعركة بينها وبينه • وكان زعماء اليمنية في الظاهر خاضعين له ايام قوته فلما جاءت الحملة سارعوا الى الانضمام اليها ولم يبق معه الا الامير احمد الشهابي حاكم وادي التيم الذي جاء برجاله • ولما بلغت الحملة اطراف جبل لبنان اخذت تعمل يد التدمير والبطش والارهاب • وكان علي ابن الامير يتولى بلاد صفد فاستدعاه ابوه مع رجاله فبادر مسرعا فالتقى بالحملة في طريقه واشتبك معها فدارت الدائرة عليه وقتل بعد ان قاتل قتال الابطال على ما ذكره المحبي في ترجمته (ج ١ ص ٣٨٥) • وقد ضعضع هذا الحادث المفجع الامير ضعضعة شديدة ، وكان ارسل الى امير توسكانا يطلب منه مددا وسلاحا فتأخر فرأى أن يلجأ الى قلعة نيحة الشوف المعروفة بشقيف تيرون الى ان يرد اليه المدد فذهب اليها هو واولاده ونساؤه وبعض أخصائه واختبأ أخوه يونس في دير القمر وولدا اخيه يونس ملحم وحمدان في برج دوبه في جبل عامل وابنه حسين في قلعة المرقب مع مدبره ابي نوفل الخازن • وفي نفس الوقت الذي كانت الحملة تضيق فيه الخناق والدائرة على الامير جاء الاسطول العثماني فضرب الحصار على بيروت ــ لمنعه من الافلات بحرا كما فعل في المرة السابقة على ما هو المتبادر [١] ــ وارسل قائد الاسطول بعض عسكره الى قلعة المرقب فاعتقلوا حسينا ابن الامير مع مدبره • واهتدى كوجوك احمد بعد بحث طويل الى مخبأ الامير فسار اليه وضرب على القلعة

---

(١) اورد المعلوف ترجمة تقرير ارسله مندوب توسكانا الى سيده يشرح فيها حالة الامير ومحنته ومطاردته وحصاره في مخبأه ويقول ان الامير طلب ارسال مركب على الاقل للنجاة عليه مع اولاده ص ٣٧٣ ـ ٣٧٦ •

الحصار وافسد مياهها فضاق بالامير الامر فخرج سرا من القلعة الى مغارة جزين التي كانت مخبأ أبيه من قبل وعرف الكوجوك فضرب الحصار على المغارة وامر النقابين بنقبها وهدد الامير بنسفها بالبارود اذا لم يستسلم فغلب على امره واستسلم هو ومن معه من اولاده ونسائه وخاصته • ثم تمكن الكوجوك من القبض على أخيه يونس وابني اخيه ملحم وحمدان وطلب منهم فدية فارسل يونس ابنه ملحما لاحضار المال ففر الى عجلون ملتجئا الى الامير ابن طربية الحارثي فأثار فراره الكوجوك وجعله يقتل أباه واخاه في السجن • وعاد الكوجوك الى دمشق ومعه الامير واولاده منصور وحيدر وبلك ونساؤه والشيخ ابو نادر الخازن مدبره فاودعهم في سجن القلعة ، ثم عاد الى لبنان فاستولى على قلعة نيحة ثم صادر اموال الامير وذخائره واسلحته واملاكه وكانت وافرة جدا وكان له عقارات كثيرة في صيدا وبعلبك وحاصبيا وراشيا فوهبها السلطان للكوجوك فحبسها على تكية باب الله في دمشق • وقد ولى الامير علم الدين زعيم اليمنيين ولاية لبنان فنشط الى مطاردة ومصادرة القيسيين بشدة وقسوة •

وفر بعض بني الخازن الى توسكانة فضبط ارزاقهم واملاكهم • واقتيد المرسلون الفرنيسكان من صيدا الى الاستانة بحجة تنصير الامير •

ولما وصل الامير الى الاستانة وقابله السلطان وأنبه اجابه اني مظلوم واني ما جمعت الرجال الا بامر الوزراء والنواب ولم ابن القلاع الا للدفاع عن البلاد وما قتلت الا الخارجين على طاعة الدولة واستوليت على حصونهم لاسلمها للدولة وأديت الاموال في أوقاتها وأيدت الشريعة الشريفة وحافظت على سننها وقوانينها • واستحلفه السلطان فحلف له على صدقه فتأكد من تحامل الوالي عليه وابقاه مكرما في الاستانة غير مأذون له بمغادرتها •

وجاءت وشايات ضده بانه تنصر وانه كان يشجع على التبشير فاستدعاه السلطان وسأله فنفى ذلك . وبدت عند السلطان رغبة في اعادته الى بلده وولايته . وبينما كان يتأهب للعودة جاءت الاخبار بان ملحما ابن اخيه رجع من مخبأه وجمع رجاله القيسيين ونهب مدن بيروت وصيدا وصور وعكا وقتل مدبر الكوجوك احمد وفتك بالسكان فتكا ذريعا فأثار ذلك غضب السلطان وامر بقتل الامير مع اولاده الثلاثة وكان ذلك في نيسان سنة ١٦٣٥ م ١٠٤٥ هـ [١] .

ولقد اشتد نشاط ملحم الذي وصلت اخباره للاستانة وكان سبب قتل الامير واولاده واستطاع ان يجمع انصاره وان ينكل بخصومه وان يزيح آل علم الدين عن الشوف وان يستأنف حكمه عودا على بدء . وكان الكوجوك احمد قد توفي [٢] وهدد الوالي الجديد ملحما فراوغ وصمد . وفي هذه الاثناء خلع السلطان العثماني وقتل وتبدلت الوزارة فارسل الامير ملحم هدية الى الصدر الجديد مقدارها ثلاثون الف قرش مع رسول خاص فصفا خاطر الدولة عليه ــ على حد تعبير الشهابي [٣] ــ وجاءه مرسوم باقراره على جبل الشوف وملحقاته ثم مد سلطانه الى الغرب والجرد والمتن وكسروان .

وفي سنة ١٠٦٠ خرج والي الشام غازيا جبل الشوف ــ ولم يذكر المعلوف الاسباب ــ فخرج ملحم الى لقائه والتقى العسكران

---

(١) هذا السياق مقتبس من المعلوف ص ٢٥٨ ــ ٢٧٦ والشهابي ص ٧١٨ ــ ٧٢٠ .

(٢) سافر الى حرب المسكوب وقتل فيها في السنة التالية .

(٣) الشهابي ص ٧٢٧ .

(٤) يروي الشدياق الخبر بشكل آخر محصلة ان الامير ملحم لما استرد الولاية من الامير علي علم الدين ذهب هذا الشام شاكيا فارفقه بعسكر ــ والوالي لم يخرج بنفسه ــ وخرج ملحم الى لقائه مع حلفائه الشهابيين واشتبك معهم في وادي القرن وهزمهم وجرح علي وعاد مخذولا فتلقاه الوالي بالحنق وأتهمه بالغدر وسجنه ص ١١٠ ــ ١١٦ اخبار الاعيان .

في وادي القرن فكتب النصر لملحم وانهزم الوالي وعساكره وغنم ملحم منهم الكثير من السلاح والعدد • ثم تولى الشام وال جديد تقرب اليه الامير ملحم بالهدايا فارضاه • وارسل اليه سنة ١٠٦٥ مرسوما باقراره على ما في يده مع سنجقية بلاد صفد • وقد ظل على صلات ودية حلفية مع الامراء الشهابيين والمشايخ الخوازنة والحبيشيين كما كان الامر في عهد عمه • وولى الشيخ ابا نادر الخازن الذي اطلق سراحه بعد قليل من اسره حكم بلاد كسروان • وابقى كذلك على ما كان عليه بين امير توسكانا وعمه من علاقات تجارية واقتصادية وظلت المراسلات مستمرة بينه وبين اميرها •

وقد نجا حسين ابن الامير الذي اسره قائد الاسطول من قلعة المرقب وارسله الى الاستانة من القتل لصغر سنه ثم صار موضع رعاية وعناية فادخل المدارس وتعلم وتثقف ، ثم صار من رجال سراي السلطان وتولى مناصب رفيعة فيها والف بعض الكتب • وعين سفيرا للهند في عهد السلطان محمد الرابع وزار في طريقه بلاد الشام وعرض عليه ابن عمه الولاية فابى [1] •

وتوفي الامير ملحم سنة ١٠٧٠ هـ ١٦٥٩ م وخلف ولدين وهما قرقماس واحمد فتوليا الحكم معا وسارا على خطط ابيهما وعمهما من قبل في الاهتمام بتنمية موارد البلاد الاقتصادية والتسامح مع النصارى واليهود وادامة الصلات مع توسكانا والقناصل الاوروبيين مما كان يستغله خصومهما للدس عليهما وتعريضهما للغضب والنكال •

ولقد بدا منهما اهمال في توريد الاموال المقررة فسيرت حملة عليهما بقيادة احمد باشا الكوبرولي وانضم الى حملته باشاوات غزة وطرابلس الشام وآل علم الدين والاحزاب اليمنية الذين وجدوا في

---

(١) المعلوف ٣٢٩ — ٣٣٠ والشهابي ص ٧٢٨ •

الحركة فرصتهم المنشودة • واجتمع الاميران المعنيان والشهابيون وانصارهم القيسيون ففرروا التواري • وحينئذ ولى الكوبرولي الشيخ سرحال العماد بلاد الشوف • واولاد علم الدين بلاد المتن والجرد والغرب ولما بلغه ان المعنيين مختفون في كسروان طلب من والي طرابلس مطاردتهم واعتقالهم ولكنهم استطاعوا الافلات وهرب الشهابيون الى الجبل الاعلى • وظلت المحنة عليهم الى سنة ١٠٧٣ حيث عين وال جديد على صيدا فكتب للاميرين المعنيين بالامان ودعاهما اليه فلما جاءا غدر بهما فقتل قرقماس وتمكن احمد من الفرار والاختباء • واتصل من مخبأه بانصاره واتفقوا معه على النهوض وفي سنة ١٠٧٥ اشتبكوا مع اليمنيين الذين كانوا بزعامة آل علم الدين في الغلغول فكانت وقعة عظمى من وقائع اليمنية والقيسية انتصر فيها القيسيون وعاد الامير احمد نتيجة لذلك الى حكم بلاد الشوف والمتن والجرد والغرب وكسروان كما كان وفر اولاد علم الدين الى الشام • واتسق امره الى سنة ١٠٩٢ حيث تعرض مرة ثانية لغضب الوالي فاختفى في وادي التيم وولى الوالي ابناء علم الدين مكانه • وظلت محنته ممتدة ست سنين الى ان تبدل الوالي وجاء والي جديد نال رضاءه فعاد امره الى الاتساق مرة ثانية وظل كذلك الى سنة ١١٠٦ حيث تعرض لغضب والي طرابلس لانه آوى جماعة الحماديين الذين كان الوالي غاضبا عليهم واستصدر امرا بعزله وتولية موسى علم الدين مكانه واصدرت الاستانة اوامر الى ولاة الشام وحلب وصيدا وغزة بمساعدة والي طرابلس على تنفيذ الامر وانفض عنه بعض انصاره من القيسيين خوفا ورهبة فاضطر الى الاختفاء أيضا • وتوجه موسى علم الدين ومعه بعض عساكر الدولة الى دير القمر لتولي حكم بلاد الشوف • وبعد قليل انصرفت العساكر وظهر الامير احمد في وادي التيم فكبر الوهم على ابن علم الدين — والتعبير للشهابي — وفر الى صيدا فعاد الامير احمد الى بلاده ثانية •

وفي سنة ١١٠٩ وافته منيته في دير القمر ولم يكن له عقب ذكر فاجتمع اعيان الشوف وقرروا تنصيب الامير بشير الشهابي مكانه . وكان هذا امير راشيا وابن شقيقة الامير احمد . ووافق الوالي على ذلك وكتب للاستانة غير ان امر الاستانة جاء بان تكون الولاية للامير حيدر بن الامير موسى امير حاصبيا لانه ابن بنت الامير احمد وهو أحق بالامارة على ان يكون الامير بشير نائبا ووصيا الى أن يبلغ حيدر أشده . وكان ذلك باشارة من الامير حسين بن الامير فخر الدين الذي كان اخذ اسيرا الى الاستانة وتربى فيها وتقدم حتى صار له كلمة مسموعة في بلاط السلطان فجرى الامر على ذلك . وهكذا انتهى عهد بني معن ودولتهم ، وان كان الحكم الشهابي الذي قام بعدهم يعد من ناحية ما امتدادا لدولتهم . ولكننا نفضل ان نرجىء سيرة هذا الحكم لفصل سيرة بني شهاب لانها الصق بها على كل حال [١] .

وهكذا انتهى حكم هذه الاسرة العربية بعد نشاط امتد ستة قرون يضيق حينا ويتسع حينا . وكان الامير فخر الدين الثاني المع نجومها بل المع نجوم حكام العرب في بلاد الشام واوسعهم نطاق سلطان ونشاط . وقد جمع له كفالة جميع بلاد الشام مما يعرف اليوم بسورية الكبرى وسلطانها مما لم يجمع لمثله قبله وبعده . ول وكان ذلك لفترة قصيرة . وقد جمع له في معظم عهده حكم وسلطان مايعرف اليوم بلبنان الكبير ايضا وكانت عاصمته بيروت كما هي اليوم مما لم يجمع لمثله قبله وبعده ومما يصح ان يقال في مناسبته ان لبنان الكبير الحالي لم يعش فيالتاريخ في ظل حاكم محلي واحد قبل عهد الجمهورية اللبنانية الحاضرةالا فيظله . حيث كان قبله ثم صار بعده الى آخر الحكم العثماني مجزءا كل جزء منه تحتحكم حكام محليين اقطاعيين وحيث كان الاشراف عليهم متوزعا

---

(١) سياق سيرة ملحم وقرقماس واحمد مقتبس من المعلوف ص ٤٠٥ ـ ٤٠٨ والغرر الحسان ص ٧٢٠ ـ ٧٤٥ .

بين ولاة الشام وطرابلس وصيدا .

هذا ، وواضح من خلال السيرة ان المعنيين كانوا يمني النعرة ثم صاروا قيسيين في اواخر القرن العاشر واستمروا كذلك الى النهاية ، وان النعرة اليمنية والقيسية في عهدهم بلغت ذروة شدتها وكانت الناظمة القوية لحركة الحكم في لبنان والتشاد والتدافع والتجاذب حوله . أما نحلة المعنيين الدينية فليس هناك ما يسمح بالجزم فيها . ولقد كانوا في بيئة التنوخيين الدرزية ، وكان الدروز يؤلفون معظم رعايا اقطاعاتهم الخاصة . وكانت لهم صهارة متوالية مع الامراء التنوخيين فمما يدخل في نطاق الاحتمال ان يكونوا قد انتحلوا النحلة الدرزية . ولقد قال المحبي في الجزء الثاني من كتابه « خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر » في سياق ترجمة الشاعر محمد الطالوي الارتقي الدمشقي الحنفي « انه لما توجه من دمشق الى الروم ـ يريد بلاد الاناضول ـ اجتاز بثغر صيدا وحاكمها اذ ذاك الامير فخر الدين المعني وكان معه كتاب توصية من محافظ الديار الشامية شريف باشا فاوصله اليه مع قصيدة مدحه بها مطلعها :

قل لمجري الجياد قب البطون   واميـر البـلاد فخر الـدين

وكان معه غلام كالبدر لولا أفوله فاغتصبه منه فكتب الى شريف باشا يستعديه عليه قصيدة مطلعها :

بـالله يـا نشر العبيـر   سيـري بروضـات الولـى

جاء فيها فيما جاء :

ثم اشـرحي من حـال   مـولاه المحـب الطـالـوي
مـاذا لقي في ثغر صيـدا   مـن دروزي غـوي
دين التنـاسـخ دينـه   لا بـل يـدين بكـل غـي
ويـرى الطبـائـع انهـا   فعّالـة فـي كـل شيـي

وقد نعت المحبي الامير فخر الدين في هـذا السياق بقوله انـه

الامير الدرزي المعروف • وفعل مثله المرادي في سلك الدرر [١] حيث نعت المعنيين بالدروز •

وكل هـذا يقوي ذلـك الاحتمال كما هو المتبادر • على ان هناك ما يضعفه ايضا • فقد ذكر المؤرخ الخالدي الذي كتب سيرة الامير فخر الدين في أثناء هجرته الى اوروبا انه كان له في منزله مسجد بمأذنة وكان له امام يقيم له الصلاة • وهذا الطراز التعبدي ليس مأثورا عن الدروز • وقد ذكر المؤرخ المرادي ان الامير حسين بن الامير فخر الدين نفى عن ابيه الدرزية • ومن المحتمل ان تكون نسبة الدرزية الى الامير آتية من كون معظم سكان جبل الشوف الذي كان اقطاعه الخاص دروزا حتى ان جبل الشوف كان يسمى جبل الدروز • وكان اميره يسمى امير الدروز على ما ذكره المحبي في الجزء الاول من كتابه خـلاصة الاثر في سياق ترجمة ابراهيم باشا وزير السلطان مراد العثماني • وقـد استمرت هذه التسمية الى عهد الشهابيين الذين ورثوا حكم بني معن حيث كان الامراء الشهابيون يسمون امراء جبل لدروز على ما جاء اكثر من مرة في كتاب الامير حيدر الشهابي وفي مراسيم الولاةوالسلاطين[١] •

بقيت مسألة النصرانية التي الصقت بالامير فخر الدين نفسه دون أسرته وذريته حيث ذكر المعلوف [٢] ، ان الاب هيلار الكبوشي في كتابه « فرنسة الكاثوليكية » ان الامير مرض سنة ١٠٤٣ ــ ١٦٣٣ وأدنف فاستقدم الاب ادريان فخاف هذا ان يموت ولا يتنصر فنذر وصلى لشفائه واقنع الامير بانه سيشفى اذا تنصر فتردد الامير واعـاد الاب عليه الكرة حتى قنع ورضي بالتعمد فعمده وسماه لوي فرنسوا واعفاه بامر بابوي من الواجبات التي تفرضها الكنيسة على المتنصر فصـار

---

(١) ج ٢ ص ٥٩ •

(٢) انظر مثلا ص ٤١٨ من الغرر الحسان الجزء الثاني والثالث ـ المجلد الاول نشر رستم والبستـاني •

(٣) ص ٢٤ ـ ٢٦ •

الامير نصرانيا ولم يسمح لاحد أن يدخل عليه غير الاب ومدبره الشيخ ابو نادر الخازن • وقد أحب الامير الاب حتى انه لما عاد ابنه من صفد قال له امام الحاضرين تقدم يا بني وعانق هذا الراهب الذي كان السبب في رجوعي الى الحياة واظهر الامير رغبته في ان يكون اولاده مسيحيين وألح على نقلهم الى بلاد النصارى على مراكب مالطية كي يتربوا على الدين المسيحي • والنفس لا تثق كثيرا بما يكتبه المبشرون الافرنج • ويلحظ ان التاريخ الذي ذكره الكبوشي هو تاريخ محنة الامير الاخيرة وتحصنه بالشقيف • وقد ذكر المؤرخون ان ابنه عليا جاء من صفد واشتبك مع حملة الوالي كوجوك احمد وقتل ولم يلتق بابيه • ولايذكر المعلوف أو غيره ان عليا زار اباه •

ولقد نقل المعلوف [1] عن مؤرخ افرنسي اسمه روجه ان المعني كان مسلما في الظاهر نصرانيا في السر • ونقل عن كاتب آخر اسمه البارون كارادينو [2] ان المعني وان لبس العمامة فانه كان يشارك المسيحيين سرا في اقامة شعائرهم الدينية ولا يذهب للجامع الا مرة في السنة • وهذه اقوال ملقاة جزافا بغير سند ولا يصح الاخذ بها كما هو المتبادر • ولقد روى المعلوف عن روجه هذا ان السلطان قال للامير ان جميع المسلمين يشكون منه لانه يحتقر شريعة النبي ويهمل الذهاب الى المساجد ولاتفاقه مع المالطيين والليغوريين ــ يقصد التوسكانيين ــ ولاهانته المسلمين وتعضيده للنصارى عليهم • وهذا الكلام مرسل كالسابق ولا يصح الاخذ به مثله •

بقيت هناك وثيقة عجيبة يورد المعلوف نصها ويقول ان مجلة المنارة نشرتها وهي من مجموعة براآت العيني وهي خطاب موجه من مطران الموارنة في قبرص جرجس مارون الى البابا • وهذا نصها كما اورده

(١) و (٢) ص ٢٩٦ •

(١) و (٢) ص ٢٩٦ •

المعلوف [٣] .

ان سعادة امير صيدا قد حمله حبه الشديد للديانة المسيحية وبغضه المغروس ضد الشيعة المحمدية على الرغبة في الاتحاد مع قداستكم وغراندوق توسكانا برباط غير منحل وباتفاق دائم ولاجل ذلك يتعهد بالامور التالية :

١ ــ أن يمد الجيش المسيحي بالرجال والمؤن في كل مرة ترسل قداستكم وغراندوق توسكانا عسكرا لفتح قبرص والقدس .

٢ ــ وان يعطي العسكر المسيحي ميناء أو اكثر يلجأون اليها وقت الحرب .

٣ ــ وان يملكهم مدينة القدس ويمد لهم دائما يد العون والمساعدة .

٤ ــ ويعد بأن يسمح لجميع مرؤسيه بان يعتنقوا الايمان الكاثوليكي ويكون هو اول من ينادي به مسيحيا ويجعل عائلته تتعمد .

٥ ــ وقد أشاد لاجل هذه الغاية عدة كنائس للمسيحيين ورمم اخرى على نفقته وامر بطرك الطائفة المارونية وسائر الاساقفة بان يعملوا نفس العمل .

٦ ــ وهو يعد ايضا بأن يرعى حرمة الولاية الكنائسية في كل مملكته ويعفي جميع الاكليريكيين والكنائس واملاكها من كل الرسوم والضرائب والجزية .

٧ ــ ويعد بان لا يقبل عهدا أو معاهدة أو عقدا معروضا عليه من السلطان أو وزرائه قبل ان يعلم بذلك قداستكم وسموه ويسير بمقتضى حكمكم .

٨ ــ ويعد بان يعطي لقداستكم ولسعادته رهنا حسب رغبتكم

---

(٣) ص ٢٦٥ ــ ٢٧٢ .

(١) ص ٢٦٥ ــ ٢٧٢ .

للمحافظة على الوعود المذكورة .

٩ ـ ويعد بان يجعل باقي امراء العرب يبرمون عهدا مع الجيش المسيحي . وهذا سهل عليهم بسبب القرابة والزواج المعقود بينهم ، والربح العظيم الذي يحصلون عليه من الاتحاد المار ذكره .

ويطلب الامير منكم الامور التالية :

١ ـ ان ترسلوا قداستكم ودوق توسكانا عمارة مؤلفة من خمسين بارجة على الاقل وتأخذوا جزيرة قبرص والامر سهل لقلة الاتراك الموجودين في الجزيرة وضعف اسلحة السلطان فيها وتفاقم جور الترك والظلم على اهل الجزيرة . وسيثير هو وملك العجم حربا على الترك ويحركون امراء كثيرين على الدولة .

٢ ـ ان ترسلوا اليه مهندسين ورجالا خبيرين في الحروب وانشاء المعامل .

٣ ـ ان تعطوه مدافع وبارود وكلل (قنابل) لمقاومة العدو .

٤ ـ ان تعدوه بالتعضيد بحرا لدى نشوب الحرب .

ثم يلح المطران على البابا بضرورة ابرام هذا الاتفاق الذي سيكون انتصارا عظيما له ويقول : أي مجد يمكن ان يكون أعظم من أن يعلن سعادة امير صيدا نفسه مسيحيا وان تتسابق شعوبه الى اعتناق الايمان الكاثوليكي وان يرتفع الصليب المقدس في تلك الاصقاع التي كان فيها محتقرا من اعدائه وان يتمجد المسيح وينتصر في مدينة القدس هذا فضلا عن ان ذلك سيكون وسيلة لاخضاع الشرق كله وتمرد الامراء وانضمامهم الى كنفكم وحمايتكم .

وقد اورد المعلوف نص رسالة من المطران نفسه مؤرخة بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٦٣٤ ومكتوبة في روما وموجهة الى غراندوق توسكانا حول المعاهدة التي اقترح عقدها بين الامير والبابا يقول فيها ان البابا امره بالكتابة اليه واتمام المحادثة في شأنها . حيث يبدو ان

البابا اطلع الدوق على خطاب المطران واشركه في الامر • ثم قال المعلوف ــ ويبدو ان كلامــه مقتبس من وثائق وسجلات رسمية ــ ان الدول تذاكرت في امر المعاهدة وابرامها وتعاطت في شأنها اكثر من ٣٤ رسالــة لا تزال محفوظة في خزانة مكتبة ــ فلورنسة ولكنها لم تتمكن من ابرامها بسبب ما رأته من استعداد الدولة العثمانية برا وبحرا لمقاومــة الامير المعني وخضد شوكته ولانشغالهــا بالحرب المعروفة بــالحرب الثلاثينية • وقد أدى هذا الى تأخر النجدة على الامير واضطراره الى الاعتصام بقلعة شقيف حيث حوصر واعتقل ثم قتل [1] •

وهذا وذاك يؤيدان صحة خطاب المطران الى البابا الذي يعد فيه بلسان الامير ما يعد ويطلب فيه ما يطلب •

ولقد كتب هــذا الخطاب على ما يبــدو في ظروف محنة الامير وحصاره • غير انه لا يحتوي تقريرا صريحا بنصرانيته • ومع ان مــن المحتمل ان يكون قد كتب بعلم الامير وموافقته فان المحتمل ايضــا ان لا يكون اطلع على نصه ــ بل هذا ما نرجحه ان لم نقل نجزم بــه لاننا نرجح ان يكون المطران اتصل بالامير او الامير اتصل بالمطران بواسطة رسل حيث كان المطران يقيم في قبرص ــ وان يكون ما وعــد المطران فيه بلسان الامير من وعود عجيبة وخطيرة مقابل حصوله علــى المساعدة والسلاح والبارود والمدافع والقنابل والخبراء هو تحمس منــه واجتهاد بان الامير في محنته يمكن ان يرضى بذلك مقابل حصوله على تلك المساعدات • ومن الرسالة المكتوبة في روما من المطران والموجهة الى دوق توسكانا يبدو حماس المطران حيث ارتحل الى رومــا واخــذ يلاحق الامر بنفسه •

---

(١) المعلوف ص ٣٦٥ ــ ٣٧٢ •

ولقد رأينا المعلوف الذي أحاط بسيرة الامير وقرأ ما كتبه فيها كتاب العرب والافرنج لا يستطيع الجزم في امر نحلته فيكتفي بايراد الاقوال والروايات التي تقول بنصرانيته وبدرزيته وباسلامه ثم يقول والله اعلم بالصواب . ومن الجدير بالذكر ان الشدياق والشهابي لايذكران شيئا مما روي عن درزية الامير ونصرانيته وسياقهما يدور في نطاق انه هو واسلافه وخلفاؤه مسلمون سنيون .

(١) ص ٢٥ — ٢٦ .

استطراد الى التعريف
بيني عساف وبني سيفا

– ١ –

في سيرة بني معن السابقة لهذا الاستطراد ورد ذكر امراء بني عساف وبني سيفا اكثر من مرة . والاولون من الارومة التركمانية ـ التركية . والآخرون من الارومة الكردية . غير ان كيانهم وبروزهم كان اقطاعيا محليا مثل الارومات العربية في لبنان التي شرحنا سيرتها من جهة ، وكانوا يندمجون في احداث البلاد والارومات الاقطاعية العربية ونعراتها القيسية واليمنية من جهة ، وكانوا منطبعين بطابع العروبة من جهة . وهذا ما جعلنا نرى من المفيد ان نستطرد الى شرح سيرتهم مجملة في هذه النبذة .

ووجود كلتا الارومتين في منطقة طرابلس ولبنان الشمالية ممتد الى ما قبل القرن الثالث عشر الميلادي . ويقول الشدياق في الفصل الدي عقده على اخبار بني عساف في اخبار الاعيان [١] ان الملك محمد الناصر ـ احد ملوك مماليك الترك ـ امر سنة ١٣٠٧ تركمان الكورة بالنزول الى ساحل كسروان للمحافظة عليه من الافرنج ، وقد جعل دركهم ـ نطاق حراستهم ودفاعهم ـ من حدود انطلياس الى مغارة الاسد وجسر المعاملتين ، وكان المرتب منهم لهذه الحراسة ثلاثمائة فارس

(١) ص ٣٤٦ .

مقسمين الى ثلاثة ابدال أو ثلاث نوبات ، فيتولى كل مائة منهم الحراسة ضمن هذه الحدود شهرا •

وقد اتخذوا زوق العامرية وزوق الخراب وزوق مصبح وزوق مكائيل [١] مواطن لهم • واتخذ امراؤهم موقعي عين طورا وعين شقيق مقاما لهم للصيف وللشتاء وانشأوا فيهما الدور والبساتين ، وفي سنة ١٣٤٥ م امر امير الامراء ــ وهذه صفة نائب بلاد الشام ــ امراءهم بالسكنى في بيروت •

وهذا يعني ان العشائر التركمانية التي ينتسب اليها العسافيــون كانت موجودة كما قلنا في الكورة قبل سنة ١٣٠٧ بامد ما حتى صارت تتسمى باسم تركمان الكورة • ولعلها من فروع احد الزحوف التركية او التركمانية التي اخـذت تطرأ على بــلاد الشام بعد القرن الهجري الثالث ــ الميلادي العاشر ، وتنتشر وتستقر في انحائها •

— ٢ —

والعسافيون ينتسبون الى جد اسمه عساف كان له الامرة علــى الدرك التركماني في الظرف الذي نشب فيه النزاع والقتال بين السلطان سليم العثماني وقانصو الغوري ملك الدولة الشركسية التي كــانت صاحبة السلطان في بلاد الشام ومصر أي سنة ٩٢٢ هـ ــ ١٥١٥ م فاظهر انحيازه للسلطان العثماني • ولما تم له النصر وجاء الى دمشق ذهب للسلام عليه مع الامير فخر الدين المعني الاول وغيره من حكام البلاد

---

(١) لم نجد تفسيرا صحيحا شافيا لكلمة زوق التي تعني كما يستفاد من السياق منطقة أو مقاطعة أكثر من ان تعني قرية • ولقد ذكر اسم ميكائيل كمقدم لاحدى الازواق في تاريخ متأخر عن سنة ١٣٠٧ على ما سوف يرد بعد مما يسوغ القول ان التسميات متأخرة عن هذه السنة وانها ذكرت في سياق اولية سكني التركمان فيها من قبيل وصف الغابر بلغة الحاضر.

الاقطاعيين الذين كانت تجمعهم النعرة اليمنية التي يظهر انه كـان منتم اليها • وقد كافأه السلطان فولاه بلاد كسروان وجبيل • وقد عمر غزيرا واتخذها مركزا لامارته فكان ذلك اول الامرة العسافية [١] •

وننبه على ان بروز تركمان في لبنان في مجال الحكم والسلطان على مسرح لبنان الشمالي لم يكن بدؤه بالامير عساف • فقد ذكر مؤلف الغرر [٢] اسم طومان شيخ التركمـان كحكام لكسروان سنة ٧٩١ هـ ـــ ١٣٨٨ م ، في سياق ذكر التشاد بين آخر ملوك مماليك الترك والظاهر برقوق اول ملوك مماليك الشركس • وكان هو وقومه ضـد قيام الدولة الشركسية ، وقد تواثقوا مع منطاش التركي نائب بيروت وطرابلس الذي قاد حركة التمرد والمناوأة ضدها • فلما استتب السلطان للظاهر برقوق نزع حكم كسروان من يد التركمان وولاه الشدياق يعقوب بن ايوب [٣] • غير ان التركمان ظلوا على ما يبدو مـع ذلك حراسا أو دركا على السواحل بين بيروت وطرابلس كما كانوا قبل • وكان اميرهم في ظروف استيلاء السلطان سليم على بلاد الشام هـو الامير عساف على ما ذكرناه قبل فتواثق معه كما تواثق اسلافه من قبل مع دولة المماليك الترك •

ولقد دالت الامارة العسافية سنة ١٥٩٠ فتكون مدة حكمها سبعين سنة • غير ان الشدياق قال في آخر فصله عنها[٤] ان مدة حكمها ٢٣٨ سنة ، حيث يبدو انه اعتبر اقامة التركمان دركا على ساحل كسروان سنة ١٣٠٧ أو امارة طومان لكسروان التي كانت بعد ذلك التاريخ بدءا

---

(١) الغرر الحسان ص ٥٦١ نشر مفيفب ج ١ واخبار الاعيان ص ٣٤٦ •

(٢) ص ٥٠٣ •

(٣) انظر ايضا اخبار الاعيان ص ٢١٢ •

(٤) ص ٣٤٦ •

للامارة العسافية مع التنبيه على انه لم يذكر صلة نسبية مـا بين عساف وبين طومان ...

وقد قلنا ان الامير عسافا كان متواثقا في النعرة اليمنية مع الامير فخر الدين المعني الاول . وقد ظل خلفاؤه على ذلك حتى انهم تحولوا الى القيسية حينما تحول اليها بعد قليل من الفتح العثماني على ماذكرناه في سيرة بني معن .

ولقد مات الامير عساف سنة ١٥١٨ فتولى مكانه ابنه الاكبر الامير حسن ، وكان له اخوان آخران وهما حسين وقائد بيه كما يسميه مؤلف الغرر او قيقباي كما يسميه الشدياق [١] . وقد دب النزاع بين الاخوة على الحكم وانحاز حسين الى اخيه حسن واستنجد قائد بيه بالامير جمال الدين التنوخي اليمني امير الشويفات فتوسط واصلح بين الاخوة وارتحل قائد بيه الى بيروت فسكنها . وبعد قليل جاء اخواه الى بيروت فاغتالهما واستولى على الحكم [٢] . ومات سنة ١٥٢٣ بلا عقب فتولى الحكم الامير منصور ابن حسن الذي كان نجم الاسرة اللامع حيث امتد حكمه الى سنة ١٥٨٠ واتسع سلطانه واندمج في احداث هامة جعلت له شهرة واسما [٣] .

ولقد التزم بعد ولايته من محمد آغا شعيب متسلم طرابلس بلاد جبيل والبترون وجبة بشرى والكورة والزوايلة والضنية . وصارت بالتالي في نطاق حكمه الاقطاعي . وفي سنة ١٥٢٨ قام نزاع بينه وبـين محمد آغا شعيب لتحزبه مع بني سيفا . وجنح محمد آغا الى التشديد

---

(١) اخبار الاعيان ص ٣٤٦ المتبادر ان قائد بيه وقيقباي محرفتان من قايتباي اسم أحد ملوك دولة الشراكسة المشهورين .

(٢) اخبار الاعيان ص ٣٤٧ .

(٣) ص ٣٤٧ و ٣٤٩ .

في استيفاء الاموال المترتبة عليه فاثاره وارسل جماعة نصبوا له كمينا وقتلوه هو وابنه . ومد بعد ذلك حكمه الى عكار [1] .

وفي سنة ١٥٣٢ عصى عليه عبد الستار والي البترون من قبله فارسل اليه من قتله وفعل ذلك في شيخ جبيل ايضا لانه رأى منه مشاكسة [2] .

وفي سنة ١٥٤١ تآمر المقدم مكائيل والي الزوق والامراء اولاد الحنش امراء فتقا على الامير وقصدوه بجماعة الى غزير ليحتالوا على قتله . وشعر هو بذلك فاظهر الترحيب بهم واقام لهم مأدبة ولما جلسوا للطعام وثب عليهم رجاله فقتلوهم [2] .

وفي سنة ١٥٧٢ صدر امر السلطان بان تكون ولاية الامير منصور من نهر الكلب الى حماة ، فكان يولي على البلاد من يشاء . وقد ذكر الشدياق الذي ننقل عنه هذا اسماء المقدمين والولاة الذين عينهم خاصة لولاية جبة بشرى مثل المقدم داغر وابن اخيه المقدم عساف وابي سلهب القريعي والمقدم مقلد ابن الياس والمقدم يوسف ابي رعد المدعو بالمقدم خاطر بن شاهين الحصروني من بني مشروق . وقد بني قصورا في بيروت وجبيل وغزير وأنشأ في غزير جامعا وحماما وجنينة كبيرة [3] .

وفي سنة ١٥٧٩ تقدم للدولة شكايات ضده تنسب اليه الظلم

---

(١) اخبار الاعيان ٢٤٧ لم يذكر الشهابي هذه الحادثة . ويقول في الجزء الاول ص٦٠٦ نثر مغبغب معرفا بمجد آغا شعيب ان حكم طرابلس يكون على الاغلب بيد النواب وفي غياب الدولة كان يستأجرها محمد آغا ابن شعيب من اهالي عرقا .

(٢) ص ٢٤٧ .

(٢) ص ٢٤٨ .

(٣) ص ٢٤٧ .

والبغي وسفك الدماء فصدر امر سلطاني بجعل طرابلس ولاية واقامة وزير فيها لكسر شوكته وعين يوسف، سيفا باشا الكردي واليا عليها [1].
ولم يكد يوسف باشا يستلم الولاية حتى توفي الامير منصور سنة ١٥٨٠ فتولى مكانه ابنه محمد . وكان يوسف سيفا يمني النعرة وبالتالي مناوئا للامير قرقماس المعني الذي كان يتولى الشوف وللامير محمد عساف الذي كان متواثقا في النعرة معه . ولقد نهبت خزينة الدولة في جون عكار سنة ١٥٨٤ وهي في طريقها الى الاستانة فارسل السلطان والي مصر لقصاص امراء لبنان فوشي يوسف سيفا بالامير قرقماس المعني وحلفائه الامراء القيسيين ومن جملتهم الامير محمد بن منصور فقبض الوالي عليه واخذه معه للاستانة مع الامراء الآخرين المتهمين . وهناك برأ نفسه ونال عطف السلطان فعينه واليا على ايالة طرابلس ، فاثار ذلك يوسف سيفا وجعله يمتنع عن اداء المال الميري له . وحينئذ سار على رأس قوة الى عكار لقتاله وارغامه على الدفع . وقد بادر يوسف سيفا الى نصب كمين له في الطريق فلما جاء الى مكان الكمين خرج عليه الكامنون واستطاعوا ان يقتلوه . ولم يترك عقبا فدالت دولة العسافيين نتيجة ذلك وكان هذا سنة ١٥٩٠ هـ [2] .

— ٣ —

اما بنو سيفا الاكراد فيقول الشدياق [3] انهم ينتسبون الى المقدم جمال الدين الملقب بسيفا بن احد مماليك الشراكسة وعمالهم في طرابلس وعكار وحصن الاكراد وما والاها .

---

(١) اخبار الاعيان ص ٣٤٨ .

(٢) اخبار الاعيان ص ٣٤٩ .

(٣) اخبار الاعيان ص ١٦٤ مكرر .

وقد كانوا حكاما اقطاعيين في منطقة عكار حينما برزت دولة بني عساف بروزها القوي في اوائل القرن السادس عشر الميلادي . وهذا يعني على كل حال امتداد وجود هذه الاسرة والعشيرة الكردية التي تنمتي اليها في هذه المنطقة الى أمد ما قبل القرن السادس عشر الميلادي ـ العاشر الهجري كما هو المتبادر .

ومما ذكره الشدياق من سيرة الاسرة [1] انه وقع سنة ١٥٢٨ قتال بين اولاد شعيب ولاة طرابلس والقاطنين في قرية عرقة والامراء بني سيفا الاكراد أدى الى جلاء بني سيفا من عكار الى الباروك ثم لجأوا الى الامير قرقماس والي الشوف . وقد تحزب لهم الامير منصور وطلب من الامير قرقماس مساعدتهم فارسل معهم ٣٠٠ مقاتل دهموا بهم عرقا فقتلوا من وجدوه من ابناء شعيب ورجالهم وفر باقيهم ، وعادوا نتيجة لذلك الى عكار .

وفي سنة ١٥٧٩ ولى السلطان يوسف باشا سيفا طرابلس لكسر شوكة الامير منصور عساف [2] فلم يتورع عن مناصبة الامير العداء ناسيا يده السابقة على بني سيفا . ومات الامير منصور سنة ١٥٨٠ م وتولى مكانه ابنه محمد فاخذ يناصبه العداء بدوره .

ولقد كان بنو عساف قيسي النعرة ومتواثقين مع بني معن فيها فانتمى بنو سيفا الى النعرة اليمنية وتواثقوا مع اليمنيين في لبنان وفي رأسهم أبناء علم الدين ، ولم يلبث ان اخذ يدور بين الجبهتين صيال ونضال مريران امتد ستين سنة واشترك فيه قرقماس والد الامير فخر الدين الثاني والامير فخر الدين والامير محمد عساف والامراء الحرافشة والجنبلاطيون الاكراد في حلب وكلس واحزابهم من جهة

---

(١) اخبار الاعيان ص ٣٤٩ .

(٢) اخبار الاعيان ص ٣٥٠ .

ويوسف سيفا واولاده وابناء علم الدين واحزابهم ورجال الدولة وقواتها احيانا من ناحية اخرى تنوعت صورهما وصفحاتهما وآثارهما في كل من الجبهتين فوزا وخسرانا واستعلاء واندحارا وكان من آثارهما محنة الامير فخر الدين الاولى التي ارتحل الى اوروبا نتيجة لها ومحنته الثانية التي لقى فيها هلاكه وقتل الامير محمد العساف وذهاب دولة العسافين ، وكان نطاق حكم بني سيفا يتسع ويضيق تبعا لتلك الصور والصفحات فيشمل احيانا طرابلس وعكار وجبلة والمرقب والحصن وجبة بشرى وجبيل ويضيق احيانا حتى ينحصر في عكار مع الخضوع للامير فخر الدين مما شرحناه في سيرة بني معن شرحا يغني عن التكرار .

ومما ذكره الشهابي [1] من سيرتهم نزاع قام بين يوسف سيفا وابن اخيه سليمان فاستنجد هذا بالامير فخر الدين فانجده وحماه من عمه ومكنه من اقطاعه الخاص فصار منحازا اليه متواثقا معه فيما كان يقوم بين الامير يوسف سيفا من صيال ونضال . وقد وجه اليه الامير حكم بلاد جبيل والبترون نكاية في عمه . غير ان العم اغتنم فرصة غياب الامير في اوروبا نتيجة لنزاعه مع الوالي حافظ احمد فضايق ابن اخيه واعتقله في احدى المناسبات ، حيث ظل معتقلا الى ان عاد الامير من رحلته واستأنف ولايته وتمكن من قهر يوسف سيفا بعد قليل من عودته فاعيد سليمان الى اقطاعه . وظل مندمجا مع الامير في مصاولاته مع عمه .

ولقد مات سنة ١٠٣٤ هـ ــ ١٦٢٤ م يوسف سيفا الذي كان اشهر والمع الاسرة والذي كان في سنة وفاته متوليا لطرابلس فحل محله ابنه قاسم فجنح الى مسايرة الامير فخر الدين في باديء الامر غير ان هذه الحالة لم تدم ولم تلبث حالة المكايدة والعداء والمصاولة ان

---

(١) ص ٦٤٩ ــ ٦٥٠ ج ١ نشر مغبغب .

استؤنفت . وقد بسم الحظ للامير فعظم سلطانه وقوته فخرجت ولاية طرابلس من عهدة قاسم كما خرج من ايدي بني سيفا معظم ما كان فيها من ولايات وانحصروا في نطاق اقطاعهم الخاص في منطقة عكار ، وظلوا في حالة هوان من ناحية وظلوا في قرارة نفوسهم ناقمين على الامير ويبذلون جهودهم مع غيره ضده من ناحية اخرى الى ان قررت الدولة التنكيل به وارسلت حملة التنكيل بقيادة احمد الكوجوك سنة ١٦٣٣ فاندمجوا فيها . ولما انتصرت الحملة على الامير اعاد قائدها الامير قاسم الى طرابلس كما أعاد اخوته ما كان تحت ايديهم سابقا من ولايات [١] .

غير انهم لم يهنأوا بالحظ الذي بسم لهم . فقد دعت الدولة قاسما للاشتراك في حرب العجم فجبن وتظاهر بالجنون واختفى . فاتفق الاعيان على اقامة الامير علي ابن اخته مكانه واليا على طرابلس . فتصدى له عساف بن يوسف ونازعه وغلبه على الولاية فاستنجد علي بالامير علم الدين فسارع الى نجدته فادى ذلك الى نشوب صيال بين عساف وابن عمته غلب في جولته الاولى عساف ولكن الدولة آثرت ان تنصب على طرابلس واليا غريبا . وبعد قليل سافر الوالي الى حرب العجم فاقام عسافا نائبا عنه فتصدى له الامير علي ابن عمته ونشب النزاع والصيال ثانية . ثم جاء بعد قليل وال جديد فتقدمت اليه شكايات كثيرة ضد بني سيفا جملة بانهم اخربوا البلاد فاحتال أولا على عساف الذي كان ابرزهم وانشطهم واقواهم حتى قبض عليه وشنقه على باب قلعة الحصن وقتل معظم رجاله ثم سير قوة لتتبع بقية بني سيفا فتتبعتهم وضبطت اموالهم وارزاقهم وظفرت ببعضهم فقتلته وتشرد

---

(١) اخبار الاعيان ص ٣٥٥ والفرر ص ٧١٤ — ٧٢١ .

الباقون وتمزقوا شذر مذر فكان ذلك آخر دولتهم . وكان هذا سنة ١٦٤٠ م حسب رواية الشدياق وسنة ١٦٣٧ ــ ١٠٤٧ حسب رواية الامير حيدر [1] .

---

(١) اخبار الاعيان ص ٣٥٦ ــ ٣٥٨ والغرر ٧٢١ ــ ٧٢٢ .

(٣) بنو شهـاب

— ١ —

وهذه الاسرة من الاسر التي لعبت دورا كبيرا في مجـال الحكم والسلطان على مسرح لبنان ووادي التيم معاً من اواسط القرن الهجري السادس الى اواسط القرن الثالث عشر ، وما تزال الى الآن تحتفظ بالقابها ووجاهتها وقصورها الاقطاعية في الاقليمين •

وسيرتها مفصلة في الغرر الحسان واخبار الاعيان • وقد استغرقت سيرة الفرع اللبناني منها خاصة الجزئين الثاني والثالث من الكتاب وهما في ٨٧٢ صفحة كبيرة • وقد عقد الشدياق لها فصلين في كتـابه اخبار الاعيان • واكبر الفصلين معقود على سيرة الفرع اللبناني منها • وهو اكثر من ثلث كتابه الضخم أي في ٢٨٨ صحيفة كبيرة من اصـل ٧٢٠ صحيفة • والشطر الاكبر من جزئي الغرر الحسان والفصل الاكبر من فصلي اخبار الاعيان معقود على سيرة الامير بشير الثاني اسطع نجوم الفرع اللبناني بل اسطع نجوم الاسرة • ومؤلف الغرر الحسان يعزو كثيرا مما في كتابه الى مؤرخين لبنانيين اقدم منه مثل ابن سباط وابـن الحريري • والغرر الحسان من مصادر الشدياق الرئيسية وخاصة في سيرة الفرع اللبناني حتى انه احيانا ينقل الكلام بحروف عنه • ومـع ذلك فانه ينفرد في تفصيل تاريخ وسيرة الاسرة قبل قدومها الى وادي التيم مع عشيرتها دون ان يعزو ذلك الى مصدر يعينه مع التنبيه علـى انه يذكر مصادر عديدة استقى منها مادة كتابه منها المخطوط ومنهـا المطبوع • وقد جعلنا معولنا على الكتابين في هذه السيرة •

وفي الكتابين وخاصة في سيرة الفرع اللبناني والنبذ المتصلة بالفرع التيمي الواردة في سياق ذلك الفرع تفصيلات جزئية شخصية ومحلية منها الهام الذي يتضمن صورا للحياة والمجتمع ومنها التافه الممل الذي لا طائل من ايراده •

ومع اننا سنقتصر على الهام فان سعة المادة جعلتنا بدورنا نسهب في سيرة هذه الاسرة حتى جاءت من اوسع سير الأسر أو اوسعها •

– ٢ –

ويستفاد من ما جاء في الفصل الاول من فصلي الشدياق [1] عن اصول هذه الاسرة انها تنتمي الى قبيلة بني مخزوم القرشية • وقد اورد في آخر الفصل سلسلة نسب لها نقلا عن سجل محكمة صيدا الشرعية الذي عليه توقيعات وشهادات مفتي صيدا احمد البزري ونائبها محمد سعيد البزري ونقيب اشرافها علي ابن السيد حسين جلال الدين دون تاريخ • والسياق يفيد ان اسمها آت من اسم احد اجدادها القدماء مالك الملقب بشهاب • وان القبيلة كانت تنزل في القرن السادس في حوران ورحلت تحت قيادة اميرها منقذ الى وادي التيم في اواسط هذا القرن حيث صارت له ولذريته من بعده الامارة والحكم في هذا الوادي منذئذ ، وانه ابن عمر بن مسعود بن الحسن بن بشير بن محسن ابن مسعود بن عمر بن مسعود بن خالد بن سعيد بن سعيد بن عامر الاذرعي الذي سمي كذلك لانه توطن اذرعات وبنى فيها مساكنه ، ابن قيس بن محمد بن شهاب بن قاسم بن سعد بن مالك الملقب بشهاب بن الحرث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم تستمر السلسلة الى ان تصل الى عدنان •

(١) ص ٣٦ – ٦٤ اخبار الاعيان •

ومما يذكره ان ابا بكر وجه الحرث بن هشام اميرا على بني مخزوم مع ابي عبيدة نحو الشام وانه شهد مع عشيرته وقائع أجنادين واليرموك ومرج الصفر وفتح دمشق واستشهد اثناءه ، فعين عمر بن الخطاب ابنه مالكا اميرا على العشيرة وتوطن معها في قرية الشهباء في حوران وصارت الامارة تتسلسل في عقبه • وكانت العشيرة تشترك بقيادة امرائها في ما كان يجري من احداث حيث اشتركت مع مَسْلَمة بن عبد الملك الاموي في حصار القسطنطينية سنة ٧٣٢ م وغزت الروم مع هارون الرشيد • واشتركت في الوقائع الحربية التي نشبت بين قوات الدولة العباسية والقرامطة وابن طولون في سني ٨٧٠ ــ ٨٩٥ م ، ولما وقعت النفرة بين الملك نور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي في اواسط القرن السادس الهجري ١١٧٣ م ــ وكان امير العشيرة اذ ذاك وهو الامير منقذ ميالا الى صلاح الدين ــ تشاور مع عشيرته واتفقوا على الرحيل الى مصر وتحركوا فعلا لتنفيذ عزيمتهم ، وكان عددهم خمسة عشر الفا ، وعلى رأسهم الامير منقذ واولاده نجم وفاتك وحيدر وعباس واخواه علي وغالب وبنو عمه سعد وجابر وحمزة • وبلغ الخبر نور الدين فحاول ثنيهم عن عزمهم بالوعود والهدايا واخيرا استقر رأيهم على التوجه نحو وادي التيم حتى لا يكونوا في ميدان الاشتباك بين السلطانين ونزلوا في بيداء الظهر الاحمر • وكان الافرنج اذ ذاك يستولون على وادي التيم وقاعدتهم حاصبيا • وجمع الافرنج جموعهم وزحفوا على القادمين ليكشوهم عن المنطقة واشتبكوا معهم فكان النصر للشهابيين وانكسر الافرنج وانهزموا ثم تملك الشهابيون حاصبيا واستولوا على قلعتها وابادوا المتحصنين فيها وارسلوا البشائر بالنصر لنور الدين الذي سر بالخبر وارسل الى الامير منقذ الخلع والهدايا وولاه امارة البلاد التي افتتحها بسيفه فكان ذلك بدء امارة الاسرة في وادي التيم التي امتدت نحو سبعة قرون ونيفا وصار لفرع منها حكم لبنان أرثا عن بني معن • وكان

لبعض امراء هذا الفرع بنوع خاص بروز ونشاط وطموح يشبه بعض الشيء ما كان من ذلك للامير فخر الدين المعني الثاني • حتى ان فرع وادي التيم كان يدور في فلكه مع انه كان رسميا يتبع ولاية الشام • بينما كان لبنان يتبع ولاية صيدا التي كان مركزها عكا • ومن الجدير بالذكر ان التاريخ لم يذكر ان الصليبيين تمكنوا من الكرة على وادي التيم أو النفوذ من طريقه الى بلاد الشام حيث يفيد هذا ان الشهابيين غدوا سدا منيعا امامهم في هذا الوادي •

والامير حيدر لا يذكر في كتابه سلسلة الاسرة الشهابية الاولى كما يذكرها الشدياق ويبدأ كلامه [1] بالامير منقذ الذي يقول انه كان كبير آل شهاب ويذكر ظروف انتقاله وعشيرته واولاده واخوته وبنو عمه الى وادي التيم من حوران وامارته عليه كما يذكرها الشدياق • وبعبارة اخرى انه لا يذكر اصل الشهابيين ولا منشأ تسميتهم كما يذكرهما الشدياق •

وقد ذكرهم المعلوف في احدى حواشي كتابه تاريخ الاميرفخرالدين الثاني فقال انهم فرع من قبيلة بني مخزوم القرشية وانهم جاؤوا مع جيوش الفتح بزعامة اميرهم الحارث بن هشام واستقروا قرب بلدة الشهباء في حوران ومنها اسمهم ثم ذكر ارتحالهم من حوران الى وادي التيم وانتصارهم على الافرنج وتولية نور الدين منقذا البلاد التي افتتحها على نحو ما ذكره الشدياق والامير حيدر •

وليس هناك ما يمكن ان ينفي سياق الشدياق الذي هو الاطول والاشمل أو يثبته كما انه ليس هناك ما يساعد على الجزم بالاصول والتسمية • على ان هذا لا يمنع ان يكون ما ذكره الشدياق صحيحا

---

(١) الغرر الحسان ص ٣٥١ – ٣٥٣ نشر مفيفب •

مستندا الى روايات تروي جيلا بعد جيل أو مدونات قديمة [1] باستثناء ما يأتي في السلسلة قبل الاسلام من اسماء • أما ما دوَّنه الشدياق والامير حيدر الشهابي من سيرة الاسرة منذ بروز الامير منقذ وحكمه في وادي التيم فنحن نرجح الصحة اجمالا فيه ونرجح انه منقول عن مدونات لبنانية قديمة منها المعاصر ومنها المقارب • والتساوق والتشارك بين احداث الاسرة والاسر الاخرى التي دوَّن المؤلفان احداثها نقلا عن مدونات قديمة قائمان ويؤيدان ذلك الترجيح •

— ٣ —

ويتفق الشهابي والشدياق [1] على ان نزول الامير منقذ واولاده واخوته وبنو عمه بعشيرتهم في وادي التيم وانتصارهم على الافرنج وتولية نور الدين الحكم في المنطقة للامير منقذ كان في عهد الامير يونس بن معن وان هذا نهض الى وادي التيم مهنئا فأقام في ضيافة الامراء الشهابيين ثلاثة ايام ثم دعاهم الى الشوف فلبوا الدعوة وخطب الامير منقذ طيبة بنت الامير يونس لابنه محمد فكان ذلك بدء الصهارة

---

(١) قال لنا الامير مصطفى الشهابي العالم المعروف ان هناك وقفيات في حوران ذكر فيها الامراء الشهابيون وان قصيدة حماسية طويلة تعزي الى الامير عامر الاذرعي مدونة في تاريخ الاسرة مطلعها :

هز الرشاق أمام السادة النجب — أحب لي من عناق الغيد في الحجب

ومما جاء فيها :

بني شهاب لكم مني فتى أسدا — يرى قراع العدا ضربا من اللعب
وان لي منكم أسدا اذا زاروا — خلت الجبال انثنت دكا على الهضب

وان اسماء سلسلة النسب قبل الاسلام منقولة عما ورد في التواريخ عن نسب القرشيين المخزوميين كخالد بن الوليد وغيره وعن نسب النبي العربي عليه السلام .

(١) الشهابي ص ٢٥٤ والشدياق ص ٤٤ — ٤٦ .

التـــي تكررت وتبودلت مرارا بين الاسرتـــين • والشدياق ينفرد عن الشهابي في رواية خطبة الامير يونس لسعدى بنت الامير منقـــذ لانه يوسف[1] •

ولما استتب الحكم للسلطان صلاح الدين ذهب الامير منقـــذ الى دمشق فخلع السلطان عليه واقره على حكم وادي التيم[2] •

وتوفي الامير منقذ سنة ٥٩٠ هـ فتولى ابنه الامير نجم بعده • وقد ذكـــر الشهابي ان هذا الامير أنشأ في جبل الشيـــخ منزلا للنزهـــة والتصييف[3] • وتوفي هـــذا سنة ٦٢١ هـ فتولى الحكم ابنه الامـــير عامر[4] • وقد اغار الصليبيون في عهده على وادي التيم من بلاد جبل عامل التي كانت في حوزتهم فاستنجد من الامير عبد الله المعني وانتهت الحرب بين الطرفين بعد امتدادها ثلاثة ايام بانكسار الغزاة وهزيمتهم واستولى عامر نتيجة لذلك على بعض الانحاء القريبة من الوادي التي كانت في حوزتهم • وكان ذلك في عهد الملك الصالح الايربي فـــاقر حكم الشهابيين على البلاد الجديدة واقطعهم اقطاعات اخرى فـــي سهل البقـــاع •

ومات عامر سنة ١٢٥٨ م فخلفه اكبر اولاده قرقماز • وكان هذا ابن شرية فاجتمع بعض امراء الاسرة وتعاهدوا على خلعه • وعلم بالامر فباغت بعضهم في اجتماع لهم وذبحهم ثم قبض على بقيتهم وخواصهم وقطع رؤوس عشرة منهم فامتلأت القلوب بالرعب منه[5] • ولما زحف

(١) ص ٤٦ •

(٢) ص ٤٦ الشدياق •

(٣) ص ٣٩٠ •

(٤) الشدياق ٤٦ والشهابي ٤٠٦ •

(٥) الشدياق ص ٤٧ والشهابي ص ٤٤٧ •

المغول سنة ١٢٨١ م استنجد الملك المنصور قلاوون به فسار باربعة آلاف فارس وشهد معه الوقعة التي كتب الهزيمة فيها على التتر [1] .

ومات قرقماز سنة ١٢٨٧ م فخلفه اكبر اولاده سعد . وفي زمن هذا كر التتر على بلاد الشام ووصلوا الى انحاء وادي التيم . وشعر بالخطر فارسل نساءه واولاده الى جبل قريب . ولما دهم التتر الوادي واخذوا يفتكون ويدمرون جفل الناس منهم وتشردوا واحدق التتر بالامير سعد ومن معه من الفرسان الذين كانوا نحو الف والذين كانوا يحاولون النجاة فدارت بينه وبينهم معركة رهيبة وقاتل هو وجماعته قتال الموت حتى تمكنوا من خرق النطاق بعد ن قتل ثلثاهم ووصل الناجون الى بطحاء نهر الصفاء حيث ضربوا مضاربهم ولموا شتاتهم واجتمعوا بنسائهم واولادهم ، وقد جاء اليهم الامير المعني وافتقدهم وامدهم بالميرة والرعاية . ولم يلبث التتر ان عادوا كما جاؤوا كالعاصفة فعاد الامير سعد وصحبه الى حاصبيا فوجدوها اطلالا فاقاموا في الخيام حتى رمموا الخراب . وقد بقي كثير من الناس حيث حلوا في انحاء مختلفة في لبنان ولم يلبوا دعوة الامير سعد فظلت البلاد مقفرة امدا غير قصير من عهد سعد وبعده [2] .

ومات سعد سنة ٧٢١ هـ ـ ١٣٢١ م فخلفه ابنه حسين . وقد طلب منه المشاركة في حصار السلطان احمد ابن الناصر في الكرك في ظروف النزاع بينه وبين أخ له فاعتذر ولم يجب فأثار حنق نائب دمشق وحرض عليه مقدمي البقاع فاغاروا على وادي التيم . وكان حسين متغيبا عنه فلما رجع جمع رجاله ودهم المقدمين فكسرهما وقتل من عسكرهما ٥٠٠ واسر احدهما ثم اعمل يد التحريق في املاكهما [3] .

---

(١) الشدياق ص ٤٧ .

(٢) الشهابي ص ٤٦٣ والشدياق ص ٤٧ .

(٣) الشدياق ص ٤٨ ـ ٤٩ .

ومات حسين سنة ٧٥٠ هـ ـ ١٣٤٩ م فخلفه ابنه ابو بكر وهو الذي بنى خان حاصبيا للصدقات [١] . وقد تزوج الامير عثمان المعني بنته وكان بينهما مودة عظيمة [٢] .

ومات ابو بكر سنة ٧٨٢ هـ ـ ١٣٨٠ م فخلفه ابنه محمد الذي كان خليعا منهمكا في اللذات . وفي زمنه زحف تيمورلنك على بلاد الشام فارسل عياله الى الشوف وجفل كثير من اهل وادي التيم وتشردوا مع ان تيمور لم يطأ الوادي [٣] فزاد الوادي اقفارا الى اقفار . ومات محمد سنة ١٤٠٦ م فخلفه ابنه قاسم . وفي عهد هذا هاجم الافرنج الدامور فسار برجاله صحبة عسكر الدولة الشركسية لقتالهم وكان النصر لهم على الافرنج فنال قاسم تكريم الملك وتوجهه . وكانت اخلاقه فاضلة على خلاف ابيه فعاشت البلاد في عهده في طمأنينة وأمن [٤] . ومات هذا سنة ٨٤٦ هـ ـ ١٤٤٢ م فخلفه ابنه ابو بكر احمد الذي تزوج بنت الامير ملحم المعني [٥] . ومات احمد سنة ٨٨٩ هـ فخلفه ابنه علي . وقد نازعه عمه بكر وحزب عليه وهاجمه على غفلة واعتقله وتولى مكانه . واستطاع على ان يفر من السجن وذهب الى خاله المعني في الشوف واخذ يتصل بانصاره حتى استوثق فسار برجاله الى الوادي وخرج عمه لصده ونشب القتال بينهما وطعن علي عمهفقتله وعاد اليولايته [٦] . وتوفي علي سنة ١٥٠٣ م فخلفه ابنه منصور . وفي زمنه كانت وقعة

---

(١) الشدياق ص ٤٩ .

(٢) الشهابي ص ٤٩٥ .

(٣) الشهابي ص ٥١٦ ـ ٥١٧ الشدياق ص ٤٩ .

ونتبه على ان تاريخ وفاة سعد وابي بكر قد صححه لنا الامير مصطفى الشهابي .

(٤) الشدياق ص ٤٩ ـ ٥٠ والشهابي ص ٥٢٣ .

(٥) الشهابي ص ٥٢٤ .

(٦) الشهابي ص ٥٥٤ والشدياق ص ٥٠ ـ ٥١ .

مرج دابق بين السلطان سليم العثماني وقانصو الغوري وكان منصور منحازا الى جانب السلطان مع الامير فخر الدين المعني الاول .

فلما تمت الغلبة للسلطان ثبته على ولاية وادي التيم مع من ثبتهم من الحكام الذين اعلنوا له الولاء والطاعة [1] . ومات منصور سنة ٩٤٥ هـ فخلفه ابنه ملحم الملقب بالفقيه وكان فقيها ورعا فعلا [2] . ومات ملحم سنة ٩٧٣ هـ فخلفه ابنه منصور المعروف بالبقري نسبة الى جده لامه الشيخ محمد البقري الدمياطي الذي حل بالوادي ضيفا فخطب ابوه ابنته وتزوجها [3] . ومات هذا سنة ١٥٩٧ م ـ ١٠٠٦ هـ فخلفه ابنه علي وهو الذي عمر السرايا في حاصبيا [4] وكان متواثقا مع الامير فخر الدين المعني الثاني . ونشب خلاف بينه وبين اخيه احمد أدى الى فراق هذا لحاصبيا واقامته في راشيا مغيظا محنقا . ولما زحف والي الشام حافظ احمد لقتال فخر الدين المعني سنة ١٦١٢ هـ انضم اليه لأن اخاه كان مع فخر الدين . وقد دارت الدائرة على الوالي واحمد . وبعد قليل ذهب الى دمشق وطلب من واليها الجديد ولاية وادي التيم فاجابه الى طلبه وامده بعسكر للتنفيذ ولم ير اخوه له طاقة فغادر حاصبيا فدخلها احمد . ثم سعى علي لدى الوالي وتمكن من اقناعه باعادته الى حاصبيا على شرط ان يكون اخوه حاكما على راشيا . وهكذا انقسم الوادي الى امارتين واحدة في حاصبيا واخرى في راشيا وصارت الاولى تسمى وادي التيم الاسفل والثانية الاعلى . وكان ذلك في أثناء محنة الامير فخر الدين ونزوحه الى اوربا . ولما رجع الامير اندمج

---

(١) الشهابي ص ٥٦١ ـ ٥٦٢ والشدياق ص ٥١ .

(٢) الشدياق ص ٥١ والشهابي ص ٦١١ .

(٣) الشدياق ص ٥١ والشهابي ٦١٤ .

(٤) نبهنا الامير مصطفى الشهابي ان عليا هو الذي جدد بناء سراي الشهابيين في حاصبيا سنة ١٠٠٩ هـ كما هو مكتوب على بابها .

علي في صفه وفي حروبه مع خصومه • وغاب مرة عن حاصبيا فاغتنم احمد الفرصة وزحف عليها ولكن عليا ما لبث ان عاد وتمكن من كسر اخيه ثم تمكن الامير فخر الدين فاصلح بين الاخوين وكتب بينهما صكوكا على ان يبقى كل منهما حاكما على قسمه دون ان يتعرض للآخر [1] •

ومات علي فخلفه ابنه محمد • وتضامن هذا وعمه حاكم راشيا معا مع الامير فخر الدين في مختلف حركاته واحداثه • وشهدا برجالهما الوقعة التي كانت بين الامير ووالي الشام مصطفى باشا والتي كانت الغلبة فيها للامير • وكان مع محمد اخوة قاسم فطلب من فخر الدين مساعدته على ولاية الزبداني فسعى يسعيه ونجح في توليته • وفي سنة ١٦٢٥ م توفي محمد بدون عقب فخلفه على حاصبيا اخوه المذكور • وبعد سنة توفي احمد فخلفه على راشيا ابنه حسين • واندمج الاميران في احداث الامير فخر الدين وتضامنا معه في محنته الاخيرة وتعرض وادي التيم نتيجة لذلك لغضب احمد الكوجوك والي الشام الذي تولى مطاردة فخر الدين وقبض عليه مما شرحناه في سيرة بني معن [2] •

ولما برز الامير ملحم بن اخي الامير فخر الدين تضامن معه الاميران في قتال خصومهم اليمنيين وفي قتال الحملة التي زحفت من الشام وتم له الغلبة على الخصوم وعلى الحملة معا على ما مر بيانه في سيرة بني معن كذلك • وقد تزوج حسين بنت الامير ملحم •

وتوفي قاسم سنة ١٦٥٢ م فخلفه ابنه منصور وتوفي حسين سنة ١٦٠٩م فخلفه ابنه علي • وفي سنة ١٦٦٠ م تعرض الاميران اللذان ظلا متواثقين لغضب الدولة بتهمة تحريض الدماشقة على منع الوالي مرتضى باشا من استلام منصبه فصدر امر السلطان بارسال حملة بقيادة احمد

---

(١) الشدياق ص ٥٢ ــ ٥٣ •

(٢) الشدياق ص ٥٣ ــ ٥٤ •

باشا الكوبرلي لتأديبهما • ولما وصلت الحملة انضم اليها بنو علم الدين زعماء النعرة اليمنية وولاة القدس وغزة وطرابلس ففر الاميران الى كسروان مع فريق من رجالهم حيث اختبأوا عند المشايخ الحماديين كما فعل الاميران المعنيان قرقماس واحمد اللذين كانا بدورهما غرض حملة الكوبرولي • واعملت الحملة يد التحريق والتهديم في ما للشهابيين في حاصبيا وراشيا من مساكن وقطعت اشجارهم في الوادي ومرجعيون والبقاع • وولى قائدها الاميرين محمدا ومنصورا ابني علي علم الدين على راشيا وحاصبيا مكانهما • ثم طلب القائد من والي طرابلس مطاردتهما مع الاميرين المعنيين ففر الاميران الشهابيان الى الجبل الاعلى في حلب حيث بقيا ست سنين • ولما تمكن الامير احمد المعني سنة ١٦٦٧ م من العودة الى الحكم بعد انتصاره على خصومه اليمنيين كتب لهما بالعود فعادا الى ولايتيهما [١] •

وفي سنة ١٦٧١ ارسل الامير علي عمه فارسا الى البقاع للتنكيل ببني حيمور الذين اشتركوا في حملة الكوبرولي وقطعوا اشجار الشهابيين في البقاع فدهمهم وكسرهم • وفروا الى دمشق مستنجدين بواليها وسير هذا حملة على رأسها موسى ومنصور علم الدين فانهزم الاميران الشهابيان ودخلت الحملة راشيا واحرقت المساكن الشهابية [٢] •

وفي سنة ١٦٧٤ م توفي منصور فخلفه ابنه موسى الذي تزوج بنت الامير احمد المعني وهي ام الامير حيدر الذي ورث ولاية المعنيين بعد

---

(١) الشدياق ص ٥٤ ــ ٥٦ ، ولقد ذكرنا في سيرة بني معن ان غرض حملة احمد باشا الكوبرولي الاول كان التنكيل بالامراء المعنيين بينما سياق الشدياق يفيد ان التنكيل بالشهابيين كان غرضها الاول . والارجح صواب الاول لان الامرة الشهابية كانت تدور في فلك الامرة المعنية .

(٢) الشدياق ص ٥٦ .

موت جده المذكور بدون عقب [1] .

وفي سنة ١٦٨٠ م ولي الامير فارس بلاد بعلبك فجمع الامير عمر الحرفوش حاكم بعلبك جموعه ودهم فارسا وقتله مع خمسين من رجاله لانه اعتبر ولايته عدوانا على حماه . ولما بلغ الخبر الامير موسى نهض من حاصبيا ونهض ابن عمه علي من راشيا للثأر واخذا يعيثان في بلاد بعلبك ففر الحرفوشي الى الشوف مستغيثا بالامير احمد المعني ملتمسا وساطته فاستجاب . وجاء الى بعلبك واجرى الصلح بين الطرفين وكان من مقتضاه ان يؤدي آل الحرفوش كل سنة ٥٠٠٠ قرش وجوادين كدية مستمرة [2] .

وفي سنة ١٦٨٢ م توفي امير راشيا علي فتولى مكانه اخوه بشير . وقد استنجده والي الشام في قتال ابناء الحرفوش فانجده . وفي سنة ١٦٩٣ م توفي موسى وكان ابنه حيدر قاصرا فقام عمه نجم وصيا عليه . وفي هذه الاثناء مات الامير احمد المعني (١١٠٩ هـ ـ ١٦٩٦ م) بدون عقب فطلب وجوه الشوف ان يتولى مكانه الامير بشير حاكم راشيا لانه ابن شقيقة الامير احمد ثم استقر الامر على ان تكون الولاية للامير حيدر لانه ابن بنت الامير احمد على ان يكون الامير بشير وصيا . وقد ذهب الامير بشير فمارس ولاية جبل الشوف ولما مات استلم لامير حيدر الذي كان بلغ رشده هذه الولاية .

ومنذئذ صار الشهابيون فرعين فرعا يحكم جبل لبنان وفرعا يحكم وادي التيم الذي كان انقسم حكمه الى قسمين كما ذكرنا قبل وظل كذلك الى النهاية . ولم يلبث فرع لبنان ان اخذ يشغل الحيز الذي كان

---

(١) الشدياق ص ٥٧ .

(٢) الشدياق ص ٥٧ .

يشغله بنو معن سعة وحيوية ونشاطا وطموحا • ولقد كان الشهابيون في وادي التيم متواثقين مع بني معن ثم غدوا يسيرون في فلكهم حينما بدا منهم ما بدا من نشاط وحيوية وطموح ، وقد ظل امرهم على هذا المنوال في عهد الفرع اللبناني من الشهابيين نتيجة لما شغله هذا الفرع من الحيز وبدا منه من الحيوية والنشاط والطموح •

ونتيجة لذلك على ما يظهر لم يعد الشدياق والشهابي يذكران تسلسل الامراء التيميين واخبارهم بانتظام كما كانا يفعلان قبلا وانصرفا الى الاسهاب في سيرة الفرع اللبناني واكتفيا بذكر اخبار الفرع التيمي على هامشها بل ان الشدياق لم يكد يذكر شيئا هاما من اخبار هذا الفرع • ومع ذلك فان النبذ التي ذكرها الشهابي من اخباره في سياق سيرة الفرع اللبناني غير يسيرة ومن شأنها ان تعطي صورة لتسلسل الامرة الشهابية التيمية وكثيرا من احداثها اذا ما اوردت متسلسلة • وهو ما رأينا أن نفعله فيما يلي •

— ٤ —

فمن ذلك في حوادث سنة ١١١٧ هـ ان الامير بشير الوصي على الامير حيدر توجه الى بلاد بشارة وصفد لجمع المال وجعل طريقه على حاصبيا فاضافه اميرها نجم وتسمم عنده ومات وقيل ان نجما دس له السم ليتسنى للامير حيدر استلام الولاية لانه بلغ رشده وان وجوه الشوف جاؤوا الى حاصبيا فزفوا الامارة الى حيدر ونهض معهم الى الشوف حيث استلم منصبه [1] •

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٢٤ هـ ان الامير قاسم حاكم حاصبيا

---

(١) ص ٨ ــ ٩ الجزء الثاني والثالث من الغرر الحسان نشر رستم والبستاني وكل ما سوف ننقله هو من هذا الكتاب •

تولى في هذه السنة حكم بلاد بشارة من طرف والي صيدا [1] .

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٣٦ هـ انالامير حيدر نحسب من الامير احمد بن اخي الامير بشير الوصي السابق لما ظهر منه من نشاط ــ وربما من حقد بسبب سم عمه ــ فاتفق مع الامير نجم امير حاصبيا على قتله وقتل ابن عم سيد احمد امير راشيا معا . ونفذ حيدر مهمته فدبر قتل احمد . وشعر سيد احمد بالخطر ففر الى الشام حيث اقام سنتين ثم أمنه الامير حيدر فعاد الى ولايته [2] .

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٥٧ هـ وقعة حربية بين مشايخ المتاولة في جبل عامل واهل وادي التيم الذين كان معهم دروز جبل الشوف ودوران الدائرة على هؤلاء وحرق المتاولة جميع ما لهم في مرجعيون ولم يذكر المؤلف امراء وادي التيم في سياق هذا الخبر [3] .

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٧٤ هـ خبر وفاة نجم امير حاصبيا بعد حكم امتد ستين عاما . وقد خلفه في الحكم ابنه سليمان . ونازعه اخواه اسماعيل وبشير فاسترضاهما باقطاع الحولانية . وقد عمرا قلعة بانياس وتوطنا فيها فداخله منهما الخوف فسعى باخذها منهما فحقدا عليه وقتلاه وتولى الحكم اسماعيل فارضى اخاه باقطاعات خاصة واشركه معه في الحكم [4] .

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٧٥ هـ خبر وفاة احمد امير راشيا وتولى منصور ابنه الحكم بعده [5] .

---

(١) ص ١٦ ويلحظ في الخبر تناقض لان المؤلف ذكر قبل وبعد ان امير حاصبيا هو الامير نجم .

(٢) ص ١٧ ــ ١٨ .

(٣) ص ٣٤ .

(٤) ص ٥٣ ــ ٥٤ نسخة رستم ج ٢ .

(٥) ص ٥٥ .

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٧٩ هـ حصار والي الشام لاسماعيل في قلعة بانياس بقصد اخذها منه • وقد استنجد اسماعيل بالامير منصور امير لبنان غير ان الوالي تمكن من الاستيلاء على القلعة وسلب ما وجده فيها وهدمها وأسر اسماعيل • ولم يطلقه الا بعد تقديمه الفدية • وقد نشب بعد ذلك نزاع بين اسماعيل واخيه سليمان فتدخل الامير منصور واصلح بينهما • ومع ذلك فقد غدر اسماعيل باخيه وقتله لينفرد في حكم حاصبيا • وعظمت هيبته بعد ذلك وخاف منه الناس وذاع اسمه حتى عرف بالكبير وتواثق مع الشيخ ضاهر العمر حاكم عكا ومع مشايخ المتاولة في جبل عامل وتزوج الامير منصور اخته وكانت بينهما مودة عظيمة • واقتنى الخيل والخدم وصار صاحب ثروة كبيرة [١] •

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٨٥ هـ خبر تضامن الامير يوسف الشهابي امير لبنان مع خاله اسماعيل حاكم حاصبيا (وادي التيم التحتا كما يسميه الامير حيدر) في قتال المتاولة في جبل عامل وتأخر اسماعيل برجاله اولا حتى كانت الكسرة على يوسف ثم وصوله وتمكنه من رد المتاولة وايقاف الشر [٢] •

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٨٨ هـ خبر استنجاد ضاهر العمر من الامير اسماعيل في ظروف الحركة التي هدفت الى توحيد مصر وبلاد الشام والتي قام بها علي بك احد الامراء المماليك المصريين وكان من احداثها زحف القوات المصرية على بلاد الشام وتضامن الشيخ ضاهر العمر والامير يوسف الشهابي امير لبنان معها • وقد جاءت الحملة بقيادة زميل لعلي بك اسمه ابو الذهب وسيطرت على فلسطين وحاصرت دمشق • ثم دب الخلاف بين ابي الذهب وضاهر العمر فانسحب ابو

---

(١) ص ٦٦ — ٦٧ •

(٢) ص ٩١ — ٩٢ •

الذهب الى مصر ونشب النزاع بينه وبين علي بك • فطلب الشيخ ضاهر من الامير اسماعيل ارسال نجدة من الفرسان لقتال ابي الذهب فسارع الامير على رأس رجاله وسار مع القوات الاخرى حتى بلغ غزة وهناك بلغه تغلب ابي الذهب على خصمه وأسره فعاد قافلا [1] •

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٩٠ هـ خبر وضع الامير يوسف امير لبنان يده على ما للامراء الشهابيين من قرى ومزارع في البقاع لجمع ريعها وسداد المبالغ المطلوبة منه للخزينة وحنق الامراء وتدخل الامير اسماعيل في الامر وتراجع يوسف نتيجة لذلك [2] •

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٩١ هـ خبر نشوب نزاع بين الامير منصور امير راشيا واخيه محمد على الحكم واستغاثة محمد بالامير يوسف، وارفاق هذا لذلك بعسكر ازاح به اخاه عن الحكم واستولى عليه • وقد لجأ منصور الى والي الشام محمد باشا العظم لمساعدته على العودة الى ولايته فارسل محمد الى الوالي ٢٥٠٠٠ قرش والتمس منه اهلاك اخيه وأيد الامير يوسف التماس محمد فقبل الوالي المال واعتقل منصورا ثم امر بقتله [3] •

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٩٣ هـ خبر مساعدة الامير اسماعيل للامير يوسف على وضع يده على عقارات وارزاق آل ابي اللمع في البقاع في ظروف نزاع بين يوسف وبينهم • وكان يوسف يتولى حكم البقاع في هذه الظروف لان اخويه نازعاه حكم لبنان واستطاعا اقصاءه عنه [4] •

---

(١) ص ١٠٩ – ١١٠ •

(٢) ص ١١٦ •

(٣) ص ١٢١ •

(٤) ص ١٢٣ •

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٩٥ هـ خبر التماس الأمير سيد احمد اخي الامير يوسف من والي الشام ولاية بلاد التيم الفوقا والتحتا والبقاع بعد ان تمكن يوسف من العودة الى ولايته لان امراء وادي التيم كانوا متضامنين مع يوسف . فاجابه الوالي الى ملتمسه وارسل اليه عسكرا للتنفيذ . ونهض الامير محمد حاكم راشيا اولا الى لقائه فدارت الدائرة عليه فسار سيد احمد الى راشيا واستولى عليها . ثم عزم على السير الى حاصبيا فكتب الامير اسماعيل الى الوالي متوسلا ملتمسا فقبل التماسه وامر سيد احمد بالانصراف عن حاصبيا والاكتفاء بولاية راشيا والبقاع . وقد أناب سيد احمد الأمير موسى بن منصور الذي قتل بسعي محمد في حكم راشيا وعاد الى البقاع .

على ان ولاية راشيا لم تطل لسيد احمد فقد زحف الامير يوسف اخوه على البقاع وغلبه وحينئذ عاد محمد الى راشيا . وقد انتقم من موسى وسعد ابني اخيه لتضامنهما مع سيد احمد فقتل موسى وفقأ عيني اسعد غدرا بعد ان توسط اسماعيل بينه وبينهما وجعله يصفح عنهما (١) .

ومن ذلك في حوادث سنة ١١٩٨ خبر هيجان الفتنة بين الامير يوسف وخاله اسماعيل امير حاصبيا . فقد كانت مقاطعة مرجعيون في يد اسماعيل وكان جل اعتماد معيشته عليها على انها لم تكن ضمن ولاية الشام التي كان وادي التيم تابعا لها . وصدف ان قتل يهودي في منطقة حاصبيا فطلب والي عكا احمد الجزار من الامير اسماعيل ارسال القاتل مع اموال القتيل المنهوبة فاجاب باعذار لم يقبلها الوالي واصدر امره للامير يوسف امير لبنان بوضع يده على مرجعيون . فنفذ الامر وصادر ما للامير اسماعيل فيها من ارزاق . وادى ذلك الى ضيق اسماعيل فنهض الى دير القمر والتمس من ابن اخته اعادة مرجعيون اليه ووعد بدفع

---

(١) ص ١٣٢ - ١٣٣ .

٢٥٠٠٠ قرش مقابل ذلك فابى يوسف واصر على الرفض فعاد اسماعيل محنقا وكتب للجزار ملتمسا رضائه وملتمسا في الوقت نفسه ولاية الشوف وتوابعه ـ مكان يوسف ـ ومتعهدا بدفع (٣٠٠٠٠٠) قرش فرضي عنه الجزار وقبل عرضه لانه كان يحب اثارة الفتن بين الشهابيين ودعاه الى زيارته فذهب الى عكا وصحب معه سيد احمد أخا الامير يوسف . وعلم يوسف بما جرى فاخذ يقوم بحركات اثارت غضب الجزار مما جعله يخلع على اسماعيل وسيد احمد خلع الولاية ويرفقهما بالعساكر والتأييد ، وتمكن الاميران من دخول دير القمر ومباشرة الحكم بعد ان رأى يوسف ان لا قبل له بهما وفر من الدير . وحاول اسماعيل بعد ذلك ارضاء يوسف بولاية جبيل تحت امرته فابى فطارده . فذهب الى جبل النصيرية . وظهر من اسماعيل وسيد احمد عجز عن جمع الاموال المرتبة على لبنان وتبين للجزار انهما لم يملآ الفراغ فاضطر هذا الى استدعاء يوسف ولما جاء الى مقابلته قابله بالبشاشة فتعهد له بالف الف قرش يدفعها في ثلاثة اشهر فقبل وافرغ عليه الخلعة وارفقه بالعسكر فعاد الى دير القمر التي فر منها سيد احمد واسماعيل بدورهما . وكان الامير اسماعيل طرد محمدا من راشيا وعين عليها قاسم بن فارس الكبير فالتجأ الى يوسف والتجأ اليه ايضا اسعد ابن اخي اسماعيل الذي كان ناقما على عمه . فارسل يوسف معهما عسكرا وافرا للاستيلاء على حاصبيا فاستوليا عليها . وكان اسماعيل مختبئا وينوب عنه في حكم حاصبيا ابن اخيه بشير ففر منها فاستلم حكمها اسعد وذهب محمد الى راشيا فاستولى عليها كما كان امره سابقا . وظل يوسف يبحث عن اسماعيل ويتعقبه حتى ظفر به فاعتقله مع كل من والاه ووالى اخاه سيداحمد . وقد بقي اسماعيل في السجن الى سنة ١١٩٩ حيث توفي وقيل مات مخنوقا .

وقد ذهب ابنه علي الذي كان في سن الفتوة بعد موت ابيه الى

عكا وحصل على رضاء الجزار فوجه معه عسكرا تمكن به من الاستيلاء على حاصبيا وتولى حكمها [١] ٠

ومن ذلك في حوادث ١٢٠٣ هـ وفي سياق الخلاف الشديد بين الامير يوسف امير لبنان والجزار خبر ندماج محمد امير راشيا مع الامير يوسف ضد الجزار في الحركات والمؤامرات ، واندماج علي امير حاصبيا مع الجزار بالمقابلة ٠ وقد توفي علي في السنة نفسها فاستلم حكم حاصبيا ابن عمه يوسف الذي وصف بالبخل والخداع وبالمعرفة ايضا [٢] ٠

ومن ذلك في حوادث سني ١٢٠٤ـ ١٢٠٧هـ خبر ذهاب الامير اسعد ابن سليمان الى الامير بشير الشهابي الثاني الذي تولى مكان يوسف وقيعا فاعطاه حكم حاصبيا وارسل معه عسكرا فاستولى على حاصبيا ٠ وفر اميرها يوسف الى الشام فارسل اسعد الى والي الشام مبلغا من المال وطلب قتله فقبل المال وحقق المطلوب ! [٣] وكان ليوسف اخ اسمه علي فاغتنم فرصة فقوص اسعد ثم قتل اخا له اسمه قاسم وتملك حاصبيا [٤] ٠ وغضب الامير بشير من ذلك فارسل عسكرا الى حاصبيا فاشعلوا فيها وفي اكثر القرى القريبة منها النار [٥] ٠ ولما ولى الجزار الاميرين حيدر وقعدان ولاية لبنان في ظرف غضب فيه على الامير بشير التمسا منه تعيين الامير قاسم اخي علي لحاصبيا بدلا من اخيه الامير محمدا لراشيا وكفلاعنهما المال المرتب عليهما وكانت ولاية الجزار في هذه الاثناء شاملة لجميع بلاد الشام فوافق وارسل اليهما الخلع [٦] ٠

---

(١) ص ١٣٥ ـ ١٤١ ٩

(٢) ص ١٤٩ ٠

(٣) ص ١٥٠ ٠

(٤) ص ١٦٣ ٠

(٥) ص ١٦٤ ٠

(٦) ص ١٦٥ ـ ١٦٩

وفي سنة ١٢٠٧ هـ مات محمد امير راشيا فتولى الحكم مكانه الامير حسين بن الامير اسعد غير انه لم يلبث ان مات فقسم حكم وادي التيم الاعلى بين اخيه فندي واولاد الامير محمد وكانوا جميعهم صغارا فاقيم عنهم وكلاء (١) .

ومن ذلك في حوادث سني ١٢١٢ ــ ١٢١٨ هـ خبر طرد الامير عثمان امير حاصبيا أخاه واولاد عمه واستغاثة هؤلاء بالامير بشير واعتزام هذا ارسال عسكر لارغامه وشكاية قاسم للجزار واصدار الجزار امره للامير بعدم المعارضة . وقد ذكر المؤلف في حوادث سنة ١٢١٦ ان الشيخ فارس العماد التمس من الجزار تعيين الامير عباس بن اسعد حاكما على حاصبيا ومعارضة الشيخ بشير جنبلاط لذلك والتماسه تعيين الامير سليمان بن عم عباس حيث يفيد الخبر ان قاسما اقصى عهد الامارة في ظرف ما في السنة المذكورة . والسياق يذكر ان الجزار قبل الالتماسين لانه كان يحب ايقاع الفتنة بين مشايخ الدروز ، ولكن الشيخ فارس اخذ مرشحه وذهب الى عكا وحصل له على تثبيت من الجزار وعسكر يساعده على استلام الحكم في حاصبيا . وكانت ولاية عباس على غير رضاء الامير بشير الذي كان في هذا الظرف معتزلا ومتغيبا عن دير القمر لجفاء قام بينه وبين الجزار . وقد تشجع عباس فزحف بالعسكر الذي ارسله معه الجزار على دير القمر واستولى على ولاية لبنان ثم مد حكمه الى جبيل ايضا . ولكن الامد لم يطل له حيث استأنف الامير بشير نشاطه وزحف مع انصاره على دير القمر فانسحب عباس الى حاصبيا .ولكنه لم يهنأ هنا . فان الشيخ بشير جنبلاط ترجى الامير بشير بشأن الامير قاسم حاكم حاصبيا السابق فرضي عنه وساعده على طرد عباس والعودة الى ولايته (٢) .

---

(١) ص ١٧٢ .

(٢) ص ٣٥٦ ــ ٤٠٤ .

وفي حوادث سنة ١٢٣٥ خبر امر والي الشام للامير فندي حاكم راشيا بطرد مشايخ من بيت عبد الملك وتلحوق من بلاده بسبب حركاتهم الازعاجية للامير بشير وكتابة والي عكا اليه بذلك [١] . والخبر قد يفيد ان نفوذ الامير بشير لم يكن قويا على حكام وادي التيم فشكا المشايخ لوالي عكا وكتب هذا بشأنهم لوالي الشام .

ولعل الخبر التالي يفسر ذلك حيث ذكر الامير حيدر في حوادث سنة ١٢٣٦ ان جفاء وقع بين الامير بشير ووالي عكا جعل الامير ينزح الى حوران . وقد جاء في سياق ذلك ان والي عكا عبدالله باشا ارسل أوامره للامير فندي والامير منصور حكام راشيا وحاصبيا بعدم قبول الامير بشير ومن معه عندهم . وان عبد الله باشا طلب من قائمقام والي الشام عزل الامير فندي وتولية ابن عمه منصور على ما في يده لان فنديا كان يميل الى الامير بشير وقد سار بصحبته الى حوران [٢] ففعل القائممقام ما طلبه . ثم ذكر الامير حيدر ان عبدالله باشا عاد فرضي عن الامير بشير وان والي الشام درويش باشا رضي عن الامير فندي بدوره وولاه كامل التزام وادي التيم الاعلى والاسفل على ان يورد للخزينة (٢٥٠) كيسا ووجه معه عسكرا . وكان ذلك في نفس السنة [٣] . وهذا الخبر يعني ان الوادي وحد في هذه الفترة تحت حكم الامير فندي ! وقد ذكر الامير حيدر ان فنديا دعا جميع الامراء الشهابيين التيميين الى الاجتماع لتوزيع المال وتم الاتفاق على ان يبقى كل منهم متصرفين كما كانوا بارزاقهم وناسهم على ان يكونوا تحت امر فندي ويكون الحكم والتصرف باسم الامير فندي حسب امر الوزير [٤] .

---

(١) ص ٦٥٤ .

(٢) ص ٦٦٩ .

(٣) ص ٦٧٤ .

(٤) ص ٦٧٥ .

ومن ذلك في حوادث سنة ١٢٣٧ وفي سياق ذكر ما كان بعد رضاء عبد الله باشا عن الامير بشير وعودته الى حكمه ذكر الامير حيدر انه جرت مراسلة بين الامير بشير وابراهيم قبوجي باشا المقيم في الشام في صدد عقد اتفاق وئام وان الامير طلب فيما طلب ان يكون حكم وادي التيم بفرعيه منوطا بمن يختاره الامير من الشهابيين • وان رسول ابراهيم طلب من الامير تقديم عرض بذلك لوالي الشام فلم يوافق والي عكا على ذلك وامره بارسال عسكر لطرد الامير منصور حاكم وادي التيم الاعلى ــ راشيا ــ حيث يفيد الخبر ان حكم فندي الشامل لم يدم الا فترة قصيرة ، وان الامير بشير كان حانقا على منصور لموقفه منه أثناء نزوحه • وقد ارسل الامير عسكرا وكتب منصور للشام فارسلت اليه عسكرا وكانت جولة بين القوتين كتبت الهزيمة فيهما على عسكر الشام وفر منصور الى اقليم البلان ، وجعلت راشيا تحت حكم فندي ثانية [١] •

ومن ذلك في حوادث سنة ١٢٤٠ خبر قتل الامراء الشهابيين في حاصبيا اولاد عمهم الاميرين حسن وحسين • وقد ذكر ذلك في سياق جاء فيه ان الاميرين لم يكونا من بيت الحكم • وان الشيخ بشير جنبلاط كان يميل الى حسن فلما نزح الامير بشير الى مصر حرضه على النزول للشام وطلب الولاية على حاصبيا والتعهد بزيادة المرتب ففعل وعينه الوالي درويش باشا وأيده بالقوة وتمكن من استلام الحكم • وحينئذ رحل اولاد عمه علي وسيد احمد اولاد الامير قاسم ــ ويظهر من هذا انهما المقصودان في جملة الامراء الشهابيين في حاصبيا وانهما كانا هما حكامها آنذاك وقاسم كان حاكما لحاصبيا من قبل كما مر بيانه ــ الى دير القمر • ولما عزل درويش باشا ارجع الوالي ولدي الامير

---

(١) ص ٣٥٦ ــ ٤٠٤ •

قاسم الى الحكم وجعل الامير حسن شريكا لهما فيه ، وقد اغتنما فرصة غضب الامير بشير على الشيخ بشير جنبلاط حامي الامير حسن فقتلوه هو واخاه [1] .

ومن ذلك في حوادث سنة ١٢٤١ خبر كبس الامير فندي حاكم راشيا ابن عمه منصورا وقتله وضبطه لجميع املاكه وصار هو الحاكم المفرد في وادي التيم الاعلى . وقد وصف المؤرخ منصورا بانه شريك فندي في الحكم ، حيث يفيد السياق ان فنديا استلم الحكم حينما عاد بالشراكة معه [2] .

ولقد انتهى تدوين الامير حيدر عند آخر سنة ١٢٤٣ ــ ١٨٢٧ ، وقد الحق ناشرا كتابه ملحقا بالحوادث التي جرت بين سني ١٢٤٤ ــ ١٢٤٨ . وجاء ذكر وادي التيم في هذا الملحق في سياق حوادث سنة ١٢٤٤ حيث لجأ الامير حسن بن حمود الشهابي الى حكام حاصبيا الشهابيين لانه ارتكب جريمة قتل ابيه واخيه في لبنان ــ ويبدو من هذا انه من الفرع اللبناني ــ ثم تشرد حتى ضاقت الحياة عليه فجاء اليهم ليلتمسوا عفو الامير بشير عنه ففعلوا وقبل الا مير واصدر امره برجوعه الى محله [3] .

وفي سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣١ م كانت حركة محمد علي باشا وحملة ابنه ابراهيم على بلاد الشام . وقد ورد في الملحق الآنف الذكر ذكر لوادي التيم وامرائه في سياق ذلك ، حيث ذكر ان الامير بشير ذهب الى عكا حينما كان ابراهيم باشا يحاصرها وطلب من امراء وادي التيم موافاته فالتقوا به في الطريق وذهبوا معه الى عكا حيث حصلوا على

---

(١) ص ٧٧٥ ــ ٧٧٦ .

(٢) ص ٧٨٥ .

(٣) ص ٧٩٦ .

انعام ابراهيم وخلعه وفراويه [1] ، وحيث ذكر كذلك ان الاميربشيرسار الى الشام حينما توجه اليها ابراهيم وسار في صحبته الامراء الحاكمون على وادي التيم [2] . والسياق يفيد ان امارتي وادي التيم ظلتا قائمتين إبان الحملة المصرية .

وقد قلنا ان الشدياق لم يعد يذكر شيئا من احداث الشهابيين التيميين بعد قيام فرع منهم على حكم لبنان وان الفصل الذي عقده بعنوان ولاية الامراء الشهابيين انحصر الكلام فيه على الفرع اللبناني . ومع ذلك فانه ذكر في هذا الفصل وفي سياق ذكر حملة ابراهيم باشا ان محمد علي باشا حينما جاء الى فلسطين للاشراف على قمع الثورة التي نشبت فيها ضد الحكم المصري سنة ١٨٣٢ م وامر الامير بشير بجمع العساكر وارسالها الى بلاد صفد للتنكيل بالصفديين الذين نهبوا اليهود في هذه الاثناء امر الامير بشير الامير فندي حاكم راشيا بارسال عسكره الى صفد لهذه المهمة ، حيث يفيد هذا كذلك قيام الحكم الشهابي إبان الحملة المصرية [3] .

ولقد ذكر سليمان ابو عز الدين في كتابه « ابراهيم باشا في سورية [4] » ان ابراهيم باشا قضى على الحكم الاقطاعي وجعل اصحاب الاقطاعات في مبدأ الامر موظفين بمرتبات مقررة ثم صار يعزلهم ويولي مكانهم غيرهم ومن جملتهم الامراء الشهابيون في راشيا وحاصبيا . ومن المحتمل ان يكون فعل هذا بعد ان توطد الحكم المصري في بلاد الشام ولقد ذكر هذا المؤلف في سياق الثورات التي قامت ضد الحكم المصري ان الامير فندي حاكم حاصبيا واقاربه الامراء جهجاه وسعد الدين

(١) ص ٨٥٣ .

(٢) ص ٨٦٦ .

(٣) اخبار الاعيان ص ٥٧٩ .

(٤) ص ١٣٧ .

واحمد اشتركوا مع رجالهم في الحملة التي قادها الامير خليل بن الامير بشير لقمع ثورة النصيرية عام ١٨٣٤ [١] وان الامير سعد الدين امير حاصبيا صحب الحملة التي سيرتها حكومة الشام لقمع ثورة دروز وادي التيم [٢] .

والمتبادر ان سعد الدين فر من حاصبيا حينما نشبت الثورة الى الشام فهيأت الشام له حملة عاد بها الى حاصبيا . والسياق الذي يورده المؤلف، يفيد ذلك ويفيد ان سعد الدين مارس الحكم ثانية في حاصبيا بقوة الحملة التي جاء بها حيث جاء فيه ان الحملة قبضت على بعض الدروز في حاصبيا فنهض شبلي العريان كبير ثوار دروز وادي التيم بجمهور من الدروز الى حاصبيا وانضم اليه الاميران بشير وعلي الشهابيان من امراء راشيا لثأر لهما عند امراء حاصبيا وان سعد الدين وذويه اعتصموا في السراي وان شبلي العريان لم يتمكن من دخول السراي وكل ما وقع تراشق بين الثورا وبين المعتصمين فيها قتل فيه محمد شقيق سعد الدين [٣] .

ولم نر بعد ذلك ذكرا للشهابيين التيميين في المصادر التي بين أيدينا . وقد سألنا بعض الاحياء المعمرين من ذريتهم في دمشق فقالوا ان فنديا ظل يمارس الحكم في راشيا الى سنة ١٨٥٢ حيث توفي فتولى الحكم فيها بعده ابنه علي الذي قتل في أثناء ثورة الدروز في وادي التيم في سنتي ١٨٥٩ ــ ١٨٦٠ وان سعد الدين ظل يمارس الحكم في حاصبيا الى التاريخ نفسه وانه قتل كذلك في أثناء هذه الثورة . وان الاميرين

---

(١) ص ١٨٦ ولعل الاصح ان فنديا هو امير راشيا لان المؤلف يصف الامير سعد الدين بصفة امير حاصبيا .

(٢) ص ٢٠٧ ولا يذكر المؤلف اسم والد سعد الدين وقد قال لنا شيوخ الشهابيين التيميين انه ابن احمد بن قاسم .

(٣) ص ٢٠٧ .

كانا آخر الامراء الشهابيين الحكام في الوادي حيث زال الحكم الاقطاعي فيه في اعقاب فتنة ١٨٦٠ ومذابحها بين النصارى والدررز والمسلمين كما زال في لبنان وانحاء بلاد الشام الاخرى وقام في وحاصبيا حكومة على رأسها قائممقام تابع لولاية الشام ٠

وقد نزحت الاسرة بعد حوادث سنة ١٨٦٠ الى دمشق فسكنتها عشر سنين ثم عادت الى حاصبيا وراشيا وقد كانت الحكومة العثمانية صادرت جميع اموال الشهابيين واملاكهم فخصصت لهم بعد هدوء الاحوال راتبا لقاء الاموال والاملاك المصادرة ظلوا يتقاضونه الى حين انسحاب الدولة العثمانية من ديار الشام سنة١٩١٨ م ثم صاروايتقاضونه من حكومة لبنان حتى اشترته منهم نتيجة لضم حاصبيا وراشيا الى لبنان من قبل السلطات الافرنسية المنتدبة ٠

— ٥ —

والآن نأتي الى سيرة فرع الشهابيين في لبنان الذي شغل بنشاطه وحيويته حيزا عظيما يشبه حيز بني معن الذي قام على انقاضهم وكان في الحقيقة امتدادا لحكمهم كما قلنا قبل مع فارق هام هو كثرة التناحر بين امراء هذا الفرع على الحكم في حين ان بني معن لم يتناحروا فيما بينهم عليه ٠ ومعظم مادة هذه السيرة مستغرق في سيرة الامير بشير الثاني ألمع نجوم الاسرة الشهابية بسبب ما حدث في عهد حكمه الطويل من احداث جسام محلية وخارجية ٠

ولما كان ما في اخبار الاعيان للشدياق من سيرة هذا الفرع مطابقا لما في الغرر الحسان للامير حيدر وكان الغرر اقدم من الاخبار واوسع وهو مصدر رئيسي له حتى انه يورد احيانا عباراته بحروفها فسوف نكتفي بالاقتباس من الغرر في هذا البحث الى النقطة التي ينتهي عندها

في سنة ١٢٤٨ هـ ثم تتمم السيرة اقتباسا من اخبار الاعيان الذي يؤرخ حقبة تمتد اكثر من عشر سنين بعدها .

ولقد ذكرنا كيفية بدء امارة الفرع اللبناني في السياق السابق . ونقول الآن ان الامير بشير استلم حكم جبل الشوف وتوابعه سنة ١١٠٩ كنائب عن الاصيل الامير حيدر الذي كان قاصرا وباشر المهمة بنشاط . وقد اطاعه الناس وساس الرعية باحسن سياسة وكان اميرا جليلا وسيدا نبيلا على ما نعته الايمر حيدر [1] .

ومما ذكره المؤرخ المذكور من احداث عهده ان مشرفا بن علي الصغير واخاه وهما أصحاب مقاطعة بلاد بشارة وشيعيون ـ ومعظم اهل بلاد بشارة وجبل عامل شيعيون وكانوا يسمون متاولة وهي جمع متولي على ما هو المتبادر والكلمة في معنى الشيعة ـ خرجوا على طاعة والي صيدا وقتلوا بعض تابعيه فاستنهض الوالي بشيرا لقتالهم وجعل له ولاية بشارة واقاليم الشومر والتفاح والشقيف وصفد فجمع جموعه القيسيين وسار لقتالهم ـ وكانت نعرتهم يمنية ـ والتقى بجموعهم في قرية المزيرعة ودارت الدائرة عليهم وقتل وأسر خلق كثير من جماعتهم وكان من الاسرى شرف واخوه الحاج محمد ، واستولى على حكم البلاد حسب تفويض الوالي . وقد عين اخاه منصورا واليا لصفد وجعل عمر الزيداني ـ وهو ابو الشيخ ضاهر العمر المشهور ـ مساعدا له . وحضر اليه بنو منكر اصحاب اقليمي الشومر والتفاح وبنو مصعب اصحاب اقليم الشقيف وهم متاولة ايضا واعلنوا لـه الولاء وأظهروا التعصب للقيسية فقبل منهم وأقرهم على بلادهم ولاة من قبله [2] وقد توفي أخوه منصور فولى على صفد مساعده المذكور آنفا [3] .

---

(١) الغرر الحسان الجزء الثاني والثالث نشر رستم والبستاني ص ٥ .

(٢) ص ٦ .

(٣) ص ٧ .

ولقد كان بنو حماده المتاولة يتولون بلاد جبيل والبترون سنة ١١١١ فتأخروا عن توريد المال فتعرضوا لنقمة والي طرابلس فذهبوا الى الامير بشير مستنجدين فتشفع بهم وضمن عنهم المال فقبل الوالي بشفاعته على ان يكون هو صاحب الولاية وتكون ولايتهم من تحت يده [١] . وهكذا امتد حكم الامير الى هذه البلاد ايضا .

وفي سنة ١١١٧ مات الامير بشير مسموما على ما ذكرناه في سيرة الشهابيين التيميين . وكان الامير حيدر صاحب الولاية الاصيل قد بلغ الرشد فجاء وجوه الشوف الى حاصبيا وزفوا له الامارة وساروا به في موكب الى دير القمر مركز الحكم حيث تولى الحكم . ورضخت له البلاد . وقد تسلم اقطاعات وعقارات بني معن الخاصة بالاضافة الى وراثته حكم البلاد منهم حسب ما قررته الاستانة [٢] .

وفي السنة نفسها جاء وال جديد الى صيدا ففك ولاية صفد واقاليم المتاولة الاخرى عن ولاية الامير حيدر واعاد تبعيتها له كالسابق فلم يبق تحت حكم حيدر الا جبيل والشوف وتوابعهما . ولقد اظهر بنو الصغير حقدهم على الامير حيدر وأخذوا يعيثون في اطراف بلاده وانضم اليهم في ذلك بنو منكر وبنو صعب . وحينئذ التمس الامير من الوالي ولاية بلادهم واستماله بالهدايا ففوضها اليه ، وحينئذ جمع جموعه ودهمهم واجتمعوا للقائه ونشبت المعركة عند النبطية فانتصر عليهم وانبسط حكمه على بلادهم [٣] .

(١) ص ٦ .

(٢) ص ٨ .

(٣) ص ٨ — ٩ وفي كتاب جبل عامل في التاريخ لمحمد تقي الدين آل الفقيه ص ٦٩ — ٧٠ ان الامير حيدر اغار على بلاد الشيعة واعاد حكمه عليها غير مبال بالوالي فادى ذلك الى خلاف بينه وبين الوالي واخذ الوالي يحرض بني علم الدين والزعماء العامليين الذين كانت تجمعهم النعرة اليمنية على الامير حيدر ويغريهم به ، وهذه الرواية اقرب للصواب لانها متسقة مع موقف الوالي الذي شرحناه في المتن بعد .

وقد عين الشيخ محمود ابا هرموش احد شيوخ جبل الشوف ـ ويصفه الشدياق بالدرزي [1] ـ نائبا عنه على هذه البلاد • وبدا من هذا النائب تهاون في جمع الاموال فغضب عليه الامير فذهب محمود الى والي صيدا مستنجدا فطمئنه وتشجع فالتمس منه ولاية جبل الشوف، ولقب الباشوية واغراه بالمال فحقق له طلبه • ولما ورد مرسوم الاستانة بالباشوية والولاية أردفه بعسكر وافر • وتواطأ معه بعض مشايخ البلاد مما جعل الامير حيدر ينسحب الى الهرمل • واستدعى محمود الامراء بني علم الدين اليمنيين واشركهم معه في الحكم • ولقد انسحب مع الامير حيدر مشايخ القيسيين بنو جنبلاط ونكد وتلحوق وغيرهم ثم انتقلوا الى كسروان واعتصموا في غزير واخذوا يتصلون بالقيسيين الذين اشتدت نقمتهم على ابي هرموش وآل علم الدين • ولما استوثق الامير حيدر بعد ان قضى نحو سنة معتزلا معتصما برز على رأس الحركة • واستنجد ابو هرموش بولاة صيدا والشام فامدوه وتزاحفت الجبهتان والتقتا في عين داره سنة ١١٢٢ هـ ١٧١١ م واشتبكتا في معركة حامية كتب فيها النصر للقيسيين وقتل وأسر خلق كثير من اليمنيين • وكان بين القتلى اربعة من بني علم الدين وبين الاسرى ثلاثة منهم بالاضافة الى ابي هرموش نفسه • وانتقل الامير حيدر الى الباروك وهناك قتل بقية الامراء بني علم الدين فانقرضت سلالتهم (وهذا تعبير المؤرخ الشهابي) • اما ابو هرموش فقد اكتفى الامير حيدر بقطع رأس لسانه وابهميه • وانفض عسكر الشام وصيدا نتيجة لانكسار اليمنيين • وعاد الامير حيدر الى الولاية •

وقد كافأ الذين ناصروه فاقطع الشيخ قبلان القاضي اقليم جزين وعليا النكدي قرية الناعمة وجنبلاط عبد الملك قرى الجرد ومحمد

---

[1] ص ٣٦٢ •

تلحوق وأخاه مقاطعة الغرب الفوقاني التي كانت في يد الامير يوسف ارسلان فاخذها منه لانه كان ضالعا مع ابي هرموش • وقد شيّخ المذكورين فصار لقب الشيخ يطلق عليهم كبارا وصغارا وخاطبهم بعبارة « الاخ العزيز » التي كان يخاطب بها اصحاب لقب الشيخ • وأمّر المقدمين بني اللمع فصار اسم الامارة يطلق عليهم كبارا وصغارا وقربهم اليه بالزواج حيث تزوج من بنت المقدم حسين وزوج ابنته الى ابنه عساف [1] •

ومن الصور الطريفة من ذلك العهد انه انكسر على الامير حيدر سنة ١١٢٤ هـ بعض المال فالتمس من الوالي مهلة مقابل رهائن فقبل فارهنه ابنه احمد وارهن الامير حسن اللمعي ابنه حسين والشيخ علي جنبلاط مقدم حمانا شرف الدين وبنو نكد وبنو تلحوق ابن الشقيف • ولم يرهن الامير مراد اللمعي احدا حيث اجتمع رجاله ودفعوا ما خصه • ونقل الوالي الى البصرة فاخذ الرهائن معه كأنما المال له حيث ظلوا عنده سبع سنين وعاد بعدها واليا للشام فارسل الامير حيدر المال وافتك الرهائن [2] •

وفي سنة ١١٣١ هـ حاول مشايخ المتاولة ان يتمردوا فزحف الامير حيدر عليهم واخمد حركتهم في وقعة عرفت بوقعة القرية [3] •

ومات الامير حيدر سنة ١١٤٣ هـ فخلفه ابنه ملحم • وقد ملأ الفراغ وهابه الناس • والقى الفتن بين المشايخ فضمن خضوعهم له كما يقول الامير حيدر [4] •

---

(١) ص ١٠ — ١٥ من الكتاب المذكور قبل •

(٢) ص ١٦ •

(٣) ص ١٧ •

(٤) ص ٢٨ •

ومما ذكره المؤرخ المذكور من سيرتـه ان بني الصغير اظهروا الشماتة بموت ابيه حتى خضبوا ذيول خيولهم بالخبـاء فغضب عليهم ودهمهم ونكل بهم وقبض على زعيمهم الشيخ نصار ونهب بلادهم . وكان سليمان الصعبي حاكم الشقيف وهو من المتاولة حليفا له في هـذا الموقف فولاه بلادهم فتطارحوا عليه وحملوا اليه كثيرا من المال حتى ارضوه فاعاد اليهم بلادهم [1] .

وكان من اثر قوة الامير ملحم ان صار اهل الشوف يمـدون أيديهم الى الخارج . وعاثوا سنة ١١٤٤ في قرى البقاع فغضب والي الشام سليمان باشا العظم وزحف بقواته فسارع ملحم رغم ما قيل من قوته الى الاعتذار وتعهد بدفع (٥٠٠٠٠) قرش كتعويض ورهن اخـاه الامير حسن على المال حتى رضي الوزير وعاد [2] .

وفي سنة ١١٥٦ عصي متاولة جبل عامل على والي صيدا فاستنهض ملحما فزحف عليهم فسارعوا الى الوالي نادمين فقبل منهم وكتب لملحم بالكف . ولكن هذا اغتاظ من مصالحة الوالي بدون رأيه فداهم بجيشه قرية نصار واجتمع احزاب الشيعة للقائه فدارت الدائرة عليهم وقتل ونهب وأسـر كثيرا منهم ثم تشفع الشيـخ علـي جنبلاط بهم فكف عنهم [3] .

وانكسر في السنة نفسها مال ميري عند ملحم فامرت الاستانـة ولاة الشام وصيدا وطرابلس على التعاون على ارغـامه فزحفت قواتهم أولا على اقليم التفاح ومرج بشرى وخشي ملحم تفاقم الامر فـدبر المال المكسور ودفعه [4] .

---

(١) ص ٣٠ .

(٢) ص ٣٠ .

(٣) ص ٣١ – ٣٢ .

(٤) ص ٣٢ .

وفي سنة ١١٦٢ هـ تمكن ملحم من مد حكمه الى بعض مقاطعات بعلبك بموافقة والي الشام وارسل اخويه احمد ومنصورا نائبين عنه . وانكسر المال فطالب والي الشام ملحما واغلظ في الطلب فجمع ملحم وجوه البلاد في الباروك للتدبر في الامر فظن الوالي ان الفرصة سانحة لضربهم فنهض مسرعا لاخذهم على غرة ولكن ملحما كان مستعدا فقابله وكسر قواته ثم كر على البقاع فاعمل فيها يد النهب وتحريق . وتضامن مع الوالي حيدر الحرفوش امير بعلبك فازاحه ملحم عن الحكم واقـام مكانه اخاه حسينا الذي كان متواثقا معه [1] .

وفي سنة ١١٦٣ تسلم ملحم بيروت وضمها الى ولايته وكان واليها تركيا اسمه ياسين بك قامت بينه وبين ملحم مشاحنة فحرض ملحم بعض مشايخ بني تلحوق على ازعاجه وعجز الوالي عن دفعه فما كان منه الا التخلي عن المدينة وتسليمها لملحم [2] .

وتطاول في السنة نفسها بنو منكر المتاولة على اقليم جزين فنهض ملحم اليهم ونكل بهم واعمل في بلادهم يد التحريق والتدمير [3] .

وفي سنة ١١٦٣ اعتدى بعض مشايخ بني تلحوق على المسافرين في البقاع فسير والي الشام عليهم قوة كبستهم في قريتهم تعنايل وقتلت بعضهم وانتصر ملحم لهم فكبس قوة الوالي وقتل بعض افرادهـا وخرج الوالي بقوة كبيرة ـ ولعله اراد أن يثأر لنفسه من هزيمة بعلبك ـ ولكن والي صيدا تدخل وجعل الامير ملحما يتعهد بدفع ١٥٠ كيسا ـ وقيمة الكيس ٥٠٠ قرش وكان للقرش قيمة كبيرة اذ ذاك ـ ورهن اخاه على المال حتى جمعه من البلاد وسدده بعد قليل [4] .

---

(١) ص ٢٥ .

(٢) ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٣) ص ٤١ .

(٤) ص ٤١ .

وفي سنة ١١٦٧ مرض ملحم مرضا شديدا فاخذ وجوه البلاد يشذون عن طاعته وتظاهر عليه اخواه منصور واحمد وطلبا الولاية ورأى نفسه عاجزا عن ضبط الامور فدعا اخويه وفوض لهما مقاليد الولاية ونزل الى بيروت حيث توطنها وانصرف عن الامور الدنيوية ولازم العبادة وكتب الفقه الى ان وافته منيته سنة ١١٧٣ هـ . ويبدو مما ذكره الامير حيدر انه تخلى عن الحكم لاخويه كارها حيث روى انه ارسل ابن اخ له اسمه قاسم الى الاستانة للسعي ضدهما ولكنه لم يفلح وجاءتهما الخلع من والي صيدا واستقر الحكم لهما [١] .

وفي زمن ملحم ظهرت النعرة اليزبكية الجنبلاطية في صفوف القيسيين . فقد قام نزاع بين الشيخ عبد السلام عماد والشيخ علي جنبلاط انقسم القيسيون بسببه فريقين كل فريق يؤيد شيخا من الشيخين وعرف فريق الشيخ عبد السلام باليزبكي نسبة الى جد من اجداده اسمه يزبك . واخذ يقع بين الفريقين مكايدات واعتداءات متقابلة يراق فيها الدماء وتخرب فيها الاملاك . وكان بنو تلحوق وبنو عبد الملك ممن انحازوا الى عبد السلام العماد . وقد استمرت الحالة امدا غير قصير بعد وفاة ملحم . وكانت النعرة تهيج فترة بعد اخرى . وكان الامراء الشهابيون يندمجون في احداثها فيكون بعضهم جنبلاطيا وبعضهم يزبكيا [٢] .

ولقد كان الامير قاسم الذي ارسله ملحم الى الاستانة للسعي ضد احمد ومنصور وثق صلاته مع بعض رجال الدولة وعاد الى بيروت بعد وفاة ملحم فدعاه عماه الى المصالحة فاجابهما وانعقد بينهما عهد وثيق

---

(١) ص ٤٣ — ٤٤ .

(٢) ص ٤٩ — ٥٠ في الجزء الاول من الغرر الحسان نشر مغبغب ان الشيخ يزبك بن العفيف هو جد بيت عماد المشهورين في الباروك والراجح انه جد لأم (ص ٦٣٦) .

وزوجه منصور ابنته وتوطن بيروت . وسنحت لاصدقائه في الاستانة فرصة تمكنوا بها من الحصول على فرمان سلطاني لوالي صيدا بتولية جبل الشوف وتوابعه وارسلوه اليه مع رسول خاص . وكتب الى عميه يقول لهما اني باق على العهد ولكني تكلفت نفقات طائلة وطلب منهما مالا لاكرام الرسول وارسال هدايا الى اصدقائه فرفضا وكان ذلك باشارة الامير اسماعيل امير حاصبيا . فذهب الى الوالي وقدم له الفرمان فاجابه مطيعا وافرغ عليه خلع الولاية واصحبه بالعساكر للتنفيذ فدهم بيروت واستولى عليها وكان عماه فيها فهربا ثم جمعا الناس وجعلوهم يكتبون عرائض ضده ودفعوا للوالي ٥٠٠٠٠ قرش فمال اليهما وانفض الناس عن قاسم ثم توسط بعضهم بين قاسم وعميه وعادت الامور الى مجاريها واستقر الحكم للعمين [1] .

وفي سنة ١١٧٧ نشب نزاع بين منصور واحمد وكان كل منهما يرغب في الانفراد في الحكم . وكان اولهما يميل الى عبد السلام عماد وثانيهما الى علي جنبلاط . فاهاج نزاعهما النعرة الجنبلاطية اليزبكية . واستعلى اليزبكيون وظفروا بتأييد الوالي واستطاع منصور ان يستقل بالحكم . وخرج احمد باهله واخوته الى المختارة قرية الشيخ علي جنبلاط ثم ارتحل الى راشيا . وخرج معه بنو نكد فاستولى منصور على املاكهم . وكان يوسف بن ملحم ميالا لعمه احمد وناقما على منصور فسعى مع والي طرابلس بواسطة مدبره سعد الخوري وحصل على ولاية ديار جبيل والبترون . واخذ من هناك يتصل بانصاره وأنشأ صلة ودية مع والي الشام وسار معه الى قتال محمد الجرار صاحب قلعة صانور في لواء نابلس فارتفع شأنه . وفي هذا الظرف كانت حركة الامير المملوك علي بك الكبير والشيخ ضاهر العمر التي اشرنا اليها قبل والتي هدفت

---

(١) ص ٥٠ — ٥١ .

الى سلخ مصر وبلاد الشام عن الدولة العثمانية واستقلالهما . وقد تحزب منصور مع الشيخ ضاهر فيها . وتحزب يوسف مع والي الشام ، فلما انسحب الجيش المصري من الشام نتيجة للخلاف الذي دب بين قائده ابي الذهب والشيخ ضاهر وانفرجت الازمة ابتسم الحظ ليوسف وعبس لمنصور ، ووهى عزمه وانفض الناس عنه فلم يكن مناص له من التخلي عن الحكم لابن اخيه واجتمع الاميران والمشايخ وكتبوا بذلك عرضا لوالي الشام الذي كان صاحب الولاية الشاملة على جميع بلاد الشام في هذا الظرف فوافق وارسل خلع الالتزام الى يوسف واستلم الحكم واطاعته البلاد . وكان ذلك سنة ١١٨٤ هـ (١) .

وفي هذه السنة اعلن مشايخ متاولة التمرد وانذروا والي صيدا بمغادرة البلاد فخاف فاتفق الامير يوسف مع خاله الامير اسماعيل حاكم حاصبيا وزحفوا بعشرين الفا على جبل عامل واخذوا يعملون يد التحريق والتدمير ثم التقوا بجموع المتاولة الذين كان معهم الشيخ ضاهر العمر ودارت بينهم معركة حامية عند النبطية فانكسر يوسف كسرة عظيمة برغم تفوق جموعه العددي . ثم تحاجز الفريقان ورجع كل منهما الى مكانه على شيء من التوافق الذي رغب فيه الشيخ ضاهر وايده الامير اسماعيل (٢) . غير ان والي الشام الذي كان والد والي صيدا الفار لم يرض بما تم فكتب للامير يوسف يحرضه على المتاولة وارسل اليه قوة وعتادا فاستجاب للتحريض وزحف وقابله المتاولة ومعهم الشيخ ضاهر ورجاله فكتبت الكسرة ثانية على يوسف وانهزم مع جيشه بعد ان قتل منه عدد كبير . ولقد حاول يوسف محاصرة صيدا التي كان الشيخ ضاهر قد استولى عليها بعد فرار واليها . وكانت حالة الحرب قائمة

---

(١) ص ٨٨ .

(٢) ص ٩١ — ٩٢ .

بين العثمانيين والروس وكانت سفن حربية روسية تتجول في مياه البحر الشامي فاستنجد بها الشيخ ضاهر فلبته وقصفت بقنابلها المحاصرين وارجعتهم • ثم جاءت الى بيروت فقصفتها واخرجت بعض عساكرها ونهبوا المدينة وفر بنو شهاب منها ثم ارسل الامير يوسف الى قائد الاسطول ١٥ كيسا بمثابة خرج بناء على طلبه فارتحل (١) •

وفي سنة ١١٨٥ ثار بنو حمادة على حكم الامير يوسف في جبيل ونشبت مناوشة بينهم وبين قوات ابن اخيه الذي كان ينوب عنه • فسير يوسف قوة تمكنت من قمع الثورة والتنكيل برؤوسها (٢) •

وفي سنة ١١٨٦ زحف الامير يوسف على الضنية لقتال واليها فاضل رعد لمحالفته لبني حمادة فاستغاث هذا بوالي طرابلس فتوسط وقضي الامر بالحسنى (٣) •

ولقد عين والي الشام بعد رحيل السفن الروسية احمدا الجزار (٤)

---

(١) ص ٩٣ ــ ٩٤ ٠

(٢) ص ٩٤ ٠

(٣) ص ٩٥ ــ ٩٦ ٠

(٤) شغل احمد الجزار حيزا كبيرا في تاريخ بلاد الشام المحلي واشتهر بالقسوةوالبطش والحيوية . ويستفاد مما ذكره مؤلف الغرر الحسان عنه (ج ٢ ص ٧٤ ــ ٧٦ و ٩٤ و١١٢ ــ ١١٥) انه بشناقي من بوسنة حضر الى مصر وخدم في بيت احمد كاشف احد امراء المماليك ولبس ملبوسهم وتنقل في خدمة الامراء وكان بطاشا جريئا واتصل امره بعلي بك الكبير الذي كان قد تغلب على خصومه وصار له الحكم في مصر فعينه واليا على البلد (شيخ بلد) واستخدمه في خدمات متنوعة نجح فيها فرقاه الى منصب سنجق . وطلب منه قتل احد منافسيه فابى فاحنقه وصار يترصد لقتله وشعر بذلك ففر الى الشام ودخل في خدمة واليها . ونال اعجابه . فارسله مع كاخيته وقوة عسكرية الى بيروت ثم عينه واليا لها على ان يكون تحت امرة الامير يوسف . وجاء كتاب من محمد ابي الذهب زميل علي بك الى الامير يطلب منه قتل الجزار وارسال رأسه اليه ويكون له مئتا الف ريال وذكر له صفاته وحذره من شره فاعتذر . ولما ارغمه الامير يوسف على التخلي عن بيروت على ماشرحناه

واليا على بيروت • فعمر ما كان مهدما من اسوارها وطمع في الاستقلال بحكمها دون الامير يوسف وشعر هذا بمطامح الجزار فعين واليا آخر مكانه فامتنع عن التسليم وتمرد واخذ يرسل عسكر المغاربة ليعيثوا في اطراف الشوف فنزل الامير وحاصر بيروت وجعل الشيخ ضاهر العمر يستدعي الاسطول الروسي ثانية لحصارها برا وجاء الاسطول وصار يقصف بيروت مما جعل الجزار يتخلى عن المدينة مكرها [1] •

ولقد قال مؤلف الغرر في سياق ذكره ذلك ان الامير يوسف اتحد مع عمه الامير منصور بعد الافتراق وعقدا بينهما عهود المحبة والوفاق حتى صارا بقلب واحد • ولما اتفق الامير منصور مع ابن اخيه توسط بينه وبين الشيخ ضاهر العمر بالصلح وجرت بينهما الرسائل والوسائل الى ان تعلقا بحبل المحالفة والمحبة وطابت بينهما ثمرات المودة والصحبة فصار الجميع يدا واحدة على نية سليمة راشدة [2] • وبناء على ذلك طلب الامير يوسف من الشيخ ضاهر استدعاء الاسطول الروسي ليساعد على اخذ بيروت من الجزار حسب ما ذكرناه آنفا • ولم يقع بعد ذلك بين الامير يوسف وبين الشيخ ولا بين الامير وبين زعماء المتاولة حلفاء الشيخ صدام ، بل قام تعاون وتواثق •

ولقد كان الامير منصور ضالعا مع الشيخ ظاهر في حركة علي بك بينما كان الامير يوسف منحازا أثناء هذه الحركة الى جانب والي الشام على ما ذكرناه قبل • ولقد مات هذا الوالي بعد قليل من الاشتباكات

في المتن رحل الى عكا ومن هناك رحل الى الاستانة وتقرب الى رجالها ونال اعجابهم فعينوه واليا على افيون قره حصار ثم سعى حتى تمكن من نيل ولاية صيدا سنة ١١٩٠ ومنذئذ انفتح له المجال ليلعب دورا هاما على مسرح الشام بحيويته ونشاطه وبطشه وقوته على ما سوف يرد في السيرة .

(١) ص ٩٨ — ٩٩ .

(٢) الغرر ج ٢ ص ٩٨ .

التي وقعت بين الامير يوسف والشيخ ضاهر ودارت الدائرة فيهـا على الامير . وكان علي بك قد جاء على رأس جماعة من المخلصين اه من مصر الى عكا نتيجة لما قام بينه وبين ابي الذهب من نضال تغلب فيه هـذا وغدا صاحب الحكم في مصر نتيجة لذلك . وقد اشترك رجال علي بك في الاشتباكات التي وقعت بين الامير يوسف والشيخ ، واظهروا بسالة وحماسة في القتال وكانوا بقيادة امير مملوك اسمه علي بك الطنطاوي وصفه مؤلف الغرر بانه كان اشجع اتراك مصر . فالظاهر ان موت الوالي من جهة واحتمال تجدد نشاط علي بك ونجاحه من جهة اخرى جعلا الامير يوسف يجنح الى التصافي مع عمه ثم الى توسيطه في تصفية ما بينه وبين الشيخ وحلفائه ايضا . ولقد كان من نتائج ذلك ان التمس الاميريوسف من والي الشام الجديد عثمان باشا المصري التوسط في العفو عن الشيخ واجـاب الوالـي التمـاسه ونجـح في مسعـاه فصـدر فرمـان السلطان بالعفو وتوجيه ايالة صيدا بصفة مالكانه الى الشيخ . وقـد اورد المؤلف نص كتاب من الوالي الى الامير يوسف بذلـك ثم نص الفرمان المرسل الى الشيخ ضاهر [1] .

ولقد زحف علي بك مع رجاله وثلة من رجال الشيخ ظاهر والمتاولة بقيادة صليبي ابن الشيخ نحو مصر للتنكيل بابي الذهب وخرج هذا للقائه والتقوا في طريق مصر ودارت الدائرة على علي بك ثم زحف ابو الذهب على فلسطين ووصل الى عكا بعد ان استولى على ما في طريقها فتشرد عنها الشيخ ظاهر فاثار ذلك فزع الامير يوسف لان الامـور سارت على غير ما قدره . وسارع الى مهاداة ابي الذهب وهو خـائف . غير ان هذا لم يلبث ان مات فجأة بعد حالة هيجان اعترته فافرخ روعـه

(١) الغرر ج ٢ ص ١٠٠ و ١٠٦ ـ ١٠٨ نسخة رستم . وصفة مالكانه كانت تعني في ذلك الظرف ولاية دائمة على أساس مال مقطوع يورده الوالي عنها . ومع ذلك فقد كان الولاة من هذا النوع يتعرضون للعزل حينما يثور غضب الدولة عليهم .

وطرب غـاية الطرب وارتاح ممـا في نفسه من التعب حسب عبـارة مؤلف الغرر [1] .

وفي سنة ١١٨٧ هـ اصطدم والي الشام عثمان باشا المصري مـع الامير يوسف الشهابي وسبب ذلك ان الامير التمس تفويض ولايـة البقاع الى اخيه سيد احمد فاجابه الوالي الى طلبه . وقد اتخذ سيد احمد قلعة قب الياس مركزا وحصنها وملأها بالميرة ثم اخذ يعتدي على الاطراف . وزجره الوالي فلم يرتدع فخرج للتنكيل به وخرج الامير يوسف للدفاع عن اخيه واستنجد بالشيخ ناصيف النصار كبير مشايـخ المتاولة وبالشيخ ظاهر العمر فسارعوا الى نجدته فكبر الوهم على الوالي وعاد مهزوما بدون قتال تاركا خيامه واثقاله غنيمة باردة للامير يوسف وحلفائه . ويقول مؤلف جبل عامل في التاريخ تعقيبا على ذلك ان المحبة والمودة بين الامير يوسف والشيـخ ناصيف انعقـدت وزالت بينهمـا الاحقاد وطبيعي ان هذا كان نتيجة لحالة الصلح والتواثق التي قـام بين الامير يوسف وزعمـاء المتاولة والشيخ ظـاهر علـى مـا ذكرناه قبـل [2] .

وفي سنة ١١٨٨ هـ سولت للامير سيد احمد نفسه منازعة اخيه . واستمال بعض امراء وادي التيم والحزب اليزبكي . فزحف الامـير يوسف على قب الياس وضرب عليها الحصار حتى ضاق الخناق على اخيه واضطر الى اعلان استعداده للخروج اذا أمنه اخوه فاجابه هـذا الى ذلك فخرج وتوطن في الحدث . ثم التمس الامير يوسف من والي

---

(١) ج ٢ ص ١٠٨ ـ ١٠٩

(٢) ج ٢ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ جبل عامل في التاريـخ و ج ٢ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ الغـرر الحسان نسخة رستم .

الشام ولاية البقاع فاجابه الوالي الى طلبه على شرط ان يعوض ما سلبه أخوه ففعل [1] .

وقد ذكر مؤلف جبل عامل دون مؤلف الغرر ان زعماء جبل عامل ركبوا مع الامير في هذه الرحلة [2] .

وفي سنة ١١٨٩ هـ كان القضاء على الشيخ ظاهر . فقد امرت الاستانة قائد الاسطول بالذهاب الى عكا ومطالبة الشيخ بالاموال المكسورة عليه وتلكأ الشيخ . وأدى الامر الى قصف عكا وحصارها . وخرج منها الشيخ فارا باهله وفي أثناء خروجه اطلق عليه احد رجال جنده المغاربة النار فقتله . ويقول مؤلف الغرر الذي يروي هذا ان الامير يوسف جنح الى مسايرة قائد الاسطول ليسلم من انتقامه فوجه اليه الرسل بالهدايا وساق اليه الخيل الجياد وكتب اليه يهنيه بالحضور الى البلاد وكشف الضر عن العباد فقبل حسن باشا ــ وهو اسم قائد الاسطول ــ هديته واتحف رسله واجابه بجواب حسن [3] .

وبعد قليل أي في سنة ١١٩٠ هـ وجهت ولاية صيدا الى احمد الجزار . وكانت الامارة الشهابية تابعة له . ولم يكد يستقر في الولاية حتى بدأ التشاد بينه وبين الامير يخف حينا ويشتد حينا . ويتخلل ذلك تفاهم وتقارب مع ذلك حتى شنقه في النهاية . والراجح انه كان يحمل عليه حقدا شديدا من يوم عزله عن بيروت .

ولقد طالبه في اول الامر باموال ثلاث سنين مكسورة عليه منذ ولاية الشيخ ظاهر وزحف الى بيروت . واستولى عليها وصادر ما فيها من املاك الشهابيين . وحاول يوسف مقابلة القوة بمثلها فاخفق فعمد

---

(١) ج ٢ ص ١٠٤ ــ ١٠٥ .

(٢) ج ٢ ص ١٥٣ ــ ١٥٤ .

(٣) الغرر ص ١١١ ــ ١١٤ ج ٢ .

الى المسايرة • وتعهد بدفع مئة الف قرش ولكنه عجز عن السداد فسير الجزار ثلة من عسكره الى البقاع فوضعت يدها على ما للامير يوسف فيها من املاك وارزاق • وزحف الامير بقواته واشتبك مع العسكر فانكسر وانهزم بعد قتل عدد كبير من رجاله [1] •

واغتنم اخوا يوسف سيد احمد وفندي فرصة انكسار اخيهم وما قام بينه وبين الجزار فاخذوا في سنة ١١٩٢ يستميلون الناس اليهم ويحرضونهم عليه مما اضطره الى جمع اكابر البلاد واعلانه التخلي عن الولاية امامهم وتسليمها لاخويه • وكتب بذلك للجزار فوافق على ذلك [2] •

وطلب يوسف من والي الشام ولاية البقاع فلباه • ومن هناك اخذ يجمع حوله انصاره • وتحالف مع خاله الامير اسماعيل امير حاصبيا ومع عثمان الشديدالمرعبي امير عكار واقاربه والمقدم ابراهيم رعد حاكم الضنية واقاربه فانزعج اخواه وظهر عليهما العجز واخذ الناس ينفضون عنهما وارسل الجزار الى يوسف اسعد بك طوقان من ولاة ديار نابلس يراوده على الولاية فقبل ودفع للجزار مئة الف قرش فاعاده الى الحكم وكان ذلك سنة ١١٩٥ [3] وظل الاخوان حاقدين يدسان الدسائس لاخيهما وشعر يوسف بذلك فقبض على فندي وقتله ونجا احمد فاشتد في المناوأة وتحزب معه المشايخ الجنبلاطيون والعماديون معا فشكا امره للجزار فارسل اليه عسكرا • وتزاحف الفريقان فدارت الدائرة على جبهة احمد ففر هو والمشايخ واستنجدوا بوالي الشام فوجه اليهم النجدات فاتجهوا اولا الى راشيا واستولوا عليها ونهض يوسف اليهم واشتبك

---

(١) ص ١١٨ — ١٢٠ .
(٢) ص ١٢٢ — ١٢٣ .
(٣) ص ١٢٤ — ١٢٦ .

معهم في البقاع فدارت الدائرة عليهم ثم توسط الامير اسماعيل وجعل الامير يوسف يعفو عن اخيه ومناصريه [1] .

وفي سنة ١١٩٨ هـ هاجت الفتنة بين الامير يوسف وخاله الامير اسماعيل بسبب مرجعيون وتفاقم امرها الى ان تضامن اسماعيل واحمد اخو يوسف وازاحا يوسف عن الولاية وتوليا مكانه وظل التشاد قائما بينه وبينهما الى ان تمكن من العودة الى الحكم واعتقال اسماعيل على ما مر شرحه في سياق سيرة الاسرة في وادي التيم . وقد تمكن يوسف من اعتقال اخيه احمد ايضا وقلع عينيه [2] .

وفي نفس السنة قبض الامير يوسف علي بني الصغير الذين كانوا مطرودين من الجزار ومقيمين في قرية مشغرة باذن يوسف وذمامه . وارسلهم الى عكا بناء على امر الجزار غير عابىء بحلفه معهم وذمامه لهم خوفا من الجزار الذي بلغ الذروة في القسوة والبطش والسلطان . وقد قتلهم الجزار عند وصولهم [3] . وواضح من السياق ان الجزار غدا المتسلط على ولاية الامير يوسف وعلى لبنان ووادي التيم يصرف امورها وامراءها كما يشاء ! ومع ما كان يتصف به من الجرأة والقسوة فان تناحر الامراء الشهابيين فيما بينهم كان من اسباب ذلك من دون ريب .

وفي سنة ١٢٠٣ هـ كانت الحادثة الكبرى بينه وبين الامير يوسف فقد اكتشف الجزار بعض اعمال فاحشة بين مماليكه وجواريه فقتل بعض المماليك وفر بعضهم الى قائد له من المماليك كان ارسله على رأس قوة لتحصيل الاموال المكسورة على الامير يوسف واخذوا يحرضونه على

---

(1) ص ١٢٨ — ١٣٢ .

(2) ص ١٣٤ — ١٤٣ .

(3) ج ٢ ص ١٢١ الغرر الحسان نسخة رستم .

سيدهم حتى اثاروه واثاروا في نفسه رغبة ازاحة الجزار والحلول محله . وزحف بقواته واندمج في حركته الامير يوسف والامير محمد حاكم راشيا . فلما تمكن الجزار من التغلب على مماليكه بعد ان كاد يغلب انصرف الى التنكيل بالضالعين في حركتهم وكان يوسف في رأس القائمة . وقد سير قواته للتنكيل به وتضامن معه علي بن اسماعيل امير حاصبيا نتيجة لما كان من يوسف نحو ابيه وتضامن مع يوسف محمد امير راشيا وجرت اشتباكات عديدة ودارت الدائرة في النهاية على يوسف ففر الى جهات طرابلس فطلب منه واليها الانسحاب فذهب الى بعلبك ومنها الى الزبداني واتصل بوالي الشام ونال امانه ورضاءه وعينه سنة ١٢٠٤ هـ حاكما على بلاد جبيل فارسل الجزار عسكرا لقطع الطريق عليه . وكان الجزار قد عين الامير بشير الثاني مكانه فامره بمطاردته . ولما رأى يوسف ان الجزار لن يتركه طلب منه الاذن بالحضور اليه فاذن له فذهب ودخل عليه واضعا محرمته في رقبته فطيب خاطره وطالبه بالمال المكسور ووعده باعادته الى الولاية اذا ما دفعه . وعلم الامير بشير فنزل الى عكا وتعهد بضعف ما تعهد به يوسف فقبل ورجع لجمع المال فتصدى انصار يوسف له واخذوا يعرقلون سعيه فشكا الامر للجزار فما كان منه الا ان امر بقتل يوسف ومدبره الشيخ غندور اللذين كانا ما يزالان عنده [1] .

على ان الاضطراب لم يزل بسبب توزيعات المال وكانت تقع مناوشات بين قوات الامير ومناوئيه الذين تكاثروا حتى قال الامير حيدر ان جميع البلاد صاروا خائنين عليه [2] . وتزعم حركة المناوأة الامير حيدر بن ملحم وكان اهل المتن الاكثر حماسا وتجمعا ضده وكان مشايخ بني نكد وبني عماد ضده ايضا وكتب المناوئون للجزار في سنة

(١) ص ١٤٢ — ١٦١ .

(٢) ص ١٦٢ .

١٢٠٦ عرائض يقولون فيها ان عصيانهم هو بسبب شدة الظلم وطلبوا توجيه الولاية للامير حيدر وابن اخيه الامير قعدان بن محمد مقابل اربعة آلاف كيس على ست سنين • وذهب وفد منهم لمشافهته وكان موسم الحج قد ادرك فدفعوا له (٢٠٠٠٠٠) قرش فقبلها وارسل خلع الولاية الى الاميرين فاستوليا على الحكم وتوجه الاميران الى بلاد جبيل فاعطاهما والي طرابلس خلعا بها • والسياق يدل فعلا على ان الاكثرية كانت حينئذ متحولة عن الامير بشير لانه لا يذكر ان الامير بشير اتى بحركة ما • وقد كانت ولاية الجزار في هذا الظرف عامة على جميع بلاد الشام بما في ذلك امارة الحج •

وحينما عاد الجزار من الحج ثبت الاميرين في المنصب لانهما وفيا بوعودهما بتوريد الاموال ووجه منشورا الى الامراء والعقال ومشايخ العقل يندد بحركاتهم المزعجة وينذرهم باشد النكال اذا استمروا على ذلك [1] •

ومع ذلك فان الناس اخذوا سنة ١٢٠٧ يتمردون على قعدان وحيدر ويمتنعون عن دفع الميري لهما فشعرا بالعجز واعلنا رغبتهما في التخلي عن الحكم وتوسيده الى حسين وسعدالدين اولاد الامير يوسف تفاديا من عودة الامير بشير وطلبا من جرجس باز مدبرهما ارسال ٢٠٠ كيس للجزار ورهن اخيه على بقية المال ففعل ووافق الجزار وارسل الخلع للاميرين • وقد اقام الاول في دير القمر والثاني في جبيل ، واقام جرجس باز في الدير مدبرا لحسن واخوه عبد الاحد في جبيل مدبرا لسعد الدين •

ولم يزل الاضطراب • واتهم الاميران الامير بشيرا بالتحريض ضدهما وكان موسم الحج قد ادرك فأجل البت الى ما بعد عودته ،

(١) ص ١٦٩ — ١٧١ •

ولما عاد قرر اعادة الامير بشير وارسل اليه قوة مكنته من الحكم . ولم يكد يتمكن حتى اخذ يطارد خصومه ويصادر اموالهم ويجبي الامـوال المكسورة وبذلك وطد هيبته وخاف الناس من صولته وجاء اليه كثير من المشايخ والامراء مستأمنين مستسلمين . ولم يهدأ الجبل فارسل الجزار من اعتقل الامير بشير وكبير اخصائه الشيخ بشير جنبلاط واتى بهما الى عكا وارسل خلع الامارة لولـدي يوسف ثانية وكان ذلـك سنة ١٢٠٩ هـ . وبدأ الاميران عملهما بدورهما في مطاردة انصار بشير ومصادرتهم . واخذ هؤلاء يقومون بحركات ازعاجية فشكى الاميران للجزار وقالا ان للامير يدا فامر بوضع الامير في الحبس ومنع مواجهة الناس له ووجه عسكرا لمساعدة الاميرين . وذهب الى الحج . فلمـا عاد صفا خاطره على الامير بشير فاخرجه من السجن واعاده الى الولاية وكان ذلك سنة ١٢١٠ هـ .

وبدأ الامير عمله كالسابق بمطاردة المناوئين ومصادرتهم وتشدد خاصة ضد اولاد الامير يوسف فهربوا الى الضنية لاجئين الى فاضل رعد حاكمها الذي كان في هذا الوقت متسلما لطرابلس واخذا بدورهما يتصلان بالانصار ويستعدان لقتال الامير وانتهى الموقف الى التزاحف والاشتباك فكتبت الهزيمة عليهما .

وقد سرد الامير حيدر هـذا السياق في تفصيـل يحتوي صورا متنوعة كئيبة من المنازعات والمؤامرات والمكايدات والمصادرات كـان يندمج فيهـا الامراء الشهابيون والمشايخ الجنبلاطيون والنكـديون وانصارهم [1] ...

وفي سنة ١٢١٠ هـ . رفعت يد الجزار عن ولاية الشام وصارت الولاية لعبد الله باشا العظم الذي عين ابنه واليا على طرابلس من قبله .

---

(١) ص ١٧٣ — ١٨٢ .

واغتاظ الجزار من ارتفاع يده واخذ يعمل على تعكير صفو الوالي الجديد فقام بين الواليين صيال ونضال واندمج الامير بشير اولا مع الجزار واندمج اولاد الامير يوسف مع والي الشام ووصل الامر الى اشتباك الجبهتين فدارت الدائرة على عسكر الشام واولاد الامير يوسف[1] وكان المشايخ النكديون زعماء انصار اولاد يوسف وسطوا امراء المتن لاصلاح ما بينهم وبين الامير بشير فارسل يطمئنهم ويدعوهم فلما جاؤوا الى دير القمر تآمر على قتلهم مع الشيخ بشير جنبلاط والمشايخ العماديين ونفذت المؤامرة على ستة من النكديين ومنح الامير بشير ارزاقهم للمشايخ المتآمرين معه ! ثم كبس المشايخ الجنبلاطيون بني عبدالصمد وقتلوا معظمهم لانهم حلفاء النكديين واولاد الامير يوسف[2] !.

وفي سنة ١٢١٢ هـ كانت غزوة نابليون لمصر وجاءت مناشير من السلطان سليم الثالث بالتحريض على الافرنسيين وباعلان اتفاقه مع الانكليز ضدهم . وفي سنة ١٢١٣ هـ كانت غزوة نابليون لفلسطين وحصاره لعكا . واضطربت الحالة في بلاد الشام وفرح اهل ايالة عكا لقدوم الافرنسيين بسبب ما كانوا يقاسونه من قسوة الجزار وبطشه وهرع مشايخ المتاولة واولاد الشيخ ضاهر العمر الى نابليون فاعطاهم حكم بلادهم ووزع عليهم السلاح والثياب . وطلب الجزار من الامير بشير اسعافه بالجند والميرة فاجابه ان البلاد ليست في يده ولم يفعل شيئا . وارسل نابليون كتابا الى الامير بشير بطلب التعاون معه فلاذ بالصمت . وقاوم الجزار الى ان جاءت العساكر العثمانية والانكليزية من البر والبحر وامكن رد الحملة الافرنسية . وكان الامير بشير اتصل بقائد الاسطول الانكليزي وتوثقت بينهما المودة فابدى له مخاوفه من

---

(١) ص ١٧٩ — ١٨٣ .

(٢) ص ١٨٣ — ١٨٥ .

الجزار فطمأنه • وجاء في هذه الاثناء جيش كثيف من الاستانة للزحف على مصر واخراج الافرنسيين فاتصل الامير بقائدها وقدم له الميرة التي طلبها ونـال رضاءه وتطمينه بـدوره ووسع نطاق حكمه بحيث شمل وادي التيم وبعلبك وبلاد المتاولة والبقاع وجبيل بالاضافة الى جبل لبنان • وجعل ولايته « مالكانة » لا تخرج من يده ولا يكون للولاة تسلط عليه وهو يورد الاموال المرتبة عليه رأسا الى الاستانـة كما كان الامر في زمن الامير فخر الدين المعني الثاني • ووصى به والي الشام عبد الله باشا العظم الذي كان بينه وبين الجزار صيال ونضال كما قلنا قبل • ولم يستطع الجزار ان يفعل شيئا مباشرا ضد الامير الـذي كان حانقا عليه اشد الحنق بسبب امتناعه عن ارسال المدد اليه ثم بسبب اتصالاته الواسعة ونيله هذه الرعاية ولكنه اتصل بالامير قاسم والي حاصبيا والمشايخ العماديين اشد خصوم الامير بشير واخذ يحرضهم فاخذوا يقومون بحركات مزعجة فطلب الامير عسكرا من والي الشـام فارسل هذا اليه ما طلب وزحف على حاصبيا فهرب قاسم وبنو العماد الى عكا • وهاج الجزار وماج فاعلن عزل الامير واستدعى اولاد الامير يوسف، فالبسهما خلع الولاية وارسل معهما عسكرا •وطلب الامير بشير نجدة من والي الشام فتلكأ وخاف الناس من بطش الجزار فـاخذوا ينفضون عن الامير حتى لم يبق حوله الا الاخصاء والمشايخ الجنبلاطيون فارتحل من دير القمر الى كسروان واتصل بقائد الاسطول الانكليزي الذي سارع الى شكاية الجزار للصدر الاعظم ثم ارسل كتابا للامير بشير يطمئنه ويثبته واصدر والي الشام منشورا الى امراء ومشايـخ ورعايا جبل لبنان يحذرهم من قبول حكم اولاد الامير يوسف ويؤيد الامير بشير ويهدد من يخرج عليه بالنكال • ولم يؤثر المنشور فـي الناس لخوفهم الشديد من الجزار ونشط اولاد الامير يوسف في توطيد حكمهم والتنكيل بخصومهم • وكان عسكر الجزار يؤيدهم • وحينئذ

يئس الامير بشير وتوجه نحو الشام • ولقي في طريقه رسلا من واليهـ يحملون اليه مرسوما بحكم جبيل واوامر لفاضل رعد حاكم الضنيـة والشيخ صقر المحفوض حاكم صافيتا والدنادشة حكام بـلاد الحصن وعلي الاسعد حاكم عكار بالسير معه وتقديم ما يحتاج اليه ، وامرا لقائد عسكره بالتوجه في صحبته • فرجع الى طرابلس واقام فيهـا ردحا ثم سافر بحرا الى لقاء الصدر الاعظم وقائد الاسطول الانكليزي في منطقة سيناء حيث كانت المصاولات مشتدة بين قواتهم والقوات الافرنسية وقص عليهم ما فعله الجزار • وفي هذه الاثناء كان الجزار يشدد في طلب الاموال والغلال والماشية من اولاد الامير يوسف ويجتهد هؤلاء فـي تنفيذ اوامره • وأدى ذلك الى تبرم الناس وضيقهم واخذوا يتصلون بالامير بشير ويتعهدون بالطاعة • وحينئذ جاء الى كسروان فاستقبل اعظم استقبال ثم تقدم نحو دير القمر بموكب عظيم واستعد اولاد الامير يوسف لصده بالقوة ثم جرت الوساطة وانتهت بالمصالحة والتواثق بين بيوت نكد وجنبلاط وعماد ثم بالتراضي على عودة الامير الى الحكم وتولى اولاد الامير يوسف حكم بلاد جبيل • واستقر الحال على هذا المنوال بعد احداث متنوعة اريق في بعضها الدماء • وكان ذلـك خلال سني ١٢١٣ ـ ١٢١٥ هـ وقد اسقط في يد الجزار من هذا الصلح لان تحكمه بالامارة الشهابية كان في الدرجة الاولى عن طريق ازكاء المنافسة ودس الدسائس بين الامراء [١] •

ولقد كان نشاط جرجس باز واخيه عبد الاحد قد بلغ الذروة في هذا الظرف حتى انه كان من جملة الشروط ان يكون الاول مدبرا للامير بشير في دير القمر كما كان مدبرا لحسن بن يوسف في دير القمر وان يكون الثاني مدبرا لاولاد الامير يوسف في جبيل على سابق عـادته على

---

(١) ص ١٨٥ ـ ٢١١ •

ما ذكره المدبس [1] . وقد حقد الامير بشير وانصاره على الاخوين لما كان من نشاطهما ولما نالاه من اقبال وصار لهما من نفوذ فتربص بهما حتى اذا رأى الفرصة مواتية سنة ١٨٠٧ م ـ ١٢٢٢ هـ تآمر عليهما مع اخيه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط والعماديين وقضى عليهما[2] .

وفي سنة ١٢١٥ هـ بدرت بادرة شقاق بين الدروز فرحب الجزار بها وازكاها واستغلها لدس اصبعه واستعادة هيبته . فقد التمس الشيخ فارس العماد منه تعيين الامير عباس بن الامير اسعد الشهابي التيمي حاكما على حاصبيا فاجابه الى ذلك وكان ذلك على غير رأي الامير بشير وأخصائه وخاصة الشيخ بشير جنبلاط كبيرهم الذي التمس تعيين الامير سليمان بن عم عباس وبذل خمسمائة كيس واجابه الجزار الى طلبه . ولكن الشيخ العمادي اخذ عباسا الى حاصبيا وجعله يستولي على الحكم فعلا ثم نزل معه الى عكا وحصل له على تثبيت الجزار وانعامه . وجمع الشيخ بشير جنبلاط جموعه لتأييد مرشحه . وتشجع عباس بما كان عنده من عسكر الجزار فزحف على دير القمر . وكان الامير بشير متغيبا عنها بل كان بمثابة معتزل عن الحكم ومقيما في صليما بسبب ما شعر به من شدة حقد الجزار وعودة فعاليته اليه بعد هدوء البال من الغزوة الافرنسية . وقد دخل عباس دير القمر وتولى الحكم ورفض الوساطة للتوفيق بينه وبين الامير بشير . ثم ذهب الى جبيل فوطد حكمه فيها كذلك . واغتاظ الامير بشير من تصرف عباس وموقفه السلبي نحوه فاتصل باولاد الامير يوسف وانصاره وانتهى الامر الى تزاحف وقتال بين الفريقين دارت الدائرة على عباس فانسحب الى حاصبيا وعاد بشير الى ولايته . وكان ذلك سنة ١٢١٦ هـ . وكان بين الجزار والاستانة في هذا الظرف خلاف أدى الى غضبها عليه واصدارها منشورا يندد به

---

(١) تاريخ الموارنة ص ٥٢١ ــ ٥٢٢ .

(٢) المصدر السابق والغرر الحسان ص ٥١٢ ــ ٥١٥ .

ويصفه بالخيانة والشقاوة مما جعله ينشغل عن لبنان ردحا من الوقت ويغضي عن حركة الامير بشير [١] . ومع ذلك فان الامير بشير سعى وتزلف اليه فجعله يسكت عنه بعد انقشاع غمته ويرسل اليه في سنة ١٢١٨ هـ كتابا يطيب فيه خاطره . وقد حاول بنو العماد تحريضه عليه ولكنه لم يثق بقدرتهم على الصمود له من جهة وبذل الامير جهده في دفع الاموال المرتبة عليه فحصل على رضائه من جهة اخرى [٢] . ثم توفي الجزار في السنة التالية فكان في ذلك الفرج على الامير والبلاد لانه كان كابوسا شديدا وكان جميع الناس منه في خوف دائم ولم يكد احد ينجو من ظلمه وقسوته [٣] .

ولقد صفا الحال للامير بشير ردحا من الزمن بعد موت الجزار وارتفع شأنه وعظم صيته وجاءه من السلطان مرسوم بتثبيت حكمه كما جاءه من الصدر الاعظم مرسوم آخر يطلب فيه منه مساعدة ابراهيم باشا الذي عين خلفا للجزار على استلام الولاية وضبط مخلفات الجزار وارغام اسماعيل باشا احد مماليك الجزار الذي حاول ان يحل في الولاية محل سيده على التخلي عنها [٤] .

وبعد قليل عين لولاية صيدا وال جديد اسمه سليمان باشا شغل بدوره حيزا كبيرا في بلاد الشام وكان فعالا نشيطا فاستطاع ان يوطد لنفسه وللدولة الهيبة والسلطان كالجزار وان لم يكن بطاشا قاسيا ظالما مثله ؛ بل لقد كان يوصف بالعادل على ما وصفه المعلم ابراهيم عودة رئيس ديوانه في كتاب له في تاريخ ولايته [٥] .

---

(١) ص ٣٥١ — ٣٦٨ .

(٢) ص ٤٠٤ — ٤٠٨ .

(٣) اورد الامير حيدر قصائد عديدة قيلت عقب موت الجزار تتضمن الفرح والانشراح من زوال كابوسه ص ٤٠٨ — ٤١١ .

(٤) ص ٤١١ — ٤٢٠ وقد اورد الامير حيدر نصوص المراسيم الواردة للامير .

(٥) نشر هذا الكتاب في سنة ١٩٣٦ من طرف الخوري قسطنين الباشا المخلصي .

وقد وجد هذا الوالي في دفاتر الجزار مطلوبات كثيرة غير مسددة في عهدة امراء لبنان في عهد امرة اولاد الامير يوسف وامرة حيدر وقعدان وعباس والامير بشير نفسه يبلغ مجموعها (٤٠٠٠٠) كيس حيث كان الامراء لا يجرأون على طلب ايصالات من الجزار بما كانوا يوردونه اليه • وجرى اخذ ورد في شأن هذه المطلوبات وحجز الوالي على بعض الامراء عليها ثم تم التراضي على دفع ٣٠٠٠٠٠ قرش كتسديد للمطلوب [١] •

وقد ذكر مؤلف كتاب ولاية سليمان باشا المذكور آنفا [٢] ان سليمان باشا استدعى مشايخ المتاولة فاستشعروا بعدم الثقة والخوف فجاؤوا الى الامير بشير ووسطوه لتأمينهم ففعل وأدى الامر الى تفاهم بينهم وبين الوالي حيث أمنهم واقطعهم بعض المقاطعات ليقيموا فيها وجعل الشيخ فارس الناصيف النصار من بني الصغير شيخا عليهم لحل مشاكلهم وترتيب امورهم ، ومنذئذ تواثق زعماء جبل عامل مع الامير بشير وصاروا يندمجون معه في مختلف حركاته •

ومما ذكره المؤلف المذكور من ذلك خبر اشتراكهم الى جانب الامير بشير في الزحف على الشام مع قوات سليمان باشا لطرد واليها يوسف كنج باشا وكان ذلك سنة ١٢٢٤ هـ وقد وسطوا الامير بشير لدى الوالي ليكافئهم على عملهم ويعطيهم حكم جميع جبل عامل على المنوال الذي كان في عهد الشيخ ناصيف • واجابهم الامير الى ملتمسهم وطلب لهم ما طلبوه من الوالي ولكن هذا ابى [٣] •

وقد ذكر الامير حيدر خبر ورود خلع الالتزام للامير بشير من

---

(١) ص ٤٣٢ ــ ٤٣٣ •

(٢) ص ٣٤ ــ ٥٢ •

(٣) ص ١٢٩ ــ ١٤٣ •

الوالي سنة ١٢٢١ هـ حسب المعتاد [١] . والعبـارة تفيـد ان المراسيم القديمة التي جعلت امارته « مالكانة » قد بطلت وصارت ولاية الامير في حقيقتها التزاما يتجدد سنة بعد سنة .

وقد استمر الامير حيدر يذكر خبر ورود خلع الالتزام من الوالي سنة بعد سنة ، ويبدو ان ذلك كان يثير شيئا من الطمأنينة والاستبشار في نفس الامير لان الامير حيدر يورد قصائد بالتهنئة في اعقاب خبر ورود خلع الالتزام في كل سنة [٢] .

وفي سنة ١٢٢١ استنجد متسلم طرابلس الامير علي صقر المحفوض حاكم صافيتا لتمرده عن دفع المال فارسل الامير بعض رجاله فاخذوا بالتعاون مع اهل جبيل والضنية وعكار يعيثون في بلاد النصيرية حتـى جعل المحفوض يتراجع ويدفع المطلوب منه [٣] . حيث يبدو في الخبر ما وصل اليه امر الامير من قوة وهيبة .

ومن هذا الباب خبر اورده في حوادث السنة نفسها بتوسط الامير بين الامير جهجاه الحرفوش واخيه المتنازعين واصلاحه بينهما [٤] .

وفي سنة ١٢٢٢ هـ طلب سليمان باشا زيادة المال المرتب على الجبل لان الدولة علمت ما عليه عمار الجبل وقلة المال المرتب عليه بنسبة ذلك . وبعد مراجعات طويلة تعهد الامير بايراد (٦٠٠) كيس علـى ثمانـي سنين [٥] . حيث يبدو في الخبر حسن الحالة الاقتصادية في الجبل في هذه الظروف .

---

(١) ص ٥٠٠ .

(٢) انظر مثلا ص ٥١٢ و ٥٤١ و ٦٤٩ و ٦٥٥ .

(٣) ص ٥٠١ ـ ٥٠٢ .

(٤) ص ٥٣٠ .

(٥) ص ٥٣٠ .

وقد اورد الامير حيدر في حوادث سنة ١٢٢٥ هـ خبر ورود تثبيت من الوالي للامير على جبل الدروز طول حياته . وقد اورد المؤرخ نص مرسوم الوالي . وفيه يثني على اخلاص الامير وضبطه وربطه للامن والنظام وتفوقه في ذلك على اقرانه ويقول انه انعم عليه بناء على ذلك بالتزام جبل الشوف وجبل كسروان وتوابعهما مدة حياته . ويوصي العقال والمشايخ وارباب الكلام الذين وجه اليهم الخطاب بالاضافة الى الامير بطاعته وحفظ مقامه واداء ما عليهم من اموال وواجبات ، ويحث الامير على الاستمرار على حسن الخدمة وتأمين الطرق وابناء السبيل وقمع كل مفسد ومنافق ومعتد واجراء الاحكام الشرعية وتأييد القوانين الخ ... ، مما فيه صورة لحقوق وواجبات وصلاحيات الامير والصلات التي بينه وبين الوالي [1] .

وفي سنة ١٢٢٥ هـ نشب نزاع بين الامير ووالي الشام يوسف كنج . فقد طلب هذا الوالي من متسلم طرابلس ٧٠٠٠ غرارة حنطة ــ والخبر يدل على ان طرابلس كانت اذ ذاك ضمن ولاية الشام ــ لاسعاف الدولة . وطلب المتسلم من الامير بشير ما يخص جبيل التي هي تحت حكمه من قبل متسلم طرابلس من ذلك فابى وقال انه لا يجري على بلاده عوائد جديدة . وكتب بذلك لسليمان باشا فاقره على رأيه . وحينئذ ارسل والي الشام امرا لمتسلم طرابلس بمنع الامير بشير من حكم جبيل وبعدم ارسال خلع ولايتها اليه . ولما علم مشايخ بني عماد بذلك ظنوا انهم بالغون أربهم من الامير فتوجهوا الى الشام ليزيدوا في نار الحقد والكيد برغم ما كان من عفو الامير عنهم ومصالحتهم مع الشيخ بشير جنبلاط . وفي هذه الاثناء جاء غزاة وهابيون الى البلاد ودهموا حوران فتضامن والي الشام ووالي عكا في صدهم . وقد جمع الامير بشير رجاله

---

(١) ص ٥٥٢ ــ ٥٥٣ .

وسار مع سليمان باشا • وبعد ان صدوا الغزاة قال له سليمان باشا ان عنده اوامر من الاستانة بازاحة يوسف كنج عن ولاية الشام وسأله اذا كان يقدر على مساعدته فاجابه الى ذلك • وفي الحال حرروا الى جميع ايالات الشام ودعوا الحكام الى ارسال الرجال لارغام الوالي فلبوا الامر وزحف سليمان باشا والامير بشير على دمشق وحاول يوسف كنج المقاومة وكانت جولة غلب فيها فلم يكن امامه الا الفرار فتسلم سليمان باشا ولاية الشام وكان للامير بشير يد طولى في هذه النتيجة • وفي هذا صورة من صور الحكم العثماني في بلاد الشام كما هو ظاهر • ولقد سر الوالي من الامير بشير ولبى كل اقتراحاته حيث عين الامير جهجاه الحرفوش حليف الامير حاكما على بعلبك وثبت اخا الامير قاسما في جبيل واعطى ابنه خليلا حكم بلاد البقاع (١) •

ومما ذكره الامير حيدر في حوادث سنة ١٢٢٦ ان اهل اراضي الجبل الاعلى في بلاد حلب تنازعوا مع الدروز الموجودين عندهم واشتبكوا معهم اشتباكات دموية عديدة فتعرض هؤلاء لخطر الابادة فاستغاثوا بالامير فارسل من احضرهم الى جبل لبنان ووزعهم في انحائه وفرق عليهم المال والمؤونة وكانوا نحو ٤٠٠ عائلة (٢) •

كذلك مما ذكره في حوادث السنة نفسها ان الامير امر بابطال جميع « الاغفار » وبسفر القوافل والتجار في جميع الطرق بالامان من غير اكلاف فكان ذلك مرحمة عظيمة للخلق (٣) • والظاهر ان كلمة «الاغفار» كانت تعني مخافر على مفارق الطرق الرئيسية التي تؤدي من مقاطعة

---

(١) ص ٥٥١ — ٥٦٤ وقد اورد الامير حيدر في هذا السياق نص كتاب ارسله عليان الضبيبي قائد الوهابيين الى والي الشام فيه بيان عن الدعوة الوهابية ودعوة الى نبذ البدع والمحرمات ونص جواب ارسله اليه سليمان باشا فيه رد وتسفيه ...

(٢) ص ٥٧٣ •

(٣) ص ٥٨٠ •

الى اخرى أو من مدينة الى اخرى تتقاضى من التجار رسوما على ما يحملونه من سلع • وهو شبيه بما عرف من رسوم الدخولية في اواخر العهد العثماني •

ومما ذكره الامير حيدر في حوادث سنة ١٢٣٠ خبر وفاة علي باشا كتخدا (وكيل او نائب) سليمان باشا فاستأذن الامير بالمسير الى عكا للتعزية ، فاذن له وتوجه الى عكا وكان يقابل من قبل حكام صور وصيدا وقضاتها واكابرها واهالي القرى التي في الطريق بالاكرام والاحترام بناء على امر سليمان باشا • واستقبل في باب عكا بالحفاوة والتكريم ايضا أما الوالي فانه استقبله على باب الديوان • واراد الامير ان يقبل (الاتك) ذيل ثوبه حسب العوائد فلم يمكنه بل أعطاه يده فقبلها وأجلسه قربه وبقي في تكريمه خمسة ايام ثم عاد فودع بحفاوة مماثلة • وفي هذا الوصف صورة لمركز الامير الرسمي بالنسبة للوالي كما هو المتبادر مع ما كان عليه من هيبة وسعة نفوذ [1] •

وفي سنة ١٢٣٥ ﻫ مات سليمان باشا فصار عبد الله باشا واليا وهو

---

(١) في كتاب تاريخ سليمان باشا للمعلم ابراهيم عودة الذي ذكرناه قبل ذكر لهذه الزيارة وما لقي الامير فيها من حفاوة ، ووصف للموكب الذي خرج الى خارج عكا لاستقباله وخيوله وزينته وموسيقاه وما كان من اهتمام الوالي بالزيارة وتجديده لفرش الدواوين وتزيينها قبل مقدمة ، ويقول ان الامير اراد ان يسجد له فمنعه فقبل اذياله ...

ومع هذا فقد ذكر هذا المؤلف ــ وفيه صورة لمركز الامير الرسمي بالنسبة للوالي ــ ان الامير توسط بعد مساعدته الوالي في حرب يوسف كنج باشا للمشايخ المتاولة الذين كانوا مشردين مطاردين من قبل الجزار فأمنهم وأعادهم الى بلادهم ، ثم وسطوه في توجيه حكم بلادهم اليهم كما كانوا سابقا فتوسط لهم في ذلك منوها بما كان من سيرهم مع رجالهم مع الامير بشير لقتا ليوسف كنج باشا وطالبا لهم الولاية كمكافاة فابى الوالي فالح الامير فاجابه جوابا شديدا وطلب منه التزام حده ومعرفة حدوده وذكّره بان تجريد الامير جروده وجرود المقاطعات التابعة لحكمه ومنها بلاد المتاولة هو واجب لازب عليه مسجل في سند تعيينه على ان يكون ذلك على نفقته ودون ان تلتزم خزينة الولاية شيئا من نفقات العسكر وانه لا فضل له في ذلك ولا منّة ... الخ ، ص ١٣٩ ــ ١٤٣ من الكتاب المذكور .

كتخداه وابن كتخداه السابق علي باشا . وارسل للامير خلع الالتزام كالعادة ومنشورا يخاطبه فيه بصفته ملتزم جبل الشوف وجبل كسروان وتوابعهما افتخار الامراء الكرام ومرجع الكبراء الفخام صاحب العز والاحتشام [1] .

ومما ذكره الامير حيدر في حوادث سنة ١٢٣٥ هـ ان المشايخ بني عبد الملك ـ وهم من الفريق اليزبكي ـ ارادوا ان يقوموا بحركة ضد الشيخ بشير جنبلاط اكبر أخصاء الامير والذي كان بمثابة كتخداه فاخذوا يتصلون برفاقهم في النعرة بني النكد وبني تلحوق . وكان للقاضي شرف الدين يد في ذلك فغضب الامير من هذه الحركة التي من شأنها اهاجة النعرة اليزبكية الجنبلاطية فاذاع منشورا بفصل القاضي من القضاء وضبط ارزاقه وهرب المشايخ الآخرون فضبط املاكهم واخذ يتعقبهم ويطاردهم ووسط سليمان باشا ليطلب من والي الشام طردهم من ايالته حيث التجأوا اليها [2] .

وبعد قليل من استلام عبد الله باشا ولاية صيدا طلب من الامير ايراد جانب من المال المطلوب فتعذر عليه التلبية وارسل المعلم بطرس كرامة المشهور بالفصاحة ليترامى على الوالي ويقنعه بصرف النظر عن ذلك فثار غضب الوالي وامر متسلمي مدن صيدا وبيروت بالقاء القبض على من يجدونه عندهم من الدروز . وفي هذه الاثناء جاء المشايخ النكديون والتلحوقيون الى عكا نتيجة لتوسط الشيخ مسعود الماضي الذي كانت له الدالة على الوالي فطمنهم ورتب لهم المرتبات ، مما جعل الامير يخشى العاقبة ويتعهد للوالي بتوريد الفي كيس في مدة ستين يوما

---

(١) ص ٦٤٦ وهذا مما كان يخاطبه به سليمان باشا قبل انظر الصحيفة ٥٩٥ من الغرر الحسان .

(٢) ص ٦٥٤ ـ ٦٥٥ .

حتى رضي الوالي وارسل اليه كتابا فيه تطييب لخاطره [1] . ومع ذلك وبينما الامير يجتهد في جمع المال ويستقرض من التجار والمشايخ جاء من الوالي طلب جديد بخمسين الف ربعية ذهب لاجل خرجية الجيب . وكان الامير طلب من النصارى دفع الخراج والاموال الاميرية قبل حلول ميعادها الرسمي فاجتمعوا من جميع الجهات على نهر انطلياس وتحالفوا على عدم ايراد شيء الا في وقته وارسلوا للوالي عرائض يقولون فيها ان الامير يظلمهم بالمطالب الزائدة . فجاء اليهم تطييب خاطر وامر بعدم دفع شيء غير مقرر وغير معتاد . ورأى الامير زيادة مطالب الوالي من جهة واضطراب الافكار والامتناع عن الدفع من جهة اخرى فقرر التخلي عن الحكم والرحيل الى ايالة الشام وكتب للوالي بذلك وتوجه نحو الشام مع اولاده وأخصائه ورحل معه الشيخ بشير جنبلاط بعائلته ايضا ... ويقول الامير حيدر ان عبدالله باشا سر من رحيل الامير لانه ما كان يظن انه يقدر على نزعه من الحكم وينال منه ما في خاطره ، حيث يبدو من هذا ان الوالي تعمد ارهاق الامير واعناته [2] .

وهذه ثالث مرة يتخلى او يقصى الامير عن امارته كما هو واضح . ولم يكد الامير يخرج من لبنان ويتجه الى وادي التيم فالشام حتى تظاهر الاميران حسن بن الامير علي وسليمان بن الامير سيد احمد في الرغبة في الحكم واخذا يتصلان بالمشايخ اليزبكيين الموجودين في عكا . وجاء واحد من هؤلاء يحمل امرا من عبدالله باشا بدعوة الاميرين الى صيدا لاستلام خلع الولاية فتوجها اليها ومعهم بعض اقاربهم وبعض الامراء الارسلانيين واللمعيين فاستلموا الخلع التي ارسلها عبدالله باشا اليهم

---

(1) ص ٦٥٧ – ٦٥٨ .

(2) ص ٦٥٩ – ٦٦١ والراجح ان المقصود من الخراج هو الجزية التي كان الذميون يؤدونهـا على الرؤوس .

وعادوا فتولوا الحكم فعلا . وكان من اول اعمالهم ضبط ارزاق الامير ومن معه [1] .

ومما ذكره الشدياق في فصل ولاية الامراء الشهابيين وهو يذكر هذه الاحداث ان والي عكا ارسل الشيخ محمودا الدسوقي الى الاميرين حسن وسليمان ليرجعهما الى الاسلام . وانهما بعد وصولهما الى دير القمر وتوليهما الولاية فعلا اظهرا اسلامهما [2] !

وسار الامير بموكبه الكبير حتى حل في حوران وارسل المعلم بطرس كرامة الى والي الشام درويش باشا يستأذنه بالاقامة في حوران الى ان يرضى عنه والي عكا . ثم كتب الى هذا الوالي كتابا يذكر فيه اخلاصه وخدماته وانتظاره لصفاء خاطره عليه وانه «عبد رق» ويستحلفه بتربة ابيه ان لا يسمع فيه كلام الوشاة . وارسل الكتاب الى الشيخ مسعود الماضي ليقدمه للوالي . وعاد الرسول يحمل كتابا من الوالي يطمئنه فيه ويعطيه الامان بالحضور الى عكا والاقامة عنده الى ان يبدر من الاميرين ذنب أو تقصير لانه لا يريد ان ينقض امره معهم بدون سبب وجاءه من مسعود الماضي كتاب فيه تطمين . وكتب للوالي جوابا يستعطفه ويعتذر عن الذهاب الى عكا لكثرة من معه . وجاء كتاب من درويش باشا يرحب باقامته في ايالته . ثم جاءه كتاب من عبد الله باشا يطيب خاطره ويسمح له بالاقامة في بلاد جبيل التي يسميها « مالكتنا » أي انها كانت للوالي « مالكانة » . ويظهر انه اطمأن بكلام عبد الله باشا حيث اعتزم الرحيل الى عكا بنفسه تاركا اولاده وحاشيته فلما وصل الى شفا عمرو جاءه منه كتاب بالاذن له بالاقامة في جزين مع من معه ويخبره انه كتب لدرويش باشا برفع الضبط عن كل ماله وما لاخصائه في البقاع

(١) ص ٦٦٢ .

(٢) اخبار الاعيان ص ٥٠١ .

(١) ص ٦٦٢ .

ويطيب خاطره وانه كتب لمتسلم جزين بتقديم ما يلزمه وكتب رسائل لاولاده الامراء والشيخ بشير جنبلاط يطمئنهم ويؤمنهم . فسار الجميع واقاموا في جزين وجاء الناس من اطراف البلاد يرحبون به ويظهرون الفرح بعودته [1] . واخذ الناس يتظاهرون ضد الاميرين حسن وسلمان مما جعلهما يلتمسان الصلح مع الامير ويرسلان الاجاويد ويعلنان له استعدادهم للتسليم له . ثم تم الاتفاق بين الجميع على ترك الامر لاهل البلاد والذي يختارونه من الشهابيين يقبله الجميع . وحينئذ رجع الامير والجميع الى الدير . وعلم عبدالله باشا فارسل يعاتب الامير على حركته فكتب اليه انه متنح عن الحكم والذي جرى انما هو لراحة البلاد . وجرت مراسلات وانتهى الامر بتوجيه الوالي منشور الالتزام وخلعه له لانه تأكد بان احدا لا يستطيع ان يحكم غيره وارسل منشورا للامراء والمقدمين والمشايخ ومشايخ العقل والعقال وارباب الكلام ورعايا الشوف وكسروان عامة بذلك [2] .

ولما استلم الامير الحكم تخوف الاميران السابقان وارسلا الى الوالي رسولا يحمل عرضا بمخاوفهما فامر الوالي بشنق الرسول وارسل العرض للامير مع كتاب قال فيه ، انه من الآن فصاعدا سيعدم أي شخص يحضر من دون علمه . وبعد قليل جاءه كتاب باعادة التزام جبيل اليه كما كان سابقا لتوكيد التوجه نحوه ورفعة شأنه [3] . وقد جرت هذه الاحداث خلال سنة ١٢٣٦ هـ ــ ١٨٢٠ م .

وعاد الامير الى نشاطه وعادت اليه هيبته واعتباره واطاعه الناس

---

(١) ص ٦٦٣ ــ ٦٧٤ وقد أورد الامير حيدر نصوص الرسائل والواردة من الولاة الى الامير وجماعته والمرسلة منه اليهم .

(٢) وقد اورد الامير حيدر نصوص المناشير .

(٣) ص ٦٨٢ ــ ٦٨٥ .

وتيسر جمع الأموال وكف اليزبكيون ـ بنو العماد وبنو عبد الملك وبنو تلحوق عن مواقف المشاكسة • وكان بين الامراء اللمعيين خلاف فاصلح الامير بينهم • وحاول بعض جماعات من المتاولة التمرد على دفع الاموال بحجة انهم دفعوا للامراء السابقين فنصحهم فلم يرتدعوا فزحف عليهم ونكل بهم فاستأمنوا ورضخوا [1] • واراد الامير ان يزور جبيل بعد ان اعيد اليه التزامها فحرك الاميران حسن وسلمان بني حمادة المتاولة وغيرهم للتظاهر ضده واحتشدوا بسبيل ذلك فحشد الامير رجالـه وضربهم وشتتهم وفر رؤساء الحركة مع الاميرين الى بعلبك وجـاءه كتاب من عبد الله باشا يؤيده في عمله ويحثه على الشدة مع العصاة واذاع الوالي منشورا على اهل البلاد يحذرهم من المشاكسة ويـأمرهم بالطـاعة [2] •

وفي سنة ١٢٣٧ ارسل الامير حملة لمطاردة الاميرين في ديار بعلبك والتنكيل بالامير سلطان الحرفوش واخيه الذين تظاهرا ضده حينما نزح الى حوران ففر الحرافشة الى ديار عكار والشهابيون الى بلاد الشام وعاد الامير نصوح الحرفوش الى الحكم كما كان في عهده الاول [3] •

وفي هذه السنة نشب خلاف بين درويش باشا والي الشام والامير بشير بسبب حوادث محلية في منطقة البقاع حتى كاد الامر يصل الى قتال ثم جرت وساطة لحل الخلاف فطلب الامير رفع الضبط عن قـرى البقاع التي كانت للمشايخ الجنبلاطيين وجعل حاكم البقاع تحت امره وجعله صاحب الحق في اختيار الحكام الشهابيين في وادي التيم وفي اختيار الحاكم الحرفوشي في بعلبك فطلب الوالي ارسال عرض بذلـك اليه فلم يوافق عبد الله باشا على ذلك ـ حيث يبدو خلال ذلك صورة

---

(١) ص ٦٨٥ ــ ٦٨٦ •

(٢) ص ٦٩٣ •

(٣) ص ٦٩٣ ايضا •

من صور المنافسة بين الواليين وأنفة والي عكا من مراجعة الامير التابع له لوالي الشام بعرض رسمي ـ وامره بارسال قوة الى راشيا تطرد حاكمها الامير منصور الذي لا يحبه الامير وتعيين فندي خليفه • فارسل عسكرا مع فندي وارسلت الشام عسكرا الى راشيا لمقاومة عسكر الامير وكانت جولة انكسر فيها عسكر الشام حتى اضطر قائدها الى اخذ أمان من الامير الذي جاء بنفسه ليشرف على الحركة حتى تمكن من العودة ، ونفذ الامير بعد ذلك رغبته فاعاد فنديا الى الحكم • وادى ذلك الى تفاقم الخلاف والشر بين والي الشام ووالي عكا ثم الى حشد الجيوش والقتال • وزار الامير عكا في هذه الاثناء فلقي التكريم والترحيب وتم الاتفاق بينه وبين عبد الله باشا على اتخاذ ما يقتضي من التدابير ضد الشام • وتولى الامير قيادة الجيوش التي كان فيها كثير من رجال الجبل ومشايخه • واظهر الامير نشاطا وحيوية في هذا المجال دلا على ما كان متحليا به من مواهب وقوة شخصية • وكانت قواته متفوقة حتى انها هي التي زحفت الى الشام واشتبكت بقوات والي الشام عند المزة وهزمتها وكان فيها الامراء الشهابيون والمشايخ اليزبكيون الذين تحزبوا لهم • وقتل وأسر كثير من عسكر الشام • واستغاث درويش باشا بالاستانة وأثارها فامرت والي حلب بمساعدته وغضبت على عبد الله والامير بشير • ونشر والي حلب منشورا يصم عبدالله بالعدوان • واذاع والي الشام منشورا يعلن فيه انه صار واليا لعكا وصيدا وطرابلس مكان عبد الله باشا • ثم اعلن عزل الامير بشير وتعيين الامير عباس بن اسعد مكانه وارسل معه قوة لتثبيت ولايته واصدر منشورا لاهل الجبل بذلك •

وتظاهر خصوم الامير ضده ونشطوا لتأييد عباس ، مما جعل الامير ينزح الى مصر بعد اعلام عبدالله باشا لاجئا الى واليها محمد علي باشا حيث اقام في ضيافته نحو سنة (ايلول ١٨٢١ ـ ايلول ١٨٢٢) مكرما

مرتبا له ما يلزمه من منازل وخدم وخرج . وقد صمد عبدالله باشا ولم يترك عكا برغم ان عسكر والي الشام ووالي حلب احتلوا بيروت وصيدا . وقد كتب والي حلب للامير بشير كتابا يسأل عن احوالـه ويبدي عطفه له رغبة في صرفه عن عبد الله باشا . وكتب عبد الله اليه بدوره فيه مثل ذلك وفيه تشجيع وتثبيت كما كتب هذا لمحمد علـي باشا يستحثه على بذل مساعيه . وبذل هـذا مساعيه في الاستانـة واستطاع في النهاية اقناعها بابقاء عبد الله باشا في مركزه واعـادة الامير بشير الى ولايته وعزل درويش باشا الذي خدعها بمبالغاته . وقص الامير حيدر هذا في سياق طويل اورد فيه رسائل عبدالله باشا ووالي حلب ومحمد علي باشا ورسائل الامير للبلاد والمراسيم الصادرة مـن الاستانة [1] .

وقد كانت رحلة الامير الى مصر وسيلة الى توطد الصداقة بينـه وبين محمد علي باشا وكانت من مشجعات هذا على غزو بلاد الشـام والاستيلاء عليها بالتضامن مع الامير على ما سوف نذكره بعد .

وقد جاء الامير الى عكا لمقابلة عبدالله باشا اولا حيث لقى التكريم والترحيب ثم سار الى الجبل مودعا من عكا ومستقبـلا من الجبـل بحفاوة عظمى [2] .

ولم يلبث ان نشبت ازمة بينه وبـين اكبر انصاره واصدقائـه الشيخ بشير جنبلاط . فان هذا الشيخ لم يذهب مع الامير الى مصر كعادته حينما كان يتخلى او يقصى عن الحكم ويرتحل من الجبل لفترة ما ، وتخلف عنه ثم ساير الموقف الذي نشأ من ارتحال الامير بشير وطلب تعيين الامير عباس بن الامير اسعد الشهابي اميرا ولما عين هـذا الامير

---

(١) ص ٦٩٤ ــ ٧٤٤ .

(٢) السياق السابق .

ساعده الشيخ واقاربه على توطيد ولايته وكان الشيخ قاسم بن الشيخ حسن جنبلاط من الذين وقفوا الى جانبه وقفة قوية حتى لقد ألبسه الوالي فرو سمور واكرمه بشال وجوز طبنجات حينما ألبس الامير خلعة الولاية . فأدى هذا الموقف الى تغير قلب عبد الله باشا على الشيخ واقاربه وسري ذلك الى الامير . وتوجس الشيخ شرا برغم تطمين الامير له بعد عودته وتظاهره بالصفح وبرغم ما قدمه من اموال جسيمة لعبد الله باشا مرة بعد مرة لارضائه [1] . **فتراآى له ان يرتحل الى ايالة** الشام وطلب الاذن من واليها الجديد بالاقامة في راشيا فوافق هذا وكتب بذلك الى اميري راشيا .

وسار الشيخ في اواخر سنة ١٢٣٩ هـ ـ ١٨٢٣ م بصحبته اولاده واولاد عمه ثم انضمم اليه اولاد الامير نصر ابي اللمع والامراء الارسلانيون الذين هربوا من الامير بشير وبعض اهالي المتن والشوف. وبعد قليل ارسل الشيخ الى الامير عباس يدعوه الى راشيا ويطمئنه بتوجه والي الشام عليه فلبى الدعوة . وطلب الشيخ من والي الشام التوسط لدى والي عكا لتوجيه حكم بلاد جبيل للامير عباس ففعل وكان ذلك مناوأة صريحة ضد الامير لان هذه البلاد في التزامه . ولم يقبل عبد الله باشا رجاء والي الشام وكتب يطلب منه الايعاز للامير والشيخ بالعودة الى بلادهم وبطردهم من ايالته اذا لم يقبلوا . وجرت اتصالات انتهت الى المصالحة بين الامير بشير وبينهم وعودتهم الى لبنان غير ان الازمة عادت ثانية لان والي مصر ارسل رسالة لوالي الشام يطلب منه طرد الشيخ بشير من ايالته لسابق علمه بحركته . فعاود الخوف الشيخ وارتحل ثانية الى ايالة الشام ونزل عند عرب السلوط وحصل من والي الشام على اذن بالاقامة في ايالته . وكان معه اهله وخدمه

---

(١) السياق السابق ايضا .

واولاد الامير عباس رسلان وبيت ابي علوان وغيرهم • واغتنم فرصة مجيىء والي طرابلس الى حوران فقابله في المزيريب وقدم له التقادم • فلما عاد دعاه للحضور الى اقليم البلان فذهب ثم سار الى بعلبك وفي طريقه ارسل الى المشايخ النكديين والتلحوقيين والعماديين يعرض عليهم الاتحاد ثم دعا اليه الاميرين سليمان وعباس ولدي سيد احمد فلبوه مع امراء شهابيين آخرين ، واخذ الجميع يستعدون لازعاج الامير واخبر هذا الوالي فسير اليه عسكرا وأمره بالجد في امر المفسدين والخوارج وحاول المتآمرون ان يحولوا دون وصول مدد عكا ووقفوا في طريقه فاشتبكوا معه فانكسروا • ولكنهم ظلوا على عنادهم وجاء الشيخ بشير فاستلم قيادة الحركة واستطاع ان ينال تأييد جمهرة الدروز ومشايخ عقلها حتى بدا الامر متفاقما وعلم محمد علي باشا فارسل يعلن استعداده لارسال حملة لقمع الحركة • وتابع عبد الله باشا امداد الامير بالرجال والسلاح واخذت تقع اشتباكات بين الطرفين وكتب النصر في نهايتها للامير فتشتت شمل خصومه وتشردوا • وهرب الشيخ وبعض رفاقه الزعماء الى حوران فارسل والي عكا الى والي الشام يطلب مطاردتهم والقبض عليهم •

واجاب هذا وطاردهم حتى قبض عليهم وكانوا ثلاثمائة شخص وارسل الشيخ بشير واولاده واولاد اخيه الى عكا وامر بقتل الشيخ علي العماد لانه كان حانقا عليه لاحداث سابقة • وجاء كتاب من محمد علي باشا لوالي عكا يحثه على القضاء على الشيخ بشير فبادر الى تنفيذ ذلك حيث امر بقتله وقتل الشيخ امين العماد من الذين ارسلوا معه الى عكا • وكان ذلك في سنة ١٨٢٤ م ــ ١٢٤٠ ﻫ • وقد استطاع الاميران عباس وسلمان ان يفرا الى بلاد بعلبك فنجوا من الهلاك • وقد كافأ الامير الذين ثبتوا معه من المشايخ فسلم مقاطعة الشوف الى الشيخ محمود والشيخ ناصيف نكد والغرب التحتاني للمشايخ بني

تلحوق وانعم ببعض املاك الشيخ بشير على آخرين وسلم اقليم جزين واقليم التفاح لابنه خليل وكانت بلاد جبيل بيد ابنه الامين [1] . ويلحظ من السياق ان محمد علي باشا صار يواصل اهتمامه باحداث الشام ويهتم خاصة بشؤون الامير بشير ويؤيده على خصومه .

ومما ذكره الامير حيدر انه لما نشبت الحرب اليونانية العثمانية التي عرفت بحرب الموره ارسلت الاستانة رسولا الى مصر عن طريق الشام لطلب المدد منه . وبعد قليل جاء كتاب محمد علي باشا الى عبدالله باشا يطلب منه الايعاز للامير بشير بتهيئة عشرة آلاف محارب ليكونوا على أهبة الانضمام للحملة المصرية التي سوف تشترك في هذه الحرب . ثم جاء كتاب من محمد علي للامير بشير بصرف النظر عن ذلك لانه جند ما يحتاج اليه من مصر . وكان ذلك في سنة ١٢٣٩ هـ [1] .

ومما ذكره ايضا ان بعض سفن يونانية جاءت سنة ١٢٤١ هـ الى بيروت وقصفتها واخرجت بعض عساكرها وقد تمكنت حامية بيروت بالتعاون مع اهلها من رد العسكر بعد قتل وجرح بعضهم ، وان الامير بشير ارسل ابنه خليلا بعسكر وارسل والي عكا عسكرا من ناحيته ولكن السفن كانت قد اقلعت ، وان المسلمين هاجوا على النصارى في بيروت وان عبدالله باشا أمر كاخيته (وكيله) فيها بالقبض على بعض زعماء النصارى ومصادرة اموالهم وتغريمهم بغرامات باهظة باعوا من اجلها املاكهم وامتعتهم بثمن بخس وان كثيرين من النصارى هربوا الى الجبل فضبطت ارزاقهم ودكاكينهم ، وان الامير ارسل الى عبد الله باشا يستعطفه ويذكر انهم لا ذنب لهم فقبل رجاءه وسمح برفع الضبط عن كل شيء لهم ورجوعهم الى محلاتهم واصدر منشورا موجها

---

(١) ص ٧٧٦ - ٧٨٦ .

(٢) ص ٧٤٩ - ٧٥٦ .

« الى رعايانا الذميين النازحين عن مدينة بيروت الكاثوليك والموارنة والروم » ذكر فيه ان الدولة شعرت ان حركة الروم ـ اليونان ـ الكفرة الخاسرين كانت بدسائسهم فجرى قصاصهم على هذه الخيانة وان خاطره صفا عليهم فلهم ان يطمئنوا ويعودوا الى اشغالهم وانه امر كاخيته بتسليمهم كل ما اخذ منهم .

واصدر الامير بشير بدوره منشورا موجها « الى اعزازنا الخواجات الذميون النازحون من بيروت بوجه العموم » ذكر فيه اسباب ما جرى عليهم وعفو عبد الله باشا عنهم ودعاهم الى العودة الى محلاتهم ومعاطاة اشغالهم ، ومما ذكره الامير في هذا السياق ان عبد الله باشا امر برفع جميع المسلمين من الابراج ووضع ارناؤوطا مكانهم وقطع ما كان مرتبا لهم من علوفات ومرتبات بسبب نهبهم النصارى . وكان هذا مما اثاره عليهم وجعله يبلصهم بخمسمائة كيس . وكل هذا مما اثار البغض في قلوب المسلمين ضد الوالي بدوره (١) ...

وفي سنة ١٢٤٣ هـ جاء الامير بشير كتاب من والي الشام يعلنه فيه برفع اليد عن قرى البقاع التي تخص اهل الجبل والتي كانت سبب النزاع بين الامير ووالي الشام درويش باشا سنة ١٢٣٧ هـ والسماح لاهلها بزرعها وتفويض امرها اليه والوعد بعدم تكليفهم بغير المرتب الاصلي (١) ..

وقد انتهى كتاب الامير حيدر عند ذلك . والحق الناشران به ملحقا مقتبسا من مخطوطة للقسيس بطرس بدر حبيش يحتوي بعض احداث سني ١٢٤٤ ـ ١٢٤٨ هـ .

ومما ورد فيه ان والي عكا ارسل للامير بشير في سنة ١٢٤٤ هـ

---

(١) ص ٧٧٩ ـ ٧٨٤ .

(٢) ص ٧٩٠ ـ ٧٩١ .

تبليغا عن فرمان سلطاني ورد اليه بتنظيم شؤون الدولة وراحة الرعايا وواجب تنفيذ الشرع والقانون والقيام بالعدل واجتناب الظلم والرشوة وانذار المخالفين بالقصاص والنكال [1] ، مما ينم عما كانت عليه ادارة الدولة في عاصمتها واقاليمها من خلل وفساد كانت البلاد تقاسي منهما الشدة والعنت ، وكان ذلك شاملا البلاد التي تدار من قبل الامراء والحكام الاقطاعيين المحليين بالتبعية ، وهو ما تدل عليه الاحداث التي وردت في سيرة الشهابيين وغيرهم .

ومما ورد فيه ان والي الشام غضب على مشايخ حوران ــ الدروز ــ بيت الحمدان وقبض على كبيرهم الشيخ يوسف وقتله وسلب امواله فنزح جميع اهله الى الشوف فاكرمهم الامير واسكنهم قرية نيحا وظلوا في جواره الى ان عزل الوالي وجاء وال جديد فتشفع فيهم وعادوا [2] .

ومما ورد فيه ان الامير اقام سنة ١٢٤٦ هـ ابنه امينا نائبا عنه في الاستماع لدعاوى الناس وفضها وكانت الاوامر تصدر باسم والده والمهم من القضايا تعرض عليه قبل امضائها . وفي سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م طلب عبد الله باشا من الامير ارسال ٢٠٠٠ مقاتل مع احد ابنائه للاشتراك في حصار قلعة صانور في لواء نابلس ولبى الامير الطلب ولكنه سار على رأس الحملة ومعه ابنه خليل ووعد الوالي بانهاء الامر على احسن وجه وسار هو ورجاله وعساكر الدولة . وكانت الثورة عامة في جبل نابلس وقد اندمج فيها معظم الزعماء . وقد وقعت اشتباكات عديدة تصاول فيها الطرفان كرا وفرا وبذل كل منهما قدرته وجهوده وحاصر الامير قلعة صانور حصارا طويلا وانتهت الحركة بطلب

---

(١) ص ٧٩٢ ــ ٧٩٥ .

(٢) ص ٧٩٧ ــ ٨٠٠ .

المحصورين والزعماء الامان فمنحوه وسلمت القلعة ولقى الشيخ عبد الله الجزار صاحبها من الامير التطمين والبشاشة وتشفع به لدى عبدالله باشا فقبل شفاعته على ان تهدم القلعة فهدمت • واستمرت الحركة ثلاثة اشهر ونيف [1] ••

وفي تشرين الاول من عام ١٨٣١ م ــ ١٢٤٧ هـ بدأت حركة محمد علي باشا ضد الدولة العثمانية وكانت متمثلة بالحملة العسكرية التي سيرها برا وبحرا نحو بلاد الشام بقيادة ابنه ابراهيم باشا •

والمهم في هذه الحركة بالنسبة لموضوع الفصل شرح ما كان من اندماج الامير بشير فيها وما بذله من جهود وما كان له من مركز وموقف • وسوف نقتصر على ذلك دون توسع في شرح سيرة الحركة وصفحاتها وتطوراتها •

والمحق يصور الحركة كانتقام من عبد الله باشا والي عكا بسبب صدور كلام وافعال منه اثارت غضب محمد علي باشا [2] • ثم يقول ان عبد الله باشا حينما اخذت الاخبار ترد عن حركة محمد علي باشا وحملة ابنه ارسل امرا للامير باعداد رجاله للسفر لقتال الحملة حينما يدعوه • وان ابراهيم باشا سار على رأس الحملة البرية الى العريش ثم الى يافا ثم الى حيفا مستوليا على ما في طريقه وضرب الحصار على عكا وان المراكب المصرية جاءت لتعضيد الحملة الى حيفا ، وان ابراهيم باشا

---

(١) ص ٨٠٠ ــ ٨١١ •

(٢) ص ٨١٨ وفي كتاب ابراهيم باشا في سورية لسليمان ابي عز الدين اشارات عديدة الى ذلك حيث يذكر ان عبد الله باشا اقترض من محمد علي باشا عشرة آلاف كيس ولم يعدها وانه كان يحنق من مخاطبة محمد علي له بعبارة ولدنا ومن مداخلته في شؤون ولايته وامارة الامير بشير مرة بعد مرة • غير انه يذكر الى ذلك طموح محمد علي باشا وجنوحه الى استغلال فرصة ضعف الدولة العثمانية كما يذكر ان ما بدا منه من اهتمام وتدخل في شؤون الشام كانت بوادر تدل على ذلك مما فيه كثير من الحق والصواب •

ارسل الى الامير بشير يدعوه اليه فلبى الدعوة وسار اليه وهو محاصر لعكا فقابله احسن مقابلة ثم عهد اليه بتدبير البلاد لانه مشغول بتدبير العسكر حيث يكشف هذا عما كان من طمأنينة ابراهيم باشا الى استعداد الامير للاندماج في هذه الحركة وعن احتمال ان يكون عنده علم سابق بها • وهكذا تتكرر حركة مصر الهادفة الى سلخ مصر والشام عن الدولة العثمانية واقامة دولة مستقلة متحدة جديدة فيهما خلال نصف قرن حيث كانت الحركة الاولى بزعامة علي بك احد امراء المماليك بالتعاون مع الشيخ ضاهر العمر حاكم شمال فلسطين والحركة الثانية بزعامة محمد علي باشا والي مصر بالتعاون مع الامير بشير الشهابي الثاني حاكم جبل لبنان • ولقد امتد حصار ابراهيم باشا لعكا بضعة اشهر • غير انه لم يضيع وقته كله في ذلك فارسل من جيشه سرابا الى مختلف انحاء فلسطين والسواحل الشامية وارسل الى قاضي القدس وشيخ حرمها وعلمائها ووجوهها منشورا طلب منهم المحافظة على الطوائف الموسوية والمسيحية وكنائسهم ورعاية عاداتهم وعدم ازعاجهم وعين متسلمين جديدين لطرابلس ومدن فلسطين الاخرى واذاع اوامره بالمناداة بالامان والاستمرار على ما كانت عليه الامور من قبل [1] •

ومما ورد في الملحق ان الاستانة ارسلت الى محمد علي باشا وفدا للتحقق من اسباب الحملة فاجابه انه ارسلهما للانتقام من عبد الله باشا لما بدا منه في حقه رغم ما اسداه اليه من معروف وطلب ان توليه الدولة ايالتي صيدا والشام على ان يقوم هو بامر الحج دون ان يكلفها شيئا[2] وان السلطان عين حينئذ والي حلب قائدا لقوات الدولة واناط به صد الحملة واصدر بذلك منشورا فوضه فيه بالتصرف في بلاد الشام وحكامها

---

(١) ص ٨١٩ ـ ٨٣٣ •

(٢) ص ٨٢٢ •

عزلا ونصبا حسب ما يراه وندد محمد علي وحركته ونياته الشيطانية . واصدر الوالي مناشير بمهمته من جملتها منشور الى مشايخ جبل الدروز ــ لبنان ــ يحذرهم فيه من المخامرة واتباع الدسائس ويطلب منهم زجر كل من تحدثه نفسه بالخروج عن الطاعة [١] .

كذلك مما ورد في الملحق ان الحالة في لبنان اضطربت وان مشايخ الدروز كانوا يتوقعون انتصار الدولة ووقفوا وقفة التربص ، وان بعض
الـدروز كانوا يتوقعون انتصار الدولة ووقفوا وقفة التربص وان بعض
وان محمد علي باشا ارسل للامير كتابا يشكره فيه على مساعدته وينوه بمحبته . وان ابراهيم باشا طلب من الامير ارسال الف مقاتل فارسلهم اليه بقيادة ابنه خليل فعهد اليه بالنشاط في منطقة طرابلس ليحول دون وصول الامداد لعكا ويقمع الحركات المناوئة ضد الحملة المصرية فـاخذ يبذل نشاطه وفعاليته ، وان الامير بشير كان يذهب الى معسكر ابراهيم باشا ليشترك في الترتيب والتدبير وكان يبدي نشاطا وفعالية ويتصل بانصاره وحلفائه من زعماء البلاد ومشايخ البدو [٢] . وان خصوم الامير ومن جملتهم اولاد الشيخ بشير جنبلاط وبعض المشايخ النكديين اخذوا يقومون بحركات مناوئة وذهبوا الى حلب فقابلوا واليها ثم عادوا فاستمروا على حركاتهم وصاروا يخوفون الناس ويهددونهم ، وان الامير بشير اصدر منشورا موجها الى المشايخ والمقدمين يحذرهم وينذرهم ، وان ابراهيم باشا جاء على رأس قسم من جيشه الى بيت الدين ــ حيث صار مقر الامير بشير ــ فذعر الناس واخذ الزعماء والمشايخ يأتون اليه متنصلين من كل ريبة طالبين العفو والرحمة منه [٣] .

وبعد سقوط عكا اتجه ابراهيم باشا الى الشام واصدر منشورا

---

(١) ص ٨٢٨ — ٨٣٠ .

(٢) ص ٨٣٠ — ٨٣٢ .

(٣) ص ٨٢١ — ٨٤٧ .

الى اهل جبل الدروز ـ لبنان ـ يخبرهم بوجهته ويعلمهم انه طلب من الامير بشير (جناب افتخار الامراء الكرام) ان يجمع القادرين على حمل السلاح من اهل الجبل قاطبة ويرسلهم اليه مع ابنه خليل ويحثهم على الطاعة ويحذرهم من التأخير والمخالفة [1] . وقد سافر الامير بشير الى دمشق حينما وصل اليها ابراهيم وخيم مع عسكره في المرجة وطلب من ابنه الامير نائبه جمع الغلال من بعلبك وزحلة وارسالها اليه [2] .

وحينما اتجه ابراهيم باشا نحو شمال سورية سار الامير بصحبته وقد ابقاه ابراهيم في حمص هو ومن معه من اولاد العرب واهل الشام لضبط ما تركه عسكر الدولة المنهزمين من خيام ومدافع وعتاد [3] . وحينما وصل ابراهيم الى حلب ارسل للامير بشير كتابا يبشره بالفتح وانهزام الجيش العثماني وفتح اهل حلب ابواب مدينتهم للجيش المصري . ولما وصل ابراهيم الى كلس في اعقاب الجيش المهزوم ارسل للامير كتاب بشارة اخرى .

ولقد كان بعض المشايخ الجنبلاطيين والعماديين والنكديين والعلوانيين فروا الى المعسكر العثماني . فلما انسحبت قوات الدولة من بلاد الشام انسحبوا معها وظلوا معها في انسحابها الى بيلان . وهناك افترق بعضهم عن بعض فظل فريق مع قوات الدولة في انسحابها المستمر وفر فريق الى الاسكندرونة حيث استأجروا مركبا وجاؤوا الى لبنان فقبلهم الامير واغضى عنهم . وبعد انتصار ابراهيم في بيلان ارسل الى الامير يطلب منه الرجوع الى بيت الدين شفقة عليه وارسال

---

(١) ص ٨٦٢ .

(٢) ص ٨٦٤ .

(٣) ص ٨٦٧ بلغ عدد المدافع التي تركها الجيش العثماني ٤٠٠ على ما جاء في الملحق.

ابنه امين محله ثم جاء للامير امين بعد ذلك امر بعودته هو الآخر الى بيت الدين [1] • وهنا انتهى الملحق •

ونستوفي البحث بعده من اخبار الاعيان للشدياق على ما نبهنا عليه قبل فنقول انه ذكر ان ابراهيم باشا لما ظفر في وقعة قونية كتب كتاب بشارة للامير وطلب منه توجيه ابنه امينا الى ترسيس وهناك بلغ رسالة ليبلغها لابيه وهي ارسال مسلحين من اقاربه الى بيروت وصيدا وصور والاهتمام للمحافظة عليها • وقد عين الامير الامير احمد بن ملحم متسلما لبيروت والامير بشير بن ملحم لصيدا والامير حسن بن اسعد لصور بناء على ذلك • وهكذا كان الامير بشير بمثابة الحاكم العام على لبنان ومدنه الساحلية • وجاءه دعوة الى ترسيسن فلبى وهناك استشير في توزيع الاموال على البلاد المفتوحة التركية [1] •

ولما انعقدت الهدنة بين الدولة وابراهيم في سنة ١٨٣٢ م ــ ١٢٤٩هـ عاد الامير الى بيت الدين • وبعد قليل قامت الثورة في فلسطين وخاصة في جبل نابلس ضد الحكم المصري وجاء محمد علي بالذات للاشراف على قمعها • وقد ارسل الامير ابنه اليه ليتلقى اوامره فامره بجمع رجاله والسير بهم حالا نحو بلاد صفد التي سرت اليها الثورة فارسل حملة بقيادة ابنه امين وقامت بالمهمة • وامره بارسال الف مقاتل الى بلاد طرابلس لقمع الثورة التي سرت اليها وقامت في مناطق عكار وصافيتا والحصن فارسل الحملة بقيادة ابنه خليل وقامت بالمهمة كذلك • ثم امر ابراهيم باشا الامير بجمع سلاح بلاد صفد وجبل عامل وساحل عكا وصور فقام بالمهمة كذلك • ثم امر ابراهيم باشا تجنيد الف وستمائة شاب درزي ليكونوا عسكرا نظاميا فالتمس انقاصهم الى النصف فقبل

---

(١) ص ٨٧٢ •

(٢) اخبار الاعيان ص ٥٧٥ ــ ٥٧٦ •

ولكن الدروز تعصبوا وابوا ان يتجندوا . ثم جاءه امر بجمع سلاح الدروز والنصارى في لبنان . وجاء قائد مصري بحملة كبيرة الى دير القمر لتنفيذ ذلك فبذل الامير جهده في المساعدة على التنفيذ . ثم تمكن بعد ذلك من تجنيد الف ومئتي شاب درزي استجابة لطلب ابراهيم [١] .

واراد ابراهيم ان يجند من دروز حوران ووادي التيم ايضا فأبوا فارسل حملة لارغامهم فقابلوه بالقوة ونشبت نتيجة لذلك ثورة عارمة تضامن فيها دروز حوران ووادي التيم وطالت وكلفت ابراهيم خسائر ومتاعب عظيمة وبرز فيها شبلي العريان كبطل من ابطال الدروز .

وطلب ابراهيم من الامير المساهمة في قمع ثورة دروز وادي التيم فارسل ابنه خليلا على رأس حملة ابلت بلاء عظيما ونجحت في المهمة رغم المصاعب الكبيرة . وكان كثير من الدروز الذين تتألف منهم حملته يفرون الى جبهة شبلي العريان [٢] .

ومما ذكره الشدياق ان الوزير ــ والي الشام العام ــ امر سنة ١٨٣٨ م اولاد الامير بطرح عمائمهم فطرحوها وكتب الامير الى اقاربه بمثل ذلك ففعلوا وتبعهم كثير من الزعماء والعامة [٣] .

وقد ذكر الشدياق بعد ذلك ان السلطان عبد المجيد اتفق مع ملوك النمسا والمسكوب ــ روسية ــ والانكليز وبروسية على استخلاص سورية من محمد علي . فكان لذلك رد فعل في بلاد الشام أدى الى حركات ثورية ضد الحكم المصري وشملت جبل لبنان ايضا نصاراه ودروزه . وبذل الامير جهوده في تسكين الافكار ولكن اخبار اتفاق

---

(١) اخبار الاعيان ٥٧٧ ــ ٥٨٤ .

(٢) ص ٥٨٤ ــ ٥٨٨ .

(٣) ص ٥٨٨ .

الدول كانت تتوالى معها الدعايات ضد الحكم المصري فتزداد النفوس هيجانا • وانقسم الناس فريقين • فريقا ظل مخلصا للامير واولادهوالحكم المصري وفريقا اندمج في الثورة • وكان على رأس هذا الفريق بعض الامراء الشهابيين واللمعيين وبعض المشايخ من النصارى والدروز • واخذت الاشتباكات تقع بين جماعات الفريقين في اماكن متفرقة • وكانت القوات المصرية تساهم في المعارك الى جانب الامير واولاده وانصاره • وقد سرد الشدياق الاحداث التي جرت في هذا الظرف في سياق طويل احتوى فيما احتواه ان الدول مع الدولة العثمانية جدت في الامر وانذرت محمد علي بالانسحاب من بلاد الشام لتكون له ولاية مصر ولذريته من بعده وبضياع هذه الولاية منه اذا أصر وعاند • وارسلت اسطولا الى المياه السورية وجاءت قوات عثمانية الى بلاد الشام واشتدت الدعاية ضد الحكم المصري وخاصة بين المسلمين والدروز واشتدت حركاتهم الثورية تبعا لذلك ضده • واضطر محمد علي ازاء ذلك الى الرضوخ • واصدر امره لابنه بالانسحاب فانسحب ثم سحب الجيش الذي كان الثوار يزعجونه ويكبدونه الخسائر في الارواح والسلاح واللوازم في انسحابه من بلاد الشام الى حدود مصر • ومما يرويه الشدياق ان السر عسكر كتب للامير يطلب منه التسليم ويقول له اذا سلمت قبل مرور ثمانية ايام طائعا مختارا تبقى واليا كما كنت بل تكون الولاية لك ولذريتك من بعدك • والا فلا قبول لك ، فاجاب معتذرا بوجود اولاده وحفدته بين عساكر ابراهيم باشا ومغترا باخبار الافرنسيين الذين كان يشاع انهم قادمون بمراكبهم لاسعاف العزيز (محمد علي باشا) [1] • وحينئذ ضاعف السرعسكر اهتمامه لتقوية حركات المناوأة لحكم الامير بشير وامداد المناوئين بالسلاح واصدر السلطان مرسوما بعزله وتعيين

(١) ص ٦٠٦ •

الامير بشيرا بن ملحم مكانه[1] . وخشي الامير من العواقب فارسل الى متسلم صيدا الجديد الذي عينته الدولة انه قادم للاستسلام وطالبا الامان . وقد فعل هذا قبل ان يتم انسحاب الجيش المصري بل قبل ان ينسحب ابراهيم الذي كان مع عسكره في البقاع مما أدى الى اغبرار محمد علي وعتبه على ما رواه الشدياق [2] ، وقد استقبله المتسلم استقبالا حافلا وارسله الى بيروت وانزله قائد الاسطول الانكليزي الى مركب . وخيره في الذهاب والاقامة حيث شاء عدا مصر وفرنسة التي لم تشترك مع الدول في هذا الموقف فاختار جزيرة مالطة وابحر اليها على المركب الانكليزي ومعه زوجته واولاده وزوجة ولده قاسم واولاد ابنه خليل ومدبره بطرس كرامة ونحو سبعين من خدمه واخذ معه امواله ومثمناته التي كان مما فيها ١٨٠٠٠ كيس من النقود الذهبية القديمة على ما قيل [3] .

ولقد جمع الامير الجديد في حماتا المناصب ــ الزعماء والمشايخ ــ فاظهروا منه النفرة والانقباض لانه جعل اقاربه الادنين اخصاءه واتخذ بيروتيا اسمه فرنسيس مسك مدبرا له على غير العادة في عهد الامير فخرالدين المعني الى الامير بشير ــ اي عادة اتخاذ المدبرين من لبنان ومشاورة الزعماء والمشايخ ــ . وقد ضبط ما تركه الامير بشير في

---

(١) ص ٦٠٧ ــ ٦١٠ وقد ذكر مؤلف كتاب ابراهيم باشا في سورية سليمان ابو عز الدين ان الامير عبد الله حسن باشا حاكم كسروان وابن اخي الامير بشير من جملة من جاء واستلم سلاحا ، ص ٢٨١ .

(٢) ص ٦١٤ الغرر . وقد اورد سليمان ابو عزالدين في كتابه الآنف الذكر نص مرسوم ارسله محمد علي باشا الى نعمان جنبلاط يتضمن توجيه رتبة الميرالاي اليه ونصبه رئيسا على عشيرته وذلك قبل نفض محمد علي يده نهائيا من سورية وبعد سفر الامير بشير وقد جاء فيه « تنهى اليكم من حيث وقع ما وقع من الامير بشير بارتكاب عار الفرار وذهابه الى بئس القرار » الخ ..

(٣) ص ٥٨٨ ــ ٦١٠ .

بيت الدين • وكان اهل دير القمر وبعقلين تسابقوا الى نهب ما تركه الامير فيهما من سلاح ومتاع [١] •

ولقد اقام الامير بشير في مالطة ردحا من الزمن ثم جاءه امــر سلطاني يسمح له بالاقامة في أي مكان في المملكة عدا سورية • وتردد قليلا ثم سافر الى الاستانة فرتب له فيها بيت ومرتبات وخيول • وذهب الامير لزيارة الصدر الاعظم وكان في نية هذا ان يستقبله جالسا ولكنه لم يستطع ان يمنع نفسه من القيام له حينما دخل فقام معه جميع الجالسين تهيبا واجلالا وقال لمن عاتبه كما يروي الشدياق انه لم ير في حياته رجلا في هيبة هذا الرجل وان فيه قوة هي التي جعلته ينهض رغم ارادته [٢] • وصورة الامير المهيبة مصداق لهذا القول •

ولقد ظلت النفرة ضد الامير الجديد بشير ملحم قائمة في نفوس مشايخ الدروز والنصارى لانه ظل يزدريهم ويسمعهم كلاما يخفض من مقامهم • وأدى ذلك الى اتفاق الجميع على المطالبة بعزله على ان يتولى كل مقاطعة زعماؤها • وترك الدروز الثارات بينهم وصاروا عصبة واحدة • وفي أثناء ذلك كتب البطرك يوسف حبيش صك اتفاق بين شعبه وقعه الامراء والمشايخ على ان يكونوا متحدين متحابين وان يصلحوا مايقوم من النزاع بينهم بالحسنى وان يقوم من جميع المقاطعات وكلاء امنـــاء لاصلاح الشعب • وقد وقع الصك الامراء الشهابيون واللمعيون ــ وقد اصبحوا يدينون بالنصرانية والنحلة المارونية على ماسوف نذكره بعد ــ وكتب الوزير ــ أي الوالي العثماني الذي صار مركزه بيروت [٣] ــ الى الامير يأمره بدعوة المناصب ــ وهذا تعبير الشدياق الذي يعني

---

(١) ص ٦١٠ ــ ٦١٤ •

(٢) ص ٦٢٠ ــ ٦٢١ •

(٣) ص ٦١٥ اخبار الاعيان •

الامراء والمشايخ الاقطاعيين ــ والوجوه الى عين عينوب للبحث في توزيع الاموال وتم الاجتماع وارسل الوالي نائبا عنه ولم يحصل اتفاق والتمس المجتمعون من النائب رفع المظالم التي أحدثتها الدولة المصرية ــ أي الضرائب على ما هو المتبادر ــ واعلن الوالي تنازل الدولة عن نصف المقرر الذي هو ٧٥٠٠ كيس فابى الاكثرون ورفضوا ان يدفعوا اكثر من ٦٠٠٠٠٠ قرش أي (١٢٠٠) كيس واعلنوا رأيهم بعدم قبول ولاية الامير . وفي غضون ذلك كتب الدروز صكا لمناصب النصارى وعامتهم بانهم سيكونون معا في طاعة السلطان ويدا واحدة في مصالح الطائفتين ، على ان يكون الجميع ضد المخالف وان يحفظ لاصحاب المقامات مقاماتهم حسب العوائد ويحل النزاع بالصلح وتوزع مطالب الدولة بالعدل والسوية . وامر الوزير الامير بانشاء مجلس يضم (١٢) شخصا من الدروز والنصارى . وطلب الامير من اعيان الطائفتين ان يرسلوا اليه ذوي خبرة بالقوانين فامتثل النصارى وانف الدروز . لان المجلس ــ الذي يسميه الشدياق الديوان ــ يمنعهم من التصرف بحرية . أما الموارنة فانهم ازدروا برؤسائهم وبباقي الطوائف وطمعوا بتنازل الدولة معهم في الاموال الاميرية . ولما رأى الدروز والملكية (الطوائف النصرانية الاخرى) ذلك خشوا من العاقبة وتحزبوا ورفعوا الثارات والاحقاد من بينهم . وانفرد الشيخ نعمان جنبلاط عنهم حيث كان يتردد على بطرك الموارنة ويسعى في اتحاد الموارنة مع الدروز [١] .

ولقد وزع الامير بشير ملحم بعض عقارات للدروز في بعلبك والبقاع على اقاربه . فنزع من العماديين قرية شمسطار في غرب بعلبك وسلمها لاولاد الامير منصور اللمعي فحنق العماديون ونزع ارض الرمادية وطواحينها في عنجر من التلحوقيين وسلمها للامير ملحم حيدر فحنق

---

(٣) ص ٦١٦ ــ ٦٢ .

هؤلاء وجعل هؤلاء واولئك يشتدون ضده ايضا [1] .

وبعد هذا يذكر الشدياق بوادر الخلاف والنزاع والمذابح بين النصارى والدروز . ومما قاله في سياق ذلك ان اهل دير القمر النصارى تشامخوا على مشايخهم الاقطاعيين النكديين ونبذوا اوامرهم . وان رجلا منهم كان يصطاد عند بعقلين فاعترضه بعض دروزها وجرت مشاجرة بينه وبينهم وسمع رفاق له الضجة فبادروا الى الدير هائجين فهاج الشباب وحملوا السلاح وتوجهوا للانتقام من الدروز واطلقوا النار على من وجدوه منهم في مكان المشاجرة . وبلغ دروز بعقلين ذلك فتراكضوا بدورهم للقتال وتعاظم الخطب وانكسر الدروز وانهزموا الى بعقلين فاخذوا يترقبون فرصة للثأر . وانتظروا قدوم الامير الى الدير . ولما بلغ بطرك الموارنة الحادث كتب للامير يستنهضه للصلح فاجاب وارسل بعض الامراء والوجوه الى الدير وارسل البطرك بعض المشايخ الخوازنة والحبيشية والدحادحة كذلك وكتب للشيخ نعمان جنبلاط والشيخ حمود وناصيف النكديين بالانضمام للساعين في الصلح وكتب لاهل الدير يأمرهم بالاذعان فجرى الصلح ولكن الاحقاد ظلت متقدة في الصدور . وأخذ الدروز يتصلون ببعضهم في وادي التيم وحوران ويتآمرون على أخذ الثأر . وعزم الامير على زيارة الدير وكتب للزعماء الدروز بموافاته اليها وانطلق ومعه الامراء اللمعيون وبعض الامراء الشهابيون واخذ الدروز يدخلون الى الدير ويختبئون في دور الدروز فيها ولما صار الامير ومن معه في قلب البلد خرج الدروز من مخابئهم واخذوا يطلقون الرصاص على النصارى وقابلهم هؤلاء بالمثل وقتل من النصارى اربعون واضرم الدروز النار في الاسواق واستنجد النصارى ببني نحلتهم في زحلة واشتد الهرج وتفاقم الخطب وكثرت الشائعات

---

(1) ٦٢١ .

وأخذت تقع المناوشات بين الجماعات الدرزية والنصرانيــة في اماكن متعددة ودامت الحركة في الدير ثلاثة ايام بدون انقطاع وبلغ عــدد قتلى الدروز ١١٨ منهم سبعة من النكديين وعدد قتلى النصارى ١٠٠ هذا عدا ما كان من المناوشات الاخرى .

وبلغ خبر الفتنة الاستانة فارسلت السرعسكر مصطفى باشا لترتيب امر الجبل فاستدعى النصارى والدروز للصلح فابى النصارى وبالغوا في سرد ما اصابهم من قتل ونهب . واستدعى الامير بشير ملحم وحجزه وأرسله الى الاستانة وخلع على أعيان الدروز والنصارى جببا وعرض عليهم ولاية الدولة فابى النصارى طالبين بقاء الامرة الشهابيــة وأنف الدروز وقبلوا ولاية الدولة . وكان ذلك في سنة ١٨٤٢ م وانتهى الموقف الى اقامة وال اسمه عمر باشا النمساوي العسكري وذهب على رأس قوة الى بيت الدين وصحبته الامير احمد ارسلان واخوه الامير امين . واتخذ الشيخ خطار العماد والشيخ منصور الدحداح مدبرين (والاول درزي والثاني نصراني) وولى الشيخ فرنسيس ابا نــادر الخازن علــى كسروان والشيخ ضاهر منصور الدحداح على الفتوح وولى على بلاد جبيل والبترون والكور ثلاثــة من المشايخ الحماديين المتاولة . وقــد جعل الوالي النصارى احلافه ليرضوا بولايته وادخل في خدمته جنودا منهم . ومنع الدروز من العدوان وحصل منهم الديون التي عليهم للنصارى . واستدعى الامير احمد ارسلان والشيخ نعمان جنبلاط والشيخ حسين تلحوق والشيخ يوسف عبد الملك وهم من زعماء الدروز واعتقلهم وارسلهم الى سجن بيروت . فاثار حنق الدروز وجعلهم يندمون على طاعتهم للدولة ويتقربون الى النصارى راغبين في الصلح والاتحاد ضد عمر باشا حتى ان بعضهم ارتضى بعودة الامرة الشهابية . وفــي أثناء ذلك صدر امر الدولة باطلاق الحرية للبنانيين بانتخاب وال عليهم وارسلت الاستانة وكلاء للاشراف على عملية الانتخاب فكتب وجوه

النصارى عرائض بارجاع الامير بشير الثاني واليا • وابى الامير حيدر اللمعي ان يوقع العرائض الا ان يقبض ١٥٠٠٠٠ قرش ادعى ان الامير بشير خسره اياها فدفعت له زوجتا الامير خليل والامير امين المبلغ • غير ان هذه الحركة لم تثمر وجرت احداث دموية اخرى جعلت الدروز والنصارى يتفقون على ولاية الشهابيين بدون اسم معين وكتبوا صكا فيما بينهم • غير ان هذه الحركة لم تثمر أيضا لان الدولة قسمت الجبل باقتراح الدول الاوربية الكبرى الى حكومتين واحدة مارونية او نصرانية يرأسها امير ماروني واخرى درزية يرأسها امير درزي • وقام على رأس الاولى امير لمعي وعلى رأس الاخرى امير ارسلاني فكان ذلك آخر عهد الحكم الشهابي في لبنان [1] • مع التنبيه على ان بني شهاب ظلوا يحتفظون في لبنان ووادي التيم بلقب الامارة وظلت لهم قصورهم واملاكهم ووجاهتهم الاقطاعية في المنطقتين ، وظلت هذه الوجاهة تفسح لهم وما تزال المجال لتولي المناصب الحكومية المتنوعة وخاصة في لبنان الذي كانت الوجاهة الاقطاعية فيه وما تزال ذات أثر قوي في توزيع المناصب •

---

(١) ص ٦٢١ ــ ٦٤٦ ولبنان تأليف لجنة من بلاد باء ص ٢٩٩ ومجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية ١٨٤٠ ــ ١٩١٠ نشر فريد فيليب الخازن ج ٢ ص ١٠١ــ١١٢ ويبدو من نصوص الوثائق المنشورة في هذا الجزء من المجموعة ان دول انكلترة وفرنسة وروسية وبروسية والنمسة وخاصة الدولتين الاوليين لعبت دورا عجيبا في أزمة لبنان في ظروف جلاء الحملة المصرية وبعدها ، ثم في ظروف اشتباك الدروز والموارنة في سنة ١٨٤١ وان فرنسة كانت تحرك الموارنة وتتظاهر بحمايتهم وان انكلترة كانت تفعل ذلك بالنسبة للدروز وان الحكومة العثمانية حاولت بدورها ان تلعب دورا وانها تذرعت بعرائض كتبها بعض الاهالي او استكتبتها لانهاء حكم الشهابيين وتعيين عمر باشا واليا ولكن التحريكات الاجنبية جعلت المشايخ الدروز والنصارى يقفون في طريق عمر باشا ويطلبون ولاة وطنيين فادى ذلك الى اقتراح قسمة الجبل الى قائممقاميتين درزية ونصرانية .

وواضح من سياق الاحداث ان نعرة الشهابيين الحزبية بفرعيهم أي في وادي التيم ولبنان كانت النعرة القيسية امتدادا لتواثقهم مع المعنيين الذين صاروا قيسيين منذ عهد الامير فخر الدين الاول •

أما نحلتهم الدينية فليس في الغرر الحسان شيء عنها • والراهن الآن ان ذرية الفرع التيمي مسلمة سنية وان ذرية الفرع اللبناني نصرانية [١] • ومع ان هناك اشارات عديدة في كتب اخرى تفيد ان نصرانية هذا الفرع تعود الى قرنين فان بين اسماء امرائه في مختلف الادوار حتى نهاية عهد حكمه بل وبعدها اسماء من الاسماء التي لا يتسمى بها الا المسلمون مثل محمد واحمد وبشير وقاسم وعلي وعباس وحيدر وعمر وحسن وحسين الخ • على ما هو مبثوث في مختلف صفحات الغرر الحسان في مختلف التواريخ حتى اواسط القرن التاسع عشر ؛ مما فيه مفارقة عجيبة يقف المرء ازاءها حائرا لان نصرانية هذا الفرع ومارونية اغلبه امر راهن ممتد الى امد غير قصير •

ولقد ذكر الشدياق [٢] بعد ايراده خبر منازعة الاميرين احمد ومنصور لاخيهما ملحم واستظهارهما عليه واضطراره الى التخلي لهما عن الحكم ونزوله الى بيروت واقامته فيها وعكوفه على مدارسة الفقه ومعاشرة العلماء المسلمين في سنة ١٧٥٤ م ان الخوري مخائيل فاضل الماروني البيروتي نصر في السنة نفسها أخا ملحم الامير عليا ثم تنصر من اولاد ملحم قاسم وسيد احمد وحيدر وتبعهم اكثر الامراء الشهابيين ثم الامراء اللمعيين • وقد ذكر الدبس في تاريخ الموارنة

---

(١) في تاريخ الموارنة للمطران الدبس ص ٥٢٠ : ان الامراء الشهابيين في لبنان صاروا جميعا نصارى موارنة الا قلائل منهم اتبعوا طقس الملكيين الكاثوليكيين او الملكيين غير المتحدين.

(٢) ص ٣٧٥ •

ما ذكره الشدياق مع بعض الزيادة حيث قال [1] ان الخوري مخائيل فاضل البيروتي نصر سنة ١٧٥٤ م الامير بدون ذكر اسم ـ وهو علي ابن الامير حيدر الشهابي حسب كلام الشدياق ـ ثم نصر البطرك يوسف اسطفان سنة ١٧٦٨ م الامير قاسم عمر شهاب وعائلته في غزير وقبلهم في الطائفة المارونية • ونصر بعده الخوري انطون القيابي البيروتي من اولاد ملحم الامراء ملحم وقاسم وسيد احمد وحيدر وتبعهم غيرهم من آل شهاب وآل ابي اللمع حتى اصبح اكثر هؤلاء الامراء المقيمين في لبنان في آخر القرن السابع عشر (والصحيح في آخر قرن الثامن عشر) نصارى موارنة •

والامير حيدر مات سنة ١٧٣٢ م عن تسعة اولاد هم ملحم واحمد ومنصور ويونس وعلي وحسين ومعن وبشير وعمر [2] • والامير ملحم مات سنة ١٧٦١ م عن ستة اولاد وهم محمد ويوسف وقاسم وسيداحمد وفندي وحيذر [3] • فيكون المتنصر من اولاد حيدر واحدا فقط هو علي ومن اولاد ملحم ثلاثة فقط هم قاسم وسيد احمد وحيدر ويكون الباقون قد ظلوا على اسلامهم هذا في حين انه لا يوجد اليوم كما قلنا من الفرع اللبناني مسلمون بل جميع ذرية هذا الفرع نصارى • وهذا يعني ان بقية الفرع تنصرت بالتدريج حتى عمت النصرانية جميع الذرية • ولقد ذكر الشدياق ان الاميرين حسن وسلمان حينما توليا الحكم مكان الامير بشير تظاهرا بالاسلام استجابة لرغبة والي عكا على ما ذكرناه قبل • غير ان عدم وجود مسلمين في ذرية الفرع اللبناني اليوم يدل على انهما عادا الى النصرانية او كان تظاهرهما زائفا •

ولقد ذكر حادث تنصر الشهابيين اللبنانيين مؤلفو كتاب لبنان

---

(١) ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨ •

(٢) الشدياق ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ •

(٣) ص ٣٧٧ •

وقالوا في سياقه ان اولاد الامير ملحم دانوا بالنصرانية وتـابعهم عليها غيرهم من آل شهاب واقتدى بهم بعض الامراء اللمعيين تاركين مذهبهم الدرزي وكان السبب في تنصر كثير من هاتين الاسرتين بل معظمهما هو قصد الانضمام الى الطائفة المارونية اعتدادا بها واستنادا الى كثرة عددها وأهمية عـددها [١].

وهذا التعليل ومصادفة حادث تنصر الذين تنصروا لاول مـرة لانقسام الامراء الشهـابيين وتنـازعهم على الحكم في حيـاة الامـير ملحم وبعدها مما شرحنا صفحاته يسوغان القول ان الذين تنصروا قد تنصروا حنقا ونكاية وبقصد الحصول على تعضيد الموارنة في النزاع الذي نشب واستمر بين امراء الاسرة على الحكم !

ولقد ذكر مؤلفو كتاب لبنان ان والد الامير بشير الثاني وهـو قاسم بن عمر بن ملحم قد دان بالنصرانية [٢] . ولقـد استطاع هـذا الامير ان ينازع عميه منصورا واحمد وينال منصب الولاية لفترة قصيرة على ما مر ذكره قبل فليس من المستبعد ان يكون قد تسنى له ذلـك بتأييد الموارنة الذين انتظم في نحلتهم وبالتالي يكون تنصره تحقيقا لذلك القصد .

ومن عجيب المفارقات ان الشدياق والشهابي ذكرا ان منصورا زوج قاسما ابنته حينما استرضاه ــ وهي والـدة الامير بشير الثـاني ــ ومنصور لم يكن من المتنصرين . والاسلام لا يبيح تزويج المسلمـات لغير المسلمين . ولا نستبعد ان تكون هذه المفارقة قد تكررت كثيرا في الفرع اللبناني .

وليس قاسم هو الوحيد الذي يحتمل ان يكون المنصب قد حفزه

---

(١) ص ٢٨٦ .

(٢) ص ٢٨٩ .

على التنصر أو كان تنصره عونا له عليه . فان حيدر بن ملحم وقعدان بن محمد بن ملحم نازعا الامير بشير الثاني وانتزعا الولاية منه فترة من الوقت على ما مر شرحه . وحيدر من عداد الذين روي تنصرهم من ابناء ملحم . وكانت منطقة المتن شديدة الحماس في تأييده وهي منطقة مارونية . واذا كان لا يوجد اشارة ما الى نصرانية قعدان الذي لم يكن ابوه محمد في عداد المتنصرين من ابناء ملحم فليس من المستبعد ان يكون تابع عمه حيدر في النصرانية وان يكون اتفاقه معه على مناوأة بشير كان من مظاهر ذلك أو حوافزه .

وليس في الغرر الحسان ولا الشدياق ولا الدبس اشارة صريحة الى نصرانية بشير الثاني . والذين ذكروا ذلك هم مؤلفو كتاب لبنان حيث قالوا ان أباه قاسما الذي دان بالنصرانية قد نصره .

ولقد نقلنا عن الامير حيدر نص خطاب الامير بشير الى نصارى بيروت حينما نزحوا سنة ١٨٣٠ م عن المدينة عنوانه « اعزازنا لخواجات الذميون النازحون من بيروت » . وهذا العنوان انما كان يوجه من الحكام المسلمين بل ومن المسلمين عموما الى النصارى واليهود [1] .

ولقد كان ولاة عكا ومصر والشام ورجال الدولة العثمانية مسلمين متعصبين . ولقد نقلنا عن الامير حيدر نص خطاب وجهه والي عكا الى النازحين عن بيروت جاء فيه نعت الاروام المعتدين ــ وهم النصارى ــ بالكفرة الخاسرين . فمن الصعب ان يتصور المرء ان الامير بشير الثاني كان نصرانيا علنيا يعرف هؤلاء الولاة نصرانيته ويتوادون معه . ولقد كانت احدى زوجاته مسلمة وقبرها في بيت الدين يحمل شارة ذلك

---

(١) ان مؤلف الغرر الحسان نعت ابراهيم الصباغ مدبر الشيخ ظاهر العمر بانه رجل ذمي . والطريف في هذا ان المؤلف كان نصرانيا بدوره رغم ان اسمه حيدر واسم ابيه أحمد ! فهل كان الامراء الشهابيون وهم نصارى لا يعتبرون انفسهم ذميين ؟! (**انظر ج ٢ ص ١١٢ ــ ١١٣** نسخة رستم) .

اليوم • وهذا مما يزيد الامر غرابة • ومع ذلك فانه لما مات في الاستانة دفن في مقبرة الارمن النصرانية • وتكاد نصرانيته اليوم ان تكون من الحقائق التي لا تدحض ! فهل كان يكتمها إبان حكمه ثم اظهرها في منفاه ؟ بل ان هذا لينطبق على الامراء الآخرين الذين تولوا في زمنه وقبله • ولقد ذكرنا ان والي عكا لما اراد ان يولي الاميرين حسن وسلمان الولاية مكان الامير بشير الثاني ارسل اليهما من طلب منهما التحول الى الاسلام وانهما اظهرا الاسلام فعلا حينما توليا على ماذكره الشدياق فهل كان تظاهرهما بالاسلام زائفا ؟ لانه ليس في الفرع اللبناني اليوم من يدين بالاسلام • وفي المجلد الاول من مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية من سنة ١٨٤٠ الى ١٩١٠ م التي نشرها فيليب وفريد الخازن عريضة شكوى من دروز لبنان مؤرخة بآخر حزيران ١٨٤١ ـ جمادي الاولى ١٢٥٧ هـ جاء فيها فيما جاء في صدد ديانة الامير بشير الثاني [١] « انه نشأ مسلما ثم اعتنق المسيحية ولكنه كان يجتهد بالظهور أمامهم بمظهر المسلم مع انه كان مسيحيا بدون ريب وانه كان يعاملهم برعاية متناهية تفضل معاملة المسيحيين وانه بقي مثابرا على نهجه حتى يوم نفيه !»

وليس في الشدياق اشارة صريحة الى نصرانية الامير بشير الثالث الذي خلف الامير بشير الثاني في الولاية • ولكن سياقه قد يفيد ذلك بل قد يفيد ان النصرانية كانت اذ ذاك في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر شاملة لجميع الفرع اللبناني ويؤيد هذا موقف الدروز والموارنة من أمره الشهابيين حيث كان الدروز يأبونها والموارنة يؤيدونها • ولقد جاء في عريضة الدروز المذكورة آنفا في صدد الامير بشير الثالث اشارة صريحة الى

---

(١) ص ٥٠ •

نصرانيته حيث قال اصحاب العريضة انه مسيحي وانه يحتقرهم ويعمل على اذلالهم لحملهم على اعتناق دياتته •

وعبارة مؤلفي كتاب لبنان وهـي ان « اولاد الامير ملحم دانوا بالنصرانية وتابعهم عليها غيرهم من آل شهاب واقتدي بهم بعض الامراء اللمعيين تاركين مذهبهم الدرزي » تثير سؤالا عما اذا كان التعبير خاصا باللمعيين أو شاملا الشهابيين • ولقد كانت منطقة وادي التيم المفروض ان معظم سكانها من عشيرة الشهابيين لانهم جاؤوا اليها مع عشائرهم ، ومنطقة جبل الشوف ــ وهما المنطقتان اللتان حكمهما الشهابيون ــ درزيتين ، وهذا قـد يجعل مـن الوارد ان يكونوا هم أيضا انتحلوا الدرزية تأثرا بالبيئة واندماجا فيها • بل قد يجعل من الوارد ان يكونوا وخاصة جماعة وادي التيم وهم الاصل والمنبت قد انتحلوها في ظرف ما فحذت رعيتهم حذوهم • وبنو معن الذين تصاهروا معهم وورثوهم في النهاية موضع احتمال الدرزية على ما ذكرناه قبل مما قد يقوي ذلـك الوارد • وقـد يفسر هـذا اذا صح سهولـة انتقـال الشهـابيين اللبنـانيين الى النصرانيـة • غـير ان شيوخ الامراء لشهـابيـين التيميين الاحياء ينفون الدرزية عن الاسرة الحاكمة بفرعيها • وذريـة الفرع التيمي بقسميه الراشاني والحاصباني اليوم هي مسلمـة سنيـة امتدادا للاصل الاسلامي في الاسرة قبل تولي الفرع المبناني حكم لبنان على ما يقوله هؤلاء الشيوخ •

وعلى كل حال فالذي نعتقده هو ان المآرب الخاصة وشهوة الحكم والمنافسات والاحقاد في سبيلها كانت العامل الاقوى في تحول الفـرع اللبناني الشهابي الى النصرانية • وقد يمكن ان يضاف الى هذا عامل البيئة وعامل آخر مهم وهو ما كان يقع احيانا وخاصة من الزعمـاء والمشايخ والحكام من التحول من النعرة القيسية الى النعرة اليمنية وبالعكس في سبيل المآرب وشهوة الحكم والمنافسات والاحقاد • فجعل

هذا الذين تحولوا من الاسلام الى الدرزية والنصرانية يستسهلون هذا التحول في سبيل شهواتهم ومآربهم واحقادهم . ولا شك في ان الايمان كان ينقصهم وان الاسلام كان اسما جغرافيا فيهم ان صح التعبير فلم يبالوا بما فعلوا [١] .

---

(١) قال لنا الامير مصطفى الشهابي الذي اطلع على مخطوطة هذا البحث لعل من أهم أسباب تنصر الشهابيين من فرع لبنان كونهم كانوا يحكمون في الجبل شعبا لم يكن فيه من المسلمين السنيين الا عدد ضئيل . وكان المسيحيون فيه هم الكثرة فلبثوا على اسلامهم رسميا امام الدولة وامام الدروز واستمالوا النصارى بتظاهرهم بالنصرانية سرا ليدوم لهم الحكم ثم تغلبت البيئة عليهم فامسى تنصرهم حقيقة . اما الشهابيون في وادي التيم فقد لبثوا على اسلامهم الى يومنا هذا وساعدهم على ذلك كون الدروز والسنيون في وادي التيم هم الكثرة فلم يحتاجوا في الحكم الى ممالاة المسيحيين بالتظاهر بالنصرانية ولم يعترفوا قط بتنصر فرع جبل لبنان . وقاطعوهم لهذا السبب مدة طويلة من الزمن . ثم تغلبت رابطة الدم والقرابة فعاد الفريقان الى التصافي .

ومما نبه عليه الامير مصطفى ما كان للشهابيين من اعمال عمرانية كثيرة مثل جر نهر الصفا الى بيت الدين والدامور وجر نهر بيروت الى الحازمية والشياح والبرج وحارة حريك وبرج حمود وجر نهر الكلب الى سربا وجر نهر ابراهيم الى السهل واسقاء ساحات واسعة بمياه نهر الحاصباني ، وقد شقوا كثيرا من الطرق وبنوا كثيرا من القصبات والقرى وشيدوا الجوامع والقصور وبنوا عددا كبيرا من الجسور والسبلان ونشطوا الزراعة باقامة الاسواق العامة بين القرى الخ .....

٤ – بنو الحرفوش

– ١ –

لقد ذكر الحرافشة كثيرا في سيرة بني معن وسيرة بني شهاب والاحداث التي جرت على مسرح بلاد الشام منذ القرن الهجري الحادي عشر الى أواخر القرن الثالث عشر •

وهم أسرة عربية أصيلة كان لها الحكم والسلطان الاقطاعي في منطقة بعلبك التي هي الآن في نطاق لبنان ممتدا من القرن الثامن الهجري أو قبله •

وأخبارها مبثوثة في اجزاء الغرر الحسان [1] الثلاثة واخبار الاعيان وكتاب تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني للمعلوف في سياق سيرة بني معن وخلفائهم بني شهاب •

ولمخائيل ألوف البعلبكي رسالة اسمها تاريخ بعلبك جمعت فيما جمعته من تاريخ هذه المدينة سيرتهم المتفرقة الى آخر عهدهم أيضا • ومع الاسف ان هذا المؤلف يورد رواياته مرسلة وقلما يذكر مصدرا لها • وبعضها متطابق حرفيا او مآلا مع ما ورد في الغرر الحسان أو تاريخ الموارنة للدبس أو اخبار الاعيان وبعضها غير متطابق • ويورد روايات غير مذكورة في هذه الكتب كما ان في هذه الكتب روايات عن الحرافشة غير واردة في كتابه • ولقد روي رواية قال انها ليس لها سند تاريخي وانما تروى على ألسنة الناس كما انه يبدي تحفظه ازاء

(١) تاريخ الامير حيدر الشهابي •

بعض الاقوال المروية عن السنة الحرافشة مما قد يفيد انه استقى ما كتبه عنهم من كتب سابقة مخطوطة أو مطبوعة ؟

ومؤلف هذا الكتاب كتب كتابه بالعربية وبلغة افرنجية اخرى على ما يبدو حيث يذكر على غلاف النسخة التي بين ايدينا والمطبوعة سنة ١٩٠٤ انها الطبعة العربية الثانية وانها الطبعة الثامنة مع الطبعات الاجنبية .

ولسوف يكون هذا الكتاب معولنا الاول لانه جامع لسيرة بني حرفوش من البداية للنهاية . وسننبه على ما يبدو من تعارض أو تباين مهم بين ما جاء فيه وبين المصادر الاخرى .

— ٢ —

ولقد قال المؤلف [١] في صدد أولية بني حرفوش ان الشائع ان الامير حرفوش الخزاعي جد هذه الاسرة عقدت له راية بقيادة فرقة فيحملة ابيعبيدة الجراحعلى بعلبكواستوطنها بعدئذوكثر نسله وصاروا من اعظم الاعيان الى ان تيسر لهم الاستقلال في المدينة واقاليمها في أواخر حكم سلاطين مصر المماليك .

وليس هناك ما يؤيد هذا القول أو ينفيه فنكتفي بتسجيله . ولقد ذكر المؤلف في سياق بعض احداث متأخرة ان أحد امرائهم جهجاه ابن مصطفى سار الى عرب الخزاعة ابناء عم بني الحرفوش لان هؤلاء يزعمون بانهم فخذ من افخاذهم فاستعان بهم على استرجاع بعلبك فاعتذروا ولكنهم أمدوه بمال وفير واعطوه فرسا صفراء كريمة الاصل حيث قد يفيد هذا انه كان في بلاد الشام قبيلة عربية اسمها خزاعة

---

(١) ص ٦٥ .

وان الحرافشة كانوا يدعون انهم منها أصلا وانها كانت تعرف ذلك أو تعترف به وبالتالي قد يفيد صحة دعوى انتساب الحرافشة الى خزاعة ، هذا مع التنبيه على اننا رجعنا الى كتاب عشائر الشام لوصفي زكريا ومعجم القبائل لعمر كحالة فلم نجد في الاول لخزاعة اسما بين قبائل الشام ولم نجد في الثاني ان فريقا من خزاعة جاء الى بلاد الشام واستقر فيها • ولم يذكر مؤلف كتاب تاريخ بعلبك مكان عرب خزاعة غير ان اسم خزاعة ورد في كتاب عشائر العراق للعزاوي وفي كتاب تاريخ العراق بين احتلالين كقبيلة من قبائل العراق التي تسمى أيضا باسم الخزاعلة [1] وقد ذكر مؤلف تاريخ شرق الاردن وقبائلهاالانكليزي بيك [2] اسم الحرافيش كقبيلة من قبائل البلقاء وقال انه يقال انها بطن من عرب امراء الحرافشة بسورية وان هؤلاء بطن من خزاعة •

على ان هناك نصوصا تاريخية تفيد على كل حال قدم هذه الاسرة في امارة بعلبك • فقد قال ألوف [3] ان صالحا بن يحيى مؤلف كتاب تاريخ بيروت ذكر ان الملك الظاهر برقوق اول ملوك الشراكسة (٨٧٥ ـ ٨٠٢ هـ) استعان بالامير علاء الدين الحرفوش على تركمان كسروان وان علاء الدين قتل في وقعة جرت بين حاكم دمشق يلبغا ونعير امير العرب سنة ١٣٩٣م (تصادف نحو ٨١٥ هـ) • والعبارة تفيد ان الامير علاء الدين كان مستقر الحكم في امارة بعلبك امتدادا لامد ما قبل هذا التاريخ وان لم يكن في اليد مصدر يعين ذلك أو يفيد كيفية حصوله •

وقد ذكر ابن اياس كتابه المسمى بدائع الذهور [3] ان جان

---

(١) انظر تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٠ ـ ٢١ وعشائر العراق ج ٢ ص٢٤٥

(٢) انظر ص ٢٦٦ الترجمة العربية لبهاء لدين طوقان .

(٣) ج ٣ ص ١٦٣ .

بردى الغزالي نائب دمشق من قبل العثمانيين تحايل سنة ٩٢٤ على احد مشايخ العرب المسمى ابن الحرفوش وقتله مع ناصر الدين الحنش شيخ الاعراب والبقاع وغيرها من جهات دمشق وكان متمردا على السلطان العثماني الذي انبسط على بلاد الشام في سنة ٩٢٢ هـ .

وقد ذكر ألوف أيضا خبر استجارة هاشم العجمي شيخ جبة المنيطرة بالامراء الحرافشة في سنة ١٥٣٤ م ـ ٩٤٣ هـ (١) .

وقد ذكر المحبي في الجزء الرابع من خلاصة الاثر (٢) ان الدولة العثمانية قبضت على الامير علي بن موسى الحرفوشي امير بعلبك وارسلته مع حاكمين آخرين من حكام الاقطاع هما الامير منصور بن الفريخ والامير قانصو الى الروم ـ المقصود الى الاستانة ـ فخلص هو وابن الفريخ غير ان والي الشام مراد باشا تمكن من القبض عليهما وقتلهما سنة ١٠٠٣ هـ .

وتفيد هذه الروايات الثلاث أن امرة الحرافشة ظلت مستمرة بعد علاء الدين الى هذا الوقت وان لم يكن في اليد مصدر فيه بيان ، ومنذ اوائل القرن الحادي عشر صارت اخبار وسير ةهذه الاسرة متلاحقة .

ـ ٣ ـ

واول ما ذكره مؤرخ بعلبك من هذا التاريخ المتلاحق حادث زحف الامير موسى ـ وقيل الامير يونس والعبارة للمؤلف ـ سنة ١٠١١هـ ١٦٠٢ م على جبة بشرى ونهب بيوتها ومواشيها (٣) . وقد زحف يوسف سيفا حاكم غزير وكسروان الذي كانت الجبة في نطاق حكمه بالمقابلة

---

(١) ص ٦٦ ذكر هذا الحادث المطران الدبس في كتابه تاريخ الموارنة ص ٢٨١ .
(٢) ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .
(٣) ص ٦٦ .

على بلاد بعلبك واحرق قرية الحدث ثم سار الى مدينة بعلبك فنهبهـا وقتل اهلها وشتتهم • وتحصن الحرافشة مع بعض رجالهم في القلعة فحاصرهم ابن سيفا وضيق عليهم الخناق حتى استسلموا فقتل بعضهم واطلق الامان للباقي [١] •

ولقد كان الامراء الحرافشة في هذه الحقبة متواثقين في السياسة المحلية مع الامير فخر الدين وكان بين الامير فخر الدين ويوسف بن سيفا الكردي صيال ونضال شديدان على ماشرحناه في سيرة بني معن في فصلهم الخاص • والمتبادر ان هذا الزحف المتبادل كان بعض وقائع النضال التضامنـي الحزبـي •

وننبه على ان المعلوف في كتابه تاريخ الامير فخر الدين قـد ذكر للامير موسى صيالا مع ابن سيفا وغيره قبل سنة ١٠١١ هـ التي يذكر المؤلف البعلبكي اول احداثه فيها • حيث ذكر ان الامير موسى تضامن مع الامير فخر الدين الثاني في سنة ١٠٠٣ هـ في مطاردة الامير قرقماس ابن الفريخ حاكم البقاع ـ والصحيح ابن حاكم البقاع ـ وانـه زحف معه في سنة ١٠٠٨ هـ بخمسـة عشر الف مقاتل على علي ابن سيفا واشترك في القتال الذي وقع عند نهر الكلب والذي دارت الدائرة فيه علـى ابن سيفا [٢] •

---

(١) ص ٦٦ ذكر الحادث الامير حيدر الشهابي ج ١ ص ٦٢٢ ـ ٦٢٣ نسـخة مفبغب • واسم الامير في هذا الكتاب موسى • وذكره الشدياق في فصل امراء المردة في اخبار الاعيان ص ٢٣٠ واسم الامير فيه يونس • وهذا ما جعل المؤلف البعلبكي يقول كما يتبادر (موسى وقيل يونس) ولكن الاحداث التالية تدل على ان الامير هو موسى ثم انتقلت الامارة منه الى يونس على ما سوف يرد في المتن وهذا ما يفيده كذلك ترجمة المحبي للامير موسـى في الجزء الرابع من كتابه خلاصة الاثر ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣) •

(٢) تاريخ الامير فخر الدين للمعلوف ص ٨٢ ـ ١٣٢ •

ومما ذكره المؤلف البعلبكي وقال انه لا سند تاريخي له رواية مفادها ان الامير موسى نبذ طاعة الدولة فسيرت عليه جيشا ضيق عليه الخناق فتسلل خفية وسافر الى الاستانة . واستأمن لرجالها . وكانت غزير قصبة كسروان عاصية فتعهد بفتحها اذا عفي عنه وثبت حكمه في بعلبك فاجيب الى طلبه فعاد وجمع خمسة عشر الف مقاتل وزحف بهم على غزير .

ولقد ترجم المحبي في الجزء الرابع من كتابه خلاصة الاثر الامير موسى وقال انه ولي امارتها بعد مقتل ابيه سنة ١٠٠٢ هـ ــ وقد ذكرنا خبر قتله قبل ــ وانه كان اقرب قومه الى السنة لا يغلو في الرفض وانه كان بطلا شجاعا جوادا وانه ركب على الامير علي ابن سيفا سنة ١٠٠٧ او ١٠٠٨ هـ بأمر من الوزير محمد باشا نائب الشام وقاتل ابن سيفا في ناحية غزير وقتله ، مما فيه تأييد ما للرواية السابقة . ومما ذكره عنه انه بقي في الامارة حتى دخل الامير علي بن جانبولاد بعلبك قاصدا دمشق فنهض الى ضواحي حمص لاستقباله مداراة له ومحاماة عن ارضه . واخذ منه تفويضا بالذهاب الى الشام وابرام الصلح فذهب ولكنه لم ينجح في مهمته . ولما اعتزم ابن جنبلاط الزحف على دمشق ذهب الى لشام وانحاز الى جبهتها في حين انحاز ابن عمه يونس وجماعته من اولاد عمه الى ابن جنبلاط . ولما زحف على دمشق وحاصرها وصالحه اهلها كان مما اتفق عليه ان تكون بعلبك والبقاع للامير يونس. وحينئذ خرج موسى لى القيروانية وجمع عشيرا كبيرا لقتال ابن عمه . ولكنه لم يوفق فيما اراد فصرف العشير ورجع الى دمشق ايضا حيث مات سنة ١٠١٦ ودفن في مقبرة الفراديس بقبة بني الحرفوش .

وقد ذكر هذا المعلوف [1] واوردناه عنه في سيرة بني معن لان الامير فخر الدين المعني كان في هذه الحركة متحالفا متضامنا مع

---

(١) ص ٨٢ ــ ١٣٢ تاريخ الامير فخر الدين .

ابن جنبلاط . وقد ذكر شيئا منه المؤرخ البلعبكي [١] وذكر فيما ذكره ان الامير يونس التجأ الى فخر الدين ولما تم تعيينه حاكما لبعلبك تصاهر معه حيث تزوج ابنه بنت الامير المعني .

ومما ذكره المؤرخ البعلبكي [٢] ان والي الشام الحافظ احمد زحف سنة ١٦٠٦ م على بعلبك للتنكيل بالامير يونس لضغينة بينهما (والعبارة للمؤلف) فاستنجد هذا بالامير فخر الدين فسارع الى نجدته مما جعل الوالي يكف عنه . وكان ذلك سبب نفوره من فخر الدين .

وقفز المؤلف بعد هذا الى سنة ١٦١١ حيث ذكر ان نصوح باشا حينما تولى الصدارة هذه السنة كان اول طلب انفذه الى الامير فخر الدين هو قتل الامير يونس ولكن الامير تلافى الامر [٣] .

غير ان المعلوف في كتابه تاريخ الامير فخر الدين سردسياقا طويلا [٤] في ما كان من تشاد ونضال بين السيفي ـ يوسف سيفا ـ وسلطات الدولة في الشام من جهة والامير فخر الدين المعني وحسين باشا جنبلاط من جهة أخرى قبل سنة ١٦١١ مما المنا به في سيرة بني معن في فصلهم فيه ذكر للامير يونس الشهابي ونشاطه لعله هو الذي جعل نصوح باشا يطلب اعدامه . وشيء من هذا السياق وارد في اخبار الاعيان للشدياق في فصل الامراء المعنيين ايضا [٥] . ومما جاء في كتاب المعلوف ان الامير موسى الحرفوشي اجتمع بالجنبلاطي واستأذنه ليقوم بالوساطة بينه وبين الجند الشامي فاستصوب هو والمعني ذلك فسار الى دمشق .

---

(١) ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) ص ٦٧ لم يذكر المعلوف والشهابي هذا وانما ذكره الشدياق انظر اخبار الاعيان ص ٢٥٣ .

(٣) ص ٦٧ .

(٤) ص ٩١ ـ ١١١ .

(٥) ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥ .

ولما فاوض الجند اغلظوا له الكلام توهما بانه خصمهم فذهب الى امير الامراء وفاوضه ولكنه اخفق وعاد مخذولا واخبر الجنبلاطي والمعني بذلك فقررا الزحف على الشام فلم يندمج الامير الحرفوشي في حركتهما وهرب الى الشام واعلم الجند بخبر الزحف • وزحف الزعيمان برجالهما نحو الشام وخيما اولا في البقاع فجاء اليهما الامير يونس بن عم الامير موسى الحرفوشي وبعض بني عمه فانضموا اليهما • ثم زحف الجميع نحو حماه حيث كان جند الشام مع جند السيفي واستطاع الجنبلاطي ان يفسد جند الشام وان يحرز النصر نتيجة لذلك • ثم زحف الجميع نحو الشام • وهناك جرت مراسلات ومفاوضات أدت الى كف الجنبلاطي والمعني وارتضاء الاول لفدية مالية وتعيين الامير يونس الحرفوشي لولاية البقاع وبعلبك بناء على طلب الامير المعني الذي اكتفى بذلك دون طلب الفدية ، ويستمر سياق المعلوف بعد هذا في احداث لا صلة لها بالحرفوشي حتى يجيء الى سنة ١٦١١ فيقول ان نصوح باشا تولى الصدارة فيها فطلب من المعني فيما طلبه قتل الامير يونس الحرفوشي فبذل جهوده وتقدماته حتى جعله يعدل عن ذلك [1] •

والمتبادر ان الامير فخر الدين التزم الامير يونس بعد تخاذل موسى وافتراقه عنه وذهابه الى الشام •

وقد ذكر مؤلف بعلبك بعد خبر طلب نصوح باشا قتل الامير يونس ان هذا الامير جهز سنة ١٦١٣ م رجاله وسار بهم لنجدة الامير فخر الدين الذي كان يتصاول مع الوالي احمد الحافظ وانه لما ارسل السلطان مددا عظيما مؤلفا من خمسين الفا بقيادة اربعة عشر باشا للتنكيل بالامير فخر الدين المعني ذعر الامير يونس وخشي سطوةالدولة

---

(١) ص ٩٢ ــ ٩٣ و ١٠٩ ــ ١١٠ ومن الجدير بالتنبيه ان المعلوف أرخ حادث وساطة الامير موسى في سنة ١٦٠٧ لا في سنة ١٦١١ كما فعل المؤرخ البعلبكي •

فاستكان واستسلم مع رجاله للوالي الذي ارسله لامتلاك الطريق على جنود الامير المعني الذين قدموا لنجدته في قلعة شقيف ارنون • وقد التقى الامير بهم فوق جسر الخردلة ونشب القتال بينه وبينهم فانهزموا. ورأى الامير المعني ضعف موقفه فترك لبنان وسافر الى ايطالية [1] •
وقد قال المؤرخ ان الوالي طلب من الامير يونس بعد مغادرة الامير المعني البلاد تسليم حصن اللبوة وقلعة بعلبك وخرج اليه بالعسكر لاخذهما منه بالقوة • ولكن الامير الحرفوشي ارضاه بخمسين الف قرش [2] !

ويبدو الخبر الثاني عجيبا لان الامير الحرفوشي استسلم للوالي ولم يتورع عن خذل حليفه بل وضربه من الخلف اذا صح ما قاله قبل وكان المقتضى ان يكافئه الوالي لا ان ينقم منه •

ونتبه الى ان المعلوف لم يذكر الخبر الاول بالمرة في حين انه ذكر الخبر الثاني الذي يبدو هو المعقول في حالة استمرار الحرفوشي على موالاة حليفه المعني [3] •

أما مؤلف الغرر فكل ما قاله في صدد الخبر الاول ان الامير يونس الحرفوشي حينما وصلت الحملة الكبيرة ذهب هو والامير يونس الحرفوشي لمواجهة الوالي [4] • وقد تفيد العبارة انهما ذهبا للتوسط بين الوالي والمعني • واكثر ما يمكن ان تفيده انهما ذهبا لاثبات عدم اندماجهما في مناوأة الدولة • وهذا لم ينفعهما لانهما كانا عرضة للمصادرة والقصاص من الوالي بعد مغادرة الامير فخر الدين البلاد على ما ذكره المعلوف [5] •

---

(١) و (٢) ص ٦٧ •

(٣) ص ١٢٠ — ١٣١ •

(٤) ج ٢ ص ٦٢٩ نسخة مغيغب •

(٥) ص ١٣١ •

ولقد كان موقف الامير يونس الحرفوشي ازاء الامير يونس المعني وابن اخيه الامير علي أثناء غياب الامير فخر الدين موقف عطف وتعاون على ما ذكره مؤلف الغرر مما سوف نذكره بعد . وهـذا يؤيد عـدم صحة خبر غدره بحليفه وضربه من خلفه الذي ينطوي في الخبر الثـاني على ما هو المتبادر .

ومما ذكره المؤرخ البعلبكي بعد ذلك خبر اقطاع والي الشام البقاع للامير شلهوب الحرفوشي مقابل (١٢٠٠٠) قرش وامـداده بخمسمائة فارس ، وحصار شلهوب لابن عمه الامير حسين بن الامير يونس في قلعة قب الياس حتى اضطره الى تسليمها له . وقد توجـه الامير يونس الى حلب حيث كان الصدر الاعظم فيها وحصل منه على التزام البقاع بالاضافة الى بعلبك مقابل اربعين الف ذهب فارتفعت يـد شلهوب عن البقاع . وفي السنة التالية انعمت الدولة على لامير يونس بسنجقية حمص ايضا [١] .

ولقد ذكر مؤلف الغرر خبر اقتطاع والي الشام البقاع لشلهوب الذي يسميه شلهوما . ولكن سياقه يحتوي اشيـاء لا يذكرها مؤلف تاريخ بعلبك . والمستفاد من السياق [٢] ان شلهوبا كان متواطئـا مع زعماء النعرة اليمنية الذين كانوا يناوئون الاميرين المعنيين يونس وعلي الذين خلفا الامير فخر الدين بعد ذهابه الى اوروبا وانهم ناصروه على استلام البقاع . وان الامير يونس ظل على تواثقه ومودته مع الامـيرين المعنيين واندمج معهما في مناوأة اليمنيين في مختلف المواقف حتى وقعـة الناعمة التي انتصر فيها القيسيون على اليمنيين انتصارا حـاسما ودلك في غياب الامير فخر الدين ، وانه حينما ذهب الى حلب لمواجهة الصدر

---

(١) ص ٦٧ .

(٢) ص ٦٤٥ ـ ٦٥٠ نسخة معبغب .

الاعظم من اجل قضية البقاع التمس الرضاء عن بني معن ورد املاكهم ـ مقاطعاتهم ـ اليهم وكان توجيه ولايتي صيدا وصفد الى الاميرين يونس وعلي من مساعيه كما بذل مساعيه في التوفيق بين الوالي وبين الاميرين في بعض المشاكل حتى سويت على الوجه المرضي • ولم يذكر الغرر توجيه سنجقية حمص للامير يونس الحرفوشي ولكنه قال انه اقام ابنه حسينا في بعلبك وابنه الثاني احمد في قب الياس • وقد يعني هذا انه ذهب هو ومارس الحكم في حمص كما هو المتبادر •

ونعود الى تاريخ بعلبك الذي يذكر بعد ذكره خبر توجيه سنجقية حمص للامير يونس خبر عقد قران بنت الامير علي المعني فاخره على احمد ابن الامير يونس ثم خبر ارسال الامير يونس ابنه للسلام على الامير فخر الدين حينما عاد من اوروبا واهدائه عدة خيول كريمة [1] •

وفي سنة ١٦١٨ م كتب الامير المعني للامير الحرفوشي ان يضبط ما لآل سيفا من المواشي والغلال في الفيروانية والهرمل فانفذ امره وغنم غنائم وفيرة [2] •

ويظهر ان شيئا ما طرأ بين الاميرين الحرفوشي والمعني كدر علاقتهما ـ ومن المحتمل ان يكون ذلك احتجاز الحرفوشي ما ضبطه لآل سيفا من مواش وغلال لنفسه ـ لان المؤلف ذكر [3] ان الامير الحرفوشي في سنة ١٦١٩ م مر بعساكره باراضي بعلبك ذاهبا الى عكار فلما بلغ ذلك الامير الحرفوشي اقام في حصن اللبوة فقصده الامير المعني وواجهه وأمنه ودعاه الى خيمته فلم يلبث ان رجع حالا الى حصن

(١) ص ٦٧ ـ ٦٨ •

(٢) ص ٦٨ •

(٣) ص ٦٨ ـ ٧٢ •

اللبوة محتجا بتقديم الميرة للعسكر ثم لم يعد ولم يرسل ما وعد به من الميرة • ثم ذكر المؤلف حادثا آخر كان سببا جديدا لتكدير العلاقة بين الاميرين أو زيادة كدرها على الاصح • فقد عزل الامير المعني عن سنجقية صفد وانهزم رجاله في نابلس وعجلون فكتب الامير الحرفوشي لصديقه كرد حمزة اغا الانكشارية في دمشق يخبره بذلك فارسل كرد حمزة كتاب الحرفوشي الى فخر الدين غلطا مع كتبه ، فلما قرأ المعني الكتاب اغتاظ جدا لانه وجده كافرا بنعمته مع كل حسناته معه — والعبارة للمؤلف — حيث أمده وساعده على ولاية بعلبك واغضى عن ضبطه لاراض كانت للامير في اراضي قب الياس وعن منعه لاهل الشوف من الزراعة باراضي البقاع ، فنهض من بيروت الى قب الياس فدعاه الامير حسين الحرفوشي الى بيته فاجاب الدعوة وهناك اظهر صكا وحكما سلطانيا بمشترى حارة قب الياس من تركة الامير منصور العساف وقال لحسين ان هذه الحارة ملكنا وقد اسكناك فيها مدة طويلة فنحن الآن في حاجة اليها فاذهب الى والدك • فلم يسع الامير حسين الا الرحيل محنقا • ثم امر الامير المعني بضبط غلال آل حرفوش التي في البقاع وجميع مواشيهم وكانت ستمائة رأس من البقر والجاموس كما امر بهدم حارة قب الياس ثم سار الى جسر المجامع • ولما بلغ الامير يونس ما كان من الامير فخر الدين سار مع كرد حمزة الى دمشق والتمسا من واليها مصطفى باشا سنجقية صفد للامير يونس ودفعا له خمسة عشر الف ذهب فانعم عليهما بها • وبلغ الامير فخر الدين ذلك فكتب الى الوالي يقول له بلغني ان الامير يونس زاد على سنجقية صفد الف ذهب — ويظهر ان التزامها كان على الامير المعني اربعة عشر الفا — فانا أزيد على بلاد بعلبك والبقاع الى ماية الف ذهب • وكتب ايضا بذلك الى الدفتر دار وكبير الانكشارية فلم يعبأ بكتبه احد فكتب لمدبره في الاستانة بالامر فسعى ونجح في استصدار فرمان سلطاني بسنجقية صفد

وعجلون ونابلس • وحينئذ كتب والي الشام للامير يونس الحرفوشي بالحضور مع عساكره وتركمان بلاد بعلبك استعدادا للزحف على الامير المعني • وبلغ الامير المعني خبر هذا الاستعداد فسار بمعظم جيوشه الى البقاع واخذت تقع بين رجاله وبين بعض رجال الامير يونس مناوشات • واحرق الامير المعني بعض قرى بعلبك • ولم يلبث الوالي ان اقبل بجيوشه فاشتبك معها الامير فخر الدين في عنجر ـ وكان ذلك سنة ١٦٢٣ م وهزمها واسر الوالي • وانهزم الامير يونس الى حصن اللبوة وتحصن فيه • واعتذر الوالي للامير فخر الدين واخبره ان الباعث على ما حصل كرد حمزة فطيب الامير خاطره واطلق له حريته • وسار الاثنان معا الى بعلبك واذنا لمن معهم بنهب غلال الحرافشة • وجاء الامير شلهوب فاظهر الخضوع والولاء للامير فطيب خاطره وصرفه في املاكه • ثم ارسل الامير رجاله الى اللبوة وجبة عسال فنهبوا (١٢٠٠٠) من ماعز الحرافشة وتحصن بعض عسكر الامير الحرفوشي في قلعة بعلبك وحصن اللبوة فضرب الامير المعني عليهما الحصار •

وقد ذهب الامير يونس الى حلب مع كرد حمزة ورفعا منها الشكوى ضد الامير المعني • غير ان واليها مراد باشا لم يلبث ان اعتقل الامير الحرفوشي في معرة النعمان واحضره الى حلب وسجنه في قلعتها • ولا يذكر المؤلف سبب ذلك • والمتبادر انه نتيجة لمساعي الامير المعني • وفي هذه الاثناء جاء مندوب من الاستانة يحمل خلعة ايالات الجبل وبعلبك والبقاع للامير فغدا سيد المنطقة • وكان المحاصرون في قلعة بعلبك يرفضون التسليم فلما بلغهم ذلك وبلغهم خبر سجن اميرهم فت في عضدهم واستسلموا بعد ان اعطاهم الامير الامان • وقد ضبط ما للامير يونس في القلعة • وحاول هدمها فلم يوفق • وقد ظل محاصرو اللبوة يرفضون التسليم وكان معهم الامير حسين بن الامير يونس فشدد الامير المعني الخناق عليهم حتى ضاق بهم الامر • فجاء الامير علي بن

الامير يونس الى الامير المعني وتعهد له بدفع فدية (٤٠٠٠٠) قرشا وأعطاه منها نقدا (١٦٠٠٠) والتمس منه الصلح فقبل ورفع الحصار عن القلعة وغادر بعلبك بعد ان اقام الامير شلهوب حاكما عليها من قبله . وبعد قليل اطلق سراح الامير يونس بمساعي كرد حمزة وسكوت الامير — والعبارة للمؤلف ويظهر ان سكوت الامير كان نتيجة لما تم عليه الاتفاق بين الامير واولاد الامير الحرفوشي — فجاء الى قرية عسال ومنها اتصل بوالي الشام وارسل اليه هدية ثمينة ووعده بثلاثين الف قرش اذا قتل الامير شلهوب فقبل الوالي وارسل من قتله وضبط جميع مقتنياته . وعاد الامير يونس ثانية الى امارة بعلبك . وقد احنق بعمله الامير فخر الدين . وبعد قليل جاء الصدر الاعظم الى حلب فاغتنم الفرصة وسعى لديه حتى جعله يقبض عليه ويقتله ، وكان ذلك في اواخر سنة ١٦٢٣ م [١] .

---

(١) ص ٦٨ — ٧٢ ايضا ان مؤلف الغرر ذكر كثيرا مما جاء في هذا السياق في سياق طويل (ص ٦٦٢ — ٧١٠ نسخة مغضب) مع شيء من الخلاف . ولا يذكر اعتصام الامير يونس في حصن اللبوة تخوفا من الامير المعني مع ذكره خبر حصار الحرفوشي للقيروانية والهرمل وضبطه مواشي وغلال ابن سيفا في اثناء الصيال بين هذا وبين الامير المعني ويذكر قصة كتاب الامير يونس الحرفوشي لكرد حمزة في حوادث سنة ١٦٢٢ م وما جاء بعدها من احداث الى سعي الامير يونس في قتل الامير شهلوب ولكنه لا يذكر سعي الامير المعني في قتل الامير يونس . وقد ذكر المعلوف شيئا من هذه الاحداث في سياق طويل ايضا (تاريخ الامير فخر الدين ص ٢٢٩ — ٢٣٦) ولكنه لم يذكر قصة ضبط الحرفوشي لغلال ومواشي ابن سيفا في الهرمل والقيروانية وهو يعزو الجفاء بين الاميرين المعني والحرفوشي الى منع الحرفوشي أهل الشوف من الزراعة في البقاع كعادتهم وضبطه تل النمورة قرب قب الياس الذي هو من اقطاع الامير علي المعني ولا يذكر قصة كتاب الحرفوشي لكرد حمزة . اما خبر قتل الامير يونس فقد ذكره هذا المؤلف في سياق آخر (ص ٢٤٥ — ٢٤٦) نقلا عن مخطوطة لنوفل والعبارة تفيد ان قتله كان بعد ان صار الامير المعني حاكما عاما على بلاد الشام أي سنة ١٦٢٦ م وفي فصل الامراء المعنيين في اخبار الاعيان سياق طويل في هذه الاحداث كثير منه يتطابق مع ما ذكره المؤرخ البعلبكي ومؤلف الغرر . ولكنه لا يذكر قتل الامير يونس وان كان ذكر خبر اعتقاله في المعرة . والى هذا فهناك بعض اضطراب وتباين في تسلسل الحوادث في هذا الفصل بالنسبة لما جاء في الكتابين الاولين (انظر ص ٣٢٣—٣٣٠ .

ويعد الامير يونس من ألمع نجوم بني الحرفوش المعروفين • وقد امتد حكمه اربعين سنة • واتسع حتى صار يشمل احيانا وبطريق الالتزام حسب العادة حمص وحماه والبقاع بالاضافة الى بلاد بعلبك • وقد لجأ زعماء متاولة جبل عامل الى بلاد بعلبك في عهده فرارا من الامير يونس المعني في غياب اخيه في اوروبا ثم من الامير فخر الدين بعد عودته فلقوا منه ومن ابنه احمد ترحيبا وتطمينا على ما ذكرناه في فصل زعامات جبل عامل الذي يأتي بعد قليل [1] •

ولقد ذكر المؤرخ البعلبكي بعد ذلك خبر توجيه حكم عموم بلاد الشام على الامير فخر الدين وتلقيبه بلقب سلطان البر سنة ١٦٢٤ م ١٠٣٤ هـ وخروجه للطواف في البلاد • وقال انه لما وصل الى بعلبك ذعر الحرافشة وفروا من البلاد ولكن الامير اطلق لهم الامان فعادوا وتعهدوا له بخمسة واربعين الف قرش خدمة • ويظهر ان الامير ظل مجافيا لاولاد الامير يونس حيث ذكر المؤلف ان الامير حسين الحرفوشي التمس شفاعة الامير علي الشهابي حاكم حاصبيا سنة ١٦٢٦ م فذهب معه الى صيدا فاكرم مثواه وطيب قلبه فرجع مسرورا الى بلاده ولا يذكر المؤلف انه اعاده الى حكم بعلبك وان كانت العبارة قد تفيد ذلك •

ولم يذكر المؤلف شيئا عن الفترة الواقعة بين ١٦٢٦ و ١٦٣٣ م ثم قال [2] ان الدولة لما ارسلت جيوشها سنة ١٦٣٣ م ــ ١٠٤٣ هـ لقتال الامير فخر الدين بسبب ما ظهر منه من طموح للاستقلال والاستعداد

---

(١) انظر جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٠ ــ ٣٥ والغرر ج ١ ص ٦٥٩ ــ ٦٦٠ نسخة مغبغب .

(٢) ص ٧٣ ذكر الغرر هذا الخبر بنفس العبارة تقريبا في حوادث سنة ١٦٢٤ م ج ١ ص ٧١٢ نسخة مغبغب .

لذلك بحشد الجيوش بقيادة عدوه القديم احمد باشا الحافظ [1] تقدم عليه حسين ومحمد ابنا الامير يونس الحرفوشي طالبين حمايته فاقرهما على امارة بعلبك واقليمها الواسع وعقب المؤلف قائلا وهذا كل ما انتهى الينا من اخبار الامير يونس واولاده .

وسكت المؤلف عن حكم بعلبك الى سنة ١٦٧١ م — ١٠٨٢ هـ فقال ان الامير علي الحرفوشي استنجد بوالي الشام على ابناء عمه عمر وشديد ويونس فسير هذا كتيبة لمساعدته فهزم بها الامراء ونهب ارزاقهم وحرق دورهم وتولى بعلبك . والعبارة تفيد ان امارة بعلبك استمرت بعد حسين ومحمد ولدي الامير يونس في ابنائهما من بعدهما . وكل ما في الامر انه لم يسجل لهما المؤرخ احداثا . والعبارة منقولة من الغرر حرفيا . ومؤلف الكتاب لم يذكر عن الحرافشة شيئا بعد سنة ١٦٢٤ م التي ذكر فيحوادثها خبر استشفاع الامير حسين بواليوادي التيم لدى الامير وتطييب هذا خاطره ورجوعه مسرورا الى بلاده على ما ذكرناه قبل . والعبارة قد تفيد كذلك ان الامراء الثلاثة اخوة ولعلهم اولاد حسين ولعل عمر ابن محمد . ولعل الثلاثة استبدوا بالحكم دونه مع ان اباه كان شريكا لاخيه حسين فنازعهم وانتصر عليهم بمساعدة والي الشام .

وذكر المؤلف بعد ذلك [2] ان الامير فارسا الشهابي استأجر سنة ١٦٨١ م بلاد بعلبك من الدولة وقدم اليها بالفي فارس وراجل من الدروز — وقد ذكرنا هذا في سيرة بني شهاب — فتشرد الحرافشة ، ورأس الامير شديد عصابة مؤلفة من ستين فارسا وصار يطوف بها البلاد متنكرا ،

---

(١) الصحيح انه احمد باشا الكوشوك على ما شرحناه في سيرة بني معن في فصلهم . والكوشوك مدفون في احدى ضواحي الشام وعلى قبره ذكر انتصاره على المعني وقضائه عليه.

(٢) ص ٧٣ — ٧٤ .

وان عدوانا وقع من احد رجال الامير فارس على احدى المحصنات فذهبت الى الامير شديد وأثارت نخوته فهب مع رجاله واشتبك مع الامير فارس ورجاله وأبدوا بسالة عجيبة وفتكوا برجال الامير فارس فتكا ذريعا ولاح لاحدهم مقتل من الامير فارس فاطلق عليه الرمح فجندله صريعا فادى ذلك الى فرار بقية جماعته تاركين وراءهم نحو خمسين قتيلا . وبلغ الامير موسى شهاب فنهض برجاله من حاصبيا ونهض الامير علي نجم من راشيا للثأر واخذوا يغزون اطراف بعلبك فذهب عندئذ الامير عمر الحرفوشي الى الشوف مستغيثا بالامير احمد المعني وملتمسا منه الوساطة للصلح فتوجه الامير الى بعلبك واصلح بين الفريقين على ان يؤدي الحرافشة كل سنة الى آل شهاب خمسة آلاف قرش ورأسين من جياد الخيل دية دائمة عن الامير فارس [1] .

وذكر المؤلف بعد ذلك [2] ان الاوامر وردت لوالي طرابلس سنة ١٦٨٦ م بالاقتصاص من الامير شديد الحرفوشي لتخريبه قرية رأس بعلبك وهدمه حصنها فكتب الوالي الى الامير احمد المعني طالبا انجاده ولجأ الامير شديد الى المشايخ الحماديين فاحرق الوالي قراهم لانهم اجاروا شديدا وناصروه على ما هو المتبادر وان لم يذكر المؤلف ذلك صراحة . وكر الحماديون على عسكر الوالي ليلا فقتلوا جملة منه وهزموا الباقي .

والخبر قد يفيد ان حكم بعلبك والتزامها قد عاد الى بني الحرفوش وكان شديد هو صاحب ذلك في سنة ١٦٨٦ م .

وقفز المؤلف بعد ذلك الى سنة ١٧٠٢ م فذكر ان حكم بعلبك

---

(١) ورد ذكر هذا الحادث في الغرر بما يطابق ما ذكره المؤلف في حوادث سنة ١٦٨٠ ـ ١٠٩١ هـ . ج ١ ص ٧٢٩ نسخة مغبغب .

(٢) ص ٧٤ ــ ٧٥ وقد ذكر الحادث الغرر ايضا بما يطابق ما ذكره المؤلف ج١ ص٧٤١ .

كان في هذه السنة في يد الامير حسين الحرفوشي الذي التجأ اليه الشيخ يوسف الدحداح وصار له مكانة عظيمة عنده ــ وقد ذكرنا هذا في سيرة بني الدحداح التي سوف تأتي بعد ــ وان هذا الامير قتل في ثورة ثارها أهل بعلبك عليه في سنة ١٧٢٤ فخلفه ابن عمه اسماعيل . ثم تولى بعد هذا الامير حيدر الذي كان عاتيا واضطر كثير من اهل المدينة الى الرحيل عنها بسبب عتوه وشدة وطأة اقاربه الامراء عليهم [١] .

وفي سنة ١٧٤٨ م أناط والي الشام امور بعلبك بالامير ملحم الشهابي ليكفي شر ثورات الحرافشة ويصون خراج البلاد على حد تعبير المؤلف البعلبكي [٢] . ولكن هذا تلكأ في دفع المال المترتب عليه فاثار نقمة الوالي وزحف لارغامه وانضم الامير حيدر اليه . ثم ذهب الوالي الى الحج فانتهز الامير ملحم الفرصة وسير قوة الى بعلبك نهبت المدينة وازاحت حيدر عن الحكم وولت اخاه الحسين [٣] .

وحين رجع الوالي وعلم بما فعله الامير ملحم اخذ يعبيء العسكر ولكن القدر لم يمهله لان الدولة نقمت عليه واعدمته . وظل الامير حسين متوليا وانسحب الامير حيدر الى بلاد القلمون [٤] . والعبارة تفيد ان الوالي اسقط حكم الامير ملحم واعاد الامير حيدر الى حكم بعلبك . ولقد ذكر مؤلف الغرر هذه الاحداث ولكنه يرويها بخلاف ما رواه المؤرخ البعلبكي بعض الشيء حيث يذكر خبر ركوب والي الشام اسعد باشا على البقاع وركوب الامير ملحم بعسكر بلاده وانكسار عسكر الباشا ووصول الامير ملحم بعسكره الى سهل الجديدة ثم رجوعه الى بلاده منصورا بعد ان حرق جميع قرى البقاع وهابته الدولة ،

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) ص ٧٥ .

وقال ان سبب ذلك انكسار الاموال الاميرية التي كان تعهد بها الامير ملحم لاسعد باشا حينما اخذ ملحم حكم بلاد بعلبك واقام فيها اخويه الاميرين احمد ومنصور (١) .

وقد ذكر مؤلف الغرر في سياقه ان الامير حسن ابن الحرفوش كان مع الامير ملحم وكان اخوه الامير حيدر مع الدولة فلما تمت الكسرة على الباشا ارسل الامير ملحم عسكرا الى بعلبك فطردوا الامير حيدر وحكموا الامير حسن . وهذا يتطابق بعض الشيء مع ما ذكره المؤرخ البعلبكي مع فرق في الاسم بين حسن وحسين .

والظاهر ان هناك التباسا في الحادث لان سياق مؤلف الغرر يفيد انه حادث واحد بينما يفيد سياق المؤلف البعلبكي انه حادثان .

وقد ظل الامير حيدر ناقما يعيث في المقاطعة على رأس عصابة . ودهم فيما دهمه قرية عرسال وخربها ثم اغتيل الامير حسين فعاد الامير حيدر الى الحكم وقيل ان هذا هو الذي اغتاله (٢) .

وذكر المؤلف البعلبكي بعد ذلك (٣) ان الامير اسماعيل بن شديد الحرفوش ضبط مدينة بعلبك وايالتها من قبل والي طرابلس بمقطوع قدرهماية كيس سنة ١٧٥٩ م أي التزمها .

والخبر يفيد ان ولاية حيدر سقطت عن بعلبك في هذه السنة وان لم يذكر المؤلف كيفية ذلك . وفي هذا السياق ذكر المؤلف خبر زلزلة شديدة حدثت في السنة نفسها وظلت تتوالى اكثر من عشرين

---

(١) ج ٢ ص ٣٤ — ٣٥ نسخة رستم .

(٢) ص ٧٦ عزا المؤلف هذا الخبر الى سائحين انكليزيين قدما سنة ١٧٥١ الى بعلبك وكتبا تقريرا وصفا فيه عظمة قلعة بعلبك وروعتها وذكرا في بدء تقريرهم الخبر المذكور .

(٣) ص ٧٦ .

يوما ودمرت المدينة وسقط كثير من اعمدة القلعة وانحطت المدينـــة انحطاط حال دون رجوعها الى ما كانت عليه من عزة ومنعة .

ثم قال ان الحرافشة نبذوا سيادة الشهابيين بعد موت الامير ملحم فسار عليهم الامير يوسف سنة ١٧٦٣ م باذن من والي الشام وضربهم واقام على الحكم الامير حيدر الذي ظل يتولاه الى ان توفي سنة ١٧٧٤ هرما فتولى مكانه اخوه الامير مصطفى . وقد قصد الامير درويش بن الامير حيدر الامير يوسف وطلب الحكم مكان ابيه فلم يجبـــه الى طلبه فوسط الشيخ ظاهر العمر فولاه الامير يوسف بناء على ذلك على قسم من قرى بعلبك [1] .

وذكر المؤلف بعد ذلك ان الجزار ارسل سنة ١٧٧٦ م ١١٩٠ هـ عسكرا بقيادة قائد اسمه قرهمنلا الى بعلبك فاستولى عليها بعد ان طرد جهجاه بن مصطفى منها . ولكنه لم يلبث ان خرج منها لخروج الامير يوسف اليه فرجع اليها جهجاه وقد انضم هذا الى الامير يوسف وحاربوا عسكر الجزار وهزموهم [2] .

ثم ذكر ان الامير محمد الحرفوش التجأ سنة ١٧٨٢ م الى الامير

---

(١) ص ٧٧ لم يذكر مؤلف الغرر خبر تمرد الحرافشة على سيادة الشهابيين وزحف الامير يوسف ولكنه مع ذلك ذكر خبر تولية الامير حيدر وان لم يذكر كيفية توليه وذكر حكم اخيه مصطفى بعده ومراجعة درويش ثم توسيطه الشيخ ضاهر وقال ان الامير يوسف قسم البلاد لاجل خاطر الشيخ بين مصطفى وابن اخيه ج ٢ ص ١٠٦ نسخة رستم .

(٢) ص ٧٧ ذكر الغرر شيئا من هذه الحوادث بعبارة مخالفة لعبارة المؤلف البعلبكي في سياق ما قام بين الامير يوسف والجزار من تشاد ومطالبة هذا من ذلك بمال وعد به وقـال ان الجزار ارسل الى بعلبك سنة ١٧٧٦ م ــ ١١٩٠ هـ قائده قره منلا ثم انفذ اليه امـرا بضبط ما للامير يوسف وذويه ورعيته من ارزاق في البقاع ففعل وجمع الامير يوسف عـسكرا وسار به لقتال قره منلا وحدثت بينهم عدة مواقع كان النصر فيها جميعها لقره منلا الذي عاد بعد ذلك بعد ان اهلك ديار بعلبك والبقاع وما فيها من ارزاق واقطاع . ولم يرد ذكر جهجاه في هذا السياق ج ٢ ص ١٢٠ ــ ١٢١ نسخة رستم .

يوسف وكان اخوه مصطفى قد طرده • فجهز يوسف معه خمسة آلاف
مقاتل وارسلهم بقيادة بعض ابناء عمه من آل الشهابيين • فلما بلغوا
بعلبك، هرب مصطفى واولاده الى حمص فاستلم محمد الحكم • وتوجه
مصطفى الى الشام ووعد واليها بخمسة وعشرين الفا فارسل معه عسكرا
فهرب محمد واسرته وأحزابه واستولى مصطفى على الحكم هذه المرة •
وقد جنح الى مصادقة الامير يوسف ونقده المرتب المعتاد فظل في الحكم
الى ان تولى درويش باشا ولاية الشام فارسل عسكرا قبضوا عليه
لمظالمه ــ والعبارة للمؤلف ــ وسبوا حريم بيت الحرفوش ونهبوا المدينة
وساقوا مصطفى واخاه الى دمشق وهناك امر الوالي بشنق مصطفى
وارسل الى بعلبك حاكما من عنده اسمه سليم آغا ثم استبدله بعد قليل
بآخر اسمه محمد آغا • وذهب جهجاه بن مصطفى الذي نجا من العسكر
الى عرب خزاعة الذين يزعمون انهم منهم واستنجد بهم فاعتذروا ولكنهم
امدوه بمال وفير واعطوه فرسا كريمة الاصل • وجاء الى زحلة فجمع مئة
مقاتل ودهم بهم بعلبك في الليل وفتكوا فتكا ذريعا بمن وجدوه في
طريقهم حتى سالت الدماء كالسواقي وفر منها محمد آغا واستولى جهجاه
على الحكم • وكان الوالي قد ذهب الى الحج فلما عاد ارسل حملة بقيادة
اسماعيل المنلا فخرج جهجاه الى لقائه ومعه اخوه سلطان واهل زحلة
وكمنت فرقة منهم في المضيق ولما وصلت الحملة انقضوا عليها وهزموها •
وظل حكم جهجاه موطدا في بعلبك •وتضامن سنة ١٧٨٨ م مع الامير
يوسف الشهابي في قتال عسكر الجزار وانتصروا عليهم • وفي سنة
١٧٨٩ م خرج قاسم بن الامير حيدر على جهجاه وطلب من الامير بشير
الشهابي الذي كان يتولى الحكم هذه السنة مساعدته فلباه وارسل
عسكرا وامر اهل زحلة والامراء اللمعيين بالتوجه معه • وخرج جهجاه
للقاء قاسم ومن معه وتمكن من دحرهم وسلب اسلحتهم وخيلهم •
وبلغ الامير بشير خبر انهزام الحملة فجرد جيشا آخر وارسله بقيادة

أخيه حسن فاخلى جهجاه المدينة فدخلها حسن وحملته ولكنهم لم يلبثوا أن خرجوا منها لقلة الزاد فيها • والتجأ قاسم الى الجزار • وامر هذا الامير بشير بمساعدته فوجه بصحبته فريقا من مشايخ الدروز مع رجالهم وخرج جهجاه الى لقائهم • وهجم قاسم عليه وهو في وسط العسكر ولكنه اصيب برصاصة صرعته فعاد الذين اتوا معه دون قتال (١) •

وذكر المؤلف البعلبكي بعد هذا خبر قتل جهجاه لابن عمه داود سنة ١٧٩٤ وفقىء عيون اخوة الامير عمر ، ثم خبر وقوع النفرة في سنة ١٨٠٦ بين جهجاه واخيه سلطان ومظاهرة جمهور الحرافشة لسلطان بسبب استبداد جهجاه فيهم وحنق هذا عليهم ونزوحه الى عكار ولبثه هناك الى ان تدخل الامير بشير واصلح بينهم في سنة ١٨٠٧ على اساس أن يعود جهجاه الى الحكم • وقد ظل في الحكم الى ان مات بعد سنين قليلة — لم يعينها المؤلف — فتولى اخوه الامير امين مكانه • وكان جهجاه بطلا شجاعا مقداما (٢) •

ومما ذكره مؤلف الغرر ولم يذكره المؤلف البعلبكي من اخبار جهجاه واخيه سلطان ان سلطانا سار بعسكر من بعلبك الى بلاد جبيل مع حملة ارسلها الامير بشير في سنة ١٢١٩ هـ ١٨٠٤ م للتنكيل بالمشايخ بيت رعد حيث يدل هذا على ان التضامن والتواثق قد قام بين جهجاه والامير بشير برغم ما كان من نصرة الامير بشير لقاسم ، وان سلطانا

---

(١) ص ٧٧ — ٧٩ ذكر الغرر من هذه الاحداث ما له صلة بالامير يوسف والامير بشير بما يقارب ما جاء في هذا السياق وذكر كذلك زحف عسكر والي الشام على بعلبك ونهبها واخذ حريم الحرافشة للشام دون ذكر القبض على مصطفى وشنقه • وذكر ان الوالي ارسل متسلما من قبله كذلك وسماه ابراهيم آغا (انظر ج ٢ ص ١٤٥ — ١٤٩ نسخة رستم) •

(٢) ص ٧٩ — ٨٠ ذكر مؤلف الغرر هذه الاحداث بما يقرب ما ذكره المؤلف البعلبكي انظر ج ٢ ص ١٧٩ و ٥٣٠ نسخة رستم •

عاد فخرج على اخيه جهجاه سنة ١٨٠٩ م فارسل جهجاه عياله الى بلاد عكار وحضر برجاله الى الكرك ــ قرية من قرى المنطقة ــ والتقى باخيه ورجاله قربها • غير ان احدا لم يكسب فوزا على الآخر • وانتقل جهجاه الى قرية زحلة وسعى الامير بشير الذي كان ميله مع جهجاه مع والي الشام لتثبيت ولايته فطلب هذا التريث الى ان يورد سلطان المال فارسل الامير يخبر جهجاه بذلك ويحثه على الصبر • ولكن جهجاه غادر زحلة الى عكار واقام فيها مع عياله واستتب الحكم لسلطان • وقد ضاق الامر بجهجاه فجاء الى بعلبك وقيعا على اخيه في سنة ١٨١٠م فاستقبله بالبشاشة وارتضى جهجاه بان يكون له معاش يكفيه وترك الحكم لاخيه • غير ان سلطانا لم يلبث ان أخذ يبيت لاخيه الغدر فهرب هذا الى حماه وسعى الامير بشير من جهة والملا اسماعيل متسلم حماه من جهة حتى اقنعا والي الشام باعادته الى الحكم واشترط هذا ان يدفع مئة الف قرش • ثم رجع عن موافقته معلنا انه لا يريد ان ينقض امره مع سلطان • وظل جهجاه بعيدا عن الحكم الى ان سقط حكم الوالي وهو يوسف كنج وصار حكم الشام لسليمان باشا والي عكا نتيجة للتضامن بين الامير بشير وهذا الوالي فاعاده الى الحكم وكان ذلك في سنة ١٨١٠ م وحينئذ هرب سلطان بدوره الى بلاد عكار ومن هناك أخذ يسعى مع الوالي حتى نجح في الحصول على موافقته على عودته الى الحكم ، وارسل عسكرا لتنفيذ ذلك • فهرب جهجاه الى بلاد الضنية واستولى سلطان على الحكم للمرة الثانية • وكان ذلك في سنة ١٨١٢ م وتأخر سلطان عن توريد المال فاغتنم جهجاه الفرصة وتقدم الى الوالي فارسل اليه خلع الولاية وهرب سلطان ثم قبض عليه وسجن في الشام الى ان أدى ما عليه من المال وعاد الى بعلبك فاصطلح مع اخيه واقام مكرما عنده [1] •

---

(١) الفرد ج ٢ ص ٤٢٥ و ج ٣ ص ٥٤٢ ــ ٥٤٣ و ٥٨١ ــ ٥٩٤ •

ولقد ذكر الغرر ان وفاة جهجاه كانت في سنة ١٨١٧ م وقال خلافا لمؤلف تاريخ بعلبك ان أخاه الامير امين اخذ ابنه نصوحا الذي كان ابوه يكنيه بالباشا وكان عمره اثنى عشر عاما الى الشام فانعم الوالي صالح باشا عليهم ولبسهم • وحينئذ هرب سلطان الى الهرمل والتجأ الى بيت حمادة مشايخ المقاطعة • والسياق يفيد ان الحكم كان للاثنين ولعل الامين كان وصيا على ابن اخيه [١] •

ونعود الى تاريخ بعلبك فنقول ان المؤلف ذكر ان نائب دمشق كتب سنة ١٨١٩ م الى الامير امين بعد ان تولى الحكم ان يطرد المشايخ النكديين من بلاده ففعل فهربوا [٢] •

وان الامير نصوحا بن جهجاه جنح الى الخروج على عمه في سنة ١٨٢٠ م واستنجد بالامير بشير فانجده • ولما علم الامين فر مع اخيه سلطان الى الهرمل • ولما جاءت النجدة خرج نصوح معها لطرد عميه ففرا من الهرمل ايضا • ولما رجع عسكر الامير بشير كر الامين على بعلبك ففر منها نصوح الى زحلة ثم دهم عمه في قرية بدنايل وهزمه وسار الى بعلبك • على انه استشعر بالندم ورأى اهل البلاد لا يميلون اليه فاتى عمه مستسمحا طالبا المغفرة فطيب خاطره على ضغينة وما لبث ان اوعز الى زلمة له من الدروز بخنقه فخنقه [٣] •

ولقد ظل الامير امين في الحكم الى ان جاءت حملة ابراهيم باشا

---

(١) الغرر ج ٢ ص ٦٢٣ و ٦٢٦ •

(٢) ص ٨٠ ذكر مؤلف الغرر هذا الخبر ببيان اوضح حيث قال ان بني نكد وبني عبد الملك وبني تلحوق كانوا فارين من وجه الامير بشير نتيجة لما كان من مناصرتهم لمناوئيه فطلب الامير بشير من والي عكا ان يطلب من والي الشام طردهم ج ٣ ص ٦٥٤ •

(٣) ص ٨٠ — ٨١ الذي ذكره مؤلف الغرر ان نصوحا هو الذي كان حاكما وان الامير بشير كان ناقما على امين واخيه سلطان لمناصرتهما للمحاديين ضده فتضامن نصوح معه على مطاردتهما انظر ج ٣ ص ٦٩٣ •

فوقف منها موقف المنكر فاوغر بذلك صدر ابراهيم فجاء بعسكره سنة ١٨٣١ م الى بعلبك واستولى عليها وفر الامين بعياله واخذ يتنقل من مكان الى مكان ٠ وقد حصن ابراهيم البلدة وأنشأ فيها ثكنة كبيرة وعين الامير جواد الحرفوش حاكما عليها [١] ٠

و في سنة ١٨٣٢ م ذهب الامين الى بيت الدين مستجيرا بالامير بشير فطيب خاطره ولكن رفاقه خوفوه فرجع الى التنكر والمناوأة فاخذ عسكر ابراهيم يطاردونه من مكان الى مكان الى ان ادركوه في عين الوعول شمال بعلبك ٠ ولم يكن معه الا ابنه قبلان واثنى عشر فارسا ٠ فتصدى لهم قبلان مع الفرسان وشاغلهم ببطولة عجيبة الى ان نجا ابوه مع الحريم ثم نجا بدوره ٠ واودع الامين حريمه بعد ذلك عند آل دندش وذهب الى الاستانة حيث بقي فيها هو وابنه مكرمين الى ان جلت حملة ابراهيم باشا [٢] ٠

وبعد قليل من تملك ابراهيم لبعلبك عزل جوادا وعين احمد آغا الدزدار حاكما لها ٠ وحمل ذلك جوادا على الوقوف موقف العداء والعصيان واخذ يتجول في انحاء البلاد محرضا مهيجا ضد الحملة المصرية ٠ فارسل حاكم الشام ثلة من فرسان الاكراد لمطاردته وادركته مرة قرب يبرود فكر عليها هو وابناء عمه محمد وعساف وعيسى وسعدون الذين كانوا معه مع ثلاثين فارسا وابدوا من البسالة ما جعل الاكراد يرتدون عنهم وقد اثخنوا بالجراح وقتل عجاج آغا احد امرائهم ٠ على ان المطاردة لم تقف ٠ ومع انه نجا من مطارديه بحركة قسورية حسب تعبير المؤلف فانه جنح في النهاية الى الاستئمان للامير بشير وطلب منه اخذ الامان له من ابراهيم باشا ولكن الامير كان يكرهه فخانه وسلمه لشريف باشا حاكم الشام فاماته شر ميتة [٣] ٠

(١) ص ٨١ تاريخ بعلبك ٠

(٢) ص ٨٢ ٠

(٣) ص ٨٢ ٠

ويقول المؤلف ان ابراهيم باشا عزل الدزدار وعين عوضه خليل آغا وردة ثم الامير احمد الحرفوش [1] حيث يبدو انه لم ير بدا من مسايرة الموقف المحلي ، وهكذا عاد الحرافشة الى حكم بعلبك كالسابق ...

ولما تقرر انسحاب الحملة المصرية تخلى حمد عن الحكم فخلفه فيه الامير خنجر الذي كان يكن العداء الشديد لابراهيم [2] . حيث يبدو من هذا الخبر ان الامير حمدا لم يكن في امكانه الاستمرار لانه كان موظف الحملة أو صنيعتها كما هو المتبادر . ولقد جمع خنجر واخوه سلمان اربعمائة فارس وانضموا الى الامير علي اللمعي واخذوا يقتفون اثر حملة ابراهيم وهي تنسحب ويناوشونها . وذهب خنجر واخوه ومعهما بعض رجالهما الى زوق ميكائيل ـ بين جونيه وطرابلس ـ لجمع الرجال فوقعوا في قبضة جماعة الامير بشير ووضعوا في سجن غزير . وتحمس اهل غزير وهاجموا السجن وكسروا بابه واخرجوهم ومن ثم عاد خنجر الى حركاته ضد العسكر المصري ثم التحق بعزة باشا السرعسكر العثماني واخذ يناضل في نطاق جيشه الى ان تم خروج ابراهيم من بلاد الشام . وقد كافأته الدولة فانعمت عليه والتعبير للمؤلف ـ بحكم بعلبك والبقاع وكان ذلك سنة ١٨٤١م ـ ١٢٥٦هـ [3] .

ولقد احتوى كتاب « ابراهيم باشا في سورية » لسليمان ابي عز الدين نبذا قليلة عن بعلبك والامراء الحرافشة فيها تطابق مع ما ذكره المؤلف مع التنبيه على ان ما ذكره المؤلف اوفي . وقد جاء فيه ان ابراهيم باشا جاء الى بعلبك بعد وقعة الزراعة في جهة حمص واتخذها مركزا لمرابطة قوة من جيشه [4] . دون ان يذكر في هذه المناسبة شيئا مما ذكره المؤرخ البعلبكي عن ما فعله ابراهيم من عزل الامير جواد الحرفوش وتعيين احمد آغا الدزدار . ومما ذكره مؤلف الكتاب

---

(١) ص ٨٢ . (٢) ص ٨٣ . (٣) ص ٨٣ ـ ٨٤ . (٤) ص ٨٤ .

ان ابراهيم باشا حينما جنح الى القضاء على الحكم الاقطاعي وجعل اصحاب الاقطاع في بادىء الامر موظفين بمرتبات كان بنو الحرفوش في بعلبك من جملة من طبق عليهم هذا الاجراء [١] .

وقد ذكر المؤلف بلاد بعلبك في جملة البلاد التي قامت فيها ثورات صغيرة ضد الحملة المصرية في سنة ١٨٣٤ م وقال ان قوات الحملة أخمدتها ولم يكن لها ذلك الشأن الذي كان لثورات نابلس والدروز والنصيرية [٢] . وذكر المؤلف كذلك انضمام الامير خنجر الى ثوار لبنان مع من انضم اليهم من اهل البلاد ونوه بنشاطه ضد الحملة في جهات طرابلس وشمال لبنان والبقاع مع الناشطين [٣] .

وقد ذكره مرة ثانية في سياق ذكر تعقبه هو وشبلي العريان ورجالهما من المتاولة والدروز لجيش ابراهيم باشا أثناء انسحابه من بلاد الشام سنة ١٨٤٠ م [٤] .

ولقد ذكرنا ان الامير امين وابنه اقاما في الاستانة الى ان جلت الحملة المصرية . وحينما علم بجلائها حصل على امر من الدولة بولاية بعلبك كالسابق وعاد هو وابنه ، ولم يكادا يصلان بيروت حتى مات الاب . وذهب الابن ــ قبلان ــ الى دمشق لتثبيت الامر بالنسبة لنفسه . وبينما كان ينتظر خبرا بنتيجة السعي جاءه بعض الجند مسرعين ليبشروه فتوهم انهم آتون للقبض عليه فجن لساعته . وبقي مجنونا الى ان توفي عام ١٨٦٤ م [١] . وهكذا بقي الحكم في عهدة خنجر .

ولما ثارت الفتنة بين النصارى والدروز لاول مرة سنة ١٨٤٢ م سارع خنجر الى نجدة اهل زحلة وحارب مع رجاله شبلي العريان

(١) ص ١٢٧ .
(٢) ص ١٨٨
(٣) ص ٢٦٥ .
(٤) ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣ .
(٥) ص ٨٣ ــ ٨٤ تاريخ بعلبك .

قائد الدروز الذي حاول الهجوم برجاله على زحلة وهزموه [1] .

وبعد قليل من ذلك دب النزاع والتنافس بين الامراء الحرافشة . حيث انطلق بشير وسعدون وشديد و (فدعم ؟) الى دمشق واستصدروا امرا بحكم بعلبك للامير حسين بن قبلان تحت وصاية سعدون لان حسينا كان صغير السن . ومات هذا بعد سنة فاستولى الامير حمد على الحكم . وفي سنة ١٨٤٥ م ذهب الامير محمد الى دمشق وحصل على امر بالولاية ورجع ومعه فرسان من الاكراد بقيادة محمد آغا بوظو لمساعدته . وجمع حمد رجاله وخرج الى لقائهم وانتصر عليهم وهزمهم . وعاد محمد الى دمشق ثانية فحصل على امر ثان . وهرع يوسف بن حمد وشديد وخنجر الى دمشق لافساد عمل محمد . وجنحت الحكومة الى تشتيت الجمع وارضائهم فجزأت بلاد بعلبك وشرقي البقاع الى اقسام صغيرة وولت على كل قسم اميرا من الحرافشة [2] .

وفي سنة ١٨٥٠ م حدثت الامير محمد نفسه بالخروج على الدولة ــ والعبارة تفيد ان حكم مركز بعلبك صار في عهدته أو انه كان الحاكم العام ــ فحشد رجاله واعلن العصيان فارسلت الدولة قوة للتنكيل به فكتب لها النصر عليه فانهزم الى قرية معلولا وتحصن فيها مع اخوته عساف وعيسى وخليل واولاد عمه آل حسن وقد حاصرتهم القوة وتمكنت من اعتقال محمد وعساف وقتلت عيسى واستطاع خليل واولاد عمه ان ينجوا ، ثم اعتقلت القوة في بعلبك كثيرا من الحرافشة وارسلت زعمائهم الامراء حمد وابنه يوسف وخنجر وسلمان وفاعور وشديد وسليمان مع محمد وعساف الى الشام ونفوا منها الى كريت . وعينت الدولة قائمقاما اسمه تيمور باشا . ومنذئذ خرج

(١) ص ٨٤ من الكتاب نفسه .

(٢) ص ٨٥ من الكتاب نفسه .

حكم بعلبك من يد الحرافشة حيث صارت الدولة تعين قائممقاما بعد آخر من الخارج •

ولقد استمر الحرافشة مع ذلك مدة اخرى على شيء من النشاط وكان بعضهم يقود عصابات تعيث في البلاد نهبا وسلبا وتخل في الامن وكان بعضهم يتنازع مع بعض فتراق الدماء فيما بينهم • وكانت قوات الدولة تنبري لمطاردتهم وتسجن او تنفي من تقدر عليه حتى ذهب ريحهم في النهاية على ماذكره المؤلف في سياق طويل لم نر ضرورة الى نقله[1] • وآخر ما كان من امرهم نفي الامراء فارس وتامر وداود وحسين واسعد مع حريمهم الى ادرنة في سنة ١٨٦٦ وكان احد الامراء قد فر أثناء اعتقال هؤلاء وهو سلمان فاعتقل بعد نفي المذكورين بقليل فسجن في دمشق ولم يلبث ان مات في سجنه •

وقد قال المؤلف بعد سياقه الطويل ان افرادا منهم ظلوا يسكنون بعض القرى ويشتغلون في الزراعة دون ان يكون لهم اهمية •

هذا ، والحرافشة شيعة علوية امامية اثنا عشرية معتدلة كشيعة جبل عامل • ولم يكونوا هم وحدهم بل كان وما يزال معظم اهل المنطقة كذلك بما فيهم العشائر الحمادية في مقاطعة الهرمل التي هي جزء من المنطقة • وقد كانت وحدة النحلة بينهم وبين زعماء جبل عامل تجعل هؤلاء يلجأون الى بلادهم حينما كانت الظروف تضطرهم الى الفرار من وجه الامراء المعنيين على ما ذكرناه في سياق البحث • والمتبادر ان شيعيتهم قديمة بعض الشيء كشيعية اهل جبل عامل نتيجة لنشاط الدعوة والدعاية العلوية الذي اشتد في القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية • ولعل نحلتهم الاثنا عشرية تسوغ القول ان شيعيتهم لم تكن نتيجة لدعاية الفاطميين وحكمهم وانما كانت قبل قيام هذه الدولة ونتيجة لدعاية اصحاب النحلة الاثنا عشرية •

---

(١) ص ٨٧ — ٨٩ تاريخ بعلبك .

٥ — زعامات جبل عامل الاقطاعية

— ١ —

لقد ذكرنا متاولة جبل عامل وبلاد بشارة التي هي الآن في نطاق لبنان كثيرا في سيرة بني معن وبني شهاب • وكان الحكم المحلي الاقطاعي فيها لزعمائهم في عهد هاتين الاسرتين • وقد سجل التاريخ للمتاولة [1] وزعمائهم نشاطا كبيرا •

وسيرتهم مبثوثة في الغرر الحسان للامير حيدر واخبار الاعيان للشدياق في سياق سيرتي الاسرتين المذكورتين • وهناك كتاب جبل عامل في التاريخ لمحمد تقي الدين آل الفقيه العاملي في جزئين مطبوعين في سنتي ١٣٦٤ هـ ــ ١٩٤٥ و ١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٧ م يحتويان لمعا عن تاريخ وجغرافية جبل عامل وبيانا فيه شيء من الاسهاب في تاريخ زعماء جبل عامل واحداثهم في القرون الحادي عشر والثاني عشر الهجري • ويعزو مؤلفه كثيرا مما اورده الى مصادر عاملية مخطوطة قديمة مثل الركوني والسبيتي ومروة وشبيب بالاضافة الى الغرر الحسان الذي هو من مصادره • وسيكون الغرر الحسان وهذا الكتاب معولنا في هذه النبذة في الدرجة الاولى •

---

(١) ان كلمة المتاولة على الارجح جمع غير فصيح لكلمة متولي التي هي بمعنى التشيع والاصطلاح ليس سبة كما هو مستقر في اذهان العامة . وقد ذكر مؤلف جبل عامل في التاريخ ج ١ ص ٢٤ وهو منهم ان العامليين يفتخرون باسم المتاولة ويتمدحون به . والمتاولة شيعة امامية معتدلة ليس بينهم وبين السنيين خلاف جوهري في اصول الدين بل وفي كثير من التفرعات.

وتاريخ جبل عامل وسكانه غامض قبل القرن الحادي عشر الهجري . ولم يرد عنه الا اشارات أو اسماء لا تشفي غلة ولا تبعث ثقة .

ومما يقال ان سكانه يمانيون وان اسم جبل عامل آت من اسم قبيلة عاملة اليمنية التي تنتسب الى سبأ ، وانها جاءت الى بلاد الشام قبل الفتح ببضعة قرون وسكنت المنطقة الواقعة بين جبل لبنان وجبل صفد فصارت تدعى باسمها بلاد عاملة أو جبل عامل ، وان بلاد بشارة وهي الجزء الجنوبي منها سميت باسمها المذكور نسبة الى زعيم عاملي قديم اسمه بشارة بن مقبل القحطاني او زعيم آخر من رجال القرن السادس الهجري اسمه بشارة بن اسد الدين العاملي [1] .

ولقد جاء في الجزء الاول من صبح الاعشى للقلقشندي ان عاملة هي بنت وديعة بن عنبر بن عدي بن الحارث بن مرة ، وكانت زوجة للحارث بن مرة بن ادد فعرف بنوها باسمها ، وان الحمداني ذكر ان بجبال عاملة من بلاد الشام جمعا غفيرا منهم [2] . حيث يؤيد هذا اصلهم اليماني باسلوب مختلف عن الاول . ولقد جاء في معجم القبائل العربية لكحالة ان عاملة بن الحارث هم من كهلان من القحطانية وهم ولد الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ نسبوا الى أمهم عاملة بنت مالك ابن وديعة ابن قضاعة . وانهم حي متسع خرجوا من اليمن الى الشام واقاموا في جبل يعرف بجبل عاملة . وكان لهم صنم في مشارف الشام يقال له الاقيصر كانوا يحجون اليه ويحلقون رؤوسهم عنده [3] .

---

(١) جبل عامل في التاريخ ص ١٧ — ٣٢ .

(٢) ص ٢٠٣ .

(٣) ص ٧١٤ ج ٢ .

ولقد جاء في الجزء الرابع من تاريخ الطبري [١] • ذكر عاملة من جملة القبائل المستعربة التي سارت مع هرقل نحو انطاكية حينما انتصرت حملات الفتح الاسلامي على الروم واستولت على معظم بلاد الشام الجنوبيه والوسطى حيث يفيد هذا ان عاملة كانت من القبائل المستقرة في بلاد الشام الى جانب القبائل الاخرى التي ذكرت في سياق المؤرخ مثل لخم وجذام وبلي قبيل الفتح الاسلامي بامد ما وان كان يفيد انها من متنصرة العرب ويتناقض مع المصدر الذي نقل عنه مؤلف معجم القبائل خبر صنمها الاقيصر • وعبارة الطبري لا تثبت نزول عاملة في جبل عامل كما انها لا تنفيه • ولقد ذكر ابو الفداء في الجزء الاول من تاريخه [٢] ما يفيد نزولها فيه قبل الفتح حيث قال « واما بنو عاملة فهم ايضا من القبائل اليمنية خرجت الى الشام منذ سيل العرم ونزلوا بالقرب من دمشق في جبل هناك يعرف (الآن) بجبل عاملة » ومن عاملة عدي بن الرقاع الشاعر • ولقد ذكر مؤلف جبل عامل في التاريخ اسم هذا الشاعر الذي هو من شعراء العصر الاموي والذي له مدائح في الوليد ابن عبد الملك والذي كان شعره مما تسير به الركبان ويتندر بروعته في زمن الدولة العباسية كدليل على ان العامليين كانوا مستقرين في جبل عامل يحملون اسمه او يحملونه اسمهم في القرن الاول الهجري • وهو دليل قوي وان لم يورد ما يدل على ان الشاعر هو من جبل عامل الشامي • لان كل ما هناك كنية العاملي •

وعلى كل فان عاملة اذا لم تكن حقا قد نزلت الجبل الشامي الذي عرف باسمها قبل الفتح فليس هناك ما يمنع ان تكون نزلته بعد ان تم الفتح والنصر للجيوش العربية الاسلامية واندمجت هي في الاسلام

---

(١) ج ٤ ص ١٣٦ الطبعة الحسينية .

(٢) ص ١٠٤ .

ما دامت كانت موجودة في بلاد الشام قبل الفتح ، وما دام هذا الجبل قد عرف باسمها منذ زمن قديم قد يصل الى القرن الهجري الاول اذا صحت نسبة الشاعر ابن الرقاع اليه ، حتى ولو لم تصح فليس هناك مانع من احتمال ذلك • وليس هناك ما ينفيه •

— ٣ —

واهل جبل عامل — الا القليل — متاولة أي شيعة علوية ويريد مؤلف جبل عامل في التاريخ ان يؤكد [١] ان تشيعهم يعود الى القرن الهجري الاول بل يريد أن يؤكد ان تشيعهم كان في اوائل حركة التشيع وفي ظروف الصيال بين علي ومعاوية أي قبل السنة الاربعين للهجرة • ويسند كلامه الى اقوال باحثين متأخرين لا يسندون كلامهم الى سند تاريخي معين ووثيق •

ومن العجيب ان المؤلف الذي يذكر اسم شاعر عاملي آخر هو منصور النميري العاملي كدليل ايضا على قدم وجود العامليين في جبل عامل يورد لهذا الشاعر مقطعات شعرية عديدة في مدح هارون الرشيد لا يمكن ان تصدر من شيعة لعلي واولاده في حال مثل قوله :

ان الخلافة كانت ارث والدكم ... من دون تيم وعفو الله متسع
لولا عدي وتيم لم تكن وصلت ... الى امية تمريها وترتضع

ومثل قوله :

الا لله در بني علي ... ودر من مقالتهم كثير
يسمون النبي أبا ويأبى ... من الاحزاب سطر بل سطور

(١) ج ١ ص ٥٦ — ٦٢ •

ويريد بالبيت الثاني ان آية في سورة الاحزاب نفت أن يكون النبي أبا لاحد وهي « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » •

ومثل قوله :

امير المؤمنين اليك خضنا ... غمار الموت من بلد شطير
بخوص كالأهلة خافقات ... حملن على السرى وعلى الهجير
حملن اليك آمالا عظاما ... ومثل الصبح والبدر المنير
وقد وقف المديح بمنتهاه ... وغايته وصار الى المصير
يد لك في رقاب بني علي ... ومن ليس بالمن اليسير
فان شكروا فقد انعمت فيهم ... وإلا فالندامة للكفور
مننت علي ابن عبد الله يحيى ... وكان من الحتوف على شفير
وقد سخطت لسخطتك البرايا ... عليه فهي خاتمة النشور
ولو كافأت ما اجترحت يداه ... دلفت له بقاصمة الظهور
ولكن جل حلمك فاجتباه ... على الهفوات عفو من قدير
فعاد كأنه لم يجن ذنبا ... وكان قد اجتنى حسك الصدور
وانك حين تبلغه اذاه ... وان ظلموا لمحترق الضمير

ومثل قوله :

آل الرسول خيار الناس كلهم ... وخير آل رسول الله هرون
رضيت ملكك لا ابغي به بدلا ... لان حكمك بالتوفيق مقرون [1]

وقد يسوغ هذا ان يقال مع توقفنا في امتداد شيعية اهل جبل عامل الى القرن الثاني ان شيعيتهم قد تكون نشأت في أواخر هذا القرن أو في القرن الثالث حيث انقسمت الامامية الى قسمين اسماعيليين واثنا عشريين • لانهم لو كانت شيعيتهم نتيجة لدعاية الدولة الفاطمية

---

(1) المصدر السابق •

أو حكمها في بلاد الشام لكان المقتضي ان يكونوا من اتباع النحلة الاسماعيلية التي كانت هذه الدولة اثرا من آثار حركتها •

وكل هذا يحمل على التوقف في دعوى امتداد تشيع العامليين الى القرن الهجري الاول وحتى الى الثاني ، وعلى الترجيح بانه من آثار نشاط الدعوة والدعاية العلوية الذي اشتد خاصة في واخر القرن الثاني ثم في الثالث والرابع والخامس ، على ما شرحناه في فصل بني حمدان •

وشيعية العامليين هي شيعية امامية اثنا عشرية القائلة بامامة علي والحسن والحسين ثم علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي بن حسن ، وتقف عند الثاني عشر هذا لان اتباعها يعتقدون بانه حي دخل سنة ٢٦٦ هـ سردابا وسيظهر ويحكم • وفيما عدا ذلك ثم فيما عدا اعتقادها بعصمة الائمة فهي معتدلة ليس فيها غلو النحل الاسماعيلية والعلوية الاخرى وانحرافاتها ومتطابقة في الاصول والجوهر بل وفي كثير من الفروع مع السنيين •

— ٣ —

وليس هناك شيء مهم يمكن ايراده من اوليات حكم العامليين أو زعمائهم لجبل عامل تسبق القرن الحادي عشر الا اشارة وردت في الغرر الحسان [1] حيث جاء فيها في سياق حصار السلطان صلاح الدين لصور سنة ٥٨٤ هـ ــ ١١٨٨ م ان حاكم القرى التي كانت بالقرب من مدينة صور كان رجلا علويا منشأؤه من العجم وكان يحكم على

---

(١) ج ١ ص ٣٨٢ نشر مغيغب •

ستين الفا من العلويين وكان الافرنج حين تملكوا هذه النواحي هادنوهم على جزية سنوية يدفعونها لصاحب صور . والاشارة تفيدكماهو واضح ان العامليين كانوا شيعة وكان يحكمهم حاكم منهم قبل الغزوة الافرنجية الصليبية ومن السائغ جدا ان يكون حكمه امتدادا لما قبل ذلـك بامد غير يسير . اما قول المؤلف ان منشأ الحاكم من العجم فالراجح انـه تفسير منه متصل بما هو معروف وسائد في الاذهان من ان العجم هم الشيعيون لا اكثر .. وهناك اشارة اخرى وردت في كتاب جبل عامل في التاريخ . فقد قال مؤلفه [1] انه لا يعرف من زعمائهم أو حكامهم الاقدمين الا بشارة بن اسد الدين العاملي وبشارة بن مقبل القحطاني عازيا ذلك الى مؤرخ اسمه ابن فتحون والي ديوان الباشا . وقد سمي بشارة بن اسد الدين في الجزء الاول من كتابه [2] هكذا : حسام الدين ابن عامر بن مهلهل بن سليمان بن احمد بن سلامة العاملي وقال ـ وكل هذا عزوا الى ابن فتحون ـ انه حضر فتح هونين مع الملك الناصر بن ايوب ـ أي صلاح الدين ـ فاقطعه خط بانياس .

ولقد تبدلت حالة الغموض في تاريخ الحكم في جبل عـامل منذ القرن الحادي عشر حيث صارت كتب التاريخ اللبناني تردد اسمـاء زعماء المتاولة الذين كانوا يمارسون الحكم المحلي وتذكر ما كان من آثار نشاطهم وما كان يجري بينهم وبين حكام الاقاليم المجاورة وولاة الدولة العثمانية باسلوب قد يدل على ان ذلك كان امتدادا لما قبل . وقد احتوى الغرر الحسان وكتاب جبل عامل في التاريخ نبذا كثيرة يمكن أن يتألف منها سلسلة متصلة دون انقطاع من القرن الحادي عشر الى أواخر القرن الثالث عشر .

---

(١) ج ٢ ص ٢٠ .

(٢) ص ٢٧ .

— ٤ —

وحكام جبل عامل الاقطاعيون من اهله من أسر متعددة كان لكل منها منطقة حكم خاصة • وكان كل منطقة تشتمل على قرى وقلاع عديدة يتوزعها رجال أو فروع الاسرة التي كانت صاحبة لها ويتوارث الحكم والزعامة الاقطاعية فيها الابناء عن الآباء • فهناك أسرة بني الصغير أو النصار التي كانت منطقة حكمها تبنين • وبنو منكر الذين كانت منطقة حكمهم الشومر والتفاح وبنو شكر الذين كانت منطقة حكمهم هونين وبنو صعب الذين كانت منطقة حكمهم الشقيف [1] • غير ان ما يجمع بينهم من وحدة النحلة من جهة واندماجهم معا في الاعم الاغلب في الاحداث التي كانت تجري في بلادهم أو تقع بينهم وبين غيرهم كجبهة واحدة من جهة اخرى يجعل من المتعذر افراد سيرة كل منهم في نبذة خاصة •

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ١ ص ٢٨ و ص ١٥٤ ـ ١٥٦ • وننقل من هذه الصحف ما ذكره المؤلف ايضا من اسماء المقاطعات وحكامها وزعمائها في بعض الادوار كمتمم يوضح ما ذكرناه في المتن • قال : كان جبل عامل يقسم الى ثمان مقاطعات وهي تبنين وهونين وساحل معركة وساحل قانا ومرجعيون والشقيف واقليم الشومر وجباع وكان الحاكم العام يؤدي عنها ستين الف قرش سنويا • والاربع الاولى كان حكامها آل الصغير • وقبلهم بنو شكر وقبل بني شكر اجداد علي الصغير وكان حكام الشقيف بني صعب وحكام الشومر وجباع بني منكر • وكانت تبنين مقر الشيخ ناصيف وابن اخيه وحفيد اخيه • وقلعة الشقيف مقر علي الفارس وجبع مقر اخيه حيدر الفارس وكانت دوبيه مقر مراد اخي ناصيف ومقر ولده قاسم وكانت هونين مقر قبلان واخوته وكانت شمع مقر واكد واولاده • وكانت صور ومعركة وقانا وطرفلسية مقر عباس المحمد وابن اخيه عباس العلي واخوتهما • وكانت شحور مقر حمزة المحمد • وكان حمزة يقيم في ميس وحاريص وحمد العباس يقيم في صور وفارس الناصيف واخوه شبيب يقيمان في الطيبة والزرايزية وحسن الحيدر الفارس وابن عمه شبيب يقيمان في النميرية وسلمان العباس يقيم في بنت جبيل • وولده حسين السلمان يقيم فيها • وكان ثامر الحسين يقيم فيها كذلك • وكان محمد بك الاسعد يقيم في الطيبة • وسلمان الحسين العباس في بنت جبيل •

وهذا ما جعلنا نجمعهم في هذا الفصل تحت العنوان الذي عنوناه به ، ولقد قال اسكندر المعلوف في حاشية من حواشي كتابه تاريخ الامير فخرالدين الثاني [1] ان المشايخ اولاد علي الصغير هم من ربيعة من وائل قدم جدهم احمد بن حويشان من البادية الى الجولان ثم الى جبل عامل • ومعنى هذا اذا صح ان بني الصغير وهم الاسرة التي كانت لها الزعامة الرئيسية من ارومة غير ارومة الزعماء الآخرين وانهم ليسوا اصحاب قدم قديم في جبل عامل • ولا يسند المعلوف كلامه بسند ما ، وننبه على ان بني الصغير ينوهون بنسبهم الى وائل على ما جاء في شعر لعلي بك الاسعد وهو صاحب الزعامة فيهم في اواسط القرن الثالث عشر الهجري جاء فيه :

بني عمنا من آل فهر ووائل حماة العذارى في الهياج وسورها

ولقد جاءت نبذة المعلوف حاشية على حادث سلب بني الصغير لبعض رجال الامير فخر الدين المعني الثاني وعيثهم في البلاد أثناء وجوده في قلعة الشقيف [2] حينما طارده الوالي احمد حافظ وألجأه الى هذه القلعة ثم اضطره الى مغادرة البلاد الى اوروبا ،• وقد ذكر هذا الحادث الشهابي في الغرر الحسان [3] ومؤلف جبل عامل في التاريخ [4] • وهو اول حادث ورد فيه ذكر بني الصغير أو بالاحرى زعماء وحكام جبل عامل منذ القرن الحادي عشر ثم اتسقت اخبارهم بشيء من التسلسل الى اواخر القرن الثالث عشر •

ولقد كانت سنجقية صيدا من ناحية وسنجقية صفد من ناحية

---

(١) ص ١٢٥ •

(٢) ص ١٢٥ ـ ١٢٦ •

(٣) ج ١ ص ٦٣٠ نشر مغبغب •

(٤) ج ٢ ص ٢٤ •

اخرى مما يشمله حكم الامير فخر الدين الثاني قبل رحلته الى اوروبا على مـا ذكرناه في سـيرة بني معن في فصـل سابق [١] ، وجبـل عامل الذي كانت قلعة الشقيف احدى قلاعه بين السنجقين • ومعنى هذا ان جبل عامل كان مما يشمله ذلك الحكم بالتبعية [٢] •

وقد قال مؤلف جبل عامل في التاريخ [٣] أن الزعماء العامليين أرادوا اغتنام فرصة المحنة التي ألمت بالامير ليستقلوا في حكم بلادهم فاجتمعوا في سنة ١٠٢٣ هـ في بلاد بشارة لانتخاب زعيم لهم يقود حركتهم وزعموا آل منكر الذين كانت زعامتهم في يد الحاج علي والحاج ناصر الدين • ثم سارعوا تحت رايتهما الى الصيال مع الامير يونس المعني الذي جعله اخوه الامير فخر الدين الثاني نائبا عنه أثناء غيابه فـي اوروبا • وقد شجعهما الوالي احمد حافظ وامدهما بعسكر منه • غير ان المتاولة انكسروا في الاشتباكات التي وقعت بينهم وبين قوات ورجال الامير يونس • ولم يلبث حكم سنجقية صفد وسجقية صيدا ان أعيد الى المعنيين بعد ان انسلخ عنهم اثر مغادرة الامير فخر الدين الـى اوروبا فعادت سيادتهم على جبل عامل وزعمائه ، حتى انهم عهدوا بحكم بلاد مرجعيون والحولة الى امير وادي التيم علي الشهابي ، وبحكم بلاد صفد والشقيف الى الشيخ حسين اليازجي وبحكم صيدا الى الشيخ حسين الطويل وحتى انهم استطاعوا ان يجعلوا اهل البلاد يتعاونون معهم فيمـا قـام بينهم وبـين اليمنيين ووالي الشام من نضال ووقائع حربيـة [٤] •

---

(١) انظر المعلوف تاريخ فخر الدين الثاني ص ٦١ و ٨٣ •

(٢) انظر ايضا الفرر الحسان ج ١ ص ٦٢٦ حيث يذكر صراحة ان قلعتي الشقيف وبانياس كانت في حكم فخر الدين الثاني المعني •

(٣) ج ٢ ص ٢٣ — ٢٨ •

(٤) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٨ — ٣٠ انظر ايضا الفرر الحسان ج ١ ص ٦٤٦— ٦٥٣ نشر مغبغب •

وقد قال مؤلف كتاب جبل عامل في التاريخ بعد ذلك ان الحاج علي منكر اضرب عن الدخول تحت سلطة بني معن حينما عادت اليهم ونزح الى بعلبك واقام عند الحرافشة ـ وهؤلاء كانوا شيعة مثل متاولة جبل عامل ـ واخذ من هناك يتصل ببني قومه ويجمع السلاح ويدبر خطط الثورة على السلطة المعنية . وكان يقيم في قرية مشغرة . التي كان يقيم فيها الامير احمد بن الامير يونس حاكم بعلبك الحرفوشي فوثق صلاته معه حتى جعله يندمج في حركته ويكاتب بني متوال ويدعوهم اليه . وقد لبى دعوته منهم اولاد داغر ـ ويظهر انهم كانوا من الاسر البارزة ـ وبنو منكر وبنو الصغير . وقد شعر الامير علي المعني بالحركة فطلب من الامير يونس منع ابنه ولكنه لم يمتنع . وفي هذه الاثناء عاد الامير فخر الدين (سنة ١٠٢٨ هـ) من اوروبا ولما حل في عكا وعلم بما جرى في البلاد غضب على زعماء المتاولة وبني منكر وكان من جملة القادمين للسلام عليه في عكا ناصر الدين منكر اخو الحاج علي فاعتقله [١] ، حيث يبدو من السياق ان زعماء العامليين أنفوا من توزيع الحكم في بلادهم على ذلك الوجه واعتبارهم كمية مهملة فاخذوا يبحثون عن وسيلة للخلاص من سلطة بني معن والاستقلال في حكم بلادهم عودا على بدء . غير ان الامير فخرالدين الثاني قوي بعد عودته واتسع سلطانه اكثر من ذي قبل على ما شرحناه في فصل سابق فلم يتمكنوا من تحقيق امنيتهم .

ومما ذكره مؤلف الغرر [٢] ان الامير حينما طولب بالاموال المكسورة عقب عودته وتوجه الى جمع المال من بلاد صفد وبشارة واخذ يشتد في الطلب رحل المشايخ بنو منكر وبنو الصغير الباقين في البلاد

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٠ ـ ٣٢ وانظر الغرر الحسان ج ١ ص ٦٥٩مغبغب.

(٢) ج ١ ص ٦٦٠ .

الى بلاد بعلبك خائفين أو متمردين والتجأوا الى الامير يونس الحرفوشي فاحرق الامير بعض قراهم ومساكنهم وضبط املاكهم • ولم يرد لهم أي ذكر في الغرر بعد ذلك الى سنة ١٠٧٢ هـ حيث يبدو انهم ظلوا مشردين وان جبل عامل ظل راضخا لحكم الامير •

على ان مؤلف جبل عامل ذكر بعض احداث متصلة بالعامليين وزعمائهم خلال هذه المدة عزوا الى رسالة عاملية مخطوطة • ومن ذلك [١] وقعة حربية في قرية انصار في جبل عامل بين الامير ملحم المعني والامير علي علم الدين اليمني حيث طارد الاول الثاني في جولة من جولات الصيال ففر الى القرية المذكورة التي كانت مقر المشايخ بني منكر فتبعه اليها ففر منها ولكن القتال نشب بينه وبين المتاولة فقتل منهم ١٥٠٠ واستباح القرية نهبا وسلبا حيث يدل هذا على ان المتاولة بزعامة بني منكر تصدوا للامير ملحم حينما هاجم قريتهم ويدل بالتالي على ما كان في صدورهم من حقد على السلطان المعني • والخبر يفيد ان زعماء المتاولة عادوا بعد قليل من تواري الامير فخر الدين واستيلاء ابن اخيه ملحم على الحكم •

والمناسبة التي ذكرهم مؤلف الغرر فيها في سنة ١٠٧٢ هـ [٢] هي خبر نشوب فتنة عظمى بين والي صيدا علي باشا الدفتردار ومشايخ المتاولة وليس في الغرر اسماء ولا اسباب • ومع ذلك فالعبارة قد تفيد ان مشايخ المتاولة عادوا الى ممارسة حكمهم الاقطاعي قبل هذه السنة • وقد ذكر مؤلف جبل عامل [٣] خبر وقعة جرت بين مشايخ المتاولة والامير احمد المعني سنة ١٠٧٧ هـ في النبطية وارتداده خائبا

---

(١) ص ٤٣ — ٤٤ ج ٢ •

(٢) ج ١ ص ٧٢٣ •

(٣) ج ٢ ص ٥١ — ٥٢ •

عنهم • وقد قال المؤلف ان الامير احمد استجاش والي صيدا عليهم فامده بقوة زحفت عليهم في السنة التاليـة فاشتبكوا معها في وادي الكفور وهزموها •

ولقد كان الامير احمـد واخوه قرقماس اللذان خلفـا ملحمـا أبـاهما مروا في هـذه الظروف ببعض المحن على مـا شرحنـاه فـي سيرة بني معن فالظاهر ان مشايخ المتاولة اغتنموا الفرصة فمـارسوا الحكم في بلادهم استقلالا فكان زحف الامير احمد عليهم بقصـد اخضاعهم •

وعلى اثر وقعة الكفور نـادى المتاولة بالشيخ احمد بن علـي الصغير شيخ مشايخ لهم [1] • فكان هذا كله بـدء مرحلة جديدة في تاريخ زعامة جبل عامل والعامليين وبدء بروز بني الصغير اكثر من أي ظرف سبق • ولم يسبق لاحد من زعماء جبل عامل ان تلقب بهـذا اللقب الذي يعني الزعامة الرئيسية وقد حافظ بنو الصغير عليه الى النهاية • ونتبه على ان الغرر الحسان حينما ذكر خبر وفاة الشيخ احمد سنة ١٠٩٠ هـ نعته بشيخ المتاولة [2] ممـا فيه تطابق مع ما ذكره المؤرخ العاملي •

وقد خلف احمد في مشيخة المشايخ أخوه مشرف الذي استطاع أن يفرض سلطته وأن يشغل حيزا مهما • وقد أنشأ على قمـة جبل عامل عند قرية المزرعة التي عرفت بمزرعة مشرف دارا كبيرة كـانت بمثابة قلعة حصينة لا تزال قائمة الى اليوم تحمل اسم مشرف ، حيث كتب على احد جدرانها « بيتان من الشعر» وذيلا باسم الشيخ الكبير الملقب بالصغير شيخ مشرف بن نصار دامت سيادته ١١٠٨ هـ •

---

(١) ص ٥٤ جبل عامل ج ٢ •

(٢) ج ١ ص ٧٣٩ مفيغب ج ٢ ص ٦٤ ــ ٦٥ جبل عامل ونصار اسم آخر لاسرة بني الصغير نسبة الى جد لهم قبل بروزهم في هذا الظرف •

وسكت المؤرخون عن ذكر مشرف الى سنة ١١١٠ هـ مما يمكن ان يدل على انه مارس مشيخته أو سلطته بدون مشاكل أو اصطدامات داخلية أو خارجية الى هذه السنة . وقد يؤيد هذا تفرغه الى بناء داره الاقطاعية الكبرى وماتقش عليها من عبارة « دامت سيادته » سنة ١١٠٨ هـ .

وقد ذكر مؤلف الغرر في حوادث سنة ١١١٠ هـ ان مشرفا اظهر العصيان على والي صيدا ونبذ اوامره واعتقل بعض اتباعه وقتلهم فاستنهض الوالي الامير بشير الشهابي الاول الى قتاله ومجازاته واطلق له ولاية مدينة صفد مع ولاية مقاطعات جبل عامل الاربع وهي ديار بشارة والشومر والتفاح والشقيف وضم الجميع الى ولايته . فجمع الامير جموعه القيسية وزحف على جبل عامل لقتال مشرف الذي كان يمني النعرة . وحشد هذا رجاله واحزابه واشتبك الطرفان في قرية المزيرعة من بلاد بشارة فدارت الدائرة على مشرف وقتل من جماعته خلق كثير ووقع هو واخوه الحاج محمد ومدبره الحاج حسين المرجي أسرى فارسلهم الى الوالي الذي قتل المدبر وسجن الشيخين . وقد نفذ الوالي وعده فاطلق للامير التصرف في تلك البلاد . وقد حضر اليه بنو منكر اصحاب اقليمي الشومر والتفاح وبنو صعب اصحاب اقليم الشقيف فاعلنوا له الطاعة واظهروا التعصب للقيسية فقبل منهم وقررهم على ديارهم من قبله [1] .

والسياق يدل على ان مشيخة مشرف واخيه احمد من قبله كانت في نطاق اشراف والي صيدا وتبعيتهما له .

ثم ذكر الشهابي في حوادث سنة ١١١٧ هـ ان واليا جديدا جاء

---

(١) الجزء الثاني ص ٥ ـ ٦ نشر رستم . ونسخة منيغب من الغرر ذكرت هذا باقتضاب ولم تذكر بني منكر وبني صعب وتولية الامير بشير لهم انظر ص ٧٤٩ ـ ٧٥٠ .

الى صيدا في هذه السنة التي توفي فيها الامير بشير وتولى حيدر الشهابي ففك ارتباط ولاية صفد وجبل عامل من حكم الشوف وولى بني منكر مقاطعات الشومر والتفاح وبني صعب مقاطعة الشقيف ومشرف ابن علي الصغير بلاد بشارة . وقد قال المؤرخ ان الوالي السابق كان اطلق سراح مشرف فلما جاء الوالي الجديد وفك ارتباط جبل عامل من حكم الامير حيدر ذهب اليه وارتمى عليه فولاه بلاد بشارة [1] .

وقد ذكر الشهابي بعد هذا ان بني الصغير اظهروا ما عندهم من البغض للامير حيدر واخذوا يمخرقون ــ يعيثون ــ في اطراف بلاده وانضم اليهم المناكرة والصعبية بسبب وحدة النحلة والنعرة اليمنية فبذل الامير مساعيه لدى الوالي واستماله بالهدايا والتمس منه بلاد بشارة ثانية ففوضها اليه وحينئذ نهض بجموعه لقتال الشيعة سنة ١١١٨ والتقى بهم في النبطية وقد اجتمعوا جميعا ودارت معركة شديدة كانت الغلبة فيها للامير حيدر عليهم . وقد قتل منهم خلقا كثيرا . ووطد حكمه على جميع بلاد عامل وعين واليا عليها من قبله هو الشيخ محمود ابو هرموش [2]. وقد ذكر المؤلف ان بني الصغير جلوا عن بلاد بشارة نتيجة للكسرة التي منوا بها ولكنه لم يذكر اين ذهبوا كما انه لم يذكر ماذا كان من امر الزعماء الآخرين .

والسياق يفيد كما هو المتبادر ان بني الصغير كانوا اصحاب الزعامة الرئيسية أو مشيخة المشايخ .

---

(١) ج ٢ الغرر ص ٨ نشر رستم والبستاني . ومن الجدير بالذكر ان مؤلف جبل عامل ذكر عزوا الى رسالة عاملية قديمة ان مشرفا ظل في سجن الوالي خمس سنين وتوفي سنة ١١١٤ هـ ج ٢ ص ٦٦ فاذا كان هذا الخبر صحيحا فيكون الوالي ولى بلاد بشارة ابن مشرف أو أحد بارزي اسرة بني الصغير .

(٢) الغرر ج ٢ ص ٨ ــ ٩ نشر رستم . ونسخة مغبغب تؤرخ هذا في سنة ١١٢٠ هـ ! ج ٢ ص ٧٤٩ ــ ٧٥٠ .

على ان مؤلف الغرر عاد فذكرهم في حوادث سنة ١١٢٤ هـ حيث قال [١] ان والي صيدا ولى الامير قاسم شهاب حاكم حاصبيا بلاد بشارة وقبض على الشيخ منصور بن علي الصغير وقتله دون تفصيل آخر . والعبارة تفيد ان بني الصغير عادوا فوطدوا مشيختهم على بلاد بشارة كما كانوا قبل بزعامة الشيخ منصور الذي من المحتمل ان يكون هو الذي عينه والي صيدا بعد مشرف . وان منصورا أثار الوالي بحركة ما فنزع المشيخة أو الولاية منه وعهد بها الى امير حاصبيا ثم قتله .

وقد ذكر مؤلف الغرر في حوادث سنة ١١٣٣ هـ ـ ١٧٢٠ م خبر نزاع وقتال شديد بين المشايخ بني متوال وحاكم صفد البشناق ومعه الشيخ ظاهر العمر . وقد دارت الدائرة على الصفديين وقتل منهم مقتلة عظيمة . وقال المؤلف بعد ذلك ان والي الشام خرج بالعساكر الى بلاد صفد فقتل ما يزيد على ٣٠٠ وقتل البشناق واولاده [٢] .

ولا يذكر الخبر هوية مشايخ بني متوال . وعلى كل حال فانه نفيد ان زعماء العامليين عادوا فوطدوا حكمهم ومشيختهم على بلادهم ثانية بعد قتل منصور وولاية قاسم امير حاصبيا لبلادهم كما يفيد انهم كانوا على قوة عظيمة . ويظهر ان الطرف المعتدي لم يكن هم حيث نرى والي الشام يسارع الى اكمال الضربة على حاكم صفد ورجاله .

وقد ذكر الشهابي في حوادث سنة ١١٣٦ هـ [٣] خبر زحف الامير حيدر على بلاد المتاولة وفرارهم من وجهه ونهب الدروز ـ رجال الامير حيدر ـ لجميع البلاد دون أي تفصيل . ويدل الخبر على ان الامير

---

(١) ج ٢ ص ١٦ رستم .

(٢) الغرر ج ٢ ص ١٧ رستم .

(٣) ج ٢ ص ٧٦٥ نسخة مغبغب مع التنبيه على ان نسخة رستم لم تذكر هذا الخبر !

لم يشأ أن يهنأ مشايخ المتاولة بما تم لهم من الظفر على الصفديين أو انهم تشامخوا واغتروا فاتوا اعمالا اثارته .

ثم ذكر الشهابي في حوادث سنة ١١٤٤ هـ بني الصغير بصفةاصحاب بلاد بشارة وقال انهم اظهروا الشماتة والسرور بموت الامير حيدر الذي توفي سنة ١١٤٣ هـ حتى قيل انهم خضبوا ذيول خيولهم مغالاة في السرور والشماتة . وقد ثار حنق الامير ملحم ابنه الذي خلفه من ذلك والتمس من والي صيدا ولاية بلاد بشارة فاجابه الى التماسه فنهض اليها ودهم بني علي الصغير فكسرهم واهلك منهم خلقا وقبض على مقدمهم نصار وفر اخوته الى القنيطرة واطلق الغارة على ديارهم ونهبها ثم عاد غانما منصورا . وبعد قليل جاء أخوة نصار اليه وارتموا عليه وحملوا له مالا وافرا فدية عن اخيهم فلبى استغاثتهم واطلق أخاهم وأعادهم ولاة على بلادهم من قبله واصطلح الحال بينهم وبينه [1] . وقد ذكر الشهابي في هذا السياق أن سلمان الصعبي والي مقاطعة الشقيف مال الى الامير ودخل في خاطره فأمنه حيث يفيد الخبر ان بني صعب ايضا كانوا موطدين مشيختهم على مقاطعتهم وان مشايخ بني عامل كانوا يتخالفون في السيرة والحركات حسب ما تمليه عليهم مصالحهم الخاصة .

ومع ان المؤلف لم يذكر بني منكر فمن المحتمل ان يكونوا هم الآخرين كانوا قد وطدوا مشيختهم على بلادهم ووقفوا موقف الجمود أو الحياد من حركة بني الصغير .

(١) ج ٢ ص ٢٩ ــ ٣٠ نسخة رستم وفي نسخة مغبغب خلاف في ايراد الخبر فهو لم يذكر شماتة بني الصغير ولكنه قال ان الامير ملحم استأجر من الوالي بلاد بشارة بموافقة الشيخ سلمان الصعبي وقبض على نصار وقتل ١٢ رجلا من رجاله وفر اخوته الى القنيطرة ثم عادوا وفكوا اخاهم واستأجروا بلادهم من الامير ملحم ص ٧٦٨ ج ٢ .

وقد ذكر مؤلف جبل عامل نقلا عن رسالة عاملية خبر صدام بين المتاولة والامير ملحم سنة ١١٤٧ ﻫ في قرية انصار كتب النصر فيها للامير وأسر من الشيعة ١٤٠٠ . وقد سماها وقعة انصار الثانية [١] . وهذه الواقعة لم يذكرها مؤلف الغرر . فاذا صحت ولا مانع من صحتها فيكون معناها ان بني الصغير حاولوا التفلت من حكم الامير ملحم فزحف عليهم ملحم وخضد شوكتهم .

وقد ذكر الشهابي في حوادث سنة ١١٥٢ ﻫ ان والي صيدا كبس بلاد الشقيف وقتل شيخها الشيخ احمد الفارس واولاده وهرب أخوه الشيخ حيدر الى بلاد الدروز لاجئا الى الامير ملحم دون ذكر الاسباب [٢] والظاهر ان هؤلاء قاموا بحركة ما ضد سلطة الوالي فأثاروه . ويدل الخبر على ان بني صعب الذين هم اصحاب الشقيف كانوا هم ايضا يأنفون الرضوخ ويحاولون التملص والنشاط في مجال الاستقلال .

وفي سنة ١١٥٦ ﻫ تمرد المتاولة على والي صيدا وامتنعوا عن اداء الاموال واخذوا يتطاولون على اطراف بلاد الامير ملحم على ما ذكره الشهابي في حوادث السنة المذكورة [٣] حيث يدل على انهم لم يكادوا يستريحون مما جرى عليهم من شدة وتنكيل حتى عادوا الى حركتهم التمردية بقصد الاستقلال في حكم بلادهم والتفلت من سلطة الوالي والامير ملحم كما هو المتبادر . أي انهم في هذه السنة تحدوا السلطتين معا سلطة الدولة وسلطة الامارة ! ويظهر انهم رأوا من الوالي بوادر ضعف فاقدموا على ما اقدموا عليه لان الشهابي يذكر ان الوالي بدلا من ان يسير عليهم قوة ترغمهم استنهض الامير ملحم عليهم . وقد زحف هذا بجيش عظيم فارسلوا الى الوالي رسلا وهدايا والتمسوا منه العفو وتعهدوا باداء الاموال المطلوبة . وقبل الوالي منهم حيث يؤيد

---

(١) ج ٢ ص ٧٥ . (٢) ص ٢١ نسخة رستم . (٣) ص ٣١ من الكتاب نفسه .

هذا ما خمناه من ضعف الوالي الذي جعلهم يتمردون عليه • وقد كتب الى ملحم بالامر وطلب منه الرجوع • ولكن ملحما اغتاظ من الوالي لقبوله التماس المتاولة بدون رأيه وظل في زحفه حتى بلغ قرية نصار • وكان المتاولة قد اجتمعوا فيها بكامل احزابهم وزعاماتهم دون ان يتخلف احد • فاشتبكوا مع الامير ولكنهم انكسروا وبلغ عدد قتلاهم ١٦٠٠ واسر كثيرا من مشايخهم وعاد الى دير القمر وقد شفي غليله • ثم توسط الشيخ علي جنبلاط لديه فاطلق سراح المشايخ مقابل تعهد باداء ستة آلاف قرش سنويا من مالهم مع حجرتين من الخيل الجياد [١] •

وقد ذكر الشهابي بعد هذا [٢] خبر زحف قام به سليمان باشا والي صيدا في السنة نفسها وقال انه نزل في مرج قدس واقام فيه ثلاثة عشر يوما وخرب بلاد بشارة وبلاد الشقيف واقليم التفاح دون ذكر سبب • والمتبادر ان زعماء المتاولة بعد ان تصالحوا مع الامير ملحم وعادوا الى بلادهم استمروا على امتناعهم عن دفع المال الميري للوالي • وكان الوالي الاول قد ذهب وجاء وال جديد فبادر الى التنكيل بهم على الوجه المذكور •

وقد ذكر مؤلف كتاب جبل عامل هذه الوقعة عزوا الى رسالة عاملية ايضا وقال ان الوالي قد توفي قبل ان يعود الى صيدا [٣] •

وذكر الشهابي في حوادث سنة ١١٥٧ هـ [٤] خبر وقعة كبرى بين مشايخ بني متوال واهل وادي التيم ومعهم دروز جبل الشوف • وكانت

---

(١) الغرر ج ٢ ص ٣١ ـ ٣٢ نسخة رستم •

(٢) ص ٣٢

(٣) ص ٧٦ ج ٢ •

(٤) ج ٢ ص ٣٤ نسخة رستم •

الكسرة على هؤلاء • وقد قتل المتاولة منهم ٣٠٠ واحرقوا قرى مرجعيون التي كانت تحت حكم امير وادي التيم • ثم اجتمعوا في النبطية معتزمين غزو جبل الدروز ـ أي بلاد الامير ملحم ـ فحال الوالي بينهم وبين تنفيذ هذا العزم •

والمتبادر ان المتاولة تطاولوا على قرى مرجعيون التي تحت يد امير وادي التيم فزحف هذا عليهم واستعان بالامير ملحم فامده بجماعة من رجاله الدروز • ولما كسروا الزحف قويت نفوسهم فرأوا ان يزحفوا على الشوف كرد على الامير الذي أعان عليهم امير وادي التيم •

وفي كل هذه الحركات بوادر على ما كان عليه المتاولة وزعماؤهم من قوة نفس وعناد وطموح •

وقد ذكر مؤلف جبل عامل [١] ان زعماء عامل شرعوا في سنة ١١٦٣ هـ في ترميم القلاع والحصون فقامت قلاع تبنين وهونين ودوبيه ويارون وشمع وجبع وميس وغيرها وجددت صور بعد الخراب • وقد يدل الخبر على ان زعماء جبل عامل قد استردوا حكمهم الاستقلالي على بلادهم بعد كسرة زحف وادي التيم ودروز الشوف فانصرفوا الى تقوية انفسهم وتحصين بلادهم لحماية هذا الاستقلال والدفاع عنه •

وفي هذا الظرف لمع الشيخ ناصيف زعيم بني الصغير واعترف الزعماء الآخرون بزعامته العليا ، ويعد من ألمع وأبرز زعماء جبل عامل وبني الصغير • وكان عهد زعامته قويا وكان الزعماء الآخرون متضامنين معه فكان ذلك من اسباب قوة عهده على ما يستفاد من سيرته والاحداث التي جرت في عهده [٢] وفي زمنه قسمت بلاد جبل عامل أو أعيد تقسيمها

---

(١) ج ٢ ص ٨١ •

(١) و (٢) انظر جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ٧٩ ـ ١١٥ •

بين الزعامات العاملية فكان خمس منها لبني الصغير وهي تبنين وهونين وساحل معركة وساحل قانا ومرجعيون واثنتان لبني منكر وهما الشومر وجباع وواحدة لبني صعب وهي الشقيف [1] .

وقد ذكر الشهابي في حوادث سنة ١١٦٣ هـ [2] ان المشايخ بني منكر تطاولوا في هذه السنة على اقليم جزين الذي كان تحت يد الشيخ علي جنبلاط وقتلوا اثنين من اتباعه فعظم الامر على الامير ملحم فزحف على رأس قوة كبيرة على جباع الحلاوى التي كانت من قرى بني منكر فهرب هؤلاء من وجهه فاحرقها وعاث في بلاد المتاولة الاخرى ، ثم سكت عنهم الشهابي الى سنة ١١٨٥ هـ حيث يدل على انه لم يقع بينهم وبين الامراء الشهابيين خلال هذه المدة الطويلة التي تبلغ ٢٢ سنة وقائع هامة ويدل بالتالي على ان زعماء المتاولة كانوا يمارسون حكم بلادهم بشيء من الاستقلال والطمأنينة من ناحية الامرة الشهابية .

وقد قال مؤلف الغرر [3] حينما ذكر بدء حركة علي بك اميرالمماليك وبروزه في مصر وتطلعه الى الاستقلال وسلخ مصر وبلاد الشام عن الدولة العثمانية في سنة ١١٨٣ هـ وما بعدها بالاتفاق مع الشيخ ظاهر العمر ان الشيخ كان متفقا مع مشايخ المتاولة والحاكمين على مدينة صور وبلاد بشارة وكان اكبر مشايخهم في هذا الزمان واقواهم في المال والرجال الشيخ ناصيف النصار . وكان تحت يده حصون وقلاع وبلدان وضياع وفدائية وفرسان وابطال وشجعان . وقد راق لهم الزمان وتملكوا في تلك البلدان وهجعت عنهم حكام جبل الدروز ـ لبنان والشوف ـ واستكنت وراقت أيامهم واطمأنت ، مما فيه تأييد لما ذكرناه آنفا .

---

(١) تاريخ جبل عامل ص ٧٩ ـ ١١٥ ج ٢ .

(٢) ج ٢ ص ٤١ رستم و ج ٢ ص ٧٧٤ مغبغب .

(٣) ص ٧٨ نسخة رستم .

ولقد ذكر مؤلف جبل عامل عزوا الى مصدر عاملي سلسلة حوادث محلية لهم بعضها غفل من السبب وبعضها غفل من النتيجة وتـدل على كل حال على ما كانوا عليه في هذا الظرف من حيوية وعنف وطمـع وطموح • ومن ذلك ركوب ناصيف وواكد سنة ١١٦٦ هـ على عرب القنيطرة ونهبهم اياهم وركوب الشيخ قبلان والشيخ عباس ــ من بني الصغير ايضا ــ على عرب مرج رميش ونهبهم اياهم نهبة عظيمة ، وان والي صيدا جاء سنة ١١٦٧ هـ الى قرية نصار من قرى بني منكر وكبسها ونهبها واسر بعض رجالها ــ بدون ذكر سبب ــ وان خيالة عباس العلي ــ من بني الصغير ــ كبست عسكر الدولة في مغراقة وان ناصيف وعباسا ركبوا مع الشيخ ظاهر العمر الى طبريا والشيخ عباس والشيخ ناصيف ركبوا سنة ١١٦٩ هـ على شريعة منذور فنهبوا اهلها وقتلوا عددا منهم ، وان سعد الدين العظم والي صيدا زحف سنة ١١٧٢ هـ على بلاد بشارة فقتل ونهب ــ دون ذكر الاسباب ــ فاجتمع المتاولة بزعامة الشيـخ ناصيف والشيـخ قبلان ودهموا عسكر الوالي وجرت وقعـة عظيمة عرفت بوقعة رأس العين لانها وقعت عند هذا الموقع وقتل من الفريقـين ثمانون رجلا ، وان خيل ناصيف ركبت سنة ١١٧٧ هـ على بلاد الشقيف وخيل قبلان وعباس على اقليم الشحر وان الشيخ حسين منصور كبس قرية الغازية وضرب اقليم التفاح فتضعضعت احوال الناس وان الشيخ قبلان وعلي ابن ظاهر العمر ــ وكان هذا متمردا على ابيه في هذا الظرف على ما سوف نذكره في سيرة الشيخ ظاهر بعد ــ ركبوا سنة ١١٧٩ هـ علـى مرجعيون واشتبكوا مع دروز قرية آبل بقتال اسفر عن قتل ستين مـن الدروز وخمسة عشر من رجالهم ، وان الشيخ ناصيف والشيخ عباس ركبوا على وادي المعظمية واشتبكوا مع الشيخ ظاهر العمر حـاكم صفد وكسروه كسرة عظيمة وذبحوا من الصفديين ٢٥٠ رجلا وان اجتماعا عقد في حاصبيا في السنة المذكورة من زعماء المتاولـة الشيخ ناصيف

والشيخ عباس من بني الصغير والشيخ علي الفارس من بني صعب ومن الامير اسماعيل الشهابي حاكم حاصبيا والشيخ علي جنبلاط ـ دون ذكر السبب والنتيجة ـ وان والي صيدا زحف على قلعة ميس التـي كان الشيخ عباس العلي معتصما فيها ـ دون ذكر السبب والنتيجة ـ وان الشيخ ناصيف والشيخ عباس والشيخ عثمان الظاهر ـ وكان هـذا متمردا على ابيه ايضا ومغاضبا له في هذا الظرف ركبوا على بلاد الدروز ـ دون ذكر السبب والنتيجة ـ وان رجال بلاد الشقيف وبلاد بشارة واقليم التفاح ركبوا ومعهم عثمان الظاهر على بلاد صفد ـ بدون ذكر السبب والنتيجة ـ وانه وقع في سنة ١١٨٠ هـ وقعة بين المتاولة بزعامة زعمائهم وبين علي بن ظاهر العمر ـ بدون ذكر السبب ـ انتصر فيها المتاولة ، وانه وقع بعدها واقعة تعرف بواقعة تربيخا والدولاب بـين المتاولة وبين الشيخ ظاهر العمر ، وكان سببها ان هذا استولى على قرية تربيخا فجاء بعسكر وافر واحاط بها ووصل الخبر الى تبنين حيث كان الشيخ ناصيف حاكم البلاد ـ والوصف للمؤرخ ومصدره العاملي ـ فطار ومعه جماعته على متون الجياد واشتبكوا مع الزاحفين وكسروهم وحاولت ثلة من رجال الظاهر أن تكر في موقع اسمه الدولاب فانكسرت ايضا وغنم الشيخ ناصيف غنائم عظيمة من جملتها مئة فرس من جياد الخيل وفرس الشيخ ظاهر نفسه وكانت مشهورة جدا نزل له عنهـا لانه احكم الرمح في صدره ثم خلاه ، وقد ظهر من الشيخ علي الفارس الصعبي والشيخ محمود نصار ـ اخي الشيخ ناصيف ـ بسالـة لم ينقلها التاريخ حتى ولا عن افراد العرب المشهورين في هذه الوقعة حتى تغنى بها الشعراء العامليون في قصائد رنانة تدل مضامينها على ما كان للزعماء العامليين من كيان وقوة واعتداد وعلى ما كانوا عليه من بطولة وفروسية [١] .

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ٩٤ ـ ٩٩ .

ولقد ذكر مؤلف كتاب تاريخ الشيخ ظاهر نقولا الصباغ هـذه الحادثة ولكن بشيء من الخلاف حيث قال ان الشيخ ظاهر بعد ان تمكن من بلاد صفد طلب من المتاولة ان ينزلوا له عن بلدين مجاورين لـه هما البصة ويارون فكتب لـه الشيخ ناصيف بالرفض وقال في جوابه لا تظن اننا نظير سوانا فوالله ان عندنا مقابل سيفك سيوفا أحدّ منـه وازاء كيدك مكائد كثيرة والاولى بك ان تدعنا غافلين عنك باعتدائك على جيرانك والا فانك تندم فلطالما بغي علينا فانتصفنا من الباغي وعاهدنا فقمنا بعهودنا مما فيه قوة واعتداد ، وان الجواب اغاظ الشيخ فطلب من الوالي الولاية على البلدين فاعطاها له فطرد ولاة المتاولة منهما وعين لهما ولاة من قبله فجرد الشيخ ناصيف خيله وخرج الى صده واشتبك الطرفان قرب قرية طربيخة وامتدت الحرب اياما وكانت سجالا ثم قـام قائد جيش الشيخ الدنكزلي بحركة التفا فيه مباغتة على بلاد المتـاولة أسر بها ولدين من اولاد الشيخ ناصيف . وعلم هذا بالامر فتراجع لاجل صد الدنكزلي فتبعته خيـل الظـاهر يقتلون من يدركونه من رجـاله [1] .

وسياق الصباغ يفيد ان الكسرة كانت على المتاولة بينما يفيـد سيـاق كتاب جبل عامل العكس . وسياق الصباغ ولو لم يذكر تاريخ الوقعة يفيد انه كان بعد قليل من سنة ١٧٣٩م الموافقة لسنة ١١٥٢ هـ حيث قال ان الظاهر بعد استيلائه على قلاع جدين والبعنة وصفد في سنتي ١٧٣٨ و ١٧٣٩ التفت الى المتاولة وساق سياقه الذي سقناه قبل ، بينما يذكر مؤلف جبل عامل انه كان سنة ١١٨١ هـ .

ويتفق المؤلفان بعد ذلك فيقرران ان الاتصالات جرت بين الشيخ ناصيف والشيخ ظاهر فادت الى عقد معاهدة حلفية بين الزعيمين وكانت

---

(١) تاريخ الشيخ ظاهر ص ٣٩ ــ ٤٠ .

موطدة لتعاون مستمر قام بين الزعماء العامليين والشيخ طيلة حياته مع بعض اختلاف حيث يفيد سياق كتاب جبل عامل ان الشيخ ظاهر هو الذي سعى للصلح لانه انكسر في الحرب بينما يفيد سياق الصباغ العكس بل ويفيد ان الشيخ ناصيف تنازل للشيخ ظاهر عن البلاد التي طلبها ثم عن جباية اموال بلاده وتوريدها الى الوالي وعهد بذلك الى الشيخ وان المتاولة فرحوا بالمعاهدة فرحا عظيما لان الوالي كان يكرههم لنحلتهم ويشدد عليهم ويغري بهم النوابلسة (١) .

ويظل تاريخ الوقعة وبالتالي تاريخ المحالفة مشكلا .

ولقد ذكرنا قبل نقلا عن كتابي جبل عامل والغرر وقائع حربية عديدة خلال هذه المدة بين المتاولة من جهة ووالي صيدا حينا . والامير ملحم الشهابي حينا وامراء وادي التيم ودروزه ودروز الشوف حينا ولم يرد اسم الشيخ ظاهر في سياقها . فلو كان الحلف قائما بينه وبين زعماء المتاولة قبل سنة ١١٨١ هـ لكان ذكر كحليف مساعد لهم في هذه الوقائع التي كانت احيانا تدور الدائرة فيها عليهم في حين توالي ذكر تشارك الطرفين في ما وقع على كل منهما بعد هذه السنة على ما سوف يأتي بعد مما قد يسوغ ترجيح تاريخ كتاب جبل عامل .

هذا ، وقد ذكر مؤلف كتاب جبل عامل بعد ذكره للمعاهدة ان الشيخ ناصيف حاول ابرام معاهدة حلفية بينه وبين الامراء الشهابيين ايضا وذهب الى بلاد الدروز وجاء الشيخ علي جنبلاط الى صور بسبيل ذلك ولكن المفاوضات لم تصل في هذا الدور الى نتيجة ايجابيه . وقد علق المؤرخ على هذه السياسة التي نهجها الشيخ ناصيف ان جبل عامل كان في هذا الوقت بين قوتين كبيرتين ــ قوة الشيخ ظاهر الذي

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ٩٩ ــ ١٠١ وتاريخ الشيخ ظاهر ص ٤٠ ــ ٤١ .

اتسع حكمه حتى صار يشمل جميع شمال فلسطين واجزاء من وسطها وقوة الامراء الشهابيين الذين كان يشمل حكمهم لبنان وبلاد جبيل والبترون والبقاع ـ فاراد ان يضمن لقومه الحياد ولبلاده الاستقلال •
ويستمر المؤرخ في رواية الاحداث عن مصادره العاملية القديمة فيقول ان الشيخ عباس أهان الشيخ قبلان سنة ١١٨٠ هـ ـ وكلاهما من بني الصغير ـ وفر مع اخيه الى القنيطرة فارسل وراءه الخيل فاسرت الاخوين فادخلهما السجن ، وان مدينة صور نهبت فنزل الشيخ عباس اليها واسترجع الامور فيها وان الصفديين كبسوا قرية صلحا في السنة نفسها ، وانهم في سنة ١١٨١ هـ كبسوا تربيخا ايضا ـ ولعل هذين الحادثين قبل ابرام المعاهدة بين الشيخ ناصيف والشيخ **ظاهر كاستمرار** على المصاولة بين الطرفين ـ وان وقعة جرت بين والي صيدا وبين الشيخ عباس ـ بدون ذكر السبب والنتيجة ـ وان الدولة كبست قرية القصيبة وصرفند سنة ١١٨١ هـ وان خيل الشيخ ناصيف ركبت على ارض قلعة مارون وسلبتها وقتلت بعض أهلها سنة ١١٨٣ هـ وان المشايخ المتاولة ناصيف وعباس وقبلان اشتركوا برجالهم مع الشيخ ظاهر في حرب النوابلسة كما اشتركوا معه في محاصرة ابنه عثمان الذي كان متمردا على ابيه ومعتصما في صفد [1] •

وفي سنة ١١٨٣ هـ بدأت حركة علي بك امير مماليك مصر التي أشرنا اليها قبل وتم الاتفاق بينه وبين الشيخ ظاهر العمر وجاءت قواته الى فلسطين سنة ١١٨٤ هـ فاستولت عليها بالتعاون مع الشيخ ثم زحف نحو الشام واشتبكت مع واليها عثمان باشا وهزمت قواته وضربت الحصار على دمشق • وقد تواثق المتاولة بزعامة الشيخ ناصيف كبير

---

(١) هذا السياق الطويل بالاحداث المتنوعة من سنة ١١٦٦ مقتبس من الجزء الثاني، من كتاب جبل عامل في التاريخ عزوا الى رسالة عاملية قديمة . انظر الصحف ٨٨ ـ ١٠٢! وبعض الوقائع كان فيما بين المتاولة أنفسهم كالنار تأكل بعضها ان لم تجد مما تأكله .

مشايخهم مع الزعماء الآخرين من جملتهم الشيخ عباس والشيخ علي الفارس والشيخ قبلان والشيخ حمزة مع الحركة الى جانب الشيخ ظاهر • وتواثق معها كذلك الامير منصور الشهابي الذي كانت له الولاية في هذه الآونة • وتواثق مع الوالي عثمان باشا الامير يوسف ابن ملحم ـ ابن اخي منصور ـ الذي كان ينازع ويناوىء عمه • وغضبت الدولة على علي بك والشيخ ظاهر وأيدت واليها • فغدت بلاد فلسطين والشام مسرح حركة عظيمة ، ومن ثم أخذ اسم زعماء المتاولة يتردد ونشاطهم يشتد في هذا الظرف • وقد أسهب مؤلف الغرر الحسان في سرد صور هذه الحركة المختلفة ولخص مؤلف جبل عامل في التاريخ عنه هذه الصور وخاصة ما لها صلة بالمتاولة وزعمائهم •

ومما ورد منها اشتراك زعماء المتاولة برجالهم في الزحف نحو الشام مع قوات الشيخ ظاهر والقوات المصرية وقتال عثمان باشا وهزيمته سنة ١١٨٤ هـ •

ولقد فك ابو الذهب قائد الحملة المصرية الحصار عن دمشق بعد ان فتحت له ابوابها وكاد يستولي على قلعتها لخلاف بينه وبين الشيخ ظاهر وما رآه فيه وفي ابنه علي من صلف وعتو وجرأة وماكان من تحريض عثمان باشا في رواية واسماعيل بك احد قواد حملته في رواية عنيهما وتخويفه من غضب السلطان واغرائه بولاية مصر [١] فعاد عثمان باشا اليها • وما نبث أن زحف على رأس قوة كبيرة الى فلسطين للتنكيل بالشيخ ظاهر وحلفائه المتاولة • وسارع هؤلاء الى لقائه فنشبت المعركة بينهم عند الحولة وكسرت قوات عثمان باشا كسرة مهولة • وفر نحو الشام مع الفلول تاركا مقادير عظيمة من السلاح والدواب والاموال والميرة التي غنمها الشيخ ظاهر وحلفاؤه •

---

(١) انظر تاريخ الشيخ ظاهر العمر لمخائيل الصباغ ص ١٠٨ ـ ١١١ والغرر الحسان نسخة رستم ج ٢ ص ٧٨ ـ ٩٢ •

وقويت نفوس مشايخ المتاولة ــ والتعبير للمؤرخ والشهابي ــ فاخذوا يتطاولون على اطراف بلاد الدروز ــ جبل لبنان ــ التي صارت ولايتها للامير يوسف نتيجة لانسحاب ابي الذهب عن دمشق وعودة عثمان باشا اليها وانسحاب الامير منصور من الولاية خوفا منه لانــه كان منحازا لحركة علي بك والشيخ ظاهر • فاتفق الامير يوسف مــع خاله الامير اسماعيل والي حاصبيا على غزوهم وزحف سنة ١١٨٥ هـ هو بعشرين الفا ووصل الى جبال الخلاوة واحرق في طريقه قرى اقليم التفاح ثم توجه نحو النبطية • وجاءه كتاب من خاله بالتريث لان الشيخ ظاهر ومشايخ المتاولة ارسلوا اليه يسألونه العفو ويتعهدون بما يريد فأبى واستمر في زحفه وكان زعماء المتاولة والشيخ ظاهر مجتمعين مــع رجالهم في قرية النبطية فتصدى لزحف الامير يوسف شرذمة من المتاولة في كفر الرمان مؤلفة من ٥٠٠ خيال فكسرته كسرة عظيمة لم يكسر احــد مثلها ــ والتعبير للشهابي مؤلف الغرر ــ وقتل من الدروز اكثر من ١٥٠٠ وفر الباقون ولو لم يصل الامير اسماعيل برجاله ويشغل الشيخ كليب نكد المتاولة في وعرة لما بقي من رجال يوسف احد لانهم كانوا كالغنم بين ايدي الذئاب [١] • وقد استولى الحلفاء على صيدا نتيجة لهذا النصر • وكان واليها قد فر منها حينما جاءت القوات المصريــة

---

(١) في مقال اورده مؤرخ جبل عامل للشيخ احمد رضا العاملي النبطي حول هــذه الواقعة يذكر ان بعض الدروز اعتدوا على بعض العامليين وقتلوا اثنين منهم فطلب حاكم مقاطعة الشقيف الشيخ علي الفارس من الامير يوسف قصاص الفاعلين فلم يعبأ الامير فعمد العامليون الى اخذ ثأرهم وقتلوا بعض الدروز في المكان الذي قتل فيه العامليان فكان ذلك سبب زحف الامير يوسف . وكانت وجهة الزحف الشقيف للتنكيل بحاكمها فاستنجد هــذا بالشيخ ناصيف شيخ المشايخ وبالشيخ ظاهر فجاؤوا الى نجدته . وان الخيالة الذين تصدوا لزحف الامير كانوا خيالة الشيخ علي الفارس صاحب الشقيف وبقيادته . فكان منها ما كان من موقف بطولي لانها صدت وكسرت زحفا مؤلفا من نحو عشرين الفا (ص ١١١ ــ ١١٢ ج٢)٠

وزحفت مع حلفائها نحو الشام وهزمت في الجولة الاولى واليها عثمان باشا الذي كان والي صيدا [1] •

ولقد اورد مؤرخ جبل عامل قصيدة زجلية لشاعر عاملي اسمه شفاعة عامية اللغة نظمت في ظروف هذه الوقعة فيها وصف لها وتنويه بالروح الوثابة التي كانت تجول في اعصاب المتاولة وبطولتهم واستهانتهم بالموت وحماستهم وما أوقعوه في الدروز من خسائر فادحة • وقد ذكر الشاعر في قصيدته اسماء الشيخ ناصيف واخيه الشيخ محمود والشيخ ظاهر العمر والشيخ علي الفارس والمشايخ ابراهيم وقاسم ومراد الخ ••••

وقد ذكر مؤرخ جبل عامل بعد ذلك ان عثمان باشا والي الشام كتب للاستانة شاكيا تمرد المشايخ المتاولة والشيخ ظاهر وتملكهم لصيدا فجاء امر للامير يوسف بالتجهز لحربهم وبذل له لقاء ذلك المال السلطاني المرتب على بيروت والجبل وكانت الدولة اذ ذاك مشغولة بحرب المسكوب • وجاء قائد عام للاشراف على حركة التنكيل فكتب هو الآخر للامير يوسف يستنهضه وارسل اليه بعض المدافع والذخيرة والخيالة فجمع الامير جموعه وزحف بها سنة ١١٨٦ هـ على صيدا وحاصرها • وكان الشيخ ظاهر كتب لملكة المسكوب طالبا منها مددا بحريا فارسلت بعض المراكب فجاءت الى صيدا واطلقت مدافعها على المحاصرين وجاء الشيخ ظاهر والشيخ ناصيف بجموعهم ومعهم عسكر الغزو الذين قدموا مع علي بك فاشتبكوا مع قوات الامير يوسف وخيالة الدولة خارج صيدا فدارت الدائرة على هؤلاء وانهزموا

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ١٠٩ ــ ١١٥ والغرر الحسان نسخة رستم ج ٢ ص ٩١ ــ ٩٢ •

بعد ان قتل منهم عدد كبير تاركين اثقالهم التي اخذها المتاولة والشيخ ظاهر غنيمة باردة •

وقد اورد مؤرخ جبل عامل قصيدة زجلية ثانية للشاعر شفاعة في هذه الواقعة نوه فيها بالشيخ ناصيف واخيه محمود وعلي الفارس وعباس المحمد وعباس العالي ووصف فروسيتهم وصولاتهم وهزيمة الاعداء وما حل فيهم [1] •

ولم يقع بعد ذلك صدام بين الامير يوسف والمتاولة والشيخ ظاهر • بل قام تعاون وتواثق • وقد ذكر مؤرخ جبل عامل نقلا عن مصادر عاملية قديمة ان الامير اسماعيل خال الامير يوسف جاء بعد وقعة صيدا الى الشيخ ظاهر [2] العمر ومن المحتمل ان يكون عقد صلحا بينه وبين ابن اخته فصفا الحال بينهما وبالتبعية بين الامير يوسف وزعماء المتاولة • وقد ذكر مؤلف الغرر الحسان [3] ان الامير يوسف ترامى على والي الشام عثمان باشا المصري الذي خلف واليها السابق عثمان باشا وطلب منه الشفاعة بالشيخ ظاهر فاجابه الى طلبه وكتب للاستانة بذلك فاصدر الصدر الاعظم مرسوما بالعفو عنه وتثبيته واليا على صيدا مقاطعة • وكان ذلك في سنة ١١٨٦ هـ مما فيه تأييد لما قلناه •

ولقد ذكر الامير حيدر الشهابي [4] ان الوحشة قامت بين الامير يوسف ووالي الشام في سنة ١١٨٧ هـ فزحف الوالي على الامير فاستنجد الامير بالشيخ ظاهر والمتاولة فسارعوا الى نجدته بجيش وافر على رأسه علي بن الشيخ ظاهر والشيخ ناصيف النصار كبيربني الصغير • وقدداخل

---

(١) الوقعة مع القصيدة في كتاب جبل عامل ج ٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٩ والمؤلف يذكر ان استند الى رسائل عاملية قديمة والى الشهابي • وفي نسخة رستم من الغرر الحسان ج ٢ ص ٩٣ ما يؤيد ما ذكره •

(٢) ص ١٣٢ ج ٢ •

(٣) ص ٩٩ ـ ١٠٠ نسخة رستم ج ٢ •

الخوف الوالي فعاد الى دمشق فارا تاركا مخيمه واثقاله غنيمة باردة لهم مما فيه صورة للتواثق الذي قام بين الامير وزعماء المتاولة والشيخ ظاهر . هذا . وقد ذكر مؤلف جبل عامل ان الشيخ ظاهر وعلي بك ابو الذهب وحاصروها فكان معهم قوة من المتاولة على رأسها الشيخ ناصيف النصار وان بعض زعماء المتاولة وصليبة بن الشيخ ظاهر ذهبوا على رأس رجالهم مع علي بك الى لقاء ابي الذهب الذي جاء من مصر في سنة ١١٨٧ هـ لقتال علي بك ونشبب القتال بين الطرفين عند غزة فدارت الدائرة عليهم وقتل علي بك وصليبة بن الشيخ ظاهر في جملة من قتلوا وانهزم الناجون من العامليين والصفديين (١) .

ثم ذكر المؤلف خبر زحف ابي الذهب سنة ١١٨٨ هـ نحو عكا للتنكيل بالشيخ ظاهر وخبر ذهاب الشيخ ناصيف الى مقابلة ابي الذهب ومهاداته مما يبدو عجيبا (٢) .

وقد اورد المؤلف في هذا روايتين . واحدة عن الشهابي جاء فيها ان الشيخ ناصيف ذهب لمقابلة ابي الذهب ومعه عشرون من جياد الخيل فقدمها له فطيب خاطره وامره بالاقامة عنده لبينما يحضر بقية مشايخ المتاولة (٣) ، واخرى عن مصادرة العاملية جاء فيها ان جميع المشايخ توجهوا الى غزة بخيلهم ورجالهم لاستقبال ابي الذهب بطلب من الشيخ ظاهر ! ولقد ذكر مؤلف الغرر الحسان (٤) ان الشيخ ظاهر استنجد بالامير يوسف حينما زحف ابو الذهب فلم ير هذا تلبية طلبه ولكنه كره التخلي بالمرة عن الشيخ فكتب كتابا لابي الذهب يستعطفه عليه وارسل الكتا بـللشيخ فرده اليه لعلمه انه لا يفيد . فمن المحتمل ان

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ١٣٢ – ١٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٣) هذه الرواية في الغرر الحسان ج ٢ ص ٨٢٣ نسخة مغبغبولم ترد في نسخة رستم .

(٤) ج ٢ ص ٨٢٣ نسخة مغبغب ولم ترد في نسخة رستم ايضا .

يكون الشيخ ناصيف ذهب مع رفاقه الى محمد ابي الذهب لمثل هـذا القصد •

ثم ذكر المؤرخ [١] ان الشيخ ناصيف سافر الى عكا للاجتماع بابي الذهب الذي استولى عليها بعد استيلائه على يافا وما في طريقها وكان الشيخ ظاهر قد فر منها • وقد اكرمه ابو الذهب اكراما زائـدا وكانت شفاعته لديه ماضية في كل ما يريد ! والمتبادر ان هذه السفرة الثانية امتداد لمقصد السفرة الاولى • ولقد ذكر مؤلف تاريخ الشيخ ظاهر العمر مخائيل الصباغ العكاوي [٢] ان الشيخ ظاهر لما زحف ابو الذهب من مصر الى فلسطين واستولى على يافا ثم جاء الى عكا ترك الشيخ فيها المغاربة مع قائدهم الدنكزلي وذهب الى قلعة هونين مقر الشيخ قبلان للاجتماع بمشايخ المتاولة والتدبر معهم في الامر وليدفعوا عن انفسهم البلاء وشر ابي الذهب بالمال او المهادنة او الحراب وفي هذا تعليل قوي مؤيد لذلك القصد •

ثم ذكر المؤرخ [٣] بعد هذا ان ابا الذهب امر بهدم صفد فهدمت وخافته البلدان القريبة والبعيدة وتوجه الشيخ قبلان الى مواجهتـه وبينما الناس منه في وجل عظيم واذا به صريع القدر فتنادى عسكره بالرحيل وحملوا جثمانه محنطا • ورجع الشيخ ناصيف والشيخ قبلان سالمين غانمين • ولقد قال الشهابي في السياق الـذي سرد فيه هـذه الاحداث ان الشيخ نصيف النصار الذي كان في عكا نهب من معسكر

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ١٣٩ •

(٢) ص ١٢٥ ــ ١٤٠ •

(٣)• جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ١٣٩ ـ ١٤٠ انظر ايضا الشهابي نسخة رستم ج ٢ ص ١٠٨ ــ ١١١ ونسخة مغبغب ج ٢ ص ٨٢٢ ــ ٨٢٤ ففيهما سياق مقارن لسياق هذا المؤلف مع زيادة وفيه ان ابا الذهب امر بهدم كنيسة النصارى فما ان تم هدمها حتى اعتراه هيجان واشتد به حتى مات • انظر ايضا تاريخ الشيخ ظاهر للصباغ ص ١٣٥ ــ ١٣٦ •

ابي الذهب اموالا لا تحصى ورجع الى بلاده • ولعل هذا ماقصده مؤرخ جبل عامل بقوله « غانمين » •

وقد ذكر المؤرخ [1] بعد هذا ان المشايخ ارسلوا ثلة من رجالهم سنة ١١٨٨ هـ للاستيلاء على صيدا طوعا او كرها وان الموظف المقيم فيها تحصن فيها وقال لا اخرج منها الا بامر سلطاني وان قتالا نشب بينه وبين الثلة فقتل منها خمسة عشر رجلا •

وقد ذكر هذا مؤلف الغرر الحسان [2] بعبارة اخرى حيث قال انه جرى بين المتاولة والغز في صيدا ــ وهم عسكر ابي الذهب ــ قتال عظيم انكسر فيه المتاولة كسرة عظيمة وقتل منهم جماعة •

وقد ذكر المؤرخ بعد هذا خبر رجوع ظاهر الى عكا سنة ١١٨٨هـ وخبر قدوم الاسطول العثماني ومطالبة قائده الشيخ بالاموال المكسورة عليه وممانعة مدبره للدفع وقصف عكا بالمدافع وارتباك حالة الشيخ وموته برصاصة من احد جنوده المغاربة ، والتجاء اولاده الى الشيخ ناصيف ثم قال ان حسن باشا قائد الاسطول ارسل اليهم أمانا فحذرهم الشيخ فلم يستمعوا له وذهب منهم اربعة اليه وهم عثمان وسعيد واحمد وصالح فاوثقهم كتافا وقتل سعيدا لانه تهجم على الدولة بسبب غدر حسن باشا فيهم وارسل الثلاثة الى الاستانة فاطلق رجالها سراحهم وعينوهم في مناصب رفيعة وقد جاء هذا في سياق حوادث السنة المذكورة [3] •

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٠ •

(٢) ج ٢ ص ٨٢٤ نسخة مفبغب ولم تذكر نسخة رستم هذه الوقعة •

(٣) ص ١٤٠ ــ ١٤٢ وقد ذكر هذا الغرر الحسان ج ٢ ص ٨٢٦ نسخة مفبغب ولم تذكره نسخة رستم •

(٣) انظر ايضا الغرر الحسان ج٢ ص٨٢٤ـ٨٢٦ نسخة مفبغب وج٢ ص١٠٩ـ١١٣ نسخة رستم • والنسخة الاولى ذكرت ما ذكره مؤرخ جبل عامل من مصير اولاد الشيخ ظاهر • أما نسخة رستم فقالت انهم تفرقوا في كل ديار •

ثم ذكر مؤرخ جبل عامل استنادا الى مصادره العاملية خبر وفاة الشيخ علي الفارس صاحب قلعة الشقيف سنة ١١٨٩ هـ ونعته ببطل العامليين وقال انه صاحب المواقف المشهورة في واقعة الدولاب وكفر رمان وصيدا وغيرها • ثم ذكر خبر قدوم المشايخ النكديين من لبنان فرارا من الوالي ونزولهم على الشيخ ناصيف سنة ١١٩٢هـ واكرامه لهم ، ثم ذكر خبر واقعة الرقاد التي كانت في سنة ١١٩٣ هـ بين عرب الصقر والسردية وبني صخر من جهة وبني حسن من جهة•وقد استنجد الاولون بالشيخ ناصيف والآخرون بالدولة ، وقد امدهم الشيخ ناصيف بمدد بقيادة اخيه الشيخ محمود • وقد قتل الشيخ محمود والشيخ قاسم مراد النصار صاحب قلعة دوبية الذي كان معه مع مئة من رجاله وسلبهم عسكر الدولة واحتزوا رؤوسهم • وخاف بنو حسن من المتاولة فتهيأوا للفرار وعلم الشيخ ناصيف بما وقع فهب للثأر وطار بما تيسر له من الفرسان واقتفى أثر بني حسن الذين اشتد بهم الخوف فتركوا خيامهم ونساءهم واطفالهم ونجوا بانفسهم الى البادية • ولما وصل الشيخ الى الحلة ولم يجد الا النساء والاطفال عف عنهم وعاد • وكان موت الشيخ محمود كارثة بالنسبة للمتاولة لانه كان من صناديدهم وكان يعد بالف فارس • وقد رثاه شعراؤهم واطنبوا ببطولته ومواقفه [1] • وهذه الاحداث تدل على ان زعماء المتاولة كانوا في هذه الفترة يمارسون حكم بلادهم باستقرار واطمئنان كما هو المتبادر •

وقد ذكر مؤرخ جبل عامل بعد هذا ان الشيخ ناصيف والشيخ حمد العباس ركبوا سنة ١١٩٥ هـ مع الجزار والامير يوسف على الشوف ففر الناس هاربين حذرا من سطوة الشيخ ناصيف واخذ الامير يوسف يهدم دور بني جنبلاط الذين كانوا يناوئونه في المختارة وبعدران • وقد

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٢ — ١٤٩ •

ذهبوا الى قرية جباع في جبل عامل واستشفعوا بفقهاء بيت الحر ــ المتاولة ــ لدى الشيخ ناصيف وشفع بهم الفقهاء وقبل الشيخ الشفاعة وكلم الجزار في امرهم فوافق على شرطين اولهما ان يدفعوا (١٥٠٠) كيس وثانيهما ان يوافقوا على السكنى في المكان الذي تعينه السلطة لهم، حيث يؤيد الخبر ما ذكرناه عن استقرار وطمأنينة زعماء المتاولة وانهم كانوا الى هذا على وفاق مع الجزار والي عكا وصاحب السلطة على جبل عامل ولبنان بالاضافة الى شمال فلسطين . وقد قال المؤرخ معلقا على هذه الواقعة ان هذه الغزوة اولى غزوة يدخل فيها الجيش العاملي جبل الدروز محتلا ! [١] .

ثم ذكر مؤرخ جبل عامل استنادا الى مصادره العاملية ايضا خبر ركوب جبل عامل اجمع مع الامير اسماعيل والي حاصبيا على بلاد الشام وخبر وقعة عظيمة في ارض الظهر الاحمر ثم خبر ركوبهم مع الامير يوسف الى البقاع ضد اخيه سيد احمد الذي اعلن التمرد عليه واشتراك عسكر الجزار الى جانب الامير يوسف واشتراك والي الشام الى جانب اخيه [٢] .

ومما ذكره المؤرخ استنادا الى مصادره العاملية خبر ركوب الشيخ ناصيف سنة ١١٩٥ هـ أيضا على الحولة وكبسه قريتين من قراها ونهبه مواشيهم بدون ذكر السبب ، ثم خبر قدوم الامير محمد الحرفوش الى

---

(١) ج ٢ ص ١٥٢ وهو يستند في هذه الواقعة الى مصادره العاملية . وقد ذكر مؤلف الغرر الحسان خبر زحف الجزار ويوسف للتنكيل بسيد احمد اخي الامير يوسف الذي قام بناوئه وبانصاره من الجنبلاطيين وغيرهم ولكنه لم يذكر خبر اشتراك المتاولة انظر الغرر الحسان ج ٢ ص ١٢٨ ــ ١٣٢ نسخة رستم .

(٢) ج ٢ ص ١٥٣ ــ ١٦٤ ولم يذكر مؤلف الغرر الذي ذكر هذه الحركات خبر اشتراك المتاولة فيها كذلك . انظر الغرر الحسان ج ٢ ص ١٠٤ ــ ١٠٥ رستم و ج ٢ ص ٨٣٧ ــ ٨٤١ مفيقب !

الطيبة مستنجدا بالشيخ ناصيف على أخيه فلباه وذهب معه بخيله الى بعلبك • ولم يذكر ما فعله فيها • ثم قال ان الامير محمدا ذهب بعد ذلك الى الامير يوسف [1] •

ثم ذكر المؤرخ واقعة يارون في السنة نفسها أيضا وقال عن سببها ان الجزار بعد استيلائه على فلسطين والجرائم التي ارتكبها تيقن ان زعماء عاملة وجبل الدروز سوف يثأرون لاخوانهم ويأخذون الحيطة لانفسهم فغدا منتهى همه امتلاك بلاد عاملة لان الدروز كفوه مؤونتهم بالفتن التي نشبت بينهم • وكان المتاولة متحصنين في قلاعهم مستعدين للقتال وكان زعماؤهم اذ ذاك الشيخ ناصيف النصار واخوته من بني الصغير والشيخ محمد الحسن من بني منكر والشيخ حيدر الفارس من بني صعب • وكان جرى بينهم وبين الجزار وقائع كثيرة ولم يظفر منهم بطائل — والمؤلف لم يذكر قبل حوادث بين المتاولة والجزار — فجهز هذه المرة عسكرا عظيما وساقه عليهم بغتة • وجاء النذير الى تبنين فخف الشيخ ناصيف الى المقاومة بمن معه وهم ٧٠٠ فارس دون انتظار للقوات المرابطة في القلاع الاخرى والتقى الفريقان في قرية يارون في بلاد بشارة وجرى قتال شديد اظهر فيه الشيخ بطولة عظيمة ولكنه قتل في المعركة وقضى الامر بين الفريقين — والعبارة للمؤرخ وتعني كما هو المتبادر ان الجزار انتصر واستولى على بلاد بشارة — ثم حاصر قلعة الشقيف وكان فيها الشيخ حيدر فارس فاضطر الى التسليم في النهاية فهدمها الجزار وهرب معظم المشايخ الى بلاد بعلبك وهرب الشيخ قبلان واخوته الى الشام • وقد جمعت الدولة الخيل والرجال ووضعت على البلاد الضرائب • وخان الامير اسماعيل المتاولة فكان

---

(١) ص ١٥١ ان مؤلف الغرر ذكر خبر ذهاب الامير محمد الى الامير يوسف مستعينا به على اخيه ولكنه لم يذكر قدومه الى الطيبة واستعانته بالشيخ ناصيف انظر الغرر ج ٢ ص ١٣٤ رستم •

يقبض على من يقع تحت يده ويسلمهم للجزار ويحرضه عليهم وارتكب فضائح جمة • وكانت السنة سنة خوف وجزع وذعر شديد • وكانت كارثة المتاولة عظيمة وخاصة في موت الشيخ ناصيف الذي لم يكن بين الزعماء الباقين من بني الصغير وغيرهم من يملأ فراغه • وقد رثاه الشعراء العامليون ونوهوا بما كان من مواقفه وعهده [1] •

وقد ذكر الشهابي [2] حركة الجزار ضد المتاولة كما ذكرها مؤرخ جبل عامل حتى لكأنه مصدر المؤرخ بما بينهما من تطابق بل وتوافق حرفي احيانا • ومما في سياق الشهابي من زيادة او خلاف قوله « وباد اسم بني الصغير وبني منكر والذين سلموا من الحرب هربوا مع اولاد الشيخ ناصيف نصار الى بلاد عكار وقد اخذ الجزار قلعة الشقيف بالامان ولكنه قتل جميع من فيها » •

وذكر مؤرخ جبل عامل بعد هذا استنادا الى مصادره العاملية خبر وفاة عدد من المشايخ النازحين الى بعلبك في سنتي ١١٩٦ ــ ١١٩٧هـ ثم خبر قيام شخص اسمه الشيخ علي خاتون بجمع الاموال من القرى لتسديد الغرامة التي فرضها الجزار على البلاد وقال مصدره تعليقا على ما كان من ضربة المتاولة في الشيخ ناصيف ان حكم بيت علي الصغير ابتدأ سنة ١٠٥٩ هـ من وقعة عيناتا واستمر الى ان استشهد

---

(١) جبل عامل ج ٢ ص ١٥٤ ــ ١٦٠ •

(٢) ج ٢ ص ٨٤١ ــ ٨٤٢ نسخة مغبغب • ولم يذكر المؤلف ما ذكره مؤلف جبل عامل من خيانة الامير اسماعيل حيث يدل هذا على انه استند الى مصادر عاملية ايضا وهذا الذي في نسخة مغبغب لم يرد في نسخة رستم • ومع ذلك ففي نسخة رستم ص ١٤١ خبر عجيب متصل بالحوادث حيث ذكر ان الامير يوسف قبض على بني الصغير الشيعة المطرودين من الجزار والملتجئين الى الامير يوسف والمقيمين في قرية مشغرة باذنه وتحت ذمامه وارسلهم الى الجزار بناء على طلبه فقتلهم وقد لام الناس الامير يوسف على ذلك ! والمتبادر ان يوسف كان يرهب الجزار الذي كان في هذا الظرف واليا على جميع بلاد الشام فجعله خوفه لايرعى حلفا ولا ذماما • ومن العجيب ان مؤلف كتاب جبل عامل لم يذكر ذلك •

ناصيف سنة ١١٩٥ هـ فيكون مجموع مدته ١٣٥ سنة ثم آل امرهم بعده الى الفرار الى الشام وبعلبك والهرمل • ثم روي المؤرخ عن مصدره ان الجزار ارسل الى الشيخ حمد العباس ـ من بني الصغير ـ يطيب خاطره ويطلب منه العودة الى البلاد فلما رجع هو وعياله واخوته قبضهم في عكا وحبسهم الى ان ماتوا في السجن وهم الشيخ حمد واخوه حسين واولاد عباس العلي حتى آل امر حريمهم وبقية عيالهم واولادهم الى الشحاذة من الناس •

ثم ذكر المؤرخ استنادا الى مصادره العاملية ايضا خبر وقعة حربية عظيمة وقعت سنة ١١٩٨ هـ بين الجزار والامير يوسف وكان العامليون يقاسون الضغط وزعماؤهم مشردون يتحينون الفرص فجاؤوا الى الامير يوسف فأمدهم بالخيل والسلاح وتوجهوا الى بلادهم ، حيث يدل هذا على ما كان يعتمل في صدور الزعماء النازحين من حقد ورغبة في الحركة واخذ الثأر • ثم قال ان ذكر الشيخ علي الزين صاحب شحور نبل في هذه السنة حيث قام مناديا بالمتاولة نلقيام بواجبهم المقدس وتولى ادارة الحركة وزعم الشيخ حمزة بن محمد النصار من بني الصغير وضم اليه اولاد الشيخ ناصيف فاعلن المتاولة الثورة سنة ١١٩٨ هـ وتوجه رجالهم الى تبنين فقتلوا متسلمها • ولما علم الجزار بالحركة سارع الى ارسال قوة كبيرة الى شحور فقتلت من المتاولة فيها عددا كبيرا ونهبتها وفر الناس الى الجبال والوعر • وكان الشيخ حمزة وبعض المشايخ من جملة القتلى • وفر الشيخ علي الزين مع اسرته واولاد الشيخ ناصيف الى الشام • وفي سنة ١١٩٩ هـ شملت ولاية الجزار الشام ففر الشيخ علي واولاد الشيخ ناصيف معه الى العراق ، ثم ذهب الشيخ الى الهند حيث لبث فيها مدة ثم عاد الى بلاده واقام اولاد الشيخ نصيف عند حمد الحمود شيخ الخزاعل • ولقد كان الشيخ قبلان واخوته قد فروا الى الشام فاستقبلهم الوالي درويش

باشا وطيب خواطرهم وخلع عليهم . فلما اتسع نطاق ولاية الجزار فروا هم الآخرون الى بغداد حيث مات الشيخ قبلان واخوه ابراهيم بالوبـاء [1] .

ولما غزا نابليون فلسطين وحاصر عكا ظن زعماء المتاولة الـذين كانوا في البلاد هامدين ان نهاية الجزار قد آذنت فجاؤوا الـى نابليون واعطوه قيادة طاعتهم وانتعشوا لفترة قصيرة [2] . وقد ذكر هـذا مؤلف الغرر الحسان بعبارة اخرى فقال ان امير الجيوش ـ نابوليون بعد حضوره الى تجاه عكا ارسل كتبا الى مشايخ البلاد التي بـالقرب منه فحضر اليه فيمن حضر مشايخ بني متوال فاعطاهم حكم بـلادهم وساروا من عنده الى مدينة صور وقدموا له الذخائر من البلاد ـ الميرة ـ وتسلموا القلاع التي كانت لآبائهم [3] ، حيث يدل هذا على انهم كانوا يترقبون الفرصة للنشاط واستئناف الحكم في بلادهم .

ولما ارتد نابليون عن عكا عاد الجزار الى الاثخان في جبل عـامل وسكانه على اقسى ما يكون . وفي كتاب ألفه المعلم ابراهيم عودة رئيس كتاب ديوان ايالة عكا في زمن ولاية سليمان باشا ان الجزار كان يسخر المتاولة في أعمال البناء ويشدد عليهم فيتعرض كثير منهم للقتل وكـان له وكلاء سوء يبلصون الناس ويحرضون الجزار على كل من لا يرشوهم ويعذبونهم بالنار والحديد المحمي والعري والضرب بالسياط ويقررون عليهم ضرائب واموالا بدون اساس ويصادرون مـا يجـدونه عندهم لاستيفاء هذه الاموال باسلوب في منتهى القسـوة والظلم [4] .

ولقد لبث زعماؤهم متشردين مدة طويلة ثم تجمعوا وحضروا الى

---

(١) جبل عامل ج ٢ ص ١٦٣ — ١٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٧١ .

(٣) الغرر ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٤) ص ٣٤ — ٥٢ .

بلادهم واقاموا في مخابيء أمينة وصاروا يقومون بحركات ازعاجية ويجبون من السكان ضرائب خاصة لهم بالاضافة الى ما كانوا يدفعونه لوكلاء الجزار • وقد حاول الجزار كثيرا اكتشاف مكامنهم فلم يتمكن وظل الامر على هذا المنوال الى ان مات الجزار سنة ١٢١٩ هـ وتولى مكانه سليمان باشا [١] •

وقد قال مؤلف كتاب جبل عامل ان سليمان باشا استدعى فارس الناصيف وابن عمه محمد بن الشيخ محمود واكرمهم فطلبا منه اعادة البلاد اليهما لانهما ورثاها سالفا عن سالف ومدنوها واوجدوا فيها القلاع والقناطر والمعابد والاسواق والآبار والمطاحن والاغراس • ولكنه اعتذر عن تسليم البلاد ثم وافق على اعطائهما مقاطعة الشومر برمته عوضا عن املاكهم واعفاهم من الضرائب وعين لبيت الرئاسة مئتي كيس سنويا من خزانة عكا ثم اعطاهم قرية الزريرية ليقيموا فيها هم وبنو صعب وبنو منكر وقسموا قرى الشومر ومزارعه بينهم كل بحسبه واصاب بيت الرئاسة سهم وافر وقد جعلت الرئاسة للشيخ فارس الناصيف [٢] • ومما ذكره مؤلف كتاب سليمان باشا المذكور آنفا زيادة على ذلك ان المشايخ لما استدعاهم الوالي استشعروا بعدم الثقة ووسطوا الامير بشير الثاني بتأمينهم وبان يكون فارس الناصيف شيخ مشايخ عليهم ينظر في شؤونهم ويفصل دعاويهم ويكون هو المخاطب عنهم وان الوالي اجابهم الى ما طلبوا واصدر منشور الامان فنزل الشيخ فارس وبقية المشايخ الى عكا بكفالة الامير فرحب بهم ثم انعقد الصلح بينه وبينهم بحضور راغب افندي مأمور الدولة الذي جاء للاشراف على تسلم سليمان باشا امور الدولة والنظر في مخلفات

---

(١) ص ٣٤ ـ ٥٢ نفس المصدر السابق •

(٢) ج ٢ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ اقرأ ايضا الذيل رقم ٢ في صحيفة ١٧٣ ففيه رواية عن مصدر عاملي مؤيدة اجمالا لما ذكره •

الجزار وبحضور قاضي عكا ومفتيها وامر الوزير بالباس الشيخ فارس حلة فاخرة من فرو السمور واعلنه شيخ مشايخ وانعم عليه بخمسة آلاف قرش وعشر غراير حنطة وعشرين غرارة شعير والبس باقي المشايخ فراوي سمور وارسل معهم وكيلا ليوزع قرى اقليم الشومر على المشايخ وحرر محضر الصلح ووقع عليه الحاضرون [1] .

وقد ورد ذكر مشايخ المتاولة في كتاب ولاية سليمان باشا في نبذة أخرى جاء فيها ان المشايخ راجعوا الامير بشيرا في سنة ١٢٢٤ هـ وطلبوا منه التوسط لدى سليمان باشا لاجل اعطائهم حكم جميع بلاد جبل عامل على المنوال الذ يكان في عهد الشيخ ناصيف مكافأة لهم على اشتراكهم في حملة الشام التي ذهبت لارغام يوسف كنج باشا على التخلي عن الولاية فابى الوالي [2] .

حيث يدل الخبر على انهم اخذوا ينشطون ويندمجون في الاحداث الجارية بالتواثق مع الامير بشير ويطمحون الى استعادة حكمهم المباشر الشامل .

وقد ذكر مؤرخ جبل عامل خبر اشتراكهم في حملة سليمان باشا على الشام وقتل احمد بن عباس المحمد النصار واثنين من رجاله [3] . واستمر امرهم على هذه لحال الى سنة ١٢٣٧ هـ ولم يذكرهم المؤرخقبلها الا بقوله انهم اهتموا لاعمار البلاد وتنمية مرافقها في هذه المدة ثم

---

(١) ص ٣٤ ـ ٥٢ لم يذكر مؤلف الغرر الحسان شيئا من هذا . بل فيه شيء من النقض له انظر ج ٢ ص ٤١٢ ـ ٤١٤ و ٤٣٢ ـ ٤٣٣ نسخة رستم . ويتبادر لنا ان مانقلناه عن مؤرخ جبل عامل وكتاب ولاية سليمان باشا هو الصحيح فالاول يعزو الى مصادر عاملية قديمة . وكاتب الثاني معاصر ومماين .

(٢) ص ١٣٩ ـ ١٤٣ وهذا لم يذكره مؤلف الغرر ولم يذكر اشتراك المتاولة في حملة الشام التي سرد اخبارها في حوادث سنة ١٢٢٥ ج ٢ ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩ .

(٣) ج ٢ ص ١٧٤ انظر ايضا كتاب ولاية سليمان باشا ص ١٣٩ ـ ١٤٣ .

بذكره خبر اشتراكهم مع ابراهيم آغا متسلم هونين في استقبال الامير بشير حينما ذهب الى عكا سنة ١٢٣٤ هـ وقال ان اولاد الشيخ ناصيف دعوه الى منازلهم وبالغوا في اكرامه وقدموا له الذخائر وجوادين [١] .

ثم ذكر المؤرخ ان والي عكا عبد الله باشا ارسل الى الشيخ فارس الناصيف ومشايخ عاملة سنة ١٢٣٧ هـ انه يريد ارجاعهم الى حكم بلادهم ورفع المتسلمين عنها على ان يؤدوا هم الاموال ويترك منها خمسين الف قرش ومائة غرارة شعير مقابل ان يكون عندهم الف جندي بين فارس وراجل تحت طلبه . وقد شاوروا الامير بشير فاشار عليهم بالقبول فارسل الشيخ فارس معتمده الى عكا وطلب من الوالي معاهدتهم بعدم الغدر فكتب لهم صكا بذلك وارسل اليهم الخلع كعادة آبائهم [٢] . وهكذا استأنف مشايخ المتاولة حكم بلادهم المحلي الشامل كالسابق وحققوا امنيتهم التي كانوا يطمحون اليها منذ اقصوا عن الحكم من قبل الجزار . وقد اخذو يقتنون السلاح والخيل ويعدون الرجال مما جعل الوالي يسر بنشاطهم ويضيف اليهم ولاية مرجعيون [٣] .

ولما نشب النزاع والقتال بين عبد الله باشا ووالي الشام درويش باشا ارسل عبد الله باشا الشيخ فارس بعسكره لقطع طريق عسكر درويش باشا التي كانت تحاول العبور الى نابلس عن طريق جسر المجامع ولقد أمد درويش باشا عسكره فناوشوا الشيخ فارس وكسروه . ولكن عبد الله باشا سارع الى امداده فتمكن من الكرة على عسكر درويش باشا وكسرهم وغنم خيامهم واثقالهم ومدافعهم [٤] .

---

(١) جبل عامل ج ٢ ص ١٧٥

(٢) ص ١٧٦ .

(٣) ص ١٧٥ .

(٤) ص ١٧٦ – ١٧٨! وقد ذكر هذه الحوادث مؤلف الغرر الحسان ج ٢ ص ٧١٠ – ٧١٦ ويبدو من سياقه ان مؤرخ جبل عامل استقم الرواية منه .

وسكت المؤرخ عنهم الى سنة ١٢٤٧ ه فذكر ان زعماء عاملة اشتبكوا مع الحملة المصرية حينما جاءت الى مصر وضربت الحصار على عكا في موقع البهجة وفي أثناء حصار عكا فدارت الدائرة عليهم وقتل منهم ٢٤٠ فارس وراجل واستولى ابراهيم باشا على بلادهم وكان قائدهم حينئذ حمد البيك بن الشيخ محمود النصار ومعه ابن اخيه اسعد البيك [1] .

على ان المؤرخ [2] ذكر في سياق آخر ان احد بني الصغير الشيخ حسين السلمان العباس كان مندمجا مع الحركة المصرية وصديقا حميما للامير بشير فعينوه شيخا لمشايخ جبل عامل وكانت بنت جبيل مركزه . حيث يدل هذا على ان زعماء جبل عامل او بالاحرى آل الصغير قد انقسموا ازاء الحملة المصرية فمنهم من تعاون معها وظل متواثقا مع الامير بشير كالسابق ومنهم من تأثر بدعاية الدولة فوقفوا من الحملة موقف العداء والقتال .

ولما غلب هذا الفريق على امره انتقل زعماؤه أ وبالاحرى حمد بك واسعد بك الى الشام ثم انضموا الى جيش الدولة وشهدوا حرب حمص ونزيب وغيرها وانسحبوا مع الجيش العثماني الى قونية . ولما انعقدت الهدنة الاولى بين الدولة وابراهيم باشا عادوا الى بلاد الشام ولكنهم اقاموا في الزبداني . وقد عرض عليهم ابراهيم باشا العودة الى جبل عامل والتصرف باملاكهم على شرط الخضوع للحكم المصري فلم يقبلوا . ومع ذلك فانه ارجع اليهم املاكهم دون حكم البلاد وسمح

---

(١) ص ١٨٠ والمتبادر ان كلمة البيك لقب وقد قال مؤرخ الجبل (ج ١ ص ١٢٨) ان حمد بك اول من ترك العمة ولبس الطربوش . وكان المشايخ قبله يتعممون بعمائم من الشال العجمي . فالظاهر انه استبدل لقب الشيخ بعد ذلك بلقب البيك أو لعل الدولة العثمانية وجهت اليه رتبة يتلقب عادة صاحبها بلقب البيك فخلع العمامة ولبس الطربوش ليتناسب الزي مع الرتبة !

(٢) ج ٢ ص ٢١٦ .

لهم بالعودة قبل خروجه من بلا دالشام بثلاث سنين [1] .

ثم ذكر المؤرخ نقلا عن مصادره العاملية ما كان من جمع ابراهيم باشا السلاح من المتاولة وتطبيقه عليهم نظام التجنيد كما فعل في البلاد الاخرى وتسليطه الامير بشير على البلاد وقال : فجرى من العسكر اللبنانيين ما جرى وخربت البلاد دون بيان آخر [1] .

ثم قال المؤرخ ان ابراهيم باشا ادخل بلاد بشارة في عمالة الامير بشير فاذاقهم كل شدة حتى كان في محبسه في صور زهاء الف رجل . ولا ندري كيف يكون هذا في حين ان الشيخ حسين السلمان كان شيخ مشايخ عامل وبالتبعية صاحب الحكم فيه على ما ذكره المؤرخ نفسه ونقلناه عنه قبل قليل . ولم يكن الشيخ قد توفي لان وفاته كانت سنة ١٢٦٥ هـ على ما ذكره المؤرخ نفسه [3] ايضا . ولعل القصد من هذا ان ابراهيم باشا جعل السلطان الاعلى للامير بشير وان ما كان يجري في جبل عامل كان بتفاهم بين الامير والشيخ وضد الجبهة المناوئة للحملة المصرية .

وقد ذكر المؤرخ استنادا الى مصادره العاملية خبر ثورة حسين بك شبيب الذي يسميه في السياق بالشيخ حسين وينسبه الى عشيرة الصعبية سنة ١٢٥٥ م وكان تحت قيادته مئتا ثائر . فتصدى له العسكر اللبناني بقوة مضاعفة فهرب واصبحت البلاد عرضة لاستبداد هذا العسكر حسب عبارة المؤرخ الذي قال ايضا ان العامليين لم يستطيعوا لم شعثهم وان الواحد منهم كان يخشى من الكلام حتى في كسر بيته وقاست البلاد من عسكر الارناؤوط والدالاتية والانكشارية ايضا

---

(1) ص ١٨٠ ــ ١٨١ .

(٢) ج ٢ ص ١٨٢ ــ ١٨٣ .

(3) ص ٢١٦ .

الشدائد . ومما ذكره استنادا الى مصدر عاملي ان ثورة حسين بك واخيه محمد علي بك الشبيب دامت ثلاث سنين وان الامير بشير سير ابنه الامير مجيد لقمعها فهرب حسين الى اللجاة فالقي عليه كبير الدروز فيها القبض وارسله الى الشام فقتله حكمدار الشام المصري شريف باشا وبقي عسكر الامير مجيد شهرين يعيثون في البلاد حتى هلكت [1]

ثم ذكر المؤرخ بعد ذلك قيادة حمد البيك للثورة العاملية ضد الحملة المصرية حينما قررت الدول نزع سورية من يد ابراهيم باشا واخذت الدولة العثمانية تبذل جهودها في اثارة البلاد على القوات المصرية . وكان تحت قيادته ٨٠٠٠ رجل ومعه علي بك الاسعد المحمد حفيد اخيه . وقد اشتبك بالامير مجيد ابن الامير بشير اولا فردوه ثم ساروا الى حمص فانضموا الى الجيش العثماني واظهروا من ضروب البسالة والتدبير ما سر رجال الدولة فاستدعاه عزة باشا القائد العام واثنى عليه وعينه حاكما عاما لجبل عامل ولقبه بلقب شيخ مشايخ بلاد بشارة وعهد اليه بمطاردة جيش ابراهيم باشا في جنوب جبل عامل فعاد الى بلاده واخذ يطارد الجيش المذكور واشتبك معه في معارك في رميس ووادي الحبيس وشفا عمرو وكانت وقعة وادي الحبيس اهمها واسر من الجيش المصري فيها ٤٢٠ ثم سار الى صفد واجلا عنها عسكر ابراهيم باشا ووضع فيها متسلما من قبله اسمه الشيخ حمد الغزي وفعل مثل ذلك في طبريا والناصرة [2] .

ولما تم جلاء حملة ابراهيم باشا سنة ١٢٥٦ هـ اغدقت الدولة على حمد بك العطايا فاهدته سيفا قبضته مرصعة بالجواهر ووجهت اليه

---

(١) ص ١٨٣ ــ ١٨٤ ولعل ما جاء في هذه النبذة هو ما قصده في النبذة السابقة مما جرى من العسكر اللبنانيين .

(٢) ص ١٨٥ ــ ١٨٧ .

رتبة مدير الاسطبل العامر وفوضت اليه حكم الجبل كما كان اسلافه .
ونبذ عرب اللجاه وحوران طاعة الدولة فانتدبته لتأديبهم فجهز حملة
وعبر الجسر واخذ يلاحق العرب ويوقع فيهم الى ان اوعزت له الدولة
بالعودة الى مقر حكمه تبنين . وقد وجه اليه حمدي باشا مشير الجيش
الذي صار صدرا اعظم في سنة ١٢٦١ هـ كتاب شكر على اخلاصه
ونشاطه وبشره بتوجيه رتبة الوزارة العظيمة اليه ، فعظم صيته ونال
شهرة واسعة ومدحه الشعراء ووصفوا ما كان من فروسيته
وحروبه (١) .

ومما ذكره المؤرخ ويدل على ما كان من شأن وثروة بني الصغير
في ظل حمدان بك ان علي بك الاسعد تزوج سنة ١٢٦٢ هـ فاجتمع
الناس بمناسبة زفافه من جميع الديار الشامية من حضر وبدو وامراء
ووجهاء حتى جمعت وليمة الزفاف اربعين الفا وكانت الجفان والاواني
لا تعد ولا تحصى وامتدت للخاص والعام وغصت المنازل والبيوت وغطت
الخيام السهول وكان الناس كأنهم في محشر . وأغدق على الوفود العطايا
والهبات من خيل وسلاح وثياب ونقود بما يجل عن الوصف . وقد نظم
الشعراء قصائد عديدة في ذلك اليوم (٢) .

وقد طبق على البلاد تنظيم اداري جديد جعلها مرتبطة بالدولة
اكثر من قبل فخضعت بلاد عامل للتنظيم الجديد تحت حكم ورئاسة
حمد بك الذي استطاع ان يحتفظ مع ذلك بشيء من اصول الحكم
الاقطاعي حيث كان يعين للنواحي حكاما من ذوي قرباه ويجبي الضرائب
ويدفع مقدارا للخزينة عنها (٣) .

---

(١) ص ١٨٧ ـ ١٩٥

(٢) ص ١٩٥ ـ ١٩٧ .

(٣) ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

ومات حمد بك سنة ١٢٦٩ هـ فخلفه في الحكم علي بك الاسعد حفيد اخيه . وقد أحسن السيرة وصار الزعيم المطاع الذي يقف آل الصغير وآل منكر وآل الصعب عند أمره وكانت له عند الدولة قدم راسخة . وقد احكم صلاته بزعماء القبائل وغيرهم وغمرهم بالعطايا وارهبهم بكثرة السلاح والرجال . وكان مقصد اهل العلم والادب . وكان هو نفسه اديبا شاعرا . وكانت مكارمه تتجاوز الحد وكما كانت هيبته وسطوته تساعدانه على حل المشاكل .

ومما ذكره المؤرخ ان محمد سعيد باشا شمدين زعيم الاكراد في الشام اصطدم مع عقيل اغا رئيس عرب الهوارة فغلب وقتل اخوه فاستنجد بعلي بك فجهز له سرية من رجاله وامده بالذخائر حتى اضطر زعيم الهوارة الى المسالمة فعقد على يده الصلح بين الزعيمين . ثم جاء رئيس الهوارة اليه زائرا مع جماعة من رجاله فاكرمه اعظم الاكرام واغدق عليه هدايا وخلعا عظيمة بلغت قيمتها (٣٥٠٠٠٠) قرش عدا التحف الثمينة والقطع النفيسة من خناجر وسيوف وبنادق مفضضة ومذهبة ومرصعة [٢] .

ولما قامت الثورة في جبال النصيرية بقيادة اسماعيل خير بك الزعيم العلوي ورئيس المتاورة استعانت السلطة بعلي بك فجهز حملة وارسل انذارا للزعيم العلوي فما كان منه الا ان جنح للمسالمة واعلن الطاعة والخضوع [٣] .

وقد غدا من التقاليد ان لا يتم صلح ولا تعقد راية بين القبائل العربية الضاربة في جنوب سورية وشرقها الا في داره [٤] .

---

(١) ص ١٩٩ – ٢٠٧ .

(٢) ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٣) ص ٢٠٩ .

(٤) ص ٢٠٩ .

وحينما نشبت الفتنة الكبرى بين الدروز والنصارى سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م وقف علي بك من النصارى موقفا مشكورا حيث لجأ الى جبل عامل كثير منهم فآواهم واكرم مثواهم . ولقد وضع النصارى اموالهم أمانة عند الشيخ عبد الله نعمه والشيخ علي الحر في جباع فجاء الدروز ونهبوها فاسرع علي بك على رأس فرسانه الى الدروز ولكن الدولة تدخلت وسوت المسألة باعادة المنهوبات الى اصحابها [١] .

ولما جاء فؤاد باشا منـدوب السلطان للتهدئـة وترتيب الامور استدعى علي بك الى الشام وجعله عضوا في اللجنة العليا وصار يستشيره ويستعين به ، وقد بذل جهوده معه في التهدئة وانفق الاموال الطائلة في هذا السبيل . وكان معه ما يقرب من الف فارس من فرسانه الاشداء على نفقته . ولقد اقتضى الامر ان يتوجه بنفسه الى حوران فلما وصل اليها توافد عليه الزعماء من كل صوب [٢] .

وبعد هذا عقد المؤرخ نبذة عن انهيار حكومة آل الصغير وزوال حكم علي بك خاصة فقال انه كان لعلي بك ابن عم اسمه تامر بـك الحسين ، وكان ابوه الشيخ حسين السلمان العباس مندمجا مع الحركة المصرية وصديقا حميما للامير بشير فعينوه شيخا للمشايخ على ما ذكرناه قبل فاعتبر نفسه صاحب الحق في الرئاسة وصار ينافس علي بك فيها . وكان فؤاد باشا لما رأى ما لعلي بك من سلطان وهيبة ونفوذ عمد الى اذكاء التنافس بين بني العم لان الدولة كانت تعتزم تطبيق التنظيمـات القاضية على الحكم الاقطاعي ، فجهر بمنافسته فلم يفز بطائل ففارق البلاد سنة ١٨٦٢ م الى مصـر ونزل ضيفا على واليهـا سعيد بـاشا وطلب مساعدته على نيل المنصب كخليفة لابيه فانزله واكرمه ثم ذهب

---

(١) ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

(٢) ص ٢١١ — ٢١٣ .

الى الاستانة واخذ يبذل جهوده ويقـدم هداياه فوجهت اليـه رتبـة « سردركاه عالي [1] » ومنح مرتب ثم وجهت اليه الرئاسة أو المشيخة العليا على جبل عامل فلما عاد حشد انصاره وحشد ابن عمه علي بـك أنصاره واخذت الاشتباكات تقع بين الطرفين وتدخل والي صيدا فاصلح بينهما على ان يحتفظ علي بك بالرئاسة ويكون لتامر مقاطعتي هونين ومرجعيون ، وكان ذلك سنة ١٢٨١ هـ ١٨٦٤ م • غير ان الخلاف عـاد فنشب بينهما فاصدر علي بك منشورا بصفته حـاكم المقاطعة وشيـخ المشايخ بعزل تامر وتعيين ابن عم آخر له مكانه لولاية المقاطعتين • ولم يصادق الوالي على ذلك وطلب علي بك الى صيدا فجاء بموكب مؤلف من خمسمائة فارس شاكي السلاح حاملي الرماح وطبل وزمر ومعـه ابن عمه محمد • فطلب الوالي ابقاء تامر فابى فامتعض الوالي وأصر فأصر علي بك بدوره وهدد بالاستقالة فاعلن الوالي قبولها • وحينئذ حمله علي بك مسؤولية ما يقع في البلاد مما فيه تهديد ضمني بالثورة فامر الوالي قائد الجند باعتقال علي بك ومحمد استجابة لتحريض بعض أخصائه وتحذيرهم فاحتال القائد عليهما حيث دعاهما الى شرب القهوة فاعتقلهما وارسلهما مخفورين الى بيروت حيث لبثا في سجنها بضعـة اشهر • وخلال ذلك ألغت الدولة ولاية صيدا وربطت جبل عـامل بولاية الشام •

وامر الوالي باطلاق سراح علي بك ودعاه الى الشام واعدا ايـاه بالاعادة الى الحكم فذهب وابن عمه ولم يلبث ان ماتا واحد عقب الآخر بالكوليرا حسب الظاهر وبالسم حسب الظن • وحينئذ بادرت الحكومة الى توطيد حكمها المباشر فقسمت جبل عامل الى ثلاثة اقضية وهي صور

---

(١) جملة تركية فارسية معناها رئيس المنزل العالي .

وصيدا ومرجعيون وعينت لكل منها قمائمقاما وكان ذلك سنة ١٢٨٢ هـ ــ ١٨٦٥ م [١] .

وهكذا انتهت الزعامة العربية الاقطاعية في جبل عامل التي امتدت طويلا وتطورت اطوارا شتى اسوة بامثالها ، وقد تركت كما ترك امثالها آثارا مهمة لا تزال حية ماثلة في قلاع جبل عامــل وحصونه ومدنــه وقصوره وذكرياته وعنعناته ثم في وجاهة ومكانة ابناء الاسر التي برزت على المسرح وفي مقدمتها بنو الاسعد النصار من آل الصغير . ولقد انتقلت الزعامة الشعبية بعد علي بك الى اخيه خليل بك ثم الى ابن هذا كامل بك فكانا زعيمين جليلين بعيدي الشهرة ذائعي الصيت . وكان شبيب بن علي بك حدثا حينما مات ابوه فلما ترعرع اخذ ينافس كامل بك في الزعامة وحصل من الدولة على لقب باشا غير انه مات فصفت الزعامة لكامل بك . ولما مات خلفه فيها اخوه عبداللطيف بك ولما مات هذا خلفه فيها احمد بك الذي ما يزال حيا حين كتابة هذا الفصل والذي يتمتع بوجاهة اقطاعية شعبية امتدادا لما كان لاسلافه من ذلك [٢] .

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ٢١٤ ــ ٢٣٨ .

(٢) جبل عامل في التاريخ ج ١ ص ١٤٧ ــ ١٥٢ .

٦ — بنو الجنـدل

وهـذه اسرة عربية كان لهـا بروز في مجال الحكم والسلطان في بعض انحاء لبنان ـ الحالي ـ غير ان ما عثرنا عليه من تنف عنهـا لا يشفي غليلا كسابقاتها ولكنه يدل على ان بروزها في ذلك المجال كان ممتدا من القرن الخامس الهجري الى القرن الحادي عشر ، مما جعلنا نعقد لها هذه النبذة كذلك في هذا الفصل .

ولقد قال اسكندر المعلوف في كتابه تاريخ الامير فخر الـدين المعني الثاني دون ان يعزو الى مصدر [١] ان جندل بن قيس البقاعي كان من حكام البقاع وكان ذا شجاعة وعقل وانه حظي عند الملوك الفاطميـين فولوه وادي التيم سنة ١١٠٠ م (اواخر القرن الخـامس الهجري) . مع بلاد بشارة والشقيف وانه شيد قرية في سفح جبل الشيخ وحصن قلعتها فسميت قلعة جندل [٢] .

وان من سلالته الضحاك الذي تولى وادي التيم والبقاع وبعلبـك وغيرها في زمن الايوبيين وعرفت سلالته في بلاده باسم الجنادلة وفـي خارجها باسم البقاعيين ، وقد عصى الضحاك على نور الدين زنكي فضرب الحصار على قلعـة جندل حتى فتحهـا وخربها سنة ١١٦٠ هـ فكان ذلك آخر عهد الجنادلة .

وفي السياق خلط عجيب . فالايوبيون حكموا بعد نور الدين .

---

(١) ص ٢٧ — ٢٨ .

(٢) قال المعلوف ان هذه القلعة لا تزال قائمة وعلى عتبتها كتابة يونانية تسميها ساماآتي وان حولها مدافن يونانية حيث يدل هذا على ان جندلا انما أنشأ قريته وقلعته على انقاض قرية وقلعة يونانية .

ونور الدين توفي سنة ٥٦٩ ﻫ . غير ان هذا الخلط لا ينفي حقيقة بروز الجنادلة او البقاعيين في مجال الحكم والسلطان في انحاء البقاع ووادي التيم في زمن الفاطميين وامتداد حكمهم الى عهد الايوبيين .

وفي تاريخ الامير حيدر الشهابي نبذة في صدد هذه الاسرة يظهر من فحواها انها مصدر المعلوف فيما ساقه عن هذه الاسرة ونقلناه عنه آنفا وفيها بعض زيادات مهمة حيث جاء في الجزء الاول منه [1] ان نورالدين زنكي ولى سنة ٥٥٦ ﻫ ظهير الدين ابن كرامة بن بحترالتنوخي بلاد غرب لبنان ثم البقاع والقنيطرة وبرج صيدا والدامور التي كان صاحبها قبله الضحاك بن جندل ابن قيس من ذرية جندل البقاعي الذي كان يقال لبنيه من بعده في خارج ديارهم البقاعيين نسبة لابيهم جندل البقاعي وفي ديارهم الجنادلة نسبة الى اسم ابيهم جندل . وجندل هذا كان رجلا من البقاع حصل له الحظ في خدمة الملوك الفاطميين لانه كان ذا شجاعة وعقل فتولى على بلاد وادي التيم واليه تنسب قلعة جندل التي في سفح جبل الشام قرب راشيا الوادي . ومن بعض ذريته المقدم فايز . وقد اخذها الامير محسن . وقد بقيت بلاد وادي التيم لجندل في حياته ولبنيه من بعده الى ان ظهر من ذرية جندل ابو الضحاك المذكور . وكان شجاعا ذا تدبير ومعرفة طائلة فاستولى علىبلاد عامل وضمها الى بلاد وادي التيم . ولما توفي تولى ابنه الضحاك على ما كان في يد ابيه . وفي سنة ٥٢٨ ﻫ فتح شمس الملوك صاحب دمشق حصن الشقيف . ثم التحق الضحاك بعد ذلك بمجير الدين ارتق صاحب دمشق فلما فتح مجرالدين بعلبك واخذها من نجم الدين ايوب نائب عمادالدين زنكي سنة ٥٤٠ ﻫ ولى الضحاك ابن جندل عليها . وفي سنة ٥٤٩ ﻫ اخذ نور الدين منه بعلبك فرجع الى وادي التيم وفي سنة ٥٥٦ ﻫ اخذ

---

(١) ص ٣٥٠ – ٣٥١ نسخة مفيغب .

نور الدين منه وادي التيم واعطاه للامير ظهير الدين التنوخي كما ذكر ومن ظهير الدين اخذها الافرنج (ومن الافرنج اخذها الشهابيون على ما اوردناه في تاريخهم) .

وليس في نبذة الامير حيدر شيء عن حصار نور الدين لجندل واخذها مما جاء في رواية المعلوف ، مع ان كلام هذا متطابق حرفيا تقريبا مع رواية الامير حيدر .

ولقد ذكر ابو الفداء الضحاك واخذ نور الدين زنكي بعلبك منه ، ولكن في حوادث سنة ٥٥٢ هـ وليس في سنة ٥٤٩ هـ كما ذكر الامير حيدر حيث جاء في الجزء الثالث من كتابه[1] فقال ان نورالدين اخذ سنة ٥٥٢ هـ بعلبك من الضحاك البقاعي الذي كان تولاها من قبل صاحب دمشق . ولا يذكر ابو الفداء قلعة جندل ولا استيلاء نور الدين على وادي التيم وتوليته لظهير الدين . وكلامه في الجملة مؤيد لحكم الضحاك بعلبك في زمن نور الدين الذي حكم من سنة ٥٤١ هـ الى سنة ٥٦٩ هـ ووادي التيم في البقاع وهذه البلاد بشكل ما من امتدادات بعلبك .

ولقد ذكر الضحاك ابن الاثير ايضا في حوادث سنة ٥٢٨ هـ حيث روى ان شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق سار في هذه السنة الى حصن شقيف تيرون واخذه من الضحاك بن الجندل رئيس وادي التيم ، وكان هذا قد تغلب على الحصن وامتنع به وتحاماه المسلمون والافرنج . ومما قاله ابن الاثير ان الافرنج عظم عليهم اخذ شمس الملوك لذا الحصن لان الضحاك كان لا يعترض بشيء من بلادهم المجاورة له .

والخبر مؤيد لما تقدم وابن الاثير اقرب عهدا لتاريخه . وكلامه

---

(١) ابو الفداء ج ٣ ص ٣٣ .

قد يفيد ان رئاسة وادي التيم او حكمه كان موطدا في يد الضحاك امتدادا لما كان عليه الامر في عهد اسلافه من قبله .

ولقد قال المعلوف في سياقه الذي اوردنا بعضه قبل انه اطلع على مخطوطات تاريخية تدل على ما كان لهذه الاسرة من زعامة موطدة في ايام حكم الاسرة المعنية ـ دون بيان آخر مع الاسف ـ حيث يفيد هذا ان زعامة وبروز هذه الاسرة في مجال الحكم الاقطاعي ظل ممتدا الى القرن الحادي عشر الهجري .

٧ ـ بنو فريـخ

وهذه كذلك أسرة عربية كان لها بروز في مجال الحكم والسلطان في البقاع التي هي الآن في نطاق لبنان • ولم نعثر الا على نتف من اخبارها وفيها ما يدل على انه كان لبعض رجالها حيز عظيم في ذلـك المجال مما جعلنا نعقد لها هذه النبذة ايضا •

ولقد ذكرها اسكندر المعلوف في كتابه تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني بعد كلامه عن ابن الحنش وعزوا الى تاريخ ابن زنبـل المار ذكره فقال [1] ان نائب الشام بعد ان قضى على ابن الحنش عين مكانه اميرا عربيا آخر هو الامير منصور بن فريخ وان سلطانه اتسع حيث تولى البقاع وصفد وعجلون وامارة الحج ، وانه شيد كثيرا من العمارات في قب الياس ودمشق وغيرها •

ومع ان المعلوف لا يذكر اولية سابقة للامير منصور الا ان نعته اياه بالامارة وخبر تعيينه محل ابن الحنش يدلان على ما هو المتبادر على انه كان سليل اسرة ذات شأن وبروز في منطقة البقاع •

ويستفاد من سياق اورده المعلوف عن اوليات حكم الاميرفخرالدين المعني الثاني [2] ان الامير منصور بن فريخ كان متواثقا مع يوسف سيفا باشا والي طرابلس فوشى باشارة منه بالامير قرقماز المعني والـد الامير فخر الدين الثاني واتهمه بالتواطيء على نهب خزينة السلطـان في عكار مما كان سببا لنقمة الدولة عليه وفراره ومأساة هلاكه فـي

---

(١) ص ٢٧ ــ ٢٨ •

(٢) ص ٦٠ ــ ٦٩ •

مغارة شقيف على ما ذكرناه في سيرة بني معن . فلما تولى فخر الدين الثاني وعلم بما كان منه ضد ابيه حقد عليه وكان الانتقام منه اول واهم بوادره حيث سعى به حتى اثار غضب الدولة عليه وجعلها تصدر امرها بالقبض عليه وعلى ابنه الكبير قرقماس . وكان الاب في الحجاز بصفته امير الحج فاعتقل والي الشام ابنه وسجنه في قلعة دمشق غير انه تمكن من الفرار وجاء الى قرية بوارش في البقاع فتحصن فيها . وعلم الاب بما وقع فهام على وجهه وتعقبه وزير الشام حتى ظفر به وشنقه ثم اصدر امرا باستباحة دماء اسرته وامواله واوعز للامير فخر الدين بمطاردة الابن فزحف على بوارش ففرقرقماس منها والتجأ الى ابن سيفا . وقبض الامير على ابن الفلاحة من الاسرة الفريخية وقتله وارسل رأسه الى دمشق ثم اعمل يد النهب والتحريق في املاكه وامواله ، وعهد الى الامير موسى الحرفوش بتعقيب قرقماس فما زال يسعى حتى ظفر به وقتله . وكان ذلك في سنة ١٠٠٣ هـ

والمتبادر ان الامير منصور هذا هو غير الامير منصور الذي ولاه نائب دمشق بعد ابن الحنش لان هلاك ابن الحنش كان في سنة ٩٢٤ هـ في حين كان بدء حكم الامير فخر الدين الثاني سنة ٩٩٩ هـ . ومن العادات العربية تسمية الابناء باسماء الاجداد فيكون منصور الامير فخر الدين حفيد المنصور الذي عينه نائب الشام محل ابن الحنش وبالتالي تكون مدة حكم هذه الاسرة اليقينية بلاد البقاع نحو ٧٨سنة بالاضافة الى احتمال امتداد بروزها وحكمها بصورة ما الى ما قبل تعيين منصور محل ابن الحنش على ما ذكرناه قبل .

ولقد ترجم المحبي في كتابه خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر الامير منصور وذكر معظم ما ذكره المعلوف مع بعض زيادات ومغايرات ، فوصفه انه امير البقاع بعد اولاد الحنش وانه كان في اول امره بدويا ثم انتهى امره الى ان حاز الامارة ، وكان يبغض

اللصوص وقطاع الطرق ويعاملهم بالقتل والتمثيل وكان يحب اهـل الشجاعة حتى عظم امره فولي حكومة البقاع ثم اعطى حكومة نـابلس وانحاز اليه جماعة من جند دمشق واخاف الدروز وشن الغارات عليهم وكان السبب في مجيء ابراهيم باشا والي مصر اليهم وقتل مقتلة عظيمة منهم واختفاء اميرهم قرقماس بن معن وموته في اختفائه . وجمع لـه بين حكومة نابلس وصفد وعجلون والبقاع وامارة الحج والتزم مـالا عظيما على صفد ونابلس وجعل نابلس باسم ولده وعجلون لواحد من جماعته يقال له دلي علي وصفد باسمه واقام في البقاع حاكما من قبله وسافر بالحج مرتـين في سنتي ٩٩٨ و ٩٩٩ هـ ثم زاد عتوه وتمرده وخرب بلادا كثيرة وقتل خلقا كثيرا وعمر عمارات عظيمة بالبقاع فـي قرية قبر الياس وشرع في عمارة دار عظيمة له خارج دمشق قبلي دار السعادة لم يرسم مثلها جعل بابها بالرخام الابيض والحجر الاحمر المعدني ونقل اليها الرخام من بلاد السواحل والحجارة من البقاع . وكان مع ما هو فيه من التعدي ملازما للصلوات محبا لاهل السنة واهلها مبغضا للرافضة والدروز والتيامنة (اهل وادي التيم على الارجح ومعظمهم دروز) شديدا على المفسدين . ولما تولى مراد باشا نيابة الشام خدمه الامير فخر الدين بن معن (الثاني هو المقصود) بخدمة سنية ـ وهذه العبارة كانت تعني انه قدم اليه هدية او رشوة ـ واطمعه بكل جزئية وكلية فعمل على قبض صاحب الترجمة وهو أمن منه بعد ان أمره بعمل ضيافة له في بيته الذي ابتناه عند الدرويشية ثم امره ان تكون الضيافة في دار السعادة ولم يشعر الامير الا وقد احيط بـه واودع قلعة دمشق وحصل الوالي على امر من السلطان مراد بقتله فقتله سنة ١٠٠٢ هـ [1] .

---

(١) ذكر المحبي في سياق ترجمته الامير موسى بن علي الحرفوشي امير بعلبك هـذا الحادث بشيء من الزيادة فقال انه قبض على الامير علي والامير منصور الفريـخ والامير

وقد خلف عشرة اولاد اكبرهم قرقماس الظالم العسوف وكـان يقيم حين قتل والده ببوارش من ارض البقاع فارسل مراد باشا الـى فخر الدين يأمره بكبسه فتوجه اليه في جمع عظيم من الدروز والتيامنة وجاءه النذير قبل وصولهم ففر ومعه مئة بندقاني الى بلاد كسروان فعمدوا الى بيوتها فنهبوها وحرقوها ونقلوا محاسنها الى بلادهم • ولم يقبله ابن سيفا فتشرد الى ان قتله الامير موسى بن الحرفوش سنـة ١٠٠٣ هـ بمواطأة مع الامير فخر الدين بن معن •

وواضح من سياق المحبي انه انما ترجم للامير منصور معـاصر الامير فخر الدين الثاني وانه خلط بينه وبين الامير منصور الاول الذي عين مكانه بن الحنش سنة ٩٢٤ هـ على ما ذكرناه قبل • والترجمة تنطوي على تنويه كبير بما كان عليه هذا الامير من مكانة ووجاهة وطموح وثراء وبروز قوي •

قانصوه ـ ولا يذكر هوية هذا ـ وارسلوا الى الروم ـ أي الى الاستانة ـ غير ان الفريخ والحرفوش خلصا في الطريق وعادا ولكن مراد باشا تمكن من القبض عليهما وخنقهما سنة ١٠٠٢ (ج ٤ ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣) •

٨ — الموارنة وامراؤهم ومقدموهم وحكامهم

— ١ —

الموارنة في لبنان تاريخ طويل اسبغ عليهم سمة متميزة تعني معنى سياسيا اكثر من كونهم مجرد طائفة دينية . وقد قام على حكمهم امراء ومقدمون منهم وظلوا يمارسون الحكم والقيادة فيهم الى ما بعد الفتح العثماني بمئة وخمسين سنة . ثم صار يبرز منهم في ظل امرتي بني معن وبني شهاب اللتين صارتا تشملان جميع لبنان وتتجاوزانه الى الخارج أسر اقطاعية سجل لها التاريخ نشاطا غير يسير في صدد قيادة الموارنة وزعامتهم ايضا .

والموارنة ليسوا ارومة واحدة . وانما هم مجموعة جمعتها النحلة وتكونت شخصيتها التاريخية المتميزة مع الزمن .

فمنهم من كانت اقامته في لبنان ممتدة الى ما قبل الاسلام بل والى ما قبل المسيحية ايضا . وهم انسال الكنعانيين الفينيقيين والآراميين السريانيين [١] الذين يتفق الباحثون على انهم من الجنس السامي حسب الاصطلاح المشهور الخاطيء ومن الجنس العربي حسب ما يجب ان يصطلح على تسمية الجنس السامي لانهم موجات جاءت الى بلاد

---

(١) الفينيقيون هم الفوج الكنعاني الذي توطن في لبنان وسواحله وسموا بالفينيقيين بعد توطنهم هنا والسريانيون هم الآراميون والتسمية اطلقت عليهم بعد المسيح .

الشام من الجزيرة العربية [1] • ومنهم من طرأ طروءا على لبنـــان قبل الاسلام • وهم الذين اتوا بالنحلة او التسمية المارونية ونشروها بـين الذين نزلوا بين ظهرانيهم • وهناك مؤرخون يقولون ان هؤلاء ايضا سريانيون أي آراميين كانوا يقيمون في سورية الشمالية واستجابوا لدعوة تلامذة قديس برز في اواخر القرن الرابع الميلادي اسمه مارون كـــان من القـــائلين بالمشيئة الثنـــائية للمسيح خلافا لجمهور المسيحيين الوطنيين الذين عرف مذهبهم بالمذهب اليعقوبي القائل بالمشيئة الواحدة واشتهر بالتقوى والنسك واتخذ صومعة له في جبل قورش قرب افامية علـــى ضفة العاصي ــ بـــين حماه وحمص ــ وصار له صيت بشفاء الامراض وتبعه تلامذة ومريدون كثيرون ، ومات سنة ٤٣٣ م فنشط تلامذته في نشر دعوته وانشأوا كثيرا من الاديار كـــانت مجـــالس للمتوحدين ومدارس لاقتباس العلوم ومنازل يأوى اليها الغرباء واقتنوا حقولا ومزارع لتقوم بأودهم واقاموا مكان صومعة قديسهم ديرا سموه باسمه صار اعظم اديارهم وكان يضم ٨٠٠ راهب ، واخذ يقع بينهم وبين خصومهم في المذهب جدل ونقاش ونزاع ، وقد تألب هؤلاء عليهم ونالوهم بالاذى فحفز ذلك جماعات منهم الى التسلل الى جبل لبنان

---

(١) انظر مقدمة الجزء الاول من تاريـخ الجنس العربـي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار للمؤلف وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستد ص ١٧٠ ــ ١٧٢ و ١١٥ ــ ١٣٤ و ٤٠٦ و ١٥٤ ــ ٢٦٣ و ٢٦٧ وما بعدها وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفستون ص ١ ــ ١٦ و٥٤و ٦١ ــ ٦٤ و ١٢٠ ــ ١٢٤ و ٢٧٤ــ٢٩٤ وتاريخ العرب قبل الاســـلام لجواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها والاساس في الامم السامية ولغاتها لعطية الابراشي ص ١٥ ــ ٣٧ والاسلام والمسيحية في لبنان ص ٢٠ ــ ٢١ وتــريع الابصار لامارتين ج١ ص ٧٣ــ٧٤ ولبنان لجنة من الادباء ص ١٨١ والتاريخ العام بالتركي لاحمد رفيق ج ١ ص ٣٠١ وتاريخ سورية للدبس مجلد ١ ج ١ ص ٢٥٥ وما بعدها وتاريخ سورية لجرجي بني ص ١٣ ومابعدها و ٣٥١ ــ ٤٨٩ وتاريخ كلدو واقور لاديشير ج ٢ ص ٢٧ والقرون القديمة بريستيد ص ٩٤ ومقدمة الحضارات القديمة طه باقر ج ١ ص ١٣٩ وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتى تعريب حداد ص ٦١ وما بعدها .

واتخاذه معصما والتبشير بدعوتهم بين الذين نزلوا بين ظهرانيهم من اهلــه .

وكان خصومهم يسمونهم موارنة ومارونيين على سبيل الازدراء ولم يأنفوا هم من التسمية فلم تلبث ان غدت علما عليهم وعلى من انتحل نحلتهم [1] .

---

(١) تاريخ الموارنة المفصل للمطران الدبس ١ ــ ٢٤ وتاريخ سورية الجزء الثالث المجلد الخامس له ايضا ٥٣٢ ــ ٥٤١ والمؤلف يستند في اقواله الى مصادر عديدة خطية ومطبوعة وشرقية وغربية ولبنانية . وقد جاء في كتاب تاريخ الطائفة المارونية للبطرك الدويهي المتوفي في سنة ١٧٠٤ م ان هناك خمسة آراء في تعليل تسمية الموارنة . الاول نسبة الى مارون الراهب الذي كان موافقا لرأي الكنيسة الرومانية حيث اجتمع الافرنج في مدينة انطاكية حينما وقع الشقاق بين الامم الشرقية وحدث الاختلاف في مذاهبهم واختاروا الراهب مارون وأقامه رسول البابا الكردينال مطرانا على البترون وجبل لبنان وسواحل البحر ليقوم على حفظ اهلها ويضبط سكان السواحل في طاعة الحبر الروماني ويصونهم من تعاليم الملة اليعقوبية والروم المقيمين في تلك البلاد ــ وتعاليم هؤلاء ان للمسيح مشيئة واحدة ــ ولما ارتقى مارون الى درجة الرئاسة قوي رأي الكنيسة الرومانية وشد أزر معتنقيه ــ وهو ان للمسيح مشيئتين ــ ليس في امور الديانة فقط بل وفي العوارض الدنيوية حيث اقام ابن اخت له اسمه ابراهيم اميرا على تلك البلاد فقوى امرها وجعلها كفؤا لصد الاعتداء عليها وفي هذه الاثناء ارسل ملك الروم يوستنيان جيشا فلاقاهم ابراهيم وانصب عليهم مع قومه في سهل اميون ومزق كتائبهم فارتد اليه غالب بلاد الشام وانقادوا لطاعة الكنيسة الرومانية وضعف رأي اليعاقبة . ومارون هذا خال الامير ابراهيم يؤرخ وجوده المؤرخون في أواخر القرن السابع للميلاد ! والرأي الثاني رأي المؤرخ سعيد بن بطريق من رجال القرن العاشر وهو نسبة الموارنة الى مارون الــذي كان في دولة مورين ملك الروم وأنشأ بدعة محدثة وهي ان للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وأقنوة فافسد بمقاله اناسا كثيرين وانقادوا لهديانه فسموا موارنة باسمه ولما مات دفنوه بارض حماة قريبا من العاصي وشادوا على اسمه ديرا ولقبوه بدير مارون . والرأي الثالث قول بارنيوس المؤرخ الذي يقول ان الموارنة اما انها نسبة الى مارون المدينة المتاخمة لانطاكية أو الى البار مارون الذي انتشرت قداسته في صقع جبل تورش واشتهر رهبان ديره بالعلوم وحسن الديانة . والرابع هو قول القلاعي وهو ان الاسم نسبة الى البار مارون بطرك انطاكية الذي أعاد كثيرين من اليعاقبة الى الايمان المستقيم وبشر بحقيقة الطبيعتين ثم دخل جبل لبنان وعزز شأن البابا وقبله اهل تلك البلاد بفرح وسرور . والرأي الخامس هو قول ابن

والمطران الدبس الذي هو من جملة من يقرر ماقدمناه يسمي هو وغير واحد من المؤرخين [1] الموارنة باسم آخر هو المردة ويقولون ان الموارنة سموا بهذا الاسم لانهم كانوا يتمردون على السلطان العربي الـذي قام في بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين والدولة الاموية • غير ان هناك من يقول ان اسم المردة آت من اسم بني مراد الذي هو اسم قبيلة عربية كهلانية كانت منتشرة في سورية الشمالية الى حدود كليكيا وكانت تدين بالنصرانية اسوة بكثير من القبائل العربية التي كانت في بـلاد الشام والجزيرة الفراتية • وان جمـاعات منهـا اعتنقت دعوة الراهب مارون مخالفة لجمهور النصارى في بلاد الشام فصار يقع بينها وبينهم منازعات جعلتها او جعلت جماعات منها تتسرب الى جبل لبنان [2] ويبدو هذا أكثر وجاهة من حيث ان في القول بان اسم مردة اطلق على تلك الجماعات منذ الزمن البعيد لانهم كانوا يتمردون شيئا من التكلف حقـا •

ومن الجدير بالذكر ان كتب التاريخ منذ اخذت تذكر الموارنـة والمردة وتاريخهم واحداثهم واسماء امرائهم ومقدميهم بعـد الفتـح الاسلامي لم تذكرهم كعنصر متميز بلغته وارومته عن العروبـة ممـا يمكن ان يكون فيه دعم لذلك من حيث انهم من قبيلة صريحة العروبة لم تلبث اذ طبعت انسال السكان القدماء الذين نزلوا بين ظهرانيهم ونشروا فيهم نحلتهم والذين يمتون الى الجنس العربي بطابعها العربي الصريح •

الفرج وهو انهم سموا بالموارنة لانهم ربانيون متمسكون بايمـان الرب • ويمحص الدويهي الاقوال وينتهي الى الرأي الذي لخصناه في المتن (ص ٨ ــ ٩٦) •

(١) منهم الدويهي في تاريخ الموارنة والشدياق في كتابه اخبار الاعيان ولامانس اليسوعي في كتابه تسريح الابصار •

(٢) كتاب الاسلام والمسيحية في لبنان ص ٤٠ ــ ٤١ للدنتردار • ويعزو مؤلف الكتاب هذا الى العلامة المحقق الحاقلاني ويقول ان الطران يوسف دريان نقلة عنه في كتاب البراهين الراهنة في اصل المردة والجراجمة والموارنة •

وعلى كل حال فالقدماء الاصيلون ، والطارئون سواء أكانوا من قبيلة صريحة العروبة أم من الآراميين فهم يمتون الى الجنس العربي كما هو الواضح • وقد انسكبوا في بوتقة العروبة الصريحة بعد الفتح الاسلامي وغدت العروبة طابعهم الشامل الخالد •

وبالاضافة الى هاتين الجماعتين اللتين يرجع عهد اقامتهما في لبنان اصلا وطروءا الى ما قبل الاسلام فقد طرأ على لبنان جماعات عديدة بعد الاسلام اعتنقت النحلة المارونية واندمجت في الشخصية المارونية • وكثير منهم ان لم نقل معظمهم يمتون الى العروبة الصريحة [1] كبني الخازن وبني حبيش وبني اللمع وبني شهاب وغيرهم ، ومن هؤلاء من برز ايضا في مجال الزعامة والقيادة المحلية •

فكل هذا كما هو المتبادر يسوغ افراد فصل خاص لهم في هذا الكتاب يعرض فيه تاريخ الذين برزوا على مسرح الحكم والسلطان في لبنان منهم اسوة بالارومات العربية الاخرى •

وسنقصر الكلام في هذا الفصل على سيرة الامراء والمقدمين والحكام والولاة منهم • اما الاسر الاقطاعية المارونية الاخرى التي برزت في ظل امارتي بني معن وبني شهاب فسوف نعرض سيرتها في فصل الاسر الاقطاعية الاخرى في لبنان •

ومصادر تاريخ امراء الموارنة ومقدميهم عديدة • وقد رأينا اوفاها واجمعها هو كتاب المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل للمطران الدبس •

---

(١) في لجزء الاول من تاريخ الجنس العربي للمؤلف قسم الجنس العربي الى دورين دور العروبة غير الصريحة وهو الذي لم يكن الجنس العربي فيه يتسمى باسم العرب والجزيرة العربية باسمها هذا والذي منه الآشوريون والكلدانيون والبابليون والاراميون والكنعانيون والفينيقيون والمصريون والاحباش والسبئيون والمعنيون الخ ، ودور العروبة الصريحة الذي صار الجنس العربي يتسمى باسم العرب وصارت اللغة العربية الصريحة لغة له كالحميريين واللخميين والغساسنة الخ ....

فهو حديث التأليف والطبع نوعا ما [1] • وقد استند الى مصادر كثيرة منها القديم ومنها الحديث ومنها المطبوع ومنها المخطوط ومنها اللبناني ومنا الافرنجي • فعولنا عليه في كتابة هذا الفصل مع اقتباس ما رأيناه من زيادات او مباينات في اخبار الاعيان للشدياق [2] وتاريخ الموارنة للدويهي [3] مع التنبيه على ان الكتابين هما من جملة مصادر كتاب الدبس •

ونريد ان ننبه على امر وهو ان كتاب الدبس قد احتوى التاريخ الديني والمدني معا للموارنة واحتوى القسم الديني فيما احتواه تراجم البطاركة والاساقفة واخبار الخلافات الدينية والمجامع الدينية الخ ••• وسوف نقتصر في اقتباسنا على التاريخ المدني لانه هو الاشد صلة بموضوع كتابنا •

— ٢ —

ولقد ساق الدبس سياقا عجيبا لا يخلو من المبالغة والتهويل بل والمفارقة في صدد الدور الاول لنشاط الموارنة او المردة في مجال السياسة والحكم واسماء امرائهم فيه حيث يقول [4] • انه كان في

---

(١) طبع سنة ١٩٠٥ •

(٢) في هذا الكتاب فصلان عن امراء المردة أولهما في نسبتهم وثانيهما في سيرتهم • والمهم هو الثاني •

(٣) مؤلف هذا الكتاب البطرك اسطفان الدويهي المتوفى عام ١٧٠٤ وقد نشره رشيد الخوري الشرتوني سنة ١٨٩٠ في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت •

(٤) المفصل ص ٤٧ — ٥٨ وتاريخ سورية للدبس المجلد الخامس والجزء الثالث ص ١٠٤ — ١٢٢ ويعزوا ما ساقه الى مخطوطة سريانية كتبت سنة ١٣١٥ م ورد ذكرها في كتاب للسمعاني وفي كتاب الدويهي والى مؤرخ اسمه ديلاروك في سياق كلامه على عهد قسطنطين اللحياني ملك الروم في مبادىء حكم العرب •

مبدأ دولة العرب أي في اواسط القرن السابع الميلادي والربع الاول من القرن الاول الهجري على جبيل ملك منهم اسمه يوسف وعلى المنطقة الداخلية ملك اسمه كسرى ومن اسمه اخذت منطقة كسروان اسمها ، وانه كان في خلافة عمر بن الخطاب على قيسارية ملك منهم اسمه ايوب ثم خلف ايوبا ملك اسمه الياس كان ينجد هرقل بجيشه حينما توجه الى بلاد الشام ، وانه تولى بعد هؤلاء على جبيل وجبل لبنان ملك اسمه يوسف ثم خلفه ملك اسمه يوحنا . وان هذا استحوذ على الارض المقدسة ـ فلسطين ـ وقد خرج من لبنان الى الكرمل بجمع غفير ماضيا الى اورشليم فخرج عليه لصوص كثيرون من محل الرغيزيين احدقوا به وقتلوا من جماعته ثلاثة آلاف ولكنه استطاع ان يجمع جيش قومه وان يكر عليم ويقتل منهم تسعة آلاف ويغنم كثيرا من اموالهم ودوابهم ويسبي كثيرا من نسائهم واطفالهم . وانه جهز اثني عشر الف فارس وسار على رأسهم الى البقاع وحلوا في قب الياس وشرعوا يغزون الجبل الشرقي ويشنون الغارات ويقطعون الطرق على الناس واستطاعوا ان يستحوذوا على قسم كبير من سورية وينزلوا الرعب بسكان البلاد من اورشليم الى دمشق الى تخوم بلاد العرب . وكانت اعالي جبل لبنان قلاعا حصينة لهم . وقد ابتنوا مدنا وقرى عديدة . وكانوا كماة يحسنون الرمي وكان فرسانهم احسن الفرسان ورجالهم اشجع الرجال . وقد عزا هذه البيانات الى مؤرخ اسمه ايلاروك سردها في سياق كلامه عن عهد قسطنطين اللحياني ملك قسطنطينة في مبادىء الحكم العربي .

ثم يقول ان هذه التعديات وامثالها المستمرة التي كانت بتحريض الروم لارباك الدولة العربية وتهيئة الفرصة لاسترداد البلاد منهم حملت معاوية ثم حملت عبد الملك بن مروان من بعده على مراسلة ملك الروم قسطنطين اللحياني وطلب الصلح منه مقابل جزية يدفعانها اليه . وينقل

عن المؤرخين توافان وشورانس في سياق تاريخ عهدي ملكي الـروم قسطنطين اللحياني ويوستنيانس الاول اقوالا لتأييد كلامه فيها بعض التضارب والمبالغة بدورها ملخصها ان المردة خرجوا من لبنان ــ وفي رواية شورانس دخلوا الى لبنان ! ــ وضبطوا ما كان بين الجبل الاسود المعروف اليوم بالجبل الاقرع فوق السويدية الى المدينة المقدسة اورشليم واستحوذوا على قمم لبنان وانضم اليهم كثيرون من العبيد والاسرى والوطنيين حتى اصبح عددهم الوفا كثيرة وخشي معاوية العاقبة فارسل لقسطنطين اللحياني يطلب منه الصلح فوافق فارسل وفدا عقد صلحـا لمدة ثلاث سنين على ان يدفع العرب للروم كل سنة ٣٠٠٠ ذهب و ٨٠٠٠ اسير و ٥٠ جوادا ــ وفي رواية شورانس ١٠٠٠٠ ذهب و ١٠٠ عبد وليس فيها اسرى ــ وان غارات المردة تواترت الى عهد عبد الملك بن مروان فارسل الى الملك يوستنيانس الاول وطلب تجديد الصلح فوافق وارسل وفدا عقد الصلح ثانية على ان يمنـع الـروم غـارات المردة ويصدوهم عن العرب مقابل ان يدفع هؤلاء كل يوم الف دينار وجوادا وعبدا وان يتقاسم الملكان خراج قبرص وارمينيا وان ملك الروم ارسل عقب ذلك قائدا ابعد ١٢٠٠٠ من المردة •

ومما رواه الدبس في السيـاق نفسه عزوا الـى السمعـاني ان يوستنيانس جهز جيشا سيره الى سورية واشاع انـه لمحاربة العرب ودفع الى قائد جيشه خلعا سلطانية ورسالة مشرفة ليسلمها الى امير لبنان وامره بمقابلة الامير منفردا وقتله حينما تسنح له الفرصة وان القائد قابل الامير يوحنا في قب الياس • وبينما كان يتناول الطعام على مائدته اشار الى جنوده فوثبوا عليه وقتلوه ونشبت اثر ذلـك معركة بين الروم والمردة كان النصر فيها للروم • ثم عمد القائد الـى تهدئة غيظ المردة ومجاملتهم •

وقال لهم ان القسطنطينية محفوفة بمخاطر شديدة ومهددة بالعرب

والفرس وهي في أشد الحاجة الى مساعدتهم واكثر لهم الوعود فهـدأ المردة نتيجة لذلـك واقـاموا سمعان بن اخت يوحنا اميرا ومشى هذا مع قائد الروم ومعه اثنى عشر الفا من قومه الى ارمينية للمساهمة فـي الدفاع عن بلاد الروم • وهناك احتال عليهم الملك فابقاهم فلم يرجعوا الى لبنان [1] •

وبالاضافة الى هذه الاخبار العجيبة الـذي اوردها الدبس فـانه ذكر ان يوستنيانس الاخرم ملك الروم أراد ان يرسل قائدا لاحضار بطرك الموارنة يوحنا مكبلا بالحديد لانه امتنـع عن حضور مجمـع ديني دعا اليه لاقرار المشيئة الواحدة للمسيح وخالفه ودافع عـن المشيئتين وان هذا القائد أشاع انه آت لقتال العرب وحينما بلغ سورية مع جيشه وثب على دير مارون وقتل من رهبانه ٥٠٠ ودمره وتحول من هناك الى قنسرين والعواصم وخربهما وقرض اصحـاب المشيئة الواحدة عن آخرهم (والسياق يقتضي ان يكون الذين ضربهم اصحاب المشيئتين) ولم يتوقف عن قتل احد من اصحاب الايمان القويم ! ثم جاء الى طرابلس وخيم مع جيشه في السهول المجاورة فاستولى الرعب على أهل البلاد وخضع سكان الكورة واقروا بالمشيئة الواحدة والتجأ اصحاب المشيئتين الى الله واستغاثوا وصلوا فاستجاب لهم ولم يلبثوا ان وردت رسائل الى بطركهم يوحنا واميرهم سمعان من قـائـد اسمه لاون كان يحارب العرب في الشام وكان المردة يتضامنون معه فقام بينهم وبينه محبة ومودة يبشرهما فيها بخلع يوستنيانس وارتقـائه الى العرش مكانه ويأمرهما بضرب الجيش الذي عندهم • ولم يكد الخبر

---

(١) ان الدبس يروي عن تاريخ الدويهي ان المردة امروا عليهم سمعان ابن اخت الامير المقتول فمشى في اثني عشر الفا الى ارمينية ومنها اجتاز الى بلاد تراكية والعبارة تفيد انه فعل ذلك لاخذ ثأر خاله القتيل من الروم • ويقول الدبس معلقا على هذه الرواية انهـا غير صحيحة وان الصحيح هو ما اورده قبل نقلا عن السمعاني !!

يذاع حتى وثب الاهالي على الجيش واخذوا يفتكون فيه حتى شتتوا شمله بعد قتل مقتلة كبيرة منه من جملتهم القائد نفسه !

والتهويل والمفارقة يكتنفان هذه الروايات التي وردت في سياق الدبس ، لانها تعني فيما تعنيه وجود دولة واسعة السلطان نافذة السطوة والسيطرة في منطقة شاسعة من بلاد الشام إبان قيام الدولة الاموية تصول وتجول وتعتدي وترهب وترعب دون ان تقدر هذه الدولة على منعها وايقافها عند حدها وترى نفسها مضطرة الى الالتجاء الى ملوك الروم للقيام بهذه المهمة ويرسل هؤلاء جيوشهم الى قلب بلاد الشام ويقومون بالمهمة ويبعدون اثنى عشر الفا من رجال الحرب من المردة بالحيلة او بالقوة ويعودون كما دخلوا بسلام ! ولا يقف الامر عند هذا فان ملك الروم يرسل في ظروف خلاف ديني جيشا يقتل نصارى بلاد الشام ويدمر اديرتهم في سورية ويصل الى طرابلس لارغام الموارنة على اتباع مذهب المشيئة الواحدة ويضطر بعضهم الى تغيير مذهبهم خوفا وتقية . ثم يثب الموارنة على هذا الجيش حينما ينزاح الملك الذي سيره عن العرش ويفتكون فيه !

ولقد بدأ مؤرخو العرب يدونون احداث القرن الاول الهجري في القرن الثاني [1] . وقد دونوا كل ما وصل اليهم من غث وسمين من احداث داخلية وخارجية وحربية وغير حربية ولم يكادوا يغفلون شيئا .

فلو كان ما ذكرته مصادر الدبس من حركات المردة الخطيرة في داخل الدولة الاموية وصلاتها بالروم حقيقية لاشاروا اليها .

---

(١) نقول هذا ولو لم يصل الينا كتب تاريخية مدونة في القرن الثاني . فان ابن هشام والطبري وغيرهما يروون عن مؤرخين اقدم منهم كما هو معروف .

ولقد ذكروا حقا في حوادث سنة ٧٠ هـ إبان احتدام النزاع بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير أن قائدا من قواد الضواحي في جبل اللكام دلخل بلاد الشام على رأس جماعات من الجراجمة والانباط والروم وأباق العبيد وجاؤوا الى لبنان فاعتصموا به واخذوا يعيثون في البلاد فسادا فحاسنهم عبد الملك لاشتغاله بابن الزبير ورتب لقائدهم الف دينار في الاسبوع ثم ارسل مولي له اسمه سحيم مع ثلة من الشجعان الثقاة فاحتالوا على قتل القائد فتشتت عصاباته (١) .

وأين هذا الذي يمكن ان يكون واقعا متسقا مع مجرى الاحداث والظروف والمنطق من تلك الروايات العجيبة . والصلة الراهنة التي يمكن ان تكون بين هذا الحادث والمردة هو اعتصام هذه العصابات بجبل لبنان واحتمال ان يكون المردة أو جماعات منهم قد اندمجوا في حركاتها وان يكون بعضها قد بقي في لبنان فاندمج في المردة او ان يكون بعض المردة قد خرج مع من خرج منها حينما تشتت !.

واستحالة الروايات على الوجه المروي تبدو واضحة اذا ما تذكرنا ان الصراع كان على أشده بين العرب والروم منذ بدء الدولة الاموية . وقد استن معاوية منذ سنة ٤١ هـ الغزوات الصيفية والشتوية السنوية من البر والبحر واستمر ذلك طيلة خلافته (٢) ثم طيلة خلافة خلفائه الى آخر القرن الاول وقد اخترقت جيوش معاوية ثم جيوش سليمان ابن عبد الملك احد خلفائه الاناضول من أوله الى آخره حتى وصلت الى القسطنطينية وحاصرتها فليس من المعقول أولا ان تكون الدولة

---

(١) ابن الاثير ج ٤ ص ١٤٩ .

(٢) في الجزء الرابع من الطبري سلسلة متصلة من اخبار الغزوات الصيفية والشتوية البرية والبحرية في عهد معاوية انظر ص ١٣٠ ـ ٢٣٨ واخبار هذه الغزوات في عهد خلفائه في الجزء الخامس .

في عهد معاوية في مثل هذه القوة وتسكت عن حركات المردة المزعجة في بقعة شاسعة من بلاد الشام التي كانت مركز قوة الدولة الاموية وحيويتها وخاصة ان عهد معاوية كان خاليا تقريبا من الاضطرابات الداخلية التي يمكن ان تشغله عن هذه الطائفة او تجعله يغضي عن حركاتها المزعجة ! وليس من المعقول ثانيا ان يلتجيء معاوية الى ملك الروم الذي يغزو بلاده كل سنة اكثر من مرة ومن اكثر من ناحية ويطلب منه ان يحمل هذه الطائفة على الكف عن حركاتها ! وليس من المعقول ثالثا ان يوافق ملك الروم على ذلك مقابل بضعة آلاف دينار في السنة وينفذه بل ويسحب بسبيل ذلك من مقاتلي هذه الطائفة الاشداء (١٢٠٠٠) مقاتل في حين ان الروم هم الذين كانوا يحركونها ويحرضونها وكانوا يترقبون كل فرصة ويبذلون كل جهد لازعاج الدولة العربية والتشويش عليها والكرة على البلاد التي اجبرهم العرب على تركها وقلوبهم تتقطع حسرات عليها ! وليس من المعقول رابعا ان يدخل جيش رومي الى بلاد الشام فيعيث في شمالها ويقتل النصارى المخالفين لمذهب الروم حتى يكاد يمحوهم ويدمر ديارهم ثم يصل الى طرابلس للقضاء على البقية الباقية منهم دون ان يكون قد اصطدم بقوات الدولة الاموية وتغلب عليها ويكون عف مع ذلك عن بسط سلطان دولته على بلاد الشام عودا على بدء وهو ماكان ينبغي ان تزعمه تلك الروايات لاتمام فصول هذه المستحيلات [1] . !

---

(١) في كتاب تاريخ الطائفة المارونية للدويهي نبذة منقولة عن مختصر تاريخ ابن القلاعي جاء فيها فيما جاء ان امير الموارنة وصل في حركاته المزعجة الى البقاع وقتل كثيرين من اهلها ونهبها فلما انتهى امره الى عبد الملك بن مروان ارسل اليه هدية كانه يريد مصادقته وكان يقصد بذلك اصطياده ولم يزل يمكر به حتى قتله وقتل كثيرين من عسكره وابعد الموارنة عن البقاع . (ص ٩٨) وهذا يتسق مع كلام ابن الاثير كما هو واضح . وان جاء في سياق ابن القلاعي كلام كثير فيه كثير من التخليط ايضا (انظر ص ٩٩ ــ ١٠٠) .

وينتقل الدبس من غمرة رواياته العجيبة الى بعض صفحات مـن النزاع الديني ثم الى تاريخ الموارنة في القرن الثامن الميلادي فيقول ان الموارنة بعد ان خضدت شوكتهم نتيجة لابعاد الاثني عشر الفـا من مقاتليهم الى خارج لبنان آثروا الانقياد والطاعة للحكم العربي وتفرغوا لشؤونهم المعاشية ، وان حلم الخلفاء وصعوبة مسالك لبنان وتعـذر احراز الثروة فيه جعلهم في مأمن من السطو والمزاحمة وكان الخلفـاء يولون عليهم ولاة منهم .

وقد ذكر منهم الامير ابراهيم بن اخت القديس يوحنا البطرك الذي توفي سنة ٧٢٨ وقال انه لم ير ان يذكر اسماء غيره من الامراء الذين ذكرهم غيره بعد وفاته الى القرن الرابع عشر الميلادي . لانـه ليس لديه أدلة قاطعة على صحة ذلك . وانه يقتصر على القول انه ليس فـي جبل لبنان ـ ويقصد من هذا التعبير منطقة كسروان وبشرى واهـدن على ما يفيده سياقه ـ اثر اسلامي كالمساجد والمآذن يعود الى قبل القرن الثالث عشر يمكن ان يدل على قيام حكام ورعايا من المسلمين طيلة هذه الحقبة وان هذا يدل على ان جبل لبنان ظل لسكانه النصارى تحت حكم أمراء منهم . مع وجود مسلمين وآثار اسلامية في الشطوط الممتدة من صيدا الى طرابلس وفي سفح لبنان الغربي وضعهم الملوك المسلمون بعد ان طردوا الافرنج في اواخر القرن الثالث عشر ليكونوا حاجزا بين هؤلاء ان عادوا الى بلاد سورية وبين نصارى جبل لبنان .

على انه مع ذلك ذكر سلسلة البطاركة الموارنة الذين تولوا الرئاسة الدينية في القرن الثامن وهم يوحنا ثم قورس ثم جبرائيل الاول ثم يوحنا الثاني الذي سمي بمارون ثم يوحنا الثالث [١] .

---

(١) تاريخ الموارنة ص ١٥٧ ـ ١٦٢ وتاريخ سورية المجلد الخـامس الجزء الثـالث ص ٢٩١ ـ ٢٩٢

كذلك لم يذكر شيئا ذا بال يفيد تاريخا عن حالة الموارنة المدنية في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر حتى ولا عن بطاركتهم لقلة من كتبوا في تلك الايام أو لتلف ما كتبوه • ولكنه ذكر كتاب صلاة قديم فيه اسماء عدد من البطاركة الذين تولوا رئاستهم الدينية وهم توافيلس وغريغوريوس واسطفانوس ومرقس وأوساييوس ويوحنا ويشوع وداود وغريغوريوس وتوافيلس ويشوع ودميط واسحق ويوحنا وسمعان وارميا ويوحنا وسمعان وقد ذكر الكاتب ان الاخير كان يدبر امر الطائفة عند كتابة الكتاب في سنة ١١٢٠ م [١] •

ولقد قال الدبس في الفصل الذي عقده على تاريخ الموارنة المدني في القرن الثاني عشر ان الخلفاء الذين كانوا يولون على الموارنة ولاة منهم الى القرن الحادي عشر استمروا على ذلك في القرن الثاني عشر وما بعده ايضا فظل الموارنة متمتعين بنوع من الاستقلال الاداري • ولما فتح الافرنج سورية وملكوا مدنها الساحلية لم يعترضوا النصارى سكان لبنان في أمورهم ولم يمسوا ما كانوا عليه من استقلال بدليل اننا لم نرهم نصبوا عمالا على غير المدن الساحلية كما اننا لم نقف على ما يدل على انهم حاربوا سكان لبنان ولا على ان هؤلاء السكان استسلموا لهم ولم نقف على ما يدل كذلك على ان الحكام المسلمين استعانوا بهم على حرب الافرنج او جندوا منهم جنودا • ولو كانوا يحكمونهم حكما مباشرا كما كانوا يحكمون سكان السهول والمدن الساحلية لما اهملوا طلب النجدات منهم كما كانوا يصنعون مع هؤلاء • بل لو كان للولاة المسلمين حكم نافذ فيهم لما استطاع الافرنج التمكن في طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا لاكتناف الجبل هذه المدن [٢] حيث

---

(١) الجزء الثالث المجلد الخامس من تاريخ سورية ص ٢٩١ ــ ٢٩٨ و ٣٦٥ــ٣٦٧ و ٤٥١ ــ ٤٥٣ •

(٢) تاريخ الموارنة المفصل ص ١٨٧ ــ ١٨٨ •

يريد ان يقـول ان سكان الجبـل أو الموارنة كانوا في هذا الظرف مستقلين استقلالا تاما لا ولاية لاحد عليهم من المسلمين والافرنـج على السواء • وقد قال الدبس بعد ذلك انه لا يمكن القطع بصحـة ما روي من اسماء امراء الموارنة وسني حكمهم ولكن مما لا ريب فيه ان لبنان كان تحت حكم امرائه • واورد نص حاشية كتبها البطرك ارميا العشميتي حيث ذكر فيها ان ملك جبيل والاساقفة ورؤساء الكهنة استدعوه والقوا قرعة فاصابته فاقاموه بطركا كدليل على انه كان في جبيل امير ماروني وعلى ان هذا كان شأن بقية المناطق أو المدن الجبلية • ثم ذكر خبر رسالة كتبها لويس التاسع ملك فرنسة حينما جاء الـى عكا في اواسط القرن الثاني عشر موجهة الى امير الموارنة بجبل لبنـان وبطركهم واساقفتهم يخبرهم فيها بقدوم الامير سمعان وتقديمه اليـه الهدايا الفاخرة كدليل آخر على أنه كان للموارنة في هذه الحقبة امراء وملوك منهم يتولون حكمهم [1] •

وفي الفصل الـذي عقده المؤلف على بطاركة الموارنة في القـرن الثاني عشر قال فيما قال ان الافرنج لما قدموا الى سورية في آخـر القرن الحادي عشر كان بطرك الموارنة يوسف الجرجسي • ولما فتح الافرنج اورشليم واقـاموا غودو فروا ملكا واختاروا بطركـا لاتينيـا ارسلوا وفدا الى البابا اوربانس الثاني يخبرونه بذلك ويبشرونه بالفتح فارسل يوسف الجرجسي مع وفدهم نائبا عنه ورسالة الى الحبر الروماني يحقق بها طاعته له وتشبثه بالايمان الكاثوليكي فوصل الرسل الى روما بعد موت اوربان فتسلم الرسائل التي يحملونها خلفه بكاليس الثـاني وسر بها وارسل الى بطرك الموارنة تاجا وعكازا وكان البطرك يقيم فـي ذلك الوقت في يانوح من عمل جبيل [2] •

---

(1) تاريخ الموارنة المفصل ۱۸۷ — ۱۸۸ •

(2) ص ۱۸۹ تاريخ الموارنة المفصل •

وهذا الكلام يفيد ان الموارنة كانوا متصلين بالافرنج متواثقين معهم منذ قدومهم الى بلاد الشام ، مع ان سياق الدبس او تقريراته السابقة توحي بانهم كانوا في عزلة عنهم ! وقد ذكر الدبس في هذا السياق اسمي بطركين توليا البطركية بعد يوسف الجرجسي وهم المار بطرس فغريغوريوس من حالات فيعقوب الاول من رامات البترون .

ولم يذكر الدبس في سياق تاريخ الموارنة المدني في القرن الثالث عشر الا الحروب التي جرت بين الجيوش الاسلامية والموارنة بسبب ما كان من مخامرتهم مع الافرنج ونجدتهم لهم في حروبهم مع المسلمين وخاصة في أواخر ايامهم في بلاد الشام في اواخر القرن الثالث عشر الميلادي التي اشتدفيها نشاط ملوك مماليك الترك في سبيل تصفية الافرنج واسترداد ما بقي في ايديهم .

ولقد تعددت هذه الحروب . وكانت اولى الوقائع التي ذكرها الدبس في هذا السياق في سنة ١٢٨٣ م حيث زحفت القوات الاسلامية على منطقة جبة بشرى فصعدت الى وادي حيرونا شرقي طرابلس وحاصرت اولا اهدن حصارا شديدا وملكتها وسلبت ما فيها وخربت قلاعها ثم سارت نحو بقوفا ففتحتها وقبضت على اكابرها واحرقتهم بالبيوت ودكتها الى الارض واعملت يد النهب والسلب فيها ثم اعملت السيف باهل حصرون وكفر صارون ثم زحفت الى الحدث فهرب اهلها الى مغارة منيعة تعرف باسم العاصي فيها صهريج ماء فقتلت من ادركته منهم وخربت القرية وهدمت جميع الاماكن الحصينة . وخامر معها ابن الصبحا من كفر سغاب فاقترح عليها اقتراحا سهل لها فتح قلعة بوقا فأذنت له بلبس العمامة البيضاء واستخدام العبيد [١] .

وكانت ثانية الوقائع في سنة ١٢٨٧ م — ٦٩١ هـ حيث زحفت

---

(١) ص ٢١٨ — ٢١٩ .

القوات الاسلامية على كسروان والجرد لان اهلهما نزلوا لنجدة الافرنج حين حصار المسلمين لطرابلس وقتلو اخلقا كثيرا من عسكر السلطان • وكانت القوات الزاحفة بقيادة سنقر المنصوري وكان معه امراء الغرب التنوخيون جمال الدين حجـا بن محمد وزين الدين بن علي • وقـد استطاع الموارنة صد الزاحفين وكسرهم وهزيمتهم [١] •

وكانت ثالثة الوقائع في سنة ١٢٩٢ م وكانت القوات الزاحفة بقيادة الامير بيدرا نائب دمشق • وقد استطاع الموارنة صد الزحف وكسره وهزيمته ايضا ونال الكسروانيون ما لم يكن في حسابهم من قتل ونهب وظفر حتى لقد أتهم بيدرا بالارتشاء منهم [٢] •

وفي سنة ١٣٠٢ م ــ ٧٠٢ هـ نزل الافرنج على نهر الدامور ــ وهذا بعد جلائهم النهائي عن بلاد الشام ــ فتصدى لهم الامراء التنوخيون فانكسروا وقتل عدد منهم فرفعت الشكوى الى نائب دمشق ضـد الكسروانيين والجرديين ــ لانهم ظاهروا الافرنج على ما هو المتبادر ــ فزحف نائب الشام ونائب طرابلس بقواتهما عليهم •وهذه الواقعةالرابعة• وقد اجتمع مقدمو الجبال واستعدوا وتمكنوا من هزيمة الزحف وقتـل كثيرين من الزاحفين واغتنام مدينة جبيل • وكان عدد المقدمين الذين قادوا الموارنة ثلاثين كل منهم كان يقود الفا • وقدم الاكراد الى نجدة القوات الاسلامية فصدهم كمين كان المقدمون رتبوه حتى لم يخلص منهم الا القليل • وكان نجم الدين محمد واخوه شهاب الدين احمـد ولدا جمال الدين حجا من الامراء التنوخيين من جملة القتلى • ثـم غزا الجرديون بلاد التنوخيين واحرقوا منها عين صوفر وشلمك وعـين زوينة وبحطوش وغيرها •

---

(١) ص ٢٢١ •

(٢) ص ٢٢١ •

وقد ذكر الدبس في هذا السياق اسماء خمسة من المقدمين قال انهم هم المشهورون وهم خالد مقدم مشمش وسنان واخوه سليمان مقدما ايليج وسعادة سركيس مقدم لحفد وعنتر مقدم العاقورة وبنيامين مقدم حردين • وقد كان الاخير من قتلى الموارنة في هذه الواقعة [١] •

وكانت خامسة الوقائع في سنة ٧٠٥ هـ ـ ١٣٠٥ م • وكان اهل كسروان قد طغوا وبغوا وتطاولوا بالاذى معتمدين على حصانة جبلهم وكثرة جموعهم • وقد ارسل نائب دمشق اليهم وفدا من العلماء يدعوهم الى الطاعة فابوا فأفتى العلماء بحربهم فأمر بتجريد العساكر اليها من كل جهة حتى بلغ عدد الرجالة نحو خمسين الفا وزحف على رأسها وانضم اليها نائبا صفد وطرابلس برجالهما • وقد صعدت القوات الى جبل كسروان ووطأت أرضا لم يكن سكانها يظنون ان احدا يطأها • وتمكنت هذه المرة من التغلب عليهم • وقد قتلت منهم خلقا كثيرا وخربت بيوتهم وقطعت كرومهم فذلت تلك الجبال بعد العزة • وامر الملك الناصر محمد بن قلاوون تركمان الكورة بان ينزلوا في سواحل كسروان ليحافظوا عليها من الافرنج [٢] •

ويلحظ ان الدبس لم يذكر امراء للموارنة في هذا السياق • وقد قال انهم منذ القرن الثالث عشر شرعوا يسمون حكام مدنهم او قراهم الكبيرة مقدمين بدلا من امراء [٣] • ويصدف هذا الوقت لزمن تصفية الامارات الصليبية في مختلف انحاء الشام ونجاح ملوك الايوبيين ثم ملوك مماليك الترك في استرداد القسم الاكبر من البلاد من الافرنج حيث يسوغ ان يقال ان امرة الموارنة التي كان لها شيء من السيادة

---

(١) ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ •

(٢) ص ٢٢٣ ـ ٢٢٦ •

(٣) ص ٢٣٦ •

أو الرئاسة الشاملة على مناطق جبل لبنان قد زالت وصارت كل مدينة او منطقة او قرية كبيرة تحت حكم زعيم منها لقبه « مقدم » .

وقد ذكر في سياق الواقعة الحربية الرابعة ان عدد المقدمين الذين قادوا الموارنة ثلاثون . ولا يمكن الجزم بان هذا العدد هو جميع الذين كانوا يمارسون مهمة المقدمية وان كان هذا محتملا اكثر من حيث ان الموارنة تجمعوا جميعهم لصد الزحف . وقد ذكر الدبس اسماء الذين كانوا على خمس مقدميات وقال انهم هم المشهورون . ويظهر انه لم يقف في المصادر التي كانت في متناوله على اسماء غيرها فاعتبرها انها هي المشهورة .

وفي سياق تاريخ الموارنة في القرن الرابع عشر الذي يسوقه الدبس ما يدل على ان المقدميات ليست وظائف شخصية وانما هي زعامات اقطاعية وراثية . ولقد جاء في هذا السياق نقلا عن اخبار الاعيان للشدياق خبر وفاة غزال القيسي الماروني مقدم العاقورة سنة ١٣٧٥ م وانه لم يخلف ولدا ذكرا وان ابنته زوجة جرجس الملقب بالشدياق هي التي ورثته [١] .

وقد ذكر في هذا السياق الحروب التي جرت سنة ١٣٨٨ م بين عساكر الملك الظاهر برقوق ـ الشركسي ـ ومنطاش نائب دمشق التركي المتمرد على هذا الملك ، وكان عسكر الشام والعرب ـ البدو ـ والتركمان واهل كسروان والجرديون منحازين الى منطاش . وقد حاربو عسكر مصر تحت قيادته وانتصروا عليهم وهزموهم [٢] .

كذلك ذكر في هذا السياق خبر نشوب القتال بين امراء الغرب التنوخيين من جهة وعشران البر من اهل كسروان والتركمان بقيادة

(١) ص ٢٣٦ .

(٢) ص ٢٣٧ .

امرائهم اولاد الاعمى من جهة • وقد انتصر هؤلاء على اولئك وقتلوا منهم عددا كبيرا ونهبوا ما وجدوه من املاك الامراء التنوخيين في بيروت واحرقوا لهم عدة قرى • ثم ذكر خبر كرة عسكر الدولة الشركسية مع الامراء التنوخيين وانتصارهم وقتلهم اولاد الاعمى وجملة كبيرة من جماعتهم ونهبهم زوق ميكائيل احد مراكز التركمان [1] •

وكلمة عشران عنوان جديد قال الدبس ان بعضهم فسرها بمعنى المتطوعين للقتال وانه يظن انها جمع عاشر وهو الذي يؤمن المارة من اللصوص • ويتبادر من هذا ان الكلمة تعني قيادة دركية محلية لحفظ النظام • وسياق ذكرها يسوغ القول انها كانت ذات شخصية محلية خاصة •

ومما ذكره الدبس في سياق تاريخ القرن الرابع عشر ايضا ان الملك الظاهر برقوق اقام الشدياق يعقوب بن ايوب مقدما على بشرى وكتب له ذلك بصحيفة من نحاس • وقد نقل هذا الغرر الحسان وقال ان عبارته هي « كتب له ان يكون شيخا [2] » ومع ان هذا يفيد ان تعبير المقدم هو من الدبس فان ما اورده في سياق تاريخ الموارنة في القرن الخامس عشر يدل على ان هذا اللقب ظل قائما يطلق على حكام الموارنة وقادتهم •

وقد ذكر في سياق تاريخ القرن الخامس عشر خبر وفاة يعقوب هذا سنة ١٤٤٤ وولاية اولاده المقدمين سيفا وقمر ومزهر وزين وبدر من بعده • وقد عزا هذا الى الديهي وقال نقلا عنه كذلك

---

(١) ص ٢٢٧ •

(٢) ص ٢٢٧ تاريخ الموارنة المفصل •

انهم أجروا العدالة في حكمهم فاستراح اهل البلاد في ايامهم كما كانوا في ايام والدهم [٢] .

والكلام يفيد ان مقدمية بشرى في هذا الظرف كانت صاحبة الحكم الشامل على المنطقة . وليس في السياق ما يدل على ان اولاد يعقوب الخمسة كانوا شركاء في الحكم في مركز واحد ام كان كل منهم يتولى منطقة لحدته .

ثم ذكر الدبس نقلا عن الدويهي ايضا ان سيفا بن المقدم يعقوب مات فخلفه في المقدمية ابنه عبد المنعم الاول . وتوفي هذا سنة ١٤٦٩ م فخلفه رزق الله ابن اخيه جمال الدين . وتوفي هذا سنة ١٤٧٢ م فخلفه ابن اخيه عبد المنعم الثاني . وان الراحة كانت مستتبة في زمنهم فقصد الجبل كثيرون من البلاد البعيدة لما اشتهر عنه من اخبار الامن . وقد كثر العمران في عهدهم وانشئت كنائس ومدارس عديدة . وممن ذكر الدبس قدومهم الى الجبل اولاد جمعة الذين تركوا حليا وتوطنوا بشرى . واولاد شاهين الذين جاؤوا من صدد الشرق وسكنوا حصرون والخوري يوحنا والقس ايليا واخوهما الشدياق جرجس اولاد الحاج حسن الذين انتقلوا من نابلس وحلوا في حد شبيت [٢] . ويلحظ من الاسماء ان بعض الاسر كانت في اصلها مسلمة ثم اندمجت في النحلة المارونية التي حلت بين اصحابها .

ويلحظ ان الكلام انحصر في هذا السياق في ولاية عبد المنعم بعد ابيه سيفا ورزق الله بعد عمه عبد المنعم وعبد المنعم الثاني ابن اخي رزق الله أي في ذرية سيفا دون اخوته الذين لم يرد في السياق شيء

---

(١) ص ٢٤٦ والمستفاد من سياق الدبس في اماكن كثيرة ان كلمة الشدياق لقب ولكننا لم نر تفسيرا لهذا اللقب ولا بيانا عن منشئه .

(٢) ص ٢٤٧ .

عنهم بعد ذكرهم لاول مرة باستثناء قمر الذي صار لبعض حفدته شأن وذكر على ما سوف نذكره بعد قليل .

ويذكر الدبس بعد هذا ان شقاقا وقع في جبل لبنان سنة ١٤٨٧ م بسبب عبد المنعم الثاني . فانه لما خلف عمه في المقدمية احب أسرة بني عطشة التي كانت منحرفة الى مذهب المشيئة الواحدة ، فأدى ذلك الى تحزبات ثم الى قتال . وكان عبد المنعم يحمي اصحابه المنحرفين وينذر من يعتدي عليهم بالنفي والمصادرة . وقد استمر الشقاق والشر سبع سنوات أي الى وفاة عبد المنعم سنة ١٤٩٥ م حيث تولى المقدمية ابنه جمال الدين يوسف الذي كان راسخ الايمان فانقشعت الغمة [١] .

ومع ان سياق الدبس الاول يدل كما قلنا على شمول حكم مقدمي بشرى فانه ذكر في آخر فصل تاريخ المورنة المدني في القرن الخامس اسم خليل بن مقلد وقال ان الدويهي ذكر انه كان مقدم العاقورة في اواسط هذا القرن حيث يسوغ هذا ان يقال انه ظل يقوم في القرى أو القرى المهمة على الاقل مقدمون لهم الحكم المحلي فيها .

وفي فصل تاريخ الموارنة المدني في القرن السادس عشر ذكر الدبس خبر وفاة يوسف مقدم بشرى سنة ١٥١٤ م وولاية ابنه الياس بعده ، وذكر في السياق ان البطرك سمعان الحدثي التمس من البابا لاون العاشر ان يكتب رسالة الى المقدم الياس ليكون غيورا على قومه وان البابا اجاب الالتماس وانفذ اليه الرسالة المطلوبة يوصيه فيها بالعناية بامر الدين واليقظة لسياسة ملته [٢] . وهذا شيء جديد لم يذكر مثله من قبل .

---

(١) ص ٢٤٧ ــ ٢٥٠ ، يلفت النظر الى الاسماء العربية الاصيلة التي كان يظن انها خاصة بالمسلمين والتي تسمى بها اولاد يعقوب واحفاده مثل قمر وبدر ومقلد ومزهر وجمال الدين وعبد المنعم وزين مما له مغزى خطير في صدد اتساق الاندماج الماروني العربي ، وقد استمرت مثل هذه التسميات بعد ذلك وتكررت كثيرا على ما سوف يرد بعد .

(٢) ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧ .

وتوفي الياس سنة ١٥١٩ م وترك ابنا قاصرا اسمه يوحنا فتغلب على المقدمية كمال الدين بن عبد الوهاب المعروف بابن عجرمة من قبطو الذي تزوج بست الملوك بنت الشيخ علوان بن قمر من بشرى وكانت ذات ثروة عظيمة •

على ان الدبس استدرك قائلا ان حكم كمال الدين كان للجهة الشمالية من البلاد وان بشرى والجهة الجنوبية ظلت في عهدة المقدم يوحنا الذي تسمي باسم عبد المنعم وساق سياقا فيه دليل على ذلك وفيه خبر قتل يوحنا لعبد الوهاب وقتل يوحنا واولاده •

وقد جاء في هذا السياق انه كان في سنة ١٥٣٧ م اجتماع في بلوزا جاء المقدم بشرى لحضوره فلم يستقبله عبد الوهاب ولم يقف له حين دخوله مكان الاجتماع فما كان منه الا ان طعنه برمحه فارداه قتيلا • واجتهدت زوجته في أخذ ثأره فاستدعت حماده رئيس الحمادية الذين قدموا من بلاد العجم الى قهمز بلبنان واتفقت مع نصارى ملكيين ــ من القائلين بالمشيئة الواحدة ــ من عين حلبا فكمنوا للمقدم وقتلوه ثم دخلوا داره فقتلوا اولاده فانقرضت بذلك ذرية المقدم سيفا وانتقلت مقدمية جبة بشرى الى ذرية قمر اخيه حيث تولاها رزق الله احد احفاده [1] •

وقد ذكر الدبس ان رزق الله تولى المقدمية من قبل الامير منصور ابن عساف التركماني حيث يفيد الخبر ان امرة آل عساف كانت امرة شاملة لجميع المنطقة وقد وصف رزق الله هذا بالجد في تعمير البلاد وجباية مال الحكومة [2] •

---

(١) و (٢) ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨ ان الشدياق يذكر ان اتفاق ست الملوك مع حمادة وقتله لعبد المنعم كان سنة ١٥٤٧ مع تأييده ان قتل عبد المنعم لابن عجرمة كان في سنة ١٥٣٧ انظر أخبار الاعيان ص ٢١٧ وكلام الدبس يوهم ان حماده هو رئيس الحمادية الاول مع ان قدوم بني حمادة كان في اواسط القرن الخامس عشر . والمتبادر انه اسم على اسم الجد القديم على ما سوف نذكره في سيرة بني حمادة .

ويلحظ ان الدبس قال ان ست الملوك التي تزوجها ابن عجرمة هي بنت الشيخ علوان بن قمر من بشرى • وليس في السياق مـا يدل على ان قمر هذا جد رزق الله أو غيره • هذا مع انه يتبادر ان اسم ابن عجرمة « كمال الدين عبدالوهاب » اسم اسلامي اكثر منه نصراني • ومع ذلك فمن الحق ان نسجل ان النصارى بما فيهم الموارنة كانوا في تلـك الظروف يتسمون باسماء تبدو اليوم اسلامية فقط مثل جمال الدين وعبد المنعم واولاد جمعة واولاد الحاج حسن على ما مر في سياق الكلام السابق حيث يدل هذا على ما كان من تشابك الاسماء والانساب بين النصارى والمسلمين نتيجة لاتساق الاندماج العربي الماروني •

وقد ذكر الدبس خبر مقتل المقدم رزق الله سنة ١٥٧٣ م في سياق عجيب • فقد كان له اخ سيىء السيرة اسمه عاشينا اتهم بتشليح قفـل لمسلم فرتب له اخوه من اغتاله ليخلص من جرائره فطالب صاحب القفل رزق الله بما سلبه اخوه منه فتنصل من ذلك فترقبه حتى جاء الـى طرابلس ودخل الحمام فاحتال على عمامته فوسمها بسمة بضاعته • ولما خرج من الحمام امسكه وقال له لا يحل لك ان تأكل مال مسلم ثـم أخذه الى القاضي واراه سمة بضاعته علـى العمامة فادانه القـاضي فربطوه في ذنب حصان واجروه حتى قضي نحبه [1] • والسياق يفيد ان السلطان الاسلامي كان نافذا شاملا في منطقة الموارنة فـي هـذا الظرف •

وتولى المقدمية بعده من قبل الامير منصور عساف اخوه داغـر وابن اخيه موسى • ولكنهما لم يهنئا فيها طويلا • فقد قتل في هذه الاثناء شخصان من بني الشلندي في بشرى فنزلت اسرتهما الى طرابلس وشكت على المقدم داغر فامر الامير منصور جابي المال بقتله ففعل ثم الحق بـه

(١) ص ٢٧٨ •

شريكه عسافا ، وولى جبة بشرى ابا سلهب القريعي وكان ذلك في نفس السنة التي تولى المقدمان فيها [(١)] . وبعد قليل وقعت النفرة بين ابي سلهب وانسبائه من جهة وبين اهل بشرى وقدم هؤلاء شكوى ضده فعزله الامير وولى مكانه مقلدا ابن الياس واشرك معه الشدياق يوسف ابا رعد المعروف بخاطر بن الشدياق شاهين الحصروني . وكانت اهدن في هذا الظرف تدار مستقلة من قبل ثلاثة من الشمامشة [(٢)] .

وفي سنة ١٥٧٩ قدمت شكوى ضد الامير منصور فامر السلطان بجعل طرابلس باشاوية لكسر شوكته وعين يوسف باشا سيفا التركماني ــ والصحيح الكردي لان بني عساف هم التركمان ــ واليا فطلب هذا المقدم مقلدا والشدياق خاطرا فهرب الاول الى الشوف حيث مات فيها . ثم رضي الوالي عن الشدياق فاعاده الى ولاية جبة بشرى واشرك معه فيها الشدياق باخوس بن صادر الحدشيتي . ومات باخوس سنة ١٥٩٤م فخلفه في الشركة ابنه الشدياق فرج[(٣)] . ثم قال الدبس انه اشتهر في هذا العصر الشيخ حبيش بن موسى بن عبدالله وهو اول البارزين من بني حبيش الذين سوف نذكرهم في نبذة خاصة في فصل الاسر الاقطاعية في لبنان لان سيرتهم تتحمل ذلك . وذكر الدبس بعد ذلك [(٤)] ، مالك ابن الغيث وقال عزوا الى البطرك الدويهي انه من اعيان الموارنة وحكامهم وكان سنة ١٥٢٣ م حاكما على العاقورة وصاحب همة واقدام وانه ذهب مرة الى الشام واقام فيها مدة فاغتنم المتاولة فرصة غيابه وانتقلوا من مراجل الى قرية تدمر التي فوق يانوح فعمروها واستوطنوها . وعلم الشيخ

---

(١) ص ٢٧٨ ويستفاد من سياق الدبس في اماكن مختلفة ان تعبير جبة بشرى كان يعني المنطقة وما فيها من قرى .

(٢) ص ٢٧٨ .

(٣) ص ٢٧٩ .

مالك بذلك فحمل عليهم وطردهم واخذ ما كان لهم الى العاقورة • وفي سنة ١٥٣٤ م قام خصام بينه وبين هاشم العجمي فكبس مالك جبة المنيطرة مرتين ــ ويظهر انها منطقة هاشم وان هذا كان شيخا عليها ــ واحرق قراها فاتفق اهل هذه القرى ومن كان من حزب القيسية في العاقورة وكمنوا لمالك ــ الذي كان يمني النعرة ــ في طريق الجرد وقتلوه فسار حنش وحرفوش اخواه الى دمشق وشكوا لنائبها فكتب الى الامير منصور عساف ــ الذي كان واليا على طرابلس ــ بالقبض على الغرماء وارسالهم اليه فارسل الامير منصور من يتعقب هاشما والقاتلين ففروا الى بعلبك لاجئين الى الامراء الحرافشة وسعى ابن عم مالك لديهم ووعدهم بالمساعدة على نيل ولاية واقطاعات الامير منصور اذاهم اخذوا بثأره فقبلوا وغدروا بهاشم وقتلوه •

ثم توجس اهل العاقورة قيسيين ويمنيين من تفاقم الشر بينهم ففر القيسية منهم الى طرابلس واليمنية الى دمشق وخلت العاقورة من السكان سبع سنين [١] •

ثم ذكر الدبس بعد ذلك الشيخ ايوب ابن الشماس توما من العاقورة واخاه فضول وقال عزوا الى الدويهي انهما سعيا في تعمير قريتهما ونالا اذنا من نائب دمشق بارجاع سكانها اليها وبقيامهما على مشيختها ، وانه ولد لايوب ثلاثة بنين وهم هاشم وضاهر ورعد وان اشهرهم هاشم جد آل هاشم مشايخ قورة [٢] •

ثم ذكر الدبس اولية بني الخازن الذين سوف نذكرهم في نبذة خاصة لان سيرتهم تتحمل ذلك •

ثم ذكر الشيخ يوسف بن شكيبان الحصاراتي وقال عزوا الى

---

(١) ص ٢٨٠ ــ ٢٨١ •

(٢) ص ٢٨٢ ويلفت النظر هنا ايضا الى تسمية هاشم لشخص ثم لاسرة مارونية •

الدويهي ان عبد الساتر الكردي حاكم البترون اراد ان يتمرد في سنة ١٥٣٢ م على الامير منصور عساف فجهز له من قتله وقتل اباه وولى مكانه الشيخ يوسف المذكور لاشتهاره بالنزاهة والعدل والشجاعة [١] .

وفي فصل تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر ذكر الدبس خبر وفاة الشدياق خاطر الحصروني والي جبة بشرى سنة ١٦١٢ وتولى ابنه الشدياق رعد مكانه وتزوجه بست البنات بنت المقدم مقلد من المقدمين العناحلة ـ نسبة الى قرية اسمها عين حليا ـ ، ويقال انه كان يسيء معاملتها ويتهددها بالقتل فدست له سما في دجاجة اكل منها هو واخوها جمال الدين بن مقلد فماتا وانقرضت بجمال الدين سلسلة العناحلة . وقد ولى يوسف سيفا مكانه ابا عاشينا شلهوب ابن بنت المقدم عاشينا الاول ، ونازعه الولاية نعمة وداد وجرجس اولاد الشدياق خاطر فأتمر عليهم مع الحاج سليمان الملكي كاتب ديوان طرابلس فقبض الوالي على نعمة وداود وسجنهما واستنزف ثروتهما ثم امر بخنقهما وقبض ابو عاشينا شلهوب على اخيهما جرجس واغرقه في النهر . واستمرت ولاية ابي عاشينا تسع سنوات . وفي سنة ١٦٢١ م كبس ابنه عاشينا دير مارتوما بحصرون وقتل القس دانيال العكاري طمعا بدراهمه فقبض ابو صافي الخازن الذي ولاه الامير فخر الدين الثاني الجبة عليه وقتله بامر الامير [٢] .

واستطرد الدبس من هنا الى ذكر بني الخازن ووجاهتهم مما سوف نورده في نبذة خاصة عنهم في فصل الاسر الاقطاعية لان سيرتهم ونشاطهم يتحملان ذلك .

وقد عقد الدبس بعد ذلك نبذة بعنوان ابي رزق البشعلاني وابنه

---

(١) ص ٢٨٣ .

(٢) ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

يونس • ومما قاله عزوا الى الدويهي ان ابا رزق الذي لايذكر الدويهي اصله ـ لان صفة البشعلاني ليست الا نسبة الى قرية بشعل من عمل البترون على ما ذكره الدبس ـ كان سنة ١٦٤٣ م كاخية [١] والي طرابلس حسن باشا وان هذا الوالي عين سنة ١٦٤٩ م أخاه ابا صعب شيخا على جبة بشرى • ثم سرد في سياق طويل سلسلة من المحن والوشايات والمصادرات تعرض لها ابو رزق وابنه يونس وكان نهايتها قتلهما • وقد ذكر السياق ان ابا رزق وابنه يونس من بعده عرض عليهما الاسلام فابيا فقتلا ، والظاهر ان ذنبهما كان سياسيا يستحق القتل في عرف ذلك الظرف فاراد الوالي تفادي ذلك بعرض الاسلام عليهما اذا صحت الرواية •

ثم ذكر الدبس تحت عنوان « اعيان موارنة آخرين » في فصل القرن السابع عشر عددا من الاشخاص الذين تولوا الحكم •

منهم الشيخ ابو كرم يعقوب بن الريس الياس الحدثي الذي قال عنه عزوا الى الدويهي ان والي طرابلس مصطفى باشا اقامه سنة ١٦٣٥م على حكومة جبة بشرى • ثم روى خبر مقتله في سياق عجيب حيث قال انه تخلف عن السلام على محمد باشا الارناؤوط الذي تولى ولاية طرابلس سنة ١٦٣٩ م فاثار غضبه وارسل عسكرا للقبض عليه فتوارى فشدد العسكر على الاديار والقرى بحجة التفتيش عليه وعلى اولاده واتباعه واعملوا يد السلب والنهب وصادروا املاكه وعظم الضيق وكثر الخراب فلم يتحمل ابو كرم هذا التنكيل باهل بلاده فانحدر الى طرابلس فامر الوالي بسجنه ثم طوفه على جمل بشوارع المدينة وفي قفاه مشاعل نار وعرض عليه الاسلام فابى فامر بشنقه [٢] •

---

(١) ص ٣٤١ ـ ٣٤٦ . كاخية كلمة تركية الاصل معناها وكيل او نائب او معتمد أو مدبر والتعليق الذي علقناه على مقتل ابي رزق وابنه ينسحب على هذا اذا صحت الرواية .

(٢) ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨

ومنهم ابو جبرائيل يوسف الاهدني • وقد وصفه المؤلف بانه كان شريكا في حكم الجبة للشيخ ابي كرم فلما مات هذا انفرد ابـو جبرائيل في الحكم الى سنة ١٦٤١ م حيث توفي فخلفه في الولاية اخوه الشدياق ابو ذياب بن الشماس جرجس • ولم يلبث ان مات قتلابدسيسة من بيت حمادة فتولى حكم الجبة بعده المقدم زين الدين الصواف وكان معه ـ كشريك على ما هو المتبادر ـ ابو عون بن الغمة من بكفيا [١] •

ومنهم ابو رزق البشعلاني واخوه ابو صعب ـ وقد كان الاول كاخية ـ مدبر ـ والي طرابلس حسن باشا في المرتين اللتين ولي فيهما الولاية سنتي ١٦٤٣ و ١٦٤٩ ، وكان الثاني شيخا على الجبة عينة الوالي نفسه سنة ١٦٤٩ •

وقد سرد الدبس سيرتهما وسيرة الشيخ يونس بن ابي رزق في سياق طويل ذكر فيه ما تعرضوا له من وشايات ومحن ومصادرة وقتل في النهاية [٢] •

ومنهم ابو كرم بن بشارة الذي عينه والي طرابلس حسن باشا سنة ١٦٧٦ حاكما على الجبة [٢] •

وفي فصل تاريخ الموارنة في القرن الثامن عشر نبذة بعنوان مشايخ جبة بشرى وطردهم المتاولة منها يصح ان تورد كذلك في هذا السياق • وقد جاء فيها ان والي طرابلس محمد باشا عين الشيخ مخائيل بن نحلوس الاهدني واليا على الجبة والزاوية • وقد اغتاله رجل من المتاولة فعادت الولاية الى بيت حمادة فعكفوا على السلب والنهب والجور والقتـل وكدروا عيش الاهالي وراحتهم فثارت ثائرة مشايخ البلاد الذين كان من مشهوريهم الشيخ جرجس بولس من اهـدن والشيخ عيسى الخوري

---

(١) ص ٣٤٨ •

(٢) ص ٣٤٨ •

والشيخ حنا ظاهر كيروز من بشـرى والشيخ ابو سليمـان عواد من حصرون والشيخ ابو يوسف الياس من كفر صغاب والشيخ ابو خطار من عين طورين والشيخ ابو ضاهر من حد شيت وجمعوا رجالهم وشهروا في وجوه بني حمادة السيوف، وطردوهم ثم نزلوا الى طرابلس فالتزموا البلاد من واليها ودفعوا له المال المرتب عليها وكان ذلك سنة ١٧٥٩ م وقد اقاموا ثلاثة رؤساء سماهم المؤلف بينباشية [١] وهم بشارة ابو كرم من اهدن وضاهر الكروز من بشري وابو الياس العفريت من حصرون وعينوا رجـالا للمحافظة ، وكـان والـي طرابلس يشجعهم ويمدهم بالمساعدات لكثرة ما كان من المتاولة من حركات عدوانية مزعجـة . وكان المشايخ يلتزمون قراهم منه ولذلك كانوا يسمون ملتزمي جبـة بشرى . ولم يسكت الحماديون على هذا الترتيب فهاجموا في سنـة ١٧٦١ قرية بشري وقتلوا ابا ضاهر احد الرؤساء وغيره من الاهلين وادى الامر الى اشتباك كبير بينهم وبين اهل البلاد في ارض بشرى سنة ١٧٦٣ دام ثماني ساعات ودارت الدائرة فيه على المتاولة . ثم سير عليهم والي طرابلس عسكرا انقسموا الى قسمين قسم سار بطريق الجبل ومعه بشارة كرم وآخر بطريق الساحل ومعه الشيخ ضاهر حاكم الزاوية ويوسف الشمر من كفر حاتا فظفروا بهم واثخنوا فيهم وطردوهم الى ديار بعلبك واحرقوا مزارعهم . وقد قتل بشارة كرم وستة من رجـاله في هـذه الحركات [٢] .

وفي سنة ١٧٦٤ توجه مشايخ الجبة الى الامير منصور الشهـابي ـ الذي كان واليا والذي يظهر ان حكمه امتد في هذه الآونة الى الجبة ـ

---

(١) الكلمة تركية واصطلاح عسكري معناها رئيس الف أو قائد الف .

(٢) ص ٤٢٢ .

فولاهم على بلادهم وامدهم بمحافظين • وحاول بنو حمادة استئناف حركاتهم العدوانية في زمن ولاية الامير يوسف الشهابي سنة ١٧٧٧ ، وكان يتولى ولاية جبيل من قبل الامير بشير حيدر فدهموه وهو في العاقورة ومعه شيخا بشري واهدن فقاتلهم وظهر عليهم وابعدهم عن العاقورة ثم حضر لنجدته رجال الجبة وبلغ الخبر الامير يوسف فوجه مدبره الشيخ سعد الخوري بعسكر فادركهم في دير بعشتار فاثخن فيهم وظل يطردهم الى القلمون [١] •

وقد استمر مشايخ الجبة يحكمون بلادهم وهم بيت كرم في اهدن وما يليها وبيت حنا ضاهر وبيت عيسى الخوري في بشرى وما يليها وبيت ابي سليمان عواد في حصرون وما يليها وبيت ابي يوسف الياس بكفر صغاب وما يليها وبيت ابي خطار بعنطورين وما يليها • وكان حكام البلاد يولون من يختارونه من هذه البيوت ـ كل ما شغر مكان بالوفاة او بسبب آخر الى ان الغيت الاقطاعات بقيام نظام لبنان سنة ١٨٦١ م [٢] •

وقد وضع المشايخ يدهم على بكاليك [٣] المتاولة واستمروا على ذلك الى ان صالحوا اهل قرى البكاليك على حقوقهم بها او باعوهم هذه الحقوق [٤] •

وواضح مما تقدم ان بيوت كرم وحنا ضاهر وعيسى الخوري وابي سليمان عواد وابي يوسف الياس وابي خطار التي تولت حكم البلاد هي أسر اقطاعية • غير ان الدبس لم يفرد لها فصولا أو نبذا خاصة يشرح فيها سيرتها متسلسلة الى آخر نظام الاقطاع • ولم يفعل ذلك

---

(١) (٢) ص ٤٢٣ •

(٣) الكلمة اصطلاح تركي للقرى الاقطاعية •

(٤) عزا الدبس النبذة الى كتاب تاريخي لانطونيوس ابي خطار احد المشايخ والى التقليد المحفوظ في البلاد ص ٤٢٣ •

الشدياق فنقف نحن منها عند ذلك الحد .

وفي هذا الفصل نبذة ذكر فيها المشايخ ابناء إده ــ وادة قرية من قرى جبيل ــ يستفاد منها ان هذه الاسرة كانت من الاسر المــارونية البارزة في اواخر عهد بني معن ثم في عهد بني شهاب ، وان اول البارزين فيه يوسف الذي منحه الشهابيون لقب المشيخة فتوارثه اعقابه وغــدا لهم به وجاهة اقطاعية . غير انهم لم يكن لهم حكم اقطاعي وكان نشاطهم في نطاق خدمة الامراء الشهابيين باقلامهم [1] .

وممن ذكرهم الدبس في هذه النبذة سمعان البيطار وقال ان الامير يوسف الشهابي كان يعتمد عليه وانه سلمه عمل البترون وجعله شيخــا فاهتم بعمران البلاد واظهر غيرة عظيمة على شؤون الموارنة الدينية [2] . غير ان الدبس لم يذكر تسلسل حكم الاقطاع في ذريته من بعده [3] .

كذلك احتوى هذا الفصل نبذة عن بطرس الشدياق وابن اخيــه منصور واولاده وقال انهم من سلالة رعد الحصروني جد المقدم خــاطر الحصروني الذي تقدم ذكره ــ كوالي لجبة بشرى ــ وان فهدا والــد بطرس ارتحل من حصرون الى كسروان وان الشيخ ابا شيبان الخازن والي كسروان عهد الى بطرس بمحاسبة الاموال الاميرية في ولايته ثم جعله دهقانا على عقاراته ، وان الامير حيدر الشهابي اعجب به سنة ١٧٢٣ فجعله رئيسا لكتابه ثم مــدبرا له . ولما صار الحكم لابنه الامير ملحم ابقاه مدبرا كما كان ايام والده . ثم تغير قلبه عليه نتيجة للوشايات ضده فسجنه فاغتم وطعن بطنه بسكين بقصد الانتحار ومات بعد قليل. فارتحل ابناؤه ظاهر وخطار الى بيروت وارتحل ابن اخيه منصور الــى

---

(١) ص ٤٢٤ ــ ٤٢٧ .

(٢) ص ٤٢٨ .

(٣) ولم يذكر ذلك الشدياق ايضا حيث يبدو ان الحكم كان شخصيا له ثم انقطع .

بعلبك فخدم الامير حيدر الحرفوشي سنة ١٧٤١ م واستمر الدبس في سرده سيرة منصور واولاده ووصف نشاطهم الذي كان في نطاق الزراعة حينا والكتابة والتدبير لبعض الامراء الحرافشة والشهابيين حينا الى سنة ١٨١٧ وتوقف عند ذلك [١] .

وقد احتوى هذا الفصل نبذا عن الشيـخ سعد الخوري وابنـه الشيخ غندور وعن المشايخ آل الدحداح وآل الظاهر تتحمل ان يفرد لهم نبذ خاصة في فصل الاسر الاقطاعية الذي سوف نعقده فيما بعـد فنترك الكلام عنهم اليه .

وفي فصل تاريـخ الموران في القرن التاسع عشـر نبذة في حكام الموارنة واعيانهم .

وقد ذكر في هذه النبذة الشيخ جرجس باز واخوه عبد الاحـد من دير القمر بشيء من التفصيل لما كان لهما من نشاط في أواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر يدل على انهم كانوا ذوي حيوية ومطامح مع التنبيه على انهما لم يكن لهما نصيب في الحكم الاقطاعي الفعلي ولم يذكر لهما سلف وخلف حيث كانا في نشاطهما منفردين .

ومما قاله الدبس عنهما انهما كانا مدبرين لاولاد الامير يوسف الشهابي وانهما استأجرا لهما من الاميرين قعدان وحيدر بلاد جبيل بستين الف قرش [٢] . وان جرجس الذي كان حاذقا خبيرا بـاساليب السياسة استمال الى مخدوميه اعيان البلاد حتى آثروهم على الامـيرين الواليين واستهانوا بهما فاصبحا عاجزين عن الحكم ورضيا بالتخلي عنه

---

(١) ص ٤٠٩ — ٤١٢ .

(٢) ص ٥٢١ — ٥٢٣ والراجح ان المقصود من الاستئجار هو التزام بلاد جبيـل ، والحكم الاقطاعي هو التزام بلد ما بمال مقطوع على الاغلب .

لاولاد الامير يوسف فارسل جرجس اخاه الى الجزار ومعه مئة الف قرش والتمس لمخدوميه الولاية فوافق الجزار وارسل اليهم الخلع • ولما تغلب الامير بشير الثاني على الحكم سار جرجس باولاد الامير يوسف الى جبيل حيث لبث متربصا • ولم يلبث الجزار ان تغير على الامير بشير فارسل خلع الولاية ثانية لاولاد الامير • وقد استلم الامير حسين ولاية الجبل والامير سعد الدين ولاية جبيل وكان جرجس مدبرا للاول بينما كان عبد الاحد مدبرا للثاني •

وفي سنة ١٧٩٥ عاد الجزار فتغير على اولاد الامير يوسف وولى الحكم للامير بشير • غير ان جرجس ظل يسعى الى ان تمكن من اعادة الحكم الى اولاد الامير يوسف للمرة الثالثة سنة ١٧٩٨ • ولكن الامير بشير بذل نشاطه في سبيل استعادة الحكم وجرت الوساطات ثم تم الاتفاق على ان يعود الامير بشير الى الحكم على ان يكون حكم بلاد جبيل لاولاد الامير يوسف وعلى ان يكون جرجس مدبرا للامير بشير وعبد الاحد مدبرا للامراء ، وهكذا كان زمام الحكم بيد الاخين تقريبا • ولما توفي الجزار وعين مكانه ابراهيم باشا ارسل الامير بشير جرجس اليه في دمشق فلقى منه تكريما عظيما مما جعل منزلته ومنزلة اخيه بالتبعية ترتفع في عيون الناس • وقد اغترا بذلك فصار يصدر عنهما اقوال وافعال تسيىء الى الامير بشير مما جعله يتآمر على اغتيالهما ونفذت المؤامرة حيث ذهب بعض المتآمرين من اليزبكية والجنبلاطية والنكدية الى جبيل سنة ١٨٠٧ فاحاطوا بدار عبد الاحد فالقى نفسه من الشباك الى الارض فقتله من كان تحت الشباك منهم • وفي نفس الوقت استدعى الامير بشير جرجس فلما دخل القاعة خرج منها واغلق بابها ثم امر بعض المتآمرين بالدخول عليه وقتله ففعلوا !

وممن ذكرهم الدبس في هذه النبذة يوسف كرم وقال انه ابن الشيخ بطرس كرم حاكم اهدن • وان الامير حيدر اسماعيل اللمعي

حينما عين قائممقاما للنصارى ـ سنة ١٨٤٤ ـ عينه حاكما على اهـدن اقطاع ابيه وأسرته ، ولما نشبت الفتنة سنة ١٨٥٩ بين الدروز والنصارى في قرية بيت مري استدعى مشايخ جبة بشرى والزاوية وتواثق معهم على الدفاع ولما اتسعت الفتنة وعمت سنة ١٨٦٠ ارهن املاكه في بيروت وجمع جمعا من الشباب وسار بهم الى بكفيا وبلغه ان الدروز والعـرب محاصرون زحلة فسارع الى نجدتها ولكنه لما أطل عليها رأى النـار تشتعل في بيوتها فعاد الى المروج ثم الى جونية متربصا • ولما وفد فؤاد باشا والحملة الافرنسية الى بيروت بسبب الفتنة اقامه فؤاد باشا وكيلا في قائممقامية النصارى • ولما تم الاتفاق بين الدولة العثمانية والدول على نظام المتصرفية لم يرض بذلك لانه كان يريد حاكما وطنيا للجبل فاستقال وعاد الى اهدن • ولما عاد فؤاد باشا الى الاستانة سنة ١٨٦١ اخذه معه تفاديا من قيامه بحركة معاكسة ورتب له مرتبا ومنح حرية التنقل في المملكة ما عدا سورية • ولما جددت متصرفية داود باشا سنة ١٨٦٤ وأقر النظام نهائيا ـ وكانت السنوات الثلاث الاولى على سبيل التجربة ـ عاد مسرعا الى البلاد ليقود حركة المعارضة للنظام واخـذ يجمع حوله الانصار ويستعد للحركة مما أزعج الدولة وجعل المتصرف يسير قوة لتعقبه والقبض عليه ، واخذت تقع بينه ومعه انصاره وبـين قوة المتصرفية الاشتباكات الدموية ، وتفاقم الامر وصارت قوة المتصرفية تتكبد خسائر فادحة فضوعفت وقويت واخذت تطارد يوسف وجماعته وتضيق عليهم الخناق ، وظلوا مع ذلك في كر وفر معها اظهر فيهما يوسف فروسية وبطولة وجرأة جعلت له صيتا داويا ، وظل الامر مستمرا على هذا مـدة الى ان اتصل قنصل فرنسا بيوسف وعرض عليه الحمايـة الافرنسية على شرط الرحيل الى فرنسة ، وكان ذلك بسعي المتصرف الذي اعياه الامر فجعله يعمد الى هذا الحل • واذعن يوسف للعرض لانه كان بدوره قد تعب وخسر كثيرا من رجاله ، فسافر الى فرنسة

فرتبت له حكومتها مرتبا • ويروى الدبس ان الحكومة العثمانية عرضت عليه بواسطته ان تنصبه قائممقاما أو متصرفا خارج لبنان فأبى وآثر ان يظل في ديار الغربة حتى وافته منيته في نابولي سنة ١٨٨٨ م [١] •

— ٤ —

ولقد قلنا ان كتاب تاريخ الاعيان للشدياق هو من مصادر الدبس• غير انَ فيه بعض الزوائد والمباينات رأينا ان نورد المهم المفيد مع التنبيه على ان في الفصل الذي عقده الشدياق على ولاية الولاة المردة والـذي يتطابق في الاوليات مع الشدياق بشيء من الزيادة والنقص فيه كثير من المفارقة والتهويل [٢] الوارد في فصل الدبس على ما نبهنا عليه قبل •

ومن الزيادة التي في هذا الفصل اسماء ثلاثة امراء كانوا على رأس المردة الذين وثبوا على جيش ملك الروم يوستنيانس الاخرم حينما جاءت البشرى بخلعه وحلول لاون القائد محله وامر من هذا اليهم بقتال الجيش وهم سمعان وابراهيم ومسعود [٣] حيث يفيد هذا انه كان للموارنة المردة ثلاث امارات يحكم كلاً منها امير منهم • وهذا بقطع النظر عن ما نبهنا عليه من استحالة صحة رواية قدوم الجيش الرومي وعيثه في شمـال سورية وتقتيله اصحاب المشيئتين من النصارى وهدمه اديارهم وزحفه بعد ذلك الى طرابلس وتخييمه في سهولها !

ومنها ان الملك طيباريوس كتب سنة ٦٩٩ حينما سير عسكره لغزو بلاد الشام ومحاربة العرب الى سمعان امير لبنان يستنجده فسارع الـى

(١) تاريخ الموارنة للدبس ص ٥٢٤ — ٥٣١ •

(٢) هذا الفصل في اخبار الاعيان من ص ٢٠١ الى ٢٢٢ •

(٣) ص ٢٠٥ •

التلبية وانضم برجاله الى قوات الروم وحارب العرب وكان النصر حليفهم مما جعل الملك يخلع على الامير ويرفع شأنهويرسل الىالبطرك يوحناالذي سامه البابا سرجيوس بطركا على لبنان سنة ٦٨٥ م والذي كان ابراهيم احد الامراء الثلاثة المذكورين ابن اخته زهرة ملوكية [١] .

وهذا الظرف يصادف زمن انشغال عبد الملك بن مروان بابن الزبير وخروج عصابات الجراجمة ومن انضم اليهم من الاوشاب من جبل اللكام الى لبنان وحركاتهم الازعاجية التي رواها ابن الاثير واوردناها قبل . فمن المحتمل ان يكون ملك الروم أو واليهم في كليكيا الذي يحتمل ان يكون هو المباشر لتسيير هذ العصابات قد كتب لامراء الموارنة ليتعاونوا مع هذه العصابات نظرا لسابق التواثق بينهم وبين الروم فاستجابوا وكان هذا من اصول الروايات التي احتوت ما احتوته من مفارقة وتهويل .

ومنها خبر بناء المردة حصنا فوق نهر الكلب سنة ٧١٥وخبر نشوب حرب بينهم وبين الاعداء ــ المسلمين كما هو المتبادر ــ وانحدار الامير سمعان من بكفيا وافنائه للاعداء وخبر زيارة هذا الامير للامير يوسف امير جبيل [٢] . حيث يفيد هذا انه كان للموارنة امارة في جبيل عليها امير منهم في هذا الظرف امتدادا للسابق .

وقد ذكر المؤرخ بعد هذا الخبر خبر قدوم الافرنج من انطاكية الى القدس سنة ١٠٩٩ ــ وهم الصليبيون ــ وقال انهم لما وصلوا الى عرقا وفد اليهم أناس من المردة من جبل سير وصقع القنية وجبيل رتلك التخوم ورحبوا بهم وسار بعضهم معهم وهدوهم في الطرقات والمسالك حتى بلغوا القدس وكانوا ينجدونهم في الوقائع ويمدونهم بالميرة [٣] .

---

(١) ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

(٢) ص ٢٠٧ .

(٣) ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

وهذا مما مر عليه الدبس ساكتا ويفيد ان الموارنة منذ بدء الحركة الصليبية الافرنجية تواثقوا معها تواثقا متينا واستمروا على ذلك الى النهاية مما يعد طبيعيا في تلك الظروف التي كان للنعرة الدينية الاثر الاقوى في حياة الناس كما كان الامر في بدء حركة الفتح الاسلامي .

ويلحظ ان الشدياق سكت عن تاريخ ثلاثمائة وثمانين سنة من تاريخ الموارنة كما فعل الدبس الذي علل ذلك بقلة الآثار المدونة أو تلفها على ما ذكرناه قبل .

ومنها خبر وفاة امير جبيل يوسف وولاية ابنه يوحنا مكانه سنة ١٢٣٣م [١] حيث يدل هذا على استمرار الامرة المارونية في جبيل امتدادا للسابق .

ومنها خبر ارسال امير المردة ابنه سمعان على رأس (٢٥٠٠٠) مقاتل نجدة للويس التاسع ملك فرنسة حينما جاء الى عكا سنة ١٢٥٠ (والتاريخ خطأ لان هذا الملك جاء في اواسط القرن الثاني عشر لا الثالث عشر وقد ذكر الدبس الوقت على صحته) وكتابة الملك الى امير الموارنة ورؤساء كهنتهم رسالة يثني فيها على محبتهم ويعلن حقهم عليه وعلى خلفائه بالحماية [٢] . والديس لم يذكر النجدة ولا وعد الحماية وانما ذكر ارسال الامير ابنه بهدايا فاخرة على ما مر بيانه .

ومنها خبر حصار الملك الظاهر في سنة ١٢٦٤ لطرابلس وانحدار المردة من قمم الجبال وهزيمتهم له . ثم خبر حصار الملك نفسه قلعة تيرون في سنة ١٢٦٤ وطرحه في مائها دما وكروشا وقطعه الماء عنها وتمكنه بذلك من فتحها وسيره بعد ذلك الى حصار طرابلس وانسكاب

---

(١) ص ٢٠٨ .

(٢) ص ٢٠٨ .

المردة عليه ثانية وهزيمته ايضا [1] • والملك الظاهر المذكور هو الظاهر بيبرص على ما يستفاد من التاريخ • وقد اورد الشدياق اخبار الحروب التي جرت بين قوات الدولة التركية والموارنة في سنة ١٢٨٣ وبعدها متطابقا بذلك اجمالا مع ما اورده الدبس [2] • والدبس لم يذكر حصار الظاهر لطرابلس وانحدار المردة اليه مرة بعد مرة قبل سنة ١٢٨٣ م والمتبادر ان حروب سنة ١٢٨٣ وما بعدها كانت بسبيل التنكيل بهم • وكلام الشدياق عن وفد العلماء اوضح من كلام الدبس حيث قال ان نائب دمشق اقوش ارسل سنة ١٣٠٤ الشريف زين الدين بن عدنان للصلح بين اهل كسروان والجبال وبين الامراء التنوخيين الذين قتل منهم اهل كسروان والجبال اميرين حين تحزبوا لعسكر الاسلام في وقعة جبيل وعودتهم للطاعة ثم ارسل تقي الدين بن تيمية والامير بهاء الدين قراقوش اليهم في الصدد نفسه فرفضوا الصلح والطاعة فافتى علماء الاسلام بقتلهم وسبيهم لانهم فتكوا بجيوش الاسلام ورفضوا الرجوع الى الطاعة • [3] •

وقد ذكر الشدياق بعد هذا خبر مقدمي جبة بشرى يعقوب واولاده كما ذكره الدبس غير انه ذكر خبر الشقاق الذي وقع بين الموارنة في عهد المقدم عبد المنعم بن سيفا بن يعقوب ببيان اوضح من الدبس فقال ان عبد المنعم حنق على بطرك الموارنة واهل اهدن ورؤساء الطائفة المارونية لطردهم اليعاقبة والاحباش الهراطقة من جبة بشرى وايقاعهم بهم وتعصب معه جرجس بن الحاج حسن الصوفي النابلسي شيخ حدشيت واستنجد باولاد الشيخ زعزوع المتاولة ــ من بني حمادة ــ أولياء بشنانا وقصدوا اهدن برجالهم فاقام لهم اهل اهدن كمينا ووثبوا

---

(١) ص ٢٠٨ •

(٢) ص ٢٠٨ ــ ٢١٢ •

(٣) ص ٢١١ •

عليهم منه فاهلكوهم في مرجة تولا . وحينئذ فر الهراطقة من المنطقة فذهب بعضهم الى حردين وبعضهم الى كفر حورا وبعضهم الى دير ماروس وبعضهم الى قبرص [1] .

ثم قال بعد هذا انه لما قبض السلطان سليم العثماني على قانصو الغوري وقتله وجدت الراحة في لبنان ـ والمقصود لبنان الشمالي ـ فقصده الناس من كل جانب ، وكان من القادمين المتاولة من بلاد بعلبك فسكنوا في فاريا وحراجل وبقعاتا في كسروان وقدم الاسلام من البقاع وسكنوا في فتقا وساحل علما وفيطرون وفقيع القليعات وعرمون والجديدة وقدم الدروز من المتن والجرد وسكنوا في برمانا ومزارع كسروان . وقدم النصارى المشتتون من بلاد طرابلس وسكنوا في عرمون وكفور الفتوح وقدم شاهين بن رعد باهله من بلاد المشرق الى حصرون فدعوا بني مشروق وقدم الشيخ حبيش من يانوح الى غزير [2] .

ولقد ذكر الشدياق ابا رزق البشعلاني بصفة غير الصفة التي ذكره بها الدبس حيث قال ان والي طرابلس محمد باشا جعل سنة ١٦٥٢ ابا رزق شيخ المشايخ وضربت له النوبة السلطانية وشق على الاسلام انقيادهم اليه [3] .

وفي فصل الشدياق أسماء عديدة من المسلمين السنيين والشيعة كولاة وحكام ومقدمين ومشايخ لجبة بشرى وجبيل والبترون وغيرها صاروا يعينون من قبل ولاة طرابلس في القرن السادس عشر وما بعده خلافا لما كان قبل حيث كانت هذه المراكز موقوفة تقريبا على الموارنة مما يدل على ان الولاة صاروا يعزلون ولاة هذه المراكز ومشايخها

---

(١) ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٢) ص ٢١٥ .

(٣) ص ٢٢٢ .

وينصبونهم كيف ومتى شاؤوا بدون تقيد بالصفة المارونية • من ذلك مقـدمو جاج المسلمون ــ وجـاج قرية دومـة البترون ــ ، وقـد ذكرهم في سياق ذكر خبر ارسال يوسف باشا سيفا يوسف وقانصو ولدي احمد حمادة لقتلهم لانهم من حزب فخر الدين المعني فوجدوهم عند البيادر فقتلوهم وسلبوا اموالهم وولاهم يوسف سيفا مشيخـة بلاد جبيل التي كانت في عهدة المقدمين مكانهم (١) •

ومن ذلك تعيين والي طرابلس حسن باشا لولاية جبة بشرى علي ابن العجال سنة ١٦٥١ لكسر شوكة ابي رزق البشعلاني واحزابه (٢) • وولاية قايد بيه الشاعر للجبة سنة ١٦٧٤ م وشخص اسمه ابراهيم اغـا في سنة ١٦٧٤ (٣) •

ومن ذلك الحاج حسن الحسامي الذي عينه والي طرابلس سنة ١٦٧٦ لبلاد جبيل وابو حيدر النمس الذي عينه هذا الوالي في نفس السنة لبلاد البترون والحاج حسين الحسامي الذي عين لبلاد جبيل سنة ١٦٩٢ والمقدم قايد بيه الشاعر الذي عين في السنة نفسها لبلاد البترون وحسن اغا النوري الذي عين لبلاد جبيل في السنة نفسها • والامير حسين بن الامير صعب الكردي الذي عين لبلاد جبيل سنة ١٦٩٣ (٤) •

وهذه الاسماء وردت في فصل الشدياق عن امراء المردة • وقـد

---

(١) ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ •

(٢) ص ٢٢٢ •

(٣) ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ •

(٤) ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ •

ورد في فصله عن المشايخ الحمادية اسماء عديدة [1] اخرى منها احمد حمادة المكني بابي زعزوعة الذي تولى ولاية جبة بشرى قبل سنة ١٤٨٨ والشيخ احمد محمد حمادة الذي تولاها سنة ١٦٥٤ والشيخ حسين احمد حمادة الذي تولاها سنة ١٦٧٣ واولاد الشيخ احمد الذين كانوا يتولونها سنة ١٥٧٩ . وقد ذكر في الفصل المذكور اسماء عديدة من الحماديين كانوا يتولون بلاد جبيل والبترون في القرون الثلاثة السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر حتى لكأنها كانت وقفا على بني حمادة لا يكادون يقصون عنها حتى يعودوا اليها على ما سوف نشرحه في فصلهم الخاص [2] .

ولقد ذكر الشدياق في هذا الفصل ان اهل الجبة طردوا سنة ١٧٥٩ اولاد الشيخ احمد وتولى مكانهم المشايخ يوحنا الظاهر وعيسى الخوري في بشرى وجرجس وبولس الدويهي في اهدن وابو سليمان عواد في حصرون وابو يوسف الياس في كفر صغاب وابو خطار الشدياق في عين طورين واولادهم من بعدهم الى الآن[3] . وقد ذكرهذا الدبس ايضا[4] واوردنا قبل دون ذكر سابقة ولاية الحماديين ، حث يبدو من ذلك ان مشيخات هذه المناطق عادت فاستقرت منذ سنة ١٧٥٩ في الاسر المارونية وان كان تعيين واحد مكان آخر من الاسرة كان منوطا بالامراء والولاة الذين كان حكمهم يشمل جميع لبنان .

ولقد اختص الشدياق آل الدحداح وآل حبيش وآل الخازن وآل الظاهر وآل الصالح وآل الصعب وبني الشدياق بفصول خاصة في

---

(١) ص ٢١٩ — ٢٢٠ وسوف نلم بسيرة الحماديين في نبذة خاصة .

(٢) انظر فصلهم الخاص في اخبار الاعيان ص ١٦٥ — ١٧٢ .

(٣) ص ١٧١ — ١٧٢ .

(٤) تاريخ الموارنة ص ٤٢٣ .

كتابه اخبار الاعيان . وسوف نلخصها مع ما ورد عنهم في كتاب الدبس وغيره في النبذ الذي سنكتبها عنهم في فصل الاسر الاقطاعية لان سيرتهم تتحمل ذلك عدا بني الشدياق الذين لم يكن لهم بروز في مجال الحكم الاقطاعي وان كانوا ينسبون حسب رواية الشدياق والدبس الى رعد الحصروني وابنه خاطر ولاة جبة بشري في القرنين السادس عشر والسابع عشر على ما مر بيانه قبل . والنبذة التي كتبها عنهم الدبس ولخصناها قبل ملخصة عن نبذة الشدياق هذه التي جاءت مفصلة بعض الشيء ومتسلسلة الى سنة ١٨٤٤ م [١] لانها اسرة المؤلف . والتفصيل هو في صور نشاط افراد الاسرة وتنقلاتهم وخدمتهم للامراء الشهابيين والحرفوشيين باقلامهم وتدبيرهم والقيام ببعض المهام التي كانت توكل اليهم ومشاركتهم احيانا في الاحداث التي جرت على مسرح لبنان في النصف الاول من القرن التاسع عشر في نطاق ضيق مع ذلك فنكتفي بهذا التنويه .

— ٥ —

ولقد قلنا ان كتاب تاريخ الموارنة للبطرك الدويهي المتوفي سنة ١٧٠٤ م من مصادر الدبس . وهو من مصادر الشدياق ايضا . والكتاب ثلاثة أقسام أو أجزاء جزآه الاول والثالث للدويهي . والاول في نسبة الموارنة وآراء العلماء في اصلهم وفي المار مارون واديارهوحياته وتلامذته. والثالث في رد التهم ودفع الشبه عن العقيدة المارونية وفي ما نشب من خلاف، وجدال حولها . أما الجزء الثاني فهو ملحق اضافه ناشر الكتاب رشيد الشرتوني الخوري . وقال انه يتضمن أهم الحوادث المتصلة

---

(١) ص ١٨٧ — ١٩٩ .

بالموارنة أو التي جرت في بلادهم من سنة ٧٥٢ م الى سنة ١٧٠٣ م وقد استغرق نحو نصف الكتاب واستقى كاتبه مضامينه من مصادر عديدة قديمة ومتأخرة من جملتها كتاب عنوانه اخبار المسلمين للبطرك الدويهي من سنة ٦٢٢ الى سنة ١٦٩٩ م ومختصر تاريخ ابن القلاعي والغرر الحسان للشهابي واخبار الاعيان للشدياق وغيرها • وفيه نبذ في تاريخ التنوخيين والمعنيين والشهابيين وحروب الصليبيين منها ما لهصلة بالموارنة ومنها ما ليس له صلة بهم •

وبعض ما نقلناه من الدبس والشدياق في أولية الموارنة ونسبتهم وارد في القسم الاول من الكتاب • وقد نقلنا منه آراء العلماء في نسبة الموارنة وتسميتهم في ذيل مطلع الفصل • ولم نجد فيه شيئا ذا بال يحسن ان يضاف الى ما نقلناه منه أو من الدبس والشدياق • والقسم الثالث غير متصل بموضوع الفصل وان كان فيه اشارات الى ما كان يوجه الى الموارنة من تهم وانحرافات دينية والى ما كان يقع بينهم احيانا من شقاق ديني كان يؤدي الى منازعات فيما بينهم كانت تستغل في اغراض ومآرب سياسية • وقد ذكر في سياق ذلك بعض احداث نقلناها قبل من الدبس • اما الملحق الذي ليس من تأليف الدويهي ففيه اشيـاء كثيرة مما ورد في كتابي الدبس والشدياق فيها كثير من الخلط والتهويل وخاصة فيما يعود الى أوليات تاريخ الموارنة شأن ما كان من مثل ذلك في الكتابين المذكورين • وفيه بعض اشياء لم ترد في الكتابين أهمها سلسلة امراء الموارنة من اوائل القرن السابع مع سني حكمهم نقلا عن رسالـة للخوري يوسف مارون الدويهي وهي هذه :

يوسف وكسرى وايوب والياس ويوحنا وحكمهم من سنة ٦٢٨ الى سنة ٦٧٠ • يعقوب وحكمه الى سنة ٦٩٥ • ابراهيم بن اخت القديس يوحنا مارون وحكمه الى سنة ٧٢٨ • بطرس الى سنة ٧٥٦ • موسى الى سنة ٧٩٠ • جرجس ويوحنا الى سنة ٨٩٠ • حنا واندراوس وموسى

الى سنة ١٠٢٠ • عساف الى سنة ١٠٥٠ جرجس الى سنة ١٠٩٠ موسى وبطرس الى سنة ١١٩٠ • باخوس ويعقوب الى سنة ١٢١٥ • شمعون الى سنة ١٣٣٩ ابنه يعقوب الى سنة ١٢٩٦ • ابن أخيه اسطفان الى سنة ١٣٥٢ • موسى ويوحنا الى سنة ١٣٩٩ • يوسف العبدلي الى سنة ١٤٠٠ وفي هذه السنة انتقلت الامارة من بلاد جبيل والبترون الى الجبة • وملك بعد هؤلاء عبد المنعم بن عساف بن يعقوب الى سنة ١٤٩٤ وابنه يوسف الى سنة ١٥١٩ ثم كمال الدين بن عبدالوهاب بن عجرمة الـذي قتلـه يوسف بن حنا امير بشرى سنة ١٥٤٧ ثم عاشينا الذي قتله المسلمون في طرابلس سنة ١٥٧٥ ثم عساف بن موسى بن اخي عاشينا واخوه داغر الى سنة ١٥٧٧ ثم خاطر الحصروني الى سنة ١٥٩٤ ثم ابنه رعد الى سنة ١٦١٢ ثم مقلد الى سنة ١٦١٤ ثم ظهر ابو نادر الخازن في بلاد كسروان وولد له اولاد نالوا الحظوة عند الامراء وانتشرت اخبارهم شرقا وغربا حتى ان ملك فرنسة لويس بعث الى الشيخ ابي نوفل نـادر يجعلـه كمولود في فرنسة [1] !

وفي السلسلة اسماء وردت في كتابي الدبس والشدياق واوردناها قبل • ولكن الجديد هو تسلسل الاسماء وسني الحكم دون فراغ • وتنبه على ان الدبس علق على هذه السلسلة في كتابه تاريخ الموارنة [2] قائلا انه لا يمكن القطع بصحة رواية يوسف مارون الـدويهي لانـه لا يسندها الى احد المؤرخين ولان غموض تاريخ تلك الحقبة يجعل من المتعذر على كاتب ان يحقق هذه الاسماء وهذه السنين وان كان قيـام حكام وامراء في لبنان في تلك السنين امرا لا ريب فيه •

وفي الملحق [3] اشارة الى ما كان يقع بين المردة والتنوخيين القدماء

---

(١) ص ٢٧٩ — ٢٨٠ •

(٢) ص ١٨٧ •

(٣) ص ٩٧ و ١٠٠ و ٢٨٠ — ٢٨١ •

من حروب • وقد ذكرت اسماء الامراء منذر ومالك ومسعود وهـاني والنعمان الذين وجدوا ونشطوا في القرنين الثاني والثالث الهجريين وقد عزا الكاتب ما ذكره من ذلك الى الغرر الحسان • وقد اوردناه نحـن في سيرة التنوخيين فنكتفي هنا بهذه الاشارة •

وفي الملحق [1] خبر هجوم بلدوين احد امراء فرنسة على بـيروت وحصاره لها برا وبحرا سنة ٥٠٤ هـ ــ ١١١٠ م وتعـذر فتحهـا عليه واستنجاده بامراء المردة ومسارعتهم الى نجدته وهجومهم معا على اقليم الغرب ونهبه واحراقه وقتل وأسر من وجدوه وقتل عدد كبير من الامراء التنوخيين وانقطاع سلالة بني فوارس نتيجة لقتل رجالهم في الجملة • وقد ذكرنا شيئا من ذلك في سيرة التنوخيين •

ولقد سرد الملحق [2] بعد ذلك سياقا طويلا ذكر فيه نبذا من تاريخ التنوخيين والمعنيين والشهابيين والحروب الصليبية والمقدمين والحكـام الموارنة والحروب بين قوات الدولة التركية والمردة بسبب تضامنهم مـع الافرنج ضد المسلمين الخ •• لم نر فيها شيئا هاما جديدا يضاف الى ما نقلناه من ذلك عن الدبس والشدياق مما له صلة بموضوع الفصل فنكتفي هنا بهذه الاشارة •

ونختم هذا الفصل بتنبيه مهم وهو ان مظهر انكماش موارنة لبنان من المسلمين ومناوأة السلطان الاسلامي الذي كانت تتكرر صوره في أثناء حركة الفتح الاسلامي ثم في أثناء حركة الحروب الصليبية ومظهر انكماش المسلمين منهم ووقوف الفريقـين من بعضهم موقف الحـذر والتعصب قد اخذ يتضاءل ويتوارى بعد قليل من انتهاء الحروب الصليبية وتوطد سلطان دولة مماليك الترك ثم مماليك الشركس في لبنان واستمر متضاءلا متواريا الى اواسط القرن الهجري الثالث عشر ، وقد حل محله

---

(١) ص ١٠٢ ــ ١٠٣ •

(٢) ص ١٠٣ ــ ٢٦٦ •

النعرة الحزبية القيسية اليمنية [1] في ظل حكم بني معن ثم بني شهاب التي كان ينتظم في نطاقها طوائف المسلمين والمسيحيين جنبا الى جنب فيكون المسلم السني والشيعي والدرزي والمسيحي الماروني والارثوذكسي والكاثوليكي مندمجين جنبا الى جنب في القيسية او في اليمنية ويتعادون ويتشادون ويتنافسون ويتقاتلون ويتعصبون تحت عنوانهما دون أي اعتبار للاختلاف الديني على ما شرحناه في سيرتي بني معن وبني شهاب وان ما نشب من فتن واشتباكات طائفية بين النصارى والدروز والمسلمين انما انبعث في اواسط القرن الهجري الثالث عشر بتحريك وايعاز الانكليز والافرنسيين لمآرب استعمارية وسياسية عودا على بدء ما كان من مثل ذلك من الروم في أثناء حركة الفتح الاسلامي ومن الدول الاوروبية في أثناء حركة الحروب الصليبية .

الاسر الاقطاعية الاخرى في لبنان

تمهيد

في سياق سيرة بني معن وبني شهاب ذكرت اسماء اشخاص وأسر عديدة من النصارى والمسلمين والدروز ، منهم من كان يتلقب بلقب الامارة ومنهم من كان يتلقب بلقب المشيخة ، وكانوا أصحاب اقطاع ونفوذ اقطاعي ، وتميزوا بنشاط وحيوية وساهموا في الاحداث المحلية الجارية في ظل امارتي الاسرتين الحاكمتين الرئيسيتين المذكورتين ، مما جعلهم جديرين بالتسجيل في هذا الكتاب . وها نحن نعرض سيرتهم وصور نشاطهم جملة تحت عنوان الاسر الاقطاعية الاخرى في لبنان :

ونبدأ بالاسر المارونية لصلة ذلك بالنبذة السابقة .

---

(1) انظر الصفحة ٤٨٨ من هذا الكتاب حيث ذكر فيه المؤرخون اندماج احزاب الموارنة في النعرة القيسية واليمنية منذ اواسط القرن السادس عشر . وقد ذكروا بمثل ذلك اكثر من مرة الى اواسط القرن التاسع عشر على ما سوف يرد بعد .

١ — بنو اللمع

يتلقب أفراد هذه الاسرة بلقب الامارة الذي بدأ تلقبهم فيه في اوائل القرن الثامن عشر على ما سوف نذكره بعد • واخبارها مبثوثة في الغرر الحسان للامير حيدر الشهابي واخبار الاعيان للشدياق في سياق سيرتي بني معن وبني شهاب • وفي الثاني فصل خاص عنها جمعت فيه اخبارها جملة •

وقد جاء في هذا الفصل [١] ان هذه الاسرة تنتمي الى بني فوارس احدى الطوائف العشر التي قدمت من الجبل الاعلى الى لبنان • هذا في حين انه ورد في احد محاضر النسب الارسلاني في روض الشقيق [٢] • ان سلالة بني فوارس انقطعت باستشهاد رجالها في واقعة مع الافرنج في اواسط القرن السادس الهجري • ومن الطريف ان الشدياق قال هذا ايضا في الفصل الذي عقده في كتابه المذكور على ولاية الامراء الارسلانيين [٣] !•

ومهما يكن من امر هذه النقطة فليس هناك ما يمنع ان تكون هذه الاسرة منحدرة من الارومات التنوخية التى جاءت الى لبنان وانتشرت فيه منذ القرن الهجري الثاني •

واول عهد بروزها المتميز كان في اواسط القرن الحادي عشر الهجري ــ اواسط القرن السابع عشر الميلادي ــ حيث برز منها ابو اللمع الذي صا راسمه علما للاسرة • وكان بروزه نتيجة لنزاع بينه وبين بني الصواف مقدمي كفر سلوان من اعمال المتن التي كان يقيم فيها فانتصر عليهم وانتزع المقدمية منهم ثم استقرت في ذريته وتوطد بذلك

---

(١) ص ٦٦ •

(٢) ص ١٨٥ ــ ١٨٧ •

(٣) ص ٦٦٥ •

بروز الاسرة في مجال الحكم والسلطان المحلي الاقطاعي • وكان الامير فخر الدين الثاني المعني صاحب السلطان الشامل قد توارى عن المسرح في هذا الظرف فكان ذلك مما ساعد على هذا البروز • وكان لابي اللمع ولدان وهما علم الدين وقايد بيه ومنهما تفرعت الاسرة الاقطاعية واليها تنسب قلاع فالوغا وقرنايل وصلحا وبرمانا ورأس المتن والمتن والشبانية •

ولقد استمر النزاع بينهم وبين بني الصواف الذين كانت لهم مقدمية الشبانية ايضا وظلوا يتعقبونهم ويطاردونهم حتى اهلكوهم وقرضوهم • وقد تولى كبر ذلك بنوع خاص عبد الله بن قايد بيه [1] •

— ٢ —

ومما سجل لهم من مظاهر البروز والنشاط ولاية احدهم فارس لجبة بشرى سنة ١٦٥٦ من قبل والي طرابلس الشام واضافة ولاية عكار اليه سنة ١٦٥٩ م [2] •

وقد كانوا متواثقين مع بني معن • وفي سنة ١٠٢٦ هـ ـ ١٦١٧ م أعطاهم الامير علي بن الامير فخر الدين ـ اثناء غياب ابيه في اوروبا ـ حكم بلاد المتن [3] • وقد اندمجوا معه في حركة المصاولة التي قادها أثناء ذلك الغياب • ثم اندمجوا مع الامير فخر الدين واولاد اخيه من

---

(١) اخبار الاعيان للشدياق ص ٦٦ ـ ٦٧ وتنوير الاذهان لابراهيم الاسود ص ١٨ وكلمة قايد بيه محرفة على ما يتبادر لنا من قايتباي احد مشاهير ملوك دولة مماليك الشركس التي كان لها السلطان على بلاد الشام وكان التنوخيون متواثقين معها على ما مر شرحه في فصلهم •

(٢) اخبار الاعيان ص ٦٦ ـ ٦٧ •

(٣) الغرر الحسان ج ١ ص ٦٥٠ •

بعده في مختلف المناسبات [1] حيث جمعت بينهم النعرة القيسية • وفي سنة ١١٠٩ هـ ـ ١٧١٧ م اشتد النزاع بين القيسيين واليمنيين وكان المتزعم للاولين الامير حيدر الشهابي الذي تخلى عن الامارة نتيجة لما كان بينه وبين ابي هرموش من نزاع على ما شرحناه في سيرة بني شهاب • وقد جاء الامير حيدر الى رأس المتن فنزل عند المقدم حسين ابي اللمع وقدم اليه المقدمون الآخرون من بيت ابي اللمع مراد وعبد الله برجالهما ـ والعبارة تفيد ان مقدميات اماكن عديدة في منطقة المتن صارت لبني ابي اللمع ـ وساروا معه واشتركوا في الوقعة المذكورة التي كتب النصر فيها للقيسيين وعاد الامير حيدر نتيجة لها للولاية • وقد كافأهم الامير على مظاهرتهم له فأمَّرهم أي صاروا يتلقبون بالامارة بدلا من لقب المقدمية وتزوج بنت الامير حسين وزوج احدى بناته للامير عساف بن الامير حسين واقطعه بيت شباب وبكفيا وبنتا اخرى للامير عبد الله قايد بيه الذي احبه حبا عظيما لما بدا من بطولته يوم الوقعة وتزوج أم الامير مراد واقطعه نصف المتن وبسكنتا [2] •

وظل التواثق قائما بين بيت ابي اللمع وابناء الامير حيدر الشهابي • وقد طلب منهم الامير ملحم سنة ١٧٥١ الزحف على بني منكر المتاولة في سياق ما كان بينه وبينهم من تشاد ونزاع ففعلوا واستطاعوا ان ينكلوا بهم تنكيلا شديدا • وكان المتولي لذلك الامير مراد [3] • وفي سنة ١٧٨٩ م طلب الامير بشير الثاني منهم ان يساعدوا برجالهم الامير قاسم الحرفوش على طرد الامير جهجاه الحرفوش من امارة بعلبك فساروا معه فكتبت عليهم الهزيمة وأسر الامير مراد شديد ولكن جهجاه اطلقه عزيزا مكرما [4] •

---

(١) الغرر ج ١ ص ٦٥١ و ٦٩٢ و ٧٠٤ و ٧٢٢ و ٧٢٤ •

(٢) اخبار الاعيان ص ٦٧ ـ ٦٨ •

(٣) ص ٦٨ •

(٤) الشدياق ص ٦٩ •

وفي سنة ١٧٩٠ م ـ ١٢٠٦ هـ اندمج بعضهم في الحركة المناوئة للامير بشير الهادفة الى تولية الامير حيدر ملحم وابن اخيه قعدان وتحالفوا مع خصوم الامير بشير وطردوا جباته وادى ذلك الى نجاح الحركة وتولى الاميرين لفترة من الوقت [١] • وعاد الامير بشير الى الحكم بعد قليل فعاد خصومه الى مناوأته فاندمج الاميران منصور مراد وفارس قايد بيه اللمعيان في الحركة التي أدت الى اقصاء الامير بشير ثانية وتوجيه الولاية الى اولاد الامير يوسف لفترة من الوقت [٢] •

ولما قامت حركة التمرد ضد الامير التي اندمج فيها الشيخ بشير جنبلاط سنة ١٨٢٤ ـ ١٢٣٧ كان الامـراء اللمعيون سلمان وموسى ويوسف نصر وسعد الدين منصور من جملة المندمجين فيها وشهدوا مواقعها ثم عادوا الى اوطانهم حينما اخفقت • وقد ارسل الامير من انزل فيهم القصاص [٣] •

ولما حاول ابراهيم باشا المصري تجنيد الناس وجمع سلاحهم وثار عليه الناس في لبنان وغير لبنان اندمج الامراء اللمعيون علي منصور قايد بيه وعبد الله شديد مراد وعلي فارس واسماعيل حسن برجالهم في الحركات الثورية وقاتلوا القوات المصرية في البقاع فكتبت عليهم الدائرة وتشتتوا وطوردوا حتى قبض عليهم ونفو الى سنار حيث لبثوا في المنفى الى ان تم الاتفاق بين محمد علي باشا والدولة العثمانية والدول الاوروبية المتحالفة معها فاعيدوا في جملة من أعيد من اكابر بلاد الشام المنفيين [٤] •

---

(١) ص ٦٩ •

(٢) ص ٦٩ •

(٣) ص ٧٠

(٤) ص ٧٠

ولما اضطربت احوال لبنان واخذت تقع الاشتباكات بين الدروز والنصارى بعد جلاء الحملة المصرية سنة ١٨٤٢ م اندمج الامراء اللمعيون في الحركة الى جانب النصارى لانهم كانوا قد انتحلوا النحلة النصرانية وشهدوا وقائعها [١] .

ولما تقررت نتيجة لذلك قسمة جبل لبنان الى حكومتين واحدة نصرانية يرأسها قائممقام ماروني واخرى درزية يرأسها قائممقام درزي اختير الامير حيدر اسماعيل ابو اللمع الذي يبدو انه كان من ابرز امراء الاسرة والذي وصف بالكرم والفصاحة ولين العريكة للقائممقامية المارونية [٢] .

ولما قام نظام المتصرفية الدولي في جبل لبنان احتفظ اللمعيون ببروزهم ايضا وممن تولى المناصب منهم في نظام المتصرفية الامير بشير احمد الذي عين قائممقاما للبترون ثم رئيسا لمجلس ادارة لبنان . والامير منصور الذي شغل رئاسة مجلس قائممقامية النصارى في البترون الى جانب الامير بشير احمد . والامير قبلان الذي شغل قائممقامية المتن . والامير علي منصور الذي شغل قائممقامية الكورة . والامير خليل مصطفى الذي شغل قائممقامية المتن . والامير امين جهجاه الذي شغل قائممقامية كسروان خلال المدة التي استمر فيها هذا النظام أي من سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٩١٤ م [٣] .

---

(١) ص ٧٠ ــ ٧١ وقد قال الدبس في فصل تاريخ الموارنة في القرن التاسع عشر من كتابه تاريخ الموارنة المفصل ص ٥٢٠ ان الامراء اللمعيين صاروا جميعا نصارى موارنة الا قلائل منهم اتبعوا طقس الملكيين الكاثوليكيين .

(٢) ص ٧١ .

(٣) تنوير الاذهان ابراهيم الاسود .

ولقد أشرنا قبل الى انتحال اللمعيين النصرانيـة وكـان معظمهم موارنة • وليس في المصادر التي بين أيدينا بيان عن كيفية ذلك وباعثه ووقته بالتدقيق • فالشدياق لم يذكر شيئا من هذا في الفصل الـذي عقده عليهم الا ما كان من ذكره اندماجهم مـع النصارى في الحركـة النصرانية الدرزية سنة ١٨٤٣ وتعيين الامير حيدر اسماعيل لقائممقامية النصارى ودفنه في كنيسة اليسوعية في بكفيا حينما مات سنة ١٨٥٤ [١] وتعيين اخيه ثم ابن عمه مكانه في قائممقامية النصارى • ولكنه ذكـر في فصل ولاية الامراء الشهابيين خبر تنصرهم تبعا للشهابيين بعبارة مطلقة ومقتضبة لا تفيد وقتا ولا سببا [٢] • وشيء مثل هـذا في كتاب تاريخ الموارنة للدبس [٣] • وفي كتاب لبنان اشارة الى تنصر اللمعيين اقتـداء بالشهابيين بقصد الاستناد الى الطائفة المارونية لما كانت عليه من كثرة العدد وأهمية العـُدَد [٤] • وسياق الكتب الثلاثة يفيد ان تنصر اللمعيين بدأ في القرن الثامن عشر • وعبارتها لا تفيد ان اللمعيين جميعا تنصروا مع انهم اليوم جميعا نصارى • فالظاهر ان بعضهم تبع بعضا حتى عمتهم النصرانية في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر [٥] •

والتعليل الذي علله مؤلفو كتاب لبنان يبدو هو المعقول • ونحن لا نشك في ان تنصر الذين تنصروا منهم لاول مرة كان لاسباب تنافسية

---

(١) ص ٧١ •

(٢) ص ٣٧٥ •

(٣) تاريخ الموارنة ص ٤٢٨ •

(٤) ص ٢٨٦ •

(٥) انظر ايضا تاريخ الموارنة للدبس ص ٥٢٠ •

بينهم وبين خصوم لهم بقصد نيل تعضيد الموارنة ومساعدتهم عليهم • ولعل الاسباب التي ساقت الشهابيين الـذين تنصروا لاول مرة الـى النصرانية هي نفسها التي ساقتهم اليها تضامنا معهم • ولقد كانت منطقة توليتهم وهي المتن من المناطق التي يتكثف فيها الموارنة • ولقد كانوا دروزا كما كان شأن التنوخيين وهو ما ذكره مؤلفو كتاب لبنان (١) ايضا فكان هذا مما سهل عليهم التحول الى النصرانية المارونية كما يتبادر • ومن عجيب المفارقات ان اللمعيين ظلوا يتسمون باسماء اسلامية بحتة مثل علي واحمد ومحمد وحسن وحسين وحيدر ومصطفى وبشير الـى أواخر عهد الاقطاع بل الى الحرب العالمية الاولى مما مر عليـه أمثلة عديدة • ولعل هذه المفارقة تدل على القصد الصحيح الذي قصدتـه الاسرة من تنصرها مما لا يمت الى فكرة العقيدة والتدين بشيء ••

٢ — بنو الخازن الموارنة

هذه الاسرة أكثر الاسر المارونية الاقطاعية جاها وبروزا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي ــ الحادي عشر والثاني عشر الهجري ــ وأفرادها يتلقبون بلقب المشيخة • وأخبارها مبثوثة في الغرر الحسان واخبار الاعيان في سياق سيرتي بني معن وبني شهاب ايضا وقـد عقد لها الشدياق في كتابه بالاضافة الى ذلك فصلا خاصا جمع فيها اخبارها جملة • وفي كتاب تاريخ الموارنة المفصل للمطران الدبس نبذ كثـيرة عنها أيضا •

وقد ذكرهـا المعلوف في كتابه تاريخ فخر الدين الثـاني عرضا وقال انها من القبائل العربية الحورانية الغسانية وانها انتقلت في سنة

---

(١) ص ٢٨٦ ومما ذكره الشدياق وفيه دلالة على درزيتهم ان احدهم سعد الدين احتمى حينما نشب القتال بين الدروز والنصارى في دير القمر عنـد الشيخ نـاصيف النكدي حتى اتهم انه صار درزيا ص ٧١ •

١٤٤٠ م ـ اواسط القرن التاسع الهجري ـ من ازرع الى نحلة في بلاد بعلبك ثم انتقلت في سنة ١٤٧٥ م في زهرة دولة المقدمين الى جاج في لبنان [١] • ولما كان معظم النصارى العرب في عهد الدولة الغسانية من المذهب اليعقوبي القائل بالمشيئة الواحدة للمسيح فالمتبادر ان اندماج هذه الاسرة في النحلة المارونية كان بعد انتقالها الى لبنان وحلولها بين الموارنة • الا ان يكون انتقالها بسبب قولها بالمشيئتين الذي كان يقول به الموارنة مما لا يمكن التثبت منه •

وقد بدأ الشدياق فصله الخاص عنهم [٢] بذكر جدهم الاعلى سركيس الخازن وقد قال بعد ذكر تولداته وتولدات ابنائه واحفاده الى عهده ان سركيس هذا كان يلقب بالشدياق [٣] سركيس ، وانه رحل في سنة ١٥٤٥ من جاج الى مقاطعة الفتوح مع ولديه ابي صقر ابراهيم وابي صافي رباح ثم انتقل الى كسروان وتوطن في بلونة • وكان ذلك في عهد ولاية الامير منصور عساف التركماني • ولم يذكر المؤلف الشدياق شيئا من اخبار سركيس سوى وفاته سنة ١٥٧٠ م ومما ذكره من أخبار ولدي سركيس ان الشيخ كيوان الماروني مدبر الامير قرقماس المعني خبأ ابني الامير الصغيرين فخر الدين ويونس بعد نكبة ابيهما وموته في المغارة عند ابي صقر ابراهيم فتربيا عنده • فلما تولى فخرالدين الحكم تذكر معروف ابي صقر فدعاه وجعله مدبرا [٤] وجعل اخاه رباحا دهقانا • ومات ابراهيم سنة ١٦٠٠ م عن ولدين هما ابو نادر وابو خطار فعين الامير اولهما مدبرا مقام ابيه • ولما ذهب الامير فخر الدين الى

---

(١) ص ٤٦ – ٤٧ •

(٢) ص ٧١ – ٩٢ •

(٣) ص ٨٠ – ٨١ المستفاد من كلام المؤلف في فصول عديدة من كتابه ان كلمةالشدياق لقب كان يتلقب به بعض البارزين من النصارى والاسر النصرانية وليس في كتابه بيان عما اذا كان هذا اللقب دينيا أم مدنيا •

(٤) كلمة مدبر مرت كثيرا والمتبادر انها كانت تعني وكيل اعمال ومستشار •

اوروبا ابقاه مدبرا عند اخيه الامير يونس الذي اقامه نائبا عنه . وكان أبو خطار أيضا عند الامير يونس يستخدمه في مهام الامور . وقد ارسله الى اوروبا ليعلم اخاه باحوال البلاد [1] . وفي سنة ١٦١٣ عين الامير يونس أبا نادر واليا على كسروان وجعلها مقاطعة له [2] .

ولما عاد الامير فخر الدين واستأنف ممارسة الحكم ثبت مقاطعة كسروان وولايتها له ووسع حدود اقطاعه الى المعاملتين جزاء خدمته المخلصة له في حضوره وغيابه وولاه في نفس الوقت على بلاد جبيل والمرقب والبترون [3] . ولما سار الامير الى عكار لقتال يوسف باشا سيفا امره بحفظ طريق نهر ابراهيم ومنع افلات يوسف باشا منها أو مرور مدد اليه منها فقام بالمهمة .

وفي سنة ١٦١٩ استنجد الامير سليمان سيفا بالامير فخر الدين على عمه يوسف فسارع الى نجدته وامر ابا نادر ان ينضم برجاله الى النجدة ففعل وساهم مساهمة كبيرة في هزيمة يوسف وارغامه . وبعد هذه الخدمة عينه الامير واليا على بشرى التي كانت مركز حكم المنطقة جميعها على ما ذكرناه في بحث الموارنة وامرائهم واشرك معه عمه ابا صافي وجعل مقدمي البلاد تحت امرهما وتدبيرهما . وقد عمر ابو نادر واقاربه في هذه الاثناء كسروان واظهروا الغيرة على أهله فطارت شهرتهم شرقا وغربا [4] .

ولما ألمت المحنة الثانية بالامير فخر الدين الثاني وانفض معظم الناس عنه ظل بنو الخازن الى جانبه وجانب اولاده . حيث كان ابو نادر

---

(١) ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٢) ص ٨٢ .

(٣) ص ٨٣ .

(٤) ص ٨٥ .

وابو صافي معه في قلعة شقيف تيرون واعتقلا معه حينما تغلب احمد باشا الكوجوك واخذهما معه الى دمشق • وهنا اطلق سراحهما بالتماس الامير علي علم الدين فعادا الى كسروان [1] • وكان ابو نوفل مدبرا للامير حسين ابن الامير فخر الدين فاعتصم معه في قلعة المرقب ولما تغلب عليه قائد الاسطول العثماني واعتقله وسيره الى الاستانة اعتقل معه ابا نوفل ايضا ولكنه استطاع ان يفلت من الاسر في حلب ويعود الى كسروان [2] • ولما قتل السلطان الامير فخر الدين واولاده خاف الخوازنة فركبوا البحر ورحلوا الى توسكانا وهم ابو نادر واخوه ابو خطار وابو نوفل ابن ابي نادر • ثم عادوا سنة ١٦٣٧ حينما علموا بنشاط الامير ملحم فرحب بهم واعاد اليهم اقطاعاتهم [3] • ولما تمكن الامير علي علم الدين من ازاحة ملحم عن الولاية خافوا وتواروا أسوة بالامير • وقد توفي ابو نادر وابو صافي في هذه الاثناء فمات الاول في سنة ١٦٤٥ والثاني في سنة ١٦٤٧ م [4] ولما عاد الامير ملحم الى الولاية جعل ابا نوفل متوليا لجباية الاموال الاميرية من اقاليم عكار وجبة بشرى وبلاد البترون • ولما مات الامير صار ابو نوفل مدبرا لابنيه قرقماس واحمد اللذين توليا الحكم بعده وكان له عندهما من الرعاية ما كان له عند ابيهما [5] • وقد وقف الخوازنة في جانب الاميرين حينما عزلتهما الدولة عن الولاية وعينت خصمهما الامير علي المعني كما كانوا من اعضاد الامير احمد الاقوياء في وقعة الغلغول التي انتصر فيها القيسيون بزعامة الامير احمد علي اليمنيين بزعامة بني علم الدين وعاد الامير الى الولاية نتيجة

---

(1) قال الامير حيدر في الغرر الحسان ان الامير علي علم الدين التمس اطلاق سراحهما تحت مبلغ من المال ص ٧١٨ — ٧٢٠

(2) ص ٨٥ — ٨٦ •

(3) ص ٨٦ •

(4) ص ٨٦ •

(5) ص ٨٦ •

لها • وقد ظل ابو نوفل مدبرا له كما كان سابقا [١] • وقد كان لابي نوفل ثمانية اولاد اربعة كبار وهم ابو قانصوه فياض وابو نصيف نوفل وخازن وطربية واربعة صغار هم ابو نادر خاطر والحاج سليمان وابـو كنعان قيس وابو النصر • فقسم مقاطعة كسروان عليهم فصار لكل منهم اقطاع خاص [٢] • ومات ابو نوفل سنة ١٦٧٩ فدب النزاع والخلاف بين ابنائه وتفرقوا في السكنى غير انهم ظلوا على ولائهم وصلتهم بالامير احمد المعني • وان لم يكن منهم له مدبر • وقد استنجد والي طرابلس من الامير علي بني حمادة فانتدبهم لنجدته فسارعوا بالف رجل الى بلاد جبيل فلم يكن لبني حمادة طاقة بهم ففروا الى بلاد بعلبك [٣] • ولمـا غضبت الدولة سنة ١٦٩٣ على الامير احمد ثانية لجأ الى كسروان فتوارى عندهم في أمان حتى صدر العفو عنه • وكان البارز منهم في هذا الظرف حصن بن فياض بن ابي نوفل • وقد اراد عسكر الدولة ان يزحف على كسروان في سياق تعقبهم للامير احمد فسعى لدى والي حلب الذي كان قائد الحملة حتى جعله يحول العسكر عن كسروان • وقدوصفه الشدياق بقوله انه كان حصنا حصينا لمن لاذ بـه من القيسية في هـذه المحنة • وقد فوض اليه والي طرابلس جباية بلاد جبيل [٤] • ولما صارت الامارة للامير بشير الاول الشهابي بالنيابة ثم للامير حيدر ظل الخوازنة على ولائهم للاسرة الحاكمة الجديدة التي كان حكمها امتدادا لحكم بني معن ونعرتها القيسية التي كانت نعرة الخوازنة والمعنيين • ولما اختلف الامير حيدر الشهابي مع ابي هرموش واستطاع هذا ان يزيحه عن الولايـة

---

(١) ص ٨٧ ذكر الشهابي في الجزء الاول من الغرر نشر مفيغب اسم الشيخ حصن الخازن في جملة المشايخ القيسيين الذين انفضوا عن الامير حينما عزل مما جعله يتوارى ص ٧٤٣ ــ ٧٤٤ وهذا لا يعني مناصرة بني الخازم له في ونعة الغلغول وقد ذكر ذلـك الشهابي في الجزء الثاني والثالثنشر رستم والبستاني ص ١٢ •

(٢) ص ٨٧ •

(٣) ص ٨٨ •

(٤) ص ٨٨ •

ويتولاها بالاشتراك مع بني علم الدين واضطر الامير حيدر الى التواري جاء الى كسروان فلقي عندهم الملجأ الامين • ثم اندمجوا في حركة القيسية الى جانبه وآزروه في وقعة عين دارة الكبرى التي كتب النصر فيها للقيسيين على اليمنيين وعاد الامير حيدر الى الولاية نتيجة لها سنة ١٧١٠ م ـ ١١٢٢ هـ • وكان زعماء الخوازنة في هذا الظرف نادر ابن خاطر وسرحال بن ابي نصيف نوفل • وكان رجالهم الذين اشتركوا في الوقعة بقيادة الاخير • وقد كافأهم الامير فثبتهم على ولاية كسروان وكتب لهم « الاخ العزيز » وهي العبارة التي كانت تعني لقب المشيخة الاقطاعي فصار بنو الخازن منذ ذلك الوقت الى الآن يتلقبون بهذا اللقب [1] •

ولقد ظلت مقاطعات كسروان في عهدتهم يتولاها طبقة بعد طبقة في عهد بني شهاب • ولقد ظلوا متواثقين مع هؤلاء في مختلف المواقف ، وكانوا موضع ثقتهم ، وكان الامراء ينتدبونهم للمهمات والولايات • ويقطعونهم الاقطاعات الجديدة •

ومما روى من سيرتهم وصور نشاطهم في عهد بني شهاب ان احدهم الشيخ ابا شيبان كان يتولى كسروان سنة ١٧١٥ فاستخدم بطرس بن فهد الشدياق محاسبا لاموال ولايته ودهقانا على مزارعه ، ثم أخذه منه الامير حيدر الشهابي لما رأى من درايته واستخدمه رئيسا لكتبته سنة ١٧٢٣ م [2] وأن أحدهم الشيخ عبد الله بن فاضل بن خطار كان متوليا سنة ١٧٢٥ م ناحية بلاد عكار فحاول بنو حمادة التكعير عليه فشكاهم للوالي فارسل عسكرا طردوهم [3] • وفي سنة ١٧٥١ م سار الشيخ ميلان الذي كان من بارزيهم مع الامير ملحم الشهابي وقاتل

---

(١) ص ٨٨ ـ ٨٩ •

(٢) اخبار الاعيان ص ١٨٦ •

(٣) ص ٨٩ •

معه بني منكر المتاولة وابلى في الوقعة بلاء حسنا [1] . ولما تولى الامير منصور ملحم الولاية كانوا على صلة طيبة معه . وكذلك كانوا على صلة طيبة مع الامير يوسف ايضا . وكان من بارزيهم في عهد الاول الشيخ أسد بن الحاج سليمان وفي عهد الثاني الشيخ رامح بن حيدر بن قيس . وقد ولى الامير يوسف هذا على لحفد وجاج وترنيح وجعلها مقاطعة خاصة له ولذريته ظلت في ايديهم الى الآن [2] . غير ان الصلات تعكرت في عهد الامير بشير الثاني بسبب اعادة مسح كسروان التي كانت ستؤدي الى زيادة الضرائب . وقد جعلوا مدبر الامير جرجس باز يقنع الامير بصرف النظر ثم غضب الامير على مدبره بسبب ذلك فقتله وغرم الخوازنة مبلغا كبيرا (٥٠٠٠٠) قرشا وكان ذلك سنة ١٨٠٨ م [3] . وفي سنة ١٨٤٠ حينما تجمع النصارى والدروز ضد الامير بشير وضد الحملة المصرية اندمج بعضهم في الحركة وكان احدهم الشيخ فرنسيس ابو نادر من قوادها وكان في جملة المندمجين فيها منهم الشيخ نقولا . وقد اعتقله الامير ونفاه الى مصر ونفاه محمد علي الى سنار مع غيره من كبار اهل الشام حيث ظل الى ان تم الاتفاق بين محمد علي والدول وانسحبت حملته من بلاد الشام فاعيد من المنفى مع غيره . اما الشيخ فرنسيس فانه اختفى ثم فر الى قبرص وظل فيها الى ان جاءت الاساطيل والجيوش لارغام الحملة المصرية على الخروج فقدم من قبرص الى جونيه ونال اكرام قائد الجيش العثماني سليم باشا واردفه بعسكر لمحاربة جيش ابراهيم أثناء انسحابه . وقد انعم عليه بمشيخة كسروان [4] . ولما وقع

---

(١) ص ٩٠ .

(٢) هذا كلام الشدياق الذي ينتهي كتابه في سنة ١٨٥٩ م .

(٣) ص ٩٠ ــ ٩١ .

(٤) ص ٩١ ــ ٩٣ وفي مجموعة المحررات السياسية نشر وتعريب فريد وفيليب الخازن ج ١ ص ٢٤ ــ ٢٥ نص نشرة موجهة الى « العسكر المتوجه صحبة فخر ملته سر عسكر الذميين الشيخ فرنسيس الخازن فيها تحريض على الثبات في القتال » . وهذه النشرة

الاشتباك بين النصارى والدروز في دير القمر سنة ١٨٤٣ م جاء بعض المشايخ الخوازنة برجالهم الى بعبدا وحضروا المواقــع ثم عادوا الــى وطنهم . وهنا ينتهي فصل الشدياق عنهم . وقد ذكر في سياق كلامــه أسماء كثير من مواليــدهم ووفيــاتهم دون احــداث فلم نر طائلا في ايراد ذلك .

ومما احتواه الفصل نبذ عن الصلات التي قامت بين بني الخازن وبابا روما حيث ذكر ان البابا اسكندر السابع انعم سنة ١٦٥٨ على الشيخ ابي نوفل برتبة كواليرية او فارس وكان من رسومها ان يتقلد طوقا وسيفا ومحايز ذهبية [١] كما ذكر ان ملك فرنسة انعم على ابي نوفل بقنصلية بيروت ووكالة قنصلية البندقية [٢] . وانعم على الشيخ حصن بن فياض بقنصلية بيروت [٢] (وكلمة انعم من الشدياق) . وقــد التأم في سنة ١٧٣٦ م مجمع للموارنة في دير اللويزة فكان الشيــخ نوفل بن حصن كاتبه . وقد سلك كثير من بني الخازن سلك الكهنوت . وبلغ بعضهم فيه أعلى المراتب فكان منهم مطارنة واساقفة وبطاركة . ومن بطاركتهم ضرغام بن فياض الذي تسمى باسم يوسف وشاس بن راجي الذي تسمى باسم يوسف ايضا وطليع بن قيس الذي تسمى باسم طوبيا . ومــن مطارنتهم نايف بن نوفل وعرب بن عيسى وقيس بن رامح [٣] .

من محمد سليم باشا قائد جيوش الدولة المذكور بتاريخ ٢١ شوال ١٢٥٦ وفي نفس الجزء ص ٢٥ نص نشرة اخرى من محمد عزة باشا بتاريخ غرة شعبان ١٢٥٦ الى اهالي ناحية بيت شباب بتعيين الشيخ صالح الخازن مقيدا لهم وبتحريضهم على طاعته والقتــال تحت لوائــه .

(١) ص ٨٧ .

(٢) ص ٨٩ لم يذكر الشدياق تاريخ توجيه القنصلية على حصن ولكن سياق كلامــه قد يدل على ان ذلك في الربع الاول من القرن الثامن عشر .

(٣) ص ٧٢ — ٨٠ .

ولقد ورد اسم الخوازنة مرارا في الغرر الحسان ولكنه لا يحتوي شيئا هاما زيادة عن ما ذكره الشدياق في هذا الفصل ٠

وفي تاريخ الموارنة للدبس نبذ عديدة عنهم كما قلنا قبل ٠ ومعظمها متطابق اجمالا مع ما ذكره الشدياق ٠ وهناك بعض زيادات وبيانات ٠ منها في فصل تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر ان ملك فرنسة الذي ذكر الشدياق انعامه بقنصلية بيروت على ابي نوفل هو لويس الرابع عشر وان السلطان الاعظم وافق على ذلك واصدر فرمانا به [1] ٠ وقد أورد الدبس نص مرسوم لويس الرابع عشر بقنصلية حصن بن ابي قانصو فياض ٠ نعته فيه بنعت « الامير حصن الخازني الماروني » وذكر فيه انه نصبه على قنصلية بيروت وملحقاتها ومتعلقاتها كما كان ابوه وجده مدة حياته ، وخوله جميع الحقوق والسلطة والامتيازات والانعامات التي لباقي القناصل في المشرق ورخص له باقامة نائب عنده من الامة الافرنسية [2] ٠ ونص كتاب وجهه لويس الرابع عشر اليه مؤرخ بتاريخ تموز ١٦٩٧ م جوابا على رسالة ارسلها مع رسول طلب فيها تنصيبه قنصلا لمدينة بيروت ذكر فيها انه فصل مدينة بيروت عن قنصلية صيدا وعينه قنصلا لها اجابة لالتماسه [3] ٠ ونص كتاب من الملك في التاريخ نفسه الى « نصيف امير الموارنة » جوابا على رسالة يظهر انه ارسلها اليه يشكو فيها سوء حالة اسرته بسبب نكبة المعنيين واقصاء الامير أحمد عن الولاية ويطلب مساعدته على توليته البلاد التي كانت تحت يده في عهد الامير مقابل دفع المال المترتب عليها لوالي طرابلس ٠ وقد قال الملك في جوابه انه رغب في مساعدته على ما يعود عليه بالنفع ولا سيما متى كان ذلك ملائما للحماية التي يبذلها في كل وقت للكاثوليكيين في

---

(١) ص ٣٢٤ ٠

(٢) ص ٣٢٥ ٠

(٣) ص ٣٢٧ ٠

الشرق وانه ارسل لسفيره في القسطنطينية أوامر ببذل جهده لتحقيق مبتغاه [1] . واشارة الى رسالة كتبها سفير فرنسة في القسطنطينية دي تورسي بامر الملك الى قناصل فرنسة بحلب وصيدا وطرابلس يذكر فيها ان الملك يرغب في مساعدة الاميرين نصيف وحصن الخازني ويطلب منهم ان يبذلوا بكل فرصة عنايتهم الفعالة بالمذكورين ليشعروا بمفاعيل حماية جلالته وانه جعل الامير حصنا قنصلا ببيروت منفصلة عن صيدا بقصد تخفيف ثقل الضيق الملم بالمذكورين ويزيد من جهة اخرى عنايته برعاياه الذين يتجرون بالمدينة المذكورة وملحقاتها . وانه كتب اليهم بطيبة خاطر توصية بالكافالير يوحنا مارماكون معتمدهم لدى جلالته [2] ...

ومن زيادات الدبس في فصل تاريخ الموارنة في القرن الثامن عشر ترجمة للبطرك يوسف الخازن الذي كان اسمه قبل البطركية ضرغاما وقد ذكر فيها ان لويس الخامس عشر جدد بعنايته وفي ايامه الحماية للموارنة بموجب براءة مؤرخة بتاريخ ١٢ نيسان ١٧٣٧ اقتداء بابيه لويس الرابع عشر الذي جدد لهم الحماية ببراءة مؤرخة في ٢٥ نيسان ١٦٤٩ اعتمادا على الحماية التي بذلتها فرنسة للموارنة بموجب براءة القديس لويس التاسع حينما جاء الى سورية سنة ١٢٤٩ م [3] !! ومما ذكره الدبس من سيرتهم في القرن الثامن عشر تحول القنصلية الافرنسية عنهم سنة ١٧٨٧ م الى الشيخ غندور الخوري بناء على طلب بطرك الموارنة والامير يوسف الشهابي [4] .

ولم يذكر الدبس شيئا عن الخوازنة في فصل تاريخ الموارنة في القرن التاسع عشر عدا اسم شاس بن راجي الذي صار بطركا باسم

---

(١) ص ٣٣٨ .

(٢) ص ٣٤٠ .

(٣) ص ٤٣٧ .

(٤) ص ٥٢٠ .

يوسف سنة ١٨٤٥ م [١] • ثم اشارة الى ثورة اهل كسروان عليهم وطردهم لهم واعتدائهم على املاكهم وغلاتهم وقتلهم نفرا منهم [٢] •
وقد قال الدبس في سياق ذلك ان انتشار روح الحرية هو الذي حمل الاهلين على ازدراء سلطة المشايخ الاقطاعيين والخازنيون في الجملة وانكار وجاهتهم وعدم رعاية شرفهم وان المشايخ الاقطاعيين قد مسهم ضيق اليد في أواخر عهد الاقطاع بسبب كثرة تفرعاتهم وتزايد حاجاتهم المعاشية •

وفي مجموعة المحررات السياسية اشارة الى حادثة ثورة الفلاحين على الخوازنة يستفاد منها انها كانت في سنة ١٨٥٩ وان زعيما شعبيا اسمه طانيوس شاهين هو الذي تزعم الحركة • وفي المجموعة نص شكوى مقدمة من ثلاثين منهم يشيرون فيها الى ما وقع عليهم من اهالي بعض قرى كسروان من نهب وحرق بيوت وقتل نساء وطرد بالرصاص واهانات بالغة واغتصاب لجميع الاملاك واستيلاء على جميع الغلات وغدو المشايخ هائمين في أشأم حالة وفي منتهى درجات الفاقة وعدم جرأتهم على العودة لان الشعب مصمم على قتل كل من يعود منهم ، ويلتمسون وضع حد لهذه الحالة اتقاء الخراب [٣] •

وواضح ان الثورة كانت في السنة التي اعقبها الغاء نظام الاقطاع في لبنان وقيام حكم المتصرفية فيه على ما سوف نشرحه بعد وان المشايخ الخوازنة ظلوا يمارسون حكمهم ومشيختهم الاقطاعية الى هذا الوقت •

وبرغم ما وقع عليهم من عدوان فقد ظلوا وما يزالون يحتفظون بلقبهم الاقطاعي ووجاهتهم الاقطاعية ويتمتعون ببعض ما بقي في ايديهم من ممتلكات اقطاعية الاصل امتدادا لما كان عليه شأنهم من قبل •

---

(١) ص ٤١٥ •

(٢) ص ٥٢٠ •

(٣) ج ١ ص ٣٧١ — ٣٧٢ و ٣٨٤ — ٣٨٥ •

٣ — بنو حبيش

وهؤلاء أيضا من مشايخ الموارنة الاقطاعيين الذين سجل لهم التاريخ نشاطا وبروزا على مسرح لبنان في القرون الثلاثة الاخيرة •

وقد قال المعلوف في تاريخ الامير فخرالدين المعني الثاني [1] ان المروي انهم جاؤوا من ازرع حوران وان جدهم الذي جاء هو الشيخ حبيش بن موسى بن عبد الله بن مخائيل الاذرعي ، وان قدومه كان سنة ١٥١٦ مع اولاده الثلاثة يوسف ومهنا وسليمان ونزلوا حين قدومهم في غزير التي كانت مركز امارة بني عساف • ولقب الاذرعي قد يؤيد اصلهم الحوراني كما هو المتبادر • وما قلناه عن الخوازنة في صدد نحلتهم واحتمال اندماجهم في المارونية بعد مجيئهم الى لبنان يقال عنهم ايضا •

ومما ذكره المعلوف عنهم — وكلامه فيهم عرضا وحاشية — ان ابا منصور وابا يونس من بني حبيش كانا مستشارين لآل عساف وان أسرتهم كانت تتلقب بالمشيخة منذ القديم وان الشيخ يونس بن حبيش كان من رجال الامير فخر الدين وخاصته • وقد اشتهر منهم رجال عظام من بطاركة واساقفة وكهنة واعيان وعندهم مراسيم من ملوك فرنسة وبولونية يلقبونهم فيها بلقب الامراء •

واخبار الاسرة مبثوثة في الغرر الحسان واخبار الاعيان ايضا كسابقاتها في سيرة بني معن وبني شهاب وفي اخبار الاعيان فصل خاص عنهم جمعت فيه اخبارهم جملة ، وفي تاريخ لموارنة للدبس بعض نبذ عنهم أيضا •

---

(١) ص ٧٥ — ٧٦ •

وقد بدأ الشدياق في الفصل الخاص الذي عقده لهم سيرتهم بالشيخ حبيش بنفس النسب الذي ذكره المعلوف باستثناء لقب الاذرعي الذي لم يذكر ، وذكر اسماء اولاده الثلاثة بزيادة لقب يوسف وهو ابو منصور ولقب سليمان وهو ابو يونس وبعد ان ذكر تولداتهم الى زمنه قال ان الاب واولاده الثلاثة قدموا سنة ١٥١٥ م من يانوح الى غزير وتوطنوها حينما ملك السلطان سليم بلاد الشام ومصر ووجدت الراحة في لبنان • ويانوح قرية او منطقة مجاورة للبنان على ما يستفاد من كلام الشدياق في فصل ولاة المردة [١] • ولعلهم جاؤوا من حوران الى يانوح اولا ثم انتقلوا الى غزير •

ومما ذكره الشدياق من اخبارهم [٢] ان الامير قايتباي بن الامير عساف التركماني والي كسروان وبلاد جبيل حينما تولى سنة ١٥١٨ سجن الشيخ يوسف والشيخ سليمان وبلصهما ونفاهما الى مصر لانهما أيدا أخويه حسن وحسين عليه • وان الامير منصور بن حسن حينما تولى الحكم سنة ١٥٢٣ اعادهما من منفاهما • والسياق عجيب لانه لايعقل أن يكون الجماعة أتوا الى لبنان من خارجه سنة ١٥١٥ ثم استطاعوا أن يندمجوا في نزاع قام بين الامير واخويه وينصروهما عليه سنة ١٥١٨ الى درجة أثارت الامير وجعلته ينفيهم الى مصر • ولا ندري بالاضافة الى هذا ما هو وجه نفيهم الى مصر ولم تكن بلاد الشام تابعة لمصر في أوائل العهد العثماني وانما كان لها ولاة تابعون للاستانة وكانت طرابلس مركز

---

(١) ص ٩٢ — ١٠١ •

(٢) ص ٢١٦ •

(٣) هذه الاخبار مقتبسة من الصحف ٩٧ — ١٠١ ولم نر حاجة الى الاشارة الى صحيفة كل خبر لانها صحف قليلة •

وال من هؤلاء الولاة ! وقد ذكر بعد ذلك ان محمد آغا شعيب والي طرابلس حنق على الامير منصور العساف وطلب منه مالا لمساعدته الامراء الاكراد بني سيفا الذين قتلوا أقاربه أهل عرقة فارسل له الامير الشيخ يوسف والشيخ سليمان بخمسمائة مقاتل فنصبوا لمحمد آغا كمينا وقتلوه هو وابنه ثم اصلحوا امرهم مع القاضي فحكم ببراءتهم • وهذا الخبر يدعم استغرابنا السابق ويجعلنا نشك في السنة المعينة لقدومهم ونرجح انهم قدموا في وقت أبكر حتى تيسر لهم الرسوخ والبروز في المجال السياسي •

ثم ذكر الشدياق ان مقدما اسمه عبد المنعم كان دهقانا لارزاق الامير منصور واشترك مع بني حبيش في قتل محمد آغا شعيب اخذ يحرض الامير عليهم فلما بلغهما ذلك قابلوا الكيد بمثله فاخبروا الامير بخبر مؤامرة يدبرها عبد المنعم مع الامراء الحرافشة ضده [1] فأمرهم بقتله فقتلوه وقتلوا معه احد عشر رجلا من بني عمه فراق خاطر الامير وجعل بني حبيش الشيخ يوسف ابا منصور والشيخ سليمان ابا يونس مدبرين له • وفي سنة ١٥٨٣ توفي ابو منصور وكان الامير منصور قد مات وصار الحكم لابنه الامير محمد فجعل ابا يونس مدبرا له • والخبر يفيد ان الاخوين ظلا مدبرين لمنصور ثم لمحمد من بعده •

وفي سنة ١٥٩٣ قتل يوسف سيفا باشا الامير محمد العساف والحق به ابا سليمان حبيش وابا سعد بن اخيه منصور ومهنا الاخ الثالث وهدم مساكنهم • ففر يونس وحبيش ولدا سليمان الى الشويفات ملتجئين للامير محمد جمال الدين التنوخي •

وقد ذكر الشدياق ان الامير يونس المعني ارسل يونس الذي

---

(١) في فصل ولاية الامراء المردة اشار الشدياق الى تآمر عبد المنعم مع الحرافشة ضد الامير ووعده بتسليم مقاطعاته لهم لانه شعر ان قلب الامير متغير عليه وانه متربص به ليقتله (ص ٢١٧) •

كان يلقب بابي ظاهر مع الشيخ ابي نادر الخازن لعد الاشجار وتحصيل المال من المقاطعات • ويفيد الخبر ان يونس حبيشا اتصلا بالامير المعني ودخلا في خدمته • وقد اشتركوا في وقعة بين القيسية واليمنية وقعت في السنة المذكورة الى جانب القيسيين • والمتبادر انهم ظلوا في خدمة الامير فخر الدين ولكنهم لم ينبهوا بعهده نبوها يستحق الذكر • والخبر يفيدانهم اندمجوا فيالنعرة القيسية تبعا لبني معن•ثم قالالشدياق بعد الخبر المذكور انهم لما ولى والي الشام الامير عليا بن علم الدين على جبل الشوف ــ مكان الامير ملحم على ما يفيده السياق ــ رحلوا من البلاد تبعا لرحيل الامير المعني وزعماء القيسيين مما شرحناه في سيرة بني معن • ومما ذكره الشدياق عنهم ان بعض مشايخ بني حبيش اتهموا في سنة ١٦٥٣ بنية خطف الشيخ ابي رزق البشعلاني الذي كان برز في منطقة بشرى وصار شيخ مشايخها من قبل والي طرابلس واخذه الى الامير ملحم المعني فاعتقلوا وسجنوا ردحا من الزمن ، وان الامير احمد كتب في سنة ١٦٨٠ للشيخ طربية والشيخ شديد حبيش صكا بولاية غزير وان بني حبيش وقفوا في سنة ١٧١١ الى جانب الامير حيدر الشهابي في نزاعه مع ابي هرموش وقاتلوه قتالا شديدا • وهذه الوقعة هي وقعة عين دارة الكبرى التي ذكرناها في سيرة بني شهاب •

وقفز الشدياق بعد هذا الى سنة ١٨٤٠ دون ان يذكر شيئا عن بني حبيش في الفترة الطويلة بين التاريخين • وقد ذكر ان يوسف حمزة وبطرس واكد واخوه يوحنا ــ من المشايخ الحبيشيين لانالسياقعنهم ــ نهضوا سنة ١٨٤٠ وجمعوا انفارا وساروا بهم لمحاربة العسكر المصري في طرابلس ، وان الامير خليل بن الامير بشير قبض على الشيخ بطرس واهانه وحبسه ثم اطلقه ليتمكن من القبض على أخيه ولكنهما تمكنا من الفرار والنجاة ، وان المشايخ الحبيشيين قدموا الى بعبدا واعبية برجالهم حينما دهم الدروز النصارى في دير القمر لمساعدة النصارى

وشهدوا المواقع ثم رجعوا الى بلادهم ، وان عمر باشا لما تولى ولاية بيروت بدلا من الامير بشير ملحم سنة ١٨٤٣ ولى اولا دحمزة حبيش على غزير ، وانه وشى للسرعسكر الذي جاء من الاستانة لتهدئة الفتنة بين الدروز والنصارى بان الدحادحة لا يزالون يسعون في تعيين وال نصراني فكتب الى اولاد حمزة باعتقال رسول لهم فاعتقلوه فادى ذلك الى فتنة بينهم وبين الدحادحة والخوازنة قتل فيها بعض الدحادحة الحبيشيين ثم هدأت بتدخل الوزير الذي عين خليل حمزة حبيش بعد ذلك واليا على غزير كسابق عهد اسرته وخلع عليه خلعة . وانتهى فصل الشدياق عنهم عند ذلك .

ولقد ورد ذكر بني حبيش في الغرر الحسان بضع مرات . وذكر في احداها مساهمتهم في قتال عسكر ابي هرموش الى جانب الامير حيدر الشهابي سنة ١٧١١ وكان قتالهم شديدا [١] .

وذكر في مرتين ما يفيد انهم كانوا من انصار الامير بشير في ظروف الحملة المصرية حيث ذكر ان ابراهيم باشا استدعى الامير بشيرا الى معسكره في عكا فذهب في صحبة الشيخ شاه بن طلب حبيش واخوه الشيخ يوسف وصحبتهما مائة فارس لمعونته [٢] ، وان الامير خليل بن الامير بشير لما سار على رأس قوة الى بلاد نابلس لقمع ثورتها ضد الحملة المصرية ذهب معه الشيخ بطرس شمسين حبيش وساهم في حركة القمع معه [٣] .

---

(١) الغرر الجزء الثاني والثالث نشر رستم والبستاني ص ١٠ .

(٢) ص ٨٢٠ .

(٣) ص ٨٠٧ .

ولقد احتوى كتاب تاريخ الموارنة المفصل للدبس بعض نبذ عنهم كما ذكرنا فيها تطابق لما ذكره الشدياق وفيها بيانات زائـدة عليـه ايضا • فمن ذلك في فصل تاريخ الموارنـة في القرن السادس عشر ان الحكومة فرضت على جبة بشرى سنة ١٥٧٢ (٢١٠٠٠) سلطاني ــ نوع من العملة كان يساوي ثلثي القرش في ذلك الوقت ــ فـاصاب دير قنوبين مئتان وضبطت الحكومة الدير فاستفكه البطرك مخائيل الرزي بعناية الشيخ ابي منصور يوسف حبيش [١] ، وانـه لما حـدث قتال بين القريعية ــ اسرة المقدم ابي سلهب القريعي الذي مر ذكره في بحث الموارنة وامرائهم ــ وبين اهل بشرى سعى الشيخ ابو منصور في عزل القريعية عن حكم الجبة ونجح في سعيه [٢] • والخبران يدلان على ماكان للشيخ ابي منصور من جاه وكلمة •

وفي فصل تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر اشارة الى توليـة الامير احمد المعني للشيخ طربية والشيخ ابي شديد على غزير وهو ماذكره الشدياق وقد زاد على ذلك بقوله ان غزيرا صارت بذلك اقطاعا لآل حبيش [٣] •

وفي فصله في تاريخ الموارنة في القرن التاسع عشـر ذكر البطرك يوسف حبيش وقال انه كابد من جراء الحرب الوطنية بـين النصارى والدروز اتعابا وخسائر لا تقدر واشتهر بكرمه على الفارين والمعوزين ، ولما تجددت الحرب سنة ١٨٤٥ كانت سببا لموته كمدا وحزنا [٤] •

ولقد ذكر الشدياق هذا البطرك في فصل ولاية الامراء الشهابيين

---

(١) (٢) ص ٢٨٠

(٣) ص ٣٤١ •

(٤) ص ٥٤٨ •

من اخبار الاعيان وقال فيما قاله عنه [1] • انه كتب بعد جلاء الحملة المصرية صك اتفاق بين شعبه من امراء ومشايخ وغيره مضمونه ان يكونوا سالكين بالمحبة والطاعة حسب مقتضى الديانة ومطيعين للسلطان ومن يوليه عليهم منهم ومتيقظين على صالحهم العام ومعتنين بالصلح بين المتنازعين ورفع الدعاوى التي يتعذر حلها الى الوالي والقاضي وتوزيع الاموال التي تنفق على المصالح العامة بالانصاف وحفظ مقام كل واحد حسب مرتبته وتصرف المناصب ـ المشايخ ـ بالعدل والرحمة في من يختصون به وتكتل الجميع ضد من يسعى لحل الاتحاد واقامة وكلاء أمناء من جميع المقاطعات لاصلاح الشعب وقبول طلب كل من يريد الاتحاد مع الموارنة من طوائف النصارى الاخرى على هذه الاسس وان الصك قد وقع من قبل الامراء الشهابيين واللمعيين والمشايخ وباقي الشعب حيث يدل العمل على السداد والحكمة ورغبة التوفيق وقطع الخلاف • وقد انعمت الدولة على البطرك بعلامة شرف من الماس • وقد احتذى حذو البطرك الدروز والطوائف النصرانية الاخرى فكتبوا صكوكا تتضمن ما تضمنه صك البطرك الحبيشي • ثم ذكر الشدياق ان الدولة امرت في هذه الاثناء الامير بشير ملحم بانشاء ديوان من ذوي الخبرة من النصارى والدروز فوافق الموارنة ولم يوافق الدروز وخشي هؤلاء العاقبة فاخذوا يحزبون الطائفة الملكية معهم مستشعرين بالريبة من موقف الموارنة وموافقتهم ، ثم ذكر اندلاع الفتنة بين الدروز والموارنة في دير القمر وبعقلين سنة ١٨٤٢ وتفاقمها • ولم يرد في سياق ذلك ذكر للبطرك الا في آخر كلامه حيث ذكر أن السرعسكر الذي جاء من الاستانة لتهدئة الفتنة سأله عمن يصلح للولاية من الامراء المعيين فاشار عليه بالامير حيدر اسماعيل وهو الذي عين قائمقاما للنصارى لاول مرة حينما تقرر قسمة لبنان الى حكومتين في سنة ١٨٤٣ على

---

(1) ص ٦١٧ ـ ٦٢٦ •

ماذكرناه في مناسبة سابقة •

ومع ان المعلوف قال انه كان منهم بطاركة واساقفة وانه في ايديهم براءات من فرنسة وبولونية تنعتهم بالامراء فان الشدياق والدبس خاصة الذي عني عناية كبيرة بابراز هذه النواحي لم يذكر في سلك الكهنوت غير البطرك يوسف ولم يشر الى شيء من صلاتهم بفرنسة وبولونية وبراءاتهم منهما •

ولقد انتهى نظام الاقطاع في لبنان بعد سنة ١٨٦٠ غير ان بني حبيش ظلوا وما يزالون يحتفظون الى الآن بلقب المشيخة والوجاهة الاقطاعية كغيرهم من امثالهم •

٤ — بنو الدحداح

وهذه الاسرة من الاسر المارونية التي كان لها بروز ونشاط على مسرح لبنان • وأفرادها يتلقبون بالمشيخة • وفي كتاب تاريخ الموارنة المفصل للمطران الدبس نبذ عديدة عنها كما ان في اخبار الاعيان فصلا خاصا عنها ونبذا في سياق سيرة بني شهاب • وفي الغرر الحسان كذلك بعض النبذ عنها •

ومع ان تاريخ الموارنة للدبس احدث من كتاب تاريخ الاعيان وهو من مصادره فان النبذ التي جاءت عن هذه الاسرة فيه غير وافية • وكذلك النبذ التي جاءت عنها في الغرر الحسان • وفصل اخبار الاعيان عنها اوسع واوفى وخاصة فيما يتصل بسيرتها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي • ولذلك جعلناه معولنا في هذا البحث •

ولقد بدأ الشدياق فصله عنها [1] بذكر جرجس الحداد وتولداته وذريته الذين تعدد منهم من تسمى باسم دحداح الذي صار اسم الاسرة كلها في ظرف غير واضح ثم قال ان هؤلاء المشايخ ينتسبون الى جرجس الحداد صهر غزال القيسي ـ نعرة على الارجح ـ الماروني مقدم العاقورة الذي توفي سنة ١٣٧٥ م بدون عقب فورثته ابنته زوجة جرجس الملقب بالشدياق • ثم قفز من هنا قفزة كبيرة الى سنة ١٧٠٠ تاركا ما بين التاريخين الطويل مسكوتا عنه • وهذا ما فعله المطران الدبس ايضا [2] حيث يدل هذا على ان المؤلفين الذين لا بد من انهم استقصوا المصادر والمدونات القديمة لم يجدوا ما يساعد على ملء هذه الثغرة الواسعة من تاريخ الاسرة • وليس لنا الا ان نقف عندما وقفوا عنده وأن نشرع في سيرة الاسرة من أول القرن الثامن عشر الذي أخذ المؤلفان يذكران سيرتها فيه بشيء من التسلسل ، مع القول ان نسبة هذه الاسرة الى جرجس الحداد زوج بنت شيخ العاقورة في القرن الرابع عشر سماعية على الارجح من الاحياء في الظرف الذي كتب الشدياق فيه كتابه وغير مرتكزة الى سند وثيق • والنسبة على علاتها تنطوي على كون اسلاف هذه الاسرة هم من الموارنة أو المردة الذين كانوا مستقرين في جبل لبنان منذ القديم وليسوا طارئين كبني الخازن وبني حبيش مثلا • ولما كنا انتهينا في دراستنا للموارنة أو المردة على انهم من الجنس العربي سواء أصحت نسبتهم الى قبيلة صريحة العروبة أم الى الآراميين السريانيين الذين اندمجوا وانسكبوا في بوتقة العروبة الصريحة بعد الفتح • فان هذا ينسحب بطبيعة الحال على هذه الاسرة •

---

(١) ص ١٠٦ ـ ١٢٧ •

(٢) تاريخ الموارنة المفصل ص ٤١٨ •

والآن نأتي الى اقتباس المفيد مما ورد في فصل الشدياق الخاص عن الاسرة التي يبدو ان سيرتها حافلة بالنشاط والحيوية ٠ ولقد بدأ المؤلف كلامه بقوله : ان شيخ العاقورة مالكا ابا الغيث القيسي ــ نعرة كذلك ــ الماروني توفي سنة ١٧٠٠ بدون عقب فورثته ابنته زوجة الشيخ يوسف ابن الخوري جرجس فتسلم زوجها مشيخة القرية امتدادا لمشيخة حميه [١] ٠

ويلحظ شيء من التشابه العجيب بين رواية موت غزال مقدم العاقورة سنة ١٣٧٥ ومصير مقدميته كما سبق ذكره وبين رواية موت مالك سنة ١٧٠٠ ومصير مشيخته ! واذا صحت فانها تفيد ان مقدمية العاقورة أو مشيختها كانت تتسلسل في أبناء جرجس الملقب بالشدياق من زوجته بنت غزال الى سنة ١٧٠٠ م حيث انتقلت الى أسرة أخرى مع بقاء صلتها النسبية مستمرة بالاسرة السابقة !

ومما ذكره المؤلف بعد ذلك [٢] ان عمادا الهاشم الماروني العاقوري برز لمناظرة الشيخ يوسف بن الخوري جرجس وأخذ ينازعه على المشيخة ودهب الى دمشق والتمسها من واليها ــ لان العاقورة كانت تابعة لامارة بعلبك لولاية الشام ــ فانعم بها عليه ٠ غير ان اهل القرية رفضوا مشيخته لانهم قيسيون وهو يمني وتعصبوا لشيخهم القيسي فاضمر عماد الغدر بهذا الشيخ ، ونشب قتال بين الرجلين وانصارهما غلب فيه الشيخ يوسف فرحل الى قرية عشاش ثم الى طرابلس حيث تعلم اللغة التركية واتقن فن الكتابة ٠ ثم ارتحل سنة ١٧٢٠ الى بعلبك حيث لقي من اميرها

---

(١) ص ١٠٩ ٠

(٢) ص ١٠٩ ــ ١١٠ ٠

حسين الحرفوش ترحيبا فدخل في خدمته • وخشي عماد الهاشم مغبة وجوده عند الامير واستغاث بالشيخ اسماعيل حمادة الذي كانت العاقورة اقطاعا له ليخلصه منه • غير ان الاستغاثة كانت وبيلة العاقبة عليه • فقد أعجب اسماعيل من براعة يوسف واخلاقه فطلبه من الامير الحرفوشي ليكون كاتبا له ثم شيخه على العاقورة وانعم عليه ببعض العقارات وكتب له صكا بذلك ورفع عنه الجزية والضرائب وفوض اليه جمع مال اقليم الفتوح الذي كان يتولى حكمه • وهكذا برز الشيخ يوسف وصار اقطاعيا • ومع هذا القول يذكر الشدياق ان اشتداد العداء بين القيسية واليمنية في العاقورة قد ضايق يوسف فرحل عنها الى لحفد ثم الى كفور الفتوح ثم الى عرمون كسروان حيث توطنها [1] •

وقد ظل التواثق مستمرا بين يوسف واسماعيل حمادة الذي اتسع نطاق ولايته حتى شمل بلاد جبيل في أوائل القرن الثامن عشر لفترة من الزمن حتى انه جعله وصيا على اولاده من بعده •

ولما مات الشيخان ظل التواثق مستمرا بين اولادهما ، وكان سليمان ومنصور ولدا الشيخ يوسف مدبرين عند اولاد الشيخ اسماعيل الذين ورثوا الولاية عن ابيهم • وكان للاولين دين على الآخرين فقاسموهما قريتي فتقا والكفور مقابل ذلك فاتسعت رقعة املاك الدحداحيين [2] •

ومما ذكره الشدياق ان بعض اولاد الشيخ اسماعيل تمــادوا في الظلم وتقاعدوا عن دفع الاموال ولم يذعنوا لرأي مدبرهم الشيخ منصور فالتزم جانب المستقيمين منهم وحرضهم على التماس الولاية من والــي طرابلس منفردين عن الآخرين ففعلوا وكفلهم فاستجاب الوالي التماسهم ، غير ان الاخوة المعزولين غدروا بهم وقتلوهم فتركهم منصور وفر الــى

---

(١) ص ١٠٩ ـــ ١١٠ •

(٢) ص ١١١ ذكر الشدياق في السياق تاريخ وفاة الشيخ يوسف فقط وهو سنة ١٧٦١

بيروت حيث اقام فيها عند أخ له اسمه موسى • وهنا اتفق مع الشيخ سعد الخوري على السعي في توجيه حكم بلاد جبيل الى الامير يوسف الشهابي مكان بني حمادة ونجحا في سعيهما سنة ١٧٦٣م ــ ١١٧٧ هـ وقد نال بنو الدحداح توجه الامير وتكريمه فجعل منصورا شيخا على ما في يده من عقارات اقطاعية وكتب له بذلك عهدة وملكه واخوتـه عقارات اخرى في بلاد جبيل والفتوح واستخدم ولدي اخيه سليمـان نادرا ويوسف كتابا في ديوانه وجعل اخاه الرابع وهبه شيخا على جبة المنيطرة ووادي علمات ومشان [١] •

ولقد ظل التواثق والتعاطف بين بني الدحداح وبين الامير يوسف وكان لهم لديه منزلة عالية حينما تولى ولاية الجبل سنة ١٧٧٠ م ــ ١١٨٤ هـ • وقد عين منهم الشيخ ناصيف بن موسى وكيـلا على قبض الاموال الاميرية واخويه يوسف وابراهيم كاتبين في ديوانه واستحضر اخاهم الرابع سلوم ورفع مقامه وقيده بخدمته (والعبارة للشدياق [٢])• وفي سنة ١١٧١ كتب صكا لبني الدحداح بمقاطعة الفتوح عهـدة لهم وسلمهم محاصيل ارزاق بني حمادة في تلك المقاطعة ورفع ولاية المشايخ الخوازنة عن خدمهم وشركائهم في كسروان • وحينما ارسل أخاه الامير حيدر واليا على بلاد جبيل سنة ١٧٧٧ جعل عنده خمسة من بني الدحداح ليساعدوه على مهمته •

ولما استولى الامير سيد احمد على الحكم من أخيه يوسف سنة ١٧٧٨ وسير قوة على جبيل لارغام الامير حيدر على التخلي عنها وضربت القوة الحصار على قلعة جبيل سارع المشايخ برجالهم الى نجدة حيـدر وتمكنوا من فك الحصار ، مما جعل الامير يوسف ينعم عليهم حينما عاد

---

(١) ص ١١١ ــ ١١٢ •

(٢) ص ١١٣ •

الى الحكم بعد قليل بعقارات جديدة في سواحل بلاد جبيل ويرفع عنهم الاموال الاميرية [1] .

ولما مات الشيخ منصور سنة ١٧٨٠ عين الامير يوسف ابنه حنا شيخا مكانه [2] . وحينما نشب النزاع بين الامير يوسف والامير بشير ظل بنو الدحداح متواثقين مع يوسف في السراء والضراء وحينما انهزم الى بلاد الشام في احدى جولات المصاولة سنة ١٧٩٠ م سار معه منهم المشايخ سلوم ويوسف وابراهيم . ولما ذهب الامير يوسف الى عكا وحبسه الجزار سنة ١٧٩١ كان معه المشايخ المذكورون وحبسوا معه ايضا . ولما شنق الجزار الامير يوسف طلب الامير بشير منه المشايخ فارسلهم اليه حيث حبسهم في دير القمر وعذبهم عذابا شديدا [3] .

وفي سنة ١٧٩٢ اعتزل الامير بشير الحكم وتولى الاميران حيدر وقعدان فاخرجا المشايخ من السجن واستخدماهم مدبرين لهما . ولما تولى اولاد الامير يوسف الحكم سنة ١٧٩٣ حظي المشايخ بالرعاية عندهم وفاء بزمامهم وامتدادا لما كان من تواثق بينهم وبين ابيهم من قبل [4] .

ولما عاد الامير بشير الى الحكم بعد ذلك بقليل جنح الى التسامح مع المشايخ وانتفع بخدماتهم لما كانوا عليه من خبرة ودارية . ولم يغضب هذا اولاد الامير يوسف فلما عادوا الى الحكم ثانية سنة ١٧٩٥ م استخدموهم في مهامهم ايضا [5] حيث يبدو من هذا انهم لم يكونوا

---

(١) ص ١١٣ .

(٢) ص ١١٣ .

(٣) ص ١١٤ .

(٤) ص ١١٤ .

(٥) ص ١١٤ .

خبثاء الطوية منحرفي المطامح وانما كانوا مسالمين مستعدين لبذل خبرتهم بدون حقد وريب • ولقد عاد الامير بشير الى الحكم بعد قليل وفر اولاد الامير يوسف الى بلاد جبيل فذهب المشايخ معه وكان المتزعم الشيخ سلوم وبذلوا جهودهم مع غيرهم في سبيل الاصلاح والتراضي بين اولاد الامير يوسف والامير بشير ونجح مسعاهم • فقدرهم الامير بشير وجعل الشيخ سلوم مدبرا له وجعل اخوته مدبرين عند أخيه الامير حسن الذي ولاه بلاد جبيل • وقد أوفد الامير في سنة ١٧٩٩ الشيخ حنا منصور الى الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا الذي قدم الى بلاد الشام على رأس حملة لقتال نابوليون فالتقى به في الاناضول ونال رضاءه وأعاده مغمورا بالاكرام [١] •

ولقد توطد التواثق هذه المرة بين المشايخ والامير بشير باستمرار حتى انهم لازموه في ظروف تخليه بعد قليل عن الحكم وولاية اولاد الامير يوسف مكانه • وكان لنصائح الشيخ سلوم للامير بشير في محنته أثر مفيد فلما عاد الى الحكم جعله مدبره الخاص [٢] • وفي سنة ١٨٠٤ ارسل الامير الشيخ يوسف الدحداح في مهمة خاصة الى الجزار فأداها بحكمة وتسديد حتى سر منه الجزار وحقق له ما طلب وكتب للامير بان لا يرسل بعد الآن غيره رسولا ، مما جعل الامير يغدق عليه النعم ويرفع مرتبته • وقد وصفه الشدياق بانه كان فريد عصره في حسن المحاضرة والانشاء والجود والفصاحة وسداد الرأي [٣] •

وكان أخوه الشيخ ابراهيم في هذا الظرف مدبرا للامير حسن في جبيل ، ومنصور حنا واخواه لويس وجهجاه مشايخ على مقاطعة ابيهم •

---

(١) ص ١١٤ – ١١٥ •

(٢) ص ١١٥ •

(٣) ص ١١٥ – ١١٦ •

ومرعي بن نادر وكيلا على مشايخ الزاوية وجميع مطالبها • وزعيتر راشد شيخا على الكورة • ولما مات الامير حسن وخلفه ابن اخيه قاسم بشير في ولاية جبيل ابقى هؤلاء جميعهم في مناصبهم • وفي سنة ١٨١٣م استحضر الامير بشير امينا بن يوسف وجعله مع ابنه الامين يتعلم قواعد اللغة العربية عند المعلم بطرس كرامة الشاعر المشهور فبرع فيها فقلده الكتابة الخارجية لحسن خطه ورقة انشائه [١] • وفي سنة ١٨١٥ توفي الشيخ ناصيف بن موسى فعين الامير ابنه طنوسا محل أبيه في المشيخة • وعهد الى ابن ثان له اسمه عبد الله بقضاء مطاليب العرب (المقصود البدو على الاغلب [٢]) • وفي سنة ١٨١٧ خاطبهم بلقب الاخ العزيز تكريما لهم وتوطيدا لمشيختهم •

ولما مات الشيخ سلوم سنة ١٨٢٠ عين الامير ولديه منصورا وغالبا مدبرين له مكان ابيهما [٣] • ولما اعتزل الامير بشير الحكم وذهب الى حوران سنة ١٨٢١ ذهب معه من المشايخ احد عشر شخصا • ولما رجع الامير الى الحكم ظلوا مرعيين مكرمين لديه [٤] • ولما شاخ ابراهيم بن موسى مدبر الامير قاسم عين له الامير بشير مرتبا واقام الشيخ مرعيا ابن نادر مكانه وجعل زعيترا راشدا ولويس حنا — وجميعهم من الدحداحيين — معاونين لمرعي [٥] •

ولما تغلب الامير بشير على حركة المناوأة في سنة ١٨٢٢ استدعى اليه الشيخ ابراهيم المتقاعد وولاه جبة بشري ووضع عنده قاضيين ليساعداه وفوضه بجميع الاحكام [٥] • ولما عزل الامير ورحل الى مصر

---

(١) ص ١١٦ •

(٢) ص ١١٦ •

(٣) ص ١١٦ — ١١٧ •

(٤) ص ١١٧ •

(٥) ص ١١٧ •

في السنة نفسها ، سار معه معظم المشايخ . وكان مرعي نادر ممن تخلف عنه . وبدلا من ان يتعرض لنقمة الامير عباس الذي نصب واليا مكان الامير بشير نال تسامحه وعينه مدبرا له ورئيسا لكتبته لجودة عقله وحسن خطه ولما تحلى به رجال الاسرة من الاستقامة على ما نبهنا عليه قبل [1] .

ولما عاد الامير بشير من مصر واستأنف الحكم ارسل الشيخ فرنسيس يوسف (الدحداح) الى بلاد جبيل مفوضا بمعاطاة الحكم فيها وجمع الاموال الاميرية منها . ولما عين ابنه الامير خليل واليا على هذه البلاد جعل الشيخ فرنسيس مدبرا عنده . ثم جعل الشيخ منصورا مدبرا لكافة أعماله وأخاه الشيخ غالب مساعدا له والشيخ امين بن يوسف والشيخ موسى بن ابراهيم كاتبين في ديوانه [2] .

ولقد ظل مرعي نادر شاذا حيث بقي متواثقا مع الامير عباس واندمج في حركة المناوأة ضد الامير بشير فاثار هذا غضب الامير وجعله يتعقبه ففر الى عكا فامر الامير بضبط املاكه ، وظل على عناده واندمج في حركة الشيخ بشير جنبلاط في سنة ١٨٢٥ ولما كسرت هذه الحركة فر الى حوران مع الشيخ ثم فرا الى حلب بسبب تعقب الامير له وهناك تعرف بقنصل فرنسة وتمكن بمساعدته من السفر الى مرسيليا حيث اشتغل في التجارة [3] .

ولم يؤثر شذوذه في قوة التواثق بين الامير والمشايخ . ولقد توفي الشيخ فرنسيس في سنة ١٨٢٥ فارسل الامير حفيده ثم ابنه للعزاء واقام أخاه لطوفا مكانه وخلع عليه . وظلوا بدورهم يقومون بخدمته

---

(١) ص ١١٧ .

(٢) ص ١١٨ .

(٣) ص ١١٨ .

باستقامة واخلاص ٠

ولقد نشب سنة ١٨٢٧ نزاع بين امراء وادي التيم فتعهد له الشيخ ابراهيم بحل النزاع ومنع الفتنة والقتال فارسله فحقق قوله بالفعل ٠ وقد اكرمه الامراء وخلعوا عليه وأتوا معه مصطلحين الى بيت الدين فسر الامير بشير بما كان منه وخلع عليه واكرمه بدوره وطلبه الامراء منه لتدبير بعض الشؤون المالية فارسله معهم [١] ٠

ولما عهد الامير بشير الى ابنه الامير امين سنة ١٨٢٨ بقضاء مصالح الناس تنحى الشيخ منصور عن عمله فرتب له الامير بشير معاشا كافيا وظل لديه مكرما [٢] ٠ وفي سنة ١٨٣٧ استدعى الامير امين الشيخ رشيد غالب الى الخدمة لما بلغه عنه من الحذق والادب وحسن التصرف وجعله كاتبا عنده ٠ وفي سنة ١٨٣٩ استدعى الامير عبد الله بن الامير حسن الشيخ خليل غالب وجعله كاتبا عنده كذلك وقلده كتابة الاحكام وسلمه وظيفة استماع الدعاوى ٠ ولما مات غالب سلوم سنة ١٨٤٠ ارسل الامير ابنه امينا للعزاء به وخلع على ابنه الشيخ رشيد وجعله شيخا مكان ابيه [٣] ٠ ولما اخذ اللبنانيون يناوئون التجنيد الذي فرضه ابراهيم باشا قائد الحملة المصرية ارسل الامير بشير الشيخ رشيدا الى زحلة ليحذر أهلها من الاندماج في حركة المناوأة فنجح واخذ منهم صكا بالطاعة ٠ وفعل مثل ذلك مع المشايخ الحمادية ونجح في مسعاه ايضا [٤] ٠

ولما توجه الامير بشير الى صيدا مستسلما صحبه الشيخ رشيد

---

(١) ص ١١٩ — ١٢٠ ٠

(٢) ص ١٢٠ ٠

(٣) ص ١٢٠ — ١٢١ ٠

(٤) ص ١٢١ ٠

غالب وسافر معه الى مالطة ثم عاد الى وطنه [1] ٠

ولما تولى الامير بشير ملحم تواثق معه المشايخ الدحادحة استمرارا لما كان منهم من ذلك مع الامير بشير على ما يستفاد من سياق الشدياق الذي قال ان هذا الامير استدعى اليه الشيخ رشيد غالب فقدم عليه برجال الفتوح ومعه الشيخ منصور وولداه سليم وسعود ومخائيل بن عبد الله وجهجاه بن حنا ، وانه اتخذ الشيخ رشيدا كاتبا ونديما [2] ٠

ومع ذلك فقد ذكر الشدياق في سياقه [3] موقفا عجيبا لبعض المشايخ حيث روى ان ستة منهم انحدروا الى جونية وعرضوا ولاءهم على السرعسكر سليم باشا وطلبوا اسلحة لحماية بلادهم من عسكر ابراهيم باشا المخيم مع عثمان باشا في وطا الجوز فرحب بهم واعطاهم ما طلبوا وأبقى منهم الشيخين لطوف يوسف وسليمان نادر كاتبين عنده ٠ وان قوة سارت من جونيه الى جبيل لطرد العسكر المصري من قلعتها فسار معها منهم الشيخ بولس وجهجاه ٠ ويظهر ان المشايخ لم يروا في حركتهم هذه شذوذا عن نطاق التواثق بينهم وبين الامير بشير لان هذا كان يئس من الموقف واستسلم وسافر الى مالطة قبل رحيل القوات المصرية على ما شرحناه في سيرة بني شهاب ٠

ويظهر ان التواثق لم يستمر بين المشايخ وبين الامير بشير ملحم حيث ذكر الشدياق انهم انفضوا عنه وانسحبوا الى بلادهم غير راضين ثم لحق بهم الشيخ رشيد [4] ٠

---

(١) ص ١٢٢ ٠

(٢) ص ١٢٢ ٠

(٣) ص ١٢١ ٠

(٤) ص ١٢٢ ٠

ولما وقعت الحرب بين النصارى والدروز جمع الشيخ رشيد رجال الفتوح وسار بهم الى بعبدا وقاتل فرقة من الدروز في أيام الاشتباك الاول [1] .

ولما تولى عمر باشا الولاية اتخذ الشيخ منصورا بن سلوم مدبرا له لخبرته ورايته [2] . وقد طلب الشيخ رشيدا للخدمة أيضا ولابعاده عن الحزب النصراني المطالب بوال نصراني من البلاد فاعتذر . ومع ذلك فانه ولاه جباية محاصيل الاقطاعات . وجاء مرة الى زيارته فاستقبله بحفاوة وتكريم واجلسه على وسادته ونفذ له مقترحاته [3] .

وبرغم ذلك تزعم الشيخ رشيد حركة المطالبة بوال نصراني شهابي في حين كان اتجاه الدولة غير ذلك ، وأرسل كتابا الى البطرك يوسف حبيش صحبة رسول خاص في ذلك . وغضب الوالي الذي علم بالامر فطلب من أولاد حمزة حبيش الذين كانوا حكاما في غزير ومتواثقين مع الدولة اعتقال الرسول ففعلوا وادى ذلك الى فتنة وقتال بين أحزاب النصارى . وأرسل الوالي قوة لمطاردة الدحادحة ففروا واختبأوا في الجبال وقاسوا خلال ذلك اهوالا وخسروا أموالا . وفي أثناء ذلك غضب الدروز على الوالي عمر باشا فاغتنم النصارى الفرصة وعرضوا عليهم الاتفاق على وال نصراني لبناني فاجابوهم الى ذلك وارتضوا أن يكون الامير سعد قعدان الشهابي هو الوالي وكتب الشيخ رشيد صكا وقعه مشايخ الدروز والموارنة معا . ولكن الحركة لم تنجح وفر الشيخ رشيد نتيجة لحبوطها الى صيدا والتجأ الى قنصل فرنسة فيها [4] . وجاء أمر من وزارة الخارجية الافرنسية الى قنصل فرنسة العام في بيروت

---

(١) ص ١٢٢ — ١٢٣ .

(٢) ص ١٢٣ .

(٣) ص ١٢٣ .

(٤) ص ١٢٦ .

بحمايته وحماية أقاربه • ثم جرت محاولات في سبيل الاصلاح بين بني الداحداح وبني حبيش وتم الامر على يد البطرك يوسف الخازن سنة ١٨٤٦ وانصرف الشيخ رشيد بعد ذلك الى التجارة والعلم معا وأنشأ بيتا تجاريا في مرسيليا وآخر في بيروت واتسعت تجارته وازدادت شهرته وبرع في أثناء ذلك في اللغات الافرنسية والطليانية والانكليزية والتركية وطبع بعض الكتب اللغوية والادبية بالعربية • وعند هذا وقف الشدياق في فصله [١] •

— ٣ —

ومع ما كان من شدة التواثق التي كانت بين بني الدحداح والامير يوسف واولاده والتي يطنب فيها الشدياق فان مؤلف الغرر الحسان لم يذكرهم الا لماما وفي مواقف يتطابق فيها مع ما ذكره الشدياق منها • ومما ذكرهم فيه خبر سجنهم مع الامير يوسف حينما سجنه الجزار أثناء التشاد والنزاع القائم بينه وبين الامير بشير سنة ١٢٠٥ ــ ١٧٩٠ م [٢] • وخبر تضامن الشيخ سلوم الدحداح مع الشيخ غندور الخوري في أثناء الخلاف بين الامير يوسف والامير منصور وقد اعتقله الامراء اللمعيون القاطنون في المتن فلما جرى تراض وصلح في موقف من المواقف كان اطلاقه شرطا من الشروط فاطلقوه والبسوه فروة [٣] • وخبر دخولهم في خدمة الامير بشير الثاني سنة ١٢١٠ هـ ــ ١٧٩٥ م بعد ان استتب لـه

(١) ص ١٢٦ ــ ١٢٧ •

(٢) الجزء الثاني والثالث من الغرر نشر رستم والبستاني ص ١٦٠ ــ ١٦١ •

(٣) ص ١٧٢ •

الحكم بعد الامير يوسف وانزاله اياهم حسب عوائدهم [1] • واخيرا خبر ارسال الامير بشير الثاني تقادم وخيلا للجزار سنة ١٢١٨هـ-١٨٠٣م صحبة احـدهم الشيخ يوسف [2] حيث يدل على انهم ظلوا منسجمين معـه •

وليس في تاريخ الموارنة للدبس شيء ذو بال يمكن أن يزاد على ما ذكره الشدياق • وكل ما هناك ان هذا المؤلف خص الشيخ رشيدا ـ أو الكونت رشيدا ـ بترجمة [3] وأشاد بسعة ثقافته وذكر انـه طبع قاموس المطران جرمانوس فرحات بعد تهذيبه وسماه احكام باب الاعراب وشرح ديوان ابـن الفارض وطبعه مع شرحين آخرين لـه للبوريني والنابلسي ونشر مجموعة اشعار حكيمة لاشهر شعراء العرب سماهـا طرب المسامع في الكلام الجامع ، وطبع كتاب فقه اللغة للثعالبي وكتـابا آخر له عنوانه قمطرة طوامير فيه مقالات ادبية وفوائد لغوية وأنشأ في باريس جريدة عربية سماها برجيس باريس وانيس الجليس وتقرب الى سمو باي تونس وصار له ترجمانا في زيارة له لفرنسا وساعده علـى عقد قرض فوهبه مبلغا عظيما واستوطن باريس نهائيا في سنة ١٨٦٤ وامتلك فيها قصرا في الشانزليزة كان يستضيف فيه عظماء اللبنانيين من بطاركة ومطارنة واشترى في سنة ١٨٧٥ بلدة دينار على ساحل المانش وعمرها وأوصل اليها السكة الحديدية فكانت له ثروة طائلة ، وانعم البابا بيوس التاسع عليه في سنة ١٨٦٤ بلقب كنت روماني يرثه بكره

---

(١) ص ١٨٠ •

(٢) ص ٤٠٧ •

(٣) ص ٥٢٧ - ٥٢٩ •

وسلالته من بعده ، وتوفي سنـــة ١٨٨٩ في الســادسة والسبعــين من عمـــره •

وواضح من سيرة الاسرة ان بني الدحداح كانوا ذوي نشاط وحيوية كبيرة وانهم ظلوا ينشطون في مضمار النظام الاقطاعي الذي كان لهم نصيب فيه الى أواخر عهده • وقـــد ظلوا بعد انهيار هـــذا النظام وما يزالون يحتفظون بلقبهم الاقطاعي ووجاهتهم الاقطاعية وبعض ممتلكاتهم الاقطاعية كذلك •

٥ — بنو الظـاهر

— ١ —

وهذه أسرة من الاسر المارونية التي ذكرت في عـداد الاسـر الاقطاعية • وأفرادها يتلقبون بلقب المشيخة • وفي أخبار الاعيـان وتاريخ الموارنة نبذ عنها وان لم تحظ باسهاب كما كان شأن الاسـر السابقة مما يدل على انها لم تكن ذات نشاط ومشاركة في احـداث لبنان مثلها • ولم تكد تذكر في الغرر الحسان وهذا ما يؤيد ذلك •

وينسب الشدياق هذه الاسرة الى جد اسمه الشدياق بطرس الرزي • وبعد أن يذكر تولداته وتولدات من بعده يقول انه نزل مـن بقوفا في جبة بشرى الى كفر حورا في الزاوية سنة ١٧٦٠ وانه كان ذا عقل ثاقب ومهارة في الحساب والانشاء فاتخذه والي الزاوية كاتبا عنده ثم أنعم عليه والي طرابلس بولاية هذه المقاطعة فبقيت الولايـة لذريته الى الآن [١] •

والمتبادر من هذا الكلام ان بطرس من أهل منطقة جبة بشرى وبالتالي ان أسرته من المردة أو الموارنة القدماء وليست طارئة • وقـد أورد المطران الدبس في نبذته عن هذه الاسرة ما يؤيد ذلك حيث قال [٢] ان البطرك الدويهي — وهو من رجال القرن السابع عشر الميلادي وتوفي

(١) اخبار الاعيان ص ١٠٢ •

(٢) تاريخ الموارنة ص ٤١٧ — ٤١٨ •

عام ١٧٠٤ على ما جاء في تاريخ الموارنة للدبس ايضا [1] ــ ان اصل هذه الاسرة من بيت الرز الذين كان منهم ثلاثة بطاركة ، وانها عندما دك أهل أهدن منازل أصحاب النحلة اليعقوبية في بقوفا هاجرت الى كفر حورا في الزاوية في القرن السادس عشر وهي متشبثة بالايمان القويم ، واعقابها لا يزالون يتولون حكم زاوية رشعين ويعاضدون الكرسي البطريركي بكل جهدهم كما يفعل الآن ابو شديد ضاهر خليفة الشدياق انطونيوس بن الرز .

وكلام الدويهي هذا الذي نقله الدبس يدل على ان التاريخ الذي ذكره المؤرخ الشدياق لنزول الشدياق بطرس الرزي من بقوفا الى كفر حورا غلط وانه أحرى أن يكون (١٥٦٠) لان الدويهي يقول ان الهجرة كانت في القرن السادس عشر بينما يجعلها المؤرخ الشدياق بعد نصف القرن الثالث عشر الاول . وفي ما ذكره هذا المؤرخ عنها بعد ذلك ما يؤكد الغلط .

أما اسم الاسرة فالمتبادر انه جاء من اسم ابي شديد ضاهر الذي ذكره الدويهي كمساعد قوي للكرسي البطركي . حيث يبدو من الوصف انه كان ذا نفوذ وجاه فتسمت الاسرة باسمه .

— ٢ —

ومما ورد في أخبار الاعيان من سيرة هذه الاسرة ان والي طرابلس قبض سنة ١٧٤١ على كنعان بن شديد وسجنه وعرض عليه الاسلام

---

(١) أورد المطران الدبس في كتابه تاريخ الموارنة ترجمة البطاركة الثلاثة المذكورين واسماؤهم مخائيل وسركيس ويوسف ، (ص ٢٨٩ ــ ٣١٠) ويظهر انهم كانوا ذوي نشاط وثقافة وحيوية .

ووعده اذا أسلم بالاكرام ويجعله مدبرا له فأبى فعذبه عذابا أليما وأصر على الاباء فقطع رأسه وأخذ المسيحيون يده ووضعوها في كنيسة سيدة حارة الحصارنة [1] . ولم يذكر الشدياق سبب هذا الحادث . ولكن الدبس يقول [2] ان الشيخ كنعان كان مشهورا بالشجاعة والاقدام والنخوة وان هناك روايات غريبة عن فراسته وانه وقع بينه وبين بعض الطرابلسيين محاسدة وخصام فشكوه الى الوالي فلقي منه ما ذكره الشدياق . والخبر غامض عجيب يتحمل التوقف . وكلمة المحاسدة والخصام لا يعقل أن تجعل الوالي يفعل ما نسب اليه .

وقد ذكر الشدياق بعد هذا [3] ان الامير ملحم الشهابي كتب لهم سنة ١٧٥٠ الاخ العزيز وأقرهم مشايخ على مقاطعة الزاوية . وذكر هذا الدبس أيضا بزيادة بعض العبارات حيث قال انه كتب لهم الاخ العزيز كباقي مشايخ لبنان الكبار وان آل الظاهر استمروا على اقطاعهم يولي الامراء الحاكمون واحدا منهم عليه الى ان الغي نظام لبنان الاقطاعات سنة ١٧٦١ [4] .

ورقم الدبس لسنة الغاء الاقطاع غلط وأحرى أن يكون سنة ١٨٦١ وكلام الدبس نفسه يؤيد ذلك فضلا عن مجرى التاريخ الذي يؤيده كما ذكرنا أكثر من مرة في الفصول السابقة . وقد قال الشدياق ان ولاية المقاطعة بقيت في ذرية الشدياق بطرس الى الآن . وعبارته تعني تاريخ فراغه من كتابه الذي هو سنة ١٨٥٩ كما ذكر ذلك في آخر هذا الكتاب [5] .

---

(١) ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٢) تاريخ الموارنة ص ٤١٧ — ٤١٨ .

(٣) ص ١٠٣ .

(٤) ص ٤١٨ .

(٥) ص ٧٢٠ وهذا التاريخ هو تقريبا آخر عهد نظام الاقطاع الذي الغي بعده بسنة أو بسنتين ...

ومن الجدير بالذكر اننا لم نعثر في الغرر الحسان على ذكر لهذه الاسرة • وليس فيه بالتبعية تأييد لما ذكره الشدياق والدبس من ان الامير ملحم الشهابي كتب لهم سنة ١٧٥٠ الاخ العزيز وأقرهم على مقاطعة الزاوية • والشدياق والدبس يذكران ذلك دون عزو الى مصدر معين •

ومهما يكن من أمر هذا السكوت فان رجال الاسرة يتلقبون اليوم بلقب المشيخة ولا بد من أن يكون ذلك مستمدا من أصل اقطاعي • والشدياق شاهد معاصر على استمرار ولايتهم الاقطاعية لانه يقول انهم كانوا الى زمن فراغه من كتابه يتولون ولاية الزاوية •

والمتبادر ان الاسرة ظلت في نطاق ولايتها الاقطاعية المحدودة دون ان تندمج وتشارك في الحركات والاحداث العامة في حكم بني شهاب فكان ذلك سبب عدم ذكرها في سياق هذه الحركات والاحداث كما ذكر غيرها من الاسر الاقطاعية لانها كانت تندمج وتشارك فيها قليلا أو كثيرا •

٦ — بنو الصالح أو بنو الخوري

— ١ —

وهذه الاسرة من الاسر التي ذكرت أيضا في عداد الاسر الاقطاعية المارونية .

وقد عقد الشدياق في أخبار الاعيان نبذة خاصة عنها [١] ونسبها الى جد اسمه صالح الذي ذكره بدون صفة أخرى والذي قال عنه انه صار كاهنا حيث يبدو من هذا ان اسم الاسرة مقتبس من اسم هذا الجد .

وفي تاريخ الموارنة للدبس نبذة بعنوان الشيخ سعد الخوري وابنه غندور [٢] . ويبدو من المقابلة بين ما جاء فيها وما جاء في نبذة أخبار الاعيان المعقودة على « بني الصالح » انها هي الاسرة نفسها . والمبادر أن آل الخوري الذين يتلقبون بلقب المشيخة الى اليوم هم الذين يمثلون في الوقت الحاضر هذه لاسرة نسبة الى الشيخ سعد الخوري أو الى صالح الذي لقبه الدبس بالخوري صالح . وهذا ما جعلنا نضع العنوان المزدوج لهذه الاسرة .

— ٢ —

ولقد ذكر الشدياق في نبذته بعد ان ذكر صالح وتولداته ان صالحا قدم سنة ١٧٠٠ م من كسروان الى رشميا وتوطنها حيث يتبادر من روح

(١) ص ١٠٣ — ١٠٦ .

(٢) ص ٤١٢ — ٤١٧ .

العبارة أن أسرة صالح من الموارنة أو المردة القدماء في لبنــان وليست طارئة • ثم قال ان الخوري عبد الله ــ وهو ابن صالح وكان يسمى قبل الرهبنة بشارة على ما ذكره المؤلف في سياق ذكر التولدات [١] في مطلع النبذة ــ حضر سنة ١٧١١ م وقعة عين دارة مع الامير حيــدر الشهابي وقبض على أميرين من اليمنية فاقطعه الامير حيدر رشميــا ورفع عنها المال الميري وترك له الجزية [٢] • وواضح من هذا ان الاسرة كانت بارزة ذات قوة ووجاهة قبل الوقعة وانها كانت قيسية النعرة فناصرت الامير حيدر وغدت بالمنحة التي منحها اياها في عــداد أصحاب الاقطــاع •

وقفز المؤلف بعد هذا الى سنة ١٧٧١ تاركا ستين عاما من تاريخها سكوتا عنها حيث ذكر [٣] ان سعدا بن غندور حفيد الخوري عبدالله ــ على ما تفيده سلسلة التولدات التي ذكرت غندورا في جملة أولاد الخوري عبد الله ــ تقرب في هذه السنة الى الامير يوسف الشهابي حينما صارت اليه الولاية فاتخذه مدبرا له وكتب اليه الاخ العزيز • وهذا يعني ان سعــدا كان بارزا ذا جــدارة ودراية حتى استطاع أن يكسب ثقة الامير ويغدو مدبره أي مساعده أو مستشاره ووكيــل أعماله • وان سعدا وذريته صاروا منذئذ يتلقبون بلقب المشيخة •

ومما ذكره المؤلف من صور نشاط الشيخ سعد [٤] ان الحمادية دهموا في نفس السنة الامير بشير حيدر الشهابي في العاقورة وهو يجبي الاموال الاميرية فارسل الامير يوسف مدبره الشيخ سعدا بقوة عسكرية للتنكيل بهم فادركهم في دير بعشار وظفر بهم وفر من نجــا بالــذل

---

(١) ص ١٠٣ •

(٢) ص ١٠٤ •

(٢) ص ١٠٤ •

(٢) ص ١٠٤ •

فتعقبهم الى القلمون وأهلك منهم ١٠٠ رجل وقبض على أحد زعمائهم الشيخ أبي النصر .

وفي سنة ١٧٨٣ انكسر على الامير يوسف بعض الاموال وشدد الجزار بالطلب فارهن الشيخ سعدا على المال المطلوب وأحضر ابنه الشيخ غندورا مدبرا مكان أبيه . وقد ألم بالشيخ سعد أثناء وجوده في عكا مرض فاطلقه الجزار بعد مدة ولكنه لم يلبث أن توفي [1] . فغدا الشيخ غندور مدبرا أصيلا للامير .

وفي سنة ١٧٨٨ أنعم عليه ملك فرنسة بقنصلية بيروت ، وعهد اليه الامير يوسف في نفس السنة بولاية مجدل معوش ووادي الست وبحمدون وعين تراز مع استمرار منصب المدبر عليه [2] . ولم يمض سنتان على ذلك حتى لقي حتفه شنقا من قبل الجزار . فقد اشتد التنازع على الحكم بين الامير يوسف والامير بشير الثاني فذهب الامير يوسف ثم مدبره الشيخ غندور الى عكا لالتماس الولاية في سنة ١٧٩٠ وكان قد اقصي عنها وتولاها الامير بشير وقامت حركة مناوئة للامير بشير وهما عند الجزار فشكاهما للجزار فشنق الشيخ غندورا ثم ألحق به أميره على ما شرحناه في سيرة بني شهاب [3] .

ولم يذكر الشدياق بعد ذلك شيئا يفيد تاريخا من سيرة الاسرة عدا تولداتها ووفياتها الى سنة ١٨٣٩ حيث ذكر ان الوالي الامير بشير أرسل في هذه السنة الشيخ بشارة بن الخوري انطون ــ من الاسرة ــ ومعه حبيب الخوري البيتديني الى طرابلس ليتعلما الفقه ثم جعله سنة

---

(١) ص ١٠٥ .

(٢) ص ١٠٥ والغرر الحسان ١٥٩ ــ ١٦١ .

(٣) ص١٠٥ والغرر الحسان ١٥٩ ــ ١٦١ .

١٨٤٠ قاضيا عنده لفصل الدعاوى [١] .

ولما تولى الامير بشير ملحم عين الشيخ بشارة قاضيا كذلك لفصل الدعاوى وعضوا في ديوان الدولة الذي أنشأه . وفي سنة ١٨٤٤ اختير قاضيا للموارنة في ديوان شورى قائممقامية الدروز في الشويفات حينما قسم الحكم الى قائممقاميتين واحدة درزية وأخرى نصرانية .

وهذا آخر ما كتبه الشدياق عن الاسرة في نبذته .

– ٣ –

وبين ما ذكره الشدياق من أولية الاسرة وما ذكره المطران الدبس في النبذة التي عقدها في كتابه تاريخ الموارنة تحت عنوان الشيخ سعد والشيخ غندور الخوري تطابق مع بعض زيادات في صدد نشاط الشيخين وصفاتهما . وقد جاء من ذلك فيما جاء ان الشيخ سعدا كان علما للملة المارونية وعضدا لها وانه حينما أبعد البابابيوس السادس البطرك يوسف اسطفان بسبب الراهبة الهندية الى الكرمل بذل جهودا كبيرة في تبرئته مما قذف به وارجاعه الى منصبه فارسل رسولا الى البابا برسالة منه وحمله رسالة من الامير يوسف حاكم البلاد ، وقد نجحت مساعيه فأعيد البطرك الى منصبه وتلقى من البابا جوابا يثني فيه عليه وعلى الطائفة المارونية [٢] .

ومما جاء في النبذة في صدد الشيخ غندور انه حل محل ابيه في الوجاهة في الملة المارونية حينما مات سنة ١٧٨٤ وان البطرك أرسل رسولا الى لويس السادس عشر ملك فرنسة بطلب توجيه قنصلية بيروت

(١) ص ١٠٦ .

(٢) ص ٤١٤ .

اليه وان الامير يوسف أيد الطلب فصدرت براءة المنصب اليه وجاء الى الامير كتاب من الاميرال دي كاستريس يذكر فيه سرور الملك برسالته ودوام حمايته للموارنة [1] . ثم يقول الدبس ان للشيخ غندور أيادي جزيلة على أهل لبنان ولا سيما الملة المارونية ، ومن جملة ذلك جعله البطرك يوسف اسطفان يحول دير عين ورقة الى مدرسة اكليركية للموارنة ، وان البابا أمر بحضوره المجمع الذي عقده البطرك بامره ليكون مساعدا على تنفيذ الاوامر الرسولية وان الشيخ غندور دعا مشايخ الموارنة لحضور المجمع فلبى معظمهم دعوته وكتبوا له عهدة بالمطالب التي رأوا تنفيذها على يده بحيث بدا كأنه شيخ مشايخ الموارنة وزعيمهم وانه قام بطبع محاضر المجمع [2] .

— ٤ —

ولقد ورد اسم الشيخ سعد والشيخ غندور الخوري مرارا في الغرر الحسان في سياق سيرة الامير يوسف ، وذكر من صور نشاطهما ما لم يذكره المؤلفان السابقان . ومما وصف به الشيخ سعد في الغرر انه هو الذي كان يقيم الامير يوسف ويقعده وان الامير لم يكن يخالفه في شيء لما له عليه من حق التربية [3] .

ومما ذكره من صور نشاطه انه لم يكن راضيا عما تم من الصلح سنة ١١٧٧ هـ بين الامير يوسف وعم الامير منصور الذي كان يتولى الامارة والذي كان من مقتضاه نفض يوسف يده من الامارة والاقامة

---

(١) ص ٤١٥ .

(٢) ص ٤١٥ — ٤١٦ .

(٣) الغرر الحسان الجزء الثاني والثالث نشر رستم والبستاني ص ٦٠ .

في بشامون فاخذ يحرض الامير يوسف ويحركه من جهة ويدس الدسائس بين اكابر البلاد ويحرك الشيخ علي جنبلاط بنوع خاص من جهة • واستطاع أن يؤلف كتلة قوية مناصرة للامير يوسف ومناوئة للامير منصور وان يدخل فيها الشيخ اسماعيل ابو حمزة شيخ العقل الذي كان امام الدروز وكان مسموع الكلمة بينهم لاعتقادهم بوجوب اتباعه وعدم مخالفته • وتشجع الامير يوسف فنهض الى الشام ولحق به الشيخ سعد فلقوا ترحيبا من الوالي وأعطاهم كتابا الى ابنه والي طرابلس بتوجيه ولاية بلاد جبيل وتوابعها الى الامير وذهبوا الى طرابلس فتلقاهم واليها بالترحاب ونفذ طلب ابيه [1] • وكان ذلك مقدمة ناجحة لنجاحه في الاستيلاء على الحكم على ما شرحناه في سيرة بني شهاب •

ومن الاحداث التي ذكر فيها الشيخ سعد في الغرر ان المشايخ بيت حمادة قاموا بحركة تمرد ضد الامير بشير السمين عم الامير يوسف، الذي أقامه هذا واليا على جبيل بعد ان صارت اليه الولاية الكبيرة فارسل الامير الشيخ سعدا على رأس قوة من عسكر المغاربة بعث بها الجزار للتنكيل بهم وتمكن من الاثخان فيهم وتشريدهم ، وقد ساعده على ذلك أهل جبة بشرى [2] •

ومنها لجوء الامير منصور حاكم راشيا للشيخ سعد وتوسيطه في نيل رضاء الامير يوسف عنه وقيامه بالوساطة ونجاحها [3] • ومن هذا الباب لجوء المشايخ النكديين اليه وتوسيطه في نيل رضاء الامير وقيامه بالوساطة ونجاحه ورجوعهم الى وطنهم بعد ان ظلوا مشردين

---

(١) ص ٦١ — ٦٢ •

(٢) ص ٩٤ — ٩٥ •

(٣) ص ١٠٥ •

عنه ردحا من الزمن [1] .

ومما ذكره مؤلف الغرر ان الامير يوسف فرض ضريبة جديدة على الحرير سنة ١١٩٤ هـ فأهاج بذلك الدروز فاغتنم الاميران سيد احمد وفندي اخوا الامير يوسف الفرصة وكان ينازعان اخاهما فاخذا يبثان في الدروز فكرة كون البلاء هو من الشيخ سعد ويحرضانهم على قتله . وقد قابل الشيخ سعد الكيد بكيد مثله فادى ذلك الى اغتيال الامير يوسف لاخيه فندي وتشريد الاخ الثاني [2] .

ومما ذكر من صور نشاطه سعيه لدى الجزار سنة ١٧٨٣ م ١١٩٨ هـ في سبيل اعادة الامير يوسف الى الولاية وكان اقصى عنها وعين أخوه سيد احمد مكانه فيها . وقد ذهب الشيخ والامير الى عكا وفاوضا الجزار وتعهدا له بما طلب من المال ورضي الشيخ سعد بان يبقى مرهونا عند الجزار على اداء المال . حتى اصيب بالامراض التي أودت به [3] .

ويستفاد من سياق الغرر ان الشيخ غندور ابن الشيخ سعد كان مشتركا في النشاط الذي كان يقوم به ابوه في صدد عودة الامير الى الولاية . ولما مات ابوه صار هو المدبر للامير يوسف . وقد اقصي عن الولاية نتيجة للتنازع والتشاد الذين نشبا بينه وبين الامير فطلب الجزار أن يحضر هو والامير الى عكا فذهبا وتفاوضا واتفقا على مال وقبل الشيخ غندور ان يبقى رهنا عند الجزار على الاداء كما فعل ابوه . غير ان الامير بشير سارع بدوره الى عكا واستطاع ان يقلب الجزار عن اتفاقه وان يجعله يحتفظ بالامير والشيخ شبه معتقلين عنده . وقامت

---

(١) ص ١٢٦ .

(٢) ص ١٢٧ ــ ١٢٨

(٣) ص ١٢٩ ــ ١٤١ .

حركة مناوئة للامير بشير فارسل الى الجزار يعزو ذلك الى دسائس الامير والشيخ فامر الجزار بقتلهما واحدا بعد الآخر [1] .

ومن الجدير بالذكر ان مؤلف الغرر الحسان لم يذكر ما ذكره الشدياق والمطران الدبس من شهود الخوري عبد الله وقعة عين دارة سنة ١٧١١ مع الامير حيدر الشهابي ولا اقطاعه رشميا من طرف الامير في سياق ذكر الواقعة والامراء والمشايخ الذين حضروها والمكافآت الاقطاعية التي كافأهم بها . ولم يذكر كذلك ما انفرد بذكره الشدياق دون الدبس دون عزو الى مصدر من كتابة الامير يوسف الشهابي لسعد بالاخ العزيز ومن تولية هذا الامير لغندور ولاية معوش ووادي الست وبحمدون وعين تراز ، ومن كتابته لسعد الاخ العزيز . ومع ذلك فان مؤلف الغرر الحسان الحق لقب الشيخ بسعد وغندور مرة بعد مرة [2] في سياق ذكره اياهما . وقد عاش هذا المؤلف في صميم حكم الاقطاع وتقاليده الدقيقة حيث يسوغ هذا القول ان لقب الشيخ كان لقبا اقطاعيا منح لسعد من قبل الامير وتوارثه ابناؤه من بعده وظلوا يتوارثونه الى الآن ويستمدون منه الوجاهة . ولعل انتخاب الشيخ بشارة الخوري رئيسا للجمهورية اللبنانية في سنة ١٩٤٣ م متصل قليلا أو كثيرا بذلك .

ولم يذكر الشدياق والدبس الذين ذكرا اقطاع الامير حيدر الشهابي رشميا للخوري عبد الله شيئا عن هذا الاقطاع بعد هذا الخوري . وعدم ذكر الغرر لشهود الخوري وقعة عين دارة واقطاعه رشميا لا ينفي ذلك . وليس من المستبعد ان يكون هذا الاقطاع قد ظل مستمرا في عهدة الاسرة الى آخر عهد الاقطاع اسوة بالاسر المارونية الاخرى التي احتفظت باقطاعاتها الى آخر هذا العهد .

---

(١) ص ١٥٩ — ١٦١ .

(٢) انظر مثلا ص ٦١ و ٦٢ و ٩٤ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤٩ .

٧ — الصعبيـة [١]

— ١ —

وهـذه الاسرة من الاسر المارونية التي كـان لها بعض النشاط والبروز في مجال الحكم الاقطاعي . وقد عقد لها الشدياق في اخبـار الاعيان نبذة خـاصة بعنوان « نسبة المشايـخ الصعبية الموارنـة وأخبارهم [٢] » وذكرهـا المطران الدبس في نبـذة حكام الموارنـة واعيـانهم في القرن التـاسع عشر [٣] . وافرادهـا يتلقبون بلقب المشيخة .

وقـد ذكر الشدياق انها تنتسب الى ابي صعب جرجس ابـن الخوري بطرس بن يونان ابي سليمان . وبدأ بسيرتها من سنة ١٦٠٠ م فقال ان يونان ابا سليمان فر بابني اخيه جرجس وفرح من تولا الـى المتين حينما ولى يوسف باشا سيفا والي طرابلس في سنة ١٦٠٠ الشيخ قانصو والشيخ يوسف ابني الشيخ احمد حمادة بلاد جبيل مكافـأة على قتلهما مقدمي جاج الاربعة خوفا من الحمادية المتاولة [٤] .

ثم سكت عن الاسرة الى سنة ١٦٥٢ فقال ان يونان توفي في هذه السنة عن اربعة اولاد هم الخوري بطرس والخوري نصر الله وابراهيم وابو فرج . ثم سكت عنها الى سنة ١٧٠٩ فقال ان الخوري بطرس

---

(١) رأينا ان نسميها بهذا الاسم كما سماها الشدياق دون اسم « بني صعب » جريا على ما سرنا عليه من عنونة نبذة الفصل تفاديا من التباس هذا مع اسم « بني صعب » الذين هم أسرة شيعية من جبل عامل .

(٢) ص ١٧٨ — ١٨٧ .

(٣) ص ٥٢٣ .

(٤) ص ١٧٨ — ١٧٩ .

توفي في هذه السنة وله ابن اسمه جرجس وكني فيما بعد بابي صعب .
ثم قال وقد اقيم ابو صعب هذا مدبرا وامينا للامراء اولاد الامير مراد اللمعي وان والي طرابلس اقطعه مقاطعة القويطع دون ذكر تاريخ [1] ، وان الامير يوسف الشهابي لما فر سنة ١٧٦٣ الى راشيا من وجه عمه منصور ارسل عياله الى المتين كما ارسل الشيخ سعد الخوري عياله اليهـا وان الامراء اللمعيين انزلوا العـائلتين عند ابي صعب جرجس مدبرهم ، ولما تصالح الامير يوسف مع عمه اتفق ابو صعب مع الشيخ اسعد الخوري على الاستمرار في تأييد الامير يوسف والسعي لولايته وان ابا صعب ذهب معه الى الشام ثم جاء معه الى اللاذقية ، ولما عـين والي طرابلس الامير يوسف واليا على بلاد جبيل والبترون جاء اليهـا معه وان الامير أقره على مقاطعة القويطع ، ثم تملك أملاكـا في جبيـل واستوطنهـا [2] .

وواضح من السياق ان اول من برز ونشط من الاسرة ودخل في سلك الاقطاعيين هو ابو صعب وان الاسرة قد انتسبت اليه لذلك .
ثم ذكر الشدياق ان ابا صعب اشترى في سنة ١٧٧٠ من المقدمـين بني الشاعر دار ولايتهم في تولا حينما نزحوا عنها ثم تملك احـدى عشرة قرية بين بلاد البترون وجبة بشرى واحضر اليها اناسا عمروها واستوطن احداهما المسماة مزرعة الحاج حسن ، وان مشايخ الجبة اتفقوا علـى طرده من المنطقة فانحدر الى طرابلس واحضر عسكرا من الارناؤوط

---

(١) قال الشدياق في مكان آخر من النبذة ان ابا صعب توفي سنة ١٧٩٤ وعمره خمسة وثمانون سنة . وهذا يعني ان ولادته كانت في سنة وفاة ابيه ولا بد من ان يكون عمره حينما صار مدبرا لاولاد الامير ٢٥ سنة على الاقل .

(٢) ص ١٧٩ .

وجاء المشايخ برجالهم فحاصروه في مزرعة الحاج حسن وجرت بينهم وبينه مناوشات كان يتفوق عليهم فيها فاضطروا الى التصالح والتفاهم معـه [1] .

وفي سنة ١٧٧١ م هاج المشايخ الحماديون على الاميربشير وحاربوه في العاقورة ـ وهذا الامير بشير السمين الموفد لجمع الاموال من قبل الامير يوسف والي جبيل على ما ذكر في سيرته ـ فسارع ابو صعب برجاله مع مشايخ جبة بشرى الى نجدته وهزموا المتاولة [2] .

وبعد قليل اتفق الشيخ كليب النكدي والشيخ سعد الخوري على عودة الحمادية الى ولايتهم فعارض ابو صعب في ذلك وتنـافر مع الشيخين واخذ يحرض مشايخ الجبة علـى المعـارضة واستطـاع ان يقنع الامير يوسف برأيه ، وقد كان له عليه اعتمـاد وكان يرسله سفيرا الى الجزار في اموره الهامة [3] .

ومما ذكره عن ابي صعب خبر ذهابه الى عكا مع الامير يوسف لالتماس الولاية من الجزار سنة ١٧٨٩ في ظروف التشاد الذي نشب بينه وبين الامير بشير الثاني عليها وسجن الجزار لابي صعب مع الامير يوسف واطلاق سراحه نتيجة تدخل احد خواص الجزار [4] .

ولقد اطنب الشدياق ببطولة وشجاعة اسعد بن ابي صعب باسلوب مسرحي لا يخلو من الغلو في سياق ذكره الوقائع الحربية التي اشترك فيها في حياة والده والتي عاد عليه بسببها اقطاع خاص ومناصب رفيعة

---

(١) ص ١٧٩ .

(٢) ص ٥٢٣ .

(٣) ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٤) ص ١٨١ ومن العجيب الجدير بالذكر ان الشدياق لم يذكر في سياق سيرة الامير يوسف ابا صعب بشيء من ما ذكره في هذا السياق !

فضلا عن الصيت الواسع بالبطولة والجرأة والاقـدام . من ذلـك حربه الى جانب الامير يوسف سنة ١٧٨٣ حينما نشب النزاع بينه وبين خاله الامير اسماعيل واخيه سيد احمد حيث كانت بطولته مما جعل الدائرة تدور على الاميرين وجعل الامير يوسف يسر منه اعظم سرور وجعل صيته ينتشر في كل مكان كاعظم فرسان لبنان [١] . ومن ذلـك اشتراكه سنة ١٧٨٨ في مقاتلة قوة ارسلها الجزار الى البقاع لضبط املاك الامير يوسف حيث قاتل قتالا شديدا واظهر شجاعة فائقة كانت سبب النصر على قوة الجزار [٢] . ومن ذلك قتاله الى جانب الامـير بشير الثاني سنة ١٧٩١ حينما تحزب ضده الامير حيدر وابن اخيه قعدان وتضامن معهما كثير من الناس حيث منيت قواتهما بالهزيمة بفضل بطولة اسعد وشجاعته [٣] . ومن ذلك قتاله الى جـانب الامير حسن عمر الذي كان متوليا جبيل من قبل اخيه الامير بشير حينما ولى والي طرابلس سنة ١٧٩٦ اولاد الامير يوسف مكانه وارفقهم بقوة منه حيث مني الامراء والقوة المرافقة لهما بالهزيمة بفضل ما ظهر من شجاعته وكان من صولته . وقد كافأه الامير حسن فاقطعه مقاطعة القلع وجعله مدبرا له في امور الحرب [٤] . ومن ذلك قتاله لقوة ارسلها الجزار لارغام الامير بشير في سنة ١٨٠٠ الى جانب رجال الامير فكانت هجماته وصولاته سببا لهزيمة هذه القوة . وقد كافأه الامير فجعله قـائدا لفرسانه . وفي سنة ١٨٠٤ اراد والي طرابلس اخذ مقاطعة القلع منه عنوة وسير عليه خمسمائة مقاتل فتصدى لهم بعشرين فـارسا وتمكن من هزيمتهم . واستنجد الوالي باهل عكار عليه فسارع الامير بشير الى نجدته

---

(١) ص ١٨٠ .

(٢) ص ١٨٠ .

(٣) ص ١٨١ .

(٤) ص ١٨٢ — ١٨٣ .

ونشبت المعركة بين الطرفين وتمكن بفروسيته وشجاعته من كسب المعركة ورد المعتدين [1] .

ومات اسعد سنة ١٨٢٣م وظل اولاده متواثقين مع الامير بشير . وقد شهد ابنه جرجس الوقائع الثلاث التي جرت بين الامير والحشود التي اجتمعت في المختارة مع بعض الامراء الشهابيين والمشايخ الجنبلاطيين والعماديين سنة ١٨٢٥ [2] ، وقد دعا الامير امين بن الامير بشير سنة ١٨٣٤ ابنه الثاني حنا وجعله رئيسا لكتبته حينما فوض اليه ابوه ادارة أعمال الولاية . ولما سافر الامير بشير واولاده الى مالطة عام ١٨٤٠ رافقهم حنا وظل معهم ولما انتقلوا الى الاستانة انتقل معهم ايضا [3] .

ولما نشبت الفتنة بين النصارى والدروز سنة ١٨٤١ شهد جرجس ابن اسعد مواقعها وظهرت فيها شجاعته [4] .

ولما قسم الحكم في الجبل الى قائممقاميتين سنة ١٨٤٣ انتخب جرجس لديوان شورى القائممقامية النصرانية التي صار قائممقامها الامير حيدر اسماعيل ابو اللمع [5] .

وفي سنة ١٨٤٩ رجع حنا من الاستانة الى بيروت بامر الدولة وصار كاتبا عربيا لواليها . ثم عينه وامق باشا الوالي ترجمانا للطائفة المارونية وأعزه [6] .

ولما مات الامير حيدر وعين مكانه الامير بشير احمد سنة ١٨٥٤ استدعى هذا حنا وجعله مدبرا ورئيسا لكتبته [7] . وفي سنة ١٨٥٥

---

(١) ص ١٨٣ .

(٢) ص ١٨٥ .

(٣) ص ١٨٥ — ١٨٦

(٤) و (٥) و (٦) ص ١٨٦ .

(٧) ص ١٨٧ .

كتب وامق باشا والي بيروت الى الامير يخبره بانه أنعم على حنا بلقب بك ويأمره بان يخاطبه بهذا اللقب وكان حنا أول من حاز شرف البكوية في نصارى لبنان جميعا ـ والعبارة للشدياق وقدكتب الاميرله ولاقاربه الاخ العزيز واجرى لهم المراسم المعتادة لمشايخ لبنان [1] .

وفي سنة ١٨٥٨ توفي جرجس ابن اسعد فعين ابنه اسعد مكانه في مجلس شورى القائممقامية النصرانية .

وهنا ينتهي فصل الشدياق عن هذه الاسرة .

– ٣ –

ومن العجيب اللافت للنظر اننا لم نعثر في الغرر لحسان على ذكر لهذه الاسرة مع ما ذكره الشدياق من اندماجها في خدمة ومناصرة وحركة الامراء الشهابيين هذا الاندماج الواسع !

ولقد قلنا قبل ان الدبس كتب في تاريخ الموارنة نبذة عن هذه الاسرة . ونقول هنا ان هذه النبذة [2] مقتضبة وهي كما يبدو من المقابلة مقتبسة ومختزلة من نبذة الشدياق مع زيادة طفيفة متصلة بسيرة الاسرة بعد قيام نظام الجبل الجديد في سنة ١٨٦١ في ظل المتصرفية وهذا مالم يكتب الشدياق عنه شيئا لانه فرغ من كتابه سنة ١٨٥٩ ومن هذه الزيادة ان حنا خدم متصرفية لبنان بوظيفة رئيس القلم العربي في عهد المتصرفين داود باشا وفرنكو باشا ورستم باشا ، وانه كان شاعرا وله ديوان كبير ، وان ابني جرجس اسعد والياس عملا بالتعاقب

---

(١) ص ١٨٣ .

(٢) ص ٥٢٣ – ٥٢٤ .

كاعضاء في مجلس ادارة لبنان في عهد نظام المتصرفية عدة سنين •

وواضح من السيرة ان الاسرة كانت من الاسر الاقطاعية وساهمت بعض الشيء في حركات العهد الاقطاعي ثم ساهمت في عهد نظام لبنان الجديد الذي الغي به ذلك العهد ، وقد احتفظت وما تزال بلقب المنيخة الاقطاعي امتدادا لما كان من امرها قبل الغاء العهد المذكور اسوة بغيرها من الاسر •

اسر مارونية اقطاعية اخرى

هذا ، وهناك أسر اقطاعية مارونية اخرى ما تزال تحتفظ بالقابها ووجاهتها الاقطاعية لم تحظ باسهاب تاريخي كما حظيت الاسر السابقة • وقد ذكرناها في فصل « الموارنة وامراؤهم ومقدموهم وحكامهم » مع ذلك اقتباسا من كتاب تاريخ الموارنة للدبس واخبار الاعيان للشدياق • لان ما جاء من سيرتها لا يتحمل افراد نبذ خاصة بها في هذا الفصل • وقد رأينا ان نعيد ذكرها باسلوب خاطف لتتم الصورة التي أردنا رسمها في هذا الفصل بقدر الامكان • وهي :

آل الدويهي وآل كرم حكام اهدن وما يليها • وآل الضاهر وعيسى الخوري حكام بشري وما يليها • وآل ابي سليمان عواد حكام حصرون وما يليها • وآل يوسف الياس حكام كفر صعاب وما يليها • وآل ابي خطار حكام عنطورين وما يليها • وكان الولاة يختارون من هذه الاسر حكاما للمناطق المذكورة كل ما شغر مكان حاكم امتدادا لحكم جد كل منلما لمنطقته الى نهاية عهد الاقطاع على ما ذكره الدبس الذي اكتفى بذلك دون ذكر اسماء الحكام الذين تعاقبوا على الحكم من كل منها • والمتبادر انه لم يستوثق من الاسماء فلم يتعرض لذكرها •

ثم آل الباز • وآل البيطار • وآل الشدياق • وآل اده • وهذه لم يكن لها نصيب في الحكم الاقطاعي الفعلي وانما ذكرت كذوات نشاط ووجاهة في ظل هذا الحكم • ثم آل الهاشم الذين ذكر جدهم بعبارة خاطفة كمقدم على العاقورة في القرن السابع عشر والذين ظلوا على مايبدو يحتفظون بنشاطهم ووجاهتهم الاقطاعية امتدادا لذلك ولو لم يسجل لهم نصيب آخر في الحكم الاقطاعي •

الاسر الاقطاعية الدرزية

١ — بنو علم الـدين

— ١ —

وهذه الاسرة ايضا ممن كان يتلقب بلقب الامـارة من الاسـر الاقطاعية اللبنانية . ولقبها قديم يعود الى اوائل القرن الثامن الهجري . واخبارها هي الاخرى مبثوثة في الغرر الحسان واخبار الاعيان في سياق سيرتي بني معن وبني شهاب . وقد عقد لها الشدياق في كتابه فصلا خاصا بالاضافة الى ما ذكره عنها في فصول بني معن وبني شهاب جمـع فيه اخبارها جملة . وبالاضافة الى الشدياق والشهابي في كتابيهما فان صالح بن يحيى مؤلف كتاب تاريخ بيروت الذي ذكرنا كتابه في فصل التنوخيين قد ذكر اول جد بارز لهذه الاسرة من الامراء التنوخيين الذي جاء اسمها منه باطناب كبير تحت عنوان علم الدين الرمطوني ــ نسبة الى رمطون التي توطنها ــ . وقـد وصفه بانـه من الطبقة الثانية من التنوخيين وقال انه الامير علم الدين بن سيف الدين غلاب بن علم الدين ابن معن بن معتب بن ابي المكارم بن عبد الله بن عبد الوهاب بن هرماس ابن طريف ، وان هذا الفرع هو الفرع الوحيد من التنوخيين ليس من ذرية بحتر وان كان يلتقي مع جد بحتر ... وان علم الدين هو قطب هذا الفرع ورأسه وكان جليل القدر معاصرا للامير ناصر الدين الحسين الكبير وكان هذا يحترمه ويقدمه وهو الذي اقطعه اقطاعا ولقبه بالامرة سنة ٧٠٩ وانه اول من نال الامارة والاقطاع ــ من أسرته ــ فتوارث

ابناؤه وأحفاده ذلك ولم يكن احد من سلفه صارت اليه الامرة أو نال اقطاعا وانه أحد أربعة لقبهم الناس بالكبير تمييزا لهم من غيرهم عندما كثرت الالقاب وتشابهت وهم حجا بن محمد حجا الذي عرف بجمال الدين الكبير واخوه محمد الذي عرف بسعد الدين الكبير وولده الحسين ناصر الدين وعلم الدين هذا ، وان القول مجمع على انه لم ينشأ في بيته مثله مع ان اجداده كانوا امجادا اجوادا . وكان ابوه وعماه عبد المحسن وكرامة ساكنين اعبية ثم انتقل هو الى رمطون وتوطن فيها بسبب عداوة نشأت بينه وبين نجم الدين محمد جمال الدين، وانه أنشأ في رمطون عمائر عديدة تعزي الى اليوم الى اسمه ، وانه كان مشهورا بقوة النفس ينظر اليه الناس بعين الوقار والتعظيم ، وكان ناصر الدين الحسين معني به كل العناية فاذا قعد لم يقدم احدا على بن عمته شجاع الدين وعليه . وكان شاعرا ومقصدا للشعراء . وتوفي سنة ٧٤٦ هـ عن اربعة اولاد وهم سيف الدين غلاب وعز الدين جواد وبهاء الدين داود وركن الدين محمد وكان الاول ماهرا بخط النسخ . والثاني مشهورا باتقان الكتابة الدقيقة ويكتب على حبة الارز آية الكرسي وكتب مصحفا صغيرا لم يسبق الى مثله في الصغر . وكان رامي قوس ماهرا . وكان الثالث ماهرا بالنشاب وصيادا بارعا . وكان الرابع يتقن النجارة والخراطة وصنع الآلات اللطيفة . وينتهي كلام صالح بن يحيى بانتهاء ترجمة الاولاد الاربعة من سيرة هذه الارومة [1] .

— ٢ —

وقد ذكر الشدياق في الفصل الخاص[2] الذي عقده لهم بعنوان آل

---

(١) ص ١٥٨ — ١٦٥ تاريخ بيروت .

(٢) ص ١١٤ — ١١٨ اخبار الاعيان .

علم الدين التنوخيين الدروز نسبتهم الى الامير علم الدين بن سليمان ابن غلاب مسلسلا اياه الى تنوخ ثم الى المنذر بن ماء السماء ، ثم بدأ سيرتهم بعلم الدين بن سليمان فيذكر انه تبرأ من القيسية وتحول الى اليمينية في سنة ١٣٠١ ــ والتاريخ غلط عن سنة ١٦٠١ على ما يدل عليه سياق الشدياق والاحداث التي ذكرها [١] ــ وهو غير علم الدين بن سليمان الذي ذكره صالح بن يحيى كما هو المتبادر لان علم الدين سالح هو من رجال القرن الثامن الهجري وعلم الدين الشدياق هو من رجال القرن الحادي عشر الهجري وانما اسم على مسمى مما هو مألوف في أسماء الاسر •

ولا يذكر الشدياق سبب تحول علم الدين عن القيسية التي كان عليها جمهرة التنوخيين • ولقد كانت النعرة القيسية واليمنية ناظمة الصلات والسياسة والحرب في هذا الظرف بين الاسر الاقطاعية في لبنان • وكان هذا الظرف هو ظرف حكم بني معن بعد فخر الدين الاول وكان هؤلاء قيسيين • وكان خصومهم يتكنون ضدهم باسم النعرة اليمنية ويبذلون جهدهم في مناوأتهم • فالمتبادر ان المنافسات المحلية على الحكم والبروز هي التي ساقت علم الدين الى التحول الى اليمنية • وقد كان ذلك مما فسح لاسرته مجال البروز والنشاط وجعلهم يشغلون حيزا غير يسير على مسرح لبنان على ما سوف يأتي شرحه •

ومما ذكره الشدياق من اخبار علم الدين الذي بدأ به سيرة الاسرة انه حضر مع السلطان مراد [٢] حصار بغداد وكان أول من قطع رأسا من

---

(١) انظر ص ١١٤ ــ ١١٥ •

(٢) ص ١١٤ ولا يذكر الشدياق رقم مراد هذا • وقد ولي في القرنين العاشر والحادي عشر سلطانان بهذا الاسم وهما مراد الثالث ٩٨٢ ــ ١٠٠٣ ومراد الرابع ١٠٣٢ ــ ١٠٤٩ •

البغداديين وتم فتح بغـداد على يـده فانعم عليه السلطان بولايـة الشوف .

ونحن نورد هذا بتحفظ لما هو ظاهر عليه من مبالغة من جهة ولان المعروف ان ولاية الشوف سنة ١٦٠١ التي يؤرخها لهذه الاحداث كانت في حكم بني معن من جهة اخرى ...

وحينما ألمت بالامير فخر الدين الثاني محنته الاولى التي جعلتـه يغادر البلاد الى اوروبا نشط خصومه اليمنيون بسبيل القضاء على حكم بني معن الذي قام عليه بالنيابة عن فخر الدين اخوه يونس وابنه علي . وقد كان لبني علم الدين في هذا الظرف نشاط كبير على مايستفاد من الغرر الحسان للشهابي وفخر الدين الثاني للمعلوف [1] حيث تمكنوا من نيل توجه والي الشام حافظ احمد باشا وجعله يوليهم بعض الاقاليم التي كانت تحت حكم الامير . وقد قوي اليمنيون نتيجة لهذا وذاك واخذوا يتحرشون بالقيسيين ويمدون اليهم يد الاذى . وتحمس هؤلاء وتجمعوا واخذوا يردون على خصومهم . وقد وقعت بين الفريقـين مناوشات عديدة ثم اجتمعت جموعهما على عين الناعمة فدارت بينهما وقعة كبرى من وقائع القيسية اليمنية قاد القيسيين فيها الاميران يونس وعلي المعنيان وقاد اليمنية فيها الامير علي علم الدين ودارت الدائرة فيها على اليمنيين وتشتت شملهم ووطد الاميران حكمهما في ولايـة الشوف نتيجة لذلك . وقد دمروا ممتلكات خصومهم في الشوف ومن جملتها ممتلكات بني علم الدين وكان ذلك في سنة ١٠٢٦ هـ ـ ١٦١٦ م أثناء وجود الامير فخر الدين الثاني في اوروبا .

ولما عاد فخر الدين سنة ١٠٢٨ من اوروبا واستأنف حكمه واتسع

---

(١) الغرر الحسان ص ٦٣٨ ـ ٦٥٠ وتاريخ الامـير فخر الـدين الثـاني للمعلوف ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

سلطانه حتى شمل جميع بلاد الشام استعلى على خصومـه استعلاء كبيرا وأذلهم فجعلهم ذلك يحقدون عليه ويوالون شكاياتهم ضـده للولاة وللسلطان ويخوفونهم من مطامعه ويتهمونه في ولائه ودينه حتى تمكنوا من تغيير قلب الدولة وجعلها تعتزم القضاء عليه وتنفذ عزيمتها فعلا عام ١٠٤٤ هـ ـ ١٦٣٤ م على مـا شرحناه في سيرة بنـي معن ، والمستفاد من المصدرين السابقين ومن اخبار الاعيان للشدياق معا [١] انه كان لبني علم الدين يد طولى في ذلك • وقد ولي الوالي الامير عليا ابن علم الدين بعد اعتقال فخر الدين وتشتت رجاله حكم ولاية الشوف، فكانت فرصة له لمطاردة انصار بني معن ومصادرتهم • ومما فعله ان الامراء التنوخيين القيسيين في اعبية دعوه الى الغداء فلبى الدعوة وفي أثناء تناول الطعام وثب جماعته عليهم بترتيب سابق معه فقتلوهم وكانوا اربعة ثم دهموا اولادهم الصغـار فقتلوهم ايضا فانقطعت بذلـك سلالتهم ! ••

ومن الاحداث التي وقعت في عهده هذا وانفرد بذكرها الامير حيدر الشهابي انه امتنع سنة ١٠٤٦ عن دفع المال السلطاني فسير الوالي عليه حملة لارغامه فخاف وفر من الشوف ومعه يمنية بلاد الغرب والجرد والمتن والشويفات بعيالهم ومواشيهم الى بلاد كسروان ، وهنـاك وقف القيسيون في وجوههم وجرت بينهم اشتباكات تمكن القيسيون فـي نهايتها من اخراجهم من كسروان فساروا الى بلاد عكار • ثم خضع الامير وتعهد بالمال فعاد الى ولايته [٢] •

وفي هذه الاثناء أخذ ملحم بن اخي فخر الدين المعني ينشط ويزعج عليا بحركاته حتى تمكن في النهاية من ازاحته عن الشوف وتشريـده

---

(١) الشدياق ص ١١٥ والمعلوف ص ٢٥٨ ـ ٢٧٠ والامير حيدر ص ٧١٨ ـ ٧٢٠ •

(٢) الغرر الحسان ص ٧٢٢ ـ ٧٢٣ •

الى بلاد بشارة ثم تعقبه فيها حتى جعله يفر منها الى دمشق . وهنـاك استغاث بالوالي فارفقه بعسكر تمكن به من استعادة الحكم وتشريد ملحم بدوره [1] .

ومن الاحداث التي رواها الشدياق في عهده الثاني هـذا انـه تولى في سنة ١٦٣٨ م احمد آغا الشمالي صيدا وبيروت وكان يطمح الى حكمهما فنصب كمينا لاحمد آغا في خلده واغتاله وفرض حكمه على بيروت وتوطنها . ثم اشتبك في نزاع تنافسي مع بني حمادة حكام بلاد جبيل وتغلب عليهم ومد حكمه الى هذه البلاد وطرد بني حمادة من ايالة طرابلس في سنتي ١٦٤١ و ١٦٤٢ [2] م .

ولقد جمع الامير ملحم المعني انصاره وتمكن في هذه الاثناء من استرداد الشوف من الامير علي وتشريد رجاله وانصاره ومصادرتهم . فذهب الى الشام شاكيا فارفقه واليها بعسكر فخرج ملحم الى لقائه وتضامن معه امراء وادي التيم الشهابيون والتقوا به وبالعسكر الذي جاؤوا معه في وادي القرن ودارت بينهم معركة حامية كتبت الهزيمـة فيها عليه واصيب بجرح وعاد الى دمشق مع فلول العسكر تاركـين لملحم اثقالهم وخيامهم غنيمة باردة . وقد تلقاه الوالي بالحنق واتهمـه بالغدر وسجنه ولبث في السجن الى ان عزل الوالي [3] .

وفي سنة ١٦٦٠ م ـ ١٠٧١ هـ اعتزمت الدولة على تسيير حملـة ضد قرقماس واحمد ولدي ملحم المعني اللذين خلفا اباهما في الحكم لامتناعهما عن توريد المال فسارع الامير علم الدين الذي كان عـاد الى موطنه ولبث يترقب الفرص الى الشام ومعه ولداه محمد ومنصور

---

(١) الشدياق ص ١١٥ .

(٢) الشدياق ص ١١٥ .

(٣) الشدياق ص ١١٦ .

للاشتراك في الحملة • ولكنه لم يلبث ان توفي • وسارت الحملة بقيادة احمد باشا الكوبرولي فرافقها محمد ومنصور • ولم يطلق الاميران المعنيان وحلفاؤهما الشهابيون وانصارهما الصمود امام الحملة فتركوا بلادهم وتشردوا فعين الوزير الاميرين العلميين واليين على مناطق الغرب والجرد والمتن • وقد استمرت ولايتهما هذه المرة أربع سنين نال القيسيين فيها كثير من الاذى وظل الاميران المعنيان والامراء الشهابيون متشردين خلالها • وفي سنة ١٠٧٥ هـ ـ ١٦٦٧ م قوي حماس القيسيين واتصلوا بزعمائهم وجمعوا جموعهم ، وجمع اليمنيون بدورهم جموعهم، وكان الاولون بقيادة الامير احمد ـ لان والي صيدا قتل اخاه غدرا قبل ذلك ـ وكان اليمنيون بزعامة الاميرين العلميين واشتبك الجمعان في الغلغلول عند برج بيروت في وقعة عظمى من وقائع القيسية اليمنية فانكسر اليمنيون كسرة شنيعة وانهزموا وفر الامراء العلميون الى دمشق وتوطنوها وعاد الامير احمد المعني الى ولايته نتيجة لها [1] •

وفي سنة ١٦٧١ م ـ ١٠٧٩ هـ شكا بنو حيمور في البقاع الامراء الشهابيين النيميين لوالي الشام فاغاثهم بعسكر فانضم الى العسكر الامراء العلميون الذين كانوا يقيمون في دمشق وهم موسى ومحمد ومنصور بدافع من عصبيتهم اليمنية وحقدهم على الشهابيين القيسيين الذين كانوا حلفاء بني معن • وقد دخلوا مع العسكر راشيا وشفوا غلهم في احراق المساكن الشهابية فيها [2] •

وفي سنة ١٦٩٣ م ـ ١١٠١ هـ شكا والي طرابلس من الامير احمد المعني بسبب مساعدته بني حمادة وتأييده لحركاتهم المزعجة

---

(١) الشدياق ص ١١٦ ـ ١١٧ والامير حيدر الشهابي ص ٧٢٠ ـ ٧٤٥ والمعلوف ص ٤٠٥ ـ ٤٠٨ •

(٢) الشدياق ص ١١٧ والشدياق ايضا ص ٥٦ •

فصدر أمر السلطان بعزله وتعيين الامير موسى علم الدين مكانه علـــى الشوف والجرد والمتن والغرب وكسروان واقليم جزين واقليم الخروب. وارفق بعسكر كثيف لتنفيذ الاوامر ، ولم يكن للامير احمد طـاقة ففر الى وادي التيم حتى هدأت الحالة وعاد العسكر الذين جاؤوا مع موسى الى اماكنهم . وحينئذ نشط الامير احمد واخذ يجمع انصاره فدب الخوف في قلب الامـير موسى وفر من ديـر القمر الـى صيدا مستغيثا بواليها . وسارع الامير احمد الى دير القمر واستأنف الحكم وارسل لوالي صيدا هدايا فاخرة وكتابا يذكر فيه خداع موسى وغدره مما جعله يهمله ويطرده [1] .

وذهب موسى سنة ١٦٩٨ الى الاستانة للسعي ضد الامير المعنـي فلم يفلح وعاد مخفقا . وكان امر هذا الامير قـد اتسق واستعلى القيسيون نتيجة لذلك فاضطر بنو علم الدين الى الارتحال ثانية الـى دمشق والتوطن فيها سنة ١٧٠٠ م [2] متربصين للفرص . وقد واتتهم الفرصة سنة ١٧٠٩ م ولكن كان فيها نهايتهم ايضا ، وذلك حينمـا اختلف ابو هرموش مع الامير حيدر الشهابي ونجح في الحلول فـي الحكم محله حيث استدعاهم واشركهم معه . ولم يطل الامر كثيرا فان الامير حيدر ما لبث ان نشط وجمع انصاره القيسيين وجمع ابوهرموش وبنو علم الدين انصارهم اليمنيين واشتبكوا في عين دارة في سنة ١١٢٢هـ ـ ١٧١٠ م في واقعة كبرى من وقائع القيسية اليمنية انتصرفيها القيسيون وقتل مقتلة كبيرة من اليمنيين من جملتهم ثلاثة من بني علم الدين ووقع في الاسر اربعة آخرون منهم قتلهم الامير احمد في الباروك في طريق

---

(١) الشدياق ص ١١٧ .

(٢) الشدياق ص ١١٨ .

عودته الى دير القمر فانقرضت بذلك سلالتهم كما يقول الشدياق [1] .
وقد جاء هذا في النبذة المعنونة بعنوان انقراض آل تنوخ في كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى والتي لم يعزها ناشر الكتاب الى مصدر غير ان اسلوبها يدل على انها من مصدر قديم . حيث جاء فيها خبر قتل الامير علي اليمني للامراء التنوخيين في اعبية في الوليمة التي دعا هؤلاء الامير عليا اليها وانقراض سلالتهم وتعقيب على الخبر بان الله انتقم من بيت علم الدين حيث قتل الامير حيدر الشهابي اولاد علم الدين فانقرضت سلالتهم [2] . ونفس الخبر والعبارة وردت في الغرر الحسان ايضا [3] . هذا في حين ان هنالك من ينتمي الى الآن الى آل علم الدين !

٢ — بنو عمـاد

كان لهذه الاسرة بروز وصيت ونشاط كبير في القرون الثلاثة الاخيرة . وافرادها يتلقبون بلقب المشيخة . واخبارها هي الاخرى مبثوثة في سيرة بني معن وبني شهاب في كتابي الغرر الحسان واخبار الاعيان . وفي الكتاب الاخير فصل خاص عنها [1] جمعت فيه اخبارها جملـة .

وكلام الشدياق في فصله المذكور عن أصلهم واول عهدهم مضطرب وغير واضح وغير وثيق ، فقد ذكر تولداتهم الى زمنـه ثم قال انهم ينتسبون الى رجل من العمادية القريبة من مدينة الموصل يسمى عمادا

---

(١) ص ١١٨ .

(٢) ص ٢٣٨ .

(٣) ص ١٣ ج ١ نشر رستم .

(١) ص ١٦١ وبعدها ١٢ صحيفة في ترقيمها غلط مطبعي ، حيث جاء رقم ١٢٧ بعد ١٦٤ واستمر التسلسل من هذا الرقم !..

قدموا الى الجبل الاعلى ـ جهة حلب ـ واقاموا في قرية مرطمون ثم انتقلوا الى قرية تليتا ثم انتقلوا الى مقاطعة العرقوب وقطنوا الزنبقية ثم حدث بينهم وبين الجنبلاطية فتنة واقتتلوا وقتلوا جماعة من هؤلاء ونهبوهم ثم انتقلوا الى عين وزية ومنها الى الباروك • وكان لجدهم عماد اخوان هما سرحال ـ ويسميه الشهابي سرحان وهو الاصح ـ وابو عذرا واربعة اولاد • وتوفي عماد فانتقل التقدم الى سرحال ثم توفي سرحال عن اولاد وكان لاحدهم ولد يسمى سرحال • وسنة ١٦٣٣ توفي غضبان بن عماد في وقعة خان حاصبيا يوم قتل الامير علي المعني بدون عقب وسنة ١٦٣٤ قتل الابن الثاني لعماد مع الامراء التنوخيين الذين قتلهم الامير علي علم الدين في اعبية فمات بدون عقب وتوفي الثالث قتيلا كذلك في وقعة المغيرية بدون عقب ثم لحقهم الرابع الذي أصيب بالجذام فانتحر بالسم ومات بدون عقب ايضا ! ولما جرى القتال بين الامير ملحم المعني والامير علي علم الدين وانهزم هذا الى الشام مستغيثا بواليها وارفقه الوالي بنجدة التقاه الشيخ سيد احمد ابو عذرا العمادي باربعمائة محارب في حدود قب الياس فاحاط الامير به وبرجاله وقتلهم عن آخرهم [١] •

وعلى اضطراب الكلام فالمستفاد منه ان هذه الاسرة قدمت الى جبل لبنان في أوائل القرن السابع عشر وبرز بعض رجالها ونالوا توجه بني معن وحاربوا معهم خصومهم •

أما الامير حيدر الشهابي فانه يقول في الغرر احسان عن هـذه الاسرة انها من احدى الطوائف التي جاءت من ارض معرة النعمان [٢] وهذا يعني انها ارومة تنوخية الاصل قدمت الى لبنان في القرن الهجري

---

(١) ص ١٦١ ـ ١٦٢ •

(٢) ص ٤٩ من الجزء الثاني والثالث نشر رستم والبستاني •

الثاني مع من قدم من العشائر التنوخية • ومع ذلك فانه لا يذكر من أوليتهم الا ما ذكره الشدياق • وهو متطابق معه فيه •

ويتبادر لنا انه ليس من المعقول ان يتمكن بنو عماد اذا كانوا حقا جاؤوا من العمادية كأسرة صغيرة في أوائل القرن السابع عشر من البروز والتقدم ، ونميل الى القول ان قدومهم كان ابكر • وقد يكون ما قاله الشهابي عن اصلهم أقوى ولكن التاريخ لم يسجل لهم شيئا خاصا الا حينما اخذوا يبرزون في عهد بني معن •

— ٢ —

وتتجاوز هذه النقطة التي لا يمكن التثبت منها الى سيرتهم فنقول ان الشدياق ذكر [١] بعد كلامه الاول أن احمد باشا الكوبرولي عين الشيخ سرحال ــ سرحان ــ العماد على جبل الشوف حينما زحف على لبنان للتنكيل بالاميرين قرقماس واحمد المعنيين سنة ١٦٦٠ م وتواريا من أمامه في سياق من عينهم من الولاةللولايات التيكانت تحت حكم الاميرين مما شرحناه في سيرة بني معن • وقد ظل يمارس الحكم الى سنة ١٦٦٤ حيث تمكن الامير احمد من العودة الى ولايته نتيجة لانتصار القيسية على اليمنية في واقعة الغلغلول مما شرحناه كذلك في تلك السيرة •

والخبر يؤيد صحة ملاحظتنا فان اختيار سرحان لحكم الشوف يدل على انه كان له ولاسرته بروز ورسوخ في المنطقة • وهذا لا يعقل ان يتأتى في ظرف قصير ولاسرة طارئة قليلة العدد ضعيفة العدة • ولعل فيما كان للاسرة من صيت وبروز وغدوها رئيسة جبهة حزبية كان لها

---

(١) ص ١٦٣ •

أثر كبير في احداث لبنان على ما سوف نشرحه بعد دليلا آخر .

والسؤال الذي يرد للبال ما اذا كان الشيخ سرحان في هـذا الظرف منتميا الى النعرة اليمنية أو متظاهرا في ذلك لان الولاة الذين عينهم احمد الكوبرولي وفي رأسهم بنو علم الدين من النعرة اليمنية بينما كان الامير حيدر ومواليه قيسيين ؟

ومما ذكره الشدياق ان الشيخ سرحان طلب التزوج من احدى بنات بني معن فاخفق . فلما عاد الامير وعلم بذلك كبر عليه تطاوله فامر بقتله وقتل اقاربه حتى لم ينج من القتل من العماديين الا رجل واحد فر الى البقاع واقام فيها متنكرا باسم بعيزق . ولعل مما جعل الامير احمد يقتل بني عماد عدم تضامنهم معه في محنته وتعاون زعيمهم مع خصومه أو تظاهره في النعرة اليمنية تزلفا لهم مع ان اسلافه كانوا قيسيين وقاتلوا اليمنيين مع ملحم والد الامير احمد على ما مر بيانه

وقد ذكر الشدياق بعد خبر فرار الناجي الوحيد من بني عماد الى البقاع وتنكره باسم بعيزق ان نظراء العمادية كدروا خاطر الامير احمد وبلغهم خبر بعيزق فالتمسوا هلاكه . ولكن الامير نكاية بهم ارسل اليه كتاب أمان مع خيل واسلحة واحضره مكرما وجعله مدبرا له . ومات هذا سنة ١٦٨٥ عن ولد اسمه ناصر الدين ومات هذا عن ولد اسمه سيد ومات هذا عن ولد صغير اسمه عماد . ولم يذكر المؤلف شيئا عن ناصر الدين وسيد احمد ولكنه قال ان انصار بني عماد وضعوا عمادا الصغير عند الشيخ محمد تلحوق خشية عليه من بني علوان نظراء بني عماد ولما بلغ سن الشباب زوجه بابنته وارسله الى عزوته في الباروك . وقد ولد له خمسة اولاد وصار لاولاده اولاد

فعادت الاسرة الى النمو والبروز مرة أخرى ، وفي هذه الاثناء توفي الامير أحمد وانتقل الحكم الى بني شهاب وصار الى الامــير حيدر فاندمج رجال الاسرة في الاحداث الجارية وكانوا من انصار الامــير وحاربوا معه في واقعة عين دارة الكبرى سنة ١٧١١ وكان زعماؤهم الذين قادوا رجالهم فيها الشيخ سيد احمد ابو عذرا والشيخ سرحان[١]

وسكت الشدياق عنهم الى سنة١٧٧٦حيث ذكر[٢] خبر وفاةاحدهم الشيخ سيد احمد قتيلا في واقعة كانت بين رجال الامير يوسفالشهابي وعسكر الجزار في البقاع حيث يدل الخبر على انهم ظلوا بــارزين ومناصرين للشهابين .

ثم تغير موقفهم على ما يستفاد من كلام الشدياق الذي يقول ان الرعية أبت سنة ١٧٨٤ م ـــ ١١٩٩ هـ ان تدفع للامير يوسف ما احدثــه من ضرائب وكان من المحركين لهم الشيخ عبد السلام عماد فحنق عليه وغرمه بعشرة آلاف قرش . ثم ذكر خبر وفاة هذا الشيخ سنة ١٧٨٨ واستطرد منه الى ما كان من مناظرة بينه وبين الشيخ علي جنبلاط وما أدت اليه من مشاحنة وانقسام الدروز القيسيين بسبب ذلك الى قسمين جنبلاطي ويزبكي وانــدماج الامراء الشهابين واللمعيين والنصارى اللبنانيين ـــ القيسيين على الارجح ـــ في هذا الانقسام ، وصيرورة اسم يزبكي علما لبني عماد ومن والاهم الــذين كان من أهمهم بنو تلحوق وبنو عبد الملك من المشايخ الدروز واسم جنبلاطي لبني جنبلاط

---

(١) ص ١٦٣ ـــ ١٦٤ ومن الجدير بالتنبيه ان الامير حيدر الشهابي مؤلف الغرر لم يذكر بني عماد في جملة من ذكرهم من المشايخ الذين اشتركوا في وقعة عين دارة مع الامير حيدر ولا من جملة الذين كافأهم الامير وشيخهم انظر ص ١٢ ـــ ١٤ من الغرر الجــزء الثاني والثالث نشر رستم والبستاني .

(٢) ص ١٦٣ .

ومن والاهم [1] .

والمستفاد من الغرر الحسان [2] ان هـذه المشاحنـة والانقسام قد نشبت في عهد الامير ملحم حيدر الشهابي أي قبل سنة ١١٧٣ م ـ ١٧٥٩ هـ التي توفي فيها وان بني عمـاد كان يقال لهم بني يزبك نسبة الى جد لهم اسمه الشيخ يزبك [3] ـ المحرف على الاغلب من الاسم التركي أوزبك ـ وان هذه النعرة كانت تهيج بين الفريقين مرة بعـد مرة حينما تصطدم مصالحهما أو مآربهما واعتباراتهما فتراق الدمـاء وتخرب الاملاك ، وكان الامراء المتولون والمتنافسون من بني شهـاب يهيجونها أحيانا لتظل الفرقة قائمة بين المشايخ فلا يجتمعون على المتولين ولا يناوئونهم أو للاستعانة بفريق على فريق لتحقيق مأرب من المآرب ضد الفريق الآخر ، حتى لقد غدت النعرة اليزبكية الجنبلاطية ردحا غير قصير من الزمن شبيهة بالنعرة القيسية واليمنية التي كانت ناظمة للحركات والاحداث بين مختلف الطوائف اللبنانية مع فارق واحد هو انها كانت كذلك بين صفوف القيسيين . ومن هنا كان لبني عمـاد نشاطهم وصيتهم الكبيران لانهم كانوا زعماء احداهما .

ومما ذكره الغرر ان الاميرين سيد احمد ومنصور حينما تنازعا وأراد كل منهما الانفراد بعد الحكم بعد أن تولوه بعد أبيهم ملحم عمدا الى اثارة النعرة اليزبكية الجنبلاطية فمال سيد احمد الى اليزبكيين ومنصور الى الجنبلاطيين وتعصب كل فريق لصاحبه . غير ان الفريقين تنبها الى قصد الاميرين فجنحا الى الهدوء وتوسط زعيماها بين الاخوين

---

(١) ص ١٦٤ .

(٢) ص ٤٩ ـ ٥١ .

(٣) الغرر الحسان الجزء الاول نشر مغبغب ص ٦٣٦ وهو جدلام على الارجح .

على ان يكون الحكم لمنصور الذي كان يؤيده والي الشام [١] • ومع ذلك فان الاخوين لم يكفا عن تحريك النعرة • واندمج يوسف بن ملحم في الحركة الى جانب احمد ثم ظل مندمجا فيها حينما تولى الحكم بعدهما • على ان احمد طمح الى الحكم منـــازعا ليوسف واستمال الشيخ عبد السلام عماد زعيم اليزبكية والشيخ حسن تلحوق احـد كبار انصارها واجتهد الزعيمان في تثبيط رجال الامير يوسف حتـى انفض اكثرهم عنه • غير انه لم يستسلم فاستنجد بوالي الشام فانجده وتم له الاستعلاء على احمد وازاحته من طريقه [٢] •

ولما مات الشيخ عبد السلام سنة ١١٨٨ هـ ــ ١٧٧٤ م تزعم الحزب اليزبكي ابنه الشيخ قاسم الذي كان يضرب به المثل بالفصاحـة والعقل على ما وصفه الشدياق [٣] • وفي هذه الاثناء قام النزاع بين الامــير يوسف واخويه فندي وسيد احد وتمكنا من اخذ الحكم منه وكـان اليزبكيون من انصارهما في هذه الحركة • وبعد قليل استطاع يوسف استرداد الحكم وقبض على فندي وقتله ونجا احمد فتحزب معـه اليزبكيون ولكنهم غلبوا في النهاية • على انهم استغلوا فرصة ما كان من حقد الجزار على يوسف فاخذوا يناوئونه ويستكتبون العرائض ضده وتمكنوا من اقصائه وتوجيه الولاية للامير بشير الثاني • ثم استمالهم الامير حيدر ملحم وابن اخيه قعدان فصاروا يؤيدونه ضد الامير بشير وذلك في سنة ١٧٩٢ م واستطاعوا في النهاية اقصاءه وتولية الاميرين الحكم • وعمد الامير بشير حينئذ الى التواثق مع الحزب الجنبلاطي الذي كان زعيمه الشيخ بشير جنبلاط واخذ هذا يحشد

---

(١) ص ٥٩ ــ ٦٢ •

(٢) الغرر ص ٦٠ ــ ٦١ •

(٣) ص ٦٤ •

الانصار ويسعى لدى الجزار في سبيل اعادته • وقد ارسل الاميران حيدر وقعدان المشايخ العماديين والنكديين الى المختارة مركز الشيخ بشير ولكنهم صدوا وانكسروا وأدى الامر الى عجز الاميرين عن الحكم وعودة الامير بشير اليه ثانية • وقد فر قعدان مع اولاد الامير يوسف الذين كانوا يناوئون بشيرا ومعهما المشايخ النكديين والشيخ قاسم عماد زعيم اليزبكيين الى بلاد جبيل • وهناك حشدوا انصارهم وذهبوا فحاصروا قلعة قب الياس التي كان فيها عسكر الامير بشير ونائبه ولكنهم كسروا وارتدوا • وتساهل الامير بشير مع قعدان والشيخ قاسم وصفح عنهم وظل المشايخ النكديون مع اولاد الامير يوسف خارج نطاق الصفح • واستنجدوا بوالي الشام فانجدهم بعسكر فزحفوا لقتال الامير بشير ولكن الدائرة دارت عليهم • ووسطوا الامراء اللمعيين فاعلن الامير بشير صفحه عنهم على دخل • ولما عادوا تآمر على النكديين مع الجنبلاطيين والعماديين ودعا اولا أولاد الشيخ كليب الخمسة فلما جاؤوا ودخلوا عليه في القاعة خرج منها واغلق عليهم الباب فسارع المشايخ الجنبلاطيون والعماديون اليهم وقتلوهم في القاعة ثم أرسل الامير بشير فقبض على اولاد الشيخ بشير بن كليب الاربعة وسجنهم فدخل عليهم المتآمرون وقتلوهم في السجن [1] • وقد كافأ الامير المشايخ الجنبلاطيين والعماديين فمنحهم ارزاق النكديين بعد ان أفرز قسما منها لنفسه !

وفي سنة ١٢١٤ هـ ـ ١٧٩٩ م نشب نزاع بين الامير بشير وبني عماد فأخذوا يناوئونه في جمع الاموال الاميرية ويحرضون عليه ويتآمرون مع أولاد الامير يوسف ويستغلون حقد الجزار عليه بسبب موقفه السلبي ابان غزوة نابوليون لفلسطين وحصار عكا • وقد سير

---

(١) هذا السياق الطويل في الغرر ص ٨٥ وما بعدها والشدياق ص ١٦٤ ـ ١٣٧ •

عليهم قوة ففروا الى وادي التيم ثم الى عكا فهش لهم الجزار ازكاء للفتنة • ثم جرت بتشجيعه اتصالات بينهم وبين الاميرين حسن وسعد الدين أولاد الامير يوسف وانتهى الامر الى عزل الامير بشير وتوجيه الولاية للاميرين • وارسل الجزار معهما عسكرا وسار معه الشيخ فارس العماد واحتشد انصار اليزبكية في البلاد وتحمسوا ولم ير الامير بشير والجنبلاطيون مناصا ازاء ذلك من اخلاء الميدان فرحلوا عن دير القمر واستلم الاميران الحكم [1] •

على ان الامر لم يطل حيث استأنف الامير بشير وانصاره نشاطهم وجمعوا شملهم • وقد سعى بعض العقال للاصلاح بين الامير بشير وبني عماد فاشترطوا شروطا فلم يقبل بها فاستمروا على موقفهم التأييدي للاميرين الحاكمين مما جعله في النهاية يقبل بشروطهم ويرحب بهم ثم يصلحهم مع الجنبلاطيين ويصبح الجميع يدا واحدة • وهذا الموقف يدل على ما كان لبني عماد من قوة ونفوذ • وشكا الاميران للجزار من الحالة فارسل اليه عسكرا واخذ الشيخ بشير جنبلاط وانصار الامير بشير يشتبكون مع العسكر وتم التفوق في النهاية لجبهة الامير بشير ورأى الاميران انفسهم وقد تخلى عنهم انصارهم الاقوياء عاجزين عن الاستمرار في الحكم فجنحا الى المسالمة والاستسلام والصلح وعاد الامير بشير الى الولاية على غير رضاء الجزار الذي كان في هذا الظرف مشغولا بأمور أخرى [2] • وقد أخلص العماديون للامير بشير في هذا الموقف بعد الصلح وقاتلوا معه ، حتى لقد كانت لحظة أثناء المصاولات مع عسكر الجزار ان لم يبق الى جانبه سوى اتباعه واولاد عمه والشيخ جهجاه العماد وبعض مشايخ بني عبد الملك المتواثقين مع

---

(١) الفرد ص ٢٠٠ — ٢٠٦ •

(٢) الفرد ص ٢٠٧ •

العماديين في النعرة اليزبكية • وقد قتل جهجاه في بعض الاشتباكات • وسكت الجزار على النتيجة على مضض لانه انما كان ينجح بسبب ماكان يقوم بين الامراء والمشايخ من نزاع وتنافس • وكان ذلك سنة ١٨٠٠ م ١٢١٥ هـ [1] •

على ان الصفاء لم يستمر طويلا • فان الشيخ فارس العماد رشح سنة ١٨٠١ لامير عباسا بن اسعد الشهابي لولاية حاصبيا وعارض الشيخ بشير جنبلاط في ذلك ورشح اميرا آخر من الشهابيين هو سليمان ابن عم عباس فهاجت النعرة بين أنصار الفريقين ثانية • ورحب الجزار بها ووافق على الترشيحين ازكاء لها • وكان الشيخ العمادي أسرع حركة فاخذ مرشحه الى عكا وحصل له على تثبيت من الجزار وعسكر يساعده على استلام الحكم فتم له ذلك • وكان صفو الامير بشير تكدر بدسائس وحركات خصومه وتشجيع الجزار فانكمش واغتنم الامير عباس ونصيره العمادي الفرصة فزحفوا بعسكر الجزار على دير القمر واستولى الامير على الحكم فيها ووافق الجزار على ذلك [2] ! وعاد الامير بشير فاستأنف نشاطه وجمع شمل انصاره وزحف على دير القمر فانسحب عباس منها الى حاصبيا ولكن الامير انتقم منه فسلط عليه الشيخ بشير جنبلاط فطرده من حاصبيا أيضا ، وتشرد العماديون فترة من الزمن نتيجة لذلك وطاردهم الامير ففروا الى اقليم البلان ثم الى حوران حيث لبثوا متربصين [3] •

وكان الجزار في هذه الآونة مغضوبا عليه من الدولة بسبب تمرده على أمر لها بشأن والي يافا محمد ابي مرق فمر الامر بسلام • بل ان

---

(١) الفرر ص ٢٠٤ ــ ٢١١ •

(٢) الفرر ص ٣٥٥ ــ ٣٥٦ واخبارالاعيان ص ١٣٨ ــ ١٣٩ •

(٣) اخبار الاعيان ص ١٣٩ والفرر ص ٤٠٣ ــ ٤٠٤ •

الجزار بعد ان فرغ باله ارسل للامير بشير كتابا فيه تطييب خاطر • وقد ذهب الشيخ ابو قبلان العماد مع الامير سلمان الى عكا بقصد التحريض على الامير فامرهما بمغادرة عكا لانه تحقق من عدم قدرتهم على الامير وهذه عبارة الشهابي في الغرر الحسان [1] •

وفي سنة ١٢١٩ ـ ١٨٠٤ مات الجزار فقام مقامه احد رجاله اسماعيل باشا وارسل هذا الى بيت عماد والاميرين سليمان وعباس المناوئين للامير بشير تطمينا فظنوا ان الفرصة مواتية ضد الامير بشير فسارع الاميران ومعهم الشيخ ابو قبلان الى عكا فانزلهم اسماعيل ووعدهم ورتب لهم خرجا وافرا • غير ان الدولة لم تثبته في الحكم وعينت مكانه واليا اسمه ابراهيم باشا ثم استبدلته بالوالي المشهور سليمان باشا وقد جاء للامير بشير من السلطان والصدر الاعظم والواليين تثبيتات وطدت مركزه وقوت هيبته • وفي هذه الاثناء مات الشيخ ابو قبلان في عكا والتمس الاميران من الامير بشير الصفح فصفح وعادا فسكنت الحركة العمادية اليزبكية فترة من الوقت [2] •

على انهم لم يلبثوا ان تعرضوا لنقمة الامير التي أثارها عليهم مدبره جرجس باز حيث حرضه على مقاصصتهم هم وعزوتهم بني عبد الملك وبني تلحوق واستجاب للتحريض فاخذ يضيق عليهم ويكلفهم بالاكلاف الثقيلة • ووسطوا الامير حسنا أخاه فلم يقبل الوساطة فحرضهم هذا على قتل جرجس باز وأخيه عبد الاحد لانهم كانوا سبب نقمة الامير عليهم •

ويظهر ان جرجس باز واخاه كانا قد أثارا عليهما الشيخ بشير جنبلاط كبير أنصار الامير بتصرفاتهما وأثار هذا بدوره نقمة الامير

---

(١) الغرر ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ و ٤٠٦ ـ ٤٠٧ •

(٢) ص ٤٠٨ ـ ٤١٣ ـ ٤٢٢ •

عليهما وكان في نفسه منهما شيء كثير لسابق مواقفهما منه ومناصرتهما لاولاد الامير يوسف عليه فانحبكت مؤامرة على قتلهما بموافقة الامير اندمج فيها العماديون والجنبلاطيون والامير معا وتم تنفيذها • ولكن أزمة العماديين لم تنفرج مع ذلك [1] • وكان أبرزهم أو زعيمهم الشيخ فارس فرحل الى مصر ورحل معه الشيخ علي تلحوق ولجأوا الى واليها وكان ذلك في سنة ١٨٠٨ ولم يذكر الشدياق بني عماد واليزبكيين الا سنة ١٨١٩ والظاهر ان ذهاب الزعيمين الى مصر اخمد نأمة أنصارهما طيلة هذه المدة • ولقد ذكر ان الشيخ علي تلحوق جاء سنة ١٨١٨ في زيارة قصيرة لسير احوال البلاد وحاول ان يأخذ صك اتحاد من الامراء والمشايخ اليزبكيين فلم يوافقوا فعاد الى مصر [2] •

وفي سنة ١٨١٩ اشتد غضب الامير بشير على اليزبكيين ، بني تلحوق وبني عبد الملك وانصارهم الامراء الشهابيين لانه وقع في يده مكاتبة اليهم من الشيخ علي بمصر • ففروا الى الشام فامر بضبط جميع ارزاقهم وارزاق اتباعهم وطلب من والي عكا بان يطلب من والي الشام طردهم فطردوا من مكان الى مكان حتى جاؤوا الى جهة البقاع فارسل الامير قوة للتنكيل بهم فاشتبكوا معها ثم رحلوا ثانية الى الشرق وأقاموا في ارض حوران • وفي هذه الاثناء جاء الشيخ علي من مصر فانضم اليهم • ولما ضاق المجال معهم فكروا في الرحيل الى مصر • وبينما هم كذلك علموا انفساد ما بين الامير بشير ووالي عكا عبد الله باشا الذي حل محل سليمان باشا الذي توفي في هذه السنة • حيث أخذ هذا يرهق الامير بالمطالب الباهظة بقصد اذلاله فرأوا ان الفرصة

---

(١) الغرر الحسان ص ٥١٢ ــ ٥١٤ واخبار الاعيان ١٣٩ ـ ١٤٠ •

(٢) اخبار الاعيان ص ١٤٠ ــ ١٤١ والغرر ص ٦٤٢ ، ومؤلف الغرر يسمي الشيخ علي هذا بالشيخ علي العماد بينما يسميه الشدياق بالشيخ علي تلحوق •

مواتية فاتجهوا الى عكا فهش لهم الوالي وطمن خواطرهم وعين لهم الخرج الوافر واستمر في طلباته الزائدة من الامير مما جعل الامير يضيق ويفضل التخلي عن الحكم لا سيما وقد علم بان خصومه عند الوالي وان الوالي يريد ان يحقق مأربا له فيه • وقد سر الوالي فعلا بتخلي لامير لانه لم يكن يظن انه يقدر على نزع الحكم منه وينال ما في خاطره على حد تعبير مؤلف الغرر الحسان • ولما رحل التمس الشيخ علي عماد والشيخ حمود ابو نكد والشيخ علي تلحوق من الوالي توجيه خلع الالتزام للاميرين حسن وسلمان الذين كانا متضامنين معهم ضد الامير بشير وتعهدوا له بمساعدة الاميرين على جمع الاموال المترتبة على جبل الدروز وبلاد جبيل فاجابهم الى التماسهم ووجه الخلع للاميرين [1] •

على ان الاميرين لم يستطيعا القيام بالمهمة وثارت في وجههم مشاكل جعلتهما يلتمسان الصلح مع الامير بشير وجعلت الوالي يعيده الى الحكم بعد فترة من الوقت تزلف الامير اليه خلالها ونال عطفه وجاءه منه كتب فيها تطييب خاطر وجاء مثلها لاولاده وللشيخ بشير جنبلاط الذي كان معه في رحلته • وقد تسامح مع بني عماد ورفاقهم المشايخ اليزبكيين فكفوا عن المشاكسة بل صار بينهم محبة ومودة حتى انهم تعهدوا ان يكونوا في خدمته مدة حياتهم كما توثقت المودة بينهم وبين الشيخ بشير جنبلاط [2] •

وقد ارسل والي عكا كتابا للامراء والمشايخ ابي اللمع وارسلان

---

(1) ص ٦٥٣ — ٦٧٠ والشدياق متطابق مع مؤلف الغرر في بعض سياقه ومتخالف معه في بعضه (ص ١٤٠ — ١٤١) فهو يذكر مثلا ان اليزبكيين في البقاع كسروا قوة الامير بشير المرسلة بقيادة ابنه وهزموها ثم ضاق بهم المجال فتوجهوا الى عكا . وفي الكلام تناقض . وسياق الامير حيدر اكثر انطباقا على الاحداث المروية .

(2) الغرر ص ٦٧٠ — ٦٧٧ .

وجنبلاط وعماد وتلحوق وابي نكد وعبد الملك والخازن يذكر فيه انه علم بزوال ما بينهم وغدو يدهم وحالتهم واحدة ، وانه فك الالتزام عن الاميرين حسن وسلمان وفوضه الى الامير بشير لما هو عليه من القدرة والدراية والكفاءة [1] .

ومع ذلك كله فان النيات لم تصف تماما . ولما نشب الخلاف بين الامير بشير ووالي الشام درويش باشا وتفاقم حتى أدى الى الحرب بين والي عكا عبد الله باشا وبين والي الشام المذكور وكان الامير بشير هو المتولي لقيادة قوات والي عكا مع قوات الجبل فسارع الاميران حسن وسلمان اللذان كانا منكمشين في الشام الى الانضمام الى جبهة والي الشام وتابعهما على ذلك الشيخ علي عماد وبعض مشايخ بني تلحوق وعبد الملك مع بعض رجالهم ، وحاربوا الامير بشير . وتدخلت الاستانة وناصرت والي الشام . وأدى ذلك الى عزل الامير بشير ورحلته الى مصر وتعيين الامير عباس أسعد مكانه وهو صاحب العماديين . فعاد العماديون معه الى الجبل واجتهدوا في تثبيت حكمه ومطاردة انصار الامير بشير ومصادرة ارزاقه وارزاقهم معا وقد أيدهم درويش باشا في ذلك . وعين الشيخ علي العماد على مقاطعة مرجعيون .

وعاد الامير بشير ثانية الى الحكم بتدخل والي مصر فلم يلبث أن نشب الخلاف وتفاقم بينه وبين الشيخ بشير جنبلاط . فتضامن العماديون معه بالاضافة الى النكديين والتلحوقيين وغيرهم من اليزبكيين وأسهموا في التحشد والحركات الحربية التي دارت في هذا الظرف بينهم وبين قوات الامير بشير وعسكر والي عكا . ولما كتب النصر للامير عليهم فروا ومعهم الشيخ بشير جنبلاط وجماعته الى حوران . ولم يدعهم الامير بشير هذه المرة فجعل والي عكا يطلب من والي الشام الجديد مطاردتهم والقبض عليهم ففعل وقتل الوالي الشيخ علي العماد وارسل

---

(1) الغرر ص ٦٨١ — ٦٨٢ .

الشيخ بشير جنبلاط والشيخ امين العماد الى عكا حيث قتلهم واليها أيضا [1] .

وقد أثرت هذه الضربة في العماديين بل في اليزبكيين والجنبلاطيين معا فاضعفت نشاطهم وجعلت الذين ظلوا أحياء منهم يعمدون الى السكون . وظلوا على سكونهم الى ان جاءت حملة ابراهيم باشا سنة ١٨٣١ م فالتحق بعضهم بالجيش العثماني وانسحبوا معه حينما انسحب الى الاناضول فامر ابراهيم باشا بهدم مساكنهم على ما ذكره الشدياق . ممن ذكرهم باسمائهم من العماديين في هذا السياق للشيخ ناصر الدين والشيخ خطار والشيخ حسين وقال ان الشيخ ناصر عاد الى البلاد فصفح الامير بشير عنه وطيب خاطره وذهب الشيخ خطار ومعه آخرون من اليزبكيين الى مصر والتمسوا العفو من محمد علي والاذن بالاقامة في رحابه فاجابهم الى ذلك ، وان ناصر الدين اندمج في الحركات المناوئة للحملة المصرية وقاتل العساكر المصرية قتالا شديدا على رأس ثلة من رجاله الى جانب ثوار وادي التيم الدروز الذين كان يقودهم شبلي العريان في وقعة واد ممسي ثم في وقعة واد بكاء وان النصر كتب للعساكر المصرية وقد قتل هو وكثير من رجاله في الوقعة الثانية ، وان الشيخ خطار والشيخ عبد السلام ــ والاخير لم يذكر الشدياق اسمه اولا ــ عادا من مصر سنة ١٨٤٠ باذن محمد علي وانضما الى الامير بشير واخذا بحزبان الناس معه [2] . وكان آخر ماذكره الشدياق عنهم نزع الامير بشير ملحم (الثالث) منهم قرية شمسطار في بلاد بعلبك ومنحها لاولاد الامير منصور مراد اللمعي ورفضه اعادتها اليهم رغم التماساتهم المتوالية واضطرارهم الى الاستعانة بالبطرك يوسف حبيش الذي اقنع الامراء اللمعيين باعادتها اليهم ، ثم ذكر

---

(١) الغرر ص ٦٩٤ ــ ٧٧٧ واخبار الاعيان ص ١٤١ ــ ١٤٢ .

(٢) ص ١٤٣ ــ ١٤٤ وابراهيم باشا في سورية بسلما ابي عز الدين ص ٢١٥ ــ ٢١٦ .

حبس الشيخ خطار سنة ١٨٤٢ في جملة من حبسوا من مشايخ الدروز بسبب حوادث دير القمر وبعقلين بين النصارى والدروز وفرار الشيخ خطار واختفائه ، ثم ذكر سيره سنة ١٨٥٤ على رأس ثلاثمائة مقاتل من رجاله لحرب المسكوب الى جانب الدولة ورجوعه من حلب لانه كان على اتفاق مع الامير امين ارسلان الذي عدل عن السفر الى الحرب وسافر للاستانة . وعند هذا الحد ينتهي فصله عنهم [١] .

ولم يذكر مؤلف الغرر الحسان شيئا عنهم بعد قتل زعمائهم في الشام وعكا مما يؤيد ما قلناه من تأثير الضربة عليهم واخلادهم الى السكون . وقد انتهى المؤلف من كتابه قبل قدوم الحملة المصرية . وفي الملحق الذي الحق ناشروا هذا الكتاب والذي احتوى بعض احداث وصور في سني ١٢٤٤ ـ ١٢٤٨ هـ ١٨٢٨ ـ ـ ١٨٣٢ م تأييد لما ذكره الشدياق من التحاق بعض المشايخ العماديين واحزابهم ـ بدون ذكر اسماء ـ بالجيش العثماني وانسحابهم معه حينما انسحب من الشام الى الاناضول [٢] .

وواضح من السيرة ان بني عماد لعبوا دورا كبيرا في احداث لبنان نتيجة لتزعمهم النعرة اليزبكية وكانوا ذوي نشاط وحيوية .

وأهم ما كان لهم من بروز في مجال الحكم الفترة التي قضاها الشيخ سرحان حاكما على اقليم الشوف ، ثم كان احدهم الشيخ علي فترة قصيرة حاكما على مرجعيون . وقد كان لهم بعض القرى التي يستغلونها اقطاعيا في بلاد بعلبك والبقاع .

ومع ان وجاهة بني عماد الاقطاعية قد ضعفت بعد الغاء نظام الاقطاع فانهم ما يزالون يتلقبون بلقب المشيخة الاقطاعي كأثر من آثارها .

---

(١) ص ١٤٤ .

(٢) ص ٨٧١ .

٣ — بنو تلحوق

— ١ —

وهذه الاسرة من الاسر التي كان لها بروز ونشاط وكيان اقطاعي في ظل بني معن وبني شهاب • وافرادها يتلقبون بلقب المشيخة الـذي منحهم اياه الامير حيدر الشهابي سنة ١٧١١ م ــ ١١٢٢ هـ واخبارهـا مبثوثة في الغرر الحسان واخبار الاعيان في سيرتي الاسرتين المذكورتين وفي الاخير فصل خاص عنها جمعت فيه اخبارها جملة [١] •

ومما قاله الشدياق في الفصل الخاص عن اصلها بعد ان ذكـر تولداتها انها تنتسب الى قبيلة بني عزام من عرب الجزيرة الفراتية وانها أتت مـع الامـير معن الى الشام فاستدعاها الامير عامر الشهابي الى حوران حيث كان ينزل مع عشيرته ثم انتقلت الى وادي التيم واقامت فيه • وفي سنة ١١٤٤ م انتقلت الى بيروت لنزغة حدثت بينهـا وبـين الشهابيين ثم تنازعت مع امير من بني الحمراء فقتلته وانتقلت الى ارض الفيجينية بين الشويفات وكفر سيما • ثم حدث بينهـا وبـين الامراء التنوخيين اليمنيين خلاف فدهمها الامراء وقتلوا منها تسعة رجال ونجا ثلاثة ففروا الى حومان وهناك توفي اثنان آخران وبقي واحد وهـو احمد ابو جنبلاط • وهو جد الاسرة التي ذكر الشدياق تولداتها فـي مطلع فصله •

ومن العجيب في هذا السياق قول الشدياق ان الاسرة انتقلت

---

(١) ص ١٥٤ ــ ١٥٩ مكرر •

من وادي التيم الى بيروت سنة ١١٤٤ لنزغة بينها و بين الشهابيين مع ان الشهابيين لم يأتوا الى هذا الوادي الا في سنة ١١٧٣ م على ما ذكره المؤلف نفسه [١] • وقد أورد المعلوف سياق الشدياق حرفيا في احدى حواشي كتابه تاريخ الامير فخر الدين الثاني دون ان ينتبه الى ما في التاريخ من غلط • ومقتضي السياق ان العشيرة العزامية التي نشأت منها الاسرة أقامت مع بني شهاب في حوران ثم رحلت الى وادي التيم ثم نزحت الى بيروت • وهذا يقتضي اذا كان صحيحا ان يكون النزوح بعد سنة ١١٧٣ بمدة ما ولعل الشدياق اراد ان يكتب سنة ١٢٤٤ فكتب سنة ١١٤٤ م ومن الجدير بالتنبيه انه ليس في سياق الشدياق ما يوضح اصل وظرف تسمية « تلحوق » التي عرفت بها الاسرة • وليس بين اسماء الاسرة احد بهذا الاسم • ولم يرد في الغرر الحسان ما يساعد على جلاء هذه النقطة • وحينما ورد اسمهم في هذا الكتاب لاول مرة في حوادث سنة ١٧٣٨ م ـ ١١٦٢ هـ ذكروا باسم بني تلحوق وذكر منهم الشيخ شاهين تلحوق باسلوب يفيد ان التسمية مستقرة سابقة بمدة غير قصيرة [٢] • بل لقد ورد اسم الشيخ محمد « تلحوق » في مناسبة خبر حضانة الشيخ عماد الذي من ذريته الشيخ عبد السلام عماد زعيم الجبهة اليزبكية [٣] • بحيث يمكن ان يفيد الخبر ان ذلك كان قبل خمسين سنة من التاريخ المذكور واكثر •

— ٢ —

وتتجاوز هذه النقطة الى سيرة الاسرة فنقول ان الشدياق قال ان

---

(١) ص ٤٤ •

(٢) الغرر ص ٣٧ الجزء الثاني والثالث نشر رستم والبستاني •

(٣) الغرر ص ٥٠ •

بعض وجوه عائلة ابي النجم اليمنية في قرية عيتات جاؤوا الى احمد ابي جانبلاط الذي بقي من الاسرة وعرضوا عليه الرحيل الى قريتهم والتوطن فيها والاتحاد معهم فقبل وانتقل ثم صيرهم قيسية مثله وتآمر معهم على اسرة بني العبد اليمنية في القرية فقتلوهم [1] .

وتوفي احمد ثم ابنه جانبلاط وكان لهذا ولد اسمه شاهين نزل الى بيروت عند اصدقاء له فرآه اليمنيون فوشوا به الى سكمانها — حاميتها العسكرية — فقتلوه انتقاما لبني نعرتهم في عيتات . وكان له ولدان محمد وبشير فلما بلغهما خبر قتله انحدرا برجالهما الى بيروت فاغلق اهلها الابواب فكسروها ودخلوا المدينة وقتلوا منهم ٢٧٠ نفسا [2] .

وفي سنة ١٦١٠ م ارسل الامير فخر الدين المعني الثاني ابا شاهين محمدا الى الاستانة بطلب سنجقية اربد وعجلون لولده حسين ، ونجح في مسعاه فجعله الامير نائبا في الحكم لان ابنه كان صغيرا [3] . وهذا يعني ان الاسرة برزت في عهد مبكر من عهد بني معن وصار زعيمها موضع ثقة الامير فخر الدين الثاني واختصاصه بالمهام الكبيرة .

وسكت الشدياق عنهم طيلة عهد الامير فخر الدين الثاني ثم عهد اولاد اخيه الى ان انتقل الحكم الى بني شهاب ثم صار الى الامير حيدر فعاد الى ذكرهم حيث قال ان الامير الشهابي حينما ازيح من الولاية من قبل ابي هرموش وفر الى المتن تبعه الشيخ محمد وولده الشيخ شاهين ، وانهما اشتركا في القتال الذي نشب بين انصار الامير وعسكر ابي هرموش في غزير وقاتلا بشدة وكتبت الهزيمة على عسكر

---

(١) و (٢) ص ١٥٦ وكلمة سكمان كانت تعني صنفا من الصنوف العسكرية .

(٣) ص ١٥٦ وتاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني للمعلوف ص ١٠٧ — ١٠٨ .

ابي هرموش • ثم اشتركا في وقعة عين دارة وقاتلا بشجاعة ايضا ، وان الامير قد كافأهما فشيخهما وكتب لهما « الاخ العزيز » ونزع اقليم الغرب الاعلى من يد الامير يوسف الارسلاني واقطعه لهما (١) •

ومما ذكره الشدياق من اخبار الاسرة انه في سنة ١٧٤٨ م — ١١٦٢ هـ قدم الى عالية احمد آغا القلتقجي فارا من والي الشام فنزل على الشيخ شاهين مستجيرا فانزله واجاره فكتب الوالي للامير ملحم بطرده من البلاد فطلب ملحم ذلك من المشايخ فأبوا رعاية للذمام فارسل عسكرا لارغامهم فاخذوا نزيلهم وساروا به نحو راشيا فاحرق العسكر مساكنهم وقطع اشجارهم (٢) • ثم رضي الامير عنهم فرجعوا وعوض عليهم ما أتلفه عسكرهم •

وفي سنة ١٧٤٩ امر الامير الشيخ شاهين بان يمخرق — يعيث — في اطراف بيروت لحمل وزير صيدا على تسليمها لـه ففعل واضطر الوزير الى تسليمها نتيجة لذلك (٣) •

وبعد هذا ذكر الشدياق خبر وفاة شاهين ثم وفاة اولاده الشيخ محمد والشيخ اسماعيل واولادهما من بعدهما دون ذكر شيء عنهم حتى وصل الى سنة ١٨٣٠ م فذكر خبر اشتراك الشيخ حسين والشيخ فارس في حصار قلعة صانور وقتال أهل جبل نابلس عند قرية عجة الى جانب الامير بشير الثاني وانتصارهم عليهم • ثم ذكر خبر قتل ابراهيم باشا قائد الحملة المصرية سنة ١٨٤٠ م الشيخ ظاهرا ظنا منه انه ضالع في حركة المناوأة ضد الحكم المصري ، وخبر اعتقال والي لبنان عمر باشا في سنة ١٨٤٢ م للشيخ حسين مع من اعتقلوا من مشايخ

---

(١) ص ١٥٧ وخطاب الامير لشخص بعنوان « الاخ العزيز » كان يعني توجيه لقب المشيخة اليه والى أسرته فيتلقب افرادها منذئذ بلقب الشيخ .

(٢) و (٣) ص ١٥٧ مكرر •

الدروز بسبب حوادث الصدام بين الدروز والنصارى ، وخبر اشتراك الشيخ محمد والشيخ ناصيف برجالهما في الحرب الدرزية النصرانية وكسرهما الامير حيدر والامير قيس اللذين جاءا برجالهما من بعبدا لقتال الدروز في عالية ، وخبر اعتقال شكيب افندي الذي ارسلته ...الاستانة لتهدئة الفتنة وتنظيم امور لبنان للشيخ حسين مع المناصب الآخرين واطلاق سراحه . وانتهى فصله عند هذا [1] .

— ٣ —

ولقد كان المشايخ التلحوقيون من اركان النعرة أو الجبهة اليزبكية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وكان لهم نشاط كبير في احداثها المتنوعة بالاشتراك مع العماديين وبني عبد الملك ، وتعرضوا معهم للاذى والتشريد بسبب تلك الاحداث مرة بعد مرة كما انتصروا على خصومهم كذلك مرة بعد مرة مما شرحناه في سيرة بني عماد وسيرة بني شهاب شرحا يغني عن تكراره هنا ويجعلنا نكتفي بالاشارة اليه في سياق تسجيل سيرتهم .

ولقد ورد ذكرهم مرارا في الغرر الحسان في سياق احداث مختلفة وخاصة في سياق ما كان من التشاد بين الجبهةاليزبكية والجبهةالجنبلاطية وما كان من التنافس بين الامراء الشهابيين منها ما هو متطابق مع ماذكره الشدياق ومنها ما هو زائد عليه .

ومن زوائده في سياق احداث سنة ١٧٤٩ م — ١١٦٣ هـ خبر تثقيل الشيخ شاهين على أهل البقاع وتسيير والي الشام عليه عسكرا وكبسه في قرية له اسمها تعنايل وقتل بعض اتباعه ، وقد غضب الامير

---

(١) ص ١٥٧ — ١٥٩ مكرر .

ملحم فارسل عسكرا اشتبكوا مع عسكر الوالي واثخنوا فيهم وهزموهم وتفاقم الشر بين ملحم والوالي حتى تدخل والي صيدا في الامر وصرفه بالتي هي أحسن [1] .

ومنها خبر نشوء الشيخ عماد العماد في حجر الشيخ محمد تلحوق وتزويجه اياه بابنته [2] ، وقد ذكرنا هذا في سيرة بني عماد . ويدل على ما كان لبني تلحوق من وجاهة أو مركز في أواخر القرن السابع عشر . ولعل هذا الحادث كان الحجر الاساسي في ما كان من تواثق بين الاسرتين في النعرة اليزبكية .

ومنها في حوادث سنة ١٢٤٨ هـ ـ ١٧٩٥ م خبر ثبات اولاد الشيخ بشير تلحوق مع المشايخ النكديين في جانب اولاد الامير يوسف ضد الامير بشير في حين رجع الشيخ قاسم العماد الى الامير ونال الصفح منه [3] . والخبر يفيد ان المشايخ التلحوقيين لم يكونوا أذنابا للعماديين بل كان لهم شخصيتهم القوية المستقلة . ولقد كان بعد هذا المؤامرة التي اشترك فيها العماديون والجنبلاطيون ضد النكديين ولم يتعرض التلحوقيون لما تعرض له النكديون مما يمكن ان يعلل بما كان لهم من قوة ومركز مكين . ومن هذا الباب خبر انفراد بيت عماد في مناوأة الامير بشير مرة من المرات في سنة ١٢١٨ هـ ـ ١٨٠٢ م وتأييد الامير سلمان عباس في حين ظل الشيخ اسماعيل تلحوق مؤيدا للامير بشير [4] . ثم عادوا الى التواثق في مناوأة الامير ومصافاته وتعرضوا معا لاذاه أكثر

---

(١) الغرر الحسان ص ٤١ .

(٢) ص ٥٠ .

(٣) ص ١٨١ .

(٤) ص ٤٠٣ و ٤١٣ .

من مرة [1] . ومما ذكره المؤلف من صور ذلك اتفاقهم مع العماديين والجنبلاطيين سنة ١٨١٩ ضد الامير بشير وغضب هذا عليهم حينما علم بسرهم غضبا شديدا جعل الشيخ علي تلحوق واخويه يفرون الى البقاع ثم الى الشام وينضمون الى اليزبكيين والجنبلاطيين فيها ، وجعل الامير يقاصصهم على موقفهم برفع ايديهم عن اقليم الغرب الاعلى الذي كان مقطعا لهم من قبل الامير حيدر الشهابي الاول مكافأة لهم على نصرتهم له في وقعة عين دارة سنة ١٧١١ م [2] ثم عادوا الى الانفراد عن العماديين في سنة ١٢٤٠ هـ ـ ١٨٢٤ م في ظروف خلاف الامير بشير مع الشيخ بشير جنبلاط حيث تضامن بنو عماد مع الشيخ بشير والتزم بنو تلحوق جانب الامير بشير وظلوا معه على صفاء [3] ، فنجوا بذلك من النكال الذي نزل ببني عماد وبني جنبلاط .

ومع ان وجاهة بني تلحوق الاقطاعية بعد الغاء نظام الاقطاع في لبنان لم تبق قوية كما كان شأن وجاهة بعض أسر أخرى فانهم ما يزالون يحتفظون بشيء من تلك الوجاهة وما يزالون يتلقبون بلقب المشيخة الاقطاعي كأثر من آثارها ..

---

(١) انظر الغرر الحسان ص ٥١٢ ـ ٥١٤ و ٦٥١ ـ ٦٥٣ و ٦٨١ و ٧١٤ ـ ٧٢٤ .

(٢) ص ٦٥١ .

(٣) ص ٧٥٧ ـ ٧٥٨ .

٤ — بنو نكـد

— ١ —

وهذه الاسرة من الاسر الاقطاعية التي كان لها بروز ونشاط متميز على مسرح لبنان كسابقاتها • وافرادها يتلقبون بلقب المشيخة • واخبارها مبثوثة في الغرر الحسان واخبار الاعيان •

وفي اخبار الاعيان فصل خـصاص عنهـا جمعت اخبارها فيـه جملة [١] بالاضافة الى ما جاء عنهـا في فصل [٢] سيرة بني شهـاب اللبنانيين •

ويقول الشدياق عن اصل الاسرة انها تنتمي الـى قبيلة عربيـة حجازية خرجت من الجزيرة الى فتوح مصر وبلاد المغرب واقـامت في مملكة مراكش وهناك تسمت باسم نكد • ثم جاءت الى لبنـان حينما قدم الامير معن الى الشوف في سنة ١١٢٠ م وصارت من جملة أعوانه حتى انقطعت ذريته وانتقل الحكم الى الامير حيدر الشهـابي فصاروا من أخصائه ، وناصروه في نزاعه مع ابي هرموش سنة ١٧١١ م وكان كبيرهم الشيخ علي • وهو اول من ذكره منهم مع اخوين لـه هما نجم ويوسف ، ومنهم تفرعت الاسرة • ولم يذكر أي شيء عـن الاسرة قبل سنة ١٧١١ م الا تلك الكلمة المقتضبة عن مجيء آبـائها الى الشوف وغدوها من أعوان الامير معن حتى انقطعت ذريته •

---

(١) ص ١٤٤ — ١٥٤ •

(٢) ص ٣٥٨ — ٦٤٦ •

والمتبادر من الاقتضاب الذي اكتنف عبـارة الشدياق عن أولية الاسرة انه لم ينقل عن مدونات قديمة وانما سمع ذلك سماعا من احياء كان ما ذكروه له هو كل ما تلقنوه عن أولية أسرتهم •

والمعلوف في كتابه تاريخ الامير فخر الدين الثاني الذي شرح فيه سيرة الامير ولخص سيرة آبائه وخلفائه لم يذكر عنهم الا كملة عـابرة جاء فيها [١] انهم جاؤوا الى لبنان في عهد حكم بني معن وصاروا من انصارهم حيث يؤيد هذا قولنا ويدل على انه لم يرد لهم ذكر في المدونات القديمة التي سجلت احداث بني معن •

ولقد ذكرهم الامير حيدر [٢] في الغرر الحسان لاول مرة في سياق خبر عزل الامير احمد المعني وتولية الامير موسى علم الدين مكانـه حيث ذكر ان المشايخ النكدية القيسيين مع غيرهم انضموا الى الوالي الجديد أو انفضوا عن الامير احمد خوفا من خصومه ومن الدولة التي كـانت تؤيدهم مما جعل الامير احمد يفر سنة ١١٠٦ هـ ـ ١٦٩٤ م الى وادي التيم على ما شرحناه في سيرة بني معن • على ان اسلوب الغرر الحسان يدل على ان بني نكد كانوا بارزين في عهد الامير احمد فكان انفضاضهم عنه مع غيرهم مما أضعفه • والمتبادر ان ذلك كان ممتدا الى ما قبل الامير احمد بامد ما وبالتالي ان الكلمة المقتضبة التي ذكر بها الشدياق والمعلوف والتي تقول انهم كانوا من انصار بني معن منذ عهودهم الاولى ترتكز الى حقيقة ما •

---

(١) ص ٢٧ •

(٢) الجزء الاول نشر مغيغب ص ٧٤٣ ـ ٧٤٤ •

وتقف من أولتهم عند هذا الحد الذي لم يمكن تجاوزه لانه ليس هناك مصدر آخر فيه ما يشفي الغلة لنمضي في شرح سيرتهم وعرض نشاطهم منذ سنة ١٧١١ م •

ولقد احتوى فصل الشدياق عن نشاطهم صورا متنوعة فيها ما هو سائغ السياق مترابط الحلقات وفيها ما لا ترابط فيه ولا تعليل • غير ان ما ذكره عنهم في فصل بني شهاب وما ذكره عنهم مؤلف الغرر الحسان في سيرة بني شهاب قد تسد الثغرة • ولسوف نستعين بذلك بسبيل عرض الصور تامة بقدر ما يمكن •

ومن الحق ان تنبه على ان صور نشاطهم الواردة في فصلهم الخاص وفي فصل بني شهاب وفي الغرر الحسان [1] تدل على انهم كانوا ذوي حيوية وقوة شخصية وعنف وجرأة وعناد • ولقد ظلوا منفردين عن المشايخ الآخرين الدروز القيسيين فلم يندمجوا في نعرتي اليزبكية والجنبلاطية حينما ثارتا في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي ، ومع ذلك فقد كانوا يتضامنون أحيانا مع الاحداث الجارية مع اصحاب النعرة اليزبكية تارة وأصحاب النعرة الجنبلاطية تارة كما كانوا ينفردون عنهما تارة بل كانوا أقوياء الشخصية والاعتداد الى درجة انهم كانوا يخاصمونهما معا تارة ويخاصمون الامراء بمفردهم تارة ، وكان الامراء يعمدون الى القاء الفتن بينهم لكسر حدتهم وعنادهم كما كانوا يتآمرون عليهم مع الجنبلاطيين واليزبكيين معا ويقتلونهم قتلا جماعيا ان صح التعبير •

---

(١) أخبارهم في الغرر الحسان في الجزء الثاني والثالث منه نشر رستم والبستاني ، والصفحات التي سوف يشير اليها منه في صفحات هذين الجزئين •

واليك الآن الصور .

١ ـ حينما تولى الامير حيدر الشهابي ولاية الجبل تقربوا اليه فجعلهم من أخصائه وكان كبيرهم الشيخ علي . ولما فر الامير من وجه ابي هرموش تبعه الشيخ مع اخويه يوسف ونجم ، ولما تعقبهم عسكر ابي هرموش اشتبكوا معه في غزير وقاتلوا معه حتى كتبت الهزيمة على هذا العسكر ثم ساروا مع الامير الى الهرمل ثم حضروا معه وقعة عين دارة . وقد كافأهم الامير بعد النصر فاقطعهم الناعمة وكتب لهم الاخ العزيز [١] ، وقد ذكر ذلك الشهابي في الغرر الحسان بما يتطابق اجمالا مع ما ذكره الشدياق عنهم ولكنه لم يذكر يوسف ونجم واكتفى بذكر الشيخ علي كبيرهم وبارزهم [٢] .

٢ ـ ولم يذكرهم المؤلفان بعد هذا الا في سنة ١٧٥٢ حيث ذكر الشدياق ان شخصا من اهل دير القمر قتل في هذه السنة احد أتباع النكديين فاعتقله الوالي الامير ملحم ولكنه لم يقتله قصاصاً لان القتل كان خطأ فأثار ذلك المشايخ وهجم بعضهم على السجن لقتله ونشب من جراء ذلك شغب عظيم جعل الامير مضطرا الى قتله على مضض ، ثم القى الفتنة بين زعيمي الاسرة الشيخ خطار والشيخ كليب فتنازعا فقوى عليهما الامير وطردهما من البلاد واحرق منازلهما وهدمها وظلا مشردين الى ان توسط الامير اسماعيل والي حاصبيا فاصلحهما مع الامير الذي عاد فطيب قلبيهما وعمر منازلهما [٣] . وقد ذكر الشهابي الحادث في حوادث سنة ١١٦٥ هـ [٤] .

---

(١) ص ١٤٥ مكرر .
(٢) ص ٩ ـ ١٤ .
(٣) ص ١٤٥ ـ ١٤٦
(٤) الغرر ص ٤٢ .

٣ ـ لما تنازع الاميران منصور وسيد احمد بعد انتزاعهما الحكم من اخيهما ملحم طلبا للانفراد فيه واندمج في النزاع الامير يوسف بن ملحم الى جانب عمه احمد انحاز اليهما الشيخان النكديان خطار وكليب ايضا واخذا يناصرانهما ويناوئان منصورا • ولما اصطلح احمد مع اخيه وظل يوسف ينازع منصورا ظل الشيخان الى جانبه • وقد سار يوسف الى راشيا سنة ١٧٦٣ لاجل التحشيد ضد منصور فسار الشيخان معه فامر منصور بقطع اشجارهما وهدم مساكنهما وقد ظلا في وادي التيم مع يوسف الى ان تم الصلح بينه وبين عمه • وقد ظل منصور واضع اليد على عقارات يوسف وظل التنافر مستمرا في القلوب فظل التواثق مستمرا مع الشيخ كليب وبينه وكان الشيخ خطار قد توفي • وقد استمالا اليهما الشيخ علي جنبلاط وعقال الدروز مما قوى آمال يوسف بالحكم وجعله يذهب الى دمشق • ويأخذ من واليها حكم بلاد جبيل ، وحينئذ استدعى الشيخ كليب اليه • واشتد حقد الامير منصور على كليب فالقى الفتنة بينه وبين ابني عمه الشيخ فهد والشيخ شاهين حتى تواثبوا للقتال • واتخذ الامير ذلك ذريعة الى طردهم من البلاد فظلوا مشردين ردحا من الزمن [١] •

٤ ـ وفي سنة ١٧٧١ م ـ ١١٨٥ هـ نشب نزاع بين بني حمادة في بلاد جبيل وبين الامير يوسف الذي كان يتولاها فسارع الشيخ كليب الى نصرة يوسف وأغار برجاله عليهم وظفر بهم [٢] •

٥ ـ ولقد قوي حزب يوسف حتى تمكن من ارغام منصور على التخلي له عن الحكم في سنة ١٧٧١ م وكان ذلك في ظروف غزوة محمد ابي الذهب للشام بالتضامن مع الشيخ ضاهر العمر وارتداده عنها ،

(١) أخبار الاعيان ص ٣٨٤ والغرر الحسان ص ٦٦ ـ ٦٧ •

(٢) اخبار الاعيان ص ٣٨٦ والغرر الحسان ص ٨٧ ـ ٨٩ •

وكان الشيخ كليب واقاربه من أقوى انصاره ومؤيديه في هـذا الموقف [1] .

٦ ــ وبعد تولي الامير يوسف الحكم اخذ متاولة جبل عامر يتمردون عليه ويتطاولون على بلاده ويساعدهم على ذلك الشيخ ضاهر الذي كان ناقما على يوسف لتضامنه مع والي الشام ضد حركته فنشب بينهم وبين الامير يوسف نزاع وقتال تكررت وقائعه . وكان بنو نكد بزعامة الشيخ كليب من اعضاده الاقوياء في صياله معهم [2] . وكان ذلك خلال سنتي ١١٨٥ ــ ١١٨٦ هـ .

٧ ــ في سنة ١١٩٠ شدد الجزار على الامير يوسف في طلب المال وكشر عن انيابه وشكاه هذا الى قائد الاسطول العثماني الـذي كان في المياه السورية فطيب قلبه ووعده بعزل الجزار ، فاغتر وتشجع ولم يأبه لطلب الجزار وارسل هذا قوة لارغامه فأوعز للمشايخ النكديـين أن يأخذوا رجالهم ويصدوها فرابطوا في طريق صيدا ولما وصلت القوة وثبوا عليها ولكنها غلبتهم وقتلت زعيمهم أبا فاعور وجرحت أخـاه الشيخ بشيرا وأسرت محمودا ابن ابي فاعور وواكدا بن كليب واخذت الاسيرين الى صيدا حيث زجا في قلعتها . والتمس الامير من الجزار اطلاقهما مقابل فدية مئة الف قرش فوافق . ويظهر ان الامير تلكأ قليلا في تدبير المال وارساله فثار حنق المشايخ النكديين عليه وعمـدوا الى تهييج اخويه سيد احمد وفندي واستمالوا الجنبلاطيين اليهم واتفقوا معهم على خلع يوسف وتولية اخويه وشعر يوسف بالحركة فعمد الى التشديد عليهم وطالبهم بالمئة الف قرش فدية الشيخين الذين كانا تمكنا من الافلات من سجنهما مما جعلهم يغادرون الجبل مغاضبين الى جبل عامل ولبثوا فيه نزلاء على زعمائه ردحا من الزمن ثم جرت الوساطة

---

(١) اخبار الاعيان ص ٢٨٤ والغرر ص ٦٦ ــ ٦٧ .

(٢) اخبار الاعيان ص ٢٨٨ ــ ٢٨٩ والغرر ص ٨٨ ــ ٩٠ .

بينهم وبين الامير فعادوا الى وطنهم واستأنفوا تواثقهم معه [١] .

٨ ــ وعاد التوتر ثانية بين الامير يوسف والجزار وامر هــذا عساكره الارناؤوط في بيروت بالقيام بحركات ازعاجية فتصدى لهم المشايخ النكديون وانشبوا معهم القتال واثخنوا فيهم [٢] ثم تكــرر الانشباك بينهم وبين الارناؤوط مرة أخرى فكانت الغلبة لهم ايضا [٣] . ولم يذكر الشدياق سبب ذلك ولكن سياقا جاء في الغرر الحسان يفيد ان ذلك كان في ظروف اشتداد النزاع بين الامير يوسف والامير بشير الثاني وسجن الجزار ليوسف في عكا وشنقه وتعزيز الامير بعسكــر الارناؤوط ، وقيام حركة مناوئة للامير بشير بقصد اقصائه عن الولاية واندماج النكديين فيها ونجاحها في قصدها وتولية الاميرين حيــدر ملحم وقعدان ابن اخيه مكان الامير بشير وكان ذلك خلال سنــي ١٧٩١ ــ ١٨٧٢ م وفق ١٢٠٥ ــ ١٢٠١ هـ [٤] .

٩ ــ وفي سنة ١٧٩٣ توجه الشيخ فهد والشيخ يوسف واخوه الشيخ جهجاه ــ نكد ــ الى اطراف البلاد فارسل الاميران حسين وسعد الدين ولدا الامير يوسف اللذان كانا يتوليان الحكم من احضرهم اليه فالقاهم في السجن فدخل عليهم ابن عمهم الشيخ بشير وقتلهم . ولم يذكر الشدياق سبب ذلك [٥] . وكان هذا في ظرف تخلي الاميرين قعدان وحيدر والاتفاق على تولية الاميرين حسين وسعد لدين تفاديا من عودة الامير بشير على ما يستفاد من سياق الغرر الحسان المشار اليه آنفا . ومن المحتمل ان يكون النكديون انقسموا في هذا الظرف

---

(١) اخبار الاعيان ص ١٤٦ ــ ١٤٧ .

(٢) اخبار الاعيان ص ١٤٦ ــ ١٤٧ و ٤٠٠ ــ ٤٠٢ والغرر الحسان ١١٨ ــ ١١٩ .

(٣) أخبار الاعيان ص ١٤٩ .

(٤) الغرر الحسان ص ١٤٢ ــ ١٧١ .

(٥) اخبار الاعيان ص ١٤٩ .

الى فريقين فريق بقي مواليا للاميرين حيدر وقعدان وآخر انحاز الـى ولدي يوسف وان يكون المشايخ الثلاثة هم الفريق الثاني فلما استتب الحكم لولدي يوسف تآمر مع الفريق الموالي له عليهم !

١٠ ـ وفي السنة نفسها دهم المشايخ النكـديون والمشايـخ العماديون معا عسكرا للجزار والشيخ بشير جنبلاط في المختارة فكسروا وارتدوا ، وكان ذلك في ظرف كان المشايخ يناوئون فيه الامير بشير الذي شوش على ولدي الامير يوسف حتى اضطرهما في النهـاية الى التخلي عن الحكم وتمكن من العودة اليه (سنة ١٧٩٣ م) وقد توسط الشيخ بشير جنبلاط بعد استتباب الحكم للامير بشير وحصل لهم على صفح الامير بعد ان غرمهم خمسين الف قرش [١] .

١١ ـ وفي سنة ١٧٩٥ هدم الامير بشير مساكن المشايخ . ولم يـذكر الشدياق السبب . ولكن السيـاق المشار اليه آنفـا يفيد انهم عادوا الى مناوأته وتشجيع ولدي الامير يوسف على ذلك .

١٢ ـ وفي سنة ١٧٩٧ تآمر الجنبلاطيون والعماديون والامير بشير على ابادة المشايخ الكنديين . وقـد دعا الامير بشير اولاد الشيخ كليب وكانوا خمسة هم بشير وواكد وسيد احمد ومراد وقاسم الى ديرالقمر فلما دخلوا عليه خرج من القاعة واغلقها عليهم فدخل عليهم الجنبلاطيون والعماديون وقتلوهم . ثم ارسل الامير الى اعبية من يقبض على اولاد الشيخ بشير ففروا فتعقبوهم وقبضوا عليهم واتوا بهم الى دير القمـر فزجوا في سجنها فدخل عليهم المشايخ العماديون وقتلوهم وكانوا اربعة وهم علي وجهجاه وسعد الدين وكليب وأما الصغار فهربوا مع الشيخ سلمان الى دمشق . وقد ضبط الامير املاك الجميع وابقى له جزءا وأعطى الباقي للمشايخ القاتلين . ودعا الجزار الشيخ سلمان من دمشق

---

(١) اخبار الاعيان ص ١٤٩ والغرر الحسان ١٧٣ ـ ١٨٢ .

اليه فتوجه بالمشايخ الصغار الى عكا وكانوا ستة عشر ذكرا فعين لهم نفقة واكرمهم [1] .

والراجح ان شدة النكديين وعنادهم وقوة شخصيتهم اثـارت الامير بشير والجنبلاطيين والعماديين معا مع ان الاخيرين كانوا متضامنين معهم في بعض المواقف ! وقد ذكر الحادث مؤلف الغرر ومما قاله [2] ان اسم بيت ابي نكد اندثر ـ ويعني رجالهم كما هو المتبادر ـ وانه لم يبق منهم الا ثلاثة اولاد صغار والشيخ سلمان واولاده . وان أمر الله نفذ فيهم لزيادة ظلمهم وسفكهم للدماء وبخلهم وانهم جمعوا مالا جزيلا من الربا وان الامير بشير استراح بعدهم وخافه الناس وتمكن من التوفيق بين بيت جنبلاط وبيت عماد . وقد اورد قصيدة نظمها احـد الشعراء يندد فيهم ويذم سيرتهم ويمدح الامير الذي قضى عليهم ، وينطوي في كل ذلك صحة التعليل الذي عللنا به هذا الحادث البشع . ولا شك في ان قوة شخصيتهم وعنادهم كان السبب الابرز لان الجميع كانوا في الاخلاق الاخرى سواء ....

وسكت الشدياق والشهابي عن ذكرهم الى سنة ١٨١٩ . ثم ذكر الشدياق ان الشيخ علي العماد لما حضر من مصر سنة ١٨١٩ اتصل بالمشايخ اليزبكيين والنكديين فغضب الامير بشير فارتحل المشايـخ الى بلاد الشام خوفا من نقمته وذهبوا الى عكا فلم يقبلهم واليهـا عبد الله باشا فجاؤوا الى البقاع الشرقي فارسل الامير ابنه الامين على رأس قوة فكسروها [3] . حيث يدل الخبر على انهم عـادوا فنموا واستأنفوا نشاطهم على طريقة آبائهم في العنف والمناوأة والعناد وقـوة

---

(١) اخبار الاعيان ص ١٤٩ وقد وصفهم باحلاف ولدي الامير يوسف .

(٢) ص ١٨٣ ــ ١٨٤ .

(٣) اخبار الاعيان ص ١٤٦ .

ولما تجددت الفتنة في سنة ١٨٤٤ جمع الشيخ حمود ثلاثة آلاف مقاتل وسار بهم الى قتال الامير قعدان والنصارى الساكنين في اعبية • وكان الشيخ ناصيف في حوران فلما علم بتجدد الحركة قدم منها على رأس الفي مقاتل من دروز حوران وانشب القتال مع نصارى حاصبيا فكسرهم وقتل منهم ٢٣٥ شخصا (١) •

وكان الشيخ حمود قتل فيما قتله شخص اسمه أو اسم وظيفته البادري ــ والكلام لايفيد تعيينا دقيقا ــ في اعبية وامر بحرقه وكان هذا من رعايا فرنسة فالحت فرنسة على الدولة بقصاصه فاعتقل وسجن في بيروت وعقد له ديوان فبرأ نفسه فاطلق سراحه • غير ان الحاح فرنسة جعل الاستانة تأمر بنفيه الى الاناضول فنفي الى قونية حيث توفي فيها (٢) •

ولما جاء شكيب افندي ــ احد كبار رجال الدولة العثمانية ــ لتهدئة الامور وتنظيمها امر باعتقال الشيخ ناصيف في جملة من امر باعتقاله من المناصب ــ والتعبير للشدياق والمقصود به المشايخ ــ غير انه تمكن من الفرار والاختفاء •

ومن الجدير بالذكر ان الشدياق قال فيما قاله في سياق سرد صنحات الفتنة (٣) ان اهل دير القمر تشامخوا على مشايخهم النكدية الذين حاولوا تهدئتهم حينما حدثت المشاجرة الاولى بين بعض الدروز والنصارى قرب بعقلين ونبذوا أوامرهم حيث تفيد العبارة انه كان لبني نكد مركز خاص أو مشيخة ذات سلطة ما في دير القمر مما لم يسبق اليه اشارة ما • والمتبادر ان ذلك لم يكن حديثا وانما كان امتدادا لحالة سابقة •

---

(١) اخبار الاعيان ص ١٥٣ •

(٢) ص ١٥٢ •

(٣) ص ١٥٤ •

وسكت عنهم الشدياق الى سنة ١٨٤٧ حيث ذكر ان كامل باشا ـ والي بيروت على الارجح ـ ارسل مدبره للقبض على الشيخ ناصيف سنة ١٨٤٧ ولكنه تمكن من الافلات [1] • ثم سكت عنهم الى سنة ١٨٥٤ حيث ذكر خبر سير الشيخ ناصيف في هذه السنة برجاله الى حرب المسكوب الى جانب الدولة ، وقال انه لما وصل الى حاصبيا توفي فيها وانه كان بطلا صنديدا عاقلا خبيرا في امور الحرب ذا سطوة عظيمة واعتبار سام عند الدروز [2] • وكان هذا نهاية فصل الشدياق عنهم • والمتبادر من الخبر ان بني نكد وزعيمهم الشيخ ناصيف انسجموا مع الدولة وظلوا الى هذا التاريخ محتفظين بمركزهم وقوتهم الاقطاعية •

ولقد انهار نظام الاقطاع في لبنان وغير لبنان بعد ذلك التاريخ ببضع سنين فذهبت سلطة مشيختهم ، غير انهم ظلوا يحتفظون بما كان لهم نتيجة لها من املاك وارزاق ثم بلقبها ووجاهتها اسوة بأمثالهم •

٦ — بنو عبد الملك

وهذه الاسرة كسابقتها من الاسر الاقطاعية الدرزية التي كان لها بروز ونشاط متميزان على مسرح لبنان • وافرادها يتلقبون بلقب المشيخة واخبارها مبثوثة في الغرر الحسان واخبار الاعيان • وفي الاخير فصل خاص عنها [3] •

ومع ان الشدياق في فصله الخاص قال عنها انها تنتسب الى بلاد الحجاز

---

(١) ص ١٥٤ •

(٢) ص ١٥٤ •

(٣) ص ١٥٩ — ١٦١ •

وانها قدمت مع الامراء التنوخيين وتوطنت في الكنيسةفي مقاطعة المناصف ثم انتقلت الى عالية ثم الى بتاتر واقامت فيها فانه لم يذكر من احداثها شيئا قبل سنة ١٧١١ م • وكل ما ذكره انها تنتسب الى جد اسمه عبدالملك دون وصف آخر ثم سلسل منه ولدا اسمه جنبلاط واحفاده واحفـاد اولاده الذين تعدد منهم من تسمى بجنبلاط ايضا • اما الحادث الـذي ذكرها فيه في السنة المذكورة فهو سير زعيمها جنبلاط ـ الـذي لم يذكر اباه والذي يتبادر انه غير جنبلاط الاول بن عبد الملك ـ مـع الامير حيدر الشهابي حينما فر من امام محمود ابي هرموش الى غزير واشتراكه معه في قتال عسكر وكسره ثم سيره مع الامير الى الهرمـل ثم الى المتن واشتراكه في وقعة عين دارة التي انتصر فيها القيسيون بزعامة الامير ومكافأة الامير له بتشييخه وكتابة الاخ العزيز اليه واقطاعـه الجرد • والخبر يفيد ان بروز الاسرة وتحيزها كان امتدادا لما قبل هذه السنة بطبيعة الحال •

ولم نر في مصدر آخر نفيا ولا اثباتا لما قاله الشدياق عن نسبتهم الى الحجاز وقدومهم مع التنوخيين الى لبنان • وعلى كل حال فـان ذكرهم في سلك الاسر البارزة ذات القوة والمكانة وفي سياق نصرة الامير حيدر الشهابي سنة ١٧١١ م يدل على ان بروزهم ومكانتهم ممتدة الى أمد ما قبل ذلك كما هو المتبادر ، مع التنبيه على اننا نرجح ان ما ذكره الشدياق من نسبتهم الى الحجاز وقدومهم معالامراء التنوخيين ـ وفي هذا شيء من الخلط ـ قد سمعه من احياء منهم يروونه عن آبـائهم وليس مما اطلع عليه في مدونات قديمة وان كان انتحالهم النحلة الدرزية قد يسوغ القول انهم قدماء في الطروء والانسجام مع التنوخيين الذين رجحنا قدم نحلتهم الدرزية •

— ٢ —

وتتجاوز هذه النقطة عند هذا الحد ــ وهو ما لا مناص منه ــ لنقول ان الشدياق لم يذكر في فصله الخاص عن بني عبد الملك مايفيد تاريخا الا قليلا حيث ذكر أن أحدهم الشيخ شاهين سار الى البقاع سنة ١٧٥١ فارسل اليه والي الشام عسكرا دهمه ليلا في قرية تعنايل ففر منها وان احدهم الشيخ ظاهر توفي سنة ١٧٧٧ في البقاع في وقعة قره منلا ، وان الوالي عمر باشا قبض سنة ١٨٤٢ على احدهم الشيخ يوسف وارسله الى بيروت فسجن فيها في جملة من قبض عليهم من المشايخ وقد ذكر المؤلف الاحداث الثلاثة دون ذكر اسباب وظروف [1]. وليس في الفصل عدا ذلك الا تولدات الاسرة ووفياتها بعد عبد الملك .

على ان الشدياق قد ذكر بني عبد الملك في سياق احداث محلية وحزبية عديدة اخرى في فصول بني عماد وبني تلحوق وبني جنبلاط وبني شهاب كما ان مؤلف الغرر الحسان ذكرهم مرارا في سيرة بني شهاب .

---

(١) في الغرر الحسان ان صاحب كبسة تعنايل هو الشيخ شاهين تلحوق ص٤١٠ الجزء الثاني والثالث نشر رستم بل ان الشدياق نفسه ذكر هذا ايضا في فصل بني شهاب ص ٣٧٤ وتعنايل قرية لبني تلحوق ! اما وقعة قره منلا فقد كانت بقيادة قائد بهذا الاسم لقوة ارسلها الجزار لضبط املاك الامير يوسف الشهابي في البقاع لقاء مال استحق عليه فارسل الامير قوة لقتالها كان من رجالها الشيخ ظاهر على ما جاء في فصل بني شهاب في اخبار الاعيان ص ٤٠١ ــ ٤٠٢ وكان القبض على الشيخ يوسف نتيجة للفتنة التي نشبت بين النصارى والدروز سنة ١٨٤١ على ما شرحناه في فصل بني شهاب .

الشخصية • وقد ذكر هذا الحادث مؤلف الغرر الحسان [1] بسياق فيه شيء من المباينة والبيان وقد ذكر اسمين منهم وهما الشيخ حمود بن الشيخ قاسم والشيخ ناصف بن الشيخ سيد احمد • ومما ذكره ان الشيخين جاءا من عكا الى بيروت ثم الى الشويفات والتمسوا من امراء بيت رسلان الرجاء من الامير الصفح عنهم • ثم توجسوا شرا من الامير ففروا ثانية الى بلاد الشام فأمر الامير بضبط أرزاقهم وطلب من والي عكا ليطلب من والي الشام طردهم من ايالته ففعل فأتوا الى شرقي البقاع فارسل قوة بقيادة ابنه هزمتهم وشردتهم الى الشرق حيث اقاموا ردحا من الزمن عند عرب السردية • وقد ذكر المؤلف نفسه بعد قليل ان الامير بشير امر اولاد الشيخ سلمان ابي نكد بان يقتلوا الشيخ شرف الدين القاضي الذي كان هو المحرض للمشايخ على الاتفاق ضد الامير ففعلوا حيث قد يدل الخبر على ان فريقا من بني نكد لم يندمج في هذا الاتفاق الذي كان سبب تشريدهم من جديد • وبعد مدة سعوا لدى الامير والتمسوا عفوه فعفى عنهم فعادوا وتواثقوا معه [2] •

وفي سنة ١٨٢٠ نهض الامير حسن علي الشهابي ليشترك في الحركة المناوأة للامير بشير في بلاد جبيل فارسل الامير من الشويفات الشيخ حمودا ابا نكد بالف مقاتل ليصدوه عن المسير فادركوه عند كنيسة الشياح الاعلى واطلقوا عليه الرصاص فانهزم الى الحدث لاجئا الى الامير سلمان فلحق به فرسان الشيخ حمود ولكن الامير سلمان وأخاه فارسا تصدوا لهم وصدوهم عنه • وقد ذكر هذا مؤلف الغرر الحسان ايضا في سياق طويل [3] • وفي هذا صورة من صور التواثق المستأنف بينهم وبين الامير • ومما ذكره هذا المؤرخ من ذلك سير

---

(1) ص ٦٥١ — ٦٥٢ .

(2) الغرر ص ٦٧٠ — ٦٨٨ .

(3) ص ٦٨٥ — ٦٨٨ .

الشيخ حمود والشيخ ناصيف ومعهما خمسمائة نفر مع الامير خليل ابن الامير بشير في سنة ١٨٢١ م لنصرة الامير فندي امير راشيا على ابن عمه الامير منصور الذي كان يؤيده والي الشام ثم سيرهما مع الامير بشير الى الشام واشتراكهما الى جانبه في الحرب ضد قوات واليها مما شرحناه في سيرة بني شهاب [١] • ولم يرد للشيخين ذكر في الحركات التي اعقبت هذه الحركة والتي تعرض الامير فيها لغضب الدولة والعزل والرحلة الى مصر في حين انسجم العماديون والجنبلاطيون فيها وسايروا الواقع ، حيث يمكن ان يدل ذلك على انهما ظلا ثابتين على توائقهما مع الامير بشير • وقد نجوا تنيجة لذلك كما هو المتبادر من المصير الذي صار اليه العماديون والجنبلاطيون حينما عاد الامير من مصر الى الحكم ونشب الخلاف بينه وبين الشيخ بشير جنبلاط وتفاقم على ما شرحناه في سيرة بني شهاب كذلك • ويظهر ان بني نكد كانوا في هذا الظرف منقسمين أو متنازعين حيث ذكر مؤلف الغرر ان الشيخ اسعد بن الشيخ سلمان نكد رحل الى عند الشيخ بشير جنبلاط في حوران حيث كان مشردا خوفا من اولاد عمه الشيخ ناصيف والشيخ حمود [٢] • وقد ذكر المؤلف ان الشيخ ناصيف كان من جملة الذين احتشدوا برجالهم وقاتلوا المشايخ الجنبلاطيين واليزبكيين أثناء العصيان الذي نشب بينهم من جهة وبين الامير بشير من جهة ثانية بعد عودته من مصر واستئنافه الحكم [٣] ، حيث يفيد هذا انه ظل كما قلنا على توائقه مع الامير بشير •

وسكت الشدياق عنهم الى سنة ١٨٣٠ م ثم ذكر ان الوالي امر

---

(١) ص ٧١٠ — ٧١٧ •

(٢) و (٣) ص ٧٦٢ — ٦٨ •

في هذه السنة الامير بشيرا بالتوجه لمحاصرة قلعة صانور فسار معه الشيخ ناصيف نكد مع من سار معه من مناصب البلاد على رأس مئتي رجل واشتبك مع اهل نابلس عند قرية عجة ومعه المشايخ التلحوقيون فكسروهم وهزموهم واحرقوا القرية وقتلوا واسروا فانعم الامير عليه وقربه اليه (١) .

وفي سنة ١٨٣٣ امر ابراهيم باشا بن والي مصر الذي جاء على رأس الحملة المصرية الامير خليل بشير بالسير الى طرابلس لصد عسكر الدولة العثمانية فسار معه الشيخ حمود في جملة من سار من مشايخ الدروز . وهناك كتب كتابا لعثمان باشا الوزير القادم من الاستانة لقتال ابراهيم باشا والذي كان آنئذ في اللاذقية يقول فيه انه يقسم على ولاء الدولة ، وقد وقع الجواب الذي ارسله عثمان باشا اليه في يد الامير خليل فارسله الى ابيه . ولما علم الشيخ بذلك رجع الى دير القمر واجتمع على الامير بشير ملحم وتعاهد معه على النهوض الى عسكر السلطان وأخذ يحزب الدروز ويحضهم على النهوض . ولما اذاع الامير بشير منشوره بانذار المتحركين والمخامرين عزم المشايخ النكديون على الرحيل من البلاد فارسل الامير بشير يسترضيهم فابوا ونهضوا وتوجهوا الى حلب فأمر ابراهيم باشا بهدم مساكنهم (٢) .

ويظهر انهم عادوا الى الوطن مع من عاد نتيجة للهدنة الاولى التي انعقدت بين ابراهيم باشا والدولة العثمانية فلما استؤنفت الحرب واخذت تقوم حركات ثورية ضد الحملة المصرية سارعوا الى الاندماج فيها حيث ذكر الشدياق (٣) ان الامير بشير قبض سنة ١٨٤٠ على الشيخ

---

(١) ص ١٥١ .

(٢)و(٣) ص ١٥١ — ١٥٢ .

حمود وولده الشيخ قاسم والشيخ عباس بن ناصيف وارسلهم الى مصر مع من ارسلوا اليها من اكابر البلاد ونفوا منها الى سنار في السودان حيث ظلوا الى ان تم الاتفاق بين محمد علي والدول على الانسحاب من بلاد الشام ثم أعيدوا مع من اعيد من المنفيين .

وبعد قليل نشبت الفتنة بين الدروز والنصارى في دير القمر ثم امتدت فاندمجوا فيها ضد النصارى . وقد كان لهم مساكن عديدة في دير القمر فاستدعوا زلمهم من خارج الدير واختبأوا عندهم واتصلوا بالمشايخ الجنبلاطيين والعماديين وتواعدوا معهم على مهاجمة النصارى في اليوم الذي يأتي فيه الامير بشير ملحم الوالي الى الدير ، وجاء الجنبلاطيون والعماديون برجالهم في اليوم المعين وكان الاشتباك الدامي بين الطائفتين . ولما خرج الامير من السراي سالما مع جماعته بمساعدة وتوسط نائب الوزير ــ والي بيروت ــ وصاروا في الازقة امر المشايخ النكديون بالهجوم عليهم وسلبهم وتشليحهم واهانتهم فنفذ الدروز امرهم . وفي أثناء ذلك بلغ الشيخ ناصيف نكد خبر قدوم اهل المعلقة لنصرة النصارى فخرج للقائهم على رأس رجاله والحق بهم عند بيدر الرمل واعمل فيهم الرصاص . وقد قتل في الاشتباك منهم الشيخ عباس مع خمسين من رجاله . وكان في اعبية منهم الشيخ اسعد وأبناه والشيخ امين الدين فاحتموا عند امرائها [1] .

ولما عزل الامير بشير ملحم وعين عمر باشا واليا على ما شرحناه في سيرة بني شهاب نتيجة للفتنة قبض على الشيخ ناصيف والشيخ حمود في جملة من قبض عليهم من مشايخ الدروز وارسلهما الى سجن بيروت . وقد تمكن الشيخ حمود من الفرار والتجأ الى قائد الارناؤوط فيها فحماه [2] .

---

(١) أخبار الاعيان ص ١٥٢ ــ ١٥٣ .

(٢) ص ١٥٣ .

٧ — بنو جنبلاط

— ١ —

وهذه أسرة من الاسر الاقطاعية الدرزية التي كان لها بروز ونشاط كبيران على مسرح لبنان منذ القرن السابع عشر الميلادي ــ القرن الحادي عشر الهجري ــ وافرادها يتلقبون بلقب المشيخة • واخبارها مبثوثة في كتابي اخبار الاعيان والغرر الحسان • وفي اخبار الاعيان فصل خاص جمعت فيه اخبارها جملة [1] •

ووالد هذه الاسرة الاول كردي اسمه جانبولاد [2] تحرف الى جنبلاط • وأمها عربية تنوخية • وقد انطبعت بالطابع العربي منذ أوائل وجودها في لبنان واتصلت وشائجها بالاسر العربية • فليس من التجوز ان تسلك في سلك الاسر الاقطاعية العربية وان يكون لها مكان في هذا الفصل •

ولقد نشب في القرن السادس عشر نزاع وقتال اشترك فيه زعماء الاكراد الذين كانوا في منطقتي حلب وكلس وكانوا يتولون الولاية فيهما من آن لآخر لا طائل في سرد صفحاتهما هنا لانهما غير متصلين بموضوع الفصل ، وقد اندمج الامير فخر الدين المعني الثاني في بعض جولات هذا النزاع والقتال الى جانب اولئك الزعماء الذين كان رجال الحكومة

---

(١) من ص ١٢٩ الى ١٦١ •

(٢) معنى جانبولاد الروح الفولاذية •

العثمانية ضدهم فقام نتيجة لذلك صلات ود بينهم وبينه . ولقد دارت الدائرة على الاكراد بعد جولات تساجل فيها النصر بين المتصاولين فادى ذلك الى تشردهم وتشرد اولادهم وذويهم [١] . وفي سنة ١٦٣٠ م جاء احد هؤلاء جانبولاد بن سعيد ومعه ابن له اسمه رباح من انحاء حلب الى بيروت فدعاهما الامير فخر الدين الى لبنان وانزلهما في الشوف واخذ يعتمد عليهما في بعض المهام . ثم تزوج علي بن رباح بنت الشيخ قبلان القاضي التنوخي كبير مشايخ الشوف . وتوفي هذا سنة ١٧١٢ م بدون عقب فاتفق أكابر الشوف على أن يكون صهره علي في مرتبته رئيسا عليهم والتمسوا موافقة الامير حيدر الشهابي الوالي على ذلك وقدموا له تقدمة خمسة وعشرين الف قرش فوافق وولاه مقاطعات الشوف التي كانت لصهره وصار شيخ مشايخ الشوف كما كان صهره [٢] . فكان هذا تدشينا لبروزه وبروز ذريته من بعده كأسرة اقطاعية على مسرح لبنان .

— ٢ —

ومما يرويه الشدياق من سيرة الشيخ علي [٣] انه سلك منهج العدل والرحمة في مقاطعاته ومنع العدوان فمال اليه الناس وكثر اعوانه وخدمه من كل الطوائف . وان رئيس الرهبان الملكيين الكاثوليكيين استأذنه ببناء دير في مقاطعته والتمس منه الحماية فمنحه ارضا في اقليم الخروب فأنشأ الدير العظيم المعروف اليوم بدير المخلص ، وان النصارى

---

(١) شرح ذلك الشدياق في الفصل ص ١٣٠ — ١٣٦ .

(٢) ص ١٣٦ — ١٣٧ .

(٣) ص ١٣٧ — ١٣٩ .

تشجعوا فبنوا في ايامه في مقاطعاته معابد كثيرة ، وانه سار برجاله في سنة ١٧٧٠ مع الامير يوسف الشهابي لقتال بني الصغير والصعبية المتاولة في جبل عامل ، وكان بنو منكر وهم الاسرة البارزة الثالثة من المتاولة خارجة عن نطاق القتال لما كان بينها وبين الشيخ من صلات ودية ولكن الشيخ عبد السلام عماد حرض الامير على قتالها مع الآخرين ومصادرتها فأثار بذلك سخط الشيخ وجعله يأمر رجاله بالتقاعس عن القتال فكان تقاعسه من اسباب حبوط زحف الامير ودوران الدائرة عليه [1] ، وان الامير سيد احمد لجأ اليه ليصالحه مع اخيه الامير يوسف حينما جاء هذا وحاصره في قلعة قب الياس سنة ١٧٧٤ فحقق له ملتمسه ، وانه التمس من الامير يوسف سنة ١٧٧٧ ابطال الضريبة الجديدة التي احدثها بسبب هياج الناس منها والتماسهم من الشيخ اقناع الامير بابطالها ورفض الامير فما كان منه الا ان دفع اليه مبلغا من مال يوازي الضريبة مما جعل الناس يزدادون له حبا ومكانته تزداد ارتفاعا [2] . ويقول الشدياق ان الامير تحسب من عواقب ذلك فالقى الفتنة بينه وبين الشيخ عبد السلام عماد فانقسم الناس ــ والاغلب القيسيون وبنوع اخص الدروز على ما يستفاد من مجرى الاحداث والاسماء ــ فريقين وهو الانقسام الذي عرف بالجنبلاطية واليزبكية والذي ذكرناه في سيرة بني شهاب وبلغ الامر الى تحشد الفريقين للقتال ، ثم ادرك عبد السلام خطر

---

(١) ص ١٢٧ اخبار الاعيان . وقد ذكر الشدياق مخامرة الشيخ علي جنبلاط في هذه الوقعة وكونها السبب في الكسرة في سيرة بني شهاب ايضا ص ٣٨٨ واشار الى ذلك مؤلف الغرر مؤيدا حيث قال واما الشيخ علي جنبلاط وعسكر العقال الذي معه لما بلغهم الكسرة رجعوا من صيدا وقيل انه لم يكن الشيخ علي يخلو من الدنس الى المتاولة ، الجزء الثاني والثالث نشر رستم والبستاني ص ٩٢ .

(٢) اخبار الاعيان ص ١٣٨ .

الموقف فذهب الى اشيخ علي في بعذران حيث كان مسكنه الاول واقترح عليه الصلح فلباه وحققه باسلوب حكيم على يد الامير يوسف مما جعله يزداد رفعة وشأنا [1] •

وتوفي سنة ١٧٧٨ فشغل ابنه الشيخ قاسم مركزه • ومما ذكره الشدياق من سيرة الشيخ قاسم [2] ان الامير سيد احمد جاء اليه في المختارة [3] لاجئا من اخيه الامير يوسف بعد ان قتل اخاه فندي سنة ١٧٨١ فتعصب له واتفق مع الشيخ عبد السلام عماد على خلع يوسف وتولية سيد احمد وحزبوا الناس لذلك فذهب يوسف الى عكا واحضر قوة عسكرية لتأييد ولايته وضرب خصومه وفر الشيخ قاسم واخوته نتيجة لذلك الى جبل عامل ونزلوا على الشيخ حيدر الصعبي فضبط الامير املاكهم وهدم مساكنهم وصادر كل من يعتزي اليهم ، ثم جاؤوا الى حاصبيا فتوسط الامير اسماعيل في أمرهم ، وان الشيخ قاسم واخوته وذووه تواثقوا مع الامير بشير حينما تمكن الاميران حيدر وقعدان سنة ١٧٩٠ من اخذ الولاية معه وغادروا الجبل معه الى ان اعيد الى الولاية فعادوا معه ، وان الجزار طلب سنة ١٧٩١ زيادة في المال المرتب فابى الاهالي وهاجوا فارسل عسكرا لارغامهم فتصدى الشيخ بشير بن

---

(١) ص ١٣٨ •

(٢) ص ١٣٩ — ١٤٠

(٣) كانت قرية بعذران موطن الشخ علي وتوفي سنة ١٧٧٨ فيها على ما ذكره الشدياق في الفصل الخاص ص ١٣٦ و ١٣٨ واول ذكر للمختارة كان سنة ١٧٨٠ في سياق ذكر لجوء الامير سيد احمد الى الشيخ قاسم بن الشيخ علي (ص ١٣٩) فيكون اتخاذها موطنا للمشايخ الجنبلاطيين من قبل الشيخ قاسم • غير ان الامير حيدر ذكرها في الغرر في سنة ١٧٦٣ وفي حياة الشيخ علي في سياق لجوء الامير يوسف اليها ونزولها فيها عند الشيخ علي الجزء الثاني والثالث الغرر الحسان ص ٦٠ وعلى هذا يكون الشيخ علي هو الذي اتخذها موطنا ! • •

ولقد كانوا اصهار بني عماد وتواثقوا معهم في النعرة اليزبكية ، وكان نشاطهم على مسرح لبنان واندماجهم في احداثه يدور في نطاق ذلك على الاكثر . مع التنبيه على امر هام في صفة هذا النشاط وهو ان صور نشاطهم لم تكن من نوع الصور القوية العنيفة العنيدة المستقلة الشخصية التي كانت لبني عماد او لبني نكد وانما كانت من قبيل المشاركة بل والمتابعة ، حيث كانوا في جل الاحداث التي ذكروا في سياقها مشاركين ومتابعين لبني عماد وخاصة لبني تلحوق سواء أكان ذلك في ظروف مناوأة الامراء الحاكمين أم مصافاتهم ، وفي ظروف المطاردات والنكبات أم في ظروف الفوز والانتصارات .

ففي سنة ١٢٤ هـ ـ ١٧١٢ م انكسر المال على الامير حيدر الشهابي فجمع ارباب الولايات الذين تحت يده وطلب منهم المال فاتفقوا على التماس مهلة من الوالي مقابل رهائن يقدمونها واشترك المشايخ اليزبكية بنو عماد وبنو تلحوق وبنو عبد الملك في رهن ابن الشنيف على المكسور عليهم [١] .

وفي سنة ١١٦٢ هـ ـ ١٧٤٨ م اجار بنو تلحوق احمد اغا القلطقجي واغوات آخرين جاؤوا لاجئين من والي الشام الى جبل الدروز فطلب الوالي طردهم وطلب الامير ملحم من بني تلحوق طردهم فأبوا رعاية للذمام وتضامن معهم في ذلك بنو عبد الملك فوجه قوة عليهم فاخذوا نزلاءهم وهربوا بهم الى وادي التيم واحرقت القوة مساكنهم وقطعت ارزاقهم [٢] .

وفي سنة ١٢١٥هـ ـ ١٨٠٠ م كان خلاف واشتباك بين الامير بشير

---

(١) الغرر الحسان الجزء الاول والثاني نشر رستم والبستاني ص ١٥ .
(٢) نفس المصدر ص ٣٧ ـ ٤٠ .

وقوات الارناؤوط المسيرة من الجزار فتضامن بعض المشايخ من بني عبد الملك وبني عماد مع الامير وقاتلوا القوات وكانت الكسرة عليهم [1] .

وفي سنة ١٢٣٥ هـ ـ ١٨١٩ م حرض القاضي شرف الدين بعض المشايخ على الامير بشير فكان من المستجيبين اليه اولاد الشيخ كليب عبد الملك مع اولاد الشيخ بشير تلحوق والشيخ على عماد . وشعر الامير فارسل قوة عليهم وامر برفع ايدي بني عبد الملك وبني تلحوق عن الجرد والغرب . وقد فروا الى الشام معا ثم اعتذروا للامير ونالوا صفحه معا . ثم ثار غضبه عليهم لاستمرارهم على المشاكسة ففروا ثانية وتشردوا معا ثم نالوا صفحه وعادوا معا [2] .

وكان الامير بشير مقصيا عن الحكم ثم عاد اليه سنة ١٢٣٦ هـ ـ ١٨٢٠ م فاشترك بنو عبد الملك مع بني تلحوق والعماديين والجنبلاطيين والنكديين في التواثق معه [3] . ثم انفسد ما بينهم في سنة ١٢٣٧ هـ فسار الشيخ فاعور عبد الملك والشيخ حسين تلحوق معا الى الشام وانضموا الى قوات واليها درويش باشا وقاتلوا قوة الامير بشير معا[4] . ولما عزل الامير بشير ورحل الى مصر عادوا معا الى الجبل ووقف مشايخ الاسرتين موقفا واحدا تجاه الامير عباس الذي عين مكان الامير بشير وهو عدم الانحياز اليه [5] .

ولما عاد الامير بشير من مصر واستأنف الولاية ونشب الخلاف

---

(١) ص ٢٠٩ نفس المصدر .

(٢) الغرر الحسان الجزء الثاني والثالث ص ٦٥١ ـ ٦٧٦ .

(٣) ص ٦٨٨ .

(٤) ص ٧١٤ .

(٥) ص ٧١٥ ـ ٧٢٤ .

وتفاقم بينه وبين الشيخ بشير جنبلاط سنة ١٢٤٠ هـ ــ ١٨٢٤ م وقف بنو عبد الملك وبنو تلحوق موقفا واحدا كذلك وهو عدم الاندماج في الحركة بل ناصروا الامير بشير وبذلوا جهودهم في حمل جمهور الدروز وعقالهم على الوقوف موقفهم [١] .

ولما توجه الامير بشير سنة ١٢٤٥ هـ ــ ١٨٣٠ م لحصار صانور ذهب بنو عبد الملك وبنو تلحوق مع رجالهم معه وشهدوا المواقع [٢] .

ولما جاءت حملة ابراهيم باشا وجاءت قوة الدولة العثمانية لصدها وامر ابراهيم باشا الامير بارسال ابنه خليل الى طرابلس لصد هذه القوة سنة ١٨٣١ م ــ ١٢٤٧ هـ سار معه المشايخ بنو عبد الملك وبنو تلحوق معا . ولما انضم بنو عماد وبنو نكد الى الجيش العثماني وانسحبوا معه حينما انسحب ظل مشايخ الاسرتين ثابتين مع الامير بشير [٣] .

ـ ٣ ـ

ولقد ذكر بنو عبد الملك لحدتهم في موقف متصل بشؤون اقطاعهم الخاص حيث اورد مؤلف الغرر في حوادث سنة ١٢٣٢ هـ ــ ١٨١٦ م خبر عداوة نشبت بينهم وبين اهل شارون واهل شانية من قرى الجرد التي كانت في عهدتهم وقال ان خاطر الامير تغير عليهم فامر برفع تصرفهم عن المحلات المذكورة وان يكونوا قاطنين في محلاتهم كباقي اهل البلاد وان لايتعاطوا جمع الاموال من قرى الجرد [٤] .

---

(١) الغرر ص ٧٥٧ ــ ٧٦٥ .

(٢) ص ٨١٢ .

(٣) ص ٨٢٣ ــ ٨٤٧ .

(٤) ص ٦٣٢ و ٦٤١ و ٦٤٢ وفي الخبر ايضاح لما كان من شأن المشايخ الاقطاعيين ومراكزهم ومهمتهم بالنسبة لاهل القرى التي يتشيخون عليها ..

ولقد ذكرنا قبل ان الامير بشير رفع ايديهم وايدي بني تلحوق سنة ١٢٣٥ هـ عما كان تحتها من اقطاعات في الغرب والجرد • وقد وقع هذا بعد الخبر السابق حيث يمكن ان يفيد ان الامير رضي عنهم بعده فاعاد اليهم سلطتهم ثم غضب عليهم فنزعها منهم •

ولقد عاد فرضي عنهم ثم عادوا الى موقف المشاكسة فغضب عليهم ثم عادوا فحظوا بصفحه وتواثقوا معه • ولم يذكر المؤلف ما كان من امر سلطتهم في اقطاعهم في هذا الظرف • ونرجح بانها كانت تنتزع منهم حينما يغضب عليهم الامير ثم تعاد اليهم حينما كان يرضى قياسا على مامر، وانهم كانوا حائزين عليها في اواخر حكم الامير بشير وابان الحملةالمصرية لانهم كانوا متواثقين معه في هذا الظرف •

وعلى كل حال فالمتبادر من السيرة ان المشايخ كانوا في القرن الثامن عشر ثم في النصف الاول من القرن التاسع عشر من الاسر البارزة التي كان لها وجاهة ومشاركة في الاحداث ومشيخة اقطاعية وان من المرجح ان هذا البروز والوجاهة كانتا استمرارا لما كان ذلك في العهد المعني، ثم ظلوا يحتفظون بلقبهم الاقطاعي ووجاهتهم الاقطاعية بعد زوال النظام الاقطاعي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر •

الشيخ قاسم لهم ـ في حياة ابيه ـ على رأس جماعة من الرجـال وتغلب عليهم وهزمهم وغنم منهم غنائم عظيمة ، وكان هذا اول ما ظهر من همته مع انه كان في الرابعة عشرة من عمره على ما يقوله الشدياق • وكـان الامير والشيخ قاسم في هذا الظرف عند الجزار فاعتقل الشيخ قاسم الذي ما لبث ان مات في السجن ، وقد شغل الشيخ بشير مركز ابيه بعد وفاته كشيخ مشايخ الشوف وصاحب مقاطعاتها • وقد كان المع نجوم اسرته بل ألمع نجوم المشايخ الاقطاعيين في النصف الاول من القرن التاسع عشر • واليه يعود فضل ما كان للاسرة من صيت واسم داو ، وقد تواثق منذ بروزه مع الامير بشير الثاني المع نجوم بني شهاب تواثقا شديدا واندمج معه في السراء والضـراء فكان ذلـك من اسباب ذلك الاسم والصيت ايضا •

ومما ذكره الشدياق من سيرته [1] ان اولاد الامير يوسف نجحوا في سنة ١٧٩٣ في أخذ الحكم من الامير بشير وكان شيخان من بني عم الشيخ يناصرانهم ضد الامير فما كان منه الا ان اقدم على قتلهما بالتعاون مع اخيه فثار غضب اولاد الامير يوسف وارادوا ان ينكلوا بهما وتفاقم الامر حتى اضطر الشيخ الى الفرار الى حوران فضبط الامراء غلالـه واملاكه واحرقوا داره • وفي حوران التقى الشيخ بالجزار الذي كان عائدا من الحج وبذل مساعيه لديه في اعادة الامير بشير فوافق على ذلك • وكان المشايخ النكديون والعماديون ومن والاهم يقفون وراء اولاد الامير يوسف فحشدوا حشودهم لمنع الامير بشير وحشد هذا والشيخ بشير حشودهم وجرى القتال بين الطرفين فانكسرت جبهة اولاد يوسف واستلم الامير بشير الحكم نتيجة لذلك •

---

(1) ص ١٤١ ــ ١٤٩ •

وفي سنة ١٧٩٤ غضب الجزار على الامير وعزله واعتقله وكان معه الشيخ بشير فاعتقله معه حيث لبثا مدة ثم اضطرته الظروف الى اطلاق سراحهما واعادة الامير بشير الى الولاية فعين هذا الشيخ بشير مدبرا لــه [1] .

ومما ذكره الشدياق بعد هذا [2] ان الشيخ ساعد على تجديد دير مشمومة للموارنة في اقليم جزين وساعد على تنمية مصالحه واحسن الى الطائفة المارونية في جميع مقاطعاته وبلغ ذلك البابا فارسل اليه مرسوما اثنى عليه فيه ، وانه جر ماء الباروك الى المختارة في مجرى صعب اكثره في الصخور وانفق على ذلك مبالغ عظيمة فاحيا بالماء المختارة ، وان الامراء الارسلانيين لجأوا اليه لنيل صفح الامــير بشير عنهم فحقق ملتمسهم ، وان بني الخازن لجأوا اليه كذلك في سنة ١٨٠٧ لرد اقطاعهم الذي صادره منهم الامير حسن عمر والي جبيل فحقق ملتمسهم ممــا جعلهم يظهرون له الامتنان حتى ان احدهم الشيخ فرنسيس جعله وصيا على اولاده ، وان الشيخ راشد الخوري لجأ اليه لنيل صفح الامير عنه فحقق ملتمسه فكرس الشيخ راشد نفسه لخــدمته مــدة حياته اعترافا بفضلــه .

وفي سنة ١٨١٠ طلب سليمــان باشا والي عكا من الامــير بشير مساعدته على طرد يوسف كنج الكردي والي الشام بناء على امر الاستانة فلبى طلبه وسار معه الشيخ بشير برجاله . وقد داخل والي الشام الخوف ففر واستولى الامير والشيخ على دمشق بدون قتال مما جعل سليمان

---

(١) ص ١٤١ — ١٤٢ .

(٢) ص ١٤٢ — ١٤٣ .

باشا يخلع عليهما ويرفع مقامهما ومما جعل الشيخ يزداد رفعة وقوة[1].

ولما وقع الاضطهاد على دروز الجبل الاعلى استنجدوا بالشيخ وطلب الشيخ من الامير سرعة انجادهم فاذن له فارسل رجاله فاحضروهم ولما جاؤوا وزعهم الشيخ في مقاطعات الدروز والمتن وغرب البقاع [2].

وفي سنة ١٨١٤ أنشأ الشيخ في المختارة جامعا جميلا بمأذنة جميلة على رسم جامع الجزر ومأذنته في عكا ورتب له ما يحتاج وصارت تقام الصلوات فيه [3]. وفي سنة ١٨٢٠ وهب موارنة المختارة ارضا ليبنوا عليها كنيسة وساعدهم على بنائها [4].

ولما وقع الجفاء بين الامير بشير ووالي عكا عبدالله باشا وارتحل الامير الى حوران سنة ١٨٢١ ارتحل معه الشيخ بعياله وبعض اقاربه وكانت نفقات الركب جميعها منه الى ان عاد الامير الى الولاية. وبعد قليل من عودة الامير قامت حركة مناوئة ضده في جبيل فنهض الشيخ برجاله على العصاة وشتتهم ووطد بذلك ولاية الامير، مما عظمت به مهابة الشيخ وقدره عند الامير. وقد صادر الاميرمن العصاة مبالغ جسيمة دفع منها مقدارا كبيرا للشيخ لقاء نفقاته الكثيرة في سبيله [5].

ولما نشب النزاع سنة ١٨٢٠ ـ ١٢٣٧ وتفاقم بين والي عكا عبد الله ووالي الشام درويش باشا ونهض الامير بشير لرد قوة ارسلها درويش باشا الى وادي التيم نهض معه الشيخ برجاله وقاتلوا عسكر الشام وهزموه. ولما سار الامير بعد ذلك الى الشام سار معه الشيخ واشترك

---

(١) ص ١٤٢.

(٢) ص ١٤٢.

(٣) ص ١٤٣.

(٤) ص ١٤٤.

(٥) ص ١٤٤.

في المعركة التي وقعت عند المزة والتي دارت فيها الدائرة على قوة درويش ومن انضم اليه من الامراء الشهابيين ومشايخ الدروز المناوئين لـلامير بشير والشيخ بشير • وقد اظهر الشيخ في المعركة شجاعة كبيرة [1] •

ولقد تفاقم الامر بعد ذلك وأدى الى تدخل الاستانة ضد والي عكا والامير بشير ثم الى عزل الامير وارتحاله الى مصر سنة ١٨٢٣ نبقي الشيخ هذه المرة في البلاد وقدم لعسكر الدولة والامير عباس الذي عين مكان الامير بشير العلائف • فلما عاد الامير بشير الى الولاية بمساعي والي مصر محمد علي باشا قدم الشيخ للامير بشير ولوالي عكا اموالا طائلة لتغطية موقفه الاول • ومع ان الامير عامله بالصفح وطيب خـاطره الا انه ظل متوجسا وارتحل الى حورن ، فضبط الامير ارزاقه وارزاق الامراء اولاد الامير عباس ارسلان الذين ذهبوا معه • ثم جرت اتصالات بينه وبين المشايخ العماديين ضد الامير بشير وتم الاتفاق على تحشيد الرجال في المختارة والقيام بحركة تمردية ، وتألب معهم كثير من الامراء والمشايخ المبغضين للامير بشير وجرت اشتباكات انتصر الامير بشير فيها عليهم ففر الشيخ وكثير من المتآمرين من امراء ومشايخ الى حوران • وطلب والي عكا من والي الشام مطاردتهم واعتقالهم واحتال والـي الشام عليهم حتى اعتقلهم وارسل الشيخ بشير وبعض رفاقه الى عكا ، وطلب الامير بشير من والي مصر محمد علي باشا ان يطلب من والي عكا اعدام الشيخ بشير ورفاقه ففعل فاعدمه الوالي مع بعض رفاقه [2] • وهكذا كان مصير صداقة وثيقة وتضامن شديد في السراء والضراء امتد نحو ثلاثين سنة ، وعاد منه على الطرفين النفع والقوة والهيبة والنصر •

---

(١) ص ١٤٤ — ١٤٥ •

(٢) ص ١٤٥ — ١٤٩ •

وهذه صورة مريرة من صور العهد الاقطاعي واخلاقه • وليست نادرة كما يدل عليه تكررها في مختلف المناسبات •

وقد وصف الشدياق الشيخ بشير بالهيبة والرزانة والشجاعة والجرأة والسخاء وسداد الرأي وقال انه كان يلقب بعمود السماء لكثرة ما كان من محاماته للبلاد وانه وزع في سنة واحدة على فقراء البلاد ٦٥٠٠٠٠ قرشا وأنشأ كثيرا من الجسور واصلح كثيرا من الطرق فذاع صيته في الاقطار [١] •

وقد هدم الامير بشير دور الجنبلاطيين ووضع يده على املاكهم وصادر كل من كان يعتزي اليهم فتشردوا وهانوا ردحا من الزمن • وقد هدم فيما هدم الجامع الذي أنشأه الشيخ في المختارة [٢] •

ولما قدمت حملة ابراهيم باشا واندمج فيها الامير التزم اولادالشيخ بشير واقاربهم الولاء للدولة وذهبوا الى دمشق فخلع عليهم واليها ثم توجهوا الى معسكر الدولة في حمص وشهدوا وقعة حمص سنة ١٨٣٣ ولما انهزم جيش الدولة اختبأ سعيد واسماعيل من اولاد الشيخ في الجبل الاعلى وذهب ثالثهم نعمان والباقون مع الجيش الى قونية • ولما جاء الصدر الاعظم الى قونية على رأس جيش جديد انضموا اليه ثم ظلوا معه تقدما وارتدادا وكانوا موضع حفاوة القائد وتكريمه [٣] •

ولما انعقدت الهدنة الاولى سنة ١٨٣٤ م عاد منهم المشايخ حسن

---

(١) ص ١٤٩ •

(٢) ص ١٤٩ •

(٣) ص ١٤٩ — ١٥٠

وحسين فقتلهما الامير بأمر ابراهيم باشا [1] .

وفي سنة ١٨٣٦ جاء سعيد بن الشيخ بشير وكان قد ضاق به الأمر في مخبأه وتواقع على الامير في بيت الدين فارسله الى مصر حيث دخل في سلك الجندية برتبة ملازم ثم جاء الى الشام وانضم الى جيش ابراهيم باشا ورقاه الى رتبة يوزباشي ـ تعدل رتبة الرئيس في الجيش العربي ـ ثم الى رتبة بينباشي ـ وتعدل رتبة المقدم ـ وكان نعمان بن الشيخ قد ذهب الى الاستانة فلما علم بما ناله اخوه ذهب الى مصر سنة ١٨٣٩ فرحب به الوالي ومنحه رتبة ميرالاي ـ وتعدل رتبة الزعيم [2] .

ولما قدم السرعسكر العثماني عزة باشا سنة ١٨٤٠ لقتال الحملة وارغامها على الانسحاب حضر اليه اسماعيل بن الشيخ بشير من الجبل الاعلى حيث كان ما يزال مختبئا فانعم عليه برتبة ابيه شيخ مشايخ الشوف نتيجة لمسعى المشايخ بني الخازن . وتشجع سعيد فاخذ يحرض الجنود الشاميين في الجيش المصري على الفرار ثم فر هو وغيره من الضباط وجمع عشائره وسار مع الامير بشير ملحم الوالي لطرد عسكر ابراهيم باشا . وظل ينشط في ذلك مطاردا العسكر مرحلة بعد مرحلة مع المطاردين الى ان وصل الى يافا فكتب الى اخيه نعمان وغيره ممن انسحبوا مع ابراهيم باشا الى مصر فجاؤوا الى يافا ثم عادوا الى بلادهم

---

(١) ص ١٥٠ ذكر سليمان ابو عز الدين في كتابه ابراهيم باشا في سورية ان الشيخ حسن جنبلاط ساهم مع ناصر الدين العماد في مساعدة دروز وادي التيم في ثورتهم ضد الحملة المصرية التي كانت بقيادة شبلي العريان وابلى فيها بلاء حسنا ثم انسحب برجاله الى قرية شبعا عند جبل الشيخ حينما اشتد ضغط الحملة المصرية ضد الثورة وظهرت بوادر تفوقهم وانتصارهم عليها . وكان ذلك في سنة ١٨٣٨ (ص ٢١٥ ـ ٢١٦) فالمتبادر ان الامير ظفر بهما وقتلهما بعد ذلك .

(٢) ص ١٥٠ .

وتسلموا مقاطعاتهم • ونصب نعمان بك على المشيخة مقام ابيه [1] وكان اكبر ابناء الشيخ الاحياء •

ولما تشبت الفتنة بين الدروز والنصارى في دير القمر وبعقلين سنة ١٨٤١ بذل سعيد جهوده لمنع القتال • ولما استؤنفت الاشتباكات اندمج في الحركة مع الدروز بقوة وشدة لان النصارى اشتطوا في طلب الثأر [2] •

وفي سنة ١٨٤٢ تنازل نعمان عن المشيخة ـ ويسميها الشدياق هنا بالولاية ـ ففوضت الى سعيد • ولما قبض والي بيروت على زعماء الدروز كان سعيد ونعمان في جملة المعتقلين ثم اطلق سراحهما لمنع زحف الدروز الذي جاء بقيادة شبلي العريان لمقابلة القوة بالقوة • وقد حاولا منع الحرب فاخفقا فاعتزلا الحركة • ومع ذلك فقد جاء عسكر الدولة الى المختارة فنهبوا دورهم واحرقوها • ولما استؤنفت الاشتباكات ثانية سنة ١٨٤٤ بذل الاخوان جهودهما في التسكين ومنع التفاقم فلم يستطيعا ان يفعلا شيئا فالتزما السكون • ولما تمادى النصارى واشتطوا في هذه المرة ايضا في العدوان والتحريق والتدمير لم يطق سعيد صبرا فاندمج في الحركة الى جانب الدروز مع استمراره على بذل الجهود في منع تفاقمها [3] •

ولما جاء شكيب افندي مندوب الاستانة للتهدئة والترتيب ودعا الزعماء تردد سعيد وقتا ثم لبى الدعوة ، وساهم في تركيز امور الجبل من جهة وظل يمارس مشيخته في مقاطعاته وتسليم الاموال المستحقة

---

(١) ص ١٥١ .

(٢) ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٣) ص ١٥٣ ـ ١٥٤

عليه من جهة . وقد لازم الامير احمد ارسلان الذي عين لقـائممقامية الدروز ثم اخاه الامير امين الذي اسندت اليه القائممقامية بعده وساعدهما على تنظيم شؤون القائممقامية [1] .

ولما قدم امين افندي مندوب الاستانة لمسح البلاد سنة ١٨٤٩ كان سعيد بك اول من وافق ونفذ الامر في مقاطعاته . مما يسر مهمة المندوب وجعل الوالي والسرعسكر يثنيان عليه .

وقد أنشأ في هذه السنة مدرسة في جوار داره عهد بادارتها للشيخ ابراهيم الاحدب الاديب الفقية الشاعر المعروف وفتح ابوابها لابنـاء الدروز والنصارى على السواء [2] .

ولما صدر امر الحكومة بالقرعة سنة ١٨٥١ ساعد على التنفيـذ والتسهيل . ولما ابى اهل حوران ارسله السرعسكر اليهم فاقنعهم بالقبول فازداد صيتا ومقاما ونال الثناء من رجال الدولة والبلاد على السواء وانعمت عليه الدولة برتبة « قبوجي باشي [3] » .

وفي سنة ١٨٥٢ قامت فتنة في قرى دمشق وتعكر صفو الامن فكلفه والي بيروت ووالي الشام معا ببذل جهوده في التهدئة ففعل ونجـح فحظي بانعام الواليين واكرامهم .

وفي سنة ١٨٥٣ حدث غلاء شديد فامر بفتح مخازن الغلال وبيـع الحنطة بالدين للمحتاجين كما امر بصرف مرتب من الخبز للمحتاجين مدة نصف سنة مما ألهج الالسنة بالثناء عليه والدعاء له . وقد غدا محط الرحال وملجأ ذوي الآمال . واعاد مقاطعات آبائه الى سالف بهجتهـا

---

(١) ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(٢) ص ١٥٧ .

(٣) ص ١٥٧ – ١٥٨ ومعنى الكلمة رئيس البوابين .

وبنى ما كان داثرا من معالم المختارة وجدد فيها المباني • وكان جوادا فاضلا سديد الرأي حميد الخلال قصده الفضلاء ومدحه الشعراء واحسن الى الجميع بكل ما يرضى [1] • وانتهى فصل الشدياق عند هذا •

- ٣ -

وكثير مما ذكره الشدياق في فصله الخـاص عن بني جنبلاط ولخصناه في النبذة السابقة متطابق مع ما ورد في الغرر الحسان • غير ان في هذا زيادات عديدة يبرز فيها حيوية هذه الاسرة ونشاطها واثرها في الاحداث والحركات التي جرت في لبنان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بحيث تزداد الصورة عنهم قوة وخطورة •

من ذلك في حوادث سنة ١٧١٢ م ـ ١١٢٣ هـ انه لما انكسر المال على الامير حيدر الشهابي وجمع ارباب الولايات وطالبهم اتفقوا على التماس مهلة من الوالي مقابل رهائن وقبل الوالي فارهن الشيخ علي جنبلاط شرف الدين مقدم حمانا [2] حيث يفيد الخبر ان حكمه الاقطاعي كان ممتدا الى حمانا •

وفي حوادث سنة ١٧٤٣ ـ ١٧٥٦ انه لما كسر الامير ملحم الشهابي المتاولة وأسـر شيوخهم توسط الشيخ علي في امرهم فاطلق الامير سراحهم [3] •

وفي حوادث سنة ١١٦٣ ـ ١٧٤٩ ان المتاولة تطاولوا على اقليم جزين وقتلوا شخصين من اتباع اشيخ علي فعظم ذلك على الامير

---

(١) ص ١٥٩ ـ ١٦١ •

(٢) الغرر الحسان الجزء الثاني والثالث نشر رستم والبستاني ص ١٥ •

(٣) ص ٣٢ •

ملحم وزحف على جبل عامل واحرق كثيرا من قراها [١] • والخبر يفيد ما كان للشيخ عند الامير من رفعة شأن وامتداد حكمـه الـى هـذا الاقليم •

وفي حوادث سنة ١٧٦٣ ــ ١١٧٧ ان الشيخ علي تواثق مـع الامير منصور في النزاع الذي قام بينه وبين اخيه الامير احمد وكـان هـذا التواثق ممـا ساعده على الانتصار على اخيه ونيلـه الولايـة دونـه [٢] •

وفي حوادث السنة نفسها ان الامير يوسف ملحم جـاء بـاخوته واهله الى المختارة لاجئا عند الشيخ علي من عمه الامير منصور فسعى الشيخ لمصالحتهما ولكن منصورا لم يرفع يده عن املاك يوسف فثـار غضب الشيخ وسعى هو وحزبه بالتضامن مع الشيخ سعد الخوري حتى حصل للامير يوسف على ولاية جبيل ثم على الولاية الكبيرة من الامـير منصور ثم ظل متواثقا معه [٣] •

وفي حوادث سنة ١١٩٢ ــ ١٧٧٨ ان الامير سيد احمد أخا الامير يوسف لما عصي على اخيه وتحصن في قلعة قب الياس أخذ يثقل على جماعة الشيخ علي جنبلاط لانه كان أقوى انصار أخيه فقامت العداوة بينهما ومع ذلك فان سيد احمد التجأ اليه والتمس منه استعطاف اخيه حينما شدد عليه الحصار وضايقـه فنسي مـا فعله معـه وحقق لـه ملتمسه [٤] •

وفي حوادث سنة ١١٩٥ ــ ١٧٨٠ ان الجزار لما وجه الولاية الى

---

(١) ص ٤١ •

(٢) ص ٥٩ ــ ٦٠ •

(٣) ص ٦٠ ــ ٨٠ •

(٤) ص ١٠٤ ــ ١٠٥ •

الامير اسماعيل وسيد احمد واردفهما بعسكر ضد الامير يوسف كتب معهما كتابا الى الشيخ قاسم جنبلاط الذي كان شغل مركز ابيـه بعد وفاته سنة ١١٩٢ ورهطه طلب منهم مساعدة الاميرين فنهض الشيخ اليهما ومال باقي الوجوه واكابر البلاد نحوهما فارتبكت حالة الامير يوسف وفر وتوطدت الولاية للاميرين [١] •

وفي حوادث سنة ١٧٨٨ ــ ١٢٠٣ ان بني جنبلاط تواثقوا مـع الامير بشير الثاني حينما نشبت الفتنة بين الامير يوسف والجزار بزعامة الشيخ قاسم واخذوا ينفرون الناس من الامير يوسف ويشيعون عنه اخبار الوهن ويحزبون الناس معهم حتى وجه الجزار الولاية للامـير بشير [٢] •

ولقد نشط الامير يوسف بعد ذلك الى ارضاء الجزار واستعـادة الحكم وذهب الى عكا وتزلف للجزار وشاع بين الناس ان الولاية اعيدت اليه فانفض الناس عن الامير بشير باستثناء الشيخ قاسم جنبلاط واقاربه حيث ظلوا الى جانبه ولما غادر دير القمر صحبوه ثم استأنف نشاطه حتى تمكن من تثبيت ولايته وكان الشيخ واقاربه عضده الاقوى في ذلك [٣] •

وعادت المناوأة بعد قليل ضد الامير بشير وقادها هذه المرة الاميران حيدر وقعدان وتألب اليزبكيون والنكديون معه فوقف بنو جنبلاط بزعامة الشيخ قاسم الى جانبه فيما جرى خلال سني ١٢٠٦ ــ ١٢٠٨ من حركات ومشادات وتحشيـدات • وكـان من اثر نشاط الامير بشير ومساعدة بني جنبلاط له ان ارتبكت في النهاية احوال الجبل في عهـد

(١) ص ١٣٧ •

(٢) ص ١٤٦ ــ ١٤٧ •

(٣) ص ١٥٨ ــ ١٦٠ •

الاميرين وان اضطرا الى التخلي عن الحكم للامير [1] .

ولقد تكررت حركات المناوأة والمصاولة والمنافسة بين الامير بشير والامراء الشهابيين الآخرين على الولاية بعد الشيخ قاسم واقصي الامير اكثر من مرة وعاد وتعرض في سياق ذلك لنقمة الجزار اكثر من مرة فكان الشيخ بشير جنبلاط الذي شغل مركز ابيه بعد وفاته واقاربه يتواثقون معه في السراء والضراء فيرحلون لرحيله ويعودون لعودته ويتعرضون لنقمة الجزار معه ويحشدون رجالهم ويقاتلون خصوم الامير مما استغرق سرده صفحات كثيرة في الغرر ومما جاء قويا يدل على ما كان للشيخ بشير من قوة ونشاط وحمية وجرأة [2] .

ومما ذكره مؤلف الغرر ولم يذكره الشدياق في فصل الجنبلاطيين الخاص ـــ مع انه ذكره في فصل بني نكد ـــ خبر اندماج الشيخ بشير في المؤامرة التي تمت بالاتفاق مع الامير بشير والمشايخ العماديين ضد المشايخ النكديين بعد استتباب الولاية للامير بشير وقتلهم سنة ١٢١١ ـــ ١٧٩٦ لما كان منهم من مواقف العناد وشدة المناصرة للامير يوسف ثم لاولاده من بعده ضد الامير بشير [3] .

وفي حوادث سني ١٢١٦ ـــ ١٢١٨ ، ١٨٠١ ـــ ١٨٠٣ خبر ما كان من منافسة الشيخ بشير مع الشيخ فارس العماد في امر تعيين امير لحاصبيا حيث رشح كل منهما اميرا من الشهابيين التيميين وقد نجح العماديون في تثبيت مرشحهم فثار سخط الشيخ بشير واخذ يحرض الامير ويبين له ان ذلك انما كان ضده فاستجاب الامير لتحريض الشيخ وأدى الامر الى تحشيدات واشتباكات وتدخل الجزار ونقمته على الامير

---

(١) ص ١٦١ ـــ ١٧٥ .

(٢) انظر مثلا ص ١٧٥ ـــ ١٨٠ و ١٨٥ ـــ ١٩٠ و ١٩٥ ـــ ٢١٢ .

(٣) ص ١٨٣ ـــ ١٨٤ .

وتخلي الامير عن الحكم واستيلاء الامير عباس الذي رشحه العماديون لامارة حاصبيا وثبته الجزار على حكم جبل لبنان ايضا محل الامير بشير . وقد امتدت الازمة سنتين وانتهت بانتصار الامير والشيخ حيث عاد الامير الى الولاية وطرد الامير عباس من دير القمر ثم من حاصبيا (١) .

وفي حوادث سنة ١٢١٨ ــ ١٨٠٣ أورد مؤلف الغرر نص كتاب ارسله قائد الاسطول الى الامير بشير فيه تحذير من نابوليون في ظروف غزوته لمصر وفلسطين والكتاب موجه الى الامير بشير وللامراء وجميع المشايخ والحكام الدروز والنصارى في جبل معن بدون اسماء باستثناء الشيخ بشير جنبلاط الذي ذكر اسمه مع اسم الامير بشير حيث يدل هذا على انه كان ابرز شخصية اقطاعية بعد الامير بشير واقواها (٢) .

وفي حوادث سنة ١٢١٩ ــ ١٨٠٤ ان الشيخ بشير سار برجاله مع الامير حسن اخي الامير بشير الذي كان يتولى ولاية جبيل وساهم في قمع حركات التمرد التي جرت من قبل بني رعد حكام الضنية (٣) .

وفي حوادث سنة ١٢٢٢ ــ ١٨٠٧ ان الشيخ بشير اندمج في المؤامرة التي دبرها الامير حسن بموافقة اخيه الامير بشير ضد جرجس باز واخيه عبد الاحد لما كان سابق نشاطهم ومناصرتهم لاولاد الامير يوسف (٤) .

وفي حوادث سنة ١٢٣٥ ــ ١٨١٩ خبر المساعي التحريضية التي قام بها الشيخ شرف الدين القاضي ضد الشيخ بشير لما كان من شدة اقبال الامير بشير عليه وتواثقه معه . وقد اتصل القاضي سرا ببني عماد وتلحوق وعبد الملك ونكد ودعاهم الى الاتفاق سرا يدا واحدة ضد الشيخ بشير واوهمهم ان مساعيه هذه بموافقة الامير بشير . وقد

---

(١) ص ٢٥٥ ــ ٤٠٨ .

(٢) ص ٣٩٩ .

(٣) ص ٤٢٥ .

(٤) ص ٥١٢ ــ ٥١٣ .

استجابوا اليه وتعاهدوا معه . وبلغ ذلك الامير فغضب غضبا شديدا وعزل القاضي وضبط املاكه ونفاه واخذ يتعقب الذين استجابوا الى تحريضه فهربوا فضبط املاكهم وجردهم من المشيخة في اقطاعاتهم ولبثوا مدة من الزمن مشردين [1] .

ولما قام الجفاء بين الامير بشير ووالي عكا عبدالله باشا سنة ١٢٣٦ـ ١٨٢٠ ثم صفي خاطر الوالي على الامير وارسل مناشير بذلك الى الأمير واولاده في حوران اختص الشيخ بشير الذي كان مع الامير في حوران بكتاب يعلنه فيه بالامان ويطيب قلبه حيث يدل على ما كان للشيخ من منزلة ومكانة [2] .

والسياق الذي اورده مؤلف الغرر في صدد النزاع الذي نشب بين والي عكا عبدالله باشا ووالي الشام درويش باشا سنة ١٨٢١ـ١٢٣٧ والذي اندمج فيه الامير واندمج فيه الشيخ بشير بالتبعية أو في صدد ابراز ما كان من نشاط الشيخ في الحركات والمعارك التي جرت في وادي التيم ثم في الشام يبرز نشاط وقوة الشيخ بشير [3]، ويقال مثل هذا السياق الذي اورده مؤلف الغرر في صدد الجفاء والنزاع الذي نشب بين الامير والشيخ سنة ١٨٢٥ ـ ١٨٤٠ ايضا [4] فنكتفي بهذا التنويه لاننا لخصنا السياقين في سيرة بني شهاب .

وواضح من السيرة ان هذه الاسرة كانت ذات نشاط كبير وحيوية شديدة وانها احتفظت بحكمها الاقطاعي ووجاهتها وبروزها الى آخر عهد الاقطاع . وقد احتفظت بوجاهتها والقابها وممتلكاتها وقصورها بعد الغاء حكم الاقطاع وظلت محتفظة بذلك الى الآن وخاصة بين الطائفة الدرزية .

---

(١) ص ٦٥٠ ـ ٦٥٥ .

(٢) ص ٦٧٢ .

(٣) انظر السياق ص ٦٦١ ـ ٧١٧ .

(٤) انظر السياق ص ٧٤٤ ـ ٧٧٧ .

١ — بنو رعـد السنيون

لقد ورد اسم بني رعد في مناسبات عديدة في الغرر الحسان وفي اخبار الاعيان • كحكام مقاطعة الضنية من اعمال طرابلس الشام فـي القرنين الثاني عشر والثالث عشر ـ الثامن عشر والتاسع عشر ، فصار من المفيد ان يسلكوا في سلك الحكام الاقطاعيين في لبنان ولو لم يكن لهم حظ من الاسهاب التاريخي •

وهم على ما يتبادر من اسمائهم وسيرتهم مسلمون • واول ذكر لهم في اخبار الاعيان ورد [١] في سياق ذكر هياج الحمادية سنة ١٦٨٦ ـ ١٠٩٨ ـ هـ وقتلهم ابن رعد شيخ الضنية • والكلام قد يدل على ان مشيختهم هذه ممتدة الى ما قبل هذا التاريخ بامد ما كما هو المتبادر • أما اول ذكر لهم في الغرر الحسان فقد جاء في سياق ذكر تعيين وال جديد لطرابلس سنة ١١٠٤ هـ ـ ١٦٩٢ م وتغييره الحكام وتعيينه الشيخ ابـا نوفل رعد للضنية ، وان حكامها قبله كانوا اولاد حسن ذيب حمادة [٢] •

ولقد ذكر الشدياق ان حاكم الضنية في سنة ١٦٧٤ كان الشيخ محمد بن حسن ذيب [٣] ، حيث يمكن ان يربط بين كل ذلك ويقال ان مشيخة الضنية تناوبت قبل سنة ١١٠٤ هـ بين بني رعد وبني حمادة • ثم ذكروا في الغرر الحسان للمرة الثانية [٤] في حوادث سنة ١١٨٦ ـ ١٧٧٢

---

(١) اخبار الاعيان ص ١٦٩ وخبر قتل الحماديين شيخ الضنية بن رعد مذكور في الغرر الحسان ايضا في حوادث سنة ١٦٨٦ واسم الشيخ في الغرر علي ص٧٤١ ج١ نسخةمغبغب •

(٢) نشر مغبغب ص ٧٤٣ •

(٣) اخبار الاعيان ص ١٦٨ •

(٤) ص ٩٥ ـ ٩٦ الجزء الثاني والثالث نشر رستم •

بمناسبة خبر جمع الامير يوسف الشهابي الوالي عسكرا وقصده الى مقاطعة الضنية لقتال ولاتها بني رعد لانه رأى منهم مظاهرة وميلا للحمادية • وقد توسط والي طرابلس في الصلح بين الامير وبني رعد بناء على طلب كبيرهم فاضل وقبل الامير الوساطة وتم الصلح بين الطرفين •

وقد استطرد المؤلف هنا الى الكلام عن اصلهم فقال انهم من حوران كما يقال وان جدهم رعدا قدم الى ديار طرابلس في عهد ولاتها آل سيفا فانتمى اليهم ونجب في خدمتهم فولوه مقاطعة الضنية وخلفه في الحكم ابنه محمد ثم بنوه من بعده الى هذا العصر •

وآل سيفا بدأ عهد امارتهم سنة ١٥٢٨ م ـ ٩٤٠ هـ ـ وانتهى سنة ١٠٥٩ هـ ـ ١٦٤٧ م على ما يستفاد من الفصل الخاص الذي عقده لهم الشدياق في اخبار الاعيان [1] • فاذا صح هذا تكون ولاية بني رعد للضنية التي ذكرت في الشدياق سنة ١٠٩٨ هـ ثم ولاية ابي نوفل في سنة ١١٠٤ هـ ليست اول حكمهم بل كانت امتدادا لسابقة طويلة في حكم هذه المقاطعة ، وكل ما كان من امر ان سلسلة حكمهم تقطعت لسبب من الاسباب حيث عين غيرهم من بني حمادة مكانهم في بعض الظروف كما قلنا قبل •

وقد ذكروا في الغرر الحسان للمرة الثالثة [2] في حوادث سنة ١١٩٢ ـ ١٧٧٨ بمناسبة ذكر ما كان من تشاد ونزاع بين الامير يوسف الشهابي واخويه سيد احمد وفندي الذين اخذا الولاية منه في هذا الظرف وقد ذكر ان الاخوين كشرا عن انيابهما لاخيهما واستعدا لقتاله وقتال من احتشد معه في كسروان فاستنجد ببني رعد اصحاب الضنية

---

(١) اخبار الاعيان ص ٣٤٩ ـ ٣٥٨ •

(٢) الجزء الثاني والثالث نشر رستم ص ١٢٣ ـ ١٢٥ •

فسارعوا الى نجدتـــه برجالهم صحبة كبـــيرهم ابراهيم بالاضافة الى المراعبة وغيرهم الذين سارعوا الى نجدته ايضا فقوي وكثر اتبـــاعه وضعف اخواه نتيجة ذلك فجنح الجزار الى توليته الحكم .

والخبر قد يفيد ان الصلات قويت بين بني رعد والامير يوسف بعد الصلح الذي تم بينهم حتى رأى الامير يوسف وجها للاستنجاد بهم وحتى لبوه واسرعوا الى نجدته دون مبالاة بالاخوين الواليين ، وقد يدل على اعتدادهم وقوتهم ايضا .

وقد ذكروا للمرة الرابعة في حوادث سنة ١٢١٠ ــ ١٧٩٥ بمناسبة ذكر التشاد بين الامير بشير واولاد الامير يوسف ومطاردة الامير بشير لهم . ومما جاء في السياق [1] ان اولاد الامير يوسف فروا الى طرابلس وكان المتسلم عليها حينئذ فاضل رعد الذي كان صديقا لهم من زمن والدهم فاكرمهم وقدم لهم الذخائر . وقد ارسل الامير بشير اخاه مـــع قوة الدولة الى طرابلس فحاصرها وتوجه هو بعسكر البلاد الى حدود الضنية . غير انه تلقى امرا من الجزار بالرجوع فرجع دون ان يشفـــي غليلـــه .

والخبر يفيد اتساع نطاق حكم بني رعد ونشاطهم في هذه الآونة حتى صار فاضل متسلما على طرابلس . وهو منصب كبير ذي سلطان شامل . ولقد ذكر ابراهيم في المرة الثالثة كحاكم للضنية او كبيرهم فيها. والمتبادر ان فاضلا لما صار متسلما لطرابلس قام ابراهيم مقامه في حكـــم الضنية . وليس في السياق ما يمكن ان يدل على صلة ابراهيم بفاضل ولعله ابنه او اخوه .

---

(١) ص ١٨٠ ــ ١٨١ .

ثم ذكروا في حوادث سنة ١٧٩ م ـ ١٢١٤ هـ [١] بمناسبة ذكر ما كان من تشاد بين الامير بشير واولاد الامير يوسف ايضا واستيلائهم على الحكم وتوجه الامير بشير الى الشام ولقائه برسل والي الشام الذين كانوا يحملون اوامر بتوجيه ولاية بلاد جبيل اليه واوامر الى حاكم عكار علي الاسعد وفاضل رعد حاكم الضنية والشيخ صقر المحفوض زعيم النصيرية والدنادشة لمساعدته بالسلاح والرجال • وقد ارسل الامير ابنه الى الضنية ثلم يقبله فاضل رعد لما بينه وبين اولاد يوسف من صداقة • والخبر يدل على ما كان من اعتدادهم بانفسهم وعلى بقاء الحالة غير ودية بينهم وبين الامير بشير واستمرار حالة الود والصداقة بينهم وبين اولاد الامير يوسف • ويدل في الوقت نفسه على ان فاضل لم يعد متسلما لطرابلس لسبب ما •

ثم ذكروا في حوادث سنة ١٢١٩ ـ ١٨٠٤ بمناسبة ذكر تطاول عباس رعد على بلاد جبيل بالاشتراك مع عبود المرعبي • وكانت الولاية في هذا الظرف للامير بشير وكانت ولايته ممتدة الى هذه البلاد • وقد اخذ مدبر الامير بشير جرجس باز ثلة من العسكر وتوجه الى بلاد جبيل عن طريق بعلبك حيث استصحب معه الامير سلطان الحرفوشي برجاله • وتوجه في الوقت نفسه الامير حسن اخو الامير بشير ومعه الشيخ بشير جنبلاط على رأس قوة اخرى من طريق آخر وكان القصد كبس المشايخ بيت رعد في مقاطعتهم • وقد اشتبكت هذه القوة مع عبود المرعبي اولا فكسروه وهزموه الى عكار • وحينئذ جاء الشيخ عباس وقيعا (والعبارة للغرر الحسان) ودفع عشرين الف قرش خرج عسكر فقبل جرجس باز وعدل عن كبس الضنية • والاهتمام بامرهم وتسيير قوات عديدة عليهم قد يدل على ما كانوا عليه من قوة وتمكن • والنتيجة التي انتهت اليه

---

(١) ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ •

الحملة قد تدل على ذلك ايضا •

وقد ذكر الشيخ عباس مرة اخرى في حوادث سنة ١٢٢٣ ــ ١٨٠٨ بمناسبة ذكر وفاة الامير حسن اخي الامير بشير وقدوم اكابر البلاد وحكامها الى تعزية اخيه ومن جملتهم الشيخ عباس حاكم الضنية [١] • والخبر يفيد ان الصلات تحسنت بين الامير بشير وبين بني رعد بعد تلك الحملة •

ثم ذكروا بدون اسم شخص في حوادث سنة ١٢٢٧ ــ ١٨١٧ بمناسبة سفر الامير بشير الى بلاد جبيل لترتيب شؤونها حيث ذكر انه حضر لمقابلته المشايخ بيت رعد حكام بلاد الضنية وقدموا له الخيل والذخائر واكرمهم غاية الاكرام •

ثم ذكروا بدون اسم شخص ايضا في حوادث سنة ١٢٣٦ ــ ١٨٢١ في سياق ما كان من تغلب الامير بشير على الاميرين حسن وسلمان الذين كانا يتوليان الولاية واخذها الامير بشير منهما • وقد فرا من وجهه الى بلاد كسروان ثم الى بلاد بعلبك • ثم ذهب سلمان لاجئا الى بلاد الضنية بسبب مرض ألم به • وقد ترجى المشايخ بيت رعد الامير بشير به فلم يقبل رجاءهم [٢] • ولم يذكر السياق ما جرى بسلمان • والمتبادر ان الرجاء بقصد الصفح عنه حتى يعود الى وطنه •

ثم ذكروا في حوادث سنة ١٢٤٧ ــ ١٨٣١ في سياق اخبار حملة ابراهيم باشا حيث ذكر ان متسلمية طرابلس اعيدت الى مصطفى آغا بربر فعين الشيخ مرعيا بن عباس رعد نائبا عنه فلم يقبل اهل طرابلس فامرهم ابراهيم بارسال اربعمائة عسكري نظامي الى طرابلس لتنفيذ

---

(١) ص ٥٧٥ •

(٢) ص ٦٩٠ •

اوامره [1] . والخبر يفيد ان مرعيا خلف اباه في حكم الضنية فلما جاءت الحملة المصرية وتواثق معها الامير بشير تواثق هو ايضا مع الامير بشير فاعتمد عليه مصطفى بربر ليكون نائبا عنه الى ان يصل .

هذا كل ما جاء في الغرر الحسان عن الاسرة .

ولقد ذكر الغرر ان اول حكمهم للضنية كان في عهد ولاية آل سيفا لطرابلس . وقد تصفحنا الفصل الخاص الذي عقده الشدياق على اخبار آل سيفا في كتابه اخبار الاعيان فلم نجد لهم ذكرا . ولكنه ذكرهم في فصل المشايخ الحمادية فقال ان الحمادية هاجوا سنة ١٦٨٦م ـــ ١٠٩٩هـ وقتلوا ابا داعر شيخ حردين وابن رعد شيخ الضنية وغيرهما الخ [2]... وصيغة الكلام تدل على ان حكم مقاطعة الضنية كان مستقرا في بني رعد قبل هذه السنة بامد ما امتدادا لما قبل ، وتسوغ القول ان فيما قاله مؤلف الغرر عن قدم حكمهم شيئا من الحقيقة .

وواضح من هذه النبذة التي امكن تسجيلها من سيرة بني رعد رغم ما فيها من ثغرات واسعة ان الاسرة كانت ذات نشاط وحيوية في عهد

---

(1) ص ٨٢١ مصطفى بربر كان متسلما لطرابلس من قبل الدولة فتخلى عن المتسلمية وسافر الى مصر لاجئا الى محمد علي واليها لخلاف قام بينه وبين الاستانة ودخل في خدمة الوالي وجاء مع حملة ابراهيم باشا على ما ذكر في الغرر ايضا انظر ص ٧٨٩ .

(2) ص ١٦٩ ان الشدياق ذكر في هذا الفصل خبر ولاية الشيخ محمد بن حسن الذيب للضنية وخبر القبض عليه سنة ١٦٧٤ لانه تصرف باموالها ثم خبر ولاية ابن حسن ذيب للضنية سنة ١٩٦١ وقتله سنة ١٦٩٢ م والسنة الاخيرة تصادف سنة ١١٠٤ هـ التي ذكر مؤلف الغرر خبر تعيين الشيخ ابا نوفل رعد للضنية على ما ذكرناه في مطلع النبذة . ويتبادر لنا من روح السياق انه لا يعني ان ولاية بني حسن الذيب كانت هي الاصل وكل ما يعنيه انهم كانوا يتنافسون على ولاية الضنية ويتعاقبون قبل سنة ١٦٧٤ وبعدها . ولم يذكر الشدياق في فصل الحمادية انهم عادوا اليها بعد سنة ١٦٩٢ م مع ان كلامه عن الحمادية امتد الى سنة ١٧٧٠ م حيث يتبادر من هذا ان بني رعد ظلوا محتفظين بالولاية منذ تعيين ابي نوفل الى ما بعد قدوم الحملة المصرية وربما الى ان الغي نظام الاقطاع .

الحكم الاقطاعي وان كان ذلك في نطاق مقاطعتها الضيقة .

ومن الجدير بالذكر ان بني رعد ما يزالون يتمعتون بوجاهتهم واملاكهم واراضيهم الاقطاعية الى الآن ويتلقبون بلقب البكوات على ما جاء في الجزء الثاني من كتاب عشائر الشام لوصفي زكريا حيث ذكر المؤلف في النبذة التي عقدها بعنوان عشائر البلاد اللبنانية اسماء عشائر يعمل افرادها حراثين ورعاة عند آل رعد بكوات الضنية [1] .

---

(١) ص ١٢٥ — ١٢٦ .

٢ ــ بنو حمــادة الشيعيون

-- ١ --

وهذه أسرة كان لها بروز ونشاط كبير فيمجال الحكم الاقطاعي في القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر • وافرادها يتلقبون بلقب المشيخة • واخبارها مبثوثة في الغرر الحسان واخبار الاعيان في سياق بني معن وبني شهاب • وفي سياق سيرة امــراء المردة ومقدميهم ايضا • وفي اخبار الاعيان فصل خاص عنها • وفي تاريخ الامير فخر الدين المعني لاسكندر المعلوف نبذة عنها كذلك • وهــي مسلمة شيعية النحلة أو متوالية [١] كما كان اهل هذه النحلة ومايزالالون يسمون في بلاد الشام •

وقد قال الشدياق [٢] ان جدهم حمادة من بخاري العجم وانــه خرج على شاه العجم فسير عليه جيشا قتل انصاره ففر باخيه احمد واهله وعشيرته الى جبل لبنان ونزل الحصين ثم ذهب الى قمهز ومن هنــاك تفرقت عشيرته في جبة المنيطرة ووادي علمات وسار اولاد اخيه الى بلاد بعلبك وتولوا قرية الهرمل وقد خلف حمادة ثلاثة اولاد وهم احمد المكني ابا زعزوعة وذيب وسرحال (سرحان) وقد تولى اولاد ابي زعزوعة جبة بشري • وتولى اولاد ذيب مقاطعة الضنية •

واقدم تاريخ ذكر لهم نشاط فيه هو سنة ١٤٨٨ م حيث ذكر [٣]

---

(١) الراجح ان هذه الكلمة من المتولي أو التولي وهي في معنى التشيع والتحزب •

(٢) اخبار الاعيان ص ١٦٦ •

(٣) ص ١٦٧ •

ان اولاد الشيخ زعزوعة ولاة بشناتا نهضوا هذه السنة برجال الضنية وقصدوا اهدن فلما بلغ أهلها قدومهم اقاموا لهم كمينا في مكان يسمى حمينا فلما وصلوا وثبوا عليهم واهلكوهم • وفي فصل امراء المردة من كتاب اخبار الاعيان توضيح لسبب نهوضهم حيث ذكر [١] ان المقدم عبد المنعم والي جبة بشرى حنق على بطرك الموارنة واهل اهدن ورؤساء الطائفة المارونية لطردهم اليعاقبة والاحباش الهراطقة من جبة بشرى فاستنجد باولاد الشيخ زعزوعة المتاولة اولياء بشناتا فجمعوا رجال مقاطعة الضنية وقصدوا اهدن فلما بلغ ذلك اهلها اقاموا لهم كمينا في حمينا ووثبوا منه واهلكوهم •

وهكذا يكون حمادة واخوه وعشيرته حسب سياق الشدياق الذي لا يذكر له مصدرا قد جاؤوا الى لبنان في اوائل القرن الخامس عشر على الاقل حتى استطاعوا ان ينشطوا ويبرزوا ويغدوا اصحاب ولاية واقطاع •

أماالمعلوف فانه يقول في كتابه تاريخ الامير فخر الدين [٣] ان الحماديين الشيعيين ينتسبون الى هانىء بن عروة بن مذحج من حمير وان جدهم هانئا كان هو وعشيرته في كوفة العراق وانه قتل مع الحسين ثم طوردت عشيرته فهاجرت الى بلاد العجم وتوطنتها • وان رئيسها حمادة خرج على شاه العجم فسير عليه جيشا قتل انصاره ففر باهله

---

(١) ص ٢١٤ — ٢١٥ وقد ذكر هذا الدبس في تاريخ الموارنة ص ٢٤٨ — ٢٤٩ ولكنه لم يصف اولاد زعزوع بالمتوالية وانما ذكرهم بصفة بشناتا .

(٢) ص ٧٧ — ٧٨ وحادث انحراف عبد المنعم ومناصرته لليعاقبة واستعانته بمقدمي الضنية ضد البطرك والرؤساء الذين نقموا على اليعاقبة قد ذكره البطرك الدويهي في القسم الثالث من كتابه بحيث يمكن ان يقال انه حقيقة تاريخية وان كان الدويهي لم يذكر اسم وصفة مقدمي الضنية (انظر تاريخ الطائفة المارونية للدويهي) نشر رشيد الخوري الشرتوني ص ٤١٤ — ٤١٥ .

وعشيرته الى لبنان ونزل في قرية الحصين من جبة المنيطرة في جرود كسروان وذلك في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد . وكان لحمـــادة ثلاثة اولاد وهم سرحان واحمد ابو زعزوعة وذيب ومنهم تفرعت الاسرة الى يومنا في المنيطرة ووادي علمات في لبنان وبلاد بعلبك . وقد حاربوا عقب حلولهم في لبنـــان المستراحيـــين وبني المقدم من الشيعة وطردوهم وحلوا محلهم ونفذت كلمتهم لدى الحكام واشتهروا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ولهم احداث كثيرة مع الحكام والرؤساء المسلمين والمسيحيين ، وان الزعامة كانت في القديم لآل سرحان ولابي زعزوعة وولديه قانصو ويوسف . وهم الآن في الهرمل وبودية والحدث والمنيطرة واشهرهم الذين هم في الهرمل . وقـــد نفـــذت كلمتهم عند الامراء العسافيين والسيفيين فولوهم جبيل والبترون والضنية . وكثيرا ما كانوا ينتقصون على الحكام ويناوئونهم ويكونون عرضة للقصاص من قبلهم حتى ارهقوهم وكان اشدهم تنكيلا بهم الاميران احمد المعني ويوسف الشهابي حاكما لبنان . وقد ذاقوا منهما الامرين وفروا الى بلاد بعلبك وما يجاورها . وهم ثلاث طبقات الاولى المشايخ الذين حكموا في المنيطرة والبترون وجبيل والضنية والرمل وبقاياهم في الهرمل وبعلبك ومجـــدل العاقورة . والثانية دون المشايخ ويقال لهم اولاد عم المشايخ وهم في لبنان وبلاد بعلبك . والثالثة البسطاء وهم كذلك في لبنان وبعلبك ومجموع عشائرهم ثلاثون ووقائعهم متصلة في تواريخ لبنان وسورية ولا سيما تاريخ الدويهي واخبار الاعيان للشدياق وتاريخ الاسر الشرقية للمؤلف .

وفي هذا الكلام الذي لا يسند «المعلوف الى مصدر خلط بين غابر الحماديين وحاضرهم كما هو المتبادر . ولقد جاء في سياق كلامه كلام

آخر فيه خلط وتناقض ايضا حيث قال [1] ان القبائل الحمادية التـــي نزحت مع زعيمها حمادة الى لبنان هـــي تسع وعشرون أسرة وهي : دندش وشريف والحاج يوسف وملحم وزعيتر وشمص وناصر الدين وعواد وعلوّة وجعفر والمقداد وحجولا وقمهز وخير الدين والنمر ونون والحاج حسن وجنبلاط وبلوط والمستراح والجمل وصفوان وعـلام وشقير وبدير وحيدر واحمد وعمرو وابو حيدر وهدر . هذا مع انـه قال قبل ان الحماديين تفرعوا من حمادة واولاده وانم صاروا ثلاثين عشيرة ، وفي حين ان اسماء العشائر هي من الاسماء الدارجة المألوفة في بلاد الشام ولبنان ، وبينها اسم المستراح في حين انه قال ان بني حمادة قاتلوا المستراحيين وحلوا محلهم حيث يقتضي هذا انيكون المستراحيون ارومة اخرى كانت مستقرة في البلاد قبل قدومهم !

ويختلف كلام المعلوف عن كلام الشدياق في جنسية حمادة حيث يقرر الاول اصلهم العربي بينما يقول الثاني انهم من بخاري العجم دون ان يتنبه الىان بخارى ليستمن بلاد العجموانما هي من بلادالترك.وبينما يقول المعلوف انهم جاؤوا الى لبنان في اواخر القرن الخامس عشر يذكر الشدياق انهم كانوا بارزين واصحاب اقطاع وقوة يستنجد بهم والي الجبة في سنة ١٤٨٨ حيث يقتضي هذا ان يكونوا قد جاؤوا قبل هذا التاريخ بمدة طويلة . وهذا الحادث حقيقة تاريخية على الارجح على ما ذكرناه في ذيل سابق ، مع التنبيه اننا نرجح ان كثيرا مما جاء في كلام الشدياق والمعلوف معا لقف من السنة الناس وذكريات او روايات لاتخلو من حقيقة شيبت بالخيال ، كما ان ما ذكره المعلوف من اسماء عشائر الحمادية وطبقاتها هو على الارجح يمثل حالتهم الحاضرة .

ولم يذكر مؤلف الغرر الحسان شيئا ذا بال وفائدة من اولية بني

---

(١) نفس الصحف السابقة الذكر .

حمادة وكل ما قاله في سياق حادث اتفاق زوجة المقدم كمال الدين ابن عجرمة الذي قتله المقدم عبد المنعم مع الشيخ حمادة على اخذ ثأر زوجها في حوادث سنة ٩٥٥ هـ ـ ١٥٤٨ م ان الشيخ حمادة هو الذي افتتح تبريز وانتقل من بلاد العجم الى قرية قمهز [١] • والشيخ حمـادة الذي اتفق مع الزوجة كما هو المتبادر غير الشيخ حمادة الذي جاء الى لبنان من بلاد العجم لان الحادث كان في اواسط القرن السادس عشر بينما قدوم الحماديين كان في القرن الخامس عشر !

ومهما يكن من امر فان رواية عروبتهم الاصيلة من جهة وطابع العروبة الذي انطبعوا به منذ اول بروزهم في القرن الخامس عشر من جهه يسوغان عقد نبذة لهم في هذا الفصل لما كان لهم من بروز ونشاط وحيوية وحيز كبير في مجال الحكم والسلطان ولما كان لبعض اعقابهم من امتداد وحيز الى الآن في مجال الوجاهة والالقاب والممتلكات الاقطاعية الاصـل •

– ٢ –

والآن ننتقل الى سيرتهم مقتبسة من الفصل الخاص الذي عقـده لهم الشدياق في اخبار الاعيان وموضحة بما جاء عنهم في فصول اخرى من هذا الكتاب وفي الغرر الحسان فنقول :

ان الشدياق قد ذكر [٢] ان اولاد الشيخ زعزوعة كانوا اصحـاب بشتانا في سنة ١٤٨٨ فاستنجد بهم والي الجبة على خصومه المـذهبيين ونهضوا برجال الضنية تلبية لذلك • وطبيعي ان هذا يفيد ان ولايتهم

(١) الجزء الاول ص ٦١٢ نشر مغبغب •

(٢) ص ١٦٧ •

كانت سابقة للتاريخ المذكور بمدة ما وان قدوم بني حمادة لا بد ان يكون قد سبق ولايتهم بمدة غير قصيرة حتى استطاعوا كما قلنا قبل ان ينموا ويبرزوا ويتولوا ٠

ومما ذكره الشدياق قبل هذا الحادث [١] ان حمادة زوج ابنتيه لمقدمي جاج المسلمين الذين كانا يتوليان بلاد جبيل ٠ وكانا عاصيين على الامير عساف والي غزير ٠ فاستدعى هذا احمد وذيبا ابني حمادة وكلفهما بقتل المقدمين على ان يوليهما مكانهما فأبيا ولما رجعا كاشفا اخاهما الاصغر سرحال فتوجه هذا الى غزير وتعهد له بقتل المقدمين واخذ منه صكا بولاية بلاد جبيل وعاد الى اخويه فاخبرهما فارتضيا وتوجهوا جميعا الى جاج فقتلوا المقدمين صهريهم واتوا برأسهما الى غزير فولى الوالي الشيخ سرحال بلاد جبيل وظل اخواه في جاج ٠ فاذا صح هذا فتكون ولاية سرحال لبلاد جبيل قبل ولاية اولاد الشيخ زعزوعة لبشتانا كما هو واضح ٠ ولعل مصاهرة حمادة للمقدمين هي التي فتحت لهم الباب للبروز ٠

وقد ذكر الشدياق بعد هذا [٢] انه ولد للشيخ سرحال ولد سماه حسينا وانهم ارتحلوا ــ دون ذكر الذين ارتحلوا وسبب الرحيل ــ الى فرحة في وادي علمات فاستثقلهم بنو الشاعر المقدمين في تولا فارتحلوا الى بلاد المرقب وصاروا فيها ولاة ٠ وان ابراهيم وعيسى اولاد حسين ابن سرحال اخذا بلاد البترون وان اسماعيل بن حسين اخذ بلاد جبيل ووادي علمات والفتوح وجبة المنيطرة وانتقل الى لاسا فبنى فيها دارا وان الحمادية اخذوا مزارع في الكورة والزاوية سموها بكاليك [٣]

---

(١) ص ١٦٦ ٠

(٢) ص ١٦٦ ــ ١٦٧ ٠

(٣) ص ١٦٧ ٠

وان عبد السلام وعبد الملك وابا النصر اولاد اسماعيل اخذوا قرية شمسطار في بعلبك فصارت بكليكا لهم ، وانهم اقتسموا البلاد وظلموا الرعايا فنهض هؤلاء ضدهم . والكلام دون تاريخ ، ومع انه جاء قبل حادث نهوض اولاد زعزوعة ضد اهل اهدن الذي كان سنة ١٤٨٨ فانه يتبادر لنا انه بسبيل تصوير انتشار بني حمادة واتساع نطاق نشاطهم وولايتهم الاقطاعية في هذا الظرف الذي يمكن ان يكون ممتدا من قبل سنة ١٤٨٨ الى ما بعدها ..

وقد ذكر بعد هذا حادث نهوض اولاد ابي زعزوعة ضد اهل اهدن سنة ١٤٧٤ والكمين الذي نصبه هؤلاء لهم ووثوبهم عليهم على ما ذكرناه قبل مع اسبابه التي ذكرت في فصل امراء المردة .

ثم ذكر الشدياق بعد هذا [1] ان حمادة اتفق سنة ١٤٧٤ مع ست الملوك زوجة المقدم كمال الدين عجرمة الذي قتله المقدم عبد المنعم يوحنا ـ وقد شرحنا هذا في فصل امراء الموارنة ـ على أخذ ثأر زوجها فكمن له وقتله ثم دخل البرج وقتل اولاده . فثار انصاره وهجموا على حمادة وضربوه بالسيوف فجرحوه فحمله اصحابه وفروا به هاربين فبادرهم اهل بشري وادركوهم في ارض الحرائص وقتلوا حمادة ومن ادركوه من اصحابه . ومن العجيب ان الشدياق الذي يذكر هنا سنة ١٤٧٤ كتاريخ لهذا الحادث ذكر في فصل امراء المردة [2] ان تاريخه هو سنة ١٥٤٧ وان ولاية عبد المنعم وعبد الوهاب كانت سنة ١٥٣٧ وهو ما ذكره الدبس ايضا على ما اوردناه في فصل امراء الموارنة . وبقطع النظر عن هذه الغلطة الظاهرة فان الشدياق لا يذكر اسم والد حمادة .

---

(١) ص ١٦٧ .

(٢)ص ٢١٧ ــ ٢١٨ .

وقد وصفه الدبس في تاريخ الموارنة [1] بانه رئيس الحمادية التي جاءت من بلاد العجم • وهو غلط اذا كان نفس الرئيس الذي جاء على رأس اسرته او عشيرته • ولما كان قدومهم في أوائل القرن الخامس عشر وهذا الحادث كان بعد ذلك بنحو مئة سنة فالمتبادر انه شخص آخر غير الذي جاء على رأس عشيرة • وربما كان زعيمهم في ظروف وقوع الحادث •

وذكر الشدياق بعد ذلك [2] ان يوسف باشا سيفا ارسل سنة ١٦٠٠ يوسف وقانصوه ابني احمد ـ حمادة ـ لقتل مقدمي جاج لانهم احلاف الامير فخر الدين المعني ـ الذي كان بينه وبينهم عداء كبير على ما مر شرحه في سيرة بني معن ـ فوجداهم عند البيادر وقتلاهم وسلبا اموالهم واخذا مشيخة بلاد جبيل عوضهم •

والاسماء والتواريخ والاسباب تدل على ان هذا الحادث هو غير الحادث الاول وان كانت المشابهة شديدة بين الحادثتين • والحادث يعني ان مقدمية جاج وولاية جبيل خرجت من بني حمادة خلال المدة السابقة وعادت الى اسرة مقدمي جاج السابقة !

ويبدو من خلال الحادثين المتشابهين والحادث الثالث الذي ذكرناه قبل الثاني صورة عجيبة لبني حمادة حتى كأنهم كانوا او صاروا محترفي قتل لمآرب غيرهم ولو عادت ذلك عليهم بالغنيمة والولايه !

وفي فصل امراء بني سيفا في كتاب اخبار الاعيان ذكر للصلة التي قامت بين بني حمادة ويوسف باشا سيفا في سنة ١٥٩٣ في سياق خبر قتل هذا للامير محمد عساف ثم قتله سليمان ومنصور ومهنا حبيش حيث يذكر الشدياق [3] ان ابن سيفا اقام اولاد حمادة المتاولة عوضهم ـ

---

(١) ص ٢٧٧ •

(٢) ص ١٦٧ •

(٣) ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ •

أي عوض اولاد حبيش الذين كانوا مدبرين للامير محمد عساف واصحاب اقطاع في الوقت نفسه على ما شرحناه في سيرتهم •

ومما جاء في هذا الفصل بعد ذلك ان يوسف سيفا القى الفتنة بين الحماديين والمستراحيين المتاولة فقتل الشيخ قانصوه ـ حمادة ـ بعض المستراحيين في طرابلس وكفر حلدا وصعد بجماعة الى المنيطرة لاهلاك ابي جمال الدين سيالة ـ من المستراحيين على ما هو المتبادر ـ فاصيب برصاص فقتل • وكلمة القاء الفتنة قد تعني التآمر ضد المستراحيين مما يمت الى تلك الصورة بسبب شديد • ويظهر ان هذه الصلة هي التـي جعلت يوسف سيفا يرسل ابني الشيخ قانصوه لقتل مقدمي جـاج بعد بضع سنين !•

وذكر الشدياق بعد ذلك ـ في فصل الحماديين [1] ـ ان مصطفى باشا والي طرابلس ولى سنة ١٦٣٦ عليا واخاه احمـد اولاد الشيخ قانصوه بلاد جبيل والبترون ، حيث يفيد الخبر ان ولاية جبيل التـي صارت اليهما نتيجة لقتلهما مقدمي جاج قد خرجت قبل هـذه السنة من يدهما •

وقد ذكر الشدياق [2] في نفس السياق احداثا عديدة للحمـاديين باسلوب غامض حيث قال ان الامراء آل سيفا قتلوا في سنة ١٦٣٦ الشيخ احمد احد واليي جبيل والبترون ـ بدون ذكر سبب وظروف ـ وان في السنة نفسها كانت الواقعة بين الحماديين والامير اسماعيل ومحمد ابن يوسف آغا ـ بدون تعريف ـ في ارض اهمج لاجل ولاية جبيل ولم يفوزوا بها ، وان الشيخ سرحال قانصوه ظهر سنة ١٦٣٨ ـ دون

---

(١) ص ١٦٧ •

(٢) ص ١٦٧ ـ ١٦٨ •

ذكر مجال ظهوره ـ وان الشيخ علي قانصوه مات سنة ١٦٤٠ فقام عوضه الشيخ ابو محمد سرحال ـ دون ذكر مكان ذلك ـ وان وزير طرابلس غضب سنة ١٦٤١ على الحمادية ـ دون ذكر الاسباب ـ ففروا من وادي علمات وبلاد جبيل وان الشيخ سرحال طرد حسن آغا ـ دون ذكر صفة اخرى ـ من عكار سنة ١٦٥١ م •

وفي فصل امارة بني سيفا بعض احداث يصادف تاريخها لهذه الحقبة فيها شيء من البيان كما فيها اشياء جديدة لم يذكرها الشدياق في فصل الحمادية •

ففي سنة ١٦٣٤ م وقع نزاع بعد موت يوسف سيفا باشا بين ابن اخته علي الذي اختاره الاعيان لخلافة يوسف وبين الامير عساف بن يوسف سيفا الذي رأى ان من حقه خلافة ابيه ، وقد تضامن المشايخ الحماديون مع عساف وخرجوا برجالهم لمحاربة علي واحرقوا المنيطرة وقتلوا ابا جمال الدين سيالة وابن اخيه المستراحيين ـ الذين يتبادر انهما كانا متواثقين مع علي ـ ثم تواثق علي مع المقدم زين الدين الصواف وساروا برجالهم لمحاربة عساف وانصاره فدارت الدائرة على الاخيرين فانكسروا وقتل الشيخ كنعان قانصو حمادة وجماعة اخرى • وتيجة لذلك تولى علي طرابلس وجبيل والبترون • ولم ينفض الامير عساف يده بل نهض لحرب علي وانصاره اليمنيين وكان معه الحماديون ايضا وتمكنوا من كسر خصومهم • ثم جرت وساطات الصلح ونجحت وتولى الامير عساف بلاد عكار •

وفي سنة ١٦٣٧ جاء متسلم جديد لطرابلس فاراد المتسلم القديم مصطفى باشا ان يقاومه وطلب من آل سيفا مناصرته فأبوا وناصره الحماديون وجرى قتال بين أنصار المتسلمين دارت الدائرة على المتسلم القديم والحماديين وكان الشيخ احمد حمادة من جملة القتلى •

ولم يطل العهد بالمتسلم الجديد حيث عزل وجاء متسلم آخر فقدمت اليه شكايات كثيرة ضد بني سيفا فاحتال على الامير عساف حتى قبض عليه وشنقه ثم ارفق الشيخ علي حمادة ـ حيث صار الحماديون ضد بني سيفا ـ بعسكر لتعقب بقية بني سيفا ففعلوا حتى تم تجريدهم وتشتيتهم وانتهت دولتهم • وكان ذلك سنة ١٦٤٠ م [١] •

ونرجع الى فصل الشدياق الخاص عن الحمادية فنقول انه ذكر بعد ماذكرناه من الحوادث ان محمد باشا والي طرابلس ولى سنة ١٦٥٤ الشيخ احمد حمادة جبة بشرى • ولكن بعض الحماديين قاموا بحركات عدوانية حيث قتلوا عبد الله بن قمر العاقوري وسلبوا عمائم القواسة واسلحتهم فطردهم الوالي الى اطراف الزاوية • وفي سنة ١٦٥٩ تولى الولاية وال جديد اسمه قبلان باشا فجنح الى التنكيل بهم ـ لاستمرار حركاتهم العدوانية على ما هو المتبادر ـ ففروا بعيالهم الى كسروان فهدم الوالي قراهم ودورهم في وادي علمات •

وفي سنة ١٦٧٣ صارت الولاية الى وال اسمه حسن باشا فابتسم حظ الحماديين في عهده حيث ولاهم المقاطعات التي كانت لهم وأقصوا عنها في زمن اسلافه وفي السنة التالية ولى الشيخ سمعان بلاد جبيل والبترون • ومع ذلك فانه قبض على الشيخ احمد حمادة الذي كان يتولى الجبة لانه اخرب البلاد كما قبض على الشيخ محمد حسن ذيبة الذي كان يتولى الضنية لانه تصرف باموالها وامر بعض بني عمومتهما بقتلهما ففعلوا • ولما ذاع خبر قتلهما وثب جماعتهما على بلاد جبيل ينهبون ويقتلون ويحرقون • وكان الوالي في حرب مع قبيلة تركمانية اسمها البكدلة فلما عاد وعلم بما فعلوا ذهب للتنكيل بهم واحرق قراهم في وادي علمات وجبة المنيطرة • ومع ذلك فانه لم يكد يعود الى طرابلس

---

(١) هذا السياق مقتبس من فصل امراء بني سيفا في اخبار الاعيان ص ٣٥٦ ـ ٣٥٨ •

حتى عادوا الى عيثهم في قرى جديدة حرقا ونهبا [1] .

وفي سنة ١٦٧٧ جاء وال جديد اسمه مصطفى باشا فبسم لهم الحظ في عهده ــ ولعله القديم الذي ناصروه ــ حيث ولى الشيخ سرحان بلاد جبيل وولده الشيخ حسين بلاد البترون والشيخ حسين احمد جبة بشري وامرهم باطلاق الامان للنزاح منهم [2] .

ثم تبدل الوالي بوال آخر اسمه محمد باشا فعاد الحماديون الى حركاتهم ــ ومن المحتمل ان يكون عزلهم عن الولايات التي كانت في ايديهم وقتلوا سنة ١٦٨٤ ابا نادر شيخ مزرعة عكار وابن اخت الوالي . فقبض الوالي على بعضهم . ولم يلبث ان عزل فهجموا على القلعة واخرجوا المعتقلين ثم دهموا عشقوت وقتلوا عددا من اهلها . وضج الناس بالشكوى منهم فرأى الوالي الجديد ان يسلط عليهم الامير احمد المعني فوجه اليه مقاطعاتهم جميعا وطلب منه التنكيل بهم فسار على رأس خمسة آلاف من رجاله لهذه الغاية ودهمهم ففروا الى بلاد بعلبك فاحرق قراهم وقطع اشجارهم . ثم وسطوا وسطاء لدى الامير فصفح عنهم ولم يمارس حكم مقاطعاتهم [3] .

وفي سنة ١٦٨٦ شغل الوالي بحرب القبيلة التركمانية السالفة الذكر فاغتنم الحماديون الفرصة وعادوا الى حركاتهم العدوانية فقتلوا شيخ حردين ابا داغر وابن رعد شيخ الضنية وغيرهما فقبض مدبر الوالي على اثني عشر رجلا من جماعتهم ورفعهم على الخازوق [4] .

وفي السنة نفسها قام نزاع بين الامير شديد الحرفوشي صاحب بعلبك والوالي فارسل عسكرا للتنكيل به ففر الى الحماديين فاجاروه .

---

(١) ص ١٦٨ ــ ١٦٩ .

(٢) ص ١٦٩ .

(٣) ص ١٦٩ .

(٤) ص ١٧٠ .

فأثار ذلك الوالي فاحرق العاقورة وبعض قرى اخرى لهم وقطع اشجارهم وهدم حارة للشيخ حسين حمادة زعيمهم آنذاك في ايليج .

وقابل الحماديون القوة بالقوة فدهموا عسكر الوالي ليلا وقتلوا ٤٥ رجلا وغنموا اسلابهم فانحدر الوالي الى جبيل ونكبها انتقاما منهم . ولم يكد يعود الى طرابلس حتى انحدروا الى جبيل فاحرقوا قلعتها ونهبوا ما وجدوه فيها [١] !.

وفي سنة ١٦٩١ جاء وال جديد اسمه محمد باشا فبسم الحظ للحماديين في عهده حيث ولي الشيخ حسين سرحان بلاد جبيل والبترون وابنه الشيخ اسماعيل الكورة والحاج موسى حمد الجبة واولاد حسن ذيب الضنية [٢] . وقد استشعر الحماديون بالقوة فعادوا الى اعتداءاتهم حيث نهبوا العاقورة واغلال الكسروانيين من ميناء جبيل وقتلوا ابا حنا الاسود في الكورة !. وفي هذه الاثناء بدل الوالي بالوالي علي باشا السابق وكان ذلك سنة ١٦٩٢ فاستنجد ثانية عليهم بالامير احمد المعني فارسل هذا الف مقاتل مع المشايخ الخوازنة ففر الحماديون الى ديار بعلبك وجد الرجال في طلبهم وهلك منهم في الثلج ١٥٠ ونجا الباقي واحرق الوالي قرية نيحا ونهب ١٣٠٠ رأس معزى لهم وولى بلاد جبيل حسن آغا النوري [٣] . ثم ارسل اناسا لاعتقال الشيخ حسين وحسن ذيب ــ ويظهر انهما لم يفرا ــ ففر حسين وقبض الرجال على حسن ذيب وسبعة من جماعته فقتلهم الوالي [٤] .

وبعد سنة صار علي باشا صدرا اعظم وعين لولاية طرابلس وال

---

(١) ص ١٦٩ .

(٢) ص ١٧٠ .

(٣) ص ١٧٠ .

(٤) ص ١٧٠ .

اسمه ارسلان باشا فاهتم بارهاب الحماديين ونكبتهم حيث سير عليهم قوتين واحدة بطريق الجرد بقيادة مدبره ومعه عدد من امراء الاكراد واخرى بطريق الساحل بقيادة المقدم ابن الشاعر والي البترون • ولكن الحماديين صمدوا لهم بقيادة الشيخ حسين ودهموهم ليلا وقتلوا عددا كبيرا منهم وكان من القتلى عدد من امراء الاكراد وبعض ابناء الشاعر وابن الامير موسى علم الدين • ولجأ الوالي الى الاستانة متهما الامير احمد المعني بمناصرتهم مما ادى الى تسيير حملة كبيرة ضده وعزلـه ومطاردتـه سنة ١١٠٦ هـ ـ ١٦٩٤ ـ على مـا شرحناه فـي سيرة بني معن [١] •

وقد ذكر الشدياق بعد ذلـك ان ارسلان باشا سـير قوة على الحماديين سنة ١٦٩٨ لتأخرهم عـن اداء المال الامـيري المترتب على اقطاعاتهم الخاصة التي يظهر انها بقيت في ايديهم فقبض العسكر على بعضهم واحضروهم الى طرابلس حيث سجنوا وفر بعضهم الى دير القمر مستغيثين بالامير بشير الشهابي الاول الـذي قام على رأس ولايـة بني معن كوصي على الامـير حيـدر الشهـابي فـالتمس الامـير من الوالي اطـلاق مسجونيهم وكفل المـال المكسور عليهم ، وقبل الوالي التماس الامـير فـاطلق سراح المسجونـين ولكنـه جعلـه هو المسئول عن الاقطاعات الحمادية فقبل وابقى الحماديين حسـب عوائدهم وكان يستوفي المال منهم ويؤديه عنهم [٢] •

وقد قفز الشدياق بعد ذلك الى سنة ١٧٥٩ ساكتا عن الاحـداث التي جرت للحماديين بعد سنة ١٦٩٨ ثم قال ان اهل جبة بشرى طردوا في هذه السنة اولاد الشيخ احمد حمادة من الجبة وتوزعوا حكم المنطقة

---

(١) ص ١٧١ •

(٢) ص ١٧١ •

فيما بينهم • وان الحماديين لم يرضوا بما وقع فحشدوا الفي مقاتل سنة ١٧٦١ ودهموا الجبة فقاتلهم اهلها وردوهم وضبط الامير يوسف الشهابي الذي كان يتولى بلاد جبيل ارزاقهم • ومع ذلك فانهم عادوا في السنة التالية فدهموا بقرقاشا ونهبوها [١] !•

وفي سنة ١٧٦٤ اختلف الحماديون مع مشايخ قراهم وحاول الوالي الامير منصور الشهابي اجراء الصلح بينهم فاخفق • وفي سنة ١٧٧٠ قبض الامير يوسف الشهابي على بعضهم فالتجأ اقاربهم الى وزيرطرابلس الذي كان على خلاف مع الامير فانجدهم ولكن الامير استطاع ان يتغلب عليهم في المعركة التي جرت في اميون وان يقتل كثيرا منهم واعتصم فريق منهم في البرج فحاصرهم وشدد عليهم الخناق حتى طلبوا الامان واستسلموا [٢] •

وينتهي فصل الشدياق عنهم عند هذا •

• لقد ذكر الشدياق في فصل المشايخ الدحادحة نبذة متصلة ببعض الحماديين رأينا ان نوردها ثانية هنا ايضا حيث ذكر ان الشيخ اسماعيل حمادة الذي كان له اقطاعات خاصة وكان يتولى ولايات اخرى احيانا في اواسط القرن الثامن عشر اتخذ الشيخ يوسف الدحداح مدبرا له ثم وصيا على اولاده لما كان من درايته واماتته • وان الشيخ لما توفي قام على اقطاعاته اولاده من زوجته الحرة دون السرية فظلموا وبغوا ولم يستمعوا لنصائح مدبريهم منصور وسليمان ولدي الشيخ يوسف الدحداح فحرض هؤلاء اولاد السرية قاسم وحسين ويوسف على التماس الولاية محل ابيهم وكفلاهم عند الوالي فوجهها اليهم ولكن اخوتهم

---

(١) ص ١٧١ — ١٧٢ •

(٢) ص ١٧٢ •

غدروا بهم وقتلوهم وظلوا يمارسون الولاية برغم الوالي [1] .

- ٣ -

وليس في الجزء الاول لمن الغرر الحسان الذي ينتهي الى عام ١١٠٨ شيء ذو بال عن حوادث الحماديين يمكن ان يضاف الى ما تقدم من سيرتهم قبل هذا التاريخ ، غير انه ورد ذكرهم مرارا في الجزء الثاني والثالث في سياق احداث منها ما ذكره الشدياق واوردناه ومنها ما لم يذكره مما جرى بعد سنة ١٧٧٠ م ، بل وقبل ذلك .

فمن ذلك ما ذكر في حوادث سنة ١١١٠ ـــ ١٦٩٨ من ان والي طرابلس قبلان باشا وهو اخو ارسلان باشا الوالي السابق كان يبغض بني حمادة اصحاب ديار جبيل والبترون ، وانه وجه اليهم جيشا دهمهم وقبض على أكابرهم فاستنجدوا بالامير بشير الشهابي الاول فكفل عنهم المال وولاهم من قبله [2] .

وفي حوادث سنة ١١٧٧ م ـــ ١٧٦٣ قال المؤلف ان والي طرابلس ولى الامير يوسف الشهابي ولاية جبيل والبترون فاستظهر على اصحابها الحمادية واقام معهم الحرب والقتال اياما وجرت له معهم وقائع عديدة وكانت الغلبة له عليهم . وقد كان يقهرهم بالسيف مرة ويصطنعهم بالعطايا والصلات مرة ويذلهم بالقاء الفتن بينهم مرة . ولم يزل كذلك حتى افنى اكثرهم وأذل باقيهم وأمات نفوسهم عن طلب الولاية واعانه اهل البلاد على ذلك [3] .

---

(١) ص ١١٠ ـ ١١١ .

(٢) نشر رستم والبستاني ص ٦ .

(٣) ص ٦٢ .

وقد أورد في حوادث سنة ١١٨٤ ــ ١٧٧٠ الخبر الذي ذكره الشدياق والذي جرت بين الامير يوسف وبينهم بسببه معركة اميون وتغلبه عليهم فيها [١] .

وفي حوادث سنة ١١٨٥ ــ ١٧٧١ ان المشايخ الحماديين دهموا الامير بشير السمين عم الامير يوسف في العاقورة حيث كان يجبى المال للامير يوسف الذي كان يتولى بلاد جبيل في هذه الحقبة فارسل الامير يوسف سعد الخوري مدبره على رأس قوة كبيرة ففر الحماديون من وجهه فتبعهم الى القلمون وحضر اهل بشرى على صوت الشيخ سعد وساهموا في مطاردة المتاولة وقتلوا منهم عددا كبيرا [٢] . واغتنم الفرصة شديد ناصر من المراعبة فازاحهم عن بلاد عكار التي كانوا يتولونها في هذه الحقبة وحل محلهم بعد قليل [٣] .

وفي حوادث سنة ١٢٠٣ هـ ــ ١٧٨٨ م ان الامير يوسف جمع رجال جبة بشرى وبيت حمادة وارسلهم الى وادي الميحان للمرابطة لعسكر الجزار في ظروف تشاد الامير يوسف وتنازعه مع الامير بشير الثاني الذي كانت له الولاية آنذاك وتمكنوا من كسر العسكر وقتل عدد كبير منهم ، غير ان الامير بشير جاء بقواته ودهم حشود الامير يوسف وكسرها بعد ذلك كسرة عظيمة[٤] . والخبر يفيد ان بني حمادة كانوا متواثقين مع الامير يوسف بعد الذي جرى بينه وبينهم !

وفي حوادث سنة ١٢٣٣ هـ ــ ١٨١٧ م ان الامير جهجاه الحرفوش لما توفي هذه السنة اخذ الولاية اخوه امين فالتجأ ابنه الامير سلطان الى

---

(١) ص ٨٠ .

(٢) ص ٩٤ .

(٣) ص ١٢٤ .

(٤) ص ١٤٨ .

الحماديين مشايخ مقاطعة الهرمل ليستعين بهم • ولكنهم لم يستطيعوا ان يفعلوا له شيئا بل لقد ارسل الامير بشير الثاني الذي كانت ولاية الامير امين بموافقته من طرد الامير سلطان من الهرمل دون ان يحرك الحماديون ساكنا [١] •

والخبر يفيد ان بني حمادة كانوا يتولون مشيخة الهرمل في هــذا الظرف واسلوبه يدل على ان هذه المشيخة كانت امتدادا لما قبل • مع ان هذا لم يذكر بصراحة وتاريخ معين قبل هذا الخبر والمتبادر ان فرعا من الحماديين جاء في ظروف من ظروف التشاد والصيال الذي كان يقع بينهم وبين اهل شمال لبنان وولاة طرابلس فاستقروا ونموا وتمكنوا ان يفرضوا انفسهم ومشيختهم على الهرمل •

وفي حوادث سنة ١٢٣٦ ــ ١٨٢٠ اورد مؤلف الغرر نص كتــاب او منشور الى الامير بشير الثاني من والي عكا عبد الله باشا يذكر فيــه ما كان من الغرور والمطاولة من رعايا جبل كسروان وطائفة الحماديــة ورفعهم لواء العصيان وتمنعهم عن دفع الاموال المطلوبة منهم وما كان من هجومهم عليه في موقع لحفد وما كان من ضربه اياهم وتنكيله بهم ثم معاملته لهم بالرفق ، ويحذره من التساهل والتسامح معهم ويحرضه على استعمال الشدة والقوة معهم [٢] وقد اورد المؤلف بعد هذا نص مرسوم او منشور آخر من الوالي نفسه موجه الى « رعايانا اهل كسروان وبلاد جبيل وطائفة الحمادية والذميون بوجه العموم » فيه تنديدبغرورهم وتطاولهم وتحذير وانذار لهم [٣] •

وهذا يدل على ان بني حمادة ظلوا اصحاب حيز وقوة واقطاع

---

(١) ص ٦٣٣ •

(٢) ص ٦٩٠ ــ ٦٩١ •

(٣) ص ٦٩١ ــ ٦٩٢ •

وحيوية في شمال لبنان الى هذا الوقت .

وفي حوادث سنة ١٢٣٧ ــ ١٨٢١ ارسل الامير بشير قوة الى بلاد بعلبك لطرد الاميرين حسن وسلمان الذين كانا يناوئانه وينازعانه ففرا الى الشام ثم جاءت القوة الى قرية الهرمل لطرد الامير سلطان واخيه الامير امين والشيخ حمود حمادة الذين تظاهروا ضد الامير حينما تخلى الامير عن الحكم ونزح الى بلاد حوران وقد فر الاميران الحرفوشيان . اما الشيخ حمود فجاء الى مقابلة الامير ملحم قائد القوة مستأمنا فطيب خاطره [1] .

ولم يعد مؤلف الغرر ولا الملحق الذي الحق به وذكر فيه بعض حوادث الحملة المصرية يذكران بني حمادة في الهرمل او شمال لبنان . وعلى كل حال فان سيرة هذه الاسرة في القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر تدل على انها كانت ذات بروز غير يسير في مجال الحكم الاقطاعي في شمال لبنان والهرمل كما كانت ذات حيوية ونشاط وشخصية قوية وعنف وعناد في حركاتها ومطامحها . واذا لم يذكر لها احداث بعد سنة ١٨٢١ فليس معنى ذلك انها ذهبت ريحها . وحاضرها في شمال لبنان والهرمل وخاصة في الهرمل يدل على انها ما زالت تحتفظ بنشاطها ووجاهتها وحيويتها وممتلكاتها الاقطاعية امتدادا لما قبل الغاء نظام الاقطاع .

ولقد اوردنا قبل اسماء العشائر الحمادية وطبقاتها نقلا عن المعلوف ورجحنا ان هذه الاسماء والطبقات تمثل حالة الحماديين الحاضرة . ويتبادر لنا ان تفاوت طبقاتها ناشيء عن ان من الحماديين من كان يتولى الولاية بالاضافة الى الاقطاعات الخاصة فكان هؤلاء الطبقة الاولى (أي

---

(١) ص ٦٩٣ .

المشايخ) وان منهم من كان نطاقه محدودا بالاقطاعات الخاصة فكان هؤلاء الطبقة الثانية (أبناء عم المشايخ) وان منهم من كان اتباعا أوحاشية أو محرومين وهم الطبقة الثالثة البسطاء •

أسر اقطاعية أخرى في لبنان

لقد مر في سياق الفصول السابقة اسماء أسر اخرى مسلمة سنية وشيعية كان لها بروز ونشاط على مسرح لبنان في مجال الحكم الاقطاعي في القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر مثل آل الحسامي وآل الشاعر وآل الصواف والمستراحيين غير اننا لم نعثر على مصادر مكتوبة أو حية نستقي منها مزيدا من الايضاح عن أولياتها وسيرتها وغابرها وحاضرها • وقد افرد الشدياق في اخبار الاعيان نبذة في المشايخ آل حصن الدروز غير اننا لم نر فيها انه كان لهذه الاسرة بروز في مجال الحكم والسلطان وان ما كان من امرها هولقب المشيخة الاقطاعي وافراد اشتهروا بالعلم والتقوى والمركز الروحي بين طائفتهم وهنا كأسر درزية تحتف اليوم بمثل ذلك مثل أسرة حمادة وأسرة طليع الدرزيتين •فنكتفي بهذا التنويه عنها •

كيفية انتهاء الحكم الاقطاعي في لبنان

واضح مما تقدم ان معظم الاسر والارومات التي كانت تمارس حكما محليا اقطاعيا قد ظلت تمارس ذلك الى اواسط القرن التاسع عشر الميلادي — او اواسط القرن الثالث عشر الهجري — وان حكم الاقطاع قد اخذ ينهار بعد جلاء الحملة المصرية •

ولقد ذكرنا ان الحكومة العثمانية اقالت بعد الاصطدام الدموي

الاول الذي وقع بين الدروز والنصارى سنة ١٨٤٢ في دير القمر وبعقلين وامتد الى انحاء اخرى من لبنان الامير بشير ملحم الوالي الذي خلف الامير بشير الثاني وعينت مكانه واليا اسمه عمر باشا النمساوي فلم تكن سياسته رشيدة فاهاج الدروز والاسر الاقطاعية ، وتدخلت الدول الاوروبية واقترحت قسمة الحكم في الجبل الى منطقتين نصرانية يتولاها قائممقام نصراني ماروني ودرزية يتولاها قائممقام درزي فقبلت الحكومة العثمانية الاقتراح على ان تكون القائممقاميتان تابعتين لايالة صيدا وتحت اشراف واليها • ومن ثم عين الوالي اسعد باشا سنة ١٨٤٣ الامير حيدر ابا اللمع الماروني قائممقاما للمنطقة النصرانية والامير احمد ارسلان الدرزي قائممقاما للمنطقة الدرزية • وكانت المنطقة الاولى تشمل المتن وكسروان والبترون والكورة وزحلة والثانية تشمل الشوف وجزين والبقاع الغربي واقليم التفاح ، وكان للقائممقامين مع تبعيتهما لوالي صيدا من وجهة عامة بعض الخصوصية الذاتية في الحكم المحلي حيث كان لكل منهما درك وطني راجل وخيال واستقلال قضائي واداري ومالي وديوان شورى ، وعليهما مال مقطوع يدفعانه للخزينة وهو (٣٥٠٠) كيس ــ وقيمة الكيس ٥٠٠ قرش ــ على القائممقامية النصرانية و١٥٠٠ كيس على القائممقامية الدرزية • وكان مركز الاولى بكفيا ثم صار برمانا ثم جونية ومركز الثانية قصبة الشوف •

وقد تسلسل الحكم في القائممقاميتين في الاسرتين التنوخيتين اللمعية والارسلانية • فخلف الامير احمد ارسلان الامير امين وخلف الامير امين الامير محمد • وخلف الامير حيدر ابا اللمع الامير بشير احمد •

غير ان الامور لم تسر سيرا حسنا ، فقد ظل الموارنة يوالون الطلب باعادة ولاية الشهابيين بينما كان الدروز يرفضون ذلك • وكان جماعات

من النصارى ظلوا في منطقة القائمقامية الدرزية فكان ذلــك ذريعــة لمواصلة شكاياتهم • وجرت محاولات متنوعة لحل هذه المشاكل فلم تجد نفعا ورفضت الدولة العثمانية اعادة الحكم للشهابيين فاستمرت الشكايات والمشاكل • وكان يقع خلال ذلــك منازعات بــين الدروز والنصارى تؤدي الى اراقة الدماء وتشتد حينا حتى تكون شبه مذابح وتمتد الى انحاء مختلفة وتخف احيانا ولكنها تبقى كالنار تحت الرماد • وفي أواخر سنة ١٨٥٩ تفاقمت الحالة حتى انقلبت الى مذابح واسعة النطاق وامتــدت الى جميع انحاء لبنان ثم الى دمشق وغيرها وكــان للدسائس الافرنسية والانكليزية اصبع في ذلك حيث كان كل من فرنسة وانكلترا تتشادان على النفوذ وتبيتان النوايا الاستعمارية لسورية ولبنان وحيث كانت الاولى تحرض وتحرك الموارنة وتتظاهر بحمايتهم والثانية تفعل ذلك مع الدروز [1] على ما ثبت في محاضر التحقيق والاحداث ، ثم اتفقت دون انكلترا وفرنسة والنمسة وايطالية وبروسية وروسية على التدخل لوقف المذابح وجاءت حملة بحرية افرنسية نيابة عن الدول الى

---

(١) في الاجزاء الثلاثة من مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية ١٨٤٠ — ١٨٦٠ نشر وتعريب فريد وفيليب الخازن تفصيلات للحوادث الاليمة والخسائر الكبيرة في الارواح والاموال والممتلكات التي وقعت في المذابح ونصوص كثير من عرائض النصارى والدروز للدولة العثمانية والدول الاجنبية ونصوص كثير من المراسلات المتبادلة بين سفراء الدول ووزراء الخارجية التابعين لها وبين السفراء والمندوبين فيمــا بينهم وبينهم وبين الدولــة العثمانية ونصوص كثير من محاضر التحقيق ، يتخللها اشارات دل دلائل كثيرة على ما كان من تشاد بين الــدول وخاصة بين انكلترة وفرنسة ودسائسها ومناوراتها بسبيل اغراضهــا الاستعمارية . وقد ورد فيما ورد نبذة من الكتاب الازرق الانكليزى (ج ١ ص ٧٣) جاء فيها « ان الموارنة مستسلمون نفسا وجسدا لفرنسة فلم يبق لانكلترة ان تختار في الامر وامسى من المحتم عليها عضد الدروز » حيث يكمن في هذه النبذة سر من اسرار ما كان يقع على مسرح لبنان من فواجع .

بيروت واحتلتها تمهيدا لذلك • وارسلت الاستانة بعثة مخولة الصلاحيات الواسعة لتنظيم الامور وتهدئة الفتنة ومعاقبة المجرمين والمحرضين • وقد اقترحت الدول بعد هدوء الحالة نظاما خاصا للحكم في لبنان يقوم على القواعد والاسس التالية : (١)

١ ــ يتولى ولاية جبل لبنان متصرف مسيحي تعينه الحكومة العثمانية بعد موافقة الدول الاوروبية الست على ترشيحه • ويكون الباب العالي ــ مجلس الوزراء العثماني ــ مرجعا له • وتلغى القائممقاميتان المسيحية والدرزية •

٢ ــ تبقى حدود لبنان على ما كانت عليه أي بدون اقضية بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا ولواء طرابلس واقضية صيدا وصور وتوابعها •

٣ ــ يلغى نظام الاقطاع وامتيازات الاقطاعيين وتتوطد المساواة القانونية للجميع •

٤ ــ يكون لجميع طوائف لبنان حقوق متماثلة في الحكم والادارة •

٥ ــ ينشأ مجلسان واحد اداري وآخر قضائي في مركز المتصرفية يكونان المرجع الاعلى والاخير للشؤون الادارية والقضائية • ويتكون كل من المجلسين من اثنى عشر عضوا بنسبة عضوان لكل من طوائف المسلمين السنيين والدروز والشيعيين والموارنة والروم الارثوذكس والروم الكاثوليك •

٦ ــ يقسم لبنان الى اقضية ونواح ويعين موظفوها من قبل المتصرف • وينشأ في كل قضاء مجلسان واحد اداري وآخر قضائي أيضا •

٧ ــ يدفع لبنان مبلغا معينا في السنة لخزينة الدولة العثمانية

---

(١) مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية ج ٣ ص ٣١٥ ــ ٣٣٥ •

قدر بثلاثة آلاف وخمسمائة كيس مبدئيا على ان يكون محتمل الزيادة الى سبعة آلاف حين الامكان .

وقبلت الحكومة العثمانية الاقتراح واصدرت المراسيم اللازمة لتنفيذه . واخذت تعين متصرفين نصارى للبنان بموافقة الدول الست . ومنذئذ لفظ النظام الاقطاعي في لبنان انفاسه الاخيرة فعليا وان لم تزل آثاره وادبياته حيث ظلت الاسر الاقطاعية المسيحية والدرزية تحتفظ بالقابها الاقطاعية ووجاهتها الاقطاعية وقصورها الاقطاعية وممتلكاتها الاقطاعية . بل وظل يوسد الى البارزين منها الوظائف والاعمال الرئيسية في لبنان في ظل نظامه الجديد بحيث يمكن ان يقال ان معظم وظائف لبنان الرئيسية الادارية والقضائية ظلت تشغل بابناء الاسر الاقطاعية القديمة .

وقد ظل نظام لبنان هذا الى الحرب العالميةالاولى وتولى متصرفيته داود باشا ففرانكو باشا فرستم باشا فويصا باشا فنعوم باشا فمظفر باشا فاوهانس باشا . ثم الغته الحكومة العثمانية بعد ان اندمجت في الحرب المذكورة الى جانب الالمان وجعلته متصرفية عادية ــ في مثابة ولاية ــ في ظل نظامها الاداري العام . وظل الامر كذلك الى ان انتهت الحرب وانسحب العثمانيون من البلاد الشامية .

وقد حل الانتداب الافرنسي محل الحكم العثماني وتقلب في ادوار مختلفة الى سنة ١٩٤٣ حيث قام عهد استقلالي وطني جمهوري كان رئيس جمهوريته الشيخ بشارة الخوري من أسرة الخوري الاقطاعية . ثم جلا الافرنسيون عن لبنان في آخر سنة ١٩٤٦ فقامت الجمهورية اللبنانية المستقلة الحاضرة التي لا يشوب استقلالها وسيادتها شائبة عهدية استعمارية .

ولقد وسع اول مندوب سام افرنسي حدود لبنان حتى صار يشمل بالاضافة الى منطقة الجبل لواء طرابلس وملحقاته وجبل عامل الذي

يحتوي اقضية صيدا وصور ومرجعيون والنبطية والاقضية العربية الشرقية وهي بعلبك وراشيا وحاصبيا والبقاع بالاضافة الى مدينة بيروت فغدا منذ سنة ١٩٢٠ يسمى لبنان الكبير ، وظل يحتفظ بهذا النطاق في عهده الجمهوري المستقل .

ولقد كانت النعرة الحزبية القيسية واليمنية هي التي تنظم صلات اهل لبنان ببعضهم وتنظم حركاتهم السياسية في عهد الحكم الاقطاعي بحيث كان يندمج في كل منها ابناء طوائف دينية مختلفة فيكون الدرزي والسني والشيعي والماروني والارثوذكسي والكاثوليكي في حزب واحد يمني او قيسي على ما شرحناه في سيرة الاسر الحاكمة فيه . ولم يكن للنعرة الدينية ذلك الاثر الذي لها اليوم حيث كان ابناء الطوائف الدينية المختلفة يعيشون في وئام وانسجام مع بعضهم منذ القرن العاشر الهجري في نطاق النعرة اليمنية والقيسية . ثم اخذت النعرة الدينية تقوى وتحل محل تلك النعرة في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ـ الثالث عشر الهجري ـ حينما اخذت انكلترة وفرنسة تدسان اصابعهما في لبنان لتحقيق ما كانتا تبيتانه من السيطرة عليه وعلى بلاد الشام عامة . ولقد وقف الدروز والنصارى والشيعة والسنيون جنبا الى جنب ازاء الحملة المصرية فسايرها من سايرها منهم وثار عليها من ثار عليها منهم معا . وقد بدأت تلك النعرة تعمل عملها المشؤوم عقب جلاء الحملة المصرية فصار يقع بين الدروز والنصارى الاشتباكات الفردية والجماعية بتأثير تلك الدسائس المجرمة ، وبدا الافتراق بارزا اكثر في قسمة لبنان سنة ١٨٤٣ الى قائمقامية درزية واخرى مسيحية . ثم توطد اكثر فاكثر في ظل نظام المتصرفية الذي نشأ بعد مذابح عام ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠ م والذي قام على اساس الطائفية الدينية سواء في تقسيم نواحي لبنان الادارية أم في الوظائف والمناصب . وقد غذت فرنسة في عهدها الانتدابي

المشؤوم ١٩١٨ ـ ١٩٤٦ م هذه النعرة حتى غدت حياة لبنان الاجتماعية والسياسية والثقافية قائمة عليها • ولقد استهدفت الحركة العربية القومية الحديثة التي أخذت تجري في اواخر عهد الدولة العثمانية ١٩٠٠ــ١٩١٨م تجميع مختلف الطوائف الدينية في نطاق القومية العربية دون النعرة الدينية • ولقد كان العاملون والضحايا في سبيل ذلك في لبنان وغير لبنان مؤلفين من مختلف الطوائف حتى لقد اوشكت النعرة الدينية أن تخف وتحل محلها النعرة القومية العربية فعملت فرنسة في عهدها الانتدابي المشؤوم على محاربة ذلك حتى اوجدت في نصارى لبنان وخاصة موارنته تيارا قويا ضد العروبة والمسلمين فكان لدسائسها هذه وما يزال اقوى الاثر وأسوأه في صلات ابناء الطوائف الدينية في لبنان ببعضهم وفيما قام بينهم من منافسات واحقاد ومناظرات وفيما يبدو من بعض ابناء الطوائف المسيحية من تنكر للعرب والعروبة برغم ما يجمع بينهم وبين ابناء الطوائف المحمدية من الاصل العربي ووحدة اللغة والمصلحة والتاريخ والعادات والتقاليد • ومن الحقائق المؤسفة ان مآرب الرؤساء والبارزين من ابناء الطوائف تلعب دورا كبيرا في استمرار هذه الحالة الاليمة •

ولقد قلنا في سيرة بني معن ان جبل لبنان وجبل عامل ومدن بيروت وصيدا وصور وطرابلس وراشيا وحاصبيا وبعلبك والبقاع وعكار ومايتبعها من قرى لم تجتمع تحت سلطان حاكم واحد الا لفترة قصيرة في عهد الامير فخر الدين المعني الثاني • والمتبادر ان الافرنسيين في اول عهدهم الانتدابي قد رأوا ذلك سابقة يصح ان تعاد فاعادوها في سنة ١٩٢٠ باسم لبنان الكبير • ومهما كان الهدف الذي رمى اليه الافرنسيون

من ذلك فاننا لنرجو ان يؤدي هذا في النهاية الى قيام الانسجام والاندماج التامين بين مختلف الطوائف الدينية في لبنان التي يجمعها الاصل العربي الجنس الممتد الى ما قبل الاسلام بكثير من القرون فتزول النعرة الدينية المتعصبة التي أثارها الاجانب بين ابناء الوطن الواحد والاصل الواحد ليجعلوها شيعا متنافرة متباغضة لمآربهم الخبيثة •



* * *

جدول بالاخطاء المطبعية الهامة وصوابها . وهناك اخطاء ثانوية تركت لفطنة القارىء ويحسن بالقارىء ان يصحح هذه الاخطاء قبل قراءة الكتاب

الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطــأ	الصواب
١١	١	شعارا	ستارا
١٥	١	مسمرتين	مستمرتين
٢٠	٢	يلفح	يفلح

السطر العاشر من الصفحة ٣٧ مدسوس دسا وليس له محل فاشطبه وضع بدله هذه الجملة « والاتراك وكان هو في جانب هؤلاء واليازوري في جانب العبيد وعظم امر ناصر الدولة ... الخ »

الصفحة	السطر	الخطــأ	الصواب
٤٤	١٠	الغمران	الغمرات
٥٠	٨	الوحى	الوجى
٥٢	١٤	طرسون	طرسوس
٦٣	٢	شارع	شاع
١١٥	١٢	ينجج	ينــج
١١٨	٩	هــو	هول
١٤٣	٢٥	(١)	(٥)

في السطرين السادس والسابع من الصفحة ٢١٠ تقديم وتأخــير والصواب أن يقرأ السابع اولا والسادس بعده .

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
٢٢٧	١	مستنزيهم	مسنيريهم

كلمة « قصده » في السطر ٨ من الصفحة ٢٣٠ محلها بعد كلمة « غاية » في السطر ١٠ من نفس الصفحة .

الذيل الثاني في الصفحة ٢٤٢ عائد الى كلمة قانصوه في السطر١٩ من نفس الصفحة .

الرقم ٣٤٩ للصفحة التي بعد ٢٤٨ غلط وصحيحه ٢٤٩

السطر الثالث من الصفحة ٢٥٢ مكرر وتكرره اسقط سطرا وهذا فحوى السطر الرابع « من ساحل عكا الى ابن طربية ونزلوا في قريـة فيق فلحق بهم وضربهم واخذ حريمهم .. الخ »

ضع كلمة احمد قبل كلمة راشيا في اول السطر ٩ من الصفحة ٢٥٢

٢٦٣	١٦	للسجي	للمحبي

الذيل رقم (٤) في الصفحة ٢٦٨ عائد للخبر الوارد في السطرين الاخيرين من الصفحة نفسها .

٣١٨	٢	بالخباء	بالحناء

في السطرين ٦و٧ من الصفحة ٣٥٨ تكرر سقط بسببه كلام فاقرأه هكذا « وقفـة التربص وان بعض المشايخ النكـديين كتب الى والي طرابلس يعلمه انه تحت امر الدولة وان محمد علي باشا ... الخ »

جملة الامير يونس الحرفوشي في السطر ١٦ من الصفحة ٣٨٤ مكررة ويجب ان يكون محلها جملة « هو والامير علي الشهابي لمواجهة الوالي » .

٣٨٦	٢٠	الحرفوشي	المعني
٤٣٣	٢٠	الغزو	الغز
٤٨٤	١١	الخامس	الخامس عشر
٥٤٥	٥	ورايته	ودرايته

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
٥٥٠	١٢	الثالث عشر	الثامن عشر

علامة (١) في السطر ١٤ من الصفحة ٥٧٧ وفي السطر ٢٢ يجب ان تكون (٤)

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
٦٠٢	٢	ادلتهم	اوليتهم
٦٢٣	٢٢	الدنس	الونس
٦٢٥	١٨	لحج	الحج
٦٦٧	١٣	دون	دول
٦٧٢	٥	فيجعلوها	ليجعلوهم
٦٧٢	٥	متباقضة	متباغضة

سقط كلام من السطر الثالث من الصفحة ٤٣٥ فاقرأه هكذا : ان الشيخ ظاهر لما ذهب لحصار يافا التي استولى عليها ابو الذهب كان معه قوة من المتاولة على رأسها الشيخ ناصيف النصار وان بعض زعماء المتاولة .... الخ .

مشتمل هذا الجزء

الصفحـات	الموضوع
	بلقب سلطان البر ــ تحوله من النعرة اليمنية الى النعرة القيسية ــ عهد فخر الدين الثاني المع نجوم حكام العرب الاقطاعيين في بلاد الشام وامتداد حكمهوسلطانه وشموله معظم بلاد الشام بالاضافة الى لبنان وملحقاته مما يسمى اليوم لبنان الكبير ــ الهاممن احداثه وصور نشاطه ــ ازدهار عهده ــ صلاته باوروبا ورحلتـه اليها ــ مصاولاته مع الولاة وبني سيفا وتزعمه النعرة القيسية ــ خلفاؤه الامراء ملحم وقرقماس واحمـد ونطاق سلطانهم ومصاولاتهم مع اليمنيين والولاة والهام من احداثهم وصور نشاطهم ــ نحلة بني معنوخاصة الامير فخر الدين الثاني وما دار حول ذلك .
٢٧٩ — ٢٨٨	(٤) استطرد الى التعريف بني عساف وبني سيفا : جنس بني عساف واولية وجودهم ومجال حكمهم في شمال لبنان واسماء البارزين منهم والهام من احداثهم وصو رنشاطهم ــ انسجامهم مع بني معن ي النعـرة القيسية ــ جنس بني سيفا واولية وجودهم وحكمهم في شمال لبنان واسماء البارزينمنهم والهام مناحداثهم وصور نشاطهم . نعرتهم اليمنية ومصاولاتهم مع بني معن وحلفائهم اصحاب النعرة القيسية .
٢٨٩ — ٣٧٥	(٣) بنو شهاب : نسبهم واولية طروئهم على حوران ثم على وادي التيم بزعامة الامير منقذ حكمهم فيه وانسجامه مع بني معن خلفاء الامير منقذ الى عهد الامير منصور الذي انقسم

تنبيـــــه

الكتاب في ثلاثة اجزاء • والجزء الثاني منه يحتوي :

١ ـ سيرة الاسر العربية التي برزت في مجال الحكم والسلطان في بقية انحاء بلاد الشام أي في مناطق اللاذقية وسورية الوسطى وفلسطين وشرق الاردن والعراق ، ٢ ـ حركة القبائل العربية في بلاد الشام والعراق أثناء حقبة التغلب التركي وتوزعها واسمائها وتفرعاتها والهام من احداثها والمشهور من زعمائها وشيوخها ، ٣ ـ لمحة في مراحل توطد السيادة العربية على هذه البلاد •

والجزء الثالث من الكتاب يحتوي :

١ ـ سيرة العرب والعروبة في وادي النيل ـ مصر والسودان واثيوبيا ـ وانحاء افريقية الشمالية وسيرة الاسر العربية التي برزت في مجال الحكم والسلطان في هذه البلاد اثناء حقبة التغلب التركي ٢ ـ الصيال بين العروبة والبربرية في شمال افريقية وتغلب العروبة وشمول طابعها ٣ ـ سيرة الدول البربرية التي نشأت في ظل طابع العروبة والاسلام في شمال افريقية ٤ ـ حركة القبائل العربيه واسمائها وتفرعاتها وتوزعاتها والمشهور من زعمائها وشيوخها والهام من احداثها في وادي النيل وشمال افريقية ، ٥ ـ لمحة في مراحل توطد السيادة العربية في وادي النيل وشمال افريقية •

من مراجع هذا الجزء

تاريخ ابن الاثير	
تاريخ ابي الفداء	
زبدة الحلب في تاريخ حلب	لابن العديم
تاريخ حلب الشهباء	للشيخ راغب الطباخ
ديوان المتنبي	تحقيق ونشر عبدالوهاب عزام
معجم القبائل العربية	رضا كحالة
بنو منقذ	طاهر النعسان
جولة اثرية	وصفي زكريا
تاريخ بيروت	صالح بن يحيى
روض الشقيق	الامير شكيب ارسلان
الغرر الحسان	للامير حيدر الشهابي
اخبار الاعيان	طنوس الشدياق
تنوير الاذهان في تاريخ لبنان	ابراهيم الاسود
لبنان	لجنة من الادباء
تاريخ الامير فخر الدين الثاني	اسكندر المعلوف
جبل عامل في التاريخ	محمد تقي الدين آل الفقيه
تاريخ الموارنة	للمطران الدبس
تاريخ سورية	للمطران الدبس
تاريخ الموارنة	للبطرك الدويهي
ابراهيم باشا في سورية	سليمان ابو عز الدين
كتاب ولاية سليمان باشا	للمعلم ابراهيم عودة
الدروز	لكريم ثابت
خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر	للمحبي
تاريخ بعلبك	مخائيل الوف
بدائع الزهور ووقائع الدهور	لابن اياس
تاريخ ضاهر العمر	لمخائيل الصباغ
عشائر الشام	وصفي زكريا
عشائر العراق	عباس العزاوي
تاريخ العراق بين احتلالين	عباس العزاوي



ثمن النسخة ١٠ ل.س
او ما يعادلها

مطابع فتى العرب